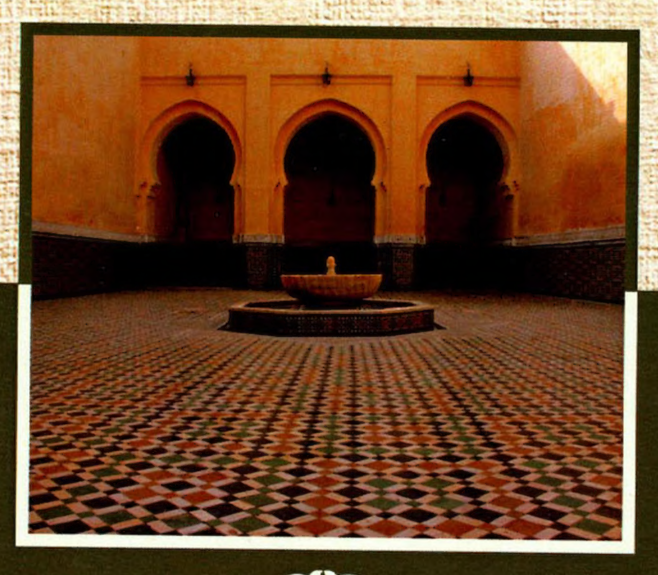
المورد العذب في المواعظ والخطب

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م



دراسة وتحقيق وتعليق:
الدكتورة أروى سمير مجذوب



دار النبيان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

القسم الأول

الفصل الأول: الخطابة والخطيب.

أ ـ الخطابة: تعريفها وخصائص أسلوبها.

ب ـ الخطيب: صفاته وعدته.

ج ـ الخطابة بين الجاهلية والإسلام.

الفصل الثاني: ترجمة المصنف.

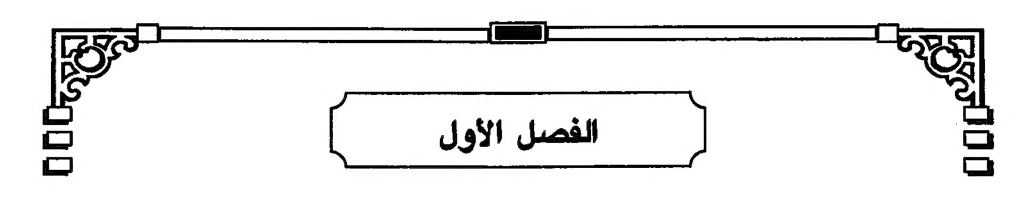
أ ـ عصره.

ب ـ حياته.

ج ـ مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه.

د ـ مؤلفات ابن الجوزي.

هـ ـ ابن الجوزي الخطيب الواعظ.



الفصل الأول

الخطابة والخطيب

الخطابة
تعريفها وخصائص أسلوبها

الخطابة هي فن نثري يمتاز بمشافهة الجمهور بطرق مخصوصة لأداء الكلام، بهدف استمالتهم إلى فكرة معينة أو موضوع خاص، بأسلوب بيِّن العبارات، سامي المعاني، جزل الألفاظ، يمتزج فيه العقل بالعاطفة؛ فيخاطب الفكر كما يخاطب الوجدان؛ لينفذَّ من خلالهما إلى غايته من الإثارة والإقناع. لذا كان للأسلوب الخطابي سمات خاصة أجملها فيما يلي:

١ ـ الوضوح:

لما كانت الخطبة موجهة إلى الناس على اختلاف أقدارهم، وتمايز أفهامهم؛ إذ فيهم العالم وفيهم الجاهل، فاقتضى ذلك أن تكون في أسلوب حسن، تفهمه العامة، ولا تمجُّه الخاصة، بألفاظ سهلة عذبة، وبعبارات متآلفة متناسقة، لا هي بالسوقية المبتذلة تفقد معها الخطبة جمالها، ويضعف تأثيرها، ولا بالوحشية الغريبة التي تشغل السامعين بحل رموزها وفهم ألغازها دون التفكر في معانيها؛ يقول قدامة بن جعفر[1]: «... ألَّا يُظَن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ والتعمّق في المعنى، فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى، والبليغ ما بلغ المراد، ومن ذلك اشتقا، فأفصح الكلام ما أفصح عن معانيه ولم يحوج السامع إلى تفسير له، بعد ألَّا يكون كلاماً ساقطاً أو لألفاظ العامة مشبَّهاً».

وإضافة إلى ذلك لا بد للخطيب من أن يستكمل عنصر الوضوح في الخطبة، بحيث تكون فقراتها وأجزاؤها مترابطة متآلفة، تُسلم كل فقرة إلى التي تليها في توافق وانسجام، فلا فجوات فيها تشوش أفكار السامعين.

٢ ـ الإطناب والإيجاز:

إن الخطب تختلف طولاً وقصراً بحسب مقاماتها، وعلى الخطيب أن يراعي ذلك كله، فإن اقتضى المقام إسهاباً أسهب من غير إملال، وإن اقتضى إيجازاً أوجز من غير إخلال؛ قال الجاحظ[2]: «ثم اعلم ـ بعد ذلك ـ أن جميع خطب العرب من أهل المَدَر والوَبَر، والبدو والحضر، على ضربين: منها الطوال، ومنها القصار، ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن فيه».

فالخطيب مطالب بحسن الاختيار بين الإيجاز والإطناب، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصّر عن بلوغ الإرادة، ولا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة فينتهي بالسامعين إلى الملل، فقد قيل قديماً: لكل مقام مقال.

---

(١) نقد النثر، ص١٠٥.

(٢) البيان والتبيين، ٢/٣٨.

والإيجاز إنما يكثر في الخطب التي تلقى في ميدان الحرب، إذ يكتفي الخطيب في مثل هذا الموقف بالتذكير بالله وبيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهدين من الفوز بإحدى الحسنيين؛ من ذلك قول رسول الله ﷺ يوم بدر[١]: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مُقبِلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

ويستحسن الإيجاز أيضاً في المواعظ والوصايا التي يراد حفظها ونقلها، وعند مخاطبة ذوي الأفهام من العلماء والحكماء والبلغاء الذين يستغنون بالتلميح عن التوضيح، وبالقول عن التفسير؛ ومن ذلك خطبة قصيرة للنبي ﷺ حيث قال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه[٢] ـ: «أيها الناس إن لكم معالم فأنتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فأنتهوا إلى نهايتكم، إن العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله قاضٍ به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مُسْتَعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

أما الإطالة فتكثر في الخطب التي تعرض لشرح منهج، أو توضيح فِكْر وما شاكل ذلك، وعند مخاطبة العوام الذين تحوجهم ضآلة ثقافتهم إلى مزيد من الشرح والتوضيح.

غير أنه يجدر بالخطيب المطنب أن يكون دائم السيطرة على جمهوره؛ بأختيار الألفاظ المؤثرة، والعبارات المشوِّقة، مع حسن الإلقاء وجودته؛ لأنه لا يأمن ضجرهم ومللهم، فإن أحس منهم فتوراً أوجز؛ يقول قدامة[٣]: «وإذا تبيَّن منهم إعراضاً عنه وتثاقلاً عن أستماع قوله خفف عنهم؛ فقد قيل: مَنْ لم يَنْشَط لكلامك فأرفع عنه مؤونة الاستماع منك».

أما إن كان المقام يفرض على الخطيب إطناباً في الخطبة بحيث يعتبر الإيجاز فيه تقصيراً ألتزم الإسهاب غير مبال بمن ضَجِر ومَلِل، قال ابن المقفع[٤]: «إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله، وقد كان يقال: «رضا الناس شيء لا يُنال».

والإطناب إنما يكون بالشرح والتفسير؛ ليفهم من بَعُد فهمه، ويعلم من قصر علمه، وبالتكرار والإعادة لتثبيت الفكرة وتأكيدها، ولكن بشرط أن يقع في موقعه المناسب من الخطبة ليتحقق الهدف منه في التوضيح وزيادة قوة التأثير، ومن الخطب التي حَسُن التكرار فيها قول الحجاج في إحدى خطبه[٥]: «امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربَّه، امرؤ زوَّر[٦] عمله، امرؤ فكَّر فيما يقرؤه غداً في صحيفته، ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همِّه آمراً، وعند

---

(١) ابن هشام، تهذيب سيرة النبي ﷺ، ١/ ٤٥٧. وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، به كانت الوقعة المشهورة بين النبي ﷺ وأهل مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ١٧٠.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/ ٢٣١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ١١٦.

(٣) نقد النثر، ص٩٦.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٨٢. وابن المقفع هو عبد الله بن المقفع البليغ المشهور، كان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور، وكان قتله بالبصرة بأمر المنصور سنة ١٤٤هـ ـ ٧٦١م. ابن حجر، لسان الميزان، ٣/ ٣٦٦. الزركلي، الأعلام، ٤/ ١٤٠.

(٥) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٢/ ٣٠٢. والحجاج هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد، داهية، خطيب، ولي العراقين لعبد الملك بن مروان، توفي سنة ٩٥هـ ـ ٧١٤م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٢٩. الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٦٨.

(٦) زوَّر الشيء: حسَّنه وقوَّمه. الفيروزآبادي، القاموس، «زور»، ص٥١٦.

هواه زاجراً، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله، فإن قاده إلى حق تَبِعه، وإن قاده إلى معصية الله كفَّه، إننا والله ما خُلقنا للفناء، وإنما خُلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار».

٣ ـ قوة التأثير:

وهذا إنما يتأتى من حسن اختيار الألفاظ ذات الإيحاء والإيقاع؛ فلكل لفظ صور وظلال يوحي بهما دون سواه؛ لذا وجب على الخطيب أن ينتقي منها المؤثِّر المعبِّر عن موضوعه، الموصل إلى هدفه، فإن كان يتوعد ويتهدد في خطبته أكثر من الكلمات ذات الوقع الشديد، والأثر البليغ؛ وذلك كنحو ما ورد في خطبة الحجاج التي ألقاها حينما ولي العراق، قال[١]: «أما والله لَألْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ العصا[٢]، ولَأقْرَعَنَّكُمْ قَرْعَ المَرْوَة[٣]، ولَأعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ[٤]، ولأضْرِبَنَّكُمْ ضَرْب غرائب الإبل[٥]..» فألفاظه جميعها فيها من التهويل والتهديد والتحذير ما فيها لمن توسوس له نفسه بنقض الطاعة، وبذر الفتنة.

أما إن كان الخطيب مهنئاً بظفر أو معزِّياً بموت أو نحو ذلك، فالأجدر به أن يختار من الألفاظ ما كان سهلاً جزلاً، رشيقاً عذباً، وأن ينأى عن الألفاظ الشديدة القوية، من ذلك خطبة عبد الله بن همام السَّلُولي[٦] مهنئاً ومعزياً يزيد بن معاوية[٧] رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول[٨]: «يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرَّزِيَّة، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فلقد رُزِئت عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رُزِيت،فقد فقدت خليفة الله، ومُنحت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووُهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية[٩] نحبه، فغفر الله له ذنبه، ووُلِّيت الرياسة فأعطيت السياسة، فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور».

والجمل القصار أشد تأثيراً، وأكثر تلبية للخطيب الذي يروم التأثير السريع؛ لأنها سريعة الأداء، سريعة الفهم، متلاحقة الأثر، فإذا انضاف إلى ذلك السجع كان أجمل وأقوى، على أن يكون عفوياً لا متكلفاً، طبيعياً لا مستكرهاً، وإلا كان منكراً مكروهاً، يقول قدامة[١٠]: «ومن أوصاف البلاغة أيضاً السجع في موضعه، وعند

---

(١) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٢/٢٦٣.

(٢) لحوت العصا: قشرتها، واللِّحاء: ما على العصا من قشرها، ولحيت الرجل ألحاه لَحياً إذا لمته وعذلته، ولاحيته ملاحاة ولحاء إذا نازعته، ولَحَوْتُ العصا ألحوها لَحْواً: قشرتها. ابن منظور، اللسان، «لحا»، ١٥/٢٤٢.

(٣) قرع الشيء: ضربه. والمروة جمعها مَرْو: وهي حجارة بيض برَّاقة تكون فيها النار وتقدح منها النار. ابن منظور، اللسان، «قرع»، ٨/٢٦٣، و«مرا»، ١٥/٢٧٥.

(٤) السَّلمة: شجرة ذات شوك، وورقها القَرَظ الذي يُدْبَغ به الأدم، ويَعْسُر خَرْطُ ورقها لكثرة شوكها، فتُعصب أغصانها بأن تجمع ويُشد بعضها إلى بعض بحبل شداً شديداً ثم يَهْصِرُها الخابط إليه ويخبطها بعصاه فيتناثر ورقها. والعَصْب: الطيُّ الشديد، وعَصَب الشيء يعصبه عصباً: طواه ولواه، وقيل: شدّه. ابن منظور، اللسان، «عصب»، ١/٦٠٢، ٦٠٣.

(٥) هذا مَثَل ضربه لنفسه مع رعيته يُهَدِّدُهم، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء، فدخل عليها غريبة من غيرها، ضُربت وطُرِدَت حتى تخرُج عنها. ابن منظور، اللسان، «غرب»، ١/٦٤٧، ٦٤٨.

(٦) هو عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح السَّلولي، من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي، أدرك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، توفي سنة ١٠٠هـ ـ ٧١٨م. ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص١٨٤. الزركلي، الأعلام، ٤/١٤٣.

(٧) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، أبو خالد، ولد في خلافة عثمان، وعهد إليه أبوه بالخلافة فبويع سنة ٦٠هـ ـ ٦٧٩م، وكانت وفاته سنة ٦٤هـ ـ ٦٨٣م. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١١/٣٦٠. الزركلي، الأعلام، ٨/١٨٩.

(٨) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٢/٢٦٣.

(٩) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي، أسلم في عمرة القضاء، وأظهر إسلامه يوم الفتح، كان يكتب الوحي، وجمع عمر لمعاوية الشام كله، ثم أقره عثمان، توفي سنة ٦٠هـ ـ ٦٧٩م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/٣٨٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٤١ ـ ٦٠هـ، ص٣٠٦.

(١٠) نقد النثر، ص١٠٧.

سماحة القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا جميعه فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنًى عنها والسجع مستغنى عنه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته فذلك جهل من فاعله وعي من قائله».

ومن أمثلة الخطب التي ورد فيها السجع محموداً لا مكروهاً، خطبة الرسول الله ﷺ حين دعا قومه إلى الإسلام، وهي قوله ﷺ ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه[1] ـ: «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن ما نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون، نبوئهم[2] أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنَّا مخلدون من بعدهم، فطوبى لمن شغله عيبه عن غيره، طوبى لمن ذل في نفسه من غير منقصة، وتواضع لله من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

ومما يحقق التأثير أيضاً ألا يعتمد الخطيب في خطبته أسلوباً واحداً؛ كأن يلتزم صيغة الخبر فلا يبرحها ولا يتجاوزها إلى صيغة الإنشاء وما فيها من استفهام وتعجب وأمر ونهي ونحوها، بل لا بد من التنويع في الأسلوب لأن ذلك يشد انتباه السامعين ويجدد نشاطهم، كما أنه يستدعي تغييراً في نبرات الصوت وطريقة الإلقاء، مما يؤدي إلى مزيد من التأثير والاستمالة، من ذلك قول سيدنا علي كرَّم الله وجهه في خطبة له[3]: «عباد الله! فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقَّق السماء بالغمام، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل، فأيّ رجل يومئذ تراك؟ أقائل ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[4]! أم ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾[5]! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[6].



(١) السيوطي، الجامع الكبير، ١/ ٣٧٣.

(٢) أباءه منزلاً وبوّأه إياه بمعنى هيّأه له وأنزله ومكّن له فيه. ابن منظور، اللسان، «بوأ»، ١/ ٣٨.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٦٤.

(٤) قوله: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الحاقة، آية ١٩.

(٥) قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الحاقة، آية ٢٥.

(٦) قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة فصلت، آية ٤٢.



الخطيب
صفاته وعدّته

إن للخطيب صفات خاصة يتصف بها، وعدَّة لا بد له منها إذا ما رام النجاح عند خوض لجج هذا الميدان، ويمكنني إجمالها فيما يلي:

١ ـ الاستعداد الفطري:

إن الخطيب لا بد له من أستعداد طبيعي للتصدي لهذا الفن البليغ؛ بحيث يستند إليه، ويستمد من معينه، فينساب منه الكلام الخطابي أنسياباً دون تكلف أو تصنع؛ فهذا صحار بن عياش العبدي[١] يجيب وقد سأله معاوية ﷺ: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟» فيقول: «شيء تجيش به صدورنا، فنقذفه على ألسنتنا»[٢]. ولكن ليس معنى هذا الغض من شأن الدُّربة، والإقلال من قيمتها؛ يقول أبو دؤاد[٣]: «رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير اللفظ».

فالدربة ضرورية لصقل الموهبة الخطابية وحفظها وتنميتها، كما أنها قد تغني بعض الشيء من لا موهبة له، فترتفع به إلى مرتبة متقدمة، وإن كانت دون مرتبة الخطباء المبدعين بفطرتهم.

٢ ـ سعة الثقافة:

إن الخطيب الناجح هو الذي يكون واسع الثقافة، كثير الاطلاع، دائم القراءة لشتى المعارف، متعمقاً في دراسة اللغة، سابراً أغوارها، مكثراً من المحفوظات الأدبية، وكلما كَثُرت قراءاته، وغزرت معارفه، ذُلِّل له القول بحيث يقوم بحجته، ويُعبِّر عن ضميره في يسر وسهولة، يقول الجاحظ[٤]: «والإنسان بالتعلم والتكلف، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يجود لفظه، ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير».

فلا غنى للخطيب من دوام النظر في العلوم المختلفة، ذلك لأن الخطابة ليس لها موضوع محدد تعالجه بمعزل عن غيره، بل هي تخوض في مباحث شتى يفرضه عليها المقام؛ ومن أجل هذا ترى القدماء قد تهيَّبوا من الخوض في الخطابة وأستثقلوها، فهذا عبيد الله بن زياد يقول[٥]: «نِعْم الشيء الإمارة لولا

---

(١) هو صحار بن عياش وقيل عباس، وقيل صحار بن صخر بن شراحيل بن منقذ بن حارثة العبدي، له صحبة، سكن البصرة، وكان أحد النسّابين والخطباء في أيام معاوية، توفي سنة ٤٠هـ ـ ٦٦٠م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/١١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٢/١٧٦.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٦٩.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/٥٢. وأبو دؤاد هو أبو دؤاد بن جرير بن عبد الله بن عباد بن سلام بن مالك الإيادي. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ٢/٣٢٨. وقد ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، ١/٣٥، باسم أبي داود بن حريز. وذكره الذهبي باسم أبي دؤاد بن حريز، وذلك في كتابه تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ، ص٤٠.

(٤) البيان والتبيين، ١/٦٣.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/٢٥٨. وعبيد الله: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، كان شجاعاً خطيباً، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه =

قَعْقَعَة[1] البريد والتشرف للخطب»، وقيل لعبد الملك بن مروان[2]: «عجَّل عليك الشيب! فقال: كيف لا يعجّل عليّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين»[3].

٣ ـ معرفة نفسية السامعين:

إن مهمة الخطيب التي تكمن في استمالة المخاطبين لما يدعو إليه، وإقناعهم به بما يقدم من الحجج والأدلة، يفرض عليه أن يكون عارفاً بنفسيات السامعين وطبائعهم وأهوائهم، وما يثيرهم ويؤثر فيهم، وما يشحذ هممهم أو يثبطها، وما يلهب عواطفهم أو يسكنها؛ ذلك لأن الجمهور الذي يتوجه إليه الخطيب بخطبته يضم فئات مختلفة وطبقات شتى، ففيهم الغني والفقير، والعالم والجاهل، والصديق والعدو، فعليه أن يقنع هذا الجمهور مع تباين فئاته وأن يؤثر فيه.

ومما يساعد الخطيب في عمله ويعينه عليه دراسة علم النفس الذي يخوض في أعماق النفس الإنسانية، ليتعرف على أسرار تكوينها، وخفيات دخائلها، يقول محمد أبو زهرة[4]: «إذا كان علم النفس دعامة لعلم التربية، فهو أيضاً دعامة لعلم الخطابة؛ لأن كليهما يهدي الإنسان إلى وسائل الإقناع والتلقين والتأثير، غير أن الأول لنشء حدث، والثاني لكبار لهم أفكار ومذاهب، تجعل التأثير فيهم أبعد منالاً، والوصول إلى قلوبهم أعز مطلباً، والاستيلاء على نفوسهم أشرف منصباً، لذلك نقول: إن علم الخطابة له صلة وثيقة بعلم النفس».

٤ ـ سرعة البديهة:

قد يعترض الخطيب سؤال أو اعتراض من الجمهور، أو قد يجد نفسه مضطراً لتغيير خطبته بما يناسب المقام لحادثة حدثت أو واقعة وقعت، لذا وجب عليه أن يكون حاضر الذهن، سَمْح البديهة، لا يعيا لسانه في تفنيد شبهة لمعترض، أو الإجابة عن سؤال لسائل؛ إذ قد تكون إجادته في رده على المقاطع أقوى تأثيراً من الخطبة كلها، غير أن الخطيب إذا ما أحس بعدم انقياد القول له وتَصَعُّبه عليه فسكوته حينئذٍ أفضل من كلامه، خاصة إذا ما كان المعترض لا همَّ له سوى إشاعة البلبلة وسط الجماهير وإحراج الخطيب، من ذلك ما روي من أن معاوية ﷺ كان يخطب فقال له رجل: كذبت. فنزل مغضباً فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماء، فصعد المنبر فقال: «أيها الناس إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليُطْفئه بالماء»، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته[5].

ومن ذلك أيضاً أن أبا جعفر المنصور[6] رحمه الله تعالى خطب يوماً فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس اتقوا الله..»، فقام إليه رجل فقال: أذكِّرك من ذكَّرتنا به يا أمير المؤمنين. فقال أبو جعفر: «سمعاً سمعاً

= يزيد، توفي سنة ٦٧هـ ـ ٦٨٦م. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢٢١، ٢٢٢. الزركلي، الأعلام، ٤/١٩٣.

(١) تقعقع الشيء: اضطرب وتحرّك. ابن منظور، اللسان، «قعع»، ٨/٢٨٦. وإنما قال هذا لأن الوالي لا يدري بما يأتيه من خير أو شر، فهو يجزع لرؤيته ويخاف.

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد المدني ثم الدمشقي، كان عابداً ناسكاً، جالس الفقهاء وحفظ عنهم وكان قليل الحديث، واستعمله معاوية على المدينة، توفي سنة ٨٦هـ ـ ٧٠٥م. ابن حجر، التهذيب، ٦/٤٢٢. الزركلي، الأعلام، ٤/١٦٥.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/٢٥٨.

(٤) الخطابة، ص١١.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١/٢٩٠.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، أمير المؤمنين، ولد سنة خمس وتسعين، أتته الخلافة وهو بمكة، وكان شجاعاً مهيباً، تاركاً للهو واللعب، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه، توفي محرماً على باب مكة سنة ١٥٨هـ ـ ٧٧٥م. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٢/٢١٦. الزركلي، الأعلام، ٤/١١٧.

لمن فهم عن الله وذكّر به، وأعوذ بالله أن أذكّر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم، لـ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، وأما أنت ـ والتفت إلى الرجل ـ فقال: والله ما الله أردت بها، ولكن ليقال: قام فقال فعوقب فصبر! وأَهْوِن بها لو كانت العقوبة، وأنا أنذركم أيها الناس أختها، فإن الموعظة علينا نزلت، وفينا أنبتُت، فردوا الأمر إلى أهله يُصْدِروه كما أوردوه. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة»[2].

٥ ـ الإخلاص:

إن الخطيب المخلص لمبدئه، المؤمن بدعوته، المعتقد صحة ما يقوله، هو وحده القادر على التأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة التي يرتضيها، وما ذاك إلا لأن كلامه قبس من مشاعره المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، يقول عامر بن عبد قيس[3]: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان». فمن فقد نعمة الإخلاص خفتت حماسته، وضعف تأثيره، قال الحسن البصري[4] رحمه الله تعالى وقد سمع رجلاً يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه، فقال له: «يا هذا، إن بقلبك لشر أو بقلبي».

٦ ـ روعة المنظر وجمال المظهر:

ولا بد للخطيب من أن يكون حسن المنظر، جميل الشَّارة؛ لأن في ذلك عوناً له على التأثير، يقول الجاحظ ـ وهو في معرض حديثه عن البلاغة[5] ـ: «..وزَيْن ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال».

وقد يكون إهمال الخطيب لنفسه، وعدم أعتنائه بمظهره، سبباً في نفور الناس منه وأستهانتهم به؛ من ذلك ما روي من أن إياس بن معاوية المزني[6] أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميماً باذ الهيئة، قشفاً[7]، فأستهانوا به، فلما عرفوه أعتذروا إليه وقالوا له: «الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك»[8].

ومما يزيد الخطيب إجلالاً وأحتراماً في نفوس السامعين، بالإضافة إلى ما ذكرنا من حسن المظهر وبهائه،

---

(١) قوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة الأنعام، آية ٥٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/٩٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٦١. وعامر: هو عامر بن عبد الله بن عبد قيس، من بني العنبر، وهو أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة، وعلم أهلها القرآن، توفي سنة ٥٥هـ ـ ٦٧٥م. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢/٨٧. الزركلي، الأعلام، ٣/٢٥٢.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٦١. والحسن: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع من كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ بالمدينة، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ ـ ٧٢٨م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٦٩. الزركلي، الأعلام، ٢/٢٢٦.

(٥) البيان والتبيين، ١/٦٤.

(٦) هو أبو واثلة إياس بن معاوية بن قُرّة المزني، اللَّسِن البليغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة، تولى القضاء في البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٢٢هـ ـ ٧٤٠م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٢٤٧. الزركلي، الأعلام، ٢/٣٣.

(٧) البذاذة: رثاثة الهيئة، وباذ الهيئة أي رثّها. وقَشِف يقشَف قَشَفاً: لم يتعهد الغسل والنظافة، فهو قَشِف. ابن منظور، اللسان، «بذذ»، ٣/٤٧٧، و«قشف»، ٩/٢٨٢.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٧١.

أن يكون معتدلاً في وقفته، متزناً في حركاته، إذ إن الإكثار من الإشارات والحركات خطل، وهو مذهب لهيبة الخطيب، ومسقط لجاهه.
وقد اعتاد الخطيب العربي أن يقف على نشز من الأرض أو على ظهر دابة ليشرف على الجمهور المستمع إليه؛ إذ إن الرؤية المتبادلة بين الخطيب وجمهوره تشكل عاملاً من عوامل التأثير والتأثر وسبباً من أسباب التفاعل بينهما. وأن يعتمد على عصا أو قوس أو سيف، يقول الشاعر حسان بن ثابت ﷺ[1]:

يُصيبون فَصْلَ القول في كلِّ خطبة ... إذا وصلوا أَيْمانهم بالمَخاصر[2]

[بحر الطويل]

٧ ـ جودة الإلقاء:

إن الإلقاء الجيد من الأسباب المهمة في نجاح الخطبة وبلوغ هدفها التي من أجلها أُنشِأت، فقد نقرأ خطباً كان لها عظيم الأثر حينما ألقيت فلا نحس بروعتها وجمالها، وما ذاك إلا لأنها استمدت تأثيرها من الظروف التي رافقت إلقاءها.
وللإلقاء الجيد قواعد من أهمها:

١ـ جهارة الصوت:

إن جهارة الصوت من الصفات التي لا غنى للخطيب عنها، إذ بها يسيطر على جمهوره بإيصال كلامه إلى الجميع، ولا بد له من الحفاظ على قوة صوته ووضوحه؛ فلا يتسرع في إلقاء خطبته، ولا يتعجل بنطق كلماته فيلتبس المعنى على السامعين، بل يخطب متمهِّلاً، متوجهاً بصوته إلى وسط الجمهور، ملائماً بين نبرات صوته وبين معاني كلماته، فيعطي كل موطن حقه من الشدة أو اللين أو نحو ذلك مما يناسبه.
وقد امتدح العرب الجهير الصوت، وذمُّوا خافته، من ذلك قول الشاعر يمدح معاوية ﷺ بالجهارة وبجودة الخطبة[3]:

رَكُوب المَنابر وَثّابها ... مِعَنٌّ بخطبته مُجْهِر[4]

[بحر المتقارب]

وذم بشار بن برد[5] بعض الخطباء برقة الصوت وضآلته فقال[6]:

ومن عجب الأيام أن قمت خاطباً ... وأنت ضئيل الصوت منتفخ السَّحر[7]

[بحر الطويل]

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، ص١٦٤. وسيدنا حسان هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، يكنى أبا الوليد، وهي الأشهر، روى عن النبي ﷺ أحاديث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ ـ ٦٧٤م. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٣٢٦. الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٧٥.

(٢) المخصرة شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها، وهو أيضاً مما يأخذه الملك يشير به إذا خطب، والجمع المخاصر. ابن منظور، اللسان، «خصر»، ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٨٩.

(٤) عنَّ الشيء: ظهر أمامك. والمِعَن: الخطيب. ابن منظور، اللسان، «عنن»، ١٣/ ٢٩٠. والمراد أن الخطبة تعنّ له فيخطبها.

(٥) هو بشار بن برد، مولى لبني عقيل، وكان من الشعراء المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، وكان يرمى بالزندقة، توفي سنة ١٦٧هـ ـ ٧٨٤م. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٧٧. الزركلي، الأعلام، ٢/ ٥٢.

(٦) انظر: الديوان، ص١٣٩.

(٧) السَّحْر: الرئة، وانتفخ سحْرك أي رِئتك، يقال ذلك للجبان. ابن منظور، اللسان، «سحر»، ٤/ ٣٥١.

ب ـ سلامة اللسان من عيوب النطق:

ينبغي على الخطيب أن يكون نطقه سليماً، خالياً من العيوب التي تشين الألفاظ؛ كاللُّثغة[1]، والفأفأة[2]، ونحوهما، فكل ذلك مما يذهب برونق الكلام وبهائه، وربما أدى إلى التباس المعنى على المستمع وغموضه، ومن أجل هذا كان بعض الخطباء من القدماء الذين أصيبوا بعلة من علل النطق يحملون أنفسهم على تقويم لسانهم، أو إسقاط الحرف الذي لا يحسنون نطقه من كلامهم، فمن هؤلاء واصل بن عطاء[3]، وكان قبيح اللثغة على الراء، وكان إلى المناقلات وارتجال الخطب لأهل نحلته، ومستحسني دعوته محتاجاً، فراض لسانه حتى أخرج الراء من منطقه، وخطب خطبة طويلة تدخل في عدة أوراق لم يلفظ فيها بالراء، فكان مما يُعَد من فضائله وعجيب ما اجتمع فيه[4].

٨ ـ رباطة الجأش وقوة الجنان:

ينبغي على كل من يتصدى لمنبر الخطابة أن يكون صارم القلب، ثَبْت الجَنان، مطمئن الجأش، واثقاً بنفسه وبمقدرته الخطابية، ذلك لأن الخطابة لمَّا كانت مسموعة من قائلها، ومأخوذة من لفظ مؤلفها، وكان الناس جميعاً يرمقونه ويتصفَّحون وجهه، كان الخطأ فيها غير مأمون. والخطيب الماهر هو الذي يحسن التخلص إذا ما أصابه الحصر[5]، فقد أرْتِج على يزيد بن أبي سفيان[6] ﷺ لما قدم الشام والياً عليها فقال[7]: «يا أهل الشام عسى الله أن يجعل بعد عُسر يُسرا، وبعد عيٍّ بياناً، وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل». وصعد خالد بن عبد الله القسري[8] يوماً المنبر ليخطب فأرتج عليه، فقال[9]: «أيها الناس، إن الكلام ليجيء أحياناً فيتسبَّب سَببه، ويَعْزُب أحياناً فَيَعِزُّ مَطْلَبه، فربما طولب فأبى، وكوبر فعصى، فالتَّأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيِّه».

غير أن هناك من الخطباء من عجزوا عن التخلص فأضحكوا، من ذلك ما رُوي من أن رجلاً دُعي ليخطب في نكاح فحَصِر، فقال: لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فقالت امرأة حضرت: ألهذا دعوناك! أماتك الله[10]!

---

(١) وهي تحوُّل اللسان من السين إلى الثاء، أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء، أو من حرف إلى حرف. الفيروزآبادي، القاموس، «لثغ»، ص١٠١٧.

(٢) وهي ترديد الفاء وإكثارها في الكلام. الفيروزآبادي، القاموس، «فأفأ»، ص٦٠.

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزَّال، مولى بني ضبَّة، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين، وكان يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه، توفي سنة ١٣١هـ ـ ٧٤٨م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٧. الزركلي، الأعلام، ٨/١٠٨.

(٤) قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص١١٢.

(٥) الحَصَر: ضرب من العي. حَصِر الرجل حَصَراً فهو حَصِر: عَيِيَ في منطقه. ابن منظور، اللسان، «حصر»، ٤/١٩٣.

(٦) هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أخو معاوية من أبيه، كان من العقلاء الألِبَّاء والشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وهو أحد الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، توفي في الطاعون سنة ١٨هـ ـ ٦٣٩م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٣٢٨. الزركلي، الأعلام، ٨/١٨٤.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/١٣٤.

(٨) هو أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القَسْري، كان أميرالعراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، وكان معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وكان جواداً كثير العطاء، توفي سنة ١٢٦هـ ـ ٧٤٣م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٢٦. الزركلي، الأعلام، ٢/٢٩٧.

(٩) القالي، الأمالي، ١/١١١.

(١٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/٢٥٨.

ومن أجل ذلك نرى القدماء قد عابوا العي والحصر وآستعاذوا منهما؛ من ذلك قول النمر بن تولب[1]:

أعِـــذْنـــي ربّ مـــن حَـــصَـــرٍ وعـــيٍّ ومـــن نَـــفـــس أُعَـــالـــجـــهـــا عِـــلاجـــا

[بحر الوافر]



(١) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ١٥٣٣/٤. والنمر: هو النمر بن تولب بن زهير العكلي، أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الإسلام وهو كبير، كان جواداً لا يكاد يمسك شيئاً، وكان فصيحاً جرياً على النطق، توفي سنة ١٤هـ ـ ٦٣٥م. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٣١/٤. الزركلي، الأعلام، ٤٨/٨.

الخطابة بين الجاهلية والإسلام

الخطابة في الجاهلية

لقد عرف العرب الخطابة في الجاهلية معرفتهم للشعر، غير أن ما وصل إلينا من خطبهم كان ضئيلاً؛ يقول القلقشندي[1]: «وٱعلم أنه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب «الريحان والريعان» إن ما تكلمت به العرب من أهل المَدَر والوَبَر، من جيِّد المنثور ومزدوج الكلام، أكثر مما تكلمت به من الموزون، إلا أنه لم يحفظ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عشره؛ لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك، أو الحالات، أو الإصلاح بين العشائر، أو خطبة النكاح، فإذا ٱنقضى المقام حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد».

فالخطابة كانت منتشرة في ذلك العصر، معروفة لدى أهلها، برع فيها كثير منهم؛ ومن هؤلاء: كعب بن لؤي[2]؛ وكان يخطب على العرب عامة، ويحض كنانة[3] على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموته إلى عام الفيل[4].

ومنهم أيضاً: عامر بن الظرب[5]، وأكثم بن صيفي[6]، وربيعة بن حُذار[7]، وهرم بن قطبة[8]، وعمرو بن الأهتم[9]، وقس بن ساعدة[10]، وهو القائل[11]: «أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت».

---

(١) صبح الأعشى، ١/ ٢٥٤.

(٢) هو كعب بن لؤي بن غالب القرشي، جدٌّ جاهلي، كان عظيم القدر عند العرب، إذ كانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويعظمهم، توفي سنة ١٧٣ق.هـ ـ ٤٥٤م. الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٢٠. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٢٨.

(٣) كنانة: قبيلة عظيمة، من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ٣/ ٩٩٦.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٣٣.

(٥) هو عامر بن الظرب بن عمرو العدواني، خطيب جاهلي، كان إمام مضر وحكيمها وفارسها، وممن حرم الخمر في الجاهلية، وهو من المعمرين. محمد بن حبيب، المحبر، ص١٣٥، ١٨١، ٢٣٦. الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٥٢.

(٦) هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي الحكيم المشهور، أدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق وكان من المعمرين، توفي سنة ٩هـ ـ ٦٣٠م. ابن حجر، الإصابة، ١/ ١١٠. الزركلي، الأعلام، ٢/ ٦.

(٧) هو ربيعة بن حذار بن مرة الأسدي، حاكم بني أسد، وهو من القادة الشجعان في الجاهلية. البكري، سمط اللآلئ، ١/ ٤٨٧. الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٦.

(٨) هو هرم بن قطبة الفزاري، من قضاة العرب في الجاهلية، أسلم في عهد النبي ﷺ وثبت في الردة، توفي بعد سنة ١٣هـ ـ ٦٣٤م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٥٧. الزركلي، الأعلام، ٨/ ٨٣.

(٩) عمرو بن الأهتم بن سمي التميمي المنقري، أحد السادات في الجاهلية والإسلام، كان خطيباً جميلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه، توفي سنة ٥٧هـ ـ ٦٧٧م. ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٥٢٤. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٧٨.

(١٠) هو قس بن ساعدة الإيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد»، توفي سنة ٢٣ق.هـ ـ ٦٠٠م. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٦٨. الزركلي، الأعلام، ٥/ ١٩٦.

(١١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٠٧. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٦٨.

ولم تكن الخطابة ـ مع ذلك ـ مطيّة سهلة لكل من أراد الخوض فيها، بل كانت وقفاً على أصحاب السؤدد والشرف، وأهل السيادة والرياسة؛ يقول القلقشندي[1]: «وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب، ورؤساؤهم ممن فاز بِقدْح القَصْل[2] وسبق إلى ذُرى المجد، ويخصّون ذلك بالمواقف الكرام، والمشاهد العظام، والمجالس الكريمة».

كما تنوعت الخطابة في هذا العصر تبعاً لما يفرضه المقام، فاستخدموها في المنافرة والمفاخرة بالأنساب والأحساب والمناقب، كمنافرة عبد المطلب[3] وحرب بن أمية[4] إلى نفيل بن عبد العزى[5].

واستخدموها في الدعوة إلى الصلح ورأب الصدع بين المتخاصمين؛ يقول ربيعة بن مقروم الضبي[6]:

ومتى تَقم عند اجتماع عشيرة	خُطَباؤنا بين العشيرة يُفْصَل

[بحر الكامل]

كما كانوا يعمدون إلى الخطبة عندما يفدون على من له سيادة ورياسة، فيخطبون بين يديه، يقول أوس بن حجر في رثاء أحد الخطباء[7]:

أبا دُلَيْجة مَنْ يُوصي بأرْمَلة	أم مَن لأشْعَث ذي طِمْرَيْن طِمْلال[8]
أمْ مَن يكون خَطِيب القَوْمِ إنْ حَفلُوا	لدى مُلوكٍ أُولي كَيْدٍ وأقوال

[بحر البسيط]

واستخدمت أيضاً في عقد الزواج، وكان من عادتهم في هذه الخطبة أن يطيل الخاطب ويقصّر المجيب[9].

غير أنه على الرغم من انتشار الخطابة بين عرب الجاهلية وتنوع أغراضها، لم تكن تحتل عندهم المكانة التي احتلها الشعر؛ وذلك لما لهذا الفن الأخير من عظيم الأثر في الذب عن القبيلة وحمايتها، ونشر مآثرها وحفظ أنسابها وفضائلها على مرّ الأزمان.

---

(١) صبح الأعشى، ١/٢٥٤.

(٢) لسان مقصل أي ماضٍ. ابن منظور، اللسان، «قصل»، ١١/٥٥٨.

(٣) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واسمه شيبة وعبد المطلب لقب غلب عليه، وهو جد النبي ﷺ، كان أحد سادات العرب ومقدميهم، وكان عاقلاً ذا أناة ونجدة. الطبري، تاريخ الطبري، ٢/٨. الزركلي، الأعلام، ٤/١٥٤.

(٤) هو حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو عمرو، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه، مات بالشام سنة ٣٦ق.هـ ـ ٥٨٨م. محمد بن حبيب، المحبر، ص١٣٢. الزركلي، الأعلام، ٢/١٧٢.

(٥) هو نفيل بن عبد العزى بن رياح، من بني عدي بن كعب، من قريش، أحد قضاة العرب في الجاهلية، كانت قريش تتحاكم إليه في خصوماتها ومنافراتها، توفي سنة ٥٠ق.هـ ـ ٥٧٥م. محمد بن حبيب، المحبر، ص١٣٣. الزركلي، الأعلام، ٨/٤٥.

(٦) الأصبهاني، الأغاني، ١٩/٩٣. وربيعة: هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي جاهلي إسلامي، شهد القادسية وجلولاء، وهو من شعراء مضر المعدودين، توفي سنة ١٦هـ ـ ٦٣٧م. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٦٧. الزركلي، الأعلام، ٣/١٧.

(٧) انظر: ديوانه، ص١٠٣. وأوس: هو أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شُريح شاعر تميم في الجاهلية، عمّر طويلاً ولم يدرك الإسلام، توفي سنة ٢ق.هـ ـ ٦٢٠م. الأصبهاني، الأغاني، ١٠/٦. الزركلي، الأعلام، ٢/٣١.

(٨) الطِّمر: الكساء البالي من غير الصوف. طملال: الفقير السيئ الحال القَشِف. ابن منظور، اللسان، «طمر»، ٤/٥٠٣، و«طمل»، ١١/٤٠٨.

(٩) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، ١/٨٢.

الخطابة في الإسلام

كان إشعاع نور الإسلام في الجزيرة العربية إيذاناً بطلوع فجر جديد على الخطابة؛ إذ كانت الوسيلة التي أستخدمها الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، فكان يلقى القوم في مجالسهم وأسواقهم، ويلتقي الوافدين إلى مكة من التجار والحجاج، فيخطب فيهم ويدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله ﷻ، مبيناً لهم ما جاء به من الهدى والرحمة، من ذلك قوله ﷺ يدعو فيه قومه إلى الإسلام، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه[1]: «إن الرائد[2] لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً والنار أبداً».

ثم أشتدت الحاجة إلى الخطابة بعد أن أصبح للمسلمين دولتهم الخاصة في المدينة، فأخذ رسول الله ﷺ يوضح لهم نظام حياتهم الجديد في خطبه، واضعاً الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم لهذا المجتمع الوليد.

ومما زاد من أهميتها في هذا العصر، ورفع من شأنها، أنها أصبحت فرضاً مكتوباً في صلاة الجمع والأعياد، وفي موسم الحج؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال[3]: «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما»، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الأضحى والفطر ثم يخطب بعد الصلاة[4].

لذا نمت الخطابة نمواً سريعاً في العصر الإسلامي، بتأثير الإسلام من جهة وتكاثر الأحداث وتتابعها من جهة ثانية، وكثر من يحسنون سبكها وصياغتها مستلهمين القرآن العظيم وكلمات الرسول الكريم ﷺ فيما يخاطبون الناس به.

الخطابة الوعظية:

الوعظ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أجمعت على أهميته الأمة، وأشارت إليه العقول السليمة، وتضافرت النصوص من الكتاب والسنّة على الإقرار بوجوبه، وبأنه عماد هذا الدين وقوامه، وما ذاك إلا لأن به تثبت قواعد الإسلام، وترسى دعائمه، وتشيد أركانه؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[6]: سمعت

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٢/٦١.

(٢) الرائد هو الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، ومن أمثالهم: الرائد لا يكذب أهله، يضرب مثلاً للذي لا يكذب إذا حدث. ابن منظور، اللسان، «رود»، ٣/١٨٧.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب القعدة بين الخطبتين يوم الجمعة، رقم الحديث (٥١)، ٢/٤٥. وابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمٰن القرشي العدوي، صاحب رسول الله ﷺ، هاجر به أبوه قبل أن يحتلم، وأستصغر عن أحد، وشهد الخندق وما بعدها مع النبي ﷺ، توفي سنة ٧٣هـ ـ ٦٩٢م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٢٢٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠هـ، ص٤٥٣.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيه، رقم الحديث (٩)، ٢/٥٨.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٦) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... إلخ، رقم الحديث (٧٨/٤٩)، ١/٦٩. وأبو سعيد الخدري: هو سعيد بن مالك بن سنان، وهو مشهور بكنيته، من مشهوري الصحابة وفضلائهم، وهو من المكثرين من الرواية عنه، وأول مشاهده الخندق توفي سنة ٦٤هـ ـ ٦٨٣م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٢٨٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠هـ، ص٥٥١.

رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وقد اتسم القرآن المجيد بدوام الموعظة للمسلمين وتذكيرهم بأنهم لم يخلقوا سدى، وإنما خلقوا للعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فما من مشكلة عالجها ولا من تشريع شرعه، إلا وقد قرنه بموعظة ليتذكر بها من تذكر؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2]، وكان رسول الله ﷺ يتخوّل[3] أصحابه بالموعظة والإرشاد؛ فعن ابن مسعود ﷺ أنه قال[4]: «كان ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا». فظهرت لذلك الخطب الوعظية والإرشادية التي حذر فيها أصحابه من الدنيا وفتنتها، ورغبهم في الآخرة ونعيمها، فوعظ وأرشد، وبشر وأنذر؛ ومن ذلك قوله ﷺ[5]: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنوٌ من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرّط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله، لمن عمل به على وَجل ومخافة من ربه، عَوْنُ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذُخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدَّم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾»[6].

وقد تشربت نفوس المسلمين الأوائل روح الإسلام، وتغلغلت معانيه في أعماقهم، فلا ينطقون إلا بما يوحيه إليهم، ولا يتكلمون إلا من منطقه وفحواه، فكان كل ما أثر عنهم من أقوال تترجم معاني القرآن، وكلمات رسول الرحمٰن ﷺ، فلا تكاد تحيد عنهما ولا تميد. لذا جاءت الخطب مصبوغة بالصبغة الدينية في العصر الإسلامي على اختلاف أنواعها وأقسامها؛ إذ إن الإسلام دين ودولة لا انفصال بينهما ولا انفصام، بل تلاحم وانسجام. فنشطت الخطب الوعظية وكثرت، خاصة بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية مع تتابع الأيام، وتوالي السنين، وكثر اختلاط المسلمين بأهل البلاد المفتوحة، والاقتباس من عادات وتقاليد الأمم المغلوبة، فاشتدت الحاجة إلى تذكير الناس بالدار الآخرة كلما مالوا عن الحق واتبعوا أهواءهم، وكَثُر الوعاظ في البيئة الإسلامية، فظهرت جماعة من الصالحين والعلماء ندبت نفسها لوعظ الناس وردهم إلى الجادة كلما حادوا عنها، ثم بدأت الخطابة الوعظية شيئاً فشيئاً تستقل عن الفنون الأخرى لتصبح فناً قائماً بذاته، وظهر القُصَّاصُ والوعَّاظ في المساجد، يقصون أخبار من مضى للعبرة والاتعاظ أو السير على خطاهم ودربهم، ومن هؤلاء

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦.
(٢) سورة الحشر، آية ٧.
(٣) التخوّل: التعهد، وتخوَّل الرجل: تعهَّده. ابن منظور، اللسان، «خول»، ١١/٢٢٥.
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوَّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث (١٠)، ١/٤٦.
وابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمٰن الهُذَلي المكي، أحد السابقين والبدريين والعلماء الكبار من الصحابة، وعرض القرآن على النبي ﷺ، توفي سنة ٣٢هـ ـ ٦٥٣م. ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٤٥٨. الزركلي، الأعلام، ٤/١٣٧.
(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/١١٥.
(٦) قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة آل عمران، آية ٣٠.

الذين عرفوا بالوعظ: الحسن البصري، وهو الذي يقول فيه الجاحظ[1]: «أما الخطب فإنا لا نعرف أحداً يتقدم الحسن البصري فيها»، ومحمد بن كعب القرظي[2] واعظ عمر بن عبد العزيز[3]، وسعيد بن المسيب[4]، والشعبي[5]، ومالك بن دينار[6]، ومحمد بن واسع الأسدي[7]، وابن السماك[8] واعظ الرشيد[9]، وابن الجوزي الذي حاز قصب السبق في عصره؛ قال ابن جبير فيه يقارن مجلسه بمجالس غيره[10]: «وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه، بالإضافة إلى ما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرفهما الله، مجالس من قد ذكرنا في هذا التقييد، فصغرت، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذ، في نفوسنا قدراً، ولم نستطب لها ذكراً، وأين تقعان مما أريد، وشتان بين اليزيدين[11] وهيهات! الفتيان كثير، والمثل بمالك[12] يسير!».

خطب الجهاد:

فرض الله الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فانطلقت الجيوش الإسلامية ترفع

---

(١) البيان والتبيين، ١/ ٢٣٥.

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، كان أبوه من سبي قريظة سكن الكوفة ثم المدينة، روى عن عدد من الصحابة، وكان تابعي ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، توفي سنة ١١٧هـ ـ ٧٣٥م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٣/ ٢١٢. الذهبي، العبر في أخبار من غبر، ١/ ١٠٢.

(٣) هو أمير المؤمنين أبو حفص الأموي، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الصالح، والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة، وولي الخلافة سنتين ونصف، توفي سنة ١٠١هـ ـ ٧٢٠م. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٣/ ١٣٣. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٥٠.

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، كان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقة، ليس في التابعين أنبل منه، توفي سنة ٩٤هـ ـ ٧١٢م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/ ٧٩. ابن حجر، التهذيب، ٤/ ٨٤.

(٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، كان ذا أدب وفقه وعلم، ثقة من التابعين، واحد زمانه في فنون العلم، توفي سنة ١٠٣هـ ـ ٧٢١م. الذهبي، العبر، ١/ ٩٦. ابن حجر، التهذيب، ٥/ ٦٥.

(٦) هو مالك بن دينار، أبو يحيى البصري الزاهد، كان ثقة قليل الحديث، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، توفي سنة ١٣١هـ ـ ٧٤٨م. ابن حجر، التهذيب، ١٠/ ١٤. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٦.

(٧) هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي، أبو بكر البصري، كان ناسكاً عابداً ورعاً رفيعاً جليلاً ثقة عالماً، خرج إلى خراسان غازياً، وفضائله ومناقبه كثيرة، توفي سنة ١٢٣هـ ـ ٧٤١م. ابن حجر، التهذيب، ٩/ ٥٠٠. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٢٦٦.

(٨) هو أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك الكوفي الزاهد الواعظ، مولى بني عجل، كان كبير القدر، دخل على الرشيد فوعظه وخوَّفه، توفي سنة ١٨٣هـ ـ ٧٩٩م. الذهبي، العبر، ١/ ٢٢١. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٨١ ـ ١٩٠هـ، ص٣٦٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٢١٧.

(٩) هو هارون بن محمد المهدي بن منصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولد بالري، كان يحج سنة ويغزو سنة، توفي سنة ١٩٣هـ ـ ٨٠٩م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/ ٥. الزركلي، الأعلام، ٨/ ٦٢.

(١٠) رحلة ابن جبير، ص٢٠٠.

(١١) اليزيدان: هما يزيد بن أسيد بن زافر من رجال الدولة العباسية، توفي بعد سنة ١٦٢هـ ـ ٧٧٩م، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، من القادة الشجعان في العصر العباسي، وكان جواداً ممدوحاً، توفي سنة ١٧٠هـ ـ ٧٨٧م. وقوله هذا إشارة إلى البيت المشهور:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُليم، والأغر ابن حاتم

[بحر الطويل]

(١٢) هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه تنسب المالكية، توفي سنة ١٧٩هـ ـ ٧٩٥م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/ ١٧٧. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٥٧.

راية التوحيد عالية خفاقة، وكانت الخطابة ذخيرة معهم، يستخدمها القواد والخلفاء ليمدوا بها الجند كلما رأوا فيهم كللاً، ويحملوهم على الصبر ٱبتغاء مرضاة الله والفوز بإحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة؛ ومن ذلك خطبة لأبي بكر ﷺ ينذب الناس لفتح الشام يقول فيها[1]: «ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهو حسبه، ومن عمل لله ﷻ كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حِسْبَة له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ما ينبغي للمسلم أن يحب أن يحضره، هي النجاة التي دلّ الله عليها، ونجّى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة».

خطب السياسة:

كان الخلفاء يستهلون خلافتهم بخطبة يبينون فيها سياستهم التي سيأخذون بها الرعية، وكذا كان يفعل ولاتهم في كل مصر؛ ومن ذلك خطبة لأبي بكر ﷺ بعد البيعة، فقال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه[2] ـ: «أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُريح[3] عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وقد نمت الخطابة السياسية في العصر الإسلامي ونهضت نهوضاً عظيماً، خاصة بعد مقتل سيدنا علي ﷺ، حيث ظهرت الفِرق الضالة، وكان لكل منها خطباؤها الذين يبينون سياستهم ومذهبهم وينافحون عنه، وكان في مقابل ذلك خطباء الخلفاء الذين يسعون لرأب الصدع، ولمّ الشمل، وردع الخصم، من ذلك خطبة المنصور التي ألقاها بعد قتل أبي مسلم الخراساني[4]، قال[5]: «أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تُسِرُّوا غش الأئمة، فإنه لم يُسِرّ أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يده، أو فلتات لسانه، وأبداها الله لإمامه، لإعزاز دينه وإعلاء حقه، إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه، إن مَن نازعنا عروة هذا القميص أجْزَزْناه خَبِيَّ هذا الغِمد. وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أن من نكث فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه حكمه على غيره، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه».

خطب الوفود:

كثرت وفود القبائل في أواخر أيام الرسول ﷺ بعد أن سطع نور الإسلام في الجزيرة العربية، حيث كانت خطباؤهم تتقدم فيخطبون بين يديه معلنين إسلامهم وإسلام قومهم[6].

وٱستقبل الخلفاء الوفود التي أخذت في الازدياد بعد فتح البلاد والأمصار، فكان يفد على الخليفة من كل

---

(١) عزاها السيوطي في الجامع الكبير، ١/١٠٧٤، إلى ابن عساكر في تاريخه.

(٢) السيوطي، الجامع الكبير، ١/١٠٤٦.

(٣) أرحت على الرجل حقه إذا رددته عليه. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/٤٦٥.

(٤) أبو مسلم الخراساني هو عبد الرحمٰن بن مسلم، صاحب الدعوة، وأول ظهوره بمرو، قتله المنصور سنة ١٣٧هـ ـ ٧٥٥م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص٥٨١. الزركلي، الأعلام، ٣/٣٣٧.

(٥) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ٣/٣١.

(٦) ينظر: السيرة لابن هشام، ٣/٩٨٥ وما بعدها.

مصر جماعة منهم تتحدث في شؤون قومها؛ من ذلك خطبة الأحنف بن قيس[1] بين يدي معاوية ﷺ، قال[2]: «يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير، مع تتابع من المُحُول[3] وأتصال من الذُّحول[4]، فالمكثر فيها قد أطرق[5]، والمُقِلّ قد أملق[6]، ويبلغ منه المخنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير، ويجبر الكسير، ويسهل العسير، ويصفح عن الذُّحول ويداوي المُحُول، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء، ويُزيل اللأواء[7]، وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجَفَلى[8]، ولا يدعو النَّقرى[9]، إن أُحسن إليه شكر وإن أسيء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عماداً يدفع عنها الملمات، ويكشف عنها المعضلات».

وهكذا نجد أن الخطابة قد أزدهرت في الإسلام وأنتشرت، وذلك لتتابع الأحداث، وتقلُّب الأحوال، وأتسع مجال القول أمام هذا الفن الأدبي، لكونه أقدر من الشعر على شرح الحقائق، وكشف الغوامض بما يقدم من حجج عقلية ومؤثرات وجدانية، فضلاً عن كون الخطابة وسيلة الرسول ﷺ في نشر دعوته، لذا ارتفعت في عهد الإسلام منزلتها وشرف قدرها، وكثر المتكلمون بها، الذين أخذوا يستوحون في خطبهم روح القرآن العظيم، وإرشادات الرسول الكريم ﷺ، مما أكسب الخطابة الإسلامية وحدة الموضوع، وتسلسل المعاني، وسمو الفكرة، ووضوح الهدف، ومن هنا كان تفضيل القلقشندي للخطابة على الشعر، وهو يعلل ذلك فيقول[10]: «وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو من الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة، والصفات المجاوزة للحد، والنعوت الخارجة على العادة، وقذف المحصنات، وشهادة الزور . . . بخلاف النثر فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضع، حسن التعلق؛ إذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ، والتذكير والترغيب في الآخرة، والتزهيد في الدنيا، والحض على طلب الثواب، والأمر بالصَّلاح والإصلاح، والحث على التعاضد والتعاطف، ورفض التباغض والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصلة الرحم، ورعاية الذمم، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى مما هو مستحسن شرعاً وعقلاً، وحَسْبُك رتبة قام بها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده».



---

(1) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم، من كبار التابعين وأشرافهم، اسمه الضحاك، ويقال: صخر، وغلب عليه الأحنف لاعوجاج رِجليه، وكان سيداً مطاعاً في قومه، وثقة مأموناً قليل الحديث، توفي سنة ٧٢هـ ـ ٦٩١م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠هـ، ص٣٤٥. الزركلي، الأعلام، ٢٧٦/١.

(2) إسحاق بن إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ٨٨/١.

(3) المحول أحتباس المطر، والمحل: الجدب وهو أنقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ. ابن منظور، اللسان، «محل»، ٦١٧/١١.

(4) الذَّحل: الثأر، وجمعه ذُحول. ابن منظور، اللسان، «ذحل»، ٢٥٦/١١.

(5) أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلم، وأطرق أيضاً أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. ابن منظور. اللسان، «طرق»، ٢١٩/١٠. والمعنى: المكثر قد خضع وذل للحاجة.

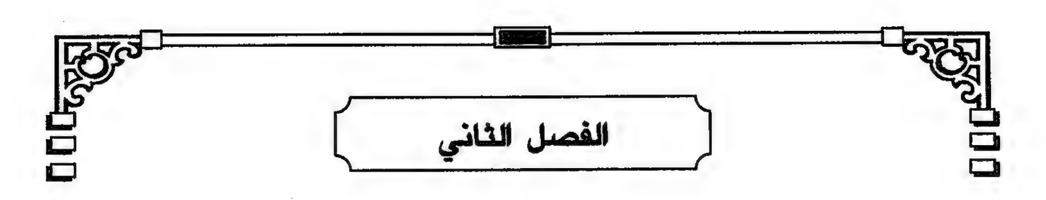
(6) أملق الرجل إذا أفتقر. ابن منظور، اللسان، «ملق»، ٣٤٨/١٠.

(7) اللأواء: المشقة والشدة. ابن منظور، اللسان، «لأي»، ٢٣٨/١٥.

(8) الجُفالة: الجماعة من الناس، ودعاهم الجفلى هو أن تدعو الناس إلى طعامك عامة. ابن منظور، اللسان، «جفل»، ١١٤/١١.

(9) دعاهم النقرى إذا دعا بعضاً دون بعض، أي دعوة خاصة. ابن منظور، اللسان، «نقر»، ٢٣٠/٥.

(10) صبح الأعشى، ٩٠/١، ٩١.



الفصل الثاني

ترجمة المصنف

عصره[1]:

كانت حياة ابن الجوزي ونشأته في أواخر الدولة العباسية، في القرن السادس الهجري، تلك الحقبة التي كثرت فيها الدسائس والفتن، وفشى فيها الخور والوهن، وعمت الفوضى في البلاد، واضطربت فيها الأحوال، وتضعضعت دعائم الخلافة، فلم يبق للخليفة من مهامها سوى شكلها ورسمها، وأضحى الحكم الفعلي بيد السلاطين من السلاجقة وغيرهم، حيث استبد كلٌّ منهم بحكم ما وقع تحت يديه من البلاد والعباد، يحاربون كل من خالفهم ولو كان من أهل ديانتهم وملتهم، فوحدة الدين والمذهب لم تمنع من وقوع الحروب والملاحم فيما بينهم؛ إذ كانت المصالح وحدها هي عامل الجمع بينهم أو التفريق؛ فأصبحت حالهم كما قال الشاعر[2]:

ألقاب مَمْلَكة في غير مَوْضِعها ... كالهرِّ يحكي انتفاخاً صَوْلَة الأسد

[بحر البسيط]

كانت هذه حالهم بينما الأعداء يتربصون بهم الدوائر، فالفرنجة من الصليبيين قد أهلكوا الحرث والنسل بهجماتهم المتكررة على بلاد الشام، والسلاطين ـ مع ذلك ـ جادُّون في باطلهم، يسعون لحماية ملكهم، غافلون عن مهمتهم الحقيقية وهي حفظ هذا الدين وحماية أهله ـ إلا من رحم ربي وعصم ـ يقول ابن جبير واصفاً حال هؤلاء السلاطين[3]: «ومما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع، وفِرَق ضالة وشيع، إلا من عصم الله ﷻ من أهلها. كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه، إلا عند الموحِّدين[4] أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة، يُعَشِّرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها، اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين[5]».

ولم تكن الحياة الاجتماعية بمنأى عما أصاب الحياة السياسية من الخلل والفساد، فقد خفت تأثير الوازع الديني في النفوس في معظم طبقات الشعب، وعمَّ التهاون في الطاعات وترك العبادات، وتجاوزوا الحلال إلى الحرام؛ وقد وصف ابن جبير في رحلته حال أهل بغداد وما وصلوا إليه في هذا العصر فقال[6]: «وأما أهلها

---

(١) ينظر أحداث هذا العصر في: الذهبي، دول الإسلام، ص٢٥٧ إلى ٣١٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٦٦ وما بعدها، و١٣/٢ إلى ٣٦.

(٢) ديوان ابن رشيق القيرواني، ص٦٠.

(٣) رحلة ابن جبير، ص٥٥، ٥٦.

(٤) وهي دولة الموحدين التي حكمت المغرب والأندلس ١٥٢ سنة (٥١٥ إلى ٦٦٧). ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ٦/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣١٠.

(٥) السلطان صلاح الدين الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب الدُّويني الأصل، التكريتي المولد، كان ﵀ كريماً، جواداً، بطلاً، شجاعاً، كامل العقل والقُوَى، شديد الهيبة، توفي سنة ٥٨٩هـ ـ ١١٩٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٨١ ـ ٥٩٠هـ، ص٣٥١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/ ٢٩٨.

(٦) رحلة ابن جبير، ص١٩٤.

فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويُظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء... يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً، وما منهم من يحسن لله فرضاً، فلا نفقة فيها إلا من دينار تقرضه، وعلى يدي مخسر للميزان تعرضه، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبت له الويل في سورة التطفيف، لا يبالون في ذلك بعيب، كأنهم من بقايا مدين[1] قوم النبي شعيب...».

ولكن على الرغم من هذا الضعف السياسي والاجتماعي الذي أصاب الأمصار الإسلامية في تلك الفترة، كانت الحياة الثقافية مزدهرة ناشطة؛ فقد كثرت المجالس العلمية التي كانت تعقد في المدارس والمساجد، وقيَّض الله تعالى لهذا العلم علماء نبهاء، وصالحين أجلَّاء، توجَّهت همتهم نحو حفظ هذا التراث الإسلامي العريق من الضياع، فاسترشد بهم وأفاد منهم ناشئة الإسلام وطلاب العلم ممن أُلهموا الصواب، فأخذوا على عاتقهم الرقي بأمتهم إلى نور الحضارة الإنسانية.

هذه هي الحقبة التي نشأ فيها الإمام ابن الجوزي، وكان من هؤلاء القلة من العلماء الذين حملوا لأمتهم مشعل النور والحضارة، فبددوا ظلمات الجهل والضلالة، حيث اعتلى منبر الخطابة يعظ ويرشد، ويفسر ويوضح، حتى صار إمام عصره، وفريد زمانه في الوعظ والتذكير وغيرها من مختلف فنون العلم التي خاض لججها، فكان فيها بحراً لا ينضب، وغوراً لا يُسْبر.

حياته[2]:

هو الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حُمَّادَى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ، القرشي التَّيمي البغدادي الحنبلي، المشهور بابن الجوزي نسبة إلى جده التاسع.

وقد اختلف في مولده، إلا أنه من المحقق أنه ولد بعد سنة عشرة وخمسمائة، قال ابن رجب الحنبلي[3]: «وجد بخطه: لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين. فعلى هذا يكون مولده سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة».

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب[4]، وأقاربه كانوا تجاراً في النحاس، ولهذا ربما كُتب في بعض سماعاته عبد الرحمٰن بن علي الصَّفار.

وقد توفي والده وهو ابن ثلاث سنين، فاعتنت به عمته وأنشأته نشأة صالحة بتوفيق الله وحفظه، فلما ترعرع دفعته إلى الشيخ أبي الفضل بن ناصر[5]، فاعتنى به وأسمعه الحديث وضبط له مسموعاته؛ يقول ابن

---

(١) مَدْين: مدينة قوم شعيب، وهي تجاه تبوك على بحر القلزم. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١٢٤٦.

(٢) تنظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/١٤٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٥. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٢٨٧. وتذكرة الحفاظ، ٤/١٣٤٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٢٨. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٣٩٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٣٢٩. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٨١.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٤٠٠.

(٤) درب حبيب ببغداد من نهر مُعَلَّى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٢١٦.

(٥) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي، الحافظ الأديب المعروف بالسَّلامي، كان حافظ بغداد في زمانه، وكان له حظ وافر من الأدب، روى عنه الأئمة فأكثروا، وأخذ عنه علماء عصره، توفي سنة ٥٥٠هـ ـ ١١٥٥م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٢٩٣. الزركلي، الأعلام، ٧/١٢١.

الجوزي[١]: «حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدَد لا تكثير العدد».

ولقد حفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القرّاء، منهم أبو محمد سبط الخياط[٢]، وقرأ بالروايات في كبره بواسط[٣] على ابن الباقلاني[٤].

وصحب أبا الحسن بن الزاغوني[٥] فأخذ عنه الفقه والوعظ، ثم بعد وفاته قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري[٦]، والقاضي أبي يعلى الصغير[٧]، وأبي حكيم النهرواني[٨]. وسمع الكتب الكبار، كالمسند وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت[٩]، وصحيح مسلم بنزول، وتصنيف ابن أبي الدنيا وغيرها. وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي[١٠]، وأخذ الوعظ عن أبي الحسن بن الزاغوني، والشريف أبي القاسم علي بن يعلى العلوي الهروي[١١].

ولقد أعانه على طلب العلم ويسر له سبله ـ بعد عناية الله تعالى ورعايته ـ ما ورثه عن أبيه من المال الكثير، فأستنفذها في طلب العلم، حتى إذا ما بلغ رشده وتحمل مسؤولية نفسه، التفتت إليه نوائب الدهر، والتفت حوله الشدائد، فلم يوهن ذلك من عزمه، ولم يفت من عضده، بل سَهل عنده ما توعَّر، وأنقاد له ما تصعَّب،

---

(١) مشيخة ابن الجوزي، ص٥٣.

(٢) هو عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي، أبو محمد، المعروف بسبط الخياط، شيخ الإقراء ببغداد في عصره، كان عالماً بالقراءات واللغة والنحو، توفي سنة ٥٤١هـ ـ ١١٤٦م. ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص٢٩٨. الزركلي، الأعلام، ٤/١٠٥.

(٣) واسط مدينة الحجاج التي بنى، سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. البكري، معجم ما استعجم، ٢/١٣٦٣. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١٤١٩.

(٤) هو عبد الله بن منصور بن عمران، المعروف بأبن الباقلاني، أبو بكر الواسطي، شيخ القراء ومسندهم بواسط في زمانه، توفي سنة ٥٩٣هـ ـ ١١٩٦م. الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٢/٥٦٥. ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٤٦٠.

(٥) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغوني البغدادي، شيخ الحنابلة، قرأ القراءات، وبرع في المذهب والأصول والوعظ، وصنَّف التصانيف واشتهر اسمه، توفي سنة ٥٢٧هـ ـ ١١٣٢م. الذهبي، العبر، ٢/٤٣١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٨٠.

(٦) هو أحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد، الدينوري البغدادي، الفقيه الحنبلي، برع في الفقه وتقدم في المناظرة، وكان يرق عند ذكر الصالحين ويبكي، توفي سنة ٥٣٢هـ ـ ١١٣٨م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/١٩٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٩٨.

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسين، القاضي أبو يعلى الصغير، شيخ المذهب في وقته، برع في المذهب والخلاف والمناظرة، وأفتى ودرس وناظر في شبيبته، توفي سنة ٥٦٠هـ ـ ١١٦٥م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٢٤٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/١٩٠.

(٨) هو إبراهيم بن دينار بن أحمد، الفقيه الحنبلي الزاهد الحكيم الورع، برع في المذهب والخلاف والفرائض، وأفتى وناظر، توفي سنة ٥٥٦هـ ـ ١١٦٠م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/١٧٦. الزركلي، الأعلام، ١/٣٨.

(٩) هو عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي، كان خيراً متواضعاً متودداً حسن السمت متين الديانة زاهداً، توفي سنة ٥٥٣هـ ـ ١١٥٨م. الذهبي، العبر، ٣/٢٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/١٦٦.

(١٠) هو موهوب بن أحمد بن محمد، كان إماماً في فنون الأدب، ثقة، ديناً، غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط والضبط، متواضعاً طويل الصمت، من أهل السنّة، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق، توفي سنة ٥٤٠هـ ـ ١١٤٥م. السيوطي، بغية الوعاة، ٢/٣٠٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/١٢٧.

(١١) هو علي بن يعلى بن عوض، أبو القاسم، كان يعظ الناس بنيسابور، ثم قدم بغداد فوعظ بها، فحصل له القبول التام، توفي سنة ٥٢٧هـ ـ ١١٣٢م. ابن الجوزي، مشيخة ابن الجوزي، ص١١٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٢٠٥.

لما يجد في نفسه الأبية من حلاوة العلم ولذته، قال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو. كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى[2] فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم..».

ولقد عرف الخلفاء والوزراء قدر ابن الجوزي، فأكرموه وقرّبوه، وكان يجلس للوعظ والتدريس بدرب دينار[3] في مدرسته، وباب الأزج[4] على شاطئ دجلة، وباب بدر[5] عند الخليفة المستضيء[6]، وجامع المنصور[7]، والرصافة[8]، وغيرها.

وقد نالته محنة في أواخر عمره، وذلك أن الوزير ابن يونس الحنبلي[9] كان قد أحرق كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي[10] بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء؛ لِمَا فيها من الزندقة والكفر، وأنتزع منه مدرسة جده وسلمها إلى ابن الجوزي. فلما ولي الوزارة ابن القصاب الرافضي[11] قبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، وحبس ابن الجوزي بإشارة من الركن، فمكث في سجنه في واسط خمس سنين، ثم أفرج عنه. وكان سبب خلاصه أن ولده يوسف[12] نشأ وأشتغل، وقرأ الوعظ ووعظ، وتوصل وساعدته أم الخليفة[13]، فشفعت

---

(١) صيد الخاطر، ص١٩١.

(٢) هو نهر منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، مأخذه من الفرات، ومصبه في دجلة عند قصر عيسى بن علي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٣٢١.

(٣) وهي محلة معروفة ببغداد، وهي منسوبة إلى دينار بن عبد الله من موالي الرشيد، وكان عظيماً في أيام المأمون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤١٩، و٥/ ٧٢.

(٤) باب الأزج: محلة كبيرة، ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٦٥.

(٥) باب بدر، وهو أحد خواص الخدم، وكان قبل ذلك يدعى بباب الخاصة، وهو أحد أبواب دار الخلافة المعظمة ببغداد، يدخل منه من سمت منزلته. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٠٧، و٥/ ٢١٢، بتصرف.

(٦) هو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، بويع بالخلافة سنة ٥٦٦هـ ـ ١١٧٠م، وكان من خيار الخلفاء، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مبطلاً للبدع والمعائب حليماً وقوراً كريماً، توفي سنة ٥٧٥هـ ـ ١١٧٩م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٣٠٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/ ٢٥٠.

(٧) وهو جامع كبير عتيق البنيان حفيله، وهو في بغداد، في محلة باب البصرة. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠١.

(٨) رُصافة بغداد بالجانب الشرقي، كان المهدي عسكر بها، وأمره المنصور أن يبني بها دوراً فالتحق بها الناس وعمروها، فصارت بقدر مدينة المنصور، وبنى بها جامعاً أكبر من جامع أبيه، وبها تربة الخلفاء. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٦١٧.

(٩) هو عبيد الله بن يونس البغدادي، الفقيه الحنبلي الأصولي المتكلم وزير الخليفة الناصر، وكان على رأس جيش لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان، فهزم وأسر ثم أطلق وعاد إلى بغداد، ونكبه ابن القصاب فحبسه حتى مات سنة ٥٩٣هـ ـ ١١٩٧م. الذهبي، العبر، ٣/ ١٠٧. الزركلي، الأعلام، ٤/ ١٩٨.

(١٠) هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، كان أبوه صالحاً وكان هو متهماً بالفلسفة ومخاطبة النجوم، وقد ولي عدة ولايات، مات سنة ٦١١هـ ـ ١٢١٤م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٦٨. الزركلي، الأعلام، ٤/ ٦.

(١١) هو محمد بن علي، مؤيد الدين أبو الفضل، ابن القصاب، الوزير، مات سنة ٥٩٢هـ ـ ١١٩٦م. الذهبي، العبر، ٣/ ١٠٦. الزركلي، الأعلام، ٦/ ٢٧٩.

(١٢) هو محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمٰن، محتسب بغداد، تولى تدريس المدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة، وكان يتردد في الرسائل إلى الملوك، وصار أستاذ دار الخلافة، توفي قتيلاً على يد التتار سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٤٢. الذهبي، العبر، ٣/ ٢٨٥.

(١٣) وهي أم ولد تركية تدعى زمرد، كانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان والصلاة والأوقاف، عاشت في خلافة ولدها الناصر أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر، توفيت سنة ٥٩٩هـ ـ ١٢٠٢م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٣٦.

عند ابنها الناصر[1] في ابن الجوزي، فأمر بإطلاق الشيخ. فعاد إلى بغداد، ورجع إلى عادته في الوعظ ونشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم إلى أن توفاه الله تعالى ليلة الجمعة في الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة من الهجرة، ودفن بباب حرب[2] بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل[3].

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

كان الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى محباً للعلم شغوفاً به، فأقبل عليه منذ الصغر ينهل من معينه، وينظر في فنونه؛ فأفاد وأستفاد، وأرشد وأسترشد، يقول رحمه الله تعالى[4]: «إنني رجل حبّب إليّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إليّ فن واحد منه، بل فنون، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات».

وقد دفعه حبه للعلم والتعلم إلى كثرة القراءة والمطالعة، حتى أنه ربما طالع عشرين ألف مجلد أو يزيد، فهمَّته متجهة إلى النظر في كتب السلف، والوقوف على أحوالهم وسيرهم، للتأسي بهم، والاهتداء بآرائهم، والسير على خطاهم؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعت على كنز.. ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فأستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع». فأستطاع بهذا الاطلاع الواسع أن يبذَّ أقرانه، ويتقدم أنداده؛ فقد سبر أغوار العديد من العلوم الإسلامية، فألّف في التفسير، وكتب في الحديث والفقه والتاريخ، وكان في الوعظ أستاذاً لا يشق غباره، ولا يثنى عنانه، وصنَّف في الطب وغير ذلك من العلوم التي ولجها وخاض لججها، فأرتقى بعلمه إلى ذُرى المجد، وصعد إلى فروع العز، فرنت إليه الأبصار، وأمتدت نحوه الأعناق، وشدت إليه الرحال، فقرأ عليه الكثير من طلاب العلم وسمعوا منه ورووا عنه، ومن هؤلاء: ولده العلّامة محيي الدين يوسف، وولده أبو القاسم علي[6]، وسبطه أبو المظفر يوسف بن قزغلي التركي[7]، والحافظ عبد الغني[8]، والشيخ موفق الدين بن

---

(١) هو الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف الهاشمي العباسي، كان ذكياً شجاعاً مهيباً، وهو أطول بني العباس خلافة، فكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً، توفي سنة ٦٢٢هـ ـ ١٢٢٥م. الذهبي، العبر، ٣/ ١٨٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٣٠٥، و١٣/ ١٠٦.

(٢) باب حرب: محلّة ببغداد، وهي التي يقال لها الحربية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ١٤٤، ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) يكنى أبا عبد الله، وهو ثقة ثبت صدوق كثير الحديث، وقد كان امتحن وضرب بالسياط على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول، توفي سنة ٢٤١هـ ـ ٨٥٥م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/ ٣٥٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ، ص٦١.

(٤) صيد الخاطر، ص٢٢.

(٥) المصدر السابق، ص٣٦٦، ٣٦٧.

(٦) هو أبو الحسن علي ابن العلامة ابن الجوزي، تكلم في الوعظ في شبيبته، ثم تركه، وكان كثير المحفوظ، لزم اللعب والعشرة والبطالة مدَّة، ثم في الآخر لزم النسخ، وكان منه عيشته، وكان أبوه قد هجره، فلما امتُحن صار إلْباً عليه، توفي سنة ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ٣/ ٣٥٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ، ص٣٩٤، وحوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٢٩٩.

(٧) هو العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي التركي، ثم البغدادي الهبيري الحنفي، سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وعظ وحصل له القبول العظيم، وكان وافر الحرمة عند الملوك، توفي سنة ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ١٩٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/ ٢٦٦.

(٨) هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي الحافظ الإمام، محدث الإسلام، تقي الدين أبو محمد المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، توفي سنة ٦٠٠هـ ـ ١٢٠٣م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٣٣٢. الزركلي، الأعلام، ٤/ ٣٤.

قدامة[1]، وابن الدُّبَيْثي[2]، وابن النجار[3]، وابن خليل[4]، والضياء[5]، والتقي اليَلْداني[6]، والنجيب عبد اللطيف الحراني[7]، وابن تيمية[8]، وابن القطيعي[9]، وخلق سواهم.

وقد كان الإمام ابن الجوزي بالإضافة إلى مكانته العلمية شاعراً مجيداً، وناظماً فريداً، فمن شعره قوله[10]:

يـودّ حـسـودي أنْ يـرى لـي زلَّـة ... إذا مـا رأى الـزَّلَّات جـاءت أكـاذيـب

أردّ عـلـى خَـصْـمـي ولـيـس بـقـادرٍ ... عـلـى رَدّ قـولـي فـهـو مَـوْت وتَـعْـذِيـب

تُـرى أَوْجـه الـحـسَّـاد صُـفْـراً لِـرُؤيـتـي ... فـإن فُـهْـتُ عـادَتْ وهـي سُـود غَـرابـيـب[11]

[بحر الطويل]

ومنه قوله[12]:

يـا سـاكـن الـدُّنـيـا تـأهَّـ ... ـب وانْـتَـظِـر يـوم الـفـراق

وأعـدَّ زاداً لـلـرَّحـيـ ... ـل فـسـوف يُـحْـدى بـالـرِّفـاق

وأبـك الـذُّنـوب بـأدْمُـع ... تَـنْـهَـلّ مـن سُـحُـب الـمـآق

يـا مَـن أضـاع زمـانـه ... أرَضِـيـتَ مـا يَـفْـنـى بـبـاق

[بحر الكامل]

---

(1) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجمَّاعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد موفق الدين، فقيه من أكابر الحنابلة، توفي سنة ٦٢٠هـ ـ ١٢٢٣م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٩٩. الزركلي، الأعلام، ٤/٦٧.

(2) هو الإمام الحافظ الثقة المقرئ مؤرخ العراق، أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الدبيثي ثم الواسطي الشافعي، توفي سنة ٦٣٧هـ ـ ١٢٣٩م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤١٤، ١٤١٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/١٨٥.

(3) هو الحافظ الإمام البارع مؤرخ العصر محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار البغدادي، توفي سنة ٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٢٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٢٦.

(4) هو الحافظ مسند الشام شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي، محدث حلب، توفي سنة ٦٤٨هـ ـ ١٢٥٠م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤١٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٤٣.

(5) هو الإمام العالم، الحافظ الحجة، محدث الشام، شيخ السنّة، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمٰن السعدي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، توفي سنة ٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٠٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٢٤.

(6) هو الشيخ الإمام المحدث المسند الرحال تقي الدين أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي الفهم، عبد المنعم بن عبد الرحمٰن اليَلْداني الدمشقي الشافعي، توفي سنة ٦٥٥هـ ـ ١٢٥٧م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/٣١١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٦٩.

(7) هو عبد اللطيف بن الصيقل أبو الفرج مسند الديار المصرية، توفي سنة ٦٧٢هـ ـ ١٢٧٣م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ٢/٤٦١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٣٣٦.

(8) هو محمد بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني فخر الدين، أبو عبد الله بن أبي القاسم شيخ حران وخطيبها، لازم أبا الفرج ببغداد وسمع منه الكثير من تصانيفه، توفي سنة ٦٢٢هـ ـ ١٢٢٥م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ٢/١٥١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/١٠٢.

(9) هو الشيخ العالم المحدث المؤرخ مسند العراق أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين البغدادي القطيعي، لزم أبا الفرج وقرأ عليه وأخذ عنه الوعظ، توفي سنة ٦٣٤هـ ـ ١٢٣٦م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/٩٠٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/١٦٨.

(10) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٢٩٤.

(11) أسود غربيب: حالك. الفيروزآبادي، القاموس، «غرب»، ص١٥٤.

(12) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٤١٢.

وقوله[1]:

اللـه أسـأل أن يُـطـوِّل مُـدَّتـي ... لأنـال بـالإنـعـام مـا فـي نِـيَّـتـي

لـي هِـمَّـة فـي الـعِـلْـم مـا إنْ مـثـلـهـا ... وهـي الـتـي جَـنَـت الـنُّـحـول هـي الـتـي

خُـلِـقَـت مـن العِـلْـق العظيم إلى المُنَى ... دُعِـيـت إلـى نَـيْـل الـكـلام فَـلَـبَّـت[2]

كـم كـان لـي مـن مـجـلـس لـو شُـبِّـهَـت ... حـالاتُـه لَـتَـشَـبَّـهَـت بـالـجَـنَّـة

أشْـتـاقـه لـمَّـا مَـضَـت أيـامـه ... عُـطْـلاً وتُـعْـذَر نـاقـةٌ إنْ حَـنَّـت

يـا هـل لـلَـيْـلاتٍ بـجـمـع عـودةٌ ... أم هـل عـلـى وادي مِـنـى مـن نـظـرة

قـد كـان أحـلـى مـن تـصـاريـف الـصَّـبـا ... ومـن الـحـمـام مـغـنِّـيـاً فـي الأيْـكـة[3]

فـيـه الـبـديـهـات الـتـي مـا نـالـهـا ... خَـلْـقٌ بـغـيـر مُـخَـمَّـرٍ ومُـبَـيَّـت

[بحر الكامل]

وغير هذا كثير من أشعاره الجيدة التي قيل إنها تقع في عشر مجلدات[4].

وقد أعجب بعلومه وغزارة تصنيفه مع جودتها وحسنها، وبراعته في النظم والنثر كثير من أهل العلم والفضل، فأثنوا عليه، وأذاعوا فضله، وشكروا جهده؛ قال المقري[5]: «وكان ابن الجوزي المذكور آية الله في كثرة التأليف والكتابة والوعظ والحفظ، وأقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف».

وقال ابن البزوري[6]: «فأصبح في مذهبه إماماً يشار إليه، ويُعقد الخِنْصر في وقته عليه.. برع في العلوم، وتفرَّد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء عصره، وعلا على فضلاء دهره، له التصانيف العديدة».

وقال الذهبي[7]: «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيِّب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علَّامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقهياً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التَّصَوُّن والتَّجَمُّل، وحسن الشَّارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفتُ أحداً صنَّف ما صنَّف».

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٧٨، ٣٧٩.

(2) العِلْق: النفيس من كل شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «علق»، ص١١٧٦.

(3) الصَّبا ريح مهبّها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا أستوى الليل والنهار ونَيِّحَتها الدَّبور. والأيكة جمع الأيْك وهي الشجر الكثير الملتف، وقيل: هي الغَيْضَة تُنْبِت السِّدْر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. ابن منظور، اللسان، «صبا»، ١٤/ ٤٥١، و«أيك»، ١٠/٣٩٤.

(4) قالها أبو شامة المقدسي، عبد الرحمٰن بن إسماعيل، المتوفى سنة ٦٦٥هـ ـ ١٢٦٦م. ينظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٤٢٣.

(5) نفح الطيب، ٥/١٦١، ١٦٢.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٢٩٦. وابن البزوري: هو محفوظ بن معتوق بن أبي بكر بن عمر بن محمد بن عمارة، عز الدين البغدادي، المعروف بابن البزوري، مؤرخ، توفي سنة ٦٩٤هـ ـ ١٢٩٤م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٤٢٧. الزركلي، الأعلام، ٥/٢٩١.

(7) سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٧.

وقد مدحه أيضاً الكثير من الشعراء، ومن ذلك قول عبد القادر العلوي يرثيه[1]:

الـدَّهـر عـن طَـمَـعٍ يَـغُـرّ ويـخـدع ... وزَخَـارِف الـدُّنـيـا الـدَّنِـيَّـة تُـطـمـع
وأعِـنَّـة الآمـال يُـطْـلِـقـهـا الـرَّجـا ... طـمـعـاً وأسـيـاف الـمَـنـيَّـة تـقـطـع
والـمـوت آتٍ والـحـيـاة شـهـيَّـة ... والـنَّـاس بـعـضـهـم لـبـعـض يَـتْـبَـع
وأعْـلَـم بـأنَّـك عـن قـلـيـل صـائـر ... خـبـراً فـكـن خـبـراً بـخـيـر يـسـمَـع
لِـعُـلا أبـي الـفـرج الـذي بـعـد الـتُّـقـى ... والـعـلـم يـوم حـواه هـذا الـمَـضْـجَـع
حَـبْـر عـلـيـه الـشَّـرْع أصـبـح والـهـاً ... ذا مُـقْـلَـة حَـرَّى عـلـيـه تَـدْمَـع
مَـن لـلـفـتـاوى الـمُـشْـكِـلات وحـلُّـهـا ... مـن ذا لـخـرق الـشـرع يـومـاً يـرْقَـع
مَـن لـلـمـنـابـر أن يـقـوم خـطـيـبـهـا ... ولِـرَدِّ مـسـألـةٍ يـقـول فـيُـسْـمَـع
مَـن لـلـجـدال إذا الـشِّـفـاه تـقـلَّـصَـت ... وتـأخَّـر الـقَـرْم الـهِـزَبْـر الـمِـصْـقَـع[2]
مَـن لـلـدَّيـاجـي قـائـمـاً دَيْـجُـورهـا ... يـتـلـو الـكـتـاب بـمُـقْـلَـةٍ لا تَـهْـجَـع
أجَـمَـال ديـن مـحـمـد مـات الـتُّـقـى ... والـعـلـم بـعـدك واَسْـتُـجـم الـمَـجْـمَـع[3]
يـا قـبـره جـادَتْـك كـلّ غـمـامـةٍ ... هـطَّـالـةٍ بـرِكَـابـه لا تـقـلـع

[بحر الكامل]

وقد مدحه خلق غيرهم مما يطول ذكرهم في هذا المقام، لذا اَختصرت على ما ذكرت مبينة فضل هذا العالم الفذّ على عجالة من أمري، ذلك لأنني أعرِّف به كصاحب الكتاب الذي أنا في صدد تحقيقه وهو «المورد العذب في المواعظ والخطب»، وحتى لا أثقل الكتاب ـ مع كبر حجمه ـ بمقدمات طوال.

مؤلفات ابن الجوزي:

كان ابن الجوزي رحمه الله تعالى كثير التصنيف والتأليف، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي[4]: «سمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي ألف يهودي ونصراني»، وقال ابن البزوري في تاريخه[5]: «وله التصانيف العديدة سئل عن عددها فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كراس واحد، ولم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنفاً».

وهكذا أفاد الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ البشرية حياً وبعد مماته، فقد اَشتهرت كتبه واَنتشرت وسارت بها الركبان، فاَنتفع الناس بها اَنتفاعاً بيّناً. وسأكتفي في هذه العجالة بذكر أسماء بعض كتبه فقط؛ مدلِّلة بها على سعة اَطلاعه وخوضه في كل فن من فنون العلوم، دون ذكرها إن كانت في عالم المخطوط وأماكن وجودها، أم هي من

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٢٩٨. وعبد القادر: هو ناصر الدين العلوي الموسوي من أهل مشهد موسى بن جعفر. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٥٠٠.

(٢) القَرْم من الرجال: السيد المُعَظَّم. ابن منظور، اللسان، «قرم»، ١٢/ ٤٧٣. والهِزَبر: الشديد الصُّلب. والمِصْقَع: البليغ، أو مَن لا يُرْتَج عليه في كلامه ولا يتتعتع. الفيروزآبادي، «هزبر»، ص٦٤٠، و«صقع»، ص٩٥٣.

(٣) جَمَّ ماؤه يجُمُّ جُموماً: كثُر واَجتمع، كاَسْتَجَمَّ. الفيروزآبادي، القاموس، «جمم»، ص١٤٠٨.

(٤) مرآة الزمان، ٨/ ٤٨٢.

(٥) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/ ٤١٣.

المطبوع ومن أخرجها، أم هي من المفقود ومن ذكرها؛ ذلك لأن والدي الدكتور سمير مجذوب قد ٱستوفى البحث فيها، فحقّق ودقّق بها، ودمج المتكررات بأسماء مختلفة، ورفع الأوهام عنها بما ذكر من تعداد مصنفاته قديماً وحديثاً فٱنتهى في عدّها إلى ثلاثة وخمسين وثلاثمائة مصنف، وذلك في كتابه «ابن الجوزي مصنفاً في علوم القرآن»، بينما ذهب الأستاذ عبد الحميد العلوجي في عدّها إلى تسعة عشر وخمسمائة مصنف في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» جلّها من المتكررات، وأخذ عليه عدم الدقة والشتات فيما ذكره في كتابه هذا، والله أعلم.

ولقد كان لأبن الجوزي في كل علم مشاركة، وفي كل فن مساهمة؛ فمن تصانيفه المتعلقة بالقرآن وعلومه: «زاد المسير في علم التفسير»، و«نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر»، و«فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»، وفي علم الحديث ورجاله: «الموضوعات»، و«العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»، و«كتاب الضعفاء والمتروكين»، و«أربعون حديثاً في فضائل الأعمال»، وفي أصول الدين: «منتقد المعتقد»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد»، وفي الفقه: «الإنصاف في مسائل الخلاف»، و«عمد الدلائل في مشتهر المسائل»، و«العبادات الخمس»، وفي الشعر واللغة: «تذكرة الأريب في اللغة»، و«ما يلحن فيه العامة»، و«إحكام الإشعار بأحكام الأشعار»، وفي التراجم والسير والمناقب: «أخبار الأخيار»، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، و«الوفا في فضائل المصطفى»، و«مناقب الصديق»، و«مناقب معروف الكرخي»، وفي التاريخ: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«شذور العقود في تاريخ العهود»، وفي الطب: «شفاء علل الأمراض»، و«لقط المنافع»، و«مختار المنافع»، وفي المواعظ والزهديات: «الأرج في الموعظة»، و«إنشاد الواعظ إلى أشرف المواعظ»، و«إغاثة اللهفان في مسائل الشيطان»، و«الجليس الصالح والأنيس الناصح»، و«الزهر الفائح فيمن تنزه عن الذنوب والقبائح»، و«درياق الذنوب وكشف الران عن القلوب»، و«رسالة في علم المواعظ»، و«اللآلئ»، و«لفتة الكبد في نصيحة الولد»، و«اللطائف الكبرى»، و«مواعظ الملوك»، و«عجب الخطب»، وكتابنا «المورد العذب في المواعظ والخطب»، والذي نحن بصدد إخراجه وتحقيقه.

ابن الجوزي الخطيب الواعظ:

لقد سبر ابن الجوزي أغوار العديد من العلوم من فقه وأصول وتفسير ونحو وحديث وطب وغير ذلك، وبرع في كلٍّ من هذه الفنون، إلا أنه كان في الوعظ أوحد دهره، وفريد زمانه، قد بلغ فيه الغاية حيث لا زيادة لمستزيد، ولا متجاوز وراءها لمجتهد، قال الموفق عبد اللطيف[1]: «وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية: إن ٱرتجل أجاد، وإن روّى أبدع». وقال ابن كثير[2]: «وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة، سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة».

وقد وعظ وهو صغير جداً، فكان أول مجلس تكلم فيه على المنبر يعظ الناس سنة عشرين وخمسمائة[3]،

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ، ص٣٠٣. وعبد اللطيف هو عبد اللطيف بن الصيقل، تقدمت ترجمته.

(٢) البداية والنهاية، ٢٨/١٣.

(٣) المصدر السابق، ١٩٦/١٢.

وأوقع الله له في القلوب القبول، فطار صيته، ونَبُه ذكره، وعظمت منزلته، قال الإمام ابن الجوزي[1]: «بعث إليَّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين: والله ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجلسك، وإنما تلمحنا مجلس غيرك يوماً وبعض يوم آخر». وأقل من كان يحضر مجلسه الوعظي عشرة آلاف، لإخلاصه وروعة بيانه، وجمال كلامه الذي بمثله تستمال القلوب النافرة، وتُرد الأهواء الشاردة.

ويعد ابن الجوزي أول من صنَّف في خطابة الوعظ كفن قائم بذاته، فلم يسبقه أحد في هذا الباب حتى الإمام الغزالي[2] في كتبه المعروفة؛ فهو لم ينح فيها منحى الصنعة والتفنن في علم بعينه، وإنما جعلها كتب حقائق ومعارف، وما سوى ذلك مجرد مجالس وعظية غير مدونة أو عظات متناثرة في كتب ليس الوعظ مادتها الأصلية، وقد صدر حديثاً بعض الكتب التي ضمت بين ثناياها خطباً وعظية عديدة، ككتاب «الكلمات الذهبية في الخطب المنبرية» لمحمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري، لكنها تبقى عاجزة عن اللحاق بأسلوب ابن الجوزي الرائق الفائق الذي نلحظه في خطبه الوعظية المؤثرة، والذي بات يمثل تطوراً في صناعة الخطابة الوعظية كفن مستقل له خصائصه الأسلوبية، وملامحه البديعية التي أثرت فيه وميزته عن غيره.

ولقد تميز أسلوب ابن الجوزي بخصائص ومزايا توافرت فيه، فجعلت له طابعاً خاصاً في لغته وأسلوب صياغته، امتدحها العلماء وأثنى عليها القدماء، فلنحاول هنا أن نذكر شيئاً من خصائص أسلوبه، وبعضاً من سحر بيانه، وعلى وجه التمثيل والتقريب، وهيهات لنا أن نحيط بمزاياه وهو البحر الذي لا يسبر غوره بشهادة معاصريه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك أقله.

الخاصة الأولى: من سلم ذوقه وسمت حاسته البيانية، حسن اختياره وسما كلامه سمّواً يأخذ على السامع حسه، ويملك قلبه ولبه، وهذا ما نلمحه في أسلوب الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى، فبيانه من الطراز الأول فصاحة وسلامة، وجمال أداء وحسن استيفاء، له قلم سيَّال وبيان أخّاذ، ولغة ناضرة في الذروة من الفصاحة والإشراق، وله في كتبه الوعظية وغيرها جمل وقطع من الكلام ما يشبع من تردادها وسماعها، لما حوَت من دقة التصوير وجزالة اللفظ، وأخذ القلب بمعناها، والسمع بمبناها؛ فمن ذلك قوله[3]: «إخواني تفكروا فيما تصيرون إليه وتحققوا، وتذكروا مصارع الأحباب الذين سبقوا، وما الذي جرى لهم لمّا أوثقوا، هل قيّدوا بأعمالهم أو أطلقوا، كيف أفردوا من أحبابهم وتفرقوا، سعدوا والله بما قدَّموا أو شقوا، وكأني بك لاق ما لقوا، وتشرب بالكأس الذي به سقوا»، فهذا الأسلوب البارع في المخاطبة، المقترن فيه الوضوح بالجزالة، حتى غدا قطعة رائعة من البيان الساحر، لجدير أن يفتح مغاليق القلوب، فيهديها إلى علام الغيوب.

الخاصة الثانية: لقد عرف أسلوب ابن الجوزي السجع والمرسل، وهو في كليهما بارع متفنن، بعيد عن التكلف والتصنع، يفيض عن الفطرة السليمة الصافية، والعبقرية الفذة المتألقة، وإن كان الغالب في خطبه الوعظية الأسلوب المسجع لما له من تأثير على القلوب أكبر، وتلاعب بالمشاعر أعظم، وهذا ما يروم الخطيب إليه ويهدف إلى تحقيقه.

الخاصة الثالثة: يمتاز أسلوب ابن الجوزي، فضلاً عن جزالة اللفظ ومتانته واستخدامه السجع للتأثير،

---

(١) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٤٠٧.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، سلك طريق الزهد والانقطاع، وصنّف الكتب المفيدة في عدة فنون، توفي سنة ٥٠٥هـ ـ ١١١١م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٢١٦. الزركلي، الأعلام، ٧/٢٢.

(٣) ينظر هذا الكتاب، ص٣٨٦.

بمخاطبته العامة والخاصة معاً، فكلٌ يفهم على قدر ما أوتي من العلم، فيحس بجماله ويذوق حلاوته، ويتغلغل أثره في نفسه، ولقد أشار إلى ذلك في كتابه «المورد العذب» في أكثر من موضع منه؛ فمن ذلك قوله[1]: «معشر العارفين معكم أتحدث، أيها الفقراء إليكم أشير، معاشر العلماء نحوكم أحدق، لأني تغربت في إقليم العلوم، وتعلمت اللغات المختلفة، فأنا أتحدث في المجلس مع كل قوم بلغتهم، فالعارفون بالإيماء، والعالمون بالإشارة، والسالكون بالأمثال، والأدباء بالبلاغة، والفضلاء بالتلويح، والعامة بالعبارة، ومفهوم كلامي أرواح لصور المعاني، والمحققون بالذوق، والمحبون بالتعريض، والفقراء بالرمز، قد أخذ كلَ أناس مشربهم».

غير أنه رغم ذلك لم تخل بعض عبارات الإمام ابن الجوزي وجمله من الإغراب في اللغة بٱستخدام الألفاظ الغريبة، أو تلك المألوفة بمعنى لها بعيد وغريب، لكن دون أن يخل ذلك بعنصر الوضوح في كلامه بشكل عام، أو يمس بجمال اللفظ ودقة المعنى وروعة التعبير.

الخاصة الرابعة: ابن الجوزي في خطابه الوعظي يحرص على مخاطبة العقل والقلب معاً، مستلهماً القرآن العظيم في جمله وعباراته، مستنيراً بهديه وبأسلوبه وطريقته؛ فهو مثلاً يسوق ٱستدلاله العقلي على البعث والنشور بأسلوب يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً، مسترشداً في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]؛ فيقول[3]: «أحيا موات الأرض فقامت دفائن النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة ظاهرة على قيام الناس لرب العالمين، يجازيهم بأعمالهم بما سبق لهم في الكتاب المبين».

وهكذا نجد كلامه مزيجاً سائغاً حلوا، يوجه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب لتصل إلى نور الهداية وما فيه خير لبني البشر أجمع.

الخاصة الخامسة: ابن الجوزي في مجالسه الوعظية وخطبه بارع في صوغ أفكاره ومعانيه بحلل متنوعة من درر الألفاظ ولآلئ العبارات، وبطرق وأساليب مختلفة متعددة؛ من إنشاء وإخبار، وتكلم وخطاب وغيبة، وماض وحاضر ومستقبل، ونحو ذلك مما يدل على قدرة هذا الإمام الفذ في تصريف القول، وٱمتلاكه زمام اللغة وأساليب التأثير والخطاب ٱمتلاكاً جعل العلماء الأجلاء يعدونه ظاهرة نادرة بل فريدة في عالم الوعظ؛ قال الإمام الذهبي[4]: «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه».

الخاصة السادسة: التصوير والتمثيل يضفي على الكلام رونقاً أجمل وبهاء أكبر، ويزيد المعنى تأثيراً في النفوس أعظم وأكثر، ولقد صبغت كتابات الإمام ابن الجوزي الوعظية بهذا اللون من ألوان التعبير الرائق، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعبر عن المعاني المجردة بالتصوير الحسي المستمد من واقع المخاطبين، بعبارات موجزة مؤثرة، تقرب المعنى المراد بأسلوب مبدع أحال كلماته وخطبه إلى لوحات فنية رائعة ساحرة ممتعة، قلّما تأتي المواهب بمثلها؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله[5]: «سافر التائبون على رواحل العزم فبلغوا المنازل، والمحروم يجنح إلى ظل الأمل وهو زائل، أين رفاق الفقراء أين قوافل الصالحين القوافل، يا غريقاً في بحر الغفلة التوبة الساحل، عليك بسيارة الندم وإلا فساعة العزم عسى في الطريق حامل».

الخاصة السابعة: إن المتأمل في كتب الإمام ابن الجوزي يلمس فيه ٱستبحار علمه، وسعة ثقافته، فمعظم ما

---

(١) ينظر هذا الكتاب، ص٣٣٩.
(٢) سورة فصلت، آية ٣٩.
(٣) ينظر هذا الكتاب، ص٥٢٣.
(٤) سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٧.
(٥) ينظر هذا الكتاب، ص٤٨٢.

دوّنه من مؤلفات، وما خطّه من كتب، شملها بالعلوم التي عالجها، وبالمعارف التي خاضها، من تفسير وحديث وتاريخ وأدب وفقه ولغة وغيرها، فكانت تجمع في مجملها الفنون المتنوعة من مواد الثقافة الإسلامية، إضافة إلى مادة الكتاب الأصلية، ما زاد من قيمتها وأهميتها، وخاصة تلك التي ضمت في طياتها نفائس شعره وجواهر قصيده، إذ إن لابن الجوزي أشعاراً كثيرة في مجلدات عديدة ضاعت جميعها ولم يبق منها إلا ما نثره في كتبه وحوته مؤلفاته.

الخاصة الثامنة: إن سماع أخبار الصالحين، وقراءة سير الأولين، من أهم مقاصد الحياة عند أولي النهى والمصلحين، ولقد قرَّر ذلك القرآن الكريم وحسَّنه فقال جل وعلا: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، فقصص الصلحاء والعلماء، وحكايات الزهاد والعباد، جند من جنود الحق تجلي القلوب وتنوِّرها، وتدفع بها إلى العمل والامتثال، وذلك لما جبلت عليه من حب تقليد الصالحين والسير على منوالهم، والتأسي بهم والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم.

ولقد اعتمد الإمام ابن الجوزي القصص في خطبه الوعظية، فلا نكاد نقرأ كلاماً له، سواء كان خطبة أو مجلس وعظ أو وصايا، إلا وضمنه تجارب الزهاد وقصص العباد وأقوال العلماء، ليكون ذلك حافزاً للمؤمن للعمل بعملهم والتشبه بسيرهم، فيزداد قوة في جهاده، وثباتاً على دينه، فيكون بذلك خير خلف لخير سلف.

هذه هي أهم خصائص أسلوب ابن الجوزي الواعظ، الذي أوتي ذرابة لسان، ولَسن بيان، وصفاء جنان، حتى إنه إذا حدَّث بحديث ترغيباً أو ترهيباً جعل الأمر كأنه يرى رأي العين، ويحس به إحساس المباشر له، ولا ينتهي حديثه إلا وقد أقنع السامع بالحجة، وألبسه لباس اليقين بما يقول.

وقد وصف الرحالة ابن جبير بعضاً من مجالسه التي حضرها وشاهد روعتها، فلندع له الكلام فليس الخبر عنه كالعيان، يقول[3]: «ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على عشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصِّلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلاً، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[4]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[5] فحدّث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخَبَر عنه كالخُبْر! ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يُلقي ناصيته بيده فيجزّها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج[6] البحر،

---

(١) سورة هود، آية ١٢٠.
(٢) سورة يوسف، آية ١١١.
(٣) رحلة ابن جبير، ص١٩٧، ١٩٨.
(٤) سورة الطور، آية ١٥.
(٥) سورة النمل، آية ١٦.
(٦) الثَّبَج: علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه. ابن منظور، اللسان، «ثبج»، ٢/ ٢٢٠.

ونعتسف[1] مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن مَنَّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله».

ومجمل القول أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى كان حامل لواء الوعظ، لا يدانيه في هذا الفن أحد ولا يجاريه، قد سُخِّر له الخطاب وأيّد بالتوفيق، فأجاد فيه ارتجالاً وحفظاً، قال ابن الجوزي[2]: «ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال». وما كتابنا «المورد العذب في المواعظ والخطب» ـ والذي نحن بصدد إخراجه وتحقيقه ـ إلا نموذج من عظيم وعظه وإرشاده.

فلا غرو ـ والحالة هذه ـ أن يمتدح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلاغة منطقه، وفصاحة لسانه، فينشد مفتخراً[3]:

تَزْدَحم الألفاظ والمعاني ... على فؤادي وعلى لساني
تَجْرِي بي الأفكار في ميدان ... أُزاحِم النَّجم على مكان

[بحر الوافر]



(١) أعتسف الطريق أعتسافاً إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه. ابن منظور، اللسان، «عسف»، ٩/٢٤٥.
(٢) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/ ٤١٠.
(٣) المقري، نفح الطيب، ٥/١٦٣.

القسم الثاني

الفصل الأول: مقدمة التحقيق.

أ ـ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.

ب ـ قيمة الكتاب العلمية.

ج ـ خطة إخراج الكتاب ووصف النسخ المعتمدة.

د ـ صعوبات العمل.

الفصل الثاني: تحقيق كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب».

مقدمة التحقيق

تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

لقد أجمعت المصادر التي ترجمت للإمام ابن الجوزي على صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فلم يكن في ذلك شك ولا ريب، وكذا الأمر في أسمه حيث ورد الكتاب بأسم «المورد العذب في المواعظ والخطب» في كل من تاريخ الأدب[1]، وهدية العارفين[2]، وإيضاح المكنون[3]، فسموه جميعاً بـ«المورد العذب في المواعظ والخطب»، غير أن الزركلي في كتابه الأعلام[4] ذكره بأسمين؛ الأول بأسم «المنهل العذب»، والثاني بأسم «الموارد العذاب»، ويبدو أن الزركلي قد أخذ هاتين التسميتين من مخطوط محفوظ في خزانة الرباط تحت رقم (١٢٢ أوقاف)، وهو النسخة (م) المعتمدة في تحقيقي للكتاب، لكن علماء الترجمة ومن ذكر كتب ابن الجوزي أجمعوا على تسميته بـ«المورد العذب في المواعظ والخطب»، وهذا ما يؤكد بأن التسميتين اللتين أوردهما الزركلي وتسمّت بهما النسخة المغربية (م)، إنما هما من وضع النساخ، خاصة إذا ما علمنا أنهم تصرفوا أيضاً في الكتاب، فغيروا في مسار تأليفه عن أسلوب وترتيب المصنف ويحسم هذا الاضطراب في التسمية ما ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه حيث قال: «وصنفت هذا الكتاب وسميته (المورد العذب)»؛ وبذلك يقطع الشك باليقين.

قيمة الكتاب العلمية:

كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» هو واحد من المؤلفات الوعظية الكثيرة القيّمة للإمام ابن الجوزي، وقد جعل عدد فصوله خمسة وعشرين فصلاً، ضمن كل فصل ثلاث خطب في ثلاث آيات من القرآن الكريم، مع ما يجب إثباته من تعليقات في المواعظ والحكم، وهو يورد في أثناء الخطب أشعاراً من النسيب تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسيبي زهداً، ويورد من قصص الأولياء والصالحين ما هو دواء لأدواء النفوس، وشفاء لأمراض القلوب، كل ذلك في أسلوب بيِّن المنهج، سهل المخرج، مع عذوبة الألفاظ وفصاحتها، وحلاوة العبارات وبلاغتها. وقد ذكر المصنف (رحمه الله) في مقدمة كتابه هذا المنهج والتزم به من بدئه حتى نهايته.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه ضم في طياته كثيراً من شعر ابن الجوزي الذي ضاع على مرّ السنين، فلم يبق منه إلا النزر اليسير. فضلاً عما يقدمه هذا الكتاب من نماذج الوعظ، وبديع الخطب، التي يستفيد منها كل من أراد أن يسلك هذا السبيل في الوعظ والإرشاد إلى طريق الحق، يتعلم منه فنون التأثير لكي يحمل سامعيه دفعاً بقوة الكلمة إلى ما يريد من الإرشاد والهداية. ولا عجب في ذلك، فمؤلفه هو عالم العراق، وواعظ الآفاق ابن الجوزي رحمه الله تعالى، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، قال الإمام الذهبي[5]: «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب ويُعجب ويطرب ويُطنب لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن والصوت الطيب، والوقع في النفوس وحسن السيرة».

---

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، gI ١/٥٠٥.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ١/٥٢٣.

(٣) إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٤/٦٠٥.

(٤) الزركلي، الأعلام، ٣/٣١٧.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٧.

فكل هذه المعطيات كونت في نفسي دوافع قوية في تحقيق هذا المخطوط، كنبراس ساطع، ودليل قاطع على طول باعه في الوعظ والخطابة، وأرجو من الله ﷻ أن أكون قد وفقت في عملي هذا بما يليق بالإمام ابن الجوزي وكتابه، وأن أكون بهذا قد قدمت مثالاً يحتذى في فن الوعظ خدمة لطلابه من إمام الوعظ وحامل لوائه.

خطة إخراج الكتاب ووصف النسخ المعتمدة:

لقد أعتمدت في إخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة، وهي:

١ ـ نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني، تحت رقم (١٤٥)، وهي في (٢٢٧ق)، قياس (٢٨×٢١سم)، ١٨ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قال الشيخ الإمام العالم العلّامة أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن عبد الله المعروف بالجوزي نفعنا الله به: الحمد لله مبتدع الموجودات بلا حركة عقلية، ومنشيه بلا آله آلية..»، وآخرها:

«الخط يبقى زماناً بعد كاتبه ... وكاتب الخط تحت الترب مدفون

فيا ناظر الخط أدع لكاتبه ... لعل المغفرة بدعائك تكون

الخط باقي والعمر فاني

سنة ١١٦٤»

تاريخ النسخ شهر ربيع الثاني سنة أربع وستين بعد مائة وألف من الهجرة النبوية،والناسخ محمد بن المهدي بن محمد بن يونس الحنفي الجزيري، والخط مغربي نسخي معتاد، وقد ورد في أول صفحات الكتاب بعض الشروحات القليلة النادرة.

ولقد أعتمدت هذه النسخة أصلاً، لأنها كاملة فلم يكن فيها سقط، وواضحة فلم يكن للأرضة فيها نصيب، فضلاً عن كونها جاءت على النسق الذي وضع عليه ابن الجوزي كتابه، فلم يكن للناسخ تصرّف فيه ولا تغيير، بخلاف النسخ الأخرى، وقد رمزت إليها بكلمة «الأصل».

٢ ـ نسخة مخطوطة في مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد، تحت رقم (٤٧٣٣)، وهي في (٣٢٣ص)، قياس (١٨×١٣سم)، ١٩ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه نستعين؛ قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي ﷺ: الحمد لله مبتدع الوجود لا بحركة عقلية، ومنشيه بلا آلة آلية...»، وآخرها: «وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين»، وقد وُجد مكتوباً على صفحة الغلاف: «انظر فيه وأتعظ بما يحويه الفقير إلى رحمة الله الودود سيد عمر بن محمود الحلبي غفر الله له»، ويعود تاريخ النسخ إلى شهر ربيع الآخرة سنة تسعين وثمانمائة للهجرة النبوية، ولم يذكر أسم الناسخ، ولكن يبدو أنها منسوخة عن النسخة (م) لما بينهما من تقارب وتشابه، الخط نسخي جميل مضبوط بالشكل، وقد كتبت عناوين الفصول بالحمرة. ولم أعتمد هذه النسخة أصلاً، رغم قدم تاريخ نسخها، ذلك لتصرف الناسخ بها، فلم تأت على النسق الذي ألّف عليه ابن الجوزي كتابه، ولقد ذكر الناسخ ذلك التغيير في المقدمة حيث قال: «رأيت أن أخرج كل خطبة من خطب هذه الفصول فصلاً على حدته، ليكون أخف على القارئ وأحلى للمستمع، فيصير الكتاب خمسة وسبعين فصلاً»، فضلاً عن وقوع سقط في صفحاتها شمل أكثر من فصل منها، وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف (ع).

٣ - نسخة مخطوطة في خزانة الرباط، تحت رقم (١٢٢ أوقاف)، وهي في (٣١٢ص)، ٢١ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي ﷺ: الحمد لله مبتدع الوجود لا بحركة عقلية، ومنشيه بلا آلة آلية...»، وآخرها: «والحمد لله بجميع محامده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم عدد ما في علم الله، وكان الفراغ من كتابته في خامس عشر صفر الخير من شهور سنة ٨٧٢ بمدينة دمشق الشام على يد أبي بكر الجراعي الحنبلي عفا الله عنه وعن والده، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، وقد جاءت هذه النسخة تحت اسم «المنهل العذب» حيث كتب على صفحة غلافها «المنهل العذب وقيل الموارد العذاب لابن الجوزي»، كما وجد على الغلاف تمليك باسم أحمد بن محمد بن ناصر، ويعود تاريخ نسخها إلى شهر صفر الخير سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة النبوية على يد أبي بكر بن زيد الجراعي الحنبلي، الخط نسخي جميل، وقد أصابت الرطوبة صفحات هذه النسخة فطمست بعض كلماتها وجملها، كما وقع فيها تغيير من الناسخ كالتغيير الذي وقع في (ع)، ولقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف (م).

وهناك نسخة رابعة لم أعتمدها في المقابلة، وذلك لتصرف الناسخ فيها تقديماً وتأخيراً، حيث دمج خطب الفصل الواحد بعضها ببعض، فضلاً عن الرطوبة التي أتت على كثير من صفحاتها فطمست كلمات فصول بأكملها، غير أني استعنت بها في التحقيق عند غموض اللفظ في النسخ الثلاث المعتمدة، وهي في خزانة الرباط، تحت رقم (٢٣ كتاني)، وتقع في (٣٧٣ص)، ١٩ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد. قال الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد الواعظ أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به: الحمد لله مبدع الوجود بلا حركة عملية، بلا آلة آلية...»، وآخرها: «ارحمنا برحمتك التي سبقت غضبك، التي تسابق إليها السابقون، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. كمل الكتاب المبارك بحمد الله تعالى»، الخط نسخي مغربي جميل مضبوط بالشكل، ولم يذكر في هذه النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، كما فقدت صفحة غلافها وسقط اسم المخطوط عنها، وقد رمزتُ إليها بالحرب (ب).

وأوضح خطة التحقيق على النحو التالي:

١ - إثبات ما ورد في الأصل، مع تصحيح ما وقع فيه من تصحيف، والإشارة إلى ذلك في الحاشية.

٢ - مقابلة الأصل مع النسختين المغربية والعراقية، وإثبات الاختلاف بينها في الحاشية.

٣ - ضبط الكلمات والعبارات التي فيها لَبس بالشكل الذي يوضح المعنى المقصود.

٤ - أهملت ذكر بعض الاختلافات في النسخ في الحاشية؛ لاطراد تكرارها وذلك كنحو:

- حرف العطف الذي ورد في الأصل في أول ثاني وثالث خطبة من كل باب، فهو ساقط في (م) و(ع) دائماً، فلم أذكر ذلك في المقابلة لتكرره.

- عبارة «رحمه الله تعالى» التي تذكر في الأصل بعد اسم الراوي ساقطة في (م) و(ع) دوماً، فلم أذكرها في المقابلة.

٥ - ورد في مقدمة الأصل عدد فصول الكتاب، فذُكرت أرقام الفصول الخمسة الأُول بالحروف، ثم ذُكرت باقيها بالأرقام فكتبتها جميعاً بالحروف. كما كُتب في الفصلين الأوَّلين كلمة «باب» بدلاً من كلمة «فصل»، فكتبتهما فصلاً جرياً لتسمية باقي الفصول بالفصل. كما كُتبت كل خطبة من خطب هذا الكتاب

على أساس آية من القرآن الكريم، وقد كُررت في الخطبة ثلاث مرات، فذكرتُ في المرة الأولى السورة والآية وتركت الباقي طلباً للإيجاز وتخلصاً من التكرار.

٦ ـ خرّجت الآيات والأحاديث والآثار.

٧ ـ ترجمت أعلام الكتاب، في حدود التوضيح والتبيين، إلا أنني لم أترجم للأعلام المشهورة كالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وكذا لم أترجم لمصنفي الكتب التي ٱقتبست منها الأقوال.

٨ ـ عزوت الأشعار إلى قائليها، وشرحت غامضها، وبيّنت بحورها.

٩ ـ عزوت القصص إلى مصادرها، وأشير هنا إلى أن القصة إذا أسندت إلى قائلها فإني أجعل الرقم عند اسم العلم أو لفظ القول، وإن سيقت بدون إسناد جعلت الرقم عند نهاية القصة. وكذا بالنسبة للأقوال المقتبسة في مقدمة الكتاب.

١٠ ـ لما وزع المصنف كتابه إلى فصول وجعل كل فصل في ثلاث خطب دون أن يفصل بينها بعنوان خاص، فقد ميزتها بالتعداد بين معكوفتين؛ فقلت: [الخطبة الأولى] و[الخطبة الثانية] و[الخطبة الثالثة]، وكذلك ذكرت بحور الشعر بين معكوفتين في نهاية أبيات القصيدة.

١١ ـ أشرت إلى رقم صفحة المخطوط عند نهايتها ضمن معكوفتين [ ]، وقد ورد في الأصل صفحة (٢١٤) مكررة فذكرت ذلك ضمن المعكوفتين [٢١٤ أ و ب مكرر].

١٢ ـ قدمت للكتاب بتمهيد عن الخطابة والخطيب، ثم ثنيت بترجمة للمصنف ذكرت فيها: عصره، ونبذة عن حياته، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية وأقوال العلماء فيه، ومصنفاته.

١٣ ـ ختمت الكتاب بثبت المصادر والمراجع، والفهارس الفنية التي تعين على سرعة المراجعة فيه. وأشير هنا إلى أنني أسقطت ٱعتبار «أل» التعريف في أول متن الحديث أو القصة، أما إذا جاءت في بقية المتن أو في وسط الكلام فاعتبرتها ولم أسقطها. وكذا ٱعتمدت في ترتيب الأعلام والبلدان والقبائل. كما أسقطت اعتبار «ابن» و«أبو» في فهرسة الأعلام. ولقد ميزت بين الحديث والأثر في الفهرس، فإذا كان القول حديثاً أثبت إلى جانب طرفه اسم الراوي، وإذا كان أثراً أثبت إلى جانب طرفه: قال فلان. وإذا كانت الآية أو متن الحديث على صفحتين فإني لا أدون إلا رقم الصفحة التي بدأت فيها الآية أو الحديث. أما فهرس الأشعار فقد سرت في ترتيبه على النسق التالي: قسمت الروي إلى أبواب حروف الهجاء، ثم قسمت كل حرف إلى ساكن، ثم متحرك بالفتحة، فالضمة، فالكسرة.

١٤ ـ رموز التحقيق:

الأصل: نسخة المتحف البريطاني.

م: نسخة خزانة الرباط ـ أوقاف.

ع: نسخة مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد.

ب: نسخة خزانة الرباط ـ كتاني.

الكلمة ساقطة: أي الكلمة التي أشير إليها بالرقم فقط.

العبارة ساقطة: أي كل ماذكرته في الحاشية بين مزدوجين «...».

التصويب من نسخة كذا: أي أن ما ذكر في سواها غير صحيح والصواب منها، أما إن كان هناك صحيح وأصح فأضع الأصح وأقول هي من نسخة كذا.

صعوبات العمل:

لقد واجهني في عملي هذا صعوبات لعل أبرزها أمران آثنان:

١ ـ الترجمة للأعلام: إن الأعلام التي وردت في طيات هذا الكتاب كانت في معظمها أسماء لقصاصين مغمورين قلّ من ترجم لهم، مما حدا بي إلى مزيد من البحث والتنقيب في كتب تراجم عديدة وكثيرة، غير أن البحث في بعض الأحايين لم يثمر نتيجته المرجوّة، كما أن الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ حينما أورد أسماء الرواة أوردهم بكنيتهم أو بآسمهم أو بلقبهم فحسب، وهذا مما قد يشترك فيه أسماء كثيرة، مما صعَّب البحث وزاده تعقيداً.

٢ ـ نسبة الأبيات إلى قائليها: إن الإمام ابن الجوزي كان شاعراً ناظماً، يقول الشعر بديهة، كما كان حافظاً لشعر غيره؛ وقد مزج في كتابه هذا بين ما هو من تأليفه وبين ما هو مقتبس من حفظه؛ فقد كان يأخذ البيت أو البيتين من قصيدة لشاعر ما ثم يكملها من تأليفه، وقد يجمع في قصيدة واحدة أبياتاً لشعراء مختلفين قد آتفقت في الوزن والقافية، ونحو ذلك. لذا كان من الصعب التمييز بين شعره وشعر غيره، إلا أنني حاولت جهدي نسبة الأبيات إلى قائليها بما توفّر لي من مراجع وكتب، وما لم أجده فالراجح أنه من شعره؛ إذ إن له أشعاراً كثيرة قيل إنها في عشر مجلدات، ولكنها فقدت مع تطاول الأزمان، وتوالي الدهور، ولم يحفظ من شعره إلا ما تناثر في كتبه، وفي الكتب التي ترجمت له. والله الموفق.

اروى سمير مجذوب

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

للشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفرج عبد
الرحمن بن علي رحمه الله المعروف بابن الجوزي رحمه الله

الحمد لله مبتدع الموجودات بلا حركة عقلية، ومنشئها
بلا آلة آلية، وإخراجها عن الكيفية، عظيم لا تحيط به الأبنية
، حليم لا يستفزه عنه بالمعصية، ويدل لا تنفى ذكره ولا معنيه،
وأصلي على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله وعترته الطاهرة الزكية
أما بعد فلما رأيت فن المواعظ نعم الغاية والمطلوب استجمعت
زبده، مصابيح الغيوب وأزمة القلوب أن تنزعوا من ... بها
بقوة منه لا اقتناص حذق العبارات وجواهر المعاني فلما علم الله
سبحانه وتعالى صرف أمري بالفهم ونيلنا بالعبارات فسجد
وجه توجهي على أرض العبودية شاكراً لنعم الله تعالى وصنفت
هذا الكتاب وسميته المورد العذب ورتبته فصولاً على
فصل منها ثلاثة خطب لثلاث آيات من القرآن العظيم وما
يتبعها من الحكم والمواعظ على ضوابط التي إذ هذا النوع أشرفها
للقلوب ... السماع ما ... القصر ما أوضح وأبلغ الكلام ما أوضح
فمن دخل بستان كلامي فليجتن منها ما راق أو ينظم أو لان يجني وأنا وجد
سبيل الإطالة والعلم ... خصوصية نهاية وسلك الموضح إذا ... الله.

بـ

الصفحة الأولى من مخطوط الأصل

2:37

٢٢٧

مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية على يد الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير
الراجي عفو ربه اللطيف الخبير محمد بن المرحوم بن محمد بن يونس
الحنفي الخزرجي عفى الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن سعى
في تعليمه ولمن قال آمين بحق محمد يا أرحم الراحمين

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه ... وكاتب الخط تحت التراب مدفونا
يا ناظر الخط ادع لكاتبه ... لعل [illegible]

الخط باقي ... والعمر فاني

سنة ١١٤٠

الصفحة الأخيرة من مخطوط الأصل


كتاب المورد العذب لابن الجوزي

كتاب المورد

العذب لابن الجوزي

نفع الله بعلومه

المسلمين آمين

يا رب

العالمين

صفحة الغلاف من المخطوط (ع)

ع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي رضي الله عنه

الحمد لله مبتدع الوجود بالحركات عقليه ومنشئه بلا آلة آليه ولا جوارح

عن الكيفيه عظيم تحيط به الأبنيه كريم لا يستغنى عنه بالمافيه فرد

لا شريك له ولا معين وأصلي على سيدنا محمد خير البريه وعلى عترته الطاهره

الزكيه أما بعد فإني لما رأيت من المواعظ هو الغاية في المطلوب استخرجت

من بين مفاتيح الغيوب وأزمة القلوب أردت أن يمد غواص فكري بنوع منه

لاقتناص صدف العبارة وجواهر المعاني فلما علم الله صدق قصدي أمد فكري بالفهم

ولساني بالعبارة فسهر وحيد توجهي على أرض العبودية شاكرا له وصنفت

هذا الكتاب وسميته المورد العذب ورتبته فصولا كل فصل منها على ثلاث

خطب الثلاث آيات من القرآن وما يتبعها من المواعظ والحكم على قوافي

الآي لأن هذا النوع أشد تحريكا للقلوب وفرح الأسماع بما حركه وبين القصيد

ما أوضح وأبلغ الكلام ما أفصح فمن دخل بستان كلامي فليجتن منه ما راق في نظره

أو وافق فكره وإن وجد كلمتنا لا تثمر له فليعارض ورقة بخصوص غاية

وسلك الجواهر إذا انتظم لا بد له من الخرز للزينة وقد صنفت بحمد الله في

هذا الفن عدة تصانيف أكثر عدد الكتب من المكتوبات عسى الرحمن أن ينفعني بها

في الدنيا والآخرة وقد جعلت عدة فصوله خمسة وعشرين فصلا

الفصل الأول في قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية

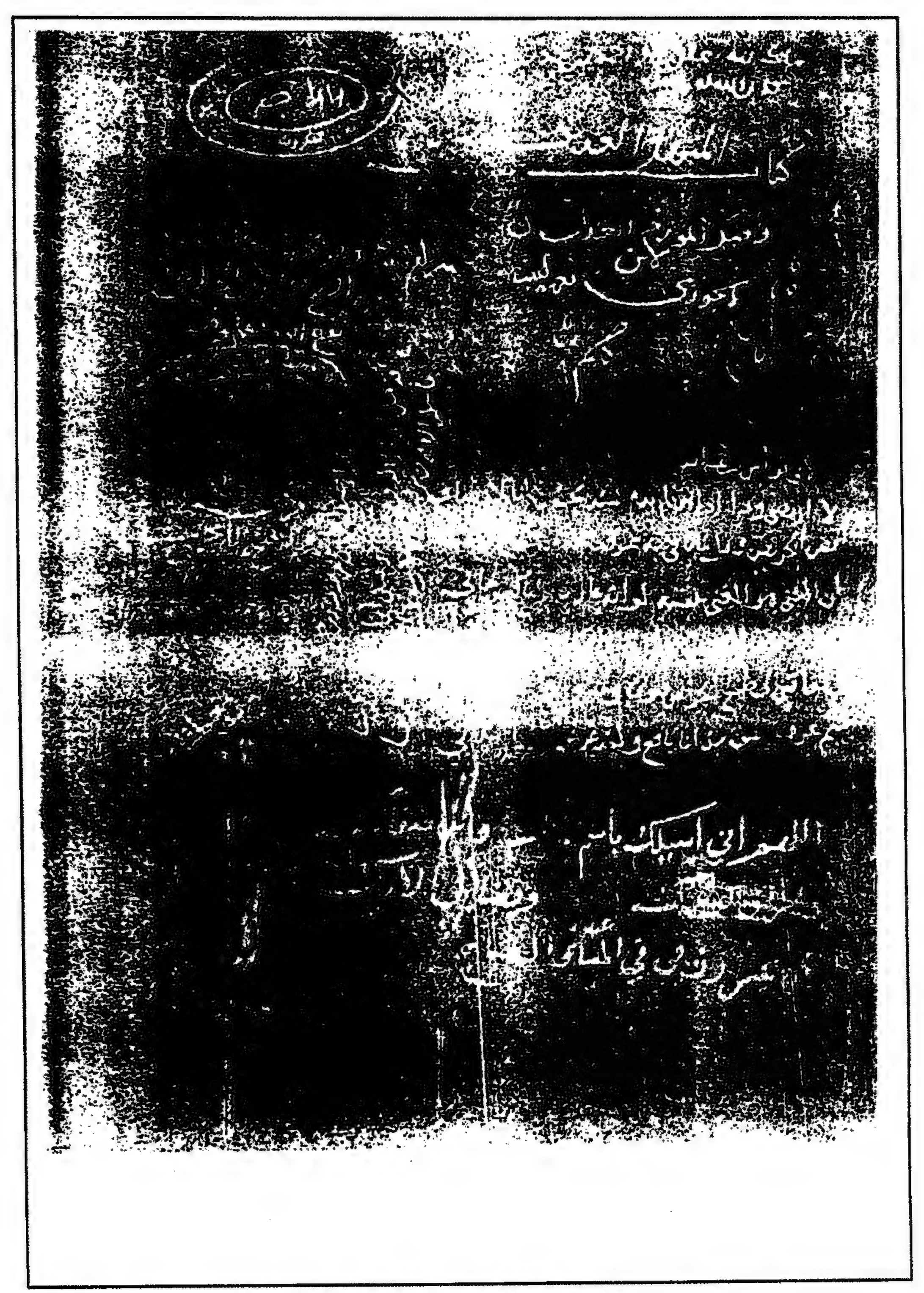
قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض الآية وفي قوله تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت الآية

الصفحة الأولى من المخطوط (ع)

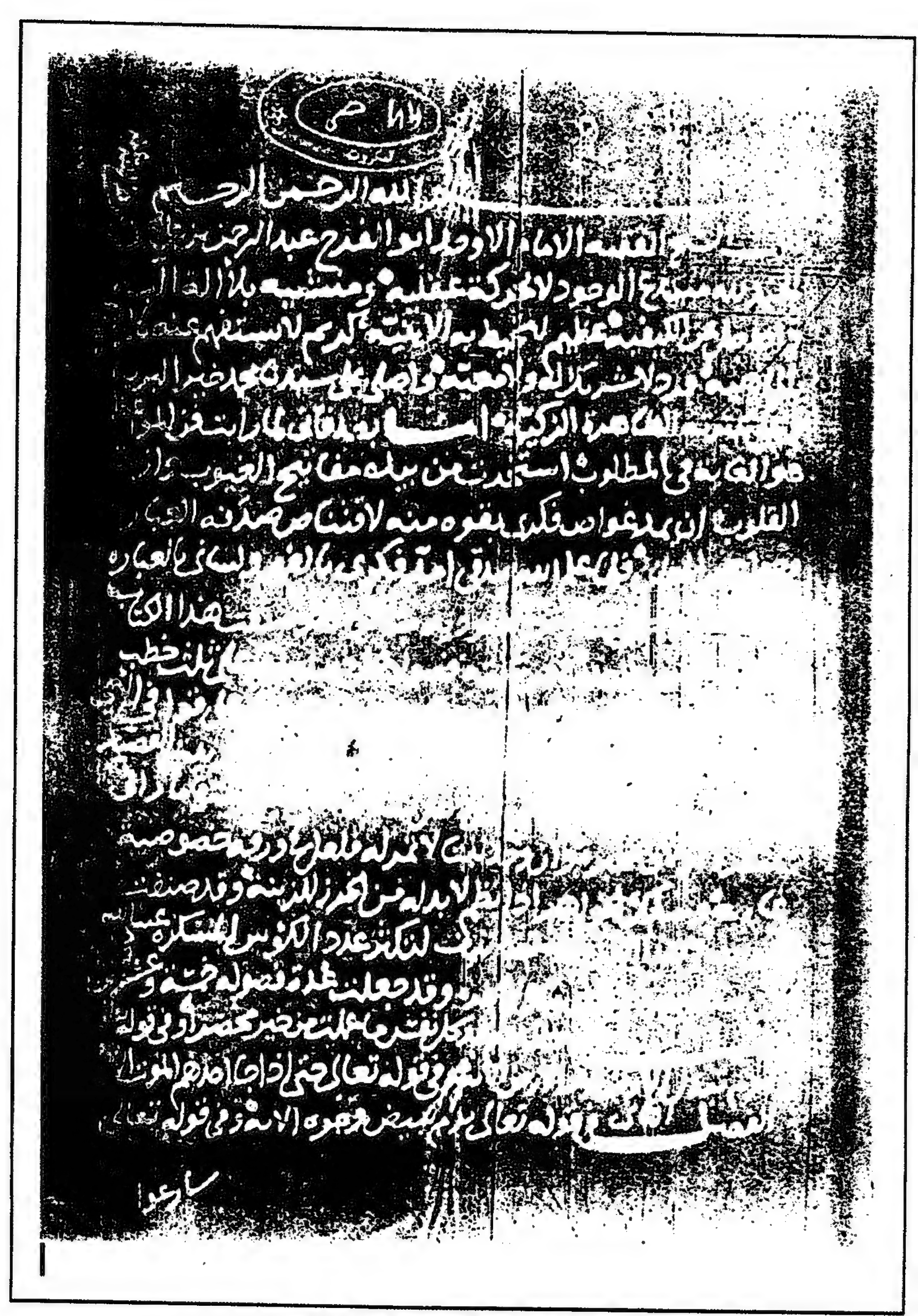
بيمن الفكرة والسالكين صدفة وحظ المتفرج النظرة إلى حصننا بالفهم عنك
اسمعنا نداء الوجود بأسماع الفهم افتح لنا بلطيف لطفك بهم اللطايف عنك واجعل
ملاذنا بملاذ جوارك خصنا بخاصية الخواص ارحمنا برحمتك التي سبقت
فسابقوا إليها السابقون برحمتك يا ارحم الراحمين ه ه ه

آخر الكتاب والحمد لله الواحد الوهاب وصلوات الله على خير خلقه سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ه ووافق الفراغ من نسخه نهار الاثنين المبارك في
ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثمانمائة للهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم والحمد لله رب العالمين ه ه ه

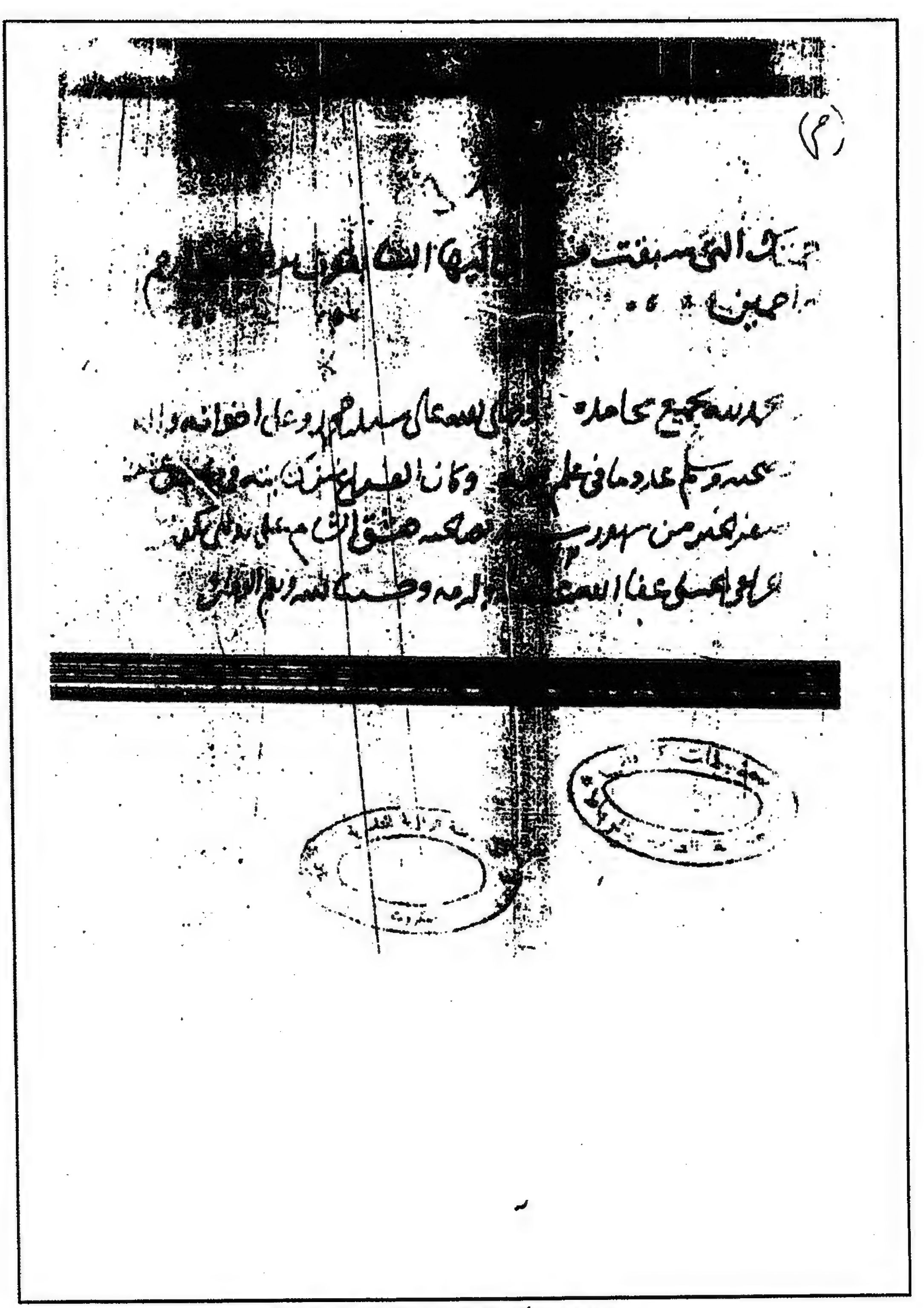
الصفحة الأخيرة من المخطوط (ع)



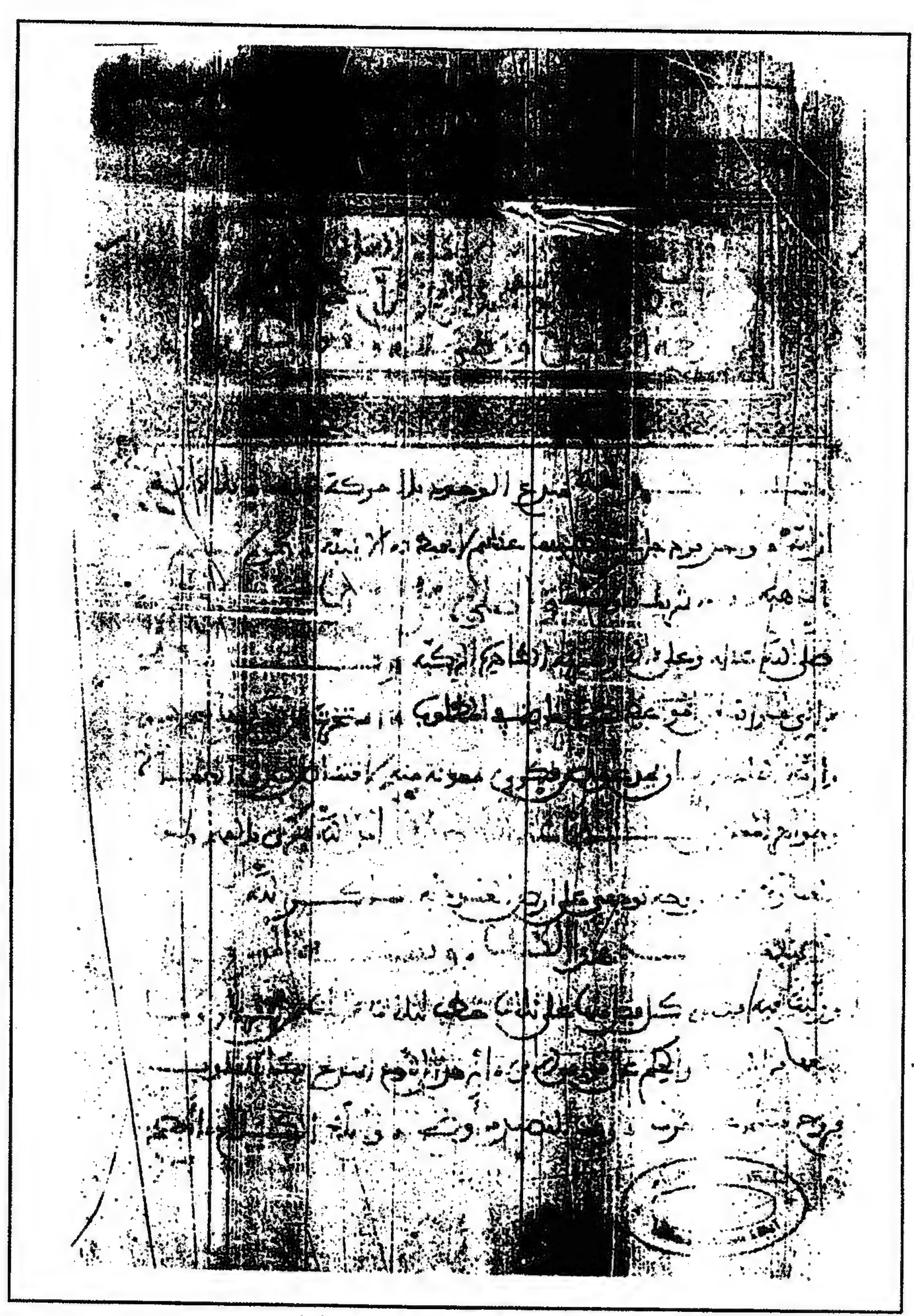
صفحة الغلاف من المخطوط (م)



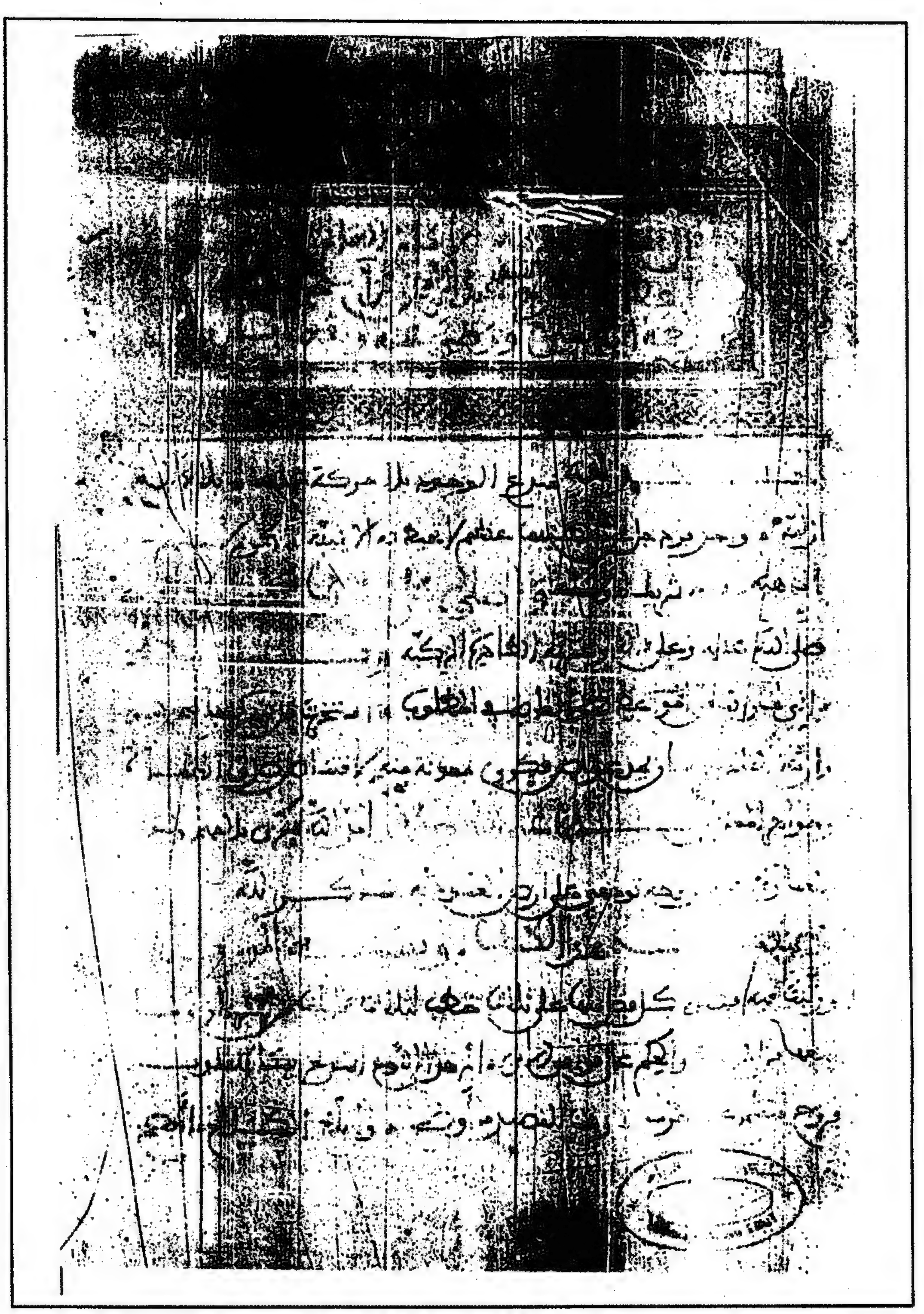
الصفحة الأولى من المخطوط (م)



الصفحة الأخيرة من المخطوط (م)



صفحة الغلاف من المخطوط (ب)



الصفحة الأولى من المخطوط (ب)



الصفحة الأخيرة من المخطوط (ب)





المورد العذب

في

المواعظ والخطب

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧هـ ـ ١٢٠٠م

تحقيق وتعليق

الدكتورة أروى سمير مجذوب



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١]

قال الشيخ الإمام العالم العلّامة[٢] أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن عبد الله المعروف بالجوزي نفعنا الله به[٣]:

الحمد لله مبتدع الموجودات بلا حركة[٤] عقلية، ومُنْشِيهِ بلا آلة آلية، واحد جلّ عن الكيفية، عظيم لا تحيط به الأينية، كريم لا يستفهم عنه بالماهية، فريد[٥] لا شريك له ولا معية، وأصلي على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله[٦] عترته الطاهرة الزكية.

أما بعد، لما[٧] رأيت فن المواعظ هو الغاية في المطلوب استخرت من بيده مفاتح[٨] الغيوب، وأزمّة القلوب، أن يمد غوامض[٩] فكري بقوة منه لاقتناص صدف العبارات[١٠]، وجواهر المعاني. فلما علم الله ﷻ[١١] صدقي أمد فكري بالفهم، ولساني بالعبارات[١٢]، فسجد وجه توجهي على أرض العبودية شاكراً شكر الله تعالى[١٣]، وصنفت هذا الكتاب وسميته «المورد العذب» ورتبته فصولاً، كل[١٤] فصل[١٥] منها ثلاث[١٦] خطب لثلاث آيات من القرآن العظيم[١٧]، وما يتبعها من الحكم والمواعظ[١٨] على قوافي الآي؛

---

(١) عبارة «صلى الله... إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «وبه نستعين».
(٢) عبارة «الإمام العالم العلامة»، في (م) و(ع): «الفقيه الإمام الأوحد».
(٣) عبارة «عبد الرحمٰن بن علي.. إلخ»، في (م) و(ع): «عبد الرحمٰن بن علي الجوزي $ح».
(٤) عبارة «مبتدع.. إلخ»، في (م) و(ع): «مبتدع الوجود لا بحركة».
(٥) في (م) و(ع): «فرد».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «فإني لما».
(٨) في (م) و(ع): «مفاتيح».
(٩) في (م) و(ع): «غوّاص».
(١٠) عبارة «صدف العبارات»، في (م) و(ع): «صدفة العبارة».
(١١) عبارة «سبحانه وتعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «بالعبارة».
(١٣) عبارة «شاكراً شكر الله تعالى»، في (م) و(ع): «شاكراً له».
(١٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (ع): «فصال».
(١٦) في (م) و(ع): «على ثلاث».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «من المواعظ والحكم».

الآي؛ إذ هذا النوع أشد تحريكاً للقلوب، فروح السماع ما حرك، و[1]بيت القصيد ما أوضح، وأبلغ الكلام ما أفصح، فمن دخل بشأن[2] كلامي فليجن[3] منها ما راق بمنظره، أو لان[4] بمخبره، وإن وجد نبتاً لا ثمر له فلعل في ورقه خصوصية غائبة، وسلك الجوهر[5] إذا نظم لا بد [٢أ] له من الخرز للزينة[6]، وقد صنفت بحمد الله تعالى[7] في هذا الفن عدة تصانيف لتكثر عدد الكؤوس المسكرة عسى الله تعالى[8] أن ينفعني بهذا[9] في الدنيا والآخرة. وقد جعلت عدد[10] فصوله خمسة وعشرين فصلاً، وبالله التوفيق[11].

الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[12]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[13]، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[14].

الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[15]، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[16]، وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[17].

الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[18]، وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[19]، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[20].

---

(١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «بستان».
(٣) في (م) و(ع): «فليخو».
(٤) في (م) و(ع): «لاق».
(٥) في (م) و(ع): «الجواهر».
(٦) عبارة «لا بد له من الخرز.. إلخ»، في الأصل: «لا بد للخرز من الزينة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «بها».
(١٠) في (م) و(ع): «عدة».
(١١) عبارة «فصلاً.. إلخ» ساقطة في (م)، وعبارة «وبالله التوفيق» ساقطة في (ع).
(١٢) سورة آل عمران، آية ٣٠.
(١٣) سورة إبراهيم، آية ٤٨.
(١٤) سورة المؤمنون، آية ٩٩. وفي (م) و(ع): «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ الآية».
(١٥) سورة آل عمران، آية ١٠٦. وفي (م) و(ع): «﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ الآية».
(١٦) سورة آل عمران، آية ١٣٣. وفي (م) و(ع) زيادة: «الآية».
(١٧) سورة آل عمران، آية ١٨٥.
(١٨) سورة النور، آية ٣٦. وفي (م) و(ع): «﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ الآية».
(١٩) سورة الإسراء، آية ١٣. وفي (م) و(ع): «﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ الآية».
(٢٠) سورة فاطر، آية ٣٧. وفي (م) و(ع): «﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ الآية».

الفصل الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، وفي قوله تعالى[3]: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾[4].

الفصل الخامس: في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[7].

الفصل السادس: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[8]، وفي قوله تعالى[9]: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[10]، وفي قوله تعالى[11]: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[12].

الفصل السابع: في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[13]، وفي قوله تعالى[14] [٢ب]: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[15]، وفي قوله تعالى[16]: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾[17].

الفصل الثامن: في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟﴾[18]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[19]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[20].

الفصل التاسع: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[21]، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا

---

(١) سورة غافر، آية ١٨.
(٢) سورة الحجر، آية ٤٣.
(٣) الكلمة ساقطة في (م).
(٤) سورة هود، آية ١٠٢.
(٥) سورة الأنبياء، آية ٤٧.
(٦) سورة طه، آية ١ ـ ٢.
(٧) سورة الفرقان، آية ٢٧.
(٨) سورة الزمر، آية ٥٣. وفي (م) و(ع): «﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية».
(٩) الكلمة ساقطة في (م).
(١٠) سورة قٓ، آية ١٩. وفي (م) و(ع): «﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية».
(١١) الكلمة ساقطة في (م).
(١٢) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(١٣) سورة النمل، آية ٨٧.
(١٤) الكلمة ساقطة في (م).
(١٥) سورة الكهف، آية ٤٥.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م).
(١٧) سورة عبس، آية ٣٤.
(١٨) سورة الأحزاب، آية ٢٣. وفي (م) و(ع): «﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ الآية».
(١٩) سورة الحج، آية ١. وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ الآية» [فاطر: ٥].
(٢٠) سورة لقمان، آية ٣٣. وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾» [الحج: ١].
(٢١) سورة الجاثية، آية ٢٨. وفي (م) و(ع): «﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الآية» [الجاثية: ٢٧].

﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]، وفي قوله تعالى[2]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[3].

الفصل العاشر: في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]، وفي قوله تعالى[5]: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[6]، وفي قوله تعالى[7]: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[8].

الفصل الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[9]، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[10]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[11].

الفصل الثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[12]، وفي قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[13]، وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾[14].

الفصل الثالث عشر: في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾[15]، وفي قوله تعالى[16]: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾[17]، وفي قوله تعالى[18]: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾[19].

الفصل الرابع عشر: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾[20]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[21]، وفي قوله تعالى[22]: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[23].

---

(1) سورة فاطر، آية ٣٢. وفي (م) و(ع): «﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الآية».
(2) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(3) سورة الحج، آية ٦٢. وفي (م) و(ع): «﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية».
(4) سورة النور، آية ٣٥.
(5) الكلمة ساقطة في (م).
(6) سورة الأنعام، آية ٩٤.
(7) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(8) سورة القيامة، آية ٧ ـ ٨. وفي (م) و(ع): «﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ الآية».
(9) سورة النمل، آية ٧٥. وفي (م) و(ع): «﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ الآية».
(10) سورة الزمر، آية ٩. وفي (م) و(ع): «﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ الآية».
(11) سورة غافر، آية ١١. وفي (م) و(ع): «﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الآية».
(12) سورة الرعد، آية ١٥.
(13) سورة الرعد، آية ٣٨.
(14) سورة القيامة، آية ٢٠.
(15) سورة غافر، آية ١٦.
(16) الكلمة ساقطة في (م).
(17) سورة غافر، آية ٤٤.
(18) الكلمة ساقطة في (م).
(19) سورة الشورى، آية ٤٧.
(20) سورة فصلت، آية ٢١. وفي (م) و(ع): «﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ﴾ الآية».
(21) سورة الكهف، آية ٢٨. وفي (م) و(ع): «﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية».
(22) الكلمة ساقطة في (م).
(23) سورة الزمر، آية ٧٣. وفي (م) و(ع): «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الآية».

الفصل الخامس عشر: في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾[1]، وفي قوله تعالى[2]: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾[3]، وفي قوله تعالى[4]: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾[5].

الفصل السادس عشر: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ [٣أ] إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾[7]، وفي قوله تعالى[8]: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[9].

الفصل السابع عشر: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[10]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[11]، وفي قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[12].

الفصل الثامن عشر: في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[13]، وفي قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾[14]، وفي قوله تعالى[15]: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[16].

الفصل التاسع عشر: في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[17]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[18]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾[19].

---

(١) سورة الزخرف، آية ٨٠. وفي (م) و(ع): «﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآية».
(٢) الكلمة ساقطة في (م).
(٣) سورة النساء، آية ١١٠. وفي (م) و(ع): «﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ الآية».
(٤) الكلمة ساقطة في (م). (٥) سورة الروم، آية ٥٠.
(٦) سورة سبأ، آية ٥١. وفي (م) و(ع): «﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ الآية».
(٧) سورة آل عمران، آية ١٦. وفي (م) و(ع): «﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ الآية».
(٨) الكلمة ساقطة في (م). (٩) سورة البقرة، آية ٢٣٥.
(١٠) سورة الحشر، آية ١٨. وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية».
(١١) سورة الأنبياء، آية ٩٧.
(١٢) سورة التوبة، آية ٣٨. وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾ الآية».
(١٣) سورة يس، آية ٦٥.
(١٤) سورة الزمر، آية ١٧ ـ ١٨. وفي (م) و(ع): «﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ الآية».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م).
(١٦) سورة غافر، آية ٣٢. وفي (م) و(ع): «﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ الآية».
(١٧) سورة يونس، آية ٢٥. (١٨) سورة المزمل، آية ١٧.
(١٩) سورة يونس، آية ٦١.

الفصل العشرون: في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[3].

الفصل الحادي والعشرون: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾[6].

الفصل الثاني والعشرون: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[8]، وفي قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[9].

الفصل الثالث والعشرون: في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[10]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾[11]، وفي قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[12].

الفصل الرابع والعشرون: في [٣ب] قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[13]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾[14]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾[15].

الفصل الخامس والعشرون: في قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾[16]، وفي قوله

---

(١) سورة التحريم، آية ٦. وفي (م) و(ع): «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ الآية».

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٦. (٣) سورة الأنفال، آية ٢.

(٤) سورة لقمان، آية ٢٢. وفي (م) و(ع): «﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية».

(٥) سورة مريم، آية ٨٥. وفي (م) و(ع): «﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الآية».

(٦) سورة طه، آية ١٠٨.

(٧) سورة قٓ، آية ٣٧. وفي (م) و(ع): «﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ﴾ الآية» [الحديد: ١٦].

(٨) سورة الحجر، آية ٢١. وفي (م) و(ع): «﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾».

(٩) سورة الفرقان، آية ٦٣. وفي (م) و(ع): «﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾».

(١٠) سورة الحديد، آية ١٦. وفي (م) و(ع): «﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الآية».

(١١) سورة الحديد، آية ٢٠. وفي (م) و(ع): «﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية».

(١٢) سورة الحديد، آية ٢١. (١٣) سورة الإسراء، آية ٧١.

(١٤) سورة المعارج، آية ٤٣.

(١٥) سورة النحل، آية ٧٧. وفي (م) و(ع): «﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية».

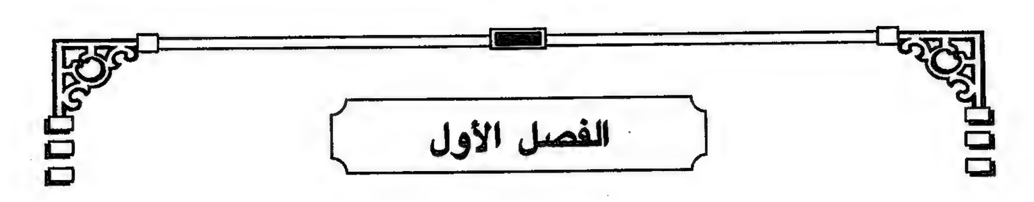
(١٦) سورة النور، آية ٤٤.

تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾[2].



(١) سورة الانفطار، آية ١.

(٢) سورة الواقعة، آية ٨٨ ـ ٨٩. وفي (م) و(ع): «﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ الآية». قال الناسخ العبد الفقير أبو بكر محمد الفهري السبتي عفا الله عنه: «رأيت أن أخرج كل خطبة من خطب هذي الفصول فصلاً على حدته ليكون أخف على القارئ وأحلى للمستمع فيصير الكتاب خمسة وسبعين فصلاً، وبالله أستعين وعليه أتوكل»، إلا أنه في (ع): «وبالله سبحانه وتعالى أستعين» بدل «وبالله أستعين».



الفصل الأول

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي تَفرَّد بالوحدانية وٱحْتَجَبَ بالعَظَمَة في الدُّنيا أنْ يُرَى، وتَوَحَّدَ بالأحَدِيَّة في قِدَمه تعالى عن قَوْلِ الجاحِدِ وما ٱفْتَرَى، و(1)جَعَلَ السَّمَاءَ مِيداناً لِخُيُولِ الكواكِبِ تَرْكُضُ مِنْ(2) شُروقٍ لِغُروبٍ بما(3) القَلَمُ جَرَى(4)، بَسَطَ الأرضَ مِهَاداً للبَسيطة(5) لِيُظْهِرَ فيها ما سَبَقَ في القدرِ(6) وما جَرَى، حُكْمُ حاكِمٍ قَضَى به(7) على الوجود بالفَنَاءِ فَنَفَذَ أمْرُه بلا ٱمْتِرَى، حُكْمُهُ نافِذٌ(8) في السمٰوات والأرْضِ وما بينهما وما تَحتَ الثَّرى، قَيَّدَ الخلائِقَ بِقَيْدِ(9) التَّكْلِيفِ وٱبْتَلَاهُم بما تَسْمَع وما تَرَى، أَحْصَى عليهم أعْمالَهُم يَقْرَؤُها يَوْمَ الحسابِ مَنْ لا قَرَا، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾(10).

يا مَنْ تُحَدِّثُهُ الحَوادِث وهو لا يَسْمَع، يا مَنْ تُنَادِيه العِبَر ارْجع إلى الطريق فما يَرْجِع(11)، جسَّ طبيبُ المَوْعِظَة(12) نَبْضَ عَزْمِكَ فما وَجَدَ في حَيَاتِكَ مَطْمَع، كم تَتَمادَى(13) في الهوى و(14)كم تُنَوِّمُ(15) في الغَفْلَةِ وثَوْبُ شبابك يُقْطَع، كم ذا التَّمادِي كم ذا التَّعامي(16) هذا فَجْرُ المشيب قد طَلَع(17)، تَبْنِي ما لا تَسْكُن وأكْثَر [٤أ] ما لا تَأكل(18) تجمَع، إذا ذَهَب منك فُلَيْس(19) تحْزَن، وتَفْرَح بعمر وَلَّى في الهوى يا ليته لو(20) رجع، أما عايَنْتَ وَضْعَ الأحبابِ

---

(1) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(2) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).

(3) في الأصل: «به»، وهي من (م) و(ع).

(4) أي: بما قدَّره الله تعالى من بقاء الدنيا إلى يوم القيامة.

(5) المهاد: الفراش. وأصل المهد: التوثير. ابن منظور، اللسان، «مهد»، ٣/ ٤١٠. والمعنى: بسط الأرض وجعلها بساطاً مُمَكَّناً للسلوك. والبسيطة: الأرض. الفيروزآبادي، القاموس، «بسط»، ص٨٥٠. وفي الكلام حذف إذ التقدير: مهاداً لأهل الأرض، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] والتقدير: «واسأل أهل القرية».

(6) في (م) و(ع): «التقدير».

(7) في (م) و(ع): «قضايه»، وهو تصحيف.

(8) في (م) و(ع): «ماض».

(9) في (م) و(ع): «بتكييف»، وهو تصحيف.

(10) سورة آل عمران، آية ٣٠.

(11) في الأصل: «رجع»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) في (م) و(ع): «المواعظ».

(13) في (م) و(ع): «تمادِ».

(14) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(15) في (م) و(ع): «يوم».

(16) في (م) و(ع): «كم ذا التعامي كم ذا التمادي».

(17) عبارة «قد طلع»، في (م) و(ع): «يطلع».

(18) عبارة «ما لا تأكل»، في (م) و(ع): «مما تأكل».

(19) في (م) و(ع): «فلس».

(20) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

في التراب في لَحْدٍ خَرابٍ بَلْقَع[1]، نُقِلُوا من فَسيح[2] القُصور إلى هَوْلٍ يَخرسُ اللسان فيه أنْ يُعَبِّرَ عما جَرَى[3]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾.

محمد بن المُنْكَدِر رحمه الله تعالى قال[4]: «كانت لي سَارية في مسجد رسول الله ﷺ أَجْلِسُ[5] إليها بالليل، فَقَحَطَ أهل المدينة سنة[6]، فخرجوا يَسْتَسْقُون فلم يُسْقَوا، فلما كان من الليل صَلَّيْتُ العشاء الآخرة[7] في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جئْتُ فَٱسْتَنَدْتُ[8] إلى ساريتي، فجاء رجل أسود تَعْلُوه صُفْرَة، مُتَّزِرٌ بكساء، و[9]على رقبته كساء أصْغَر منه، فَتَقَدَّمَ إلى السارية التي بين يدي وكنتُ خَلْفَه، فقام وصلى[10] ركعتين ثم جَلَس، فقال: يا رب خرج أهل[11] حَرَم بيتك[12] يَسْتَسْقُون فلم تُسْقِهم، وأنا أُقْسِم عليك إلا ما[13] سَقَيْتَهم.

قال ابن المنكدر: فقلتُ هذا مجنون! فما وَضَع يديه حتى سمعْتُ الرعد ثم جَاءَت السماء بشيءٍ من المطر حتى أَهَمَّني الرجوع إلى منزلي[14]، فلما سَمِعَ المطر حَمِدَ الله تعالى وأَثْنَى عليه[15] بمحامِدَ لم أَسْمَعْ مثلها[16] قط، ثم قال: ومن أنا حتى[17] ٱسْتَجَبْتَ لي، ولكن جُدْتَ بعفوك وعُذْتَ بِطوْلِك[18]. ثم قام فتوشَّحَ بكسائه[19] الذي كان مُتَّزِراً به، وأَلْقَى الكساء[20] الآخر الذي كان على ظهره بين[21] رجليه ثم قام، فلم يَزَلْ يُصَلِّي حتى أحسَّ بالصبح[22]؛ ثم[23] سجدَ وأَوْتَر، ثم[24] صَلَّى ركعتين، ثم أُقِيمَت الصلاة[25] فصلَّى الصبح

---

(١) البَلْقَع: الأرض القَفْر التي لا شيء بها. ابن منظور، اللسان، «بلقع»، ٨/٢١.

(٢) في (م): «فسح».

(٣) في (م) و(ع): «يرى».

(٤) في (ع): «وعن محمد بن المنكدر قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/١٩٠. ومحمد: هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَير بن عبد العزى التيمي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأعلام، كان من معادن الصدق، ثقة، ورعاً عابداً قليل الحديث، وكان يجتمع إليه الصالحون، توفي سنة ١٣٠هـ ـ ٧٤٨م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/١٤٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص٥٣٣.

(٥) في (م) و(ع): «كنت أجلس».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «فأسندت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «فصلى».

(١١) في الأصل: «بيت أهل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «نبيك».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «أهلي».

(١٥) عبارة «وأثنى عليه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «بمثلها».

(١٧) في (م): «حيثُ»، وهو تصحيف.

(١٨) عبارة «جدت.. إلخ»، في (م) و(ع): «عدت بحمدك وطولك». والطَوْل هو القدرة وقيل هو الغنى والفضل، يقال: لفلان على فلان طَوْل أي فضل. ابن منظور، اللسان، «طول»، ١١/٤١٤.

(١٩) في (م) و(ع): «بكسائه الثاني..».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «في».

(٢٢) في (م) و(ع): «حتى إذا أَحَسَّ الصبح».

(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٤) في (م) و(ع): «و».

(٢٥) في (م) و(ع): «صلاة الصبح».

مع الناس[1]، فلما سَلَّم الإمام خَرجَ فَخَرَجْتُ[2] [٤ب] خلْفَه حتى ٱنْتَهى إلى باب المسجد، فخرج يَرْفَع[3] ثوبه يَخُوضُ الماء، فَرَفَعْتُ خلفه ثوبي أخوضُ الماء، فلم أدْرِ أين ذهب. فلما كان في الليلة[4] الثانية صلَّيْتُ العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم جِئْتُ إلى ساريتي فٱسْتَنَدْتُ إليها[5]، فجاء وقام وتَوَشَّح[6] بكسائه، وألقى الكساء الآخر الذي[7] على ظهره على[8] رِجْلَيْه، وقام يُصَلِّي فلم يَزَلْ[9] قائماً حتى أحسَّ بالصبح سَجَدَ وأَوْتَر[10]، ثم صلى رَكْعَتَي الفجر وأُقِيمَت الصلاة، فدخل[11] في الصلاة، فدخلْتُ[12] معه، فلمَّا سَلَّم الإمام خَرَجَ وخَرَجْتُ خَلْفَه، فَجَعَلَ يمشي فٱتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ داراً قَدْ عَرَفْتُها من دُورِ المدينة، ورجعْتُ إلى المسجد. فلما طَلَعَت الشمس وصَلَّيْتُ الضُّحَى[13] خرجْتُ حتى أَتَيْتُ الدار فإذا أنا[14] به قاعدٌ يَخْرز[15]، وإذا به إِسْكافي[16]، فلما رآني عَرَفَني وقال[17]: يا[18] أبا عبد الله، مرحباً ألك حاجة، تريد[19] أن أَعْمَلَ لك خُفّاً؟ فجلستُ ثم قلت[20]: أَلَسْتَ صَاحِبي بارحةَ الأولى؟ فٱسوَدَّ وَجْهُهُ وصاحَ بي وقال: يا ٱبْنَ المُنْكَدِر ما أنت وذاك! قال: وغَضِبَ فَعَرَفْتُ ـ والله ـ الغضب منه في وجهه[21]، فقلتُ: أَخْرُجُ من عنده الآن. فلمَّا كان في الليلة الثالثة صَلَّيْتُ العشاء في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جِئْتُ إلى ساريتي[22] فَتَسَانَدْتُ إليها، فلم يجئ، فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[23] ما صَنَعْتُ! فلما أصبحْتُ[24] جلستُ في المسجد حتى طَلَعَت الشمس، وخرجْتُ

---

(١) عبارة «فصلى الصبح.. إلخ»، في (م) و(ع): «فدخل الناس في الصلاة ودخلت معه».
(٢) في (م) و(ع): «وخرجت».
(٣) في (م) و(ع): «فرفع».
(٤) في (م): «فلما كان الليلة»، وفي (ع): «فلما كانت الليلة».
(٥) عبارة «فاستندت إليها»، في (م) و(ع): «فتوسدتها»، وهو تصحيف.
(٦) عبارة «فجاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «وجاء فقام فتوشح».
(٧) في (م) و(ع): «الذي كان».
(٨) في (م) و(ع): «في».
(٩) في (م) و(ع): «فما زال».
(١٠) عبارة «أحس بالصبح.. إلخ»، في (م) و(ع): «أحس الصبح فلما أحس الصبح سجد ثم أوتر».
(١١) في (م) و(ع): «فدخل الناس».
(١٢) في (م) و(ع): «ودخلت».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) الخَرْزُ: خياطة الأدم (أي الجلد)، وقد خرز الخف وغيره يخرِزُه خَرْزاً؛ والخرَّاز صانع ذلك. ابن منظور، اللسان، «خرز»، ٥/٣٤٤.
(١٦) عبارة «وإذا به إسكافي» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «فقال».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «أتريد».
(٢٠) في (م) و(ع): «فقلت».
(٢١) عبارة «في وجهه» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) عبارة «جئت إلى ساريتي»، في (م) و(ع): «أتيت ساريتي».
(٢٣) عبارة «وإنا إليه راجعون» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٤) في (م): «أصبح».

حتى أتيتُ الدار التي كان فيها، فإذا بالباب[1] مفتوح وإذا ليس في البيت أحد، فقال لي أهل الدار: يا أبا عبد الله ما [٥] كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لمَّا خَرَجْتَ من عنده أمس بَسَط كِسَاءَه في[2] وَسط البيت، ثم لم يَدَع في بيته جلداً ولا قالباً إلا وَضَعَه في كسائه ثم حَمَله، فلا[3] ندري أين ذهب. قال ابن المنكدر: فما تركتُ في المدينة بيتاً أَعْرِفُها[4] إلا طَلَبْتُه فيها فلم أجِدْه». شعر:

أَهِيمُ بِمَحْبُوبِي فَما[5] يَعْرِفُونَه ... ولو أَنَّهم ذَاقُوا الغَرامَ لَهَامُوا

هَل الحبُّ إلا لَوْعَة مُسْتَكِنَّة ... تَنِمُّ عليها زَفْرَةٌ وَغَرَام

أَجِنُّ إذا فَاحَتْ من الغَوْرِ[6] نَفْحَةٌ ... ونَاحَتْ بأعلى الدَّوْحَتَيْن[7] حمامُ

وجَنَّ الدُّجَى ثم اسْتَتَمَّ[8] ظلامُه ... وفَاض[9] عليه للنسيم خِتَام

ونَامَ أُنَاسٌ لا مَحَبَّةَ عندهم ... وَجَفْن مُحِبِّهم[10] فَلَيْسَ يَنَام

قَضَى اللّهُ للعشاق أَنْ يَهْجُروا الكَرَى[11] ... كأنَّ[12] منام العاشقين حَرَام

أذابَ الهوى أجْسَامَهُم وقُلُوبَهم ... ولَمْ يبق إلا جلدَةٌ وعِظام

مَرَرْتُ بنادِيهم فَنَادَيْتُ رَبْعَهم ... وَقَدْ مَيَّلَتْنِي نَشْوَةٌ وهُيام

على عَذَبَاتِ الأبْرَقَيْنِ[13] خِيامُهم[14] ... عَلَيْهِنَّ مِنِّي ما حَيِيتُ سَلام[15]

[بحر الطويل]

يا طويلَ الأملِ في طَلَب الفاني، يا عَبْدَ السُّوءِ أَمَا غَذَّيْتُكَ بإحْسَاني، أَمَا خَلَقْتُكَ بِيَدي، أَمَا

---

(١) في (م) و(ع): «باب الدار».
(٢) عبارة «بسط كساءه في»، في الأصل: «بسط كفيه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «ولا».
(٤) عبارة «فما تركت .. إلخ»، في (م) و(ع): «فما تركت داراً بالمدينة أعلم».
(٥) في (م) و(ع): «وما».
(٦) الغَوْر: المنخفض من الأرض، وهو تهامة وما يلي اليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٢١٦.
(٧) الدَّوحة: الشجرة العظيمة المتسعة. ابن منظور، اللسان، «دوح»، ٢/٤٣٦.
(٨) في (م) و(ع): «استمر».
(٩) في (م) و(ع): «وفُضّ».
(١٠) في (م) و(ع): «محبيكم».
(١١) الكرى: النوم، والكرى النعاس. ابن منظور، اللسان، «كرا»، ١٥/٢٢١.
(١٢) في الأصل: «كل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) الأبرقان: هو تثنية الأبرق، وإذا جاؤوا بالأبرقين في شعرهم هكذا مثنى، فأكثر ما يريدون به أبرقي حجر اليمامة، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٦٦.
(١٤) في الأصل: «خيمهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «ما حييت»، في الأصل: «تحية و» وهو لا يستقيم مع وزن البيت، والتصويب من (م) و(ع).

نَفَخْتُ فيك مِنْ رُوحي، أَمَا عَلِمْتَ فِعْلِي بِمَنْ عَصَاني، أَمَا تَسْتَحِي تَذْكُرُني في الشَّدائِدِ وفي الرَّخاءِ تَنْسَاني، عَيْنُ بَصيرتِك أَعْمَاها الهَوى قُلْ لي بماذا تَرَاني، هذا إِكْحَالُ[1] الموعظة، فكم ذا التَّواني، إِنْ صَالَحْتُكَ على صَلاحِكَ لي أَعْطَيْتُكَ[2] أَمَاني، أَتْرُكْ داراً صَفْوها كَدَر وما لها [٥ب] أَمَان[3]، بعتَ وَصْلِي ـ ويحك ـ بالدُّونِ ولَيْسَ لي في الوُجُود ثَاني، اعْطِفْ إلى جادَّةِ الجدِّ تَجِدْني، وكُنْ لِعَطْفَتِك[4] ثَاني[5]، ما جَوابك إذا أَشْهَدْتُ[6] عليك الجوارح بما تَسْمَع وترى[7]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾.

قال يحيى بن أيوب رحمه الله تعالى[8]: «خَرَجْتُ يوماً إلى مقابر باب خُراسان[9]، ثم جَلَسْتُ في موضع أرى مَنْ يدْخُل المقابر، فَنَظَرْتُ إلى رجلٍ دَخَلَ المقابر مُتَقَنِّعاً[10] فَجَعَلَ يَجُول[11] في المَقابر، فكُلَّما رأى قَبْراً مَفْتُوحاً مُنْخَسِفاً وَقَّف عليه يبكي[12]، فَقُمْتُ إليه عسى[13] أَنْ أَنْتَفِعَ به. فلما سِرْتُ[14] إليه فإذا[15] هو سعدون المعتوه[16]، وكان في كوخ[17] في مقابر عبد الله بن مالك رحمه الله تعالى[18]، فقلتُ له: يا سعدون، أي شيءٍ تَصْنَع هاهنا؟

---

(١) في (م) و(ع): «كحّال»، وهو تصحيف. والإكحال: شدة المَحْل، والكَحْل: السنة الشديدة. ابن منظور، اللسان، «كحل»، ١١/٥٨٥. وإكْحال الموعظة: أي عدم الاستفادة منها والتأثر بها مع شدَّتها.

(٢) في (م) و(ع): «إن صالحتك أعطيتك على صلاحك».

(٣) عبارة «أترك داراً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «العطفك».

(٥) وهي من الثناء.

(٦) في (م) و(ع): «شهدت».

(٧) في (م) و(ع): «وما ترى».

(٨) عبارة «يحيى بن أيوب»، في الأصل: «يحيى بن أبي أيوب»، والتصويب من (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٥١٢. ويحيى: هو أبو زكريا يحيى بن أيوب البغدادي المعروف بالمقابري، كان من خيار عباد الله صالحاً صادقاً صاحب سكون ودعة، ومن أهل السنّة، توفي سنة ٢٣٤هـ ـ ٨٤٨م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٣٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ، ص٣٩٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/٧٩.

(٩) باب خراسان هو أحد أبواب مدينة بغداد الأربعة؛ حيث كان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٤٥٩، بتصرف.

(١٠) في (م) و(ع): «مُقَنَّعاً».

(١١) عبارة «فجعل يجول»، في (م) و(ع): «فجعلت أنظر وهو يجول».

(١٢) في (م) و(ع): «وبكى».

(١٣) في (م) و(ع): «رجاء».

(١٤) في (م) و(ع): «وصلت».

(١٥) في (م) و(ع): «إذا».

(١٦) يقال اسمه سعيد، وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون، من أهل البصرة، كان من عقلاء المجانين وحكمائهم له أخبار ملاح، وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن، وكانت وفاته بعد ٢٥٠هـ ـ ٨٦٤م. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٩/٣٧١. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٥١٢. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٢/٤٨.

(١٧) في الأصل و(م) و(ع): «كَرْخ»، وقد وردت بلفظ «كوخ» في الصفة، وهي الأصوب.

(١٨) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). ومقابر عبد الله بن مالك بالجانب الشرقي من بغداد.

فقال: يا يحيى هل لك أنْ تَجلسَ نَبْكي على بِلَى هذه الأبدان قبل أن نَبْلَى فلا يَبْكي علينا باك. ثم قال: يا أخي، يا يحيى، البُكَى مِن القُدوم على الله تعالى أَوْلَى من البكاء على بلاء هذه الأبدان[1]. ثم قال: يا يحيى ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[2] ثم صاح صيحة شديدة، فقال[3]: واخَوْفَاهُ[4] بالله مما[5] يُقَابِلُنِي من الصُّحُفِ. قال يحيى: فَغُشِيَ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ وهو جالسٌ يَمْسَحُ وجهي بِكُمِّهِ ويقول[6]: يا يحيى مَنْ أَشْرَف منك لو مُتَّ مَكَانك». شعر:

كَلَّفْتَنِي وَجْداً فَلَسْتُ أُطِيقُ ... وسقيتني صِرفاً[7] فَلَسْتُ أفيقُ
وسَدَدْتَ عني بابَ وَصْلِك قاصداً ... لمّا صَدَدْتَ[8] فما إليك[9] طريق
وجَعَلْتَنِي أَصْلَى بنار تَشَوُّقي ... فأنا إليكَ مَدَى الزمانِ مَشُوق
شَهِدَتْ لي[10] الزفَرات أنَّ[11] بباطِنِي ... كَبِداً أَثْوَى[12] فِيهَا جَوى[13] وحريق
إنْ لم أَرِقْ دَمْعِي عَليك[14] صَبَابَةً[15] ... فَلِأَيِّ شَيْءٍ بَعْدَ ذاك أُرِيقُ [٦أ]
فَلِإلامَ لا وَصْل أُسَرُّ بِقُرْبه[16] ... والوَعْدُ ليس يُرَى له تَحْقِيق
لا راحةٌ للعاشقين مع الهوى ... بُعْدٌ[17] ولا قُرْب ولا تفريقُ[18]
ارفِقْ عليَّ وداوِ من أمرضْتَهُ ... إنَّ الطبيبَ مع[19] المريض رَفيق[20]

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمدُ لِلّه المُنْفَرِد بِعِلْمِ ما تُكِنُّه الضَّمائر ويَهْجِسُ[21] في الأسرار، ليس له في خَلْقِه شَرِيكٌ

---

(١) عبارة «يا أخي يا يحيى . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) سورة التكوير، آية ١٠.
(٣) في (م) و(ع): «ثم قال».
(٤) في (م): «واغوثاه»، وفي (ع): «يا غوثاه».
(٥) في (م) و(ع): «ماذا».
(٦) في (م) و(ع): «وهو يقول».
(٧) الصِّرف: الخالص من كل شيء، وشراب صِرف أي بحت لم يُمزج. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ٩/١٩٢.
(٨) في الأصل: «مددت»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «إليه».
(١٠) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) الثواء: طول المقام، وأثويت بالمكان: أطلت الإقامة به. ابن منظور، اللسان، «ثوا»، ١٤/ ١٢٥.
(١٣) الجوى: الحرقة وشدة الوَجْد من عشق أو حُزن. ابن منظور، اللسان، «جوا»، ١٤/١٥٧.
(١٤) في (م) و(ع): «عليه».
(١٥) في الأصل: «صبابتي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «فإلام.. إلخ»، في الأصل: «فاللزم على وصل أسير بقربه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م): «تقضى».
(١٨) عبارة «بعد.. إلخ»، في (ع): «إن الطبيب على المريض رفيق».
(١٩) في (م): «على».
(٢٠) البيت ساقط في (ع).
(٢١) الهجس: ما وقع في خلدك، والهاجس: الخاطر. ابن منظور، اللسان، «هجس»، ٦/٢٤٦.

ولا مُعِينٌ ولا أعْوان ولا أنصار، جَلَّ عن المِثَالِ والأَمْثَالِ والحُدودِ والجِهات والأقطار، تَقَدَّسَ عن أنْ يَحْصُرَهُ فِكْرٌ أو يَحدَّه أَيْنٌ أو يُدْرِكَهُ وَهْم، وتَنَزَّه عَن الهَيْئَة والمِقْدَار، عَجَنَ طِينَةَ الخلائق بالعَجْزِ عن إدراكِ كُنْهِ ذَاتِه جَلَّ الواحد القَهَّار، فَكَمَالُ الوجود بِيَدِ مَنْ يُحْيِي آيات الليل وجَعَلَ آياتِ النَّهار مُبْصِرَةً للأبصار[١]، وكيف لا وكُلٌّ[٢] مَقْهُورٌ بمقْدارِ[٣] الأَقْدَار، مَزَجَ صَفْوَهُ بِكَدَرِ الشَّهْوَة وغَيَّر بَصِيرَتَهُ بِغِيار الأَغْيَارِ[٤]، أقامَ عليه رَقِيبَ الأمْرِ وعَتِيدَ[٥] النَّهْيِ، فهو بَيْنَهُما[٦] في شَدائِد وأخْطار، يُحْصِي عليه ديوان أعْمالِه كَبَائرها والصِّغَار[٧]، و[٨]يُدْفَنُ معه في بيتٍ مُظْلِم خَراب بَلْقَع تَنْسَاه[٩] العُوَّاد وتَمَلُّه[١٠] الزُّوَّار، يَنْفَرِدُ بِأَحْزَانِهِ فما أطْوَلَها مِن[١١] غُرْبَةٍ! وما أَهْوَلَها مِن دار! ثم يُحَاسَب على ما كَسَبَتْ يَداه؛ فإما إلى جَنَّةٍ وإما[١٢] إلى نار، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[١٣].

يا مَنْ تَنَعَّم[١٤] في لَيْلِ الهوى[١٥] متى يَبْدُو من التوبة الصَّبَاح، يا مَنْ غَرَّه الشَّبَاب هذا فَجْرُ[١٦] المشِيبِ لاح، أتْلَفْتَ قُوَّتَكَ في الصِّبا[١٧] وفي الكِبَر تَرْجُو الصَّلَاح[١٨] [٦٦ب]، يا كُهُولَ البَطالة قَصَّ الهَرَمُ من عَزَائِمِكُم الجَنَاح، أَمَلُكَ في الهِنْدِ ورُبَّما كان[١٩] نعشكَ عند الصَّباح[٢٠]، أين مَنْ حَصَّنَ الحُصُونَ وغَدَا في لَهْوِه وراح، أَبَادَهُم[٢١] الحَدَثانِ[٢٢] فكم لهم تحتَ اللُّحودِ ـ لو سَمِعْتَ ـ مِن صِياح، يَوَدُّ أَحَدهم ساعةً مِن عمره[٢٣] عَسَاهُ بالإقَالَةِ يَرْتَاح،

---

(١) عبارة «فكمال الوجود. . إلخ»، في (م) و(ع): «فكمال الوجود المدّ» وفيها سقط وتصحيف.

(٢) في (م) و(ع): «وهو».

(٣) في (م) و(ع): «بمقادير».

(٤) الأغيار جمع غِيَر: من تغيُّر الحال، وغِيَر الدهر أحواله المتغيِّرة. ابن منظور، اللسان، «غير»، ٥/ ٤٠. والمراد: الأهواء وتقلباتها.

(٥) أي شديد النهي.

(٦) في (م) و(ع): «بينهم».

(٧) الكبائر: «هي كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنّة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه؛ وذلك كالإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر. . .» ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٠. والصغائر: «هي كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش». القرطبي، الجامع، ١٧/ ١٠٨.

(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «ينساه».

(١٠) في (م) و(ع): «يمله».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) كلمة «وإما» في (م) و(ع): «أو».

(١٣) سورة إبراهيم، آية ٤٨.

(١٤) في (م) و(ع): «تغشى».

(١٥) في (م) و(ع): «هواه».

(١٦) في (م) و(ع): «دليل».

(١٧) في (م) و(ع): «القوت».

(١٨) في (م) و(ع): «الفلاح».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «الصَّلَاح».

(٢١) في (م) و(ع): «أبانهم».

(٢٢) حدثان الدهر وحوادثه: نُوَبه. ابن منظور، اللسان، «حدث»، ٢/ ١٣٢.

(٢٣) في (م) و(ع): «عمرك».

يا مَعْشَرَ المذنبين هذا مَأْتَمُ الأحزان فأين البُكَاء وأين النِّيَاح[1]، إنْ فَاتَكَ طِبُّ وَعْظِي فَستَقْوَى عليك الجراح، اجْذِبْ نَصْلَ ذَنْبِك بالتَّنَصُّل لَعَلَّكَ تَلْحَقُ[2] بالصِّحَاح، سَيَنْدَمُ المُفَرِّطُون يومَ هَتْكِ الأَسْتَار، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

قال أبو جعفر الصَّفار[3] رحمه الله تعالى: «خرجْتُ من بيتي في[4] يوم مَطِير، فإذا أَسْودُ مَطْرُوح على مَزْبَلَةٍ مَرِيض. قال: فَجَرَرْتُه فَأَدْخَلْتُه[5] إلى بيتي، فلمَّا أَمْسَيْنا دَعَاني وقال: يا أبا جعفر، لا تُفْسِدْ ما صَنَعْتَ، أُقْعُدْ عندي. قال: وَفَاحَ البيت بريح المِسْكِ وصار رِيحُ المسك في جُبَّتِي وكِسَائي وجَرَّتي وأَكْوَازِي وكل شيء[6] في البيت فيه[7] رِيح المسك. قال[8]: ثم قال بيده هكذا: لا تُضيِّقَنَّ على جُلَسَائي[9]، فَسَمِعْتُه[10] يقول: برَّكْ[11] يا بار ارْفِقْ بي[12]، يا مَوْلاي. قال[13]: ثم خرجَتْ نَفْسُه. فقلْتُ: أَبيع جُبَّتِي، أَبيع كسائي، وأَشْتَري[14] له كفناً. قال: فَطَرَقَ بابي نحوٌ[15] مِن سبعين إنساناً كلّ يقول: يا أبا جعفر مات عندك إِنسانٌ يَحْتَاجُ إلى كفن»[16]:

أَشْكُو إِلَيْكم[17] تَبَارِيحي[18] وأَشْوَاقي ... وما أُلاقي بِكُم مِنْ فَيْضِ آمَاقِي[19]

وَلَوْعَة سَكَنَتْ بَيْنَ الجَوَانِحِ ما ... أَلْقَى لها يَوْمَ بَيْنِ عنكمو[20] راقي

---

(١) في (م) و(ع): «النواح».
(٢) في (م) و(ع): «تتلحق».
(٣) في (م) و(ع): «قال أبو جعفر السقا». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٥٠٦.
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «وأدخلته».
(٦) في (م) و(ع): «وفي كل شيء..».
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) عبارة «لا تضيقَنَّ.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا تضيِّعَنَّ عليَّ جلسائي».
(١٠) في الأصل: «وسمعت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «ايدك ايدك»، وهو تصحيف، وصوابها: «اندك اندك» وهي كلمة فارسية معناها «قليلاً قليلاً». محمد التونجي، المعجم الفارسي العربي الموجز، ص٣٠.
(١٢) في (م) و(ع): «يا بارخداه ارفق بي»، و«بارخداه» كلمة فارسية معناها: الله جل شأنه. محمد التونجي، المعجم، ص٣٩.
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «نشتري»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «فطرق بابي نحو»، في (م) و(ع): «وطرق الباب قريب».
(١٦) في (م) و(ع) كفن شعر.
(١٧) في (م) و(ع): «إليك».
(١٨) التبريح: المشقة والشدة. ابن منظور، اللسان، «برح»، ٢/٤١٠.
(١٩) آماق: جمع مأق، وهو مجرى الدمع من العين. الفيروزآبادي، القاموس، «مأق»، ص١١٩١.
(٢٠) عبارة «يوم بين عنكمو»، في الأصل: «يوم وصل منكم»، والتصويب من (م) و(ع). والبَيْن: الفُرْقة. ابن منظور، اللسان، «بين»، ١٣/٦٢.

أَخَذْتُمُ القَلْبَ مِنْ جِسْمٍ بكم دَنِف[1] ... يَوْمَ الرَّحِيلِ لِمَنْ خَلفْتُمُ البَاقِي [١٧أ]
أَيْنَ الذي قَدْ مَضَى بَيْنِي وبَيْنَكُم ... مِنَ الوِصَالِ ومِن عَمْد ومِيثَاق[2]
خَلَّفْتُمُوني طَرِيحاً عِنْدَ كَاظِمَةٍ[3] ... دَمْعِي شَرَابي وَلِي مِنْ ذِكْرِكُم سَاقِي
مَن لي[4] يُبلغُكُم مِنّي السَّلامَ وَمَن ... يَهْدِي إِلَيْكُم تَبَارِيحي وأَشْوَاقِي
أَشْعَلْتُمُ في الحَشَى نَاراً لبُعْدكُم ... فَهَلْ يَحِلُّ لَكُم بالنَّارِ إِحْرَاقي
الوَصْلُ مِنكم شِفائي والنَّوى[5] ألمِي ... وحُبُّكُم هو طِبِّي وهو تِرْيَاقي[6]

[بحر البسيط]

واعَجَبَاهُ! كَمْ أُحَدِّثُ قَلْبَكَ وما عنده[7] خَبَر، ضَيَّعْتَ شَبَابَك[8] وتَبْكي عند الكِبَر، كيف آستَلَنْتَ فراش[9] المعاصِي، ما الذي[10] أعْمَى منك البَصَر، تَعْصِي مَنْ خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، وقَدَّر عليك بما[11] قدَّر، وبِيَدِهِ خَزَائن السَّمٰوات والأرض[12] ولو[13] يسْتَقْرِض مِنْكَ تَبْخل[14] والذي عندك مُحْتَقَر، و[15]له البَحْرُ المَسْجُور[16] ويَطْلُبُ منك دَمْعَةً لِتُطْفِي بها[17] لَهِيبَ سَقَر، جَفَّتْ عُيونك من ماء الخَشْيَةِ ومَا لك عِبْرة فيمن غَبَر، ما أَرَى الشقاء إلا في أَصْلِ الفِطْرَة، لا

---

(١) الدَّنِفُ: المرض اللازم المُخامِر، ورجل دنف: براه المرض حتى أشفى على الموت. ابن منظور، اللسان، «دنف»، ٩/ ١٠٧.

(٢) البيت في (م) و(ع):
«يا سادتي أين ما بيني وبينكمو ... من الوصال ومن عهد وميثاق»
وقد ورد فيهما تالياً للبيت الثاني: «ولوعة سكنت...». والعَمْد ضد الخطأ، وعَمَده يعمده عمداً: قصده. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣/ ٣٠٢.

(٣) هي موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٤٣١.

(٤) في (م) و(ع): «ذا».

(٥) النَّوَى: هو التحول من مكان إلى مكان آخر أو من دار إلى دار غيرها كما تَنْتَوي الأعراب في باديتها. ابن منظور، اللسان، «نوى»، ١٥/ ٣٤٧.

(٦) في (م) و(ع): «درياقي». والتِّرياق: ما يستعمل لدفع السُّم من الأدوية والمعاجين ويقال: درياق. ابن منظور، اللسان، «ترق»، ١٠/ ٣٢.

(٧) في (م) و(ع): «عندك».

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «في البطالة».

(٩) في (م): «فرش».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ما».

(١٢) كلمة «والأرض» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في الأصل و(م) و(ع): «وتبخل»، والصواب ما أثبتناه.

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) سَجَره يَسْجُره: ملأه، والمسجور: المملوء. ابن منظور، اللسان، «سجر»، ٤/ ٣٤٥.

(١٧) في (م) و(ع): «لتطفي بها عن نفسك».

حِيلَةَ في الأَطْرُوش[1] ولا طِبَّ في الأعمى وَقَدْ عُدِمَ البصر، فبالله يا أخي بادِر التوبة قبل ظهور الأسرار[2]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

قال أبو هشام رحمه الله تعالى[3]: «قَدِمَتْ علينا امرأةٌ من أهْلِ اليَمَن يُقَال لها «سَوِيَّة»[4]، فنزلَتْ في بعض رِبَاعِنا، وكنتُ[5] أسمع لها بالليل نَحيباً وشَهيقاً. فقلتُ للخَادِم[6]: أشْرِفي على هذه المرأة فانْظُري ما تَصْنَعُ بنفسها[7]. فأشرفَتْ فإذا هي قائمةٌ مُسْتَقْبِلَةٌ القِبْلَة رافعةٌ رَأْسها إلى السماء[8]، لا تَرُدّ طَرْفَها عن السماء. فقلتُ: اسْمَعِي [٧ب] ما تَقُول. قالت[9]: ما أفْهَم كثيراً مِنْ قَوْلها غَيْرَ أنِّي سَمِعْتُها[10] تقول: أراكَ خَلَقْتَ سوية مِن طِينٍ لازِبة[11]، وغَمَرْتَها بنِعْمَتِك[12]، تَغْذُوها[13] من حال إلى حال، وكلّ أحْوالِك لها حَسَنة، وكلّ بَلائِك عندها[14] جميل، وهي مع ذلك مُتَعَرِّضَة لِسَخِطِكَ بالوُثُوبِ على مَعَاصِيك، فَلْتَة[15] في إِثْرِ فَلْتَة، أتَرى أنها[16] تظن أنك لا ترى سُوء فِعْلِها[17]؟ بلى، وأنت على كل شيء قدير. قال: ثم خَرَّت[18] وسَقَطَتْ. فَنَزلَت الجارية فَأخبَرَتْني بَسْقَطَتِها[19]، فلمَّا أصْبَحْنا نَظَرْنا إليها[20] فإذا هي قد ماتَتْ رحمها الله تعالى[21]». شعر:

---

(١) الأطْرُش والأطْرُوش: الأصم، وقد طرش طرشاً، ورجال طُرْش. ابن منظور، اللسان، «طرش»، ٦/٣١١.

(٢) في (م) و(ع): «ظهور الأسرار وهتك الأستار».

(٣) في الأصل: «أبو هاشم»، والتصويب من (م) و(ع) والصفة. والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٣٠٢. وأبو هشام رجل من قريش من بني عامر. ابن الجوزي، الصفة، ٢/٣٠٢.

(٤) في (م) و(ع): «سرية»، وسوية هي عابدة من عابدات اليمن. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٣٠٢. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ٢/٢٧٣.

(٥) في (م) و(ع): «فكنت».

(٦) في (م) و(ع): «للخادمة». والخادم تطلق على الذكر والأنثى.

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «فقلت ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنها».

(٩) في (م) و(ع): «فقالت».

(١٠) في (م) و(ع): «أسمعها».

(١١) في (م) و(ع): «خلقت سرية من طينة لازبة». وطين لازِب أي لازق. ولَزَبَ الطين يَلْزُبُ لُزُوباً، ولَزُبَ: لصِقَ وصَلُب. ابن منظور، اللسان، «لزب»، ١/٧٣٨.

(١٢) في (م) و(ع): «نعمتك».

(١٣) في الأصل: «تغذيها»، والتصويب من (م) و(ع). وغَذَا يَغْذُو أي أسرع، وغذا الماء يَغْذو إذا مرَّ مرّاً سريعاً. ابن منظور، اللسان، «غذا»، ١٥/١٢٠.

(١٤) في (م) و(ع): «لها».

(١٥) الفلتة: الأمر يقع من غير إحكام. ابن منظور، اللسان، «فلت»، ٢/٦٧.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فعالها».

(١٨) في (م) و(ع): «خرجت»، وهو تصحيف.

(١٩) في (م) و(ع): «سقطتها».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) الكلمة ساقطة في (م).

يَهِيجُ لي[1] ذِكْر الحبيب صَبَابَةً ... إذا ما بَدا مِنْ نَحْوِهِ البَرْقُ يَلْمَعُ
فإنْ هَبَّ لي منهم نَسِيمٌ تَخالني ... أَخَا دَنَفٍ أَحْشاءَه تَتَقَطَّعُ[2]
لِمَنْ حُبُّه في كلِّ قَلْبٍ كأنه ... شِفَاءُ الضَّنَى المُعْتَادُ[3] بل هو أَنْفَعُ
ومَنْ ذِكْرُه يُسْلِي الحزينَ[4] كأنما ... سَرَى منه للأسْماعِ بُشْرَى ومَرْجِعُ
ومَنْ لاسْمِهِ في كلِّ قَلْبٍ حلاوة ... هو الشَّهْدُ[5] طعماً أو[6] ألذُّ وأنْجَعُ
إذا ما جَرَى ذِكْر الحبيب تَفَطَّرَتْ[7] ... لِذِكْرِهِ[8] أكْبَادٌ رِقَاقٌ وأضْلُعُ
له مَوْقِعٌ في كلِّ قلبٍ كأنما ... به في رياضِ جنة الحُسْنِ يَرْتَعُ[9]
تَفُوقُ صِفاتِ الواصِفِين صِفَاتُهُ ... على أنَّها تَدْعُو لِنَيلٍ[10] وتُطْمِعُ

[بحر الطويل]

ويحكَ تُبَارِزُ[11] بالمعاصي مَنْ خَوَّلَكَ[12]، يا عَبْدَ السُّوء كم تَعْدِلُ عن طريق[13] مَنْ عَدَلَكَ[14]، أظَنَنْتَ أنَّه أهمَلَكَ! إنما أمْهَلَكَ[15]، إن سُئِلْتَ للطاعة[16] أبْطَأْتَ وللمعاصي[17] ما أعْجَلَكَ، يا مَأسُوراً في سجن [٨أ] الغفلة لا يَدْرِي حيثُ سَلَكَ، أعْمَتْ بَصِيرَتَكَ الشهواتُ فَأنْتَ هَالِكٌ فيمن هَلَكَ، مَلأْتَ ديوانَكَ بالجرائم وَمَلِكُ المَوْت مُلِّكَ[18]، هدَّ الهرم من عمرك

---

(١) عبارة «يهيج لي»، في الأصل: «يهيم له»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «تنقطع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع). والضَّنَى: السَّقيم الذي قد طال مَرَضه وثبت فيه. والضنى: المرض. ابن منظور، اللسان، «ضنا»، ١٤/ ٤٨٦.

(٤) عبارة «يسلي الحزين»، في الأصل: «يحلو الحنين»، والتصويب من (م) و(ع). والسلو: النسيان، سلاه وسلا عنه: نسيه، وأسلاني من همي: أي كشفه عني. ابن منظور، اللسان، «سلا»، ١٤/ ٣٩٤.

(٥) عبارة «هو الشهد»، في (م) و(ع): «وللشهد».

(٦) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «تقطعت».

(٨) في (م) و(ع): «الذكراه».

(٩) في (م) و(ع): «ترتع».

(١٠) في الأصل: «النيع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «كم تبارز».

(١٢) الخَوَل: ما أعطى الله تعالى الإنسان من العبيد. وخوَّلك الله مالاً أي ملّكك، وخوَّله المال: أعطاه إياه تفضُّلاً. ابن منظور، اللسان، «خول»، ١١/ ٢٢٥.

(١٣) في الأصل: «الطريق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) إذا مال شيء، قلت: عدلته أي: أقمته فاْعتدل أي اْستقام، فعدلك بمعنى سوَّاك وقوَّمك من قولك عدلت الشيء فاْعتدل أي سوّيته فاْستوى. وعَدَل عن الشيء يَعْدِل: حاد. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(١٥) عبارة «إنما أمهلك» في (م) و(ع): «وما أهملك».

(١٦) في (م) و(ع): «الطاعة».

(١٧) في (م) و(ع): «وللمعصية».

(١٨) عبارة «وملك الموت مُلّك»، في (م) و(ع): «ومُلّك الملك». والمعنى: أن مالك الموت كلّف قبض روحك.

وٱنْقَطَع من القُوَى كَلْكَلك[1]، بادِر ساحل التوبة قَبْلَ أنْ تَصِلَ النَّوْبَة[2] لك، إلى أي[3] يوم تَدَّخِر التوبة لا أمَّ لك، طابَ السماع لَيْتَ شِعْري ما الذي[4] شَغَلَكَ؟ إنِ ٱنْفَضَّ[5] المجلس ولم تَتُب فأنت مَطْرودٌ ما قَبِلَك، إذا رأيْتَ مَحامِلَ التائبين تَمُرُّ بك فَعَلِّق بِأذْيالهم أمَلَك، بادِرْ باب الحبيب قبل أن يَطْوي الدُّسْتُورَ المَلَك، وتَنْدَمُ حيثُ لا يَنْفَعُكَ الندم والٱعْتِذار ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

قال ابن صبح رحمه الله تعالى[6]: «قلتُ لأبي عبد الله البَرَاثي[7]: لِمَ تبكي هذا البكاء صباحاً ومساءً[8]؟ فأخرجَ إليَّ يده[9] وإذا على إصْبَعه شعرة مَلْفُوفَة فَنَشَرها، ثم قال: يا سعيد[10] إذا كان الجواز على مثل هذا[11] فأي قَدَمٍ تَثْبُتَ[12] على مثل هذه؟ ثم أخذ في البكى[13]». شعر:

متى أراكم[14] على ضَعْفِي تَحِنُّونا	يا مَنْ جَفونا وقالوا ما تُريدُونا[15]
عَذَّبْتُمونا بِطُولِ الهَجْر والأَسَفِ	بحرمة العَهْدِ عُودوا ثم عُودُونا
بحقِّ عَهْدٍ تقضَّى مِن وِصالِكُمُ	إلَّا مِنَ[16] الباب حقاً لا تردونا[17]
وعَذِّبُوا[18] ما اسْتَطَعْتُم يا أحِبَّتَنا	إنْ كان تُرْضِيكم البلوى فَزِيدُونا[19]
واذلّ مَن رام تَقْريباً لِغَيركم	أو هَمَّ يَبْغي سواكم كان مجنونا

(١) عبارة «هدّ الهرم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والكلكل: الصدر من كل شيء، وقيل هو ما بين التَرْقُوَتَيْن. ابن منظور، اللسان، «كلل»، ٥٩٦/١١.

(٢) عبارة «تصل النوبة»، في الأصل: «تصير التوبة»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: قبل أن يصل الموت إليك، فيتخطى غيرك إليك كما تخطاك إلى غيرك من قبل.

(٣) عبارة «إلى أي»، في (م) و(ع): «لأي».

(٤) في (ع): «أزرى».

(٥) في (م) و(ع): «انقضى».

(٦) في (م) و(ع): «سعد بن صبح قال.. إلخ». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٨٨/٢، وإنما قال: «عن أبي مريم قال: قلت.. إلخ».

(٧) عبارة «لأبي عبد الله البراثي»، في (م) و(ع): «العبد الله البراثي»، وهو تصحيف. وأبو عبد الله: هو أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي الزاهد، كان معدوداً في جماهير المعتبرين، ومن مشاهير المتعبدين. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٣٧/١٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٠٣/١٤. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٨٨/٢.

(٨) في (م) و(ع): «مساء وصباحاً».

(٩) في الأصل: «يديه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «سعد».

(١١) في (م) و(ع): «هذه».

(١٢) في الأصل: «يثبت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م): «البكاء».

(١٤) في الأصل: «أرى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يريدونا».

(١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) عبارة «إلا من الباب.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن كان يرضيكم البلوى فزيدونا».

(١٨) في الأصل: «وعذبونا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) عبارة «إن كان ترضيكم.. إلخ»، في (م) و(ع) «إلا من الباب حقاً لا تردونا».

فأنْعِشُونا بِقُرْب[1] من دياركم وبالتَّحية حيُّونا وأحْيُونا[2] [٨ب]

[بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

والحَمْدُ لِلَّهِ الذي لا تُخالِطُه الأوْهَامُ ولا تُحِيطُ به الظُّنون، يَعْلَمُ هَاجِسَ الهَاجِسِ في خَاطِرِ الخَاطِر[3] وما تُخْفِي العُيون، ٱسْتَوَى على العَرْشِ وهو مَعَكم تعالى على الحَرَكَة والسُّكون[4]، رَفعَ السَّماءَ على عَمَدِ القُدْرَةِ وأسْكَنَها ملائكة عَنْ ذكْره وعبادَتِه لا يَفْتُرون، سَخَّرَهم فيما شاءَ مِنْ أفْعاله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[5] دَحا[6] الأرْضَ على بَحرِ زَاخِرٍ سَجَنَه بِقَهْرِه فهو مَسْجُون، مَهَّدَها للخلائِقِ[7] وبَثَّ فيها أقْوَاتَهم فمنها يُرْزَقُون، منها خَلَقَهُم وفيها يُعِيدُهم ومِنْها يُخرجُون[8]، أرْسَلَ إليهم الرُّسل تَدُلُّهم عليه فهذا مَقْبُولٌ وهذا مَفْتُون، فالعارِفُونَ شَمَّروا عَنْ ساقِ الجِدِّ وأَهْلُ الغَفْلَة في لَهْوِ الهوى يَلْعَبُون، كم أَطَالُوا نَوْمَ الغَفْلَةِ على فِراشِ البَطَالَة لا يَسْتَيْقِظُون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[9]، فَسُبْحَانَ مَنْ يقول لِشَيءٍ[10] يُريدُ تَكْوِينَه[11] كُنْ فَيكُون، أَحْمَدُه حَمْدَ مَنْ يَعْلم[12] أنه يَعْلَمُ ما كان وما يكون، وأَشْهَدُ أنْ لا إلـه إلا الله وَحْده لا شَريكَ له شَهادَةً أَسْتَوْدِعُها[13] لِيوم المَنُون، وأَشْهَدُ أنَّ محمداً عَبْدُه ورسوله الذي أَوْدَع عنده سِرّه فهو مَصُون، صلى الله عليه وسلم[14] وعلى آله وأصحابه ما رَكَعَ الراكعون وسَجَد الساجدون.

---

(١) في الأصل: «على قرب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «حيونا»، وهي من (م) و(ع).
(٣) في (م): «خاطر الحاضر»، وفي (ع): «الخاطر الحاضر».
(٤) عبارة «وهو معكم. . إلخ» في (م) و(ع): «وهو معكم بعلمه يعلم ما تفعلون».
(٥) قوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة التحريم، آية ٦. وجمهور الملائكة مشغولون بالتعبد كما قال الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. فمنهم قيام في التعبد، ومنهم ركوع ومنهم سجود، وكل من رتب لعبادة فهو مقيم عليها إلى يوم القيامة. ومن الملائكة موكل بعمل؛ فمنهم حملة العرش قد وكلوا لحمله، وجبريل هو صاحب الوحي والغلظة، فهو ينزل بالوحي ويتولى إهلاك المكذبين، وميكائيل صاحب الرزق، وإسرافيل صاحب اللوح والصور، وعزرائيل قابض الأرواح، ومنهم كتاب على بني آدم، وهم المعقبات ملكان في الليل وملكان في النهار. ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ١٩٢.
(٦) دحا الأرض يدحوها دَحْواً: بَسَطها. ابن منظور، اللسان، «دحا»، ١٤/ ٢٥١.
(٧) عبارة «مهدها للخلائق»، في الأصل: «مهد مهاداً للخلائق»، وفي (م) و(ع): «مهد مهاد الخلائق»، والصواب ما أثبتناه. ومَهَّدَها أي بسطها، ومهد الأرض مهداً: بسطها ووطَّأها أي جعلها مكاناً وطيئاً سهلاً. ابن منظور، اللسان، «مهد»، ٣/ ٤١٠، بتصرف.
(٨) في الأصل: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها تخرجون»، وهي من (م) و(ع) لموافقة السياق.
(٩) سورة المؤمنون، آية ٩٩.
(١٠) في (م) و(ع): «للشيء».
(١١) عبارة «يريد تكوينه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «شهد».
(١٣) في (م) و(ع): «أستودعها عنده».
(١٤) كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

ويحك إذا حَضَرْتَ المجلس تَقول[1] أتوب، يا طالباً للفاني وهو بالباقي مَطْلُوب، يا يوسف الأسف متى ترى يعقوب[2]، تَدَّعي أنَّكَ بِطَلَبِ الدنيا كاسِبٌ وأنْتَ بالقبر مَكْسُوب، كم تَسْلِبُكَ [١٩] الأيامُ نَفَائِسَ عُمْرك وأنت مَسْلُوب[3]، أَمَا عَلِمْتَ أنَّ كلَّ نَفَسٍ عليك مَكْتُوب، تَمْشِي سَوِيّاً وقَلْبُكَ في مَشْيِهِ مكبوب، جِسْمٌ حَيٌّ وقَلْبٌ مَيتٌ والظاهرُ غَالب والباطِنُ مَغْلُوب، إلى كم يُنَادِيكَ المَوْلَى وأنت لا تَتُوب[4]، إنْ فَاتَكَ مَحمَل المجتهدين فالْتَحِق بِسَاقَة[5] السَّحَر عسى عَطْفَة مِن المحبوب، فأهلُ الحِرْمَان عن باب الحبيب مُبْعَدون مَحْرومُون[6]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

قال ذو النُّون المصري رحمه الله تعالى[7]: «خَرَج الناسُ إلى الاَسْتِسْقَاء بالبصرة فخرجْتُ فيمن خَرَج. فبينما أنا مارٌّ بَيْنَ الناس فإذا بِيَدَيْن قَبَضَتَا على رِجْلي، فقلتُ: مَنْ أَنتَ؟ فَخَلِّ[8] عنِّي. فقال[9]: أنا سَعْدون المجنون، أين تُريد يا أبا الفَيْض؟ فقلتُ[10]: أُرِيدُ المُصَلَّى أَدْعُو الله ﷻ[11]. فقال: بِقَلْبٍ سَمَاوي أو بقلب خَاوي؟ فقلتُ: لا بل[12] بِقَلْبٍ سَمَاوي. قال[13]: انْظُر يا ذا النون، لاَ تُبَهْرِجْ[14] فإنَّ النَّاقِدَ بَصِير. فقال: تَدْعُو ونُؤَمِّن[15] على دُعَائِك، أو أَدْعُو[16] وتُؤَمِّن على دُعائي؟ فقلت له[17]: ادْعُ ونُؤَمِنِ[18] على دعائك. قال:

---

(١) في (م) و(ع): «قلت».
(٢) وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].
(٣) أي مسلوب بزينة الحياة الدنيا.
(٤) عبارة «وأنت لا تتوب»، في (م) و(ع): «ولا تؤوب».
(٥) في (م) و(ع): «بباب». والساقة: المؤخرة، وساقة الجيش: مؤخّره. ابن منظور، اللسان، «سوق»، ١٠/١٦٧.
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/٥١٣. وذو النون: هو ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها إخميم، قيل اسمه ثوبان، وقيل الفيض، وقيل ذو النون لقبه، واشتهر بذلك، كان عالماً فصيحاً حكيماً واعظاً، أصله من النوبة، توفي سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/٣١٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢٤١ - ٢٥٠هـ، ص٢٦٥. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢١٨.
(٨) في (م) و(ع): «خَلِّ».
(٩) في (م) و(ع): «قال».
(١٠) في (م) و(ع): «قلت».
(١١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «فقال».
(١٤) عبارة «لا تبهرج» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والبهرج: الباطل والرديء من الشيء. ابن منظور، اللسان، «بهرج»، ٢/٢١٧.
(١٥) عبارة «تدعو ونؤمن»، في (م) و(ع): «أتدعو الله وأؤمن».
(١٦) في (م) و(ع): «أو أدعوا الله».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «بل تدعو وأؤمن».

فَصَفَّ قَدَمَيْهِ وقال[1]: إلهي[2] بحق البارحة إلا أَمْطَرْتَنا. قال ذو النون: فوالله لَقَدْ رَأَيْتُ الغيوم قد ٱرْتَفَعَتْ عن اليمين والشمال حتى ٱلْتَقَتْ فَجَاءَنا[3] المَطر كَأَفْواهِ القُرَب[4]، فقلتُ: بحقِّ مَحْبُوبك[5] أيّ شَيءٍ كان بينك وبينه البارحة؟ قال[6]: لا تَدْخُل بيني وبين قُرَّةَ عَيْني. فقلتُ: لا بُدَّ أَنْ تُخْبِرَني، فأنشأ يقول [٩ب]:

أَنِسْتُ بـه فـلا أَبْـغِـي سِـواه ... مَـخَـافَـةَ أَنْ أَضِـلَّ فـلا أَرَاه

فَـحَـسْـبُـكَ حَـسْـرَةً وَضَـنًى وَسُـقْـماً ... بِـطَـرْدِكَ عـن مَـجَـالِـس أَوْلِـيَـاهُ»

[بحر الوافر]

شعر[7]:

دَعْوَى[8] المُحِبّ غَراماً وهو لَـمْ يَـذُب ... يَـوْمَ النَّـوَى بَعْدَهـم وجْداً من الكَـذب

هـو الـفِـراقُ فَـفَـرِّق مـا جَـمَـعْـتَ لـه ... من كَنْزِ دَمْعِكَ وٱجْمَع فُرْقَة الكُرَب[9]

وَجُـدْ بـوجـدٍ وإنْ لَـمْ يُـجْـدِ[10] مَـنْـفَـعَـةً ... فَـأَبْـخَـلُ الـنـاس صَـبٌّ غَـيْـر مُـكْـتَـئِـب

وقُـلْ لِـقَـلْـبِـكَ لا تُـصْـغِ[11] لِـعَـاذِلِـه[12] ... فـالـقَـلْـبُ أَحْـسَـن شـيءٍ غَـيْـر مُـنْـقَـلِـب

وأَبْرِزْ بحلْيَة[13] حال المُسْتهام جَوًى ... فالشَّوْقُ في صُعُدٍ والدَّمْعُ في صبَب[14]

أحـبـابـنـا قـد بـعِـدْتُـم عـن مُـحِـبِّـكُـمُ ... فما له بعْدَكم في العيش[15] مِن أَرب[16]

بِـنْـتُـم وبِـنَّـا فـلا والـلّـه مـا فَـتَـرَتْ ... خُيولُ دَمعي مِن جَرْيٍ ومِن خَبَب[17]

أكـادُ حِـيـن يـحـيـيـنـي نَـسـيـمُـكُـمُ ... أَطِـيـرُ نـحـوكـم مِـن شـدة الـطَّـرَب

وإنْ تَـذَكَّـرْتُ أيـامَ الـصِّـبـا وصَـبـا ... قَلْبي إليكم فَواشَوْقي ويا وَصَب[18]

---

(١) في (م) و(ع): «ثم قال».

(٢) في (م) و(ع): «يا إلهي».

(٣) في (م) و(ع): «فجاء».

(٤) كناية عن غزارة الأمطار.

(٥) في (م) و(ع): «معبودك».

(٦) في (م) و(ع): «فقال».

(٧) في (م): «وغيره»، وفي (ع): «وأنشأ غيره يقول».

(٨) في الأصل: «دع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) البيت ساقط في (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «تجد»، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «يَصْغى».

(١٢) العَذْل: اللوم، والعاذل: اللائم. ابن منظور، اللسان، «عذل»، ١١/٤٣٧.

(١٣) حَلْيَة: مأسدة بناحية اليمن، وقيل: هو من أرض اليمن، وقيل: هو موضع بنواحي الطائف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٤٢٠.

(١٤) الصبب: تصوّب نهر أو طريق يكون في حدور، وصبّ في الوادي: انحدر. ابن منظور، اللسان، «صبب»، ١/٥١٧.

(١٥) عبارة «في العيش»، في الأصل: «من عيش»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) الأَرَب: الحاجة. ابن منظور، اللسان، «أرب»، ١/٢٠٨.

(١٧) الخَبَب: ضَرْبٌ من العَدو. ابن منظور، اللسان، «خبب»، ١/٣٤١.

(١٨) في (م): «وواوصب»، وفي (ع): «وواصب»، وهو تصحيف. والوَصَب: الوجع والمرض. ابن منظور، اللسان، «وصب»، ١/٧٩٧.

أين الليالي التي كانت بِنَا وبِكُم ... كأنّما هي قَدْ صِيغَت من الذَّهَب

إذْ نَجْتَني من ثمار الوَصْل أطْيَبه[١] ... ما نَشْتَهيه[٢] بلا غَيْظٍ ولا تَعَب

[بحر البسيط]

يا هذا لمّا ضَعُفَتْ قِواكَ عن الخِدْمَة أرَدْتَ الوقوف بالباب[٣]! لَيتَ شِعْرِي فيما أنْفَقْتَ حَاصِل الشباب؟ لمَّا كُنْتَ غَضّاً ناعماً نَأيْتَ عن الأحباب، فلما عُدْتَ عُوداً يابساً عُدْتَ إلى الباب، كم غَيَّبْتَ من الأتراب[٤] تحت التراب، أما ترى[٥] كيف جَفَاهمُ الأخِلَّاء[٦] والأصحاب، كأنهم ما كانوا[٧] وكُنَّا في اجْتِماعِ نعيم واطْراب، نُقِلُوا إلى بيتِ [١٠أ] الأحزان فلا مُجيب ولا مُجَاب، كيف تَحْضر مَجْلِسَ الذكر والحال ما حال عَجيبٌ عُجَاب، جِسْمُك في المجلس[٨] وقَلْبُك وراء السَّدِّ، فأين من[٩] يَسْتَمِع العِتَاب، إذا لم يَتَحَرَّك قَلْبك لِوَعْظِي فالذي[١٠] فوق التراب تراب، سَتَرى ما يَحلّ بالعُصَاة من الهَوان والهُون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

الفُضَيْل بن عِيَاض رحمه الله تعالى[١١] وَقَفَ بالمَوْقِف والناس يَدْعُون وهو يَبْكي بُكاءَ الثَّكْلَى المُحْتَرِقَة، فلما كادَت الشمس أنْ تَغْرب قَبَضَ على لحيتِهِ ثم رَفع رأسه[١٢] إلى السماء وقال: واسَوْآه[١٣] منك وإنْ عَفَوْت[١٤]. شعر[١٥]:

يا نَسِيمَ الرِّيح هل مِنْ وَقْفَةٍ ... عند مَنْ قُرْبهم[١٦] يَشْفي الآلاما[١٧]

كُنْ رَسُولي بِسَلامٍ عَائِدٍ ... لِحبِيبي[١٨] واقْرِهِ مني السَّلاما

---

(١) في (م) و(ع): «آونه». (٢) في (م) و(ع): «نجتنيه».

(٣) في (م) و(ع): «يا هذا لما ضعفت أردت الخدمة والوقوف بالباب».

(٤) الأتراب جمع تِرْب: اللِّدَة والسِّن ومن وُلِد معك. الفيروآبادي، القاموس، «ترب»، ص٧٨.

(٥) في (م) و(ع): «تراهم». (٦) في (م) و(ع): «الخلّان».

(٧) في (م) و(ع): «ما كأنهم كانوا». (٨) عبارة «والحال.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «فأين من»، في (م) و(ع): «فمن». (١٠) في (ع): «أذري».

(١١) في (ع): «حكي أن الفضيل بن عياض». والفضيل: هو الفضيل بن عياض بن مسعود، كان إماماً، ثقة، حجة، زاهداً، عابداً، نبيهاً كبير الشأن، ولد بخراسان، بكورة أبِيُورد وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الحديث، ثم تعبّد وانتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات رحمه الله تعالى سنة ١٨٧هـ ـ ٨٠٢م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/ ٢٣٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ١٨١ ـ ١٩٠هـ، ص٣٣١. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢٦٦.

(١٢) في الأصل: «رفع على رأسه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «واسوأتاه».

(١٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/ ٢٣٩.

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٦) في (م) و(ع): «تربهم».

(١٧) في (م) و(ع): «الأواما». والأوام: شدة العطش. ابن منظور، اللسان، «أوم»، ١٢/ ٣٨.

(١٨) في (م) و(ع): «الحبيب».

لم تُثْرِ شَجْوي حَمامات اللُّوى[1] بل غَرامي عَلَّم الشَّجوَ[2] الحماما
عَجَباً مِنْ فَقْدِ قَلْبي بَعْدَكم كيف لم أفْقِدْ مع القلب الغراما
عندكم عَقْلي[3] فَرُدُّوا بَعْضَه أحْمِلُ اللَّوْعَة فيكم والغراما[4]

[بحر الرمل]

كلامي زَهْرُ[5] روضٍ مُدَبّج[6]، أزهارُ مَعَانيه أعْطَر من عرْف دَارين[7]، غُصُون عِبَاراتِه[8] تُذَلَّلُ بفُكَاهَات[9] الفاكهة، و[10]قُطُوفُ مَعَانيه دَانِيَة لذوي الأفهام[11] لِنَيْلِ كل ذي فِهْم، نَهْرُه دائم المَدِّ لأنه[12] يَسْتَمِد من بحر[13] الحكمة، أطْيَارُ فَصَاحَته لها تَغْرِيد على أفْنَانِ البلاغة، كم طَرِبَ لِتَغْرِيدها مِنْ ذَوِي[14] فِهْم! كم على حَافتِه[15] مِن لؤلؤ عِلْم مَنْثُور! كم نَظَمْتُ فيه من سِلْكٍ [١٠ب] للسالك، وانْتَخبْتُ من يَواقِيتِهِ فُصوصَ إشارات لخواتمِ العارفين، وجَمَعْتُ أفْخر جواهره لأحوال السالكين[16]، ويَتيمة[17] فَوائِده ما[18] تَصْلُحُ إلا لِقُطْبِ المُريدين[19]، وما يَبْقَى في اسْتِعاراته[20] إذا كحلَ بها عَيْن البليد عَسى يَتَلَمَّح[21] من نور الفهم ولو بِقَدْر السَّهم.

إلـهي ما أصنع ما حِيلَتي ما قِصَّتي، هِمَّتي في الآخرة هَمّة[22]، وَتَلَهُّفي على الفائت[23] هَفْوة، وقد خَالَطَتْني أخلاط التسويف فأقْعَدَتْني عن النهوض وحَلَّ دَيْن الكِبَر، وجاء المُتَقاضي بلا مَهَل، وفَقْري من الطاعة ثابِتٌ في مَجْلس حَاكِمِ القَضا، فإن سَجَنْتَني في سجن القبر فارْحَم

---

(١) اللوى: هو واد من أودية بني سليم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٣.
(٢) الشجو: الهم والحزن. ابن منظور، اللسان، «شجو»، ١٤/ ٤٢٢.
(٣) في (م) و(ع): «قلبي».
(٤) عبارة «احمل.. إلخ»، في (م): «احملوا عنه لوعة وهياماً»، وفي (ع): «واحملوا عنه لوعة وهياماً».
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الدَّبْجُ: النقشُ والتزيين. ابن منظور، اللسان، «دبج»، ٢/ ٢٦٢.
(٧) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٥٠٩.
(٨) في الأصل: «عبارته»، وهي من (م) و(ع).
(٩) في الأصل و(م) و(ع): «بفواكه»، والتصويب من (ب).
(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١١) عبارة «لذوي الأفهام» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «كأنه».
(١٣) في الأصل: «نهر»، وهي من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «ذي».
(١٥) في (م) و(ع): «حافاته».
(١٦) في الأصل: «وجمعت أفخر جواهر الأحوال للسالكين»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) اليتيم: هو كل شيء مُفْرَدٍ بغير نظيره. ابن منظور، اللسان، «يتم»، ١٢/ ٦٤٦.
(١٨) في (م) و(ع): «لا».
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «وما يبقى من صغار استعاراته».
(٢١) في (م) و(ع): «أن يتلمح».
(٢٢) الهَمَّة والهِمَّة: ما هَمَّ به من أمر ليفعله. ابن منظور، اللسان، «همم»، ١٢/ ٦٢١.
(٢٣) في (م) و(ع): «الغايب».

غُرْبَتي فليس لي مَنْ يُنْقِذُني[1] مِن وَلَد عمل ولا والد علم، وخزائن عَفْوك مَمْلُوَّة، وصدقات مَغْفِرَتك واسعة، وإِنْ[2] تَسْمَح فَبِفَضْلِك، وإِنْ تُعَذِّب فَبِعَدْلِك، ولك الحمدُ في الحالتين[3].

إخواني ناشَدْتُكُم الله مَنْ حاله مثل حالي فَلْيُسَاعِدني بدعوة أَنْ يَرْحَمَ الله غُرْبَتي إذا نَسِيَنِي الذَّاكرون ذَكَرني برحمته[4].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[5].



---

(١) في (م) و(ع): «يفتقدني».

(٢) في (م) و(ع): «فإن».

(٣) في (م) و(ع): «الحالين».

(٤) عبارة «ذكرني برحمته»، في (م) و(ع): «اذكرني برحمتك يا أرحم الراحمين».

(٥) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الثاني

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي تعرف إلى أوليائه[1] بنعوت الجمال فعرفوه، و[2]دلهم به عليه فرافقهم[3] بالأنس فألفوه، ونعّمهم بالأنس فعرفوه[4]، ألهم أسرارهم أسماءه تعالى[5] فبذكره لهم ذكروه، يباهي بأحوالهم الملائكة [١١] وكيف لا وقد أحبهم وأحبوه[6]، حمى إقليم قلوبهم من طراق الغفلة لئلا يطرقوه، أحرزوا[7] حاصل العُمر في صندوق الإخلاص وختموه، تفقدوا دقيق[8] أعمالهم من أخلاط الخطايا وصححوه، خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة[9] فيما ائتمنوه، نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ما طلبوه، والمحروم في تيه الحرمان أَحْرَموه[10] وما رحموه، واخجلته في المحشر وسرابيل الذل ألبسوه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[11].

يا من[12] أتعب نفسه في طلب الفاني وهو راحل، أما شاهدت[13] حادي الجديدين[14] يطوي من العمر المراحل، أما ترى[15] الليل والنهار يحملان الأعمار بالرواحل، أما ترى من قُيَّل[16]

---

(١) عبارة «إلى أوليائه»، في (م) و(ع): «لأوليائه».

(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «فوافقهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «ونعمهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) قوله هذا إشارة إلى معنى حديث لرسول الله ﷺ رواه معاوية رضي الله عنه، فقال: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: «آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يُباهي بكم الملائكة». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الذكر.. إلخ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث (٤٠/٢٧٠١)، ٤/٢٠٧٥.

(٧) في الأصل: «أحرزنا»، والتصويب من (م) و(ع). وأحرزت الشيء إحرازاً: إذا حفظته وصنته عن الأخذ. ابن منظور، اللسان، «حرز»، ٥/٣٣٣.

(٨) في (م) و(ع): «دفين».

(٩) عبارة «فحفظوا الأمانة»، في الأصل: «فحفظه بالأمانة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) أحرم الشيء: جعله حراماً. ابن منظور، اللسان، «حرم»، ١٢/١٢٠.

(١١) سورة آل عمران، آية ١٠٦.

(١٢) عبارة «يا من»، في (م) و(ع): «إخواني ما حال من».

(١٣) في (م) و(ع): «شاهد».

(١٤) حدا الشيء يحدوه حدواً: تبعه. والجديدان هما الليل والنهار. ابن منظور، اللسان، «جدّ»، ٣/١١١. و«حدا»، ١٤/١٦٨. وحادي الجديدين أي تتابع الليل والنهار وتعاقبهما.

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، ومعنى الكلام يقتضيها.

(١٦) في (م) و(ع): «ميل». وقُيَّل اسم جمع لـ«قائل» وهو من قال يقيل قَيْلاً وقيلولة وقائلة: وهي النوم وقت الظهيرة. ابن منظور، اللسان، «قيل»، ١١/٥٧٧. الفيروزآبادي، القاموس، «قيل»، ص١٣٥٩.

تحت ظلها كيف زال بظلها الزائل، أما ترى من عمَّر ألف عام إذا سئل كم لبثت[1] قال: لبثت أياماً قلائل، أما ترى من شيَّد الحصون[2] وعقل المعاقل، أبادهم سيف الحمام وكلهم عن ملكهم[3] زائل، أين قوم[4] نوح وعاد[5] وثمود وتُبَّع[6] والملوك الأوائل، أين من ملكها شرقاً وغرباً ورحل عنها[7] وما حظي منها بطائل، نُقل[8] إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السلطان والعامل[9]، اندرست[10] معالمهم وعادت صُوراً تدرس[11] ليعلم العالم والجاهل، أما تسمع نداءهم وهم صموت، أما تتعظ يا غافل، أين السّدير[12] والنعمان[13]؟ وأين كسرى[14] والإيوان[15]؟ وأين ملوك بابل[16]؟ أبادهم الحدثان [١١ب] ليوم يقدمون فيه على ما قدموه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

---

(١) عبارة «كم لبثت» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع) زيادة «ونسي المنون».

(٣) في (م) و(ع): «ملكه».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «وأين عاد».

(٦) هم أقوام عصوا الله ورسله فأهلكهم بعذاب من عنده؛ فأما قوم سيدنا نوح فأغرقوا. وأما عاد، وكانوا يسكنون الأحقاف، جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوجّ ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وهي رمال بأرض اليمن كانت تسكنها عاد، فخالفوا أمر ربهم وعَتوا واستكبروا استكباراً فأخذهم الله بذنوبهم إذ أرسل إليهم ريحاً لا تبقي ولا تذر. وأما ثمود، وكانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم الصيحة وهم ينظرون. وأما قوم تُبَّع فقد أهلكهم الله ﷻ وخرَّب بلادهم وشردهم وفرقهم شذر مذر، ولقد كانوا عرباً من قحطان، وهم أهل سبأ، وتُبَّع لقب الملك عندهم، كما يقال كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٥٦١، ٦/ ٢٥٥، ٢٨٦. محمد حجازي، التفسير الواضح، ٢٦/ ١٣، بتصرف.

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «ونقل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «الخامل».

(١٠) درس الشيء والرسم يدرس دروساً: عفا. ابن منظور، اللسان، «درس»، ٦/ ٧٩.

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «الشديد»، والتصويب من (م) و(ع). والسَّدير: قصر من مباني النعمان الأكبر، اتخذه لبعض ملوك العجم. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٧٠٠. الآلوسي، بلوغ الأرب، ١/ ٢١٤.

(١٣) هو النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي الملقب بالمحرّق، أحد ملوك الحيرة اللخميين. أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، ص٣٥٨. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٣. الآلوسي، بلوغ الأرب، ١/ ٢١٣.

(١٤) هو كسرى أَبَرْويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان، وكان من أشد ملوكهم بطشاً، ولقد بعث الله ﷻ محمداً ﷺ رسولاً على رأس عشرين سنة من ملكه. أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، ص٣٦٢. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١/ ٥٨٧.

(١٥) وهو إيوان كسرى الذي بالمدائن، مدائن كسرى، زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك، وهو من أعظم الأبنية وأعلاها، وهو من بناء كسرى أبرويز. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٩٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٣٣٢.

(١٦) في (م) و(ع): «وأين الملوك الأوائل». وبَابل أقدم أبنية العراق، وكانت ملوك الكنعانيين وغيرهم يقيمون=

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى[١]: «سألتُ الله ﷻ[٢] ثلاث ليال أن يُريني رفيقي في الجنة، فرأيت كأن قائلاً يقول[٣]: يا عبد الواحد رفيقتك[٤] ميمونة السوداء[٥]. فقلت: وأين هي؟ فقال لي: هي[٦] في آل بني فلان بالكوفة، قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل[٧] هي مجنونة بين أظهرنا ترعى غنيمات لنا. فقلتُ لهم[٨]: أريد أن أراها. فقالوا[٩]: اخرج إلى الجبّان[١٠]، فخرجت فإذا هي قائمة تصلي، وإذا بين يديها عكّاز لها وعليها جبة من صوف عليها مكتوب: لا تُباع ولا تُشترى، وإذا الغنم مع الذئاب؛ فلا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف من الذئاب، فلما رأتني أوجزت في صلاتها، ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا وإنما[١١] الموعد ثَمَّ[١٢]. فقلت: رحمك الله تعالى[١٣] ومن أعلمك أني ابن زيد؟ قالت[١٤]: أما علمت أن الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[١٥]. فقلت لها: عظيني. فقالت: واعجباً للواعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لخبّرتك بمكنون مكنون ما فيها. بلغني يا ابن زيد أنّ[١٦] ما من عبد أُعطي من الدنيا شيء فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله الخلوة معه وبدله البعد [١٢أ]

= بها. قال ابن حوقل: وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصراً عظيماً، وهي اليوم مدينة خراب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٩/١. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٣١/٤.

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١٢١/٣. وعبد الواحد هو عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد، الذي قيل إنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة، توفي بعد الخمسين ومائة. ابن الجوزي، الصفة، ٣٢١/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ، ص٥٠٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٨٧/١.

(٢) في (م) و(ع): «تعالى».

(٣) في (م) و(ع): «قال».

(٤) في (م) و(ع): «يا عبد الله رفيقك».

(٥) وهي من المصطفيات المتعبدات الكوفيات. ابن الجوزي، الصفة، ١٩٥/٣. المناوي، الكواكب الدرية، ١٧٤/١.

(٦) عبارة «لي هي» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فقيل لي».

(٨) عبارة «فقلت لهم»، في (م) و(ع): «قلت».

(٩) في (م) و(ع): «قالوا».

(١٠) في الأصل: «الجنان»، والتصويب من (م) و(ع). والجَبَّان: المقابر. ابن منظور، اللسان، «جبن»، ٨٥/١٣.

(١١) في (م) و(ع): «ليس الموعد هاهنا إنما».

(١٢) ثَمَّ: بمعنى هناك. ابن منظور، اللسان، «ثمم»، ٨١/١٢. والمعنى: أن الملتقى في الجنة في الدار الآخرة.

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فقالت».

(١٥) وذلك مصداق قول الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الأرواح جنود مُجَنَّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب البر، باب الأرواح جنود مجنّدة، رقم الحديث (٢٦٣٨/١٥٩)، ٢٠٣١/٤. وقد علقه البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ بصيغة الجزم، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ٢٦٨/٤.

(١٦) عبارة «بلغني.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا ابن زيد إنه بلغني أنه».

بعد القرب[1]، وبعد الأنس الوحشة. ثم أنشأت تقول[2]:

يـا واعِـظـاً قـام لاَحْـتِـسَـاب[3] يَـزْجُـرُ قَـوْمـاً عـن الـذنـوب
تَـنْـهَـى وأنْـتَ الـسَّـقِـيـم حـقـاً هـذا مِـن الـمُـنْـكَـرِ الـعَـجِـيـب
لـو كُـنْـتَ أصْـلَـحْـتَ قـبـل هـذا عَـيْـبَـكَ أو تُـبْـتَ مـن قـريـب
كـان لِـمَـا قُـلْـتَ يـا حـبـيـبـي مَـوْضِـعِ صِـدْقٍ مـن الـقـلـوب
تَـنْـهَـى عـن الـغَـيِّ والـتَّـمَـادِي وأنْـتَ فـي الـنُّـهـى كـالـمُـرِيـب

[مخلع البسيط]

قال: قلت[4]: إني أرى هذه الذئاب مع الغنم؛ فلا الغنم[5] تفِر[6] من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم، فأي شيء هذا؟ فقالت: إليك عني، فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح ما بين الذئاب والغنم. ثم أنشأت تقول[7]:

لـو كُـنْـتَ لـي يـوم الـنَّـوى[8] مُـعِـيـنـا لـم يَـرِدُوا مَـاء[9] الـلِّـوى مَـعِـيـنـا
لـولا الـهـوى لـم أذرِ مـا طَـعْـم الـرَّدَى ولا أذَعْـتُ سِـرِّيَ الـمَـصُـونـا
تَـصُـدُّ لـيـلـى كُـلّ يَـوْم جَـفْـوَة تُـبْـدِي لـنـا مِـن الـهـوى فُـنُـونـا
بـانـوا وفـي الأحْـشَـاء مـنـهـم لَـوْعَـة يَـمْـنَـعُـهـا الـحـيـاء أنْ تَـبِـيـنـا
وأسْتَوْطَنُوا يبرين[10] من بعد الحِمَى[11] يَـا وَيْـلَـة الـصَّـبِّ[12] عـلـى يبرينا[13]
يا لَهْفَتي على الحِمَى وحُرْقَتي[14] أصْـبَـحْـتُ مِـن بـعـدهـم مـجـنـونـا

---

(1) في (م) و(ع): «وبدله بعد القرب البعد». (2) في (ع) زيادة «شعر».

(3) الحِسْبة: مصدر احتسابك الأجر على الله، والاحتساب: طلب الأجر. ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣١٤.

(٤) عبارة «قال: قلت»، في (م) و(ع): «فقلت».

(٥) عبارة «فلا الغنم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «تفزع». (٧) في (ع) زيادة «شعر».

(٨) في (م) و(ع): «اللوى».

(٩) عبارة «لم يردوا ماء»، في الأصل: «لم يزين دماء»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «تين»، وفي (م) و(ع): «تبرين»، والصواب ما أثبتناه. ويبرين قيل بأعلى بلاد سعد، وهو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة، وقيل: من أصقاع البحرين، بينه وبين الفلج ثلاث مراحل، بينه وبين الأحساء وهجر مرحلتان. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٤٧٢.

(١١) للعرب في الحمى أشعار كثيرة ما يعنون بها إلّا حمى ضرية، وهو سهل الموطئ، كثير الخُلّة، وأرضه صلبة ونباته مسمنة، وبه كانت ترعى إبل الملوك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٣٠٧.

(١٢) في (م) و(ع): «يا ويلتي مني».

(١٣) في الأصل: «تبيينا»، وفي (م) و(ع): «تبرينا»، والصواب ما أثبتناه.

(١٤) عبارة «يا لهفتي.. إلخ»، في الأصل: «يا لهفتي من بعد الحمى وإنني»، والتصويب من (م) و(ع).

حَـرَّمْـتُـم الـنَّـوم عـلـى طـرفـي فـمـا أَظُـنُّ طَـرفـي غـمـض[1] الـجُـفـونـا
حـاشـا لِـسَـمْـعـي أنْ يُـرى مُـسْـتَـمِـعـاً عَـذْلاً وحَـاش الـقـلـب أنْ يَـخُـونـا [١٢ب]

[بحر الرجز]

يا تائهاً في ليل الشباب أما ترى فجر المشيب، تسوّف بالتوبة[2] وغُصْنُ شبابك غضّ رطيب، فإذا وعظت[3] قلت عسى وكم دعيت فلا تجيب، أقعدتك أخلاط الخطايا عن النهوض إلى الحبيب[4]، لا لركائب[5] المجتهدين ترافق ولا لنغمات المستغفرين تستجيب، مارستان[6] قلبك ما فيه من ذخائر الأعمال طِبّ[7] ولا طبيب، بيت وصلك خراب وبيت هجرك عامر وعقلك حزين عليك كئيب، كم أطير بك إلى الفردوس وأنت في دُوَيس البعاد[8] سليب، هذا صَبَّاغ[9] المشيب أستوفى من القوة أوفر نصيب، إذا كان الجسم في المجلس والقلب وراء النهار مقلوب في قليب[10]، ليت شعري مع من أتحدث؟ لمن أزمزم[11]؟ مع من أطيب؟ الحنظل[12] لا يحلو ولو كان في وسط دجلة[13] ولا يطيب، لا في سمٰوات المجتهدين[14] تصعد ولا جسر[15] السحر تسلك، ولا تحسن السباحة، فكيف العبور لبر الحبيب؟ يا رفاق التائبين البِدار[16] فمنزل القبر قريب، كثّروا زاد التقوى ليوم[17] السفر تجدوه، ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾.

قال صالح المري رحمه الله تعالى[18]: «قال لي مالك بن دينار ﷺ[19]: اغد عليّ يا صالح

---

(١) في (م) و(ع): «يعرف». (٢) في (م) و(ع): «بالمتاب».
(٣) في (م) و(ع): «عسا». وعسا الشيخ يعسو: كَبُر وأسن، من عسا القضيب إذا يبس. ابن منظور، اللسان، ١٥/ ٥٤.
(٤) عبارة «إلى الحبيب»، في (م) و(ع): «للحبيب».
(٥) في الأصل: «إلى ركائب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (ع): «بيمارستان». والمارستان: دار المرضى. الفيروزآبادي، القاموس، «مرس»، ص٧٤١.
(٧) في (م) و(ع): «طيب».
(٨) في (م) و(ع): «دوس من البعاد». والدَّوْس: الذُّل. ابن منظور، اللسان، «دوس»، ٦/ ٩٠.
(٩) في الأصل: «إصباغ»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) القليب: هي البئر العادية القديمة التي لا يُعلم لها رَبّ ولا حافر. ابن منظور، اللسان، «قلب»، ١/ ٦٨٩.
(١١) الزَّمْزَمَة: الصوت البعيد تسمع له دوِيّاً، وزَمْزَم الأسد: صوَّت. ابن منظور، اللسان، «زمم»، ١٢/ ٢٧٤.
(١٢) الحنظل: الشجر المُرّ. ابن منظور، اللسان، «حنظل»، ١١/ ١٨٣.
(١٣) في (م) و(ع): «الدجلة».
(١٤) في (م) و(ع): «لا في سماء زينة المجتهدين». (١٥) في (م) و(ع): «على جسر».
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «اليوم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣/ ٣٣١. وصالح: هو صالح بن بشير، أبو بشر البصري، القاص الزاهد، الخاشع، واعظ أهل البصرة، توفي سنة ١٧٦هـ ـ ٧٩٢م، وقيل سنة ١٧٢هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/ ٣٥٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٧١ ـ ٨٠٠هـ، ص١٨٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٢٨١.
(١٩) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

إلى الجبانة[١] فإني قد وعدت نفراً من إخواني بزيارة أبي جهير مسعود الضرير[٢]. فغدوت لموعد مالك إلى الجبانة[٣]، فإذا معه محمد بن واسع وثابت البناني[٤] وحبيب العجمي[٥]، فقلت[٦]: هذا، والله يوم [١٣أ] سرور. فانطلقنا نريد أبا جهير، وكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صلِّ هاهنا لعله يشهد[٧] لك غداً. قال: وكان ثابت يصلي. ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه فسألنا عنه، فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة. فانتظرناه، فخرج علينا ورجل آخر آخذ بيده[٨] حتى أقامه على[٩] باب المسجد، ثم أمهل يسيراً، ثم دخل المسجد، فصلى ما شاء الله تعالى[١٠]، ثم أقام الصلاة فصلينا معه. فلما قضى صلاته جلس هنيهة[١١] بهيئة المهموم. فتواتر عليه[١٢] القوم في السلام عليه، فتقدم محمد بن واسع فسلّم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله[١٣]؟ قال[١٤]: رجل من أهل البصرة. قال: ما اسمك[١٥]؟ قال: محمد بن واسع. قال: مرحباً بك، أنت الذي يقول[١٦] هؤلاء القوم أنك أفضلهم، لله أنت إن قمت بشكر ربك، اجلس فجلس. فقام ثابت البناني فسلم عليه[١٧]، وقال: من أنت

---

(١) عبارة «إلى الجبانة»، في (م) و(ع): «الجَبَّان».

(٢) في الأصل: «أبي جبير»، وفي (م) و(ع): «أبي حميد»، والتصويب من (ب)، وحيثما ورد في القصة «أبو جبير» و«أبو حميد» فالصواب فيه «أبو جهير». وأبو جهير رجل قد انقطع إلى زاوية يتعبّد فيها ولم يكن يدخل البصرة إلا يوم الجمعة في وقت الصلاة ثم يرجع من ساعته. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٣٣١. النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٢/٢٥١.

(٣) في (م) و(ع): «الجَبَّان».

(٤) هو ثابت بن مسلم البناني، والبناني نسبة إلى بنانة من قريش، ويكنى أبا محمد، وكان من سادة التابعين، علماً وفضلاً وعبادة ونبلاً، توفي سنة ١٢٣هـ - ٧٤٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٢٦٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/١٦١.

(٥) في (م) و(ع): «حبيب العطار». وحبيب هو: حبيب بن عيسى بن محمد العجمي، أبو محمد، وقيل: أبو مسلم، الفارسي أصلاً، ثم البصري سكناً، كان عابداً زاهداً مجاب الدعوة، توفي سنة ١١٩هـ - ٧٣٧م. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦/١٤٩. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/٣١٥.

(٦) في (م) و(ع): «قلت».

(٧) في (م) و(ع): «أن يشهد».

(٨) عبارة «فخرج علينا.. إلخ»، في (م) و(ع) «فخرج علينا رجل فأخذ بيده».

(٩) في (م) و(ع): «عند».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) عبارة «جلس هنيهة» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فقال».

(١٥) عبارة «قال ما اسمك» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «يزعم».

(١٧) في (م) و(ع) زيادة «فرد عليه السلام».

يرحمك[1] الله تعالى[2]؟ قال: ثابت البناني، قال[3]: مرحباً بك، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم[4] أنك من أطولهم صلاة، اجلس قد كنت أتمناك على ربي. قال: فقام إليه حبيب، فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: حبيب. قال: مرحباً بك، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله[5] شيئاً إلا أعطاك إياه[6]، فهلّا سألته أن[7] يخفي لك هذا، اجلس يرحمك الله، فأخذه[8] بيده وأجلسه إلى جانبه، ثم قام إليه مالك بن دينار، فسلم عليه، فرد [١٣ب] عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال له: أنا مالك بن دينار[9]. قال[10]: أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك أزهدهم، اجلس يرحمك الله[11]، فالآن تمت أمنيتي على ربي ﷻ[12]. قال صالح: فقمت إليه فسلمت[13] عليه، فرد عليّ السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت[14]: صالح المرّي. قال: أنت الفتى القاري؟ قلت: نعم. قال: أقرأ عليّ[15] يا صالح. فأبتدأت فقرأت فما أستتممت قراءتي في[16] الاستعاذة حتى خر مغشياً عليه، ثم أفاق. قال: أعد[17] قراءتك يا صالح، فأبتدأت وقرأت[18] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[19] قال: فصاح صيحة ثم انكبّ على وجهه، فأنكشف بعض جسده، وجعل يخور كما يخور الثور، ثم هدأ فدنونا[20] منه فإذا هو قد خرجت روحه رحمة الله عليه[21]. فسألنا هل له أحد؟ فقالوا: عجوز تخدمه تأتيه في بعض الأيام، فبعثنا إليها، فجاءت فقالت: ما له؟ قلنا[22]: قُرئ عليه القرآن فمات. فقالت[23]: حُقّ له والله، من

---

(١) في (م): «رحمك».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «قال: ثابت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فقال: أنا ثابت البناني فقال».
(٤) عبارة «هؤلاء القوم»، في (م) و(ع): «أهل هذه القرية».
(٥) في (م) و(ع): «الله تعالى».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «فأخذ».
(٩) عبارة «فرد عليه السلام.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «فقال».
(١١) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «وسلمت».
(١٤) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) عبارة «قراءتي في» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) عبارة «قال أعد»، في (م) و(ع): «فقال عُد في».
(١٨) عبارة «فأبتدأت وقرأت»، في (م) و(ع): «فقرأت».
(١٩) سورة الفرقان، آية ٢٣.
(٢٠) في الأصل: «فدنا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) في الأصل: «فقال»، وفي (ع): «قلت»، وهي من (م).
(٢٣) في (م) و(ع): «قالت».

ذا الذي قرأ عليه القرآن[1]؟ لعله صالح القارئ[2]؟ قلنا: نعم، وما يدريك أنه[3] صالح؟ قالت: لا[4] أعرفه غير أني كنت أسمعه يقول: إذا[5] قرأ عليّ صالح قتلني. قلنا: هو الذي قرأ عليه. قالت: هو الذي قتل حبيبي. فهيأناه ودفناه رحمة الله عليه[6]». شعر:

سَلامٌ على قَلْبٍ تَعَرَّضَ[7] للنَّوى[8] ... سلام عَلِيلٍ[9] أَحْرَقَتْهُ شُجون[10]

وعَذَّبَهُ هَمٌّ يُهَيِّجُ حُزْنَه ... ولِلْهَمِّ و[11]الأحزان فيه فُنُون [١٤أ]

ألَا هَلْ على الشوق المُبَرِّحِ مُسْعِد ... وهل لي[12] على الشَّوْقِ الشَّديد مُعِين

أَلامُ على فَيْضِ الدُّموع ولا أرَى ... مُحِبّاً كَئِيباً للدُّموع يَصُون

أيبكي حمام الأيك[13] مِنْ فَقْد إلْفِه ... وأَصْبِرُ عنه كَيفَ ذاك يَكُون[14]

ومَالي لا أَبْكي وأَنْدُبُ ما مَضَى ... ودَاء الهَوَى بين الضُّلُوع دَفين

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي اخترع الموجودات بلا شريك ولا معين، تعالى في علوّ شأنه عن صفات التمكين[15] و[16]التكوين، استوى على العرش ونزل[17] إلى سماء الدنيا لاستغفار

---

(١) عبارة «من ذا الذي. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «المصلي»، وهي ساقطة في (م) و(ع)، وقد وردت بلفظ «القارئ» في الصفة، وهي الأصوب.

(٣) في (م) و(ع): «من».

(٤) في (م) و(ع): «ما».

(٥) في (م) و(ع): «إن».

(٦) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «تعرق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «للهوى».

(٩) في (م) و(ع): «على من».

(١٠) الشجون: الهم والحزن. ابن منظور، اللسان، «شجن»، ١٣/ ٢٣٢.

(١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) الأيك: الشجر المُلْتَف الكثير، والغَيْضة تُنْبِتُ السِّدْر والأراك. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، «أيك»، ص١٢٠٣.

(١٤) شطر هذا البيت وسابقه اقتباس من شعر لرجل من بني نهشل. ينظر: الأمالي للقالي، ١/ ١٣١.

(١٥) في الأصل: «المكين»، وهي ساقطة في (م) و(ع)، والتصويب من (ب).
والتمكين في اصطلاح الصوفيين: هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص٩٦. وهذا مما يستحيل على الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ لا يتبدل ولا يتطور ولا ينتقل من حال إلى حال، وهو منزّه عن التقلب والتغيُّر بالقدرة، فقدرته واحدة وصفاته واحدة، يستحيل عليه سبحانه الكم في الذات والصفات.

(١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «وينزل أمره»، والتصويب من (م) و(ع)، وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى=

المستغفرين[1]، ﴿ٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾[2] باليمين[3]، ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾[4]، أبدعه من نطفة حقيرة وسفره في أقاليم الأطوار[5] ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾[6]، سلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين، فأهل المعاصي جفت أعينهم[7] من العبرات فلا مُعين ولا مَعين، والأحباب بالباب[8] يناديهم حبيبهم[9] نداء المحبين ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[10].

يا من ثوبه بالمعاصي قد[11] تمزق، يا من وجهه[12] بالغفلة[13] أخلق[14]، إذا طلبت الآخرة سامحت، وإذا طلبت الدنيا تتحقق، همتك في طلب الدنيا في الثريا وفي طلب الآخرة في الثرى ولا أسف ولا قلق، سبقت السعادة لقوم وكل منهم إلى الحبيب أسبق[15]، وأهل الشقاء كلما راموا المتاب طبّق عليهم الخذلان طبق، يا أهل الذنوب كلنا أهل [١٤ب] المصائب[16] فأين البكاء وأين الحُرق؟ إن لم تصالح مولاك في مجلس الذكر أما تخاف باب التوبة يغلق، تطلب أرباح الصين وأنت في رقّ[17] الشهوات هيهات غيرك سبق، أما تستحي

= ثلث الليل الآخِر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأغفر له». الإمام البخاري، الصحيح، كتاب تقصير الصلاة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث (١٧٥)، ١٢١/٢.

(١) في (م) و(ع) زيادة «نزولاً يليق بجلاله وهو القوي المتين».

(٢) في (م) و(ع): «الأرض جميعاً قبضته والسمٰوات مطويات». وقوله: ﴿ٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٦٧.

(٣) قوله هذا كناية عن قدرة الله ﷻ وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: ما فلان إلا في قبضتي، بمعنى ما فلان إلا في قدرتي. واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك. ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٧/١٥. وقد أخرج البخاري في هذا المعنى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، رقم الحديث (١١)، ٢٠٨/٩.

(٤) قوله: ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ٧.

(٥) عبارة «وسفرهُ.. إلخ»، في الأصل: «وصفوة في أقالم الأوطار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النحل، آية ٤، وسورة يٰس، آية ٧٧.

(٧) في (م) و(ع): «عيونهم».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «محبوبهم».

(١٠) سورة آل عمران، آية ١٣٣.

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «وجه توجهه».

(١٣) في (ع): «بالغلظة».

(١٤) خَلِق الشيء وأَخْلَقَ: بَلِيَ. ابن منظور، اللسان، «خلق»، ٨٨/١٠.

(١٥) في (م) و(ع): «استبق».

(١٦) في (م) و(ع): «مصائب».

(١٧) في (م) و(ع): «ريف».

تعصي من خلقك[1] من علق[2]، همتك أبرد من كانون[3] متى تكون[4] أحر من كانون[5] وشيطان تسويفك أحترق، هذا منادي التوبة[6] يُنادي رجال[7] التائبين ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى قال[8]: «مرض[9] رجل من أولياء الله تعالى[10] مرضاً مشكلاً، فكان الناس إذا رأوه قالوا: مجنون. فأكثروا عليه، فلما عظم كلام الناس في أمره قالوا له: نعالجك؟ فقال لهم: يا قوم أعلموا[11] أن لي طبيباً: إن سألته داوى لي كل عليل، لكن[12] لا أسأله أن يداويني. فقيل له: ولِمَ ذلك[13] وأنت تحتاج إلى الدواء؟ قال[14]: أخشى إن برئت من العلة طغيت. فقيل له: إن لنا مجنوناً فأسأل[15] طبيبك أن يداويه. قال: نعم، آتوني به. فأتوه برجل في عنقه غلّ عظيم، ويداه مشدودتان إلى عنقه بقيد[16] ثقيل، قد أستمكنت منه العلة. ثم[17] قال لهم: خلوا بيني وبينه[18]. فعمد جهال القوم إلى يديه فخلوها وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه وأغلقوا عليهم[19] الباب وهم يظنون أنه سيفضي إليه بمكروه. فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وكلمهم وخرج إليهم بكلام عاقل وهو يبكي بكاء [١٥أ] شديداً. فقالوا له: أخبرنا بقصتك وما كان منك[20]. فقال لهم: دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم من علتي لا أعقل شيئاً كما رأيتموني، فقربني إليه[21] وأدناني وجعل يده[22] على صدري، والأخرى على رأسي، فأحسست بطعم

---

(١) في (م) و(ع): «صَبْرك».

(٢) العَلَق: هو الدم الجامد قبل أن ييبس. ابن منظور، اللسان، «علق»، ١٠/ ٢٦٧.

(٣) أي شهر كانون البارد

(٤) في (م) و(ع): «تعود».

(٥) أي: المَوْقد.

(٦) في (م) و(ع): «الموعظة».

(٧) في (م) و(ع): «رحايل».

(٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢١٨. وسهل: هو سهل بن عبد الله التستري أبو محمد، صاحب كرامات، وكان له اجتهاد ورياضات، وهو ورع، سكن البصرة زماناً، وعبادان مدة، توفي سنة ٢٨٣هـ ـ ٨٩٦م، وقيل سنة ٢٧٣هـ ـ ٨٨٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٦٤. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢٣٢.

(٩) في (م) و(ع): «مرض علينا».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «لكن أنا».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فقال».

(١٥) في (م) و(ع): «فسل».

(١٦) في (م) و(ع): «في قيد».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) عبارة «خلوا بيني وبينه»، في (م) و(ع): «خلوني معه».

(١٩) عبارة «وأغلقوا عليهم»، في (م) و(ع): «فأغلق عليه».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «منه».

(٢٢) في الأصل: «يداه»، والتصويب من (م) و(ع).

البرء يدب في جسدي[1] حتى زال ما بي. فقالوا له[2]: ادخل معنا إليه فنسأله أن يدعو لنا[3]، فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت، وستره الله ﷻ[4] عنهم، فمن عقل منهم عظمت ندامته، وأكثر[5] أسفه. قال سهل: وهو رجل من أهل بيت المقدس يقال له: إدريس بن أبي خولة[6] رضي الله عنه ونفع به[7]. شعر[8]:

وحَقِّكُم وهو عندي غَايَةُ القَسَم ... لَأَجْعَلَنَّ نديمي بَعْدَكم نَدَمِي
وإنْ تَزَايَدَ دَمْعِي بَعْد بُعْدِكُم ... لَأَمْزِجَنَّ[9] دُمُوعي فيكُمُ بِدَمي
لِلَائِمي فيكم مِنِّي فُؤادُ هَوًى ... أَفْنَاهُ شَوْقي لِرَدِّ[10] اللوم من[11] صَمَم
ما هَبَّت الرِّيحُ مِن تِلْقَاءِ أرْضِكُمُ ... إلا ذَكَرْتُ ليالينا بذي سلم[12]
أَيَّامَ لم أقْتَنِع فيها بِوَصْلِكُمُ ... عُوِّضْتُ منها تَمَنِّي الطَّيْفِ في الحُلُم
وَاهاً على ما مَضَى[13] لو دَامَ رَائِقُهُ ... وَجْداً و[14]وَاهاً عليه كيف لم يَدُم
يا راكِبَ البِيد يَبْغي قَفْرها[15] عَجِلاً ... وَيَقْطَع السَّيْر بالوِسَادة[16] الرَّسَم[17]
عَرِّج بِدار سُلَيْمى وأَقْرِ سَاكِنِها ... عنِّي السَّلامَ وطُفْ بالرَّبْعِ واسْتَلِم

[بحر البسيط]

يا بائعاً نفيس[18] أنفاسه بأبخس الثمن[19]، يا من سكن إلى الدنيا وليست له بمسكن[20]،

---

(1) في (م) و(ع): «جسمي».
(2) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(3) عبارة «فنسأله.. إلخ»، في (م) و(ع): «نسأله يدعو الله لنا».
(4) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(5) في (م) و(ع): «كثر».
(6) إدريس بن أبي خولة الأنطاكي، من العباد المذكورين، وكان يكون ببيت المقدس حكى عنه سهل بن عبد الله التستري. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٤٤. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣/ ١٣٣٤.
(7) عبارة «رضي الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(8) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(9) في (ع): «لأخرجن».
(10) في (م) و(ع): «برد».
(11) في (م) و(ع): «عن».
(12) ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب، والذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٢٤٠.
(13) في (م) و(ع): «واها لما قد مضى».
(14) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(15) عبارة «يبغي قفرها»، في (م) و(ع): «يفني هامها».
(16) أوْسَدَ في السير: أغَذَّ. ابن منظور، اللسان، «وسد»، ٣/ ٤٦٠.
(17) الرَّسَم: حسن المشي. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ١٢/ ٢٤٢.
(18) في (م) و(ع): «نفايس».
(19) في (م) و(ع): «بأبخس ثمن». والبخس النقص والظلم، وبخسه: كمنعه. الفيروزآبادي، القاموس، «بخس»، ص٦٨٤.
(20) في (م) و(ع): «بسكن».

بعت ما يبقى بما يفنى وما تفطنت الغبن[١]، ظاهر بطال [١٥ب] وباطن مراء أستوى في الظلمة السر والعلن، ما[٢] تمشي إلا[٣] في ظلمة الشهوة يا أعمى البصيرة، يا من هو بالغفلة ممتحن، كم بنار الشهوة[٤] تحرق نفسك! التزم[٥] ـ ويحك ـ فراش الحزن، تنسج[٦] على نفسك خيوط[٧] الخطايا وأنت تفرح كدود القز[٨] يموت وسط[٩] ما حصن، ويحك إذا عصيت المغيث فالمستغاث بمن؟ معاشر الفقراء قد[١٠] طاب السماع فإن لم تطيقوا[١١] فمن؟ كأني أستنشق نسائم[١٢] الزفرات من زوايا القلوب، فيا معشر السالكين ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال[١٣]: «أحتبس المطر عنا[١٤] بالبصرة، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي فلم نر أثر الإجابة[١٥]. فخرجت أنا وعطاء السليمي[١٦] وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرون[١٧] حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فأستسقينا فلم نر أثر الإجابة، وأنصرف الناس، وبتّ أنا وثابت في المصلى[١٨]. فلما أظلم الليل إذا بأسود رقيق الساقين، عظيم البطن، عليه مِئْزران من صوف، فجاء إلى ماء فتوضأ منه[١٩]، ثم صلى ركعتين خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال[٢٠]: سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفذ ما عندك؟ أقسمت عليك بحبك لي إلا ما أسقيتنا[٢١] غيثك الساعة

---

(١) عبارة «وما تفطنت الغبن»، في (م) و(ع): «وما فطنت للغبن». وغبنتُ في البيع غَبْناً إذا غَفَلْت عنه. وغَبَنه يَغْبِنه غَبْناً: أي خدعه. ابن منظور، اللسان، «غبن»، ١٣/ ٣١٠.

(٢) في (م) و(ع): «لا».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «يا أعمى البصيرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الزم».

(٦) في (م) و(ع): «أتنسج».

(٧) في الأصل: «خطوط»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «الغزل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «وسط الغزل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «تطيبوا».

(١٢) في (م) و(ع): «نفايس».

(١٣) في (ع): «وعن مالك بن دينار قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٩.

(١٤) في (م) و(ع): «علينا».

(١٥) في (م) و(ع): «فلم نر أثراً للإجابة».

(١٦) في الأصل و(م) و(ع): «السلمي»، والتصويب من صفة الصفوة، وهو عطاء السَّلِيْمي الزاهد عابد أهل البصرة، يحكى عنه أمر يتجاوز الحد في الخوف والحزن، وله كلام دقيق في الزهد. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/ ٣٢٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص٤٩٢. وميزان الاعتدال، ٣/ ٧٨.

(١٧) في (م) و(ع): «في آخرين».

(١٨) عبارة «بالبصرة فأستسقينا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «سقيتنا».

الساعة[1]. فما تم[2] كلامه حتى تغيمت السماء، وأخذنا المطر[3] كأفواه القرب، فما خرجنا حتى خضنا الماء، فعجبنا من الأسود فتعرضت له [١٦أ] وقلت[4]: أما تستحي فيما قلت؟ فقال[5]: وما قلت؟ قلت[6] له: لِمَ تقول[7] بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟ فقال: تنحّ عني، يا من ٱشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني[8] بتوحيده ومعرفته أترى بدأني بذلك إلا لمحبته لي! ثم بادر يسعى. فقلت له: ٱرفق بنا. فقال: أنا مملوك عليّ فرض من طاعة مولاي[9] الصغير، فدخل إلى[10] دار نخاس. فلما أصبحنا أتينا دار النخاس[11] فقلت له: أعندك غلام تبيعه للخدمة؟ قال: نعم، عندي قدر المائة غلام[12]. فجعل يخرج إليّ[13] غلاماً بعد غلام[14] وأنا أقول: غير هذا، إلى أن قال: ما بقي عندي أحد. فلمّا خرجنا إلى الباب[15] إذا[16] بالغلام الأسود في حجرة خربة، فقلت: بعني هذا الغلام. فقال: هذا غلام مشوم لا همّة له إلا البكى. فقلت: ولهذا أردته[17]. ودعاه[18] وقال: خذه بما شئت بعد أن تبريني من عيوبه. فٱشتريته[19] بعشرين ديناراً. فلما خرجنا قال: يا مولاي، لماذا ٱشتريتني؟ قلت[20]: لأحررك. قال[21]: ولِمَ ذلك؟ قلت: ألست[22] صاحبنا البارحة بالمصلى؟ قال: أوَ قد ٱطلعت على ذلك؟ قلت: نعم[23]، فجعل[24] يمشي حتى دخل مسجداً[25] فصلى ركعتين ثم قال: إلـٰهي وسيدي سر الذي[26] كان بيني وبينك[27] أظهرته للمخلوقين أقسمت

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «أتم».

(٣) عبارة «وأخذنا المطر»، في (م) و(ع): «وأحدثت شيئاً».

(٤) في (م) و(ع): «فقلت: يا هذا».

(٥) في (م) و(ع): «قال».

(٦) في (م) و(ع): «فقلت».

(٧) عبارة «لم تقول»، في (م) و(ع): «قولك».

(٨) في (م) و(ع): «اختصني».

(٩) في (م) و(ع): «مالكي».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) عبارة «أتينا دار النخاس»، في (م) و(ع): «أتيت النخاس».

(١٢) في (م) و(ع): «عندي مابة غلام».

(١٣) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «غلاماً بعد غلام»، في (م) و(ع): «واحداً بعد واحد».

(١٥) عبارة «إلى الباب» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «وإذا»، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «ولذلك أريده».

(١٨) في (م) و(ع): «فدعاه».

(١٩) في (م) و(ع): «فاشتريته منه».

(٢٠) في (م) و(ع): «فقلت له».

(٢١) في (م) و(ع): «فقال لي».

(٢٢) في (م) و(ع): «ألست أنت».

(٢٣) عبارة «قلت نعم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٤) في الأصل: «وجعل»، وهي من (م) و(ع).

(٢٥) عبارة «حتى دخل مسجداً»، في (م) و(ع): «حتى اجتزنا بمسجد فقصد المسجد ودخل ودخلت معه في إثره».

(٢٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٧) في (م) و(ع) زيادة: «لا يعلمه أحد».

عليك إلا قبضت[1] روحي الساعة، فإذا هو ميت رحمه الله تعالى[2]، فقبره[3] يستسقى به[4] وتطلب الحوائج به إلى يومنا هذا غفر الله له ورحمه ورضي عنه[5]». [١٦ب] شعر[6]:

مِن عَذيري[7] يَوم جَدُّوا للحمى[8] ... مِنْ هَوىً جَدَّ بِقَلْبي[9] مَرَحا

نَظْرَةً كانت فَعَادَت حَسْرةً ... قَتَلَ الرَّامي بها[10] من جرحا

سَلْ طريقَ العيس[11] في[12] وادي الغَضا[13] ... فَعَسى الأحباب جَازُوا رُوَّحا

وسلوا[14] الوُرَّادَ ما العَهْد بهم ... تَرَكُوا نَجداً وحَلُّوا الأَبْطحا[15]

يا نَسيم الرِّيح مِن كَاظِمَةٍ ... شدّ ما هِجت[16] الهوى والبرحا

الصَّبا إن كان لا بد الصَّبا ... إنَّها كانت لقلبي[17] أروحا[18]

يا نَدامَاي بِسَلْع[19] هل أرَى ... ذلك[20] المغبق والمصْطَبَحا[21]

---

(١) في (م) و(ع): «إلا ما قبضت».

(٢) في (م): «فإذا هو ميت رحمه الله، فأخذت في جهازه وكفنه ودفنه»، وفي (ع): «فإذا هو ميت، فأخذت في جهازه وكفنه ودفنته».

(٣) في (م): «فبقبره».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «غفر الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للمهيار، انظر: الديوان، ١/٢٠٢.

(٧) العذير: النصير، يقال: من عذيري من فلان أي من نصيري. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٤/٥٤٨.

(٨) عبارة «يوم جدُّوا للحمى»، في (م) و(ع): «يوم جَدَّ بي الحما»، وهي في الديوان: «يوم شرقي الحمى».

(٩) في الأصل: «من قلبي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «به».

(١١) العيس: الإبل تضرب إلى الصفرة. ابن منظور، اللسان، «عيس»، ٦/١٥٢.

(١٢) في (م) و(ع): «من».

(١٣) وادي الغضا: هو واد بنجد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٢٠٥.

(١٤) في (م) و(ع): «وسل».

(١٥) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى مِنى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى مِنى أقرب وهو المُحَصَّب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٧٤.

(١٦) عبارة «ما هجت»، في الأصل: «مهجتي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «للقلب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) رِحت رائحة طيبة أو خبيثة وأَرْوَحْتُها: وجدتها. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/٤٥٧.

(١٩) سَلع: بالفتح ثم السكون، الجبل الذي على باب المدينة. وسِلع: بكسر السين، مواضع منسوبة بالبادية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٧٢٧.

(٢٠) في الأصل: «ذاك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) الغَبَق والاغتباق: شرب العشي، والغبوق: الشرب بالعشي. والصبوح: كل ما أُكل أو شرب غدوةً، وهو خلاف الغبوق، وصَبَحه يَصْبَحُه صَبْحاً، وصبَّحه: سقاه صَبُوحاً فهو مُصْطَبَح. ابن منظور، اللسان، «غبق»، ١٠/٢٨١، و«صبح»، ٢/٥٠٣، ٥٠٤.

اذْكُـــرُونـــا ذِكْـــرَنـــا عَـــهْـــدَكُـــم رُبَّ ذِكْـــرَى قَـــرَّبَـــتْ مَـــنْ نَـــزَحَـــا
إرْحَـــمُـــوا صَـــبّـــاً إذا غَـــنَّـــى بِـــكُـــم شَـــرِب الـــدَّمْـــعَ وَعَـــافَ الـــقَـــدَحَـــا
قَـــد شَـــرِبْـــتُ الـــصَّـــبْـــر عـــنـــكـــم مُـــكـــرَهـــا وتـــبـــعـــت الـــسُّـــقْـــم فـــيـــكـــم مُـــسْـــمِـــحـــا[1]
وعَـــرَفْـــتُ الـــهَـــمَّ مـــن بـــعـــدكـــم فـــكـــأنّـــي مـــا عَـــرَفْـــتُ الـــفَـــرَحـــا

[بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا تغيره الحوادث ولا تبليه[2] تعاقب الأزمان والدهور، أول لا من عدد، آخر لا بأمد[3]، ظاهر لا بالرصد، باطن لا[4] يحد[5] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[6]، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا عنصر ولا طبيعة[7]، تقدس[8] من حجابه النور[9]، المعطل أكمه، والجاحد أعمى، والمجسم أعشى، والمشبه[10] في سجن الجهل

---

(١) في الأصل و(م) و(ع): «اسمحا»، والتصويب من الديوان.

(٢) في (م) و(ع): «يبليه».

(٣) في (م) و(ع): «بالمدد»، وهو تصحيف. والأمَد: الغاية. ابن منظور، اللسان، «أمد»، ٣/ ٧٤.

(٤) في (م) و(ع): «فلا».

(٥) في الأصل: «بالحد»، والتصويب من (م) و(ع). والأول والآخر والظاهر والباطن من أسماء الله تعالى؛ فالأول هو السابق للأشياء، والآخِر الباقي بعد فناء الخلق، والظاهر بحججه الباهرة، وشواهده الدَّالة على صحة وحدانيته، والباطن هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهُّم الكيفية. ابن الجوزي، زاد المسير، ٨/ ١٦١.

(٦) قوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة غافر، آية ١٩.

(٧) أي: أن الله تعالى ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر [لأن الجسم ما له طول وعرض وعمق، ولأن الجوهر هو أصل الشيء وهو ما يتركب منه الجسم، وله حد يقف عنده وغاية ينتهي إليها، وهو مقدر يدخل تحت التقدير، وكل ذلك مما ينزّه الباري عنه]، وأنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض [لأنه لو كان جوهراً أو عرضاً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر والأعراض، وإذا جاز ذلك لم يصح أن يكون خالقاً، والله خالق كل شيء جلّ جلاله] بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود [لأنه لو كان كذلك لكان مخلوقاً مثل ذلك من حيث إنه يماثله، لأن الموجودات كلها مخلوقة لله تعالى وهي غير الله وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. الغزالي، قواعد العقائد، ص٥١.

(٨) في (ع): «جلّ».

(٩) قوله هذا إشارة إلى معنى حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو موسى الأشعري ﷺ، ونصه: «حجابه النور لو كشفه لأحرَقَت سُبُحَات وَجْهه ما انتهى إليه بَصَره من خَلْقه». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، رقم الحديث (٢٩٣/ ١٧٩)، ١/ ١٦١.

(١٠) الأكمه: الأعمى الذي لا يبصر فيتحيَّر ويتردد. ابن منظور، اللسان، «كمه»، ١٣/ ٥٣٦. والمعطل هو المنكر لصفات الكمال في الله، والجاحد هو المنكر لوجود الله سبحانه. حبنكة، عبد الرحمٰن، العقيدة الإسلامية، ص٧٢٠، بتصرف. والمشبه: هو الذي شبه ذات الباري بذات غيره، أو صفاته بصفات غيره، والمجسم هو الذي زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض. الإسفراييني، الفرق بين=

مأسور، أنزل من المعصرات[1] ماء أحيا به النبات منظومه والمنثور[2]، نقله إلى الأغذية فتولد عنه المني لإيجاد الإناث من الحيوان[3] والذكور، ليظهر فيهم فضله وعدله [١٧أ] فهذا مجبور وهذا مكسور، نقش في ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور[4]، فكل يجري لما لا يدري، غيب عنهم عواقب الأمور، ثم رماهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور، ثم عزاهم بقوله ليعلموا عدله في قضائه وأنه لا يجور، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[5]، فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه، يكسر الصحيح ويجبر المكسور، أحمده حمد من يرجو رحمته لعلمه أنه الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها[6] ليوم النشور[7]، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعث من[8] في القبور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأزمان والدهور.

يا أخي تتعامى عن الطريق والحق واضح، غلب عليك طرش[9] الغفلة فلا تعي[10] لنصح ناصح، تبيع الباقي بالفاني ولا تعلم أخاسر أنت أم رابح، ويحك كم إصرارا! كم تماسي الذنوب[11]! كم تصابح! خرَّب إقليم[12] عمرك الكبر وبدا لك علم[13] المشيب لائح، كم تَمَلّى[14] الخطايا أمتلأ الدستور[15] بالفضائح، مُلْك الملك[16] ولا تستقبح القبائح، كل عمرك

= الفرق، ص٢٢٥أ، بتصرف. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(١) المعصرات: سحائب ذوات المطر. ابن منظور. اللسان، «عصر»، ٤/٥٧٨.

(٢) أي: مجموعه والمتفرق.

(٣) في (م) و(ع): «لإيجاد إناث الحيوان».

(٤) الحبور: النعمة وسعة العيش. والثبور: الهلاك والخسران والويل. ابن منظور، اللسان، «حبر»، ٤/١٥٨، و«ثبر»، ٤/٩٩. وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فَيُؤْمَر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد، فوالله إنَّ أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باعٍ أو ذراعٍ، فَيَسْبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». البخاري، الصحيح، كتاب القدر، باب١، رقم الحديث (١)، ٨/٢١٩.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

(٦) في (م) و(ع): «شهادة من أستعدها».

(٧) نشر الميت ينشر نشوراً: إذا عاش بعد الموت. ابن منظور، اللسان، «نشر»، ٥/٢٠٦.

(٨) عبارة «يبعث من»، في (م) و(ع): «يبعثر ما».

(٩) في (م) و(ع): «غلبك طرش».

(١٠) في الأصل: «تبغي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الذنب».

(١٢) في (م) و(ع): «أقاليم».

(١٣) عبارة «وبدا.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهذا علم».

(١٤) تَمَلّى عمره: استمتع به. وتملّى العيش وأملاه الله إياه وملّاه: أمهله وطوّل له. ابن منظور، اللسان، «ملا»، ١٥/٢٩٠. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٧٢١.

(١٥) في (م) و(ع): «الديوان».

(١٦) في الأصل: «ملك»، والتصويب من (م) و(ع).

ليلة غفلة متى تتلمح فجر الهجر[1] لائح، هواك في الفاني منجد وفي الباقي متهم متى أستوى[2] الغادي والرائح، قد ينال الوقفة من هو وراء السد[3] ويحرمها من[4] في [١٧ب] ثِنْي[5] شر قُدِّر لا يطمح فيه طامح[6]، إن فاتتك التوبة قبل الحمام ثكلتك الثواكل[7] وناحت عليك النوائح، أما آن أن تتوب، أما آن أن تصالح، البقاء في الآخرة حقيقة وفي الدنيا زور[8] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

بعض الصالحين رحمه الله تعالى قال[9]: «كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح، إذ طلع علينا شاب[10] والصبيان حوله[11] يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون. فدخل المسجد[12] وهو يقول: اللهم أرحني من تعب[13] هذه الدار. فقلت: هذا كلام حكيم فمن أين[14] لك هذه[15] الحكمة؟ فقال: مَن لله[16] في الخدمة أورثه لطائف[17] الحكمة، وأيده بأسباب العصمة، وليس بي جنون ولا ولق[18]، بل هو[19] قلق وحرق[20]، ثم أنشأ يقول:

هَجَرْتُ الوَرَى[21] في حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَم ... وعِفْتُ الكَرَى[22] شوقاً إليه فَلَمْ أَنَمِ
ومَوَّهْتُ دَهرِي بالجنون عن الوَرَى ... لِأَكْتُمَ ما بي مِن هواه فما اكْتَتَمِ

---

(١) في (م) و(ع): «الفرج».
(٢) في (م) و(ع): «يستوي».
(٣) في (م) و(ع): «قد ينال الوقعة من وراء النهر». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].
(٤) في (م) و(ع): «مَن هو».
(٥) الثِّني: واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه، تقول: أنفذت كذا ثِنْي كتابي أي في طيه. ابن منظور، اللسان، «ثني»، ١٤/١١٥.
(٦) في (م): «لا يطمح منه طامح». والمعنى لا تقبل معه توبة.
(٧) الثُّكل: فقدان الحبيب، وثكلتك أمك أي فَقَدَتك. ابن منظور، اللسان، «ثكل»، ١١/٨٨، ٨٩.
(٨) الزُّور: الكذب والباطل. ابن منظور، اللسان، «زور»، ٤/٣٣٦.
(٩) في (م) و(ع): «عن أبي الجوال قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٢٤٨.
(١٠) عبارة «إذ طلع علينا شاب»، في (م) و(ع): «وإذا قد طلع شاب».
(١١) في (م) و(ع): «خلفه».
(١٢) في (م) و(ع) زيادة: «مستجيراً منهم».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «فقلت فمن أين».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «أخلص له».
(١٧) في (م) و(ع): «طرائف».
(١٨) عبارة «ولا ولق»، في (م) و(ع): «وولق». والولق: الاستمرار في الكذب، والأولق: الجنون. ابن منظور، اللسان، ١٠/ ٣٨٤.
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «فَرَق».
(٢١) في الأصل: «الكرى»، وهي من (م) و(ع).
(٢٢) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع).

فلمَّا رأيتُ الشَّوقَ بالحُبِّ بَائِحاً كَشَفْتُ قِنَاعِي ثم قُلت نَعم نعم
فإنْ قِيلَ مجنونٌ فقد جَنَّنَنِي الهَوَى وَإِنْ قِيلَ مِسْقَام فما بِي مِنْ سَقَم
لَقَدْ لَامَنِي الوَاشُونَ فِيكُمْ[1] جَهَالَةً[2] فَقُلْتُ لِطَرْفِي[3] اَظْهِر العُذْر فَاَحْتَشَم[4]
فَعَاتَبهم طَرْفي بِغَيْرِ تَكَلُّم وَأَخْبَرَهُمْ[5] أنَّ الهَوَى يُورِثُ السَّقَمْ
سَأَلْتُكَ[6] يَا ذَا المَنِّ لا تُبْعِدَنَّنِي وَقَرِّب مَزَارِي مِنْكَ يَا بَارِئَ النَّسَم[7][١٨أ]

[بحر الطويل]

فقلت[8]: أحسنت، لقد غلط من سمَّاك مجنونا. فنظر إليَّ و[9]بكى، فقال[10]: أَوَلا[11] تسألني عن القوم كيف وصلوا فأتصلوا؟ قلت: بلى، أخبرني، قال: خرجوا إلى الخلاق[12]، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا بمحبته في الآفاق، وآتَّزروا بالصدق[13] وأرتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركضوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة[14] الحذاق، حتى أتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهق، وغيبهم عن الأحداق[15]؛ لا[16] تؤويهم دارٌ ولا يقر بهم[17] قرار، فالنظر إليهم أعتبار، ومحبتهم أفتخار، وهم صفوة الله الأبرار، ورهبان وأخيار[18]، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار[19]، إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا،

---

(١) في (م) و(ع): «فيك».
(٢) في الأصل و(م) و(ع): «صبابة»، والتصويب من الصفة.
(٣) في (م) و(ع): «لقلبي».
(٤) في الأصل: «واحتشم»، وهي من (م) و(ع). والاحتشام: التَّغَضُّب، وحشمت فلاناً وأحشمْته أي أغضبته، واحتشمت منه بمعنى. ابن منظور، اللسان، «حشم»، ١٢/١٣٦.
(٥) في (م) و(ع): «فأخبرهم».
(٦) في (م) و(ع): «فبالحلم».
(٧) في (ع): «السقم».
(٨) في (م) و(ع): «فقلت له».
(٩) في (م) و(ع): «ثم».
(١٠) في (م) و(ع): «وقال».
(١١) في (م): «ألا»، وفي (ع): «لا».
(١٢) عبارة «خرجوا.. إلخ»، في (م) و(ع): «طهروا له الأخلاق». والمعنى: تجردوا من الدنيا، وتفرغوا لعبادة المولى.
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «المجاهدة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «الأفاق».
(١٦) في الأصل: «ولا»، وهي من (م) و(ع).
(١٧) عبارة «يقربهم»، في (م) و(ع): «يقرهم».
(١٨) عبارة «وهم صفوة الله... إلخ»، في (م) و(ع): «وهم صفوة أبرار، رهبان أخيار».
(١٩) عبارة «صلى الله عليه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

وإن ماتوا لم يشهدوا[1]، ثم أنشأ يقول:

كُنْ مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ مُسْتَوْحِشاً ... مِنَ الوَرَى تَسرْ[2] إلى الحَقّ
فَاْصْبِر[3] فبالصَّبْرِ تَنَالُ المُنَى ... وَارْضَ بما يَجْرِي مِن الرِّزْقِ
وَاْحْذَر مِن النُّطْقِ وآفاتِهِ ... فآفَة[4] المُؤْمِنِ فِي النُّطْقِ
وجُدّ في السَّبْق[5] وشمّر كما ... شَمَّر أَهْلُ السَّبْقِ للسَّبْقِ
أُولئِكَ الصفْوَةُ فيمَن سَمَوْا ... وخِيرة اللَّهِ من الخَلْقِ[6]

[بحر السريع]

قال: فأنسِيتُ الدنيا عند حَدِيثِه، ثم وَلّى هارباً[7] فأنا متأسّف عليه».

ويلي[8] أرى الزوايا من أرباب الأحوال أقفرت، أين الذين كانت المحاريب بدموعهم تعطرت؟ أين الذين كانت أقدامهم على بساط الدجى تسطرت؟ أين الذين كانت مجالس الذكر بأنفاسهم تنورت؟ أين الذين كانت أحوالهم[9] لزوايا القلوب [١٨ب] قد عمرت؟ أين الذين كانت كرامتهم على أحوالهم ظهرت، أين الذين كانت أنهار الحكمة[10] من قلوبهم عند سماع ذكر الحبيب تفطَّرت[11]؟ تراهم فُقِدوا أم عزائمنا الناقصة عن طريقتهم[12] قصرت، جدوا و[13]هزلنا و[14]نمنا على فراش الغفلة وعيونهم في الدجى سهرت، جعلوا همَّهم واحداً فكيف

---

(١) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه الحاكم عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: «ما يبكيك يا معاذ؟» قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة». قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين، وقد احتجا جميعاً بزيد بن أسلم عن أبيه عن الصحابة، واتفقا جميعاً على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني، وهذا إسناد مصري صحيح ولا يحفظ له علة، ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح ولا علة له. الحاكم، المستدرك، كتاب الإيمان، ١/ ٤.

(٢) في (م) و(ع): «تسري»، وهو تصحيف؛ وذلك لأن الفعل جواب الطلب مجزوم بحذف حرف العلة من آخره.

(٣) في (م) و(ع): «واصبر».

(٤) في الأصل: «فآفات»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «السير».

(٦) البيت في الأصل:

«أولئك الصفوة التي لهم ... البشرى وخيرة الله من الخلق»

والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «سائراً».

(٨) في (م) و(ع): «ويلاه».

(٩) في الأصل: «أنهار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «الحكم».

(١١) في (م) و(ع): «تعطرت».

(١٢) في (م) و(ع): «طريقهم».

(١٣) الواو ساقطة في الأصل، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

يراهم من همته في الفاني تحيرت، كلما زادت أحوالهم صفاء ازدادت أحوالنا في الحرمان وتكدرت[1]، ستعلم قولي إذا حللت القبور ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾. شعر[2]:

يـا غـادِيـاً فـي لَـهْـوِه وَرائِـحـاً ... إلَـى مَـتَـى تَـسْـتَـحْـسِـن الـقَـبَـائِـحَـا

وكـم إلـى كـم لا تَـخَـافُ مَـوْقِـفـاً ... يَـسْـتَـنْـطِـقُ اللهُ بِـه الـجَـوَارِحَـا

وَاعَـجَـبـاً[3] مِـنْـكَ وأنـت مُـبْـصِـرٌ ... كـيـف تَـجَـنَّـبْـتَ الـطريـق الـوَاضِـحَـا

كـيـف تـكـون حـيـن تَـقْـرأ فـي غَـدٍ ... صَـحِـيـفـة قـد حَـوَت الـفـضـائـحـا[4]

وكـيـف تَـرْضَـى أنْ تَـكُـونَ خَـاسِـرا ... يَـوْمَ يَـفُـوز مـن يـكـون رَابِـحَـا[5]

[بحر الرجز]

مجلسي حرم الفضائل كعبته خطبته، زمزمه فصاحته، ذاك لما شرب له[6]، وذا لما سمع له، عرفاته[7] ذكر العارفين، مشعره[8] ذكر شعائر الصالحين، مناه أمن التائبين، خيفه[9] ذكر الخائفين، مقامه[10] قيام التائبين[11]، مسعاه سعي السالكين، رمي جمراته رمي ذنوب المذنبين، حلقه حلق رؤوس النادمين، محلقين ومقصرين[12]، عمرته

---

(١) عبارة «ازدادت أحوالنا.. إلخ»، في (م) و(ع): «زادت أحوالنا في الحرمان كدراً وتغيرت».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لأبي عبد الله ابن الحاج البكري الغرناطي. المقري، نفح الطيب، ٤/ ٣٢٦.

(٣) في (م) و(ع): «يا عجباً».

(٤) البيت ساقط في (م) و(ع).

(٥) عبارة «يوم يفوز.. إلخ»، في الأصل: «يوم يفر من كان رابحاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) قوله: «ذاك لما شرب له» هو معنى الحديث الذي رواه جابر ﷺ، ونصه: «ماء زمزم لما شُرِب له». رواه ابن ماجه، السنن، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، حديث (٣٠٦٢)، ٢/ ١٠١٨. والإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (١٤٨٣٣/ ٧٣٨)، (١٤٩٧٨/ ٨٨٣)، ٣/ ٣٥٧ ـ ٣٧٢. وفي إسناده ضعف، إلا أن له شواهد تحسنه. ميرغني، المعجم الوجيز، رقم الحديث (٧٢٢)، ص٣٦٩.

(٧) عرفة وعرفات واحد، وهو الموقف في الحج، وحدُّه من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى الجبال المقابلَة إلى ما يلي حوائط بني عامر. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٩٣٠.

(٨) المشعر: هو مسجد مزدلفة، وهو على جبل صغير ينزل حوله في وسط مزدلفة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٢٧٥.

(٩) الخيف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل ومسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل. ابن منظور، اللسان، «خيف»، ٩/ ١٠٢. وخيف منى: هو الموضع الذي ينسب إليه مسجد الخيف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٤٩٥.

(١٠) المَقام: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم ﷺ حين رفع بناء البيت، وهو موضع بالمسجد الحرام، أمر الله ﷻ بالصلاة عنده، وهو معروف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٢٩٥.

(١١) في (م) و(ع): «القانتين».

(١٢) عبارة «حلقه.. إلخ»، وردت في (م) و(ع) بعد قوله: «قيام التائبين».

عمارة[1] أيامه في الأسبوع، ويوم وقوفه يوم الخطبة، ويوم[2] طوافه طواف الملائكة بالتائبين، الحاضر فيه للدنيا[3] لا يصاد لأنه في حرمة التائبين، والعفو يشمل المتفرج والقاصد إلا الحاسد وإبليس، فإنهما مطرودان على باب المجلس، هذا مقروح[4] لما عاين من نزول الرحمة، وهذا مغموم لما سمعه من البلاغة[5] والحكمة. اللهم[6] بعد أن طَلَقْتَ[7] لساني بالتحدث عنك[8] ثبته على[9] توحيدك يوم الحاجة إليه، يا حبيب المحبين، تراني أمدح أحبابك وأنثر محاسنهم ولا تطلق لي خاصية[10] عفوك، اللهم[11] أدخرك ليوم الحاجة ولا أفقر مني يوم حلول المنية فلا تقطع بي يا بر يا وصول[12]، إلٰهي إنْ عصيتك بجوارحي فقلبي لتوحيدك[13] طائع، فاغفر بطاعة القلب معصية البدن.

إخواني ناشدتكم الله من وجد منكم حلاوة في خلوته فليذكر المذكر من أسهم له في التوبة[14] بنصيب فلا ينسى الدليل أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم[15].



---

(١) في (م) و(ع): «عمر».

(٢) كلمة «ويوم» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «الحاضر.. إلخ»، في الأصل: «الحاضر في الدنيا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «مجروح».

(٥) في الأصل: «العلامة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «إلٰهي».

(٧) في (م) و(ع): «أطلقت».

(٨) في الأصل: «عنه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «ثبته على»، في (م) و(ع): «ثبت عليه».

(١٠) في (م) و(ع): «جامكيّة».

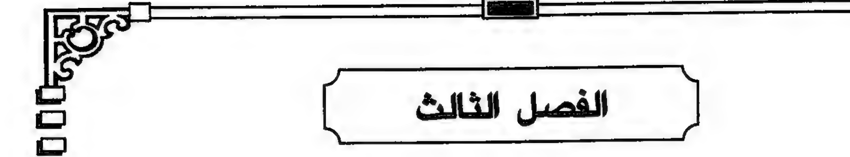
(١١) في (م) و(ع): «إلٰهي».

(١٢) في (م) و(ع): «رحيم».

(١٣) في (م) و(ع): «بتوحيدك».

(١٤) في الأصل: «التورية»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الثالث

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي قسم بميزان العدل مقسوم الخلق والأخلاق والأرزاق والآجال، تفرد بعلم الخلائق يعلم الصغائر[١] والكبائر والجزئيات والكليات والأحوال، لا يفتقر في ٱختراعه الأكوان إلى مشير ولا معين[٢]، جل الواحد ذو الجلال،[١٩ب] قبض القبضتين على حكم ما أراد، فهؤلاء لليمين وهؤلاء[٣] للشمال[٤]، أسعد بلا علة، وأشقى بلا سبب، فله[٥] الحكم في الإدبار والإقبال، عجن طينة أهل القرب وطينة المبعدين[٦] بطينة الخبال[٧]، تجلى لأوليائه بأنسه فعلموا أنه تجلى لهم بالجمال، وٱحتجب عن المبعدين وإذا تجلى تجلى لهم[٨] بالجلال، نعَّم أحبابه في مجلس الدجى بلذيذ مناجاته وأفهمهم ألا مثل له[٩] في الأمثال، تزايدت أشواقهم[١٠] في طلب المشاهدة فهم من القلق في أهوال، علموا ألَّا راحة للمحب[١١] إلا بمشاهدة[١٢] محبوبه فهاموا في القفار والجبال، أشغلهم[١٣] ذكر محبوبهم عنهم[١٤] وأفناهم وجدهم عن[١٥] القيل والقال، فأهل الدنيا على مزابل الدنيا[١٦] سكارى من خمرة الآمال، وأهل الخلوة عمروا مساجد التقى وٱعتكفوا بقلوب سمت إلى الكمال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ

---

(١) في (م) و(ع): «الضمائر». (٢) في (م) و(ع): «إلى معين ولا مشير».

(٣) عبارة «لليمين وهؤلاء» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) قوله هذا إشارة إلى بعض الحديث الذي أخرجه الترمذي عن مسلم بن يسار عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. .» الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع عن عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً. الترمذي، الجامع، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، رقم الحديث (٣٠٧٤)، ٥/٢٦٦.

(٥) في (م) و(ع): «وله». (٦) في (م) و(ع): «أهل البعد».

(٧) في (م) و(ع): «أهل الخبال». والخبال: الفساد. ابن منظور: اللسان، «خبل»، ١١/١٩٧.

(٨) عبارة «تجلى لهم»، في (م) و(ع): «لهم تجلى». (٩) عبارة «ألا مثل له»، في (م) و(ع): «ما مثله».

(١٠) في الأصل: «إشراقهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «للمحبة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «بالمشاهدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «شغلهم». (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «على مزابل الدنيا»، في (م) و(ع): «على مزابلها».

﴿اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾[١].

إخواني أين من كان له قلب[٢] طائع فقطع، أين من كان له أنس بالطاعة فمنع، أين من كان له حال في الإخلاص ففجع، لازمْ ساقة المجتهدين لا تنقطع، أندب في مأتم الأحزان على[٣] التخلف يا منقطع، ما أرى للقبول عليك علامة[٤] وبطابع البعد على قلبك طبع، كيف تسوف بالتوبة وربما تخرج من هذا المجلس ولا ترجع، إذا ضيعت أيامك في الغفلة أنت تعلم بماذا ترجع، جسمك في [٢٠أ] المجلس وقلبك في السّوق، أف لك لا تعي[٥] ولا تستمع، لا ذكر العذيب[٦] يعذب لك ولا عند ذكر الأحباب تسترجع، إذا صعدت ثنية[٧] الموت هنالك تعاين وتستطلع[٨]، ولا ينجو من الأهوال إلا رجال علقوا هممهم[٩] في جميع الأحوال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى[١٠]: «بينما أنا أسير في بلاد المغرب إذا أنا برجل على عريش البلوط[١١] وعنده عين من الماء[١٢] تجري، فأقمت عنده يوماً وليلة أريد أن أسمع منه كلاماً[١٣]، فأشرف عليَّ بوجهه، فسمعته يقول: شهد ـ والله ـ قلبي بالخضوع، وكيف لا يشهد قلبي بذلك، هيهات[١٤] هيهات لقد خاب لديك المقصرون، سيدي ما أحلى ذكرك! أليس قصدك مؤمِّلوك فنالوا ما أملوا، وجُدْت لهم بالزيادة على ما طلبوا، فقلت له: يا[١٥] حبيبي إني مقيم عليك منذ[١٦] يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك. فقال لي: قد رأيتك يا بطال حين أقبلت ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى[١٧] الآن، فقلت له: ولم ذلك؟ وما الذي أفزعك مني؟ فقال لي[١٨]: بطالتك في يوم عملك، وتركك الزاد ليوم ميعادك[١٩]، ومقامك على المظنون، فقلت له: يا حبيبي ما هاهنا فتية تستأنس بهم؟ فقال: بلى، هاهنا فتية[٢٠]

---

(١) سورة النور، آية ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) في الأصل: «قلت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «عن»، وهو تصحيف.

(٤) في (م) و(ع): «ما أرى عليك للقبول علامة».

(٥) في الأصل: «لا تسمع»، وهي من (م) و(ع).

(٦) العُذَيب: تصغير العذب: ماء عن يمين القادسية، لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٩٢٥.

(٧) الثنية: كل عقبة في الجبل مسلوكة، وقيل: هي الجبل نفسه. ابن منظور، اللسان، «ثني»، ١٤/١٢٣. والمراد صعوبة الموت وأهواله.

(٨) في (م) و(ع): «وتطلع».

(٩) في (م) و(ع): «همتهم».

(١٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٠٦.

(١١) في (م) و(ع): «من البلوط».

(١٢) في (م) و(ع): «عين ماء».

(١٣) في (م) و(ع): «أريد أن أسمع كلامه».

(١٤) في (م) و(ع): «وهيهات».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «إلا».

(١٨) عبارة «فقال لي»، في (م) و(ع): «قال».

(١٩) في (م) و(ع): «معادك».

(٢٠) عبارة «تستأنس.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

متفرقون في رؤوس الجبال، فقلت: وما طعامهم في هذا المكان؟ قال[1]: طعامهم الفَلْق من البَلّوط، ولباسهم [٢٠ب] الخِرَق من الثياب، و[2]قد يئسوا من الدنيا ويئست الدنيا منهم، أعطوا المجهود من أنفسهم فلما ضعفت المفاصل عن الركوع والسجود، وتغيرت الألوان من السهر[3] ضجوا إلى الله[4] بالاستغاثة». شعر[5]:

دعوا نارَ قَلبٍ طابَ فيه جَحِيمُها	ومُهْجَةَ[6] صَبٍّ غابَ عنها نَعيمُها
وعَبْرَةَ عانٍ[7] ما آسْتَطَارَ لِعَيْنه	سَنَا بارقٍ[8] إلا اسْتَهَلَّ[9] غيومُها
فما لِجُفُونِي أنْ تُمَاطِلَ في الهَوَى	بِدَمْعِي وأيامُ الفِراقِ خُصُومها
وما نَظْرةٌ ألْقَتْ يَدِي في يَدِ الهَوى	أمَا عَلِمَتْ أنَّ الغَرَامَ غريمُها
لِي اللَّهُ من قلبٍ يُرَوِّعه[10] الصَّبَا	إذا ما آسْتَقَلَّتْ مُطْمَئِناً نَسِيمُها
ولي[11] مِنْ هَواكُمْ ما تَقَادَمَ عَهْدُه	وَأسْبَى الحُمَيَّا[12] للعُقُول قَدِيمُها
وَإنْ تَسْألُونا بعدكم عن دِيَارِكم	ففي القلب دارٌ ما تَغِيبُ رُسُومُها
ودون التَّراقي[13] من سَرَائِرِ[14] حبِّكم	ودائِعُ ما بين المآقي[15] خُتُومُها

[بحر الطويل]

ويحك أين كنت لما خلع على أهل السَّهر، ما الذي خلفك عن إنعام أهل السحر، أستلنت فراش الغفلة حتى نالوا المقصود وما عندك[16] خبر، دينار عملك مبهرج[17] وعند الحك

---

(١) في (م) و(ع): «فقال».

(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «عن الركوع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «الله تعالى».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مهجتها، وقيل: المهجة خالص النفس. ابن منظور، اللسان، «مهج»، ٢/ ٣٧٠.

(٧) في الأصل: «غار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) سنا البرق: ضوءه، وسَنا البرق: أضاء. ابن منظور، اللسان، «سنا»، ١٤/ ٤٠٣.

(٩) في (م) و(ع): «استهلت».

(١٠) في (م) و(ع): «تروعه».

(١١) في (م) و(ع): «وبي».

(١٢) أسبا من سبى يسبي، وسبيت قلبه: فتنته. وحُمَيا كل شيء: شِدَّتُه وحِدَّتُه. ابن منظور، اللسان، «حما»، ١٤/ ٢٠١، و«سبى»، ١٤/ ٣٦٨.

(١٣) التراقي جمع تَرْقُوَة: وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين. ابن منظور، اللسان، «ترق»، ١٠/ ٣٢.

(١٤) في الأصل: «سائر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «الأراقي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «عندكم»، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «بهرج».

يظهر، إذا وصف[1] النقاد زيفك ترى وجهك يتغير، إذا أُمِّدحت بما ليس فيك[2] فأنت بنفسك أخبر[3]، العين جامدة، والسمع فيه طرش والقلب أقسى من حجر، تعيش عيش البهائم وما[4] خطر لك نعيم ولا خطر[5]، قطعت إقليم الصبا ولم تفلح، قل لي كيف تُرى تفلح في الكبر، ما أقبح سن الشيخ إذا ضحك وكفنه قد يَقْصُر[6] [٢١أ]، رافِق ـ ويحك ـ أهل التهجد لتنجو من الأهوال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾.

يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى قال[7]: «دخلت على عابد بالبصرة، وإذا أهل بيته حوله يبكون[8]، وإذا هو مجهود و[9]قد أجهده الاجتهاد، قال: فبكى أبوه، فنظر إليه وقال له[10]: أيها الشيخ ما الذي يبكيك[11]؟ قال: يا بني أبكي فقدك وما أرى من جهدك. قال: فبكت[12] أمه، فقال لها: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ما الذي يبكيك؟ قالت[13]: أبكي فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك، قال: فبكى أهله وصبيانه فنظر[14] إليهم وقال: يا معشر اليتامى ـ بعد قليل ـ ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا فراقك وما نتعجل[15] من اليتم بعدك، قال: فقال: أقعدوني[16]، أرى كلكم يبكي لدنياه[17]، أما فيكم من يبكي لما ألقى في آخرتي؟ أما فيكم من يبكي لما يلقاه من[18] التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمساءلة منكر ونكير[19]

---

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) عبارة «إذا أمدحت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وإذا مدحت بما لا تفعل».
(٣) في (م) و(ع): «أبصر».
(٤) في (م) و(ع): «ولا».
(٥) في (م) و(ع): «حضر». أي: نعيم الثواب وخطر العقاب.
(٦) في (م) و(ع): «انقصر». وقَصَر عن الأمر يَقْصُر قصوراً وأقْصَر وقَصَّر وتقاصر كله: انتهى. ابن منظور، اللسان، «قصر»، ٥/٩٨.
(٧) في (ع): «وعن يزيد الرقاشي قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/١٨. ويزيد: هو يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص الزاهد، كان من خيار عباد الله، ومن البكائين بالليل، توفي ما بين عشر ومائة وعشرين ومائة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/٢٨٩. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/٣٠٩.
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) عبارة «وقال له»، في (م) و(ع): «فقال».
(١١) في (م) و(ع) زيادة: «لا أبكى الله لك عيناً».
(١٢) في (م) و(ع): «ثم بكت».
(١٣) في (م) و(ع): «فقالت».
(١٤) في الأصل: «ثم نظر»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «أتعجل»، وفي (م) و(ع): «يتعجل»، وقد وردت بلفظ «نتجعل» في الصفة، وهي الأصوب.
(١٦) في (م) و(ع): «أقعدوني أقعدوني».
(١٧) في (م) و(ع): «الدنياي».
(١٨) في (م) و(ع): «في».
(١٩) منكر ونكير: ملكان يسألان ابن آدم في قبره؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميِّت (أو قال: أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينوَّر له =

إياي؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين[1] يدي ربي ﷻ[2]؟ ثم[3] صرخ صرخة فمات رحمة الله تعالى[4] عليه». شعر[5]:

وما زِلْتُ أَبْكي كيف حُلَّت بحَاجِرٍ[6] ... عُرى جَلَدِي حتَّى تَداعى تَجلُّدِي
وَعَيْنَايَ قَدْ تَبْكِي[7] على فَرْطِ ما أرى ... فقلْتُ ألا صَبْراً[8] فلم[9] تك مُسْعِدي
وما ذاك إلا أنْ عَجِلْتُ بنظرةٍ ... قتلْتُ بها نَفْسي ولم أَتَعَمَّد
تَعَرَّض بأحقاف اللِّوى غير[10] ساعةٍ ... ولولا مكان الذَّنْب قلت لك أزدد
وقُل صَاحِبٌ لي ضَلَّ بالرَّمْلِ[11] قلبُه ... لَعَلَّكَ أنْ يَلْقَاكَ هادٍ فَيَهْتَدِي [21ب]
وسَلِّم على ماءٍ به بُرْءُ عِلَّتِي[12] ... وظِل أراك[13] كان للوَصْلِ[14] مَوْعِدِي
وقُل لحمام البَانَتَيْنِ[15] مُهَنِّئاً ... تَغَنَّ[16] خَلِيّاً[17] من غَرامي وغَرِّد
أَعِنْدَكُمْ يا قَاتِلِينَ[18] بَقِيَّة ... على مُهْجَة إنْ لم تَمُتْ فَكَأَنْ قَد

= فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرْجِع إلى أهلي فأُخْبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لايوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنَّا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذَّباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك». قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث (١٠٧١)، ٣/ ٣٨٣.

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «قال ثم».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للمهيار. انظر: الديوان، ١/ ٣٠٥.
(٦) الحاجر: وهو في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو موضع قبل مَعْدن النقرة الذي بطريق مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٠٤، و٥/ ٢٩٨.
(٧) عبارة «وعيناي.. إلخ»، في (م) و(ع): «وعيني تبكيه».
(٨) عبارة «ألا صبراً»، في (م) و(ع): «أتعنيفاً».
(٩) في (م) و(ع): «ولم».
(١٠) في (م) و(ع): «عمر».
(١١) الرمل موضع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٦٩.
(١٢) عبارة «برء علتي»، في (م) و(ع): برد غلتي».
(١٣) الأراك: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوَّارة العود تنبت بالغَوْر، تتخذ منها المساويك. ابن منظور، اللسان، «أرك»، ١٠/ ٣٨٩.
(١٤) في (م) و(ع): «بالوصل».
(١٥) في الأصل: «الباءتين»، والتصويب من (م) و(ع). والبان: شجر يَسْمُو ويَطول في استواء مثل نبات الأثل، وورقه هدب كهَدَب الأثل، وليس لخشبه صلابة، واحدته بانة. ابن منظور، اللسان، «بين»، ١٣/ ٧٠.
(١٦) في الأصل: «تعد»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في الأصل بياض، وهي من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «قاتلي».

ويا أَهْلَ نَجْد كَيْف بالغَوْر بَعْدَكُم[1] بقاءُ تهاميٍّ يَهيم بِمُنْجِد[2]
أَغَدْراً وفيكم ذمَّة عربيةٌ وبُخْلاً وفيكم يُسْتفاد ندي اليد[3]
مَلَكْتُمْ عَزِيزاً رقّه فَتَعَطَّفُوا على مُنْكِرٍ للذُّلِّ لَمْ يَتَعوَّد

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي أمضى أقداره على الوجود وكان أمره قدراً مقدوراً، قهر الخلائق بذل الحدث[4] وقيدهم بقيد[5] الفناء وبدلهم بعد الوجود قبورا، قضى لمن شاء بالسعادة وأسكنه جنة منعماً مسروراً، وقضى على من شاء بالشقاء[6] وألقاه في الهاوية يدعو ثبورا، عدل في قضائه بسابق علمه فالملحدون جاؤوا إفكاً[7] وزوراً، كشف للعقول حجب[8] أسرار قدره وقد سكنت من القصور قصوراً[9]، حمل الخلائق حمل التكليف[10] فمن أعانه سعد ومن خذله ألقي في الدرك[11] مهجوراً، أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة[12] فيا[13] عجباً كيف يُعصى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[14]، أحصى عليه أعماله في كتابٍ يقرؤه يوم القيامة[15] عند الموت مسطورا،

---

(١) في (م) و(ع): «عندكم».
(٢) مُنجِد: أي أتى بلاد نجد.
(٣) البيت ساقط في (م) و(ع). والنَّدى: الجود ورجل ند أي جواد، ورجل نَدِيّ الكف إذا كان سخياً، ونديّ اليد. ابن منظور، اللسان، «ندي»، ١٥/ ٣١٥.
(٤) في (م) و(ع): «الحدوث». والحَدَث: الأمر الحادث الذي ليس بمعتاد. والحدوث: كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فَحَدَث. ابن منظور، اللسان، «حدث»، ٢/ ١٣١.
(٥) في الأصل: «وقيد بقيدهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «بالشقاوة».
(٧) الإفك: الكذب والإثم. ابن منظور، اللسان، «أفك»، ١٠/ ٣٩٠.
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في الأصل: «من الجنة قصوراً»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].
(١٠) في (ع): «التكلف».
(١١) الدَّرْك: أسفل كل شيء ذي عمق، والدرك الأسفل في جهنم: أقصى قعرها. ابن منظور، اللسان، «درك»، ١٠/ ٤٢٢.
(١٢) أي أكملها وأتمها، وقيل: الظاهرة ما يرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات. القرطبي، الجامع، ١٤/ ٧٣.
(١٣) في (م) و(ع): «يا».
(١٤) قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الإسراء، آية ٦٧.
(١٥) عبارة «يوم القيامة» ساقطة في (م) و(ع).

ظن المبعد أنه أهمل، بل أمهل[1] هيهات ما يعد الشيطان إلا غرورا، ستعلم قولي يوم يحشر[2] المتقون إلى الرحمٰن وفدا[3] والعصاة يصلون سعيرا، [٢٢أ] ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[4].

معشر التائبين ضمروا عيس الأبدان ليوم الرحيل، كثروا زاد التقوىٰ فما بقي من العمر إلا القليل[5]، طلقوا الدنيا بتاتاً ومتعوها بما حوت من التبديل، فإن نزع عرق عند تذكارها أعرض بقلبك إنها زانية كل يوم عند خليل، مشومة الفتنة كم زوج لها تحت التراب قتيل، معشر التائبين إيَّاكم ومفارقة العلم فالعلم دليل، غلوا كلاب الشهوة[6] فضيف العمر عندكم نزيل، ضيِّقوا خناقها بالورع فلعلها من شرها[7] تستقيل، علموها الثبات عند الوثبات[8] عساها تهتدي للسبيل، أرضوا خصوم الجوارح بما لها من الأعمال فهي عليكم كالوكيل[9]، وفرقوها قبل يوم[10] لا تجدون[11] منظوماً ولا منشوراً، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[12].

بعض الزهاد رحمه الله تعالى قال[13]: بينما أنا جالِسٌ ذات[14] يوم على ساحلٍ من سواحل البحر، ليس يسكن إليه[15] الناس، ولا ترَقّى إليه السفن، إذْ[16] أنَا بِرجُل قد خَرَج من بَيْن تلك الجبال، فلما رآني هرب مني[17] وجعل يسعى فأتبعته[18] أسعى خلفه، فسقط على وجهه فأدركته، فقلت له: ممن تهرب يرحمك الله؟ فلم يكلمني، فقلت[19]: إني أريد الخير فعلمني، فقال: عليك بلُزوم الحقِّ حيث كنت، فوالله ما أنا حامد لنفسي فأدعوك [٢٢ب] إلى مثل عملها، ثم صاح صيحة فوقع[20] ميتاً، فمكثت لا أدري كيف أصنع به، قال: وهجم الليل

---

(١) في (ع): «أهمل»، وهو تصحيف.
(٢) في (م): «يساق».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) سورة الإسراء، آية ١٣.
(٥) في (م) و(ع): «قليل».
(٦) في (م) و(ع): «الشهوات».
(٧) في (م) و(ع): «شرهها».
(٨) أي: الشدائد والفتن.
(٩) قوله هذا إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].
(١٠) عبارة «وفرقوها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وفوا وقوفاً قبل يوم النفر». والمعنى: فرِّقوا بينها وبين المعاصي قبل يوم الحساب.
(١١) في الأصل و(ع): «يجدون»، والتصويب من (م).
(١٢) الآية في (م) و(ع): «﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾».
(١٣) في (ع): «عن بعض الزهاد قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٧١.
(١٤) عبارة «جالس ذات» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) عبارة «ليس يسكن إليه»، في (م): «ليس يسكنه»، وفي (ع): «يسكنه»، وهو تصحيف.
(١٦) في (م) و(ع): «إذا».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «واتبعته».
(١٩) في (م) و(ع): «فقلت له».
(٢٠) في (م) و(ع): «فسقط».

علينا فتنحيت عنه، فنمت فرأيت[1] في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء على خيل، فحفروا له قبراً وكفنوه ودفنوه بعد أن صلوا عليه[2]، فاستيقظت فازعاً[3] للذي رأيت، فذهب[4] عني سنة النوم بقية الليل، فلما أصبحت انطلقت إلى موضعه فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره، وأنظر حتى وجدت[5] قبراً جديداً فظننت أنه القبر الذي رأيت في منامي».

شعر[6]:

أَمُوتُ وما ماتَتْ إليكَ صَبَابَتي ... ولا قُضِيَتْ من صِدْقِ حُبِّكَ[7] أَوْطَارِي[8]

مُنَايَ المُنَى كلُّ المُنَى أنت لي مُنَى ... وأَنْتَ الغِنَى كلُّ الغِنَى عندَ إقتَارِي[9]

وأنت مَدَى سُؤْلِي وغايةُ رَغْبَتِي ... ومَوْضِعُ شَكْوَايَ[10] وَمَكْنُونُ إضْمَارِي

تَحَمَّلَ قَلْبِي فِيكَ ما لا أَبُثُّه ... وإنْ طالَ سَقْمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي

وبِي مِنْكَ في الأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامِر ... فَقَدْ هَدَّ مِنِّي الرُّكْنَ[11] وأَنْبَثَّ[12] إِسْرَارِي

أَلَسْتَ دَلِيلَ الرَّكْبِ إنْ هُمْ تَحَيَّرُوا ... ومُنْقِذَ مَنْ أَشْفَى على جُرُفٍ هَارِي

أَبَنْتَ الهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ ولَمْ يَكُنْ ... من النور في أيديهم عِشْرُ مِعْشَارِي[13]

فَجُدْ لِي بِعَفْوٍ منك أحْظَى[14] بِقُرْبِهِ ... وَوَاصِلْ بِيُسْرٍ منك يَطْرُدُ إعْسَارِي

[بحر الطويل]

يا حَيّاً في قَالِبِ الأَمْوَاتِ[15]، يا مَأْسُوراً[16] في سِجْنِ الشَّهَوَاتِ، إذا كان القلبُ مَيْتاً فَمَا

---

(١) عبارة «قال وهجم.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما هجم الليل تنحيت ناحية عنه فأريت».

(٢) عبارة «فحفروا.. إلخ»، في (م) و(ع): «فحفروا له وكفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه».

(٣) في (م) و(ع): «فزعاً».

(٤) في (م) و(ع): «فذهبت».

(٥) في (م) و(ع): «رأيت».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لذي النون قالها عند موته. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٣٢٠.

(٧) في (ع): «محبك»، وهو تصحيف.

(٨) في الأصل: «أوطرا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «أفتقاري»، والتصويب من (م) و(ع). والإقتار: التضييق على الإنسان في الرزق، وأقتر الرجل: افتقر. ابن منظور، اللسان، «قتر»، ٥/ ٧٠، ٧١.

(١٠) في (م): «شكوائي».

(١١) ركن الإنسان: قوته وشدته. ابن منظور، اللسان، «ركن»، ١٣/ ١٨٥.

(١٢) في (م) و(ع): «مذ بث».

(١٣) في الأصل: «معاشري»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «أحيا».

(١٥) في (م) و(ع): «يا أحياء في قوالب الأموات».

(١٦) في (م) و(ع): «أسارى».

تَنْفع الحركات، تَطْلُب بالتَّسْوِيف ما فات، وكم على طريق طَلَبِكَ[1] مِن آفاتٍ، نَمْرُودُ[2] هواك يَدَّعي وإبراهيم [٢٢أ] البُرْهان يقول هات[3]، يا فرعون[4] المُخَالَفَةِ ما يَنْفَعُكَ الرُّجُوع عند ضِيقِ الوَفَاةِ، يَا هَامَان[5] الأمَل كم تَبْنِي فوقَ الحَاجَةِ للرِّياءِ والمُبَاهاة، سَيُهْدَم[6] بِمَعَاوِل الخَرَاب وَيُرْمَى[7] في بحر الحَسَرَات، يا قَارون[8] الادِّخارِ أمَا تَخَافُ خَسْفَ المَنِيَّةِ وحَوَادِثِ الحالات[9]، يا مُوسَى التَّوبة أَلْقِ عَصَاك فإنَّ حَيَّات السَحَرَة كانَتْ لهم حَيَاة[10]، يا مَعْشَر

---

(١) عبارة «على طريق طلبك»، في (م) و(ع): «على طريقك».

(٢) نمروذ ـ بضم النون وبالذال المعجمة ـ: هو الملك الذي كان زمن سيدنا إبراهيم، وكان إهلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن سلط الله تعالى عليه بعوضة فدخلت في دماغه وأكلته، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك، فبقي في البلاء أربعين يوماً ثم مات. القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٨٣، بتصرف.

(٣) في (ع): «مات»، وهو تصحيف. وفي هذه العبارة إشارة إلى ما كان بين سيدنا إبراهيم وبين النمروذ، حيث كان هذا الأخير يدّعي الربوبية فحاجّه سيدنا إبراهيم وأفحمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(٤) في (م) و(ع): «فيا فرعون». وفرعون هو الذي أرسل الله إليه سيدنا موسى، لتجبُّره في الأرض واعتزازه بملكه وادعائه الربوبية، فلما امتنع عن الإيمان بالله أغرقه الله بذنوبه وجعله مثلاً وعبرة.

(٥) في (م) و(ع): «قارون». وهامان كان وزيراً لفرعون، وهو الذي بنى له الصرح ليرى إلٰه موسى فأخذهم الله بعذاب من عنده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٣٨ إلى ٤٠].

(٦) في (م) و(ع): «ستهدم». (٧) في (م) و(ع): «ترمى».

(٨) كان قارون من أتباع سيدنا موسى، وقد أعطاه الله من فضله فغَنِي وكَثُر ماله، فلم يشكر الله تعالى وإنما أشِر وبطر وتكبّر، فخسف الله تعالى به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [٧٦ ـ ٨١].

(٩) حالات الدهر وأحواله: صروفه. الفيروزآبادي، القاموس، «حول»، ص١٢٧٩.

(١٠) أي: أن حيَّات السحرة الوهمية، التي سحروا بها أعين الناس، والتي جاءوا بها لينصروا الباطل الذي هم فيه على الحق الذي جاءهم به موسى، كانت سبباً لحياتهم، وذلك حين أسلموا وآمنوا بسيدنا موسى رسولاً من عند الله تعالى، فخرجوا بها من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

التائبين هذا رَسُول المَوْعِظَة يقول مَنْ له قِصَّة نَدَم يقول[1] هات، المَجْلِسُ طاب فبادر[2] إلى الحبيب قبل غَلْقِ الباب ويُقَالُ[3] لك هَيْهَات، مَعَاشِر الشيوخ أندبوا أيام الشباب، وآبكوا على ما فات، كيف تَتَّبع آثار القوم وأنت مَتْبُوعٌ بالتَّبِعَات، أخرج عن دِيار الإدْبار أَلَيْسَ كلّ ما قَدَّمْتَ عليك مَسْطُوراً، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[4].

قحط[5] الناس بالبصرة وغَلا سِعْرُها واحتبس المطر عنهم، فخرجوا يستسقون وخرج اليهود ومعهم التوراة، وخرج النصارى ومعهم الإنجيل[6]، وآعتزل المسلمون كلهم يدعون، وآنصرفوا يومهم ذلك[7]، قال بعضهم[8]: فبينما أنا بعد ذلك أمشي[9] في طريق المربد[10]، فنظرت[11] فإذا بين يديَّ فتى عليه أطمار رثَّة، لا تقبله[12] النفس وهو يمشي وأنا خلفه حتى خرج إلى الجبَّانة[13] فدخل في بعض المساجد التي في القرب[14] من المقابر، ودخلت خلفه يحول بيني وبينه أركان المسجد [٢٣ب] فصلى ركعتين، ثم رفع طرفه[15] يدعو، وقال[16] في دعائه: يا رب آستغاث بك عبادك فلم تغثهم، الآن شمتت بنا اليهود والنصارى، أقسمت عليك يا رب إلا سقيتهم الساعة الساعة ولا تردني خائباً[17]. قال: فما برح يدعو حتى جاءت السحاب ومطرنا. وخرج وخرجت في أثره لأعرف موضعه فجاء إلى دار فيها[18]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل و(م): «فبادروا»، وهي من (ع).

(٣) في الأصل: «يقول»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) الآية في (م) و(ع): ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

(٥) في (م): «قال بعضهم قحط».

(٦) عبارة «وخرج اليهود.. إلخ، في (م) و(ع): «وخرج اليهود والنصارى، فخرج النصارى ومعهم الإنجيل وخرج اليهود ومعهم التوراة».

(٧) في (م) و(ع): «يومهم ذلك وأنصرفوا».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «أمشي بعد ذلك».

(١٠) عبارة «في طريق.. إلخ»، في الأصل: «في طريق أريد يثرب»، وفي (م): «في طريق المزيد»، وفي (ع): «بطريق المزيد»، وقد وردت لفظة المربد في الصفة، وهو الأصوب. والمِرْبَد: هو كل موضع حبست فيه الإبل، وبه سُمي مِربد البصرة، وهو اليوم كالبلدة المنفردة عنها، وبينهما ثلاثة أميال. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٥٢/٣.

(١١) في (م) و(ع): «نظرت».

(١٢) عبارة «لا تقبله»، في الأصل: «ثقلة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «حتى خرج.. إلخ»، في (م) و(ع): «حتى خرجت إلى الجبان».

(١٤) عبارة «فدخل في بعض.. إلخ»، في (م) و(ع): «فدخل إلى بعض تلك المساجد بالقرب».

(١٥) في (م) و(ع): «يديه».

(١٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «يا رب إلا سقيتنا غيثك الساعة فلا تردني».

(١٨) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).

أخصاص[1] وفيها[2] أكواخ[3] وفيها سكان، فدخل بيتاً فيها[4] فعرفت موضعه وأنصرفت عنه، وهيأت الدراهم[5] في صرة ثم جئت فأستأذنت عليه ودخلت، وإذا البيت ليس فيه[6] إلا قطعة حصير ومطهرة فيها ماء، وإذا هو قاعد يعمل الخُوص[7]، فسلمت عليه فرحب بي وبش، فتحدثت[8] معه[9] ساعة ثم[10] أخرجت الصرَّة، فقلت: رحمك[11] الله أنتفع بهذه، فتبسم وقال: جزاك الله خيراً، أنا في غنى عنها، فلححت عليه، فجعل يدعو ويأبى أن يأخذها، فلمَّا أكثرت رغبتي[12] قال: حسبك الآن[13] ليس لي بها حاجة. قال: فأقبلت عليه[14]، وقلت: يرحمك[15] الله[16] إن لي عليك حقاً. قال: وما هو يرحمك[17] الله؟ قلت: كنتُ أَسْمَع دُعاءك حين خَرَجْت إلى الجبانة[18]، فأصفر وجهه حتى أَنْكَرته وساءه ما قلت له، ثم خرجت من عنده فلما كان بعد ذلك بأيام أتيته فلما دخلت الدار جعل سكان الدار يصيحون بقيم الدار ويقولون[19]: هو ذا قد جاء، فجاء إلي وتعلق بي وقال: يا عدو نفسه ما صنعت [٢٤أ] بذلك[20] الفتى الذي جئته اليوم الأول وأي شيء أسمعته؟ قلت: لا تعجل علي[21] حتى أخبرك بالحديث. قال: إنك لما خرجت من عنده قام في الحال وأخذ[22] حصيرته ومطهرته وودعنا وخرج ولم يعد إلينا إلى الساعة، لا ندري أين ذهب رضي الله عنه[23]. شعر[24]:

خَلِّ طرفي والبُكا إنْ كُنْتَ خِلِّي ... فالحِمى أَقْفَرَ مِنْ جَارٍ وَأَهلِ

---

(١) الخُصّ: بيت من شجر أو قصب، وقيل: البيت الذي يُسَقَّف عليه بخشبة على هيئة الأزج، والجمع أخصاص. ابن منظور، اللسان، «خصص»، ٧/ ٢٦.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «أكراخ»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «منها».

(٥) في (م) و(ع): «دراهم».

(٦) عبارة «وإذا البيت ليس فيه»، في (م) و(ع): «فإذا ليس في البيت».

(٧) الخُوص: ورق المُقْلِ والنخل والنارجيل وما شاكلها، والخَوَّاص: معالج الخوص وبيَّاعُه. ابن منظور، اللسان، «خوص»، ٧/ ٣٢.

(٨) في الأصل: «فتحدث»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «و».

(١١) في (م) و(ع): «يرحمك».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «عليك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «رحمك».

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «رحمك».

(١٨) في (م) و(ع): «الجبان».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «الذلك».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «فأخذ».

(٢٣) في (م) و(ع): «لا ندري أين توجه». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٨.

(٢٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

وَيْحَ[1] مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا طَعْمُ الهوى أنا مِنْ لَوْمِكَ فِي أَشْغَلِ شُغلِ[2]
مَا وُقُوفِي فِي مَحَلٍّ سَاكِنٍ فِي فُؤَادِي أَهْلُه لا فِي المَحَلِ
يَتَمَنَّى طَيْفَكُم صَبٌّ بِكُم مُسْتَهَامٌ والمُنَى جَهْدُ المُقِلِ[3]
حَمَّلُونِي الخِفَّ[4] مِنْ هَجْرِكُم وَآرْحَمُوا مَن لا لَه طَاقَة ثِقْلِ[5]
فَعَسَى يُدْنِي المُنَى مِنِّي مِنَى وَلَعَلِّي أَنْ أَرَى الخَيْفَ[6] لَعَلِ

[بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تنزه عن الوالد والولد والصَّاحب[7] والصاحبة والمعين والوزير، تقدس في عظمته عن صفات المحدثات[8] فكل من سواه صنيعه فهو[9] عاجز[10] ذليل حقير[11]، أبدع الخلائق بلا مثال تقدم، ولا شكل سبق، ولا إشارة مُشير، تفرد بالوحدانية وآحتجب بالعظمة فلا يدركه بصر البصير، السمٰوات بقدرته مبنيَّة، والأرض بإرادته مدحية بسر[12] التسخير، خلق الخلائق ليعبده الكبير منهم والصغير، مهد لهم مهاد السبيل[13] بدليل الرسل فعلَّمهم الكيفية والتقدير، فالعارفون ركبوا نجيب النجاة[14] [٢٤ب] للمسير، وأهل الحرمان أعمتهم الشهوات فيسير الطاعات[15] عليهم عسير، كلما قاموا أقعدوا وكلما سلكوا ألقوا من الخذلان في حفير، حيل بينهم وبين ما يشتهون كما حيل بين الثدي والطفل الصغير، لا يطيق الصبر عن[16]

---

(١) في (م) و(ع): «والح».

(٢) في (م) و(ع) زيادة:
«هذه من بعدهم آثارهم وُوقوفي ببلى الأطلال يُبْلي»

(٣) جهْد المُقِل: أي قدر ما يحتمله حال القليل المال. ابن منظور، اللسان، «جهد»، ٣/١٣٣. والمعنى أن التمني هو غاية ما يستطيعه محب مبعد عن أحبابه.

(٤) في الأصل: «الخوف»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الثقل: الفارس الجواد. ابن منظور، اللسان، «ثقل»، ١١/٨٦.

(٦) في (م) و(ع): «الطيف».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) أي: أن الله ﷻ مقدَّس عن التغيير والانتقال، لا تحله الحوادث، [لأن كل حادث مخلوق متغير وجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية ينقسم إلى ذلك، والله خالقه جلّ جلاله]. الغزالي. قواعد العقائد، ص٥٢ ـ ٥٣.

(٩) عبارة «فكل من سواه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فكل إليه».

(١٠) في الأصل: «عجيز»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «فقير».

(١٢) في (م) و(ع): «السر».

(١٣) في (م) و(ع): «السبل».

(١٤) عبارة «نجيب النجاة»، في (م): «نجب النجابة»، وفي (ع): «بخت النجابة». والنجيب: هو الفاضل النفيس في نوعه، رجل نجيب: أي كريم بَيِّن النجابة، والنجيب من الإبل هو القوي منها الخفيف السريع. ابن منظور، اللسان، «نجب»، ١/٧٤٨.

(١٥) في (م) و(ع): «الطاعة».

(١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (ب).

الرضاع ولا يطيق الرضاع من المائع المرير، فإذا بكى ما رحموه فترك المألوف عسير، لا يعذر في حال من الأحوال بل يُحاسَب على النقير والقطمير[1]، جعل الشباب مطية لحمل الزاد إلى السَّفر الخطير، فيا معشر الشيوخ كم غيبتم تحت التراب من عزيز ومن حقير، أما لكم عبرة فيمن عبر إلى الحفير[2]، ما يكون جوابكم عند مساءلة منكر ونكير، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[3]، فسبحان من بيده مقاليد التقدير، أحمده حمداً يسترنا يوم الحشر من السعير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آنس بها في ظلمات[4] الحفير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[5] صلاة أنجو بها من[6] هول يوم السعير[7].

يا من شبابه ذهب في طلب الذهب، يا عبد السوء استثقلت العمل وأنت في هرب، العلم دليل على الباقي وأراك لحطام الدنيا تحطب[8]، علمك[9] شمعة تبكي عليك وأنت بنار[10] الحرص تلتهب[11]، كم تضيء لغيرك وجواهر أجزائك بيد البلى تخرب[12]، كم طار بك العلم إلى [25أ] الثريا وهواك في الفاني يمرغك[13] في الثرى أنفاسك بالساعات تستلب[14]، كم لك من[15] تأول في الشبه[16] وكم لك في اقتحام الجرائم من أرب، زينت ظاهرك بالثياب ومن لباس التقوى قصر قلبك خرب، يا مكشوف العورة وهو[17] يرى أنه مستور بما كسب،

---

(1) النقير: نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة، والقطمير: هي القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. ابن منظور، اللسان، «قطمير»، 108/5، و«نقر»، 228/5. والنقير والقطمير يضرب بهما المثل في القلة.

(2) عبارة «حيل بينهم وبين ما يشتهون.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(3) سورة فاطر، آية 37.

(4) في (م) و(ع): «ظلمة».

(5) في (م) و(ع) زيادة: «وأزواجه».

(6) عبارة «أنجو بها من»، في الأصل: «أنجو منها في»، والتصويب من (م) و(ع).

(7) عبارة «يوم السعير»، في (م) و(ع): «اليوم العسير».

(8) في (م) و(ع): «تحتطب».

(9) في (م) و(ع): «عملك».

(10) في (ع): «لنار».

(11) في (م) و(ع): «تلهب». والمعنى: انعدم عملك بما علمت، وصرفت هَمَّك في الحرص على الدنيا والتكالب عليها.

(12) في (م) و(ع): «تنهب».

(13) في الأصل: «بين لك»، والتصويب من (م) و(ع).

(14) عبارة «أنفاسك.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلا علم ولا أدب».

(15) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(16) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 7].

(17) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

حديث الآخرة عندك حديث وحديثك عند الموت أعجب[1]، أما ترى أحوال الزاهدين كيف طرزت بهم المجالس والخطب، وترى لما زهدوا أعدموا[2] المأكول[3] والمشرب، خففوا أحمالهم للرحلة وأثقلتك الدنيا وعند المنية لا تقدر على الهرب[4]، دلهم علمهم[5] عليه فوصلوا و[6]أضعت علمك[7] بما يفنى ويذهب، ليت شعري ما يكون جواب العصاة عند السؤال في الحفير ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾. شعر:

لـي فُـؤادٌ ضَـلَّ عَـمَّـن غَـيْـركـم	وهـو فـي الـحُـبِّ إِلَـيْـكُـمْ مُـهْـتَـدِي
أَخْـذُكُـم الـرُّوح[8] مـنِّـي هَـيِّـنٌ	إِنَّـمَـا الـمِـحْـنَـة تَـرْكُ الـجَـسَـد
اِرْفِـقُـوا بِـي رِفْـقَ مَـنْ ذَاقَ الـهَـوَى	لا تُـذِيـبُـوا بِـجَـفَـاكُـمْ كَـبِـدِي
لا شَـفِـيـعَ لـي إِلَـيْـكُـمْ غَـيْـرُكُـمْ	أَنْـتُـمْ ذُخْـرِي وأنـتـمْ سَـنَـدِي
فَـبِـكـم مِـنْـكُـمْ إِلَـيْـكُـمْ أَشْـتَـكِـي	فَـخُـذُوا يَـا مُـشْـتَـكَـايَ بِـيـدِي
أَنَـا أَوْقَـعْـتُ فُـؤَادِي فِـي الـهَـوَى	كُـلُّ مَـا تَـمَّ عَـلَـيَّ قَـدْ بُـدِي[9]

[بحر الرمل]

يا من توالت عليه أخلاط الخطايا حتى رمي في شمل شبابه بالكمد[10]، يا من خطاياه أكثر من الحصى عدد[11]، ليت شعري من قطعك عن رفاق من [٢٥ب] تهجد، أكلت الحرام ونمت وما أسهم بسهم لمن رقد، أما ترى الشباب كيف صدر والمشيب كيف ورد، أما ترى كيف ٱحتوى على القوي وٱستبد، كأني بك يا أخي وقد برق البصر[12] لهول ما يشهد، وخرس اللسان وغلب على القلب الكمد، وصمت الآذان وزاد في ظهوره الألم والزبد، وٱنتزعت الروح بهول ما تتوهمه أو ما هو أشد، الملك يقول ما قدم والوارث يقول ما خلف من سيد أو لبد[13]، قُبِر في قبر ثلاثة أذرع ما أغنى عنه مال ولا ولد، فيا طول أحزانه في البلاء في غربة

---

(١) في (م): «عجب». والمعنى: إن أحاديث الآخرة والموت لا تأبه لها، وهي عندك كلام يُروى ومواعظ تُتلى ليس إلا.

(٢) في الأصل: «عدم»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «المأكل».

(٤) عبارة «وعند المنية.. إلخ»، في (م): «وعند الموت ما مهرب»، وفي (ع): «وعند الموت ما تهرب».

(٥) في الأصل: «عملهم»، وهي من (م) و(ع). (٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «عملك»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «أخذكم في الروح»، والتصويب من (ب).

(٩) عبارة «كل ما تم.. إلخ»، في الأصل: «فلمن لوم وعلى من بدي»، والتصويب من (ب).

(١٠) الكمد: همّ وحزن لا يُستطاع إمضاؤه. ابن منظور، اللسان، «كمد»، ٣/ ٣٨١.

(١١) في الأصل: «والعدد»، والتصويب من (ب).

(١٢) بَرِق بصره بَرَقاً: دَهِشَ فلم يبصر، وتَحَيَّر فلم يَطْرِف. ابن منظور، اللسان، «برق»، ١٠/ ١٥.

(١٣) اللِّبد: الكثير. ومال لبد: كثير لا يخاف فناؤه. ابن منظور، اللسان، «لبد»، ٣/ ٣٨٧.

لا يعاد ولا يعد، أنيسه أعماله ليت شعري ماذا أستعد، فبادروا قبل أستماع التوبيخ للكبير والصغير: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[1].

تَـزَوَّدْ قَـرِيـنـاً مِـنْ فِـعـالِـكَ إِنَّـمـا ... قَرِينُ الفَتَى في القَبْرِ ما كان يَفْعَل
فَلَـم يَصْحَبِ الإِنْسَان مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ... إِلـى قَـبْـرِهِ إِلَّا الـذي كـان يَـعْـمَـل[2]
أَلَا إِنَّـمـا الإِنْـسَـانُ ضَـيْـفٌ لِأَهْـلِـهِ ... يُـقِـيـمُ قَـلـيـلاً عِـنْـدَهُـمْ ثُـمَّ يَـرْحَـل[3]

[بحر الطويل]

قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى[4]: «خرجت ذات ليلة[5] فظننت أني قد[6] أصبحت فإذا هو الليل لم يزل[7] فقعدت عند[8] باب صغير فإذا بصوت شاب يبكي وهو[9] يقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي[10] مخالفتك ولقد عصيتك حين عصيتك[11] وما[12] أنا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي وغرني [٢٦أ] سترك المرخى علي، وقد عصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فالآن من عذابك من ينقذني، ومن ذا الذي من أيدي زبانيتك يخلصني[13]، وبحبل من أتصل إن[14] أنت قطعت حبلك عني[15]، واحسرتاه[16] على ما مضى من أيامي في معصيتك[17] ربي عز وجل، يا ويلي كم أتوب وكم أعود وقد حان لي أن أستحيي من ربي ﷻ[18]. قال منصور بن عمار[19]: فلمَّا

---

(١) عبارة «لي فؤاد ضل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) البيت ساقط في (م) و(ع).
(٣) الأبيات للصلصال بن الدَّلهمس. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٢/١٩٣.
(٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/١٨٤. ومنصور: هو منصور بن عمار بن كثير، أبو السري الخراساني، ثم البغدادي، كان من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ، توفي سنة ٢٢٥هـ - ٨٣٩م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص١٣٠. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢٨٦.
(٥) في (م) و(ع): «ذات ليلة مظلمة».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) عبارة «فإذا هو الليل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا أنا علي ليل».
(٨) في (م) و(ع): «على».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م): «بمعصيتك».
(١١) عبارة «ولقد عصيتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «ولا».
(١٣) عبارة «ومن ذا الذي من أيدي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «إذا».
(١٥) عبارة «قطعت حبلك عني»، في (م) و(ع): «قطعت حبلي».
(١٦) في (م) و(ع): «واسوأتاه».
(١٧) في (م) و(ع): «معصية».
(١٨) عبارة «عز وجل يا ويلي كم أتوب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «ابن عمار» ساقطة في (م) و(ع).

سمعت كلامه قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2]، فسمعت صوتا واضطراباً شديداً فمضيت[3] لحاجتي، فلما أصبحت إذا[4] بجنازة على الباب وعجوز تذهب وتجيء، فقلت: من الميت؟ فقالت: إليك عني، واحزني، فلا تجدد علي همي[5]. فقلت لها: إني رجل غريب. فقالت: هذا ولدي مر بنا البارحة رجل ـ لا جزاه الله خيراً[6] ـ وقرأ[7] آية من القرآن[8] فيها ذكر النار فلم يزل ولدي يبكي ويضطرب حتى مات رحمه الله تعالى[9]. فقال[10] منصور: هذه ـ والله ـ[11] صفة الخائفين يا ابن عمار». شعر[12]:

يـا هِـلَالاً فـي فُـؤَادِي أَشْـرَقَـا ... لَيْسَ لي مُذ غاب عن عَيْنِي[13] بَقَا

سَلَبَ الصَّبْر وأَعْطَانِي الأَسَى ... سَلَبَ[14] النَّوْمَ وأَدْنَى[15] الأَرَقَا

جَعَلَ[16] الحَاجِبَ قَوْساً وانْتَضَى[17] ... لَحْظه سَهْماً وَقَلْبِي رَشَقَا

لم يُبْقِ الوَجْدُ عِندي والجَوَى[18] ... رَمَقاً في مُهْجَتِي مُذْ رَمَقَا [٢٦ب]

يَا أخِلَّائي على وَادي الغَضَا ... وَرَفيقي مِنكم مَنْ رَفَقَا

هِذِه نَجْد وهَاتِيك الحِمَى ... فَاسْأَلُوه[19] أين غِزْلان النَّقا[20]

آه وجداً[21] إنْ أَجَابَتْ دَارهم ... بَعُدَ المَرْمَى وَعَزَّ المُلْتَقَى

---

(١) عبارة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) سورة التحريم، آية ٦، وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ الآية».

(٣) في (م) و(ع): «ومضيت».

(٤) في (م) و(ع): «فلما أصبحنا فإذا».

(٥) عبارة «واحزني.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا تجدد علي أحزاني».

(٦) عبارة «لا جزاه الله خيراً» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فقرأ».

(٨) عبارة «من القرآن» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «قال».

(١١) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «عن عيني»، في الأصل «عسى عني»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وسبى».

(١٥) في (م) و(ع): «وأهدى».

(١٦) في (م) و(ع): «أخذ».

(١٧) في (ع): «وانتمى».

(١٨) في (م) و(ع): «والأسى».

(١٩) في (م) و(ع): «فسلوه».

(٢٠) النَّقا من الرمل: القطعة تنقاد مُحْدَوْدِبة. وهذه نقاة من الرمل: للكثيب المجتمع الأبيض الذي لا ينبت شيئاً. ابن منظور، اللسان، «نقا»، ١٥/٣٤١. وهو موضع كثر ذكره في أشعار العرب.

(٢١) عبارة «آه وجداً»، في الأصل: «ذبت آه»، والتصويب من (م) و(ع).

جِـيـرَةٌ كـانـوا فَـبَـانُـوا[1] إذْ نَـأَوا وَأَغَـاضُـوا عَـنْ سُـلـويٍّ قَـلَـقَـا
حَـيٌّ طَـيْـفـاً طَـابَ[2] مِـنْ حَـيِّـهِـم حـيـن حَـيَّـانـي أَزَالَ الـحُـرَقَـا[3]
بـات يُـسْـلِـيـنـي ودَمْـعِـي مُـسْـبَـل فَـرَقَـاً حـتـى رقـاه[4] فـرقـا[5]
مـا رَقَـى[6] دَمْـعـي حُـنُـوّاً إنَّـمـا خَـافَ لـمَّـا فَـاضَ مـنـه الـغَـرَقَـا
أيـهـا الـوَرْقَـاء[7] أمْـلَـيْـتِ الـدُّجَـى مِـن غـنـاء[8] ومَـلأتِ الـوَرَقَـا

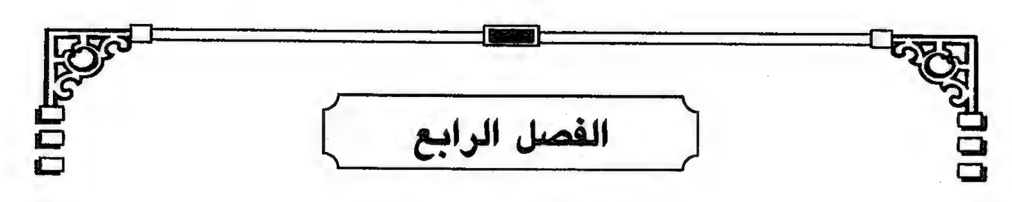
[بحر الرمل]

لسهام وعظي رشق في قراطيس[9] القلوب، فمن أبطأ سيل دم مدامعه فلحلاوة السهم، وسرعة الإصابة، وحسن الرامي، شغله سماع المعاني عن ألم التوبيخ، فإذا عاد إلى منزله عاد عليه ألم الندم، فأخذ بجذب[10] نصل الذنوب بالتنصل، ويلقي عليه مَرهم[11] الموعظة ويحتمي عن تخليط الخطايا ويستعمل ذرور[12] التهجد وإن كان فيه ألم، كم متفرج خرج عليه من كنانة وعظي سهم غرب فأجرى دمعه، فالتحق بشهداء التائبين، كم من قطرة من خشية الله يتلقاها[13] ملك ويستدعي أخرى ذخيرة للآخرة[14]، وكم في مجلسي من قتيل أسف وغريق ماء مدامع، فلو عاينت إبليس يتخبط على باب المجلس مما يرى من آثار الرحمة على التائبين، والحاسد يخرج كما دخل[15] ويمسح إبليس على ناصيته ويقول [٢٧أ] فديت من لا يفلح أبداً[16].

إلهي لا تلهني بغيرك عنك[17] حتى أعود بك إليك، هذا مقام المستجير بك أجرني من النار، إلهي لا تعرض عني يوم تعرضني برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وسلم[18].

---

(١) في (م) و(ع): «فجاروا».
(٢) في (م) و(ع): «طاف».
(٣) في الأصل: «حرقاً»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «رآه»، وهي من (م) و(ع). ورقى الراقي رُقْيَة إذا عوَّذ ونفث في عوذته. ابن منظور، اللسان، «رقا»، ١٤/ ٣٣٢.
(٥) رقأت الدمعة ترقأ رقأ: جفَّت وانقطعت. ابن منظور، اللسان، «رقأ»، ١/ ٨٨.
(٦) في الأصل: «راق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) الأورق: ما كان لونه لون الرماد، ومنه قيل للحمامة ورقاء للونها. ابن منظور، اللسان، «ورق»، ١٠/ ٣٧٧.
(٨) في (ع): «عَنَاء».
(٩) القراطيس: جمع قرطاس، وهو الصحيفة. ابن منظور، اللسان، «قرطس»، ٦/ ١٧٢.
(١٠) في (ع): «يجذب».
(١١) المرهم: هو ألين ما يكون من الدواء الذي يُضَمَّد به الجرح. ابن منظور، اللسان، «مرهم»، ١٢/ ٥٦٥.
(١٢) الذَّرور: ما يُذَرّ في العين وعلى القرح من دواء يابس. ابن منظور، اللسان، «ذرر»، ٤/ ٣٠٤.
(١٣) في (م): «كم من قطرة خشية تلقاها»، وفي (ع): «كم من قطرة خشية يلقاها».
(١٤) في (م) و(ع): «للأخرى».
(١٥) في (ع): «يدخل كما خرج»، وهو تصحيف.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الرابع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي برهن باهر قدرته على وحدانيته فرسخته[1] البراهين في القلوب والأسماع، لا تتحرك ذرة في الملك والملكوت[2] إلا بإذنه في الضرر والانتفاع، كتب قلم قدرته على ألواح[3] الأرواح مقادير فهم رموزها لا يُستطاع، صدرت عنها أفعال الخلائق فهذا في العلا وهذا في الدرك الأسفل في القاع، سرى في ذي الورى وظهر في الخلائق وفي البقاع[4]، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾[5]، هذه تنبت الحلو[6] وهذه تنبت المر حكمة يفهمها ذو[7] الاطلاع، نعم أحبابه في الفلوات[8] بالخلوات وآنسهم إليه بالانقطاع، جعلوا همَّهم واحداً بين رحيل إليه وانتجاع[9]، نزعوا حلل الدنيا ولبسوا ثياب الزهد ووجهوا نحوه روعهم[10] والانتزاع[11]، والمحروم طريح على باب الطرد لا ندم ولا استرجاع، كم له من مرض بشهوة ومن تخليط[12] الخطايا من أوجاع، يعصي من يغذيه بنعمه ويلطف[13] به إن عطش أو جاع، كم حذره[14] طريق الهلاك وكم أقطعه من حبه[15] من إقطاع، فيا أهل

---

(١) في الأصل: «فسخرت»، وفي (م): «فرسخت»، وهي من (ع).

(٢) عبارة «لا تتحرك.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا يتحرك في الملك والملكوت ذرة». ومُلك الله تعالى ومَلَكوته: سلطانه وعظمته. ابن منظور، اللسان، «ملك»، ١٠/ ٤٩٢.

(٣) في الأصل: «أرواح»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «سرى.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرعد، آية ٤. وعبارة «وجنات من أعناب» ليست في (م) و(ع). والمعنى: في الأرض قرًى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والثمر، فيكون البعض حلواً، والبعض حامضاً. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٢٨١.

(٦) في الأصل: «الحب»، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م): «ذوو».

(٨) الفلوات: جمع فلاة وهي القفر من الأرض، وقيل: هي التي لا ماء بها ولا أنيس. ابن منظور، اللسان، «فلا»، ١٥/ ١٦٤.

(٩) النَّجعة عند العرب: المَذهب في طلب الكلأ في موضعه، وانتجعنا فلاناً إذا أتيناه نَطلب معروفه. ابن منظور، اللسان، «نجع»، ٨/ ٣٤٧.

(١٠) في الأصل: «روعهم إليه»، والتصويب من (م) و(ع). والرَّوْع: الفزع، والرُّوع: موضع الرَّوع وهو القلب. ابن منظور، اللسان، «روع»، ٨/ ١٣٥.

(١١) انتزاع النية: بُعْدُها؛ ومنه نزع الإنسان إلى أهله: حنَّ واشتاق. ابن منظور، اللسان، «نزع»، ٨/ ٣٥٠.

(١٢) عبارة «كم له من.. إلخ»، في الأصل: «كم له يمرض شهوة وتخليط»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «يطلب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «حذره عن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وكم أقطعه في جنته».

المعاصي إلى متى عن ديار[1] الغفلة لا[2] إقلاع، هذا المشيب يخرب من شبابك ما شيد بالارتفاع[3]، اسمعوا نغم حاد[4] [27ب] يُنادي من حاد عن السبيل بالترجاع، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[5].

إلهي ما حيلة من انقطع و[6]قيده القضاء وأوثقه القدر، ما يصنع من أراد النهوض إلى السلوك يوماً فما[7] قدر، ما يفعل المطرود المبتلى بالحرمان منع الصبر فما صبر، كيف يجول في صفوف التائبين من خانه التوفيق في جواد عزمه فتقنطر[8]، كم اتضح للسالك[9] من نية خرجت نيته[10] فوافق[11] خبر شقائه الخبر[12]، وفرزان[13] عقله مشى إلى وراء، وبيذق[14] الشهوة يقدم[15] سوقه لما خانه النظر، رأى ما رأى[16] من الجادة فحل[17] وثاق إصراره وما أصر[18]، ما أسعده إن رافق[19] التائبين في هذا السفر، هذا شعاب التوبة يجبر من كسر[20]، أين من لين الوعظ قلبه وبذل الندم انكسر[21]، قدم الزاد قبل السفر فما عند الشبعان من الجائع خبر، أنت تعلم ما في أحمالك من أعمالك وأنت بحالك أعلم و[22]أخبر، بادر باقي[23] الأنفاس قبل حلول الأوجاع، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

---

(1) في الأصل: «دمان»، والتصويب من (م) و(ع).
(2) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(3) في (م) و(ع): «القلاع».
(4) في (م) و(ع): «حادي الموعظة».
(5) سورة غافر، آية 18.
(6) عبارة «انقطع و» ساقطة في (م) و(ع).
(7) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
(8) قنطر علينا: طوّل وأقام لا يبرح. الفيروزآبادي، القاموس، «قنطر»، ص600.
(9) في الأصل: «للسلوك»، وفي (ع): «للمسلوك»، والتصويب من (م).
(10) عبارة «من نية.. إلخ»، في (م) و(ع): «من تيه خرجت تيه».
(11) في الأصل و(م) و(ع): «وافق»، والتصويب من (ب).
(12) في قوله هذا إشارة إلى معنى الحديث الذي أخرجه الترمذي عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه...» الحديث، تقدم في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.
(13) كلمة «وفرزان» في (م) و(ع): «فرزان». والفرزان من لُعَب الشُّطْرَنْج، أعجمي معرب. ابن منظور، اللسان، «فرزن»، 13/322.
(14) البيذق: من لعب الشطرنج، واللفظة فارسية معرّبة. ابن منظور، اللسان، «بذق»، 10/14.
(15) في (م) و(ع): «تقدم».
(16) في الأصل و(م) و(ع): «يرى ما يرى»، والصواب ما أثبتناه.
(17) في (م) و(ع): «حل».
(18) في (م) و(ع): «أسر».
(19) في (ع): «وافق».
(20) في (م) و(ع): «يجبر ما انكسر».
(21) في الأصل: «وانكسر»، والصواب ما أثبتناه. وعبارة «أين من لين.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(22) عبارة «أعلم و» ساقطة في (م) و(ع).
(23) في (م) و(ع): «بقايا».

قال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى[١]: «بينما[٢] أنا ذات[٣] ليلة مواجه هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا أنا بإنسان عند أسطوانة[٤] قاعد[٥] مقنع رأسه، فسمعته يقول: أي ربي[٦]، إن القحط قد استولى على بلادك[٧]، وأنا مقسم عليك - يا رب - إلا سقيتنا[٨]. قال: فما كان إلا ساعة إذا بسحابة[٩] قد أقبلت ثم أرسلها [٢٨أ] الله ﷻ[١٠]. وكان ابن المنكدر لا يريد أن يخفى[١١] عليه أحد من أهل الخير، فقال[١٢]: إنَّ[١٣] هذا في المدينة[١٤] وأنا لا أعرفه، فلما سَلَّم الإمام تقنَّع وانصرف، فاتبعته[١٥] ولم أجلس حتى أتى داراً فدخل موضعاً فأخرج[١٦] مفتاحاً ففتح بيتاً[١٧] ثم دخل. قال: فرجعت فلما أصبحت[١٨] أتيته، فإذا أنا أسمع نجراً في بيته، فسلَّمت عليه ثم قلت: أدخل[١٩]؟ قال: أدخُل، فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها. فقلت له[٢٠]: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها واستعظمها مني، فلما رأيت ذلك قلت: إني[٢١] سمعت إقسامك البارحة على الله تعالى، يا أخي هل لك في[٢٢] نفقة تعينك[٢٣] على هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة. فقال[٢٤]: لا، ولكن غير ذلك، أريد أن[٢٥] لا تذكرني لأحد حتى أموت، ولا تأتيني يا ابن المنكدر فإنك إن تأتني تشهرني للناس[٢٦]. قلت: أخي[٢٧] إني أحب أن ألقاك. قال: القني في المسجد، وكان فارسياً. قال: فما ذكرتُ ذلك لأحدٍ حتى مات رحمة الله عليه[٢٨]. قال ابن وَهَب رحمه الله تعالى[٢٩]: وبلغني أنه انتقل من

---

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/١٨٩.
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «المواطنة»، والتصويب من (م) و(ع). والأسطوانة: السارية معروفة. ابن منظور، اللسان، «سطن»، ١٣/٢٠٨.
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «رب».
(٧) في (م) و(ع): «عبادك».
(٨) في (م) و(ع): «سقيتهم».
(٩) في (م) و(ع): «وإذا سحابة».
(١٠) في (م) و(ع): «تعالى».
(١١) في (م) و(ع): «يريد أن لا يخفى».
(١٢) في (م) و(ع): «وقال».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «بالمدينة».
(١٥) في (م) و(ع): «واتبعته».
(١٦) في (م) و(ع): «ثم أخرج».
(١٧) عبارة «ففتح بيتاً» ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «أصبح».
(١٩) في (م): «أأدخل».
(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «أخي».
(٢٢) في (م) و(ع): «من».
(٢٣) في الأصل: «تغنيك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «قال».
(٢٥) عبارة «غير ذلك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٦) عبارة «إن تأتني.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن أتيتني شهرتني بين الناس».
(٢٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٨) في (م) و(ع): «فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل».
(٢٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وابن وهب: هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم =

تلك الدار فلم يُرَ ولم يَدْرِ أحدٌ[1] أين ذهب، فقال[2] أهل تلك الدار: بيننا وبين ابن[3] المنكدر الله تعالى[4] أخرج عنا الرجل الصالح». شعر[5]:

بَرَاه[6] الضَّنَى[7] حتى ٱسْتَبَانَ شُجُونه[8] فَـقَـدْ مَـلَّ رَاقِـيـهِ[9] وكَـلَّ طـبـيـبُـه
دَعَـى الـحُـبُّ سِـراً قـلـبَـه فَـأَطَـاعَـهُ وَكَـانَ إذا يُـدْعَـى بـه لا يُـجِـيـبُـهُ
فَأضْحَىٰ سَليم[10] الشَّوقِ لَمْ يَبْقَ حَوْلَهُ من الناس طَرْفٌ لم يَسحّ[11] غروبه[12] [٢٨ب]
يُـرَدِّد فـيـه الـعـابـدون ظُـنـونَـهـم فَتُخْطِيه[13] أحياناً وطَوْراً تُصيبه[14]
لـكـلِّ كـئـيـبٍ[15] بـعـدَ حـيـنٍ إفَـاقـةٌ وهـذا الـهـوى لا يَـسْـتَـفـيـقُ كَـئِـيـبُـهُ[16]
تَـعَـلَّـقَ ليـلى قَبْلَ تَكوينِ خَلْقِهَا[17] وبَـردُ الـصّـبـا يُـجْـلِـي[18] الـهـوى ويُـذِيـبُه
تَـخَـلَّـق جـلـبـابُ الـشـبـاب وَوجْـدُه مُـقـيـمٌ إلـى أنْ حـانَ مـنـه مَـشِـيـبُـه
يُـهَـيِّـجُ تَـغْـرِيـدُ الـحـمـامِ ٱنْـتِـحَـابَـهُ[19] ومـا واحـدٌ تَـغْـرِيـدُهـا ونَـحـيـبُـه[20]
ويُـوسِـعُـه[21] الـعُـذَّالُ لَـوْمـاً ومـالـهـم هـواه ولا يَـنُـوبُـهـم[22] مـا يَـنُـوبُـه

[بحر الطويل]

= القرشي بالولاء، الفقيه المالكي المصري، كان أحد أئمة عصره، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، وكان حافظاً ثقة مجتهداً، توفي سنة ١٩٧هـ ـ ٨١٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٣١٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٣٦. الزركلي، الأعلام، ٤/ ١٤٤.

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «قال».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) براه السفر: هزله. ابن منظور، اللسان، «برى»، ١٤/ ٧١.
(٧) في (م) و(ع): «الهوى».
(٨) في (م) و(ع): «سحوبه».
(٩) عبارة «فقد ملَّ راقيه»، في الأصل: «فقدموا من راقه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) السليم الجريح المُشفي على الهلكة. ابن منظور، اللسان، «سلم»، ١٢/ ٢٩٢.
(١١) في (م): «تَسُحُّ».
(١٢) الغروب: مجاري الدمع. والغَرْب أحد الغُروب، وهي الدموع حين تجري. ابن منظور، اللسان، «غرب»، ١/ ٦٤٢.
(١٣) في (م) و(ع): «فتخطئ».
(١٤) في (ع): «يصيبه».
(١٥) في الأصل: «كائب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في الأصل: «كائبه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «خلقه».
(١٨) جلا الأمر وجلّاه وجلّا عنه: كشفه وأظهره. ابن منظور، اللسان، «جلا»، ١٤/ ١٥٠.
(١٩) في (م) و(ع): «انتجاعه».
(٢٠) في (م) و(ع): «ونجيبه».
(٢١) في الأصل: «ويسعده»، وهو تصحيف. وفي (ع): «وتوسعه»، وهي من (م).
(٢٢) في (م) و(ع): «ينتابهم».

يا خائضاً في ظلمات[1] الظلم ستعاين ما تنتظر، أما علمت أن الجبال من الحصى وأن الأرض بها تستقر، دموع المظلوم خطوط في قرطاس الخدود يقرؤها قارئ القدر[2]، كم أبكى من عينٍ وهو بعينٍ من يرقبه لأمر مستقر، أعمى الظلم بصيرته فهو للمظالم يستصغر، يا ظالماً مهلاً عليك أنت[3] تعلم المظلوم بمن يستنصر[4]، غرك إمهال الحليم ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[5]، خالفت من خلقك وجعلته خصمك[6] في المحشر، ما أنكد عيشك في القبر وما أفضح وما أمر، فيا من ظلم نفسه بالمعاصي فر إلى المولى[7] قبل أن تقول أين المفر، ويحك تظلم لغيرك ولا يمدحك كمهدي التمر إلى[8] الهجر[9]، أما تستحي يوم تقوم بين يديه وتقول الله أكبر، الظلم نفطٌ في جسم القلب عند هبوب عاصف الموت يتسعَّر، غاية تمني الأموات ألا تكون عندهم تقبر، عجباً بجرأتك[10] وقد سمعت ما جرى لمن غبر، ويحك لو كنت طائعاً [٢٩أ] لخفته[11] أما علمت أن المخلصين على خطر[12]، إقلع شجرة الظلم من أرض غفلتك قبل يوم الإقلاع[13]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

صالح المري رحمه الله تعالى قال[14]: «قدم علينا ابن السماك مرة فقال لي[15]: أرني

---

(١) في (م) و(ع): «ظلمة».

(٢) في الأصل: «القادر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «إن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) قوله هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ رواه ابن عباس رضي الله عنهما، ونصه: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». البخاري، الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم الحديث (٢١)، ٣/٢٥٩.

(٥) قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة القمر، آية ٥٣.

(٦) عبارة «وجعلته خصمك»، في (م) و(ع): «وخلَّفته خلفك».

(٧) في (م) و(ع): «مولاك».

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «هجر». وهَجَر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربَّما قيل الهجر، بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٩٣. وقوله: «كمهدي التمر إلى الهجر» هو معنى المثل: «كمستبضع التمر إلى هجر»، وهو من الأمثال القديمة، وذلك أن هجر معدن التمر، والمستبضع إليه مخطئ. الميداني، مجمع الأمثال، ٢/١٥٢.

(١٠) في (م) و(ع): «لجرأتك». (١١) في (م) و(ع): «خفت».

(١٢) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربُوا وسَدِّدُوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَني الله برحمة منه وفضل». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٨١٦/٧٦)، ٤/٢١٧٠.

(١٣) أي: قبل قدوم المنية.

(١٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٤/١٩.

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

بعض[1] عجائب عبادكم، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خصٍ له[2]، فٱستأذنا عليه[3]، فإذا رجل يعمل خوصاً له، فقرأت: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[4]، فشهق الرجل فإذا هو قد خرَّ[5] مغشياً عليه، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، وذهبنا إلى آخر، فٱستأذنا عليه[6] فقال: ٱدخلوا[7] إن لم تشغلونا[8] عن ربنا، فدخلنا فإذا هو[9] رجل جالس في مصلاه[10] فقرأتُ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[11] فشهق شهقة فذر الدم من منخره[12]، ثم جعل يتخبط في دمه حتى يبس، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله حتى أدرته على ستة أنفس، كلّ نخرج من عنده وهو على هذه الحالة، ثم أتيت به السابع، فٱستأذنته فإذا ٱمرأتُه داخل الخُصّ[13] تقول: ٱدخلوا. فدخلنا، فإذا شيخ فانٍ جالسٍ في مصلاه، فسلَّمنا عليه[14] فلم يَعْقِل سَلامنا، فقلت بصوتٍ عال: إن للخلق غداً مقاماً. فقال[15]: بين يدي[16] من ويحك. قلت: بين يدي[17] ديَّان يوم الدين[18]. ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً ببصره[19] يصيح بصوت له ضعيف حتى [29ب] ٱنقطع صوته[20]، فقالت امرأته: ٱخرجوا عنه فإنكم لا[21] تنتفعون به الساعة. فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة منهم[22] قد أفاقوا[23]، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى، وأما الشيخ فإنه بقي[24] ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً لا يؤدّي فرضاً، فلما كان بعد ثلاثة أيام عقل رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين آمين يا رب العالمين[25]». شعر[26]:

---

(1) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(2) عبارة «في خص له»، في (م): «في خص»، وفي (ع): «في حصن».

(3) في (م) زيادة: «فأذن لنا»، وفي (ع) زيادة: «وأذن لنا».

(4) سورة غافر، آية ٧١، ٧٢. وفي (م) و(ع): «﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ الآية».

(5) في (م) و(ع): «فإذا به قد يبس».

(6) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(7) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(8) في الأصل: «تشغلنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(9) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(10) في (م) و(ع): «مصلى له».

(11) سورة إبراهيم، آية ١٤.

(12) في (م) و(ع): «منخريه».

(13) عبارة «فإذا امرأته داخل الخص»، في (م) و(ع): «فإذا امرأة من وراء الخص».

(14) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(15) في (م) و(ع): «قال».

(16) في الأصل: «يد»، والتصويب من (م) و(ع).

(17) الكلمة ساقطة في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

(18) عبارة «قلت بين يدي ديان يوم الدين» ساقطة في (م) و(ع).

(19) في (م) و(ع) زيادة: «نحو السما».

(20) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(21) في (م) و(ع): «ليس».

(22) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(23) في الأصل: «فاقوا» والتصويب من (م) و(ع).

(24) (م) و(ع): «مكث».

(25) عبارة «رضي الله عنهم. . إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «رضي الله عنه».

(26) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

كَـيْـفَ كِـتْـمَـان سرِّي الـمَـكْـنُـون | وٱشتياقي يبدي ٱفْتِضَاحَ شُؤُوني[١]
إِذْ تَـمـادَى يَـرْجُـو الـعَـواذل بـرِئِـي | وجُـنُـونُ الـعُـذْرِيِّ[٢] دون جُـنُـونـي
لَأُطِـيـلَـنَّ وَقْـفَـةَ الـحـزن فِـي | أَطْـلَالِ لَـيْـلـى إطـالـة الـمَـحْـزُون
بـفـؤادٍ سـاهٍ وقـلـبٍ حـزيـنٍ | وَحـشـىً خـافـق ودمْـعٍ هـتـون[٣]
خـلٍّ عـنـي مـا[٤] الـفـارغ الـقـلـب كـالـ | صَّـبِّ ولـيـس الـخَـلِـيّ[٥] كـالـمـفـتـون
عِـيـلَ صَـبْـرِي وبَـاح[٦] بـالـسِّـر دمـعـي | فَـمَـصُـون الأسـرار غـيـر مـصـون
جَـمَـرَاتٌ فـي أَضْـلُـعِـي[٧] زَفـرات | هـي نَـارُ الـحـشـى ومـاءُ الـجـفـون
لَـوْ شَـهِـدْتُـمْ يَـوْمَ الـنَّـوى و[٨]وقـوفـي | خَـلْـفَ دمـعٍ راقٍ وصـبـرٍ خَـؤُونِ
وخُـضُـوع لـولاه لـم يـعـلـم الـوا | شـون مـا بـي مـن الـغـرام الـدَّفِـيـن
يـا وُلاةَ الـديـون طـلٌّ[٩] دم الـ | ـعـاشـق بـالـمَـطْـل يـا وُلاة الـديـون
فـإذا هَـزَّتِ[١٠] الـصَّـبـا غُـصْـنَ[١١] الـبـا | ن وبـاتَـتْ تُـثْـنِـي قُـدود[١٢] الـغُـصـون
فـاسـألـوا إِنْ مَـرَرْتُـمْ[١٣] بِـطَـلِـيـق | عـن يـد الـحـب فـي الـفـؤاد الـرَّهـيـن[١٤]

[بحر الخفيف]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي ٱخترع الموجودات فلا يعزب[١٥] عن علمه معلوم، سمَّى نفسه [٣٠أ] ليدل

---

(١) عبارة «واشتياقي.. إلخ»، في (م) و(ع): «وشوقي يهوى افتضاح فتوني».
(٢) في الأصل: «العذول»، وهي من (م) و(ع).
(٣) هتن المطر والدمع يَهْتِن هَتْناً وهُتوناً: قطر. وعين هَتون: الدمع. ابن منظور، اللسان، «هتن»، ١٣/ ٤٣١.
(٤) في الأصل: «يا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) رجل خَلِيّ وخَلِيَّان وأخلياءُ: لا نساء لهم. وتَخَلَّى: تفرغ. ابن منظور، اللسان، «خلا»، ١٤/ ٢٤١، ٢٤٢.
(٦) في الأصل: «أباح»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «أضلاعي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) الطَّلُّ: هَدْرُ الدم. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ١١/ ٤٠٥.
(١٠) في (م) و(ع): «حركت».
(١١) في الأصل: «عذب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «خدود»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) عبارة «فاسألوا إن مررتم»، في (م) و(ع): «فاسألا إن مررتما».
(١٤) عبارة «عن يد الحب.. إلخ»، في (م) و(ع): «من يد الحب عن فؤاد الرهين»، وهو تصحيف.
(١٥) عَزَب يَعْزِب عُزُوباً: ذهب، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] معناه: لا يغيب عن علمه شيء. ابن منظور: اللسان، «عزب»، ١/ ٥٩٦.

خلقه عليه ومن أخص أسمائه الحي القيوم[1]، قسم في سابق علمه[2] الأخلاق والأرزاق والآجال والعلوم، تنزه عن الجوهر والعرض والطبيعة والانقسام والمقسوم[3]، أسكن لطيف الأرواح في أقفاص[4] الأشباح فهي على الخلاص[5] تروم و[6]تحوم، يعلم ما فوق الفوق وما تحت التحت وما بينهما وما تحت التخوم[7]، يعلم هاجس الهاجس في الخاطر[8] ويسمع أنين الجنين وهو في الأمعاء والأرحام مغموم، يرى دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة[9] في كن كنها[10] وضجيجها[11] والمكلوم، فيا من أسبل الأستار على المعاصي أما علمت هذه العلوم، كلك شاهد عليك أما علمت أن المعاصي[12] سموم، خالفت من حالفك على الوفاء بالمختوم[13]، أرى شقاءك مثبوتاً في كتاب القضاء عليه ختام مختوم، أتدري متى تكون القراءة إذا وصل رسول المنون بالمحتوم[14]، هناك[15] تبدو السعادة للسعداء وتذهب عنهم الهموم، وأهل الشقا تفجؤهم[16] الفجائع والكرب والغموم، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[17].

إخواني ما أظلم أوقات الغفلة، و[18]ما أقرب أيام المهلة، بينما أنت صحيح قيل به علة،

---

(١) الحي القيوم: هما اسمان من أسماء الله تعالى. قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فأما الحي فهو الباق الذي لا يموت أبداً، وأما القيُّوم فهو القائم بتدبير ما خلق. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٢٧١، بتصرف.

(٢) في (م) و(ع): «العلم».

(٣) عبارة «والانقسام والمقسوم»، في (م) و(ع): «والأقنوم». والمعنى: تنزه الله ﷻ أن ينقسم في ذاته أو يطرأ عليه الانقسام؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

(٤) في الأصل: «قفاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) عبارة «فهي على الخلاص»، في الأصل: «على الإخلاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) عبارة «تروم و»، ساقطة في (م) و(ع).

(٧) التُّخُوم: الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالِم. ابن منظور، اللسان، «تخم»، ١٢/ ٦٤.

(٨) في (م) و(ع): «في الخاطر الحاضر».

(٩) في (م) و(ع): «الظلما».

(١٠) عبارة «في كِنّ كِنِّها»، في الأصل: «كركها»، والتصويب من (م) و(ع). والكِنّ: وِقاءُ كل شيء وستره. والكِنُّ: البيت أيضاً. ابن منظور، اللسان، «كنن»، ١٣/ ٣٦٠.

(١١) في (م): «وصححها»، وهو تصحيف، وفي (ع): «وصحيحها».

(١٢) عبارة «أما علمت هذه العلوم.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «بالمحتوم». وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١٤) عبارة «أتدري.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «هنالك».

(١٦) في (م) و(ع): «تفجعهم».

(١٧) سورة الحجر، آية ٤٣، ٤٤.

(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

تناهبتك يد الأسقام وعاد مناك في التوبة نقلة[١]، تسابقت[٢] سوابق الضعف تنذرك بالرحلة، أدركك[٣] الندم وهو يومئذ لا يشفي علة[٤]، تناديك أيام البطالة من له بالإقالة من له، تشهد الجوارح أنه كانت عليه[٥] الطاعة صعبة والمعاصي[٦] سهلة، سقته [٣٠ب] المنون كاس السكرات بلا رفيق ولا مهلة[٧]، شخص البصر لمعاينة ما أعد الله![٨]، سيعلم[٩] منزله في القبر ومحله، قسم الوارث تراثه وتزوج[١٠] أهله، وأضحى في ظلمات[١١] الرمس[١٢] نسيه الأهل[١٣] وملّه، يا طول أحزانه ويا لها من حسرات[١٤] ومن ذلة[١٥]، فبادر باب المتاب فالطريق مع المتاب[١٦] سهلة، فما للعصاة طاقة على الحميم والزقوم[١٧]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

عن أبي الحسين بن سمعون[١٨] رحمه الله تعالى: «اجتزت[١٩] يوماً على الفرات فرأيت امرأة تلقط[٢٠] من ورق البقل الذي يأتي[٢١] على الماء، فقلت: لا شك أن هذه المرأة[٢٢]

---

(١) النُّقْلة: المرأة تترك فلا تخطب لكبرها. ابن منظور، اللسان، ١١/٦٧٥. والمعنى: أنه لم يعد لتوبته من أمل لكثرة المعاصي والإصرار عليها.

(٢) في (م) و(ع): «تسابقتك».

(٣) في (م) و(ع): «أدركه».

(٤) في (م) و(ع): «غُلَّه».

(٥) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «وعلى المعاصي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «سقته.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ما أعِدَّ له».

(٩) في (م) و(ع): «ويعلم».

(١٠) في (م): «وزوج».

(١١) في (م) و(ع): «ظلمة».

(١٢) الرَّمس: القبر. ابن منظور، اللسان، «رمس»، ٦/١٠١.

(١٣) في (م) و(ع): «الآل».

(١٤) عبارة «ويا لها.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا لها من حسرة».

(١٥) في (م): «مذلة».

(١٦) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(١٧) الحميم: الماء الحار. والزَّقوم: كل طعام يَقْتل، والزقوم طعام أهل النار، وهو ما وصف الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤]. ابن منظور، اللسان، «حمم»، ١٢/١٥٤، و«زقم»، ١٢/٢٦٨، ٢٦٩.

(١٨) في الأصل و(م) و(ع): «عن أبي الحسن بن سمعون»، والتصويب من الصفة وتاريخ الإسلام. والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٥١٠. وأبو الحسين: هو محمد بن أحمد بن إسماعيل الإمام أبو الحسين بن سَمْعون البغدادي الواعظ، كان أوْحَد دهره وفرْد عصره في الكلام على علم الخواطر والإشارات، ولسان الوعظ، دَوَّن الناس حِكَمه وجمعوا كلامه، توفي سنة ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٤٧١. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٨١ ـ ٤٠٠هـ، ص١٥٢.

(١٩) في (م) و(ع): «قال: اجتزت».

(٢٠) في (م) و(ع): «تلتقط».

(٢١) في (م) و(ع): «ينبت».

(٢٢) في (م) و(ع): «امرأة».

فقيرة، فوقفت حتى رجعت فتبعتها فدخلت إلى دار، فرجعت إلى بيتي، فما[1] ٱستقررت في منزلي[2] حتى جاءني غلام ومعه دنانير ودراهيم[3]، فلما رآني قال: ٱدفع هذه[4] إلى محتاج، فأخذتها[5] وأتيت بيت المرأة، فضربت[6] الباب فخرج إلي رجل من خواصّ مجلسي ومن المُلازِمين لي، فقال لي[7]: مالك هكذا؟ قلتُ: جئتكم بهذه الدنانير[8] تستعينون بها على القوت[9]، فَنَظَر إلي مُغْضباً فقال لي[10]: يا شيخ تُحذِّروننا من الدنيا[11] وتأتينا بها، ثم ردَّ الباب في وجهي ودخل، فرجعت مُنكسراً[12] إلى بيتي، ثم قلت في نفسي لا بد أن أعود إليه وأعتذر إليه[13]، فأتيته في اليوم الثاني وضربت[14] الباب مرارا، فلم يجاوبني[15] أحد، وإذا ٱمرأة من الجيران تقول: مالك يا رجل؟ فقلت[16]: ما فعل أهل الدار؟ فقالت[17]: كان في هذا الدار رجل مع والدته [٣١أ] وكنَّا نتبرك بهما فجاءنا[18] بالأمس رجل[19] شيطان فكلمهما بما كرها فٱنتقلا عنا، فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أتفقد الرجل. فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم مع[20] الناس رأيته[21] في أواخرهم، فلما ٱنقضى المجلس مضيت إليه وسلمت[22] عليه، فسلم[23] وقال لي[24]: لا تعد إلى[25] ما فات ولا تقل شيئاً، فلولا أني ٱعتقدت[26] كلامك دواء لقلبي لم أحضر وإنما غِبت عنك لٱنتقالنا[27] إلى مكان آخر حتى لا يعرف مكاني[28]، فقلت: ما أتيتك إلا معتذراً ولا[29] أعود، ثم فارقته رحمة الله عليه[30]». شعر:

---

(١) في الأصل: «فلما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «استقررت.. إلخ»، في (م) و(ع): «استقر بي المجلس».
(٣) عبارة «جاءني.. إلخ»، في (م) و(ع): «جاءني خادم معه دراهم ودنانير».
(٤) في (م) و(ع): «هذه الدراهم».
(٥) في (م) و(ع) زيادة: «وقسمتها وقمت».
(٦) في (م) و(ع): «وطرقت».
(٧) عبارة «فقال لي»، في (م) و(ع): «قال».
(٨) في (م) و(ع): «الدراهم».
(٩) في (م) و(ع): «الوقت».
(١٠) عبارة «فقال لي»، في (م) و(ع): «وقال».
(١١) في (م) و(ع): «يا شيخ تحذرنا الدنيا».
(١٢) في (م) و(ع): «منكسر القلب».
(١٣) في (م) و(ع): «لا بد أن أعود فأعتذر له».
(١٤) في (م) و(ع): «ودققت».
(١٥) في (م) و(ع): «يجبني».
(١٦) في (م) و(ع): «فقلت لها».
(١٧) في (م) و(ع): «قالت».
(١٨) في (م) و(ع): «فجاء».
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «على»، وهو تصحيف.
(٢١) في الأصل: «ورأيته»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) عبارة «مضيت.. إلخ»، في (م) و(ع): «مضيت فسلمت».
(٢٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٦) في (م) و(ع): «أعتقد».
(٢٧) في (م) و(ع): «لانتقالنا من المكان».
(٢٨) في (م) و(ع): «حتى لا نُعرف».
(٢٩) في (م): «وما».
(٣٠) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).

دَعْ عَذْلَهُ إنْ كُنْتَ مِن إخوانِه ... يَكْفِيكَ ما يُخْفِيهِ[1] مِنْ أشْجَانِهِ

إنَّ العَذُولَ هُو الخَؤُون إذا لَحَا[2] ... لا تعْذِلَنَّه[3] أنت[4] مِنْ أعْوَانِهِ

نَشَرَتْ مَطاوي[5] سِرِّه أنْفاسُهُ ... فَبَدَا وَأعْرَبَ شَانُهُ عَنْ شَانه

نَظَرَ الوُشَاةِ إلى مَدَامِعِهِ وقد ... نَطَقَتْ بما أخْفَاه صَمْتُ لِسانه

وَدَّتْ بأنَّ[6] الحُبَّ طار بِلُبِّهِ ... وَتَحَكَّمَتْ[7] فِيها يَدَا سُلْطَانِهِ

فَتَكَاثَرَتْ مِنْ حَوْلِهِ أعْدَاؤُهُ ... لَمَّا خَلَى نَادِيهِ مِنْ خِلَّانِهِ

هَيْهات ما يُبْقِي الهوى دمعاً له[8] ... مِنْ بعد ما جَذَبَ الهوى بِعِنَانِهِ

يَا أيُّها الغادي اجْتَنِبْ وادي اللِّوى ... فالأُسْدُ تَرْعَىٰ اللَّحْظَ مِنْ غِزْلَانِهِ

إيَّاكَ إيَّاكَ العقيقَ[9] فإنَّمَا[10] ... شَكْواك بين لوى العقيق وبَانه

هذا الفراقُ وأنت تَعْلَمُ أنه ... مَوْتٌ[11] الزُّؤام[12] وإن شَكَكْتَ فَعَانه[13]

واسْتَوْقِفِ الحادي وسَلْ أظْعَانَهُ ... فَفُؤَادكَ المَأسُور في أظْعَانِهِ [٣١ب]

ما للمُتَيَّم والعقيق أما كَفَى ... في الحزن ما قَاسَاه من أحْزَانِهِ

[بحر الكامل]

يا عبد السوء كم تعصي ونستر، كم تكسر باب نهيي ونجبر، كم أستقطر من عينك دمع[14] الخشية ولا يقطر، كم أطلب وصلك بالطاعة وأنت[15] تهجر، كم لي عليك من النعم وأنت

---

(١) عبارة «يكفيك.. إلخ»، في (م) و(ع): «يكفيه ما يلقاه».

(٢) اللُّحاء: العَذْل، ولحيْتُ الرجل ألحاه لَحْياً إذا لُمته وعذلته، واللواحي: العواذل. ابن منظور، اللسان، «لحا»، ١٥/٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) في (م) و(ع): «تَخْذُلَنَّه».

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «فأنت»، والصواب ما أثبتناه لاستقامة الوزن.

(٥) في (م) و(ع): «مساوي».

(٦) في الأصل: «وودِدت أن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «وتحطمت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «هيهات ما ينقاد مع عذاله».

(٩) العقيق: هو كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه، وفي بلاد العرب أربعة أعِقَّة، وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق، وذكروه مطلقاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٣٨/٤.

(١٠) في الأصل: «فإنها»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «الموت».

(١٢) موت زؤام: كريه، أو مُجْهِز. الفيروزآبادي، القاموس، «زأم»، ص١٤٤٢.

(١٣) عانى الشيء: قاساه. يقال: عاناه وتَعَنَّاه وتَعَنَّى هو. ومعاناة الشيء: مُلابسته ومُباشرته. ابن منظور، اللسان، «عنا»، ١٥/١٠٥، ١٠٦.

(١٤) في (م) و(ع): «كم أستقطر من ماء عينك ماء».

(١٥) كلمة «وأنت» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

بعد ما تشكر، خدعتك الدنيا وأعماك الهوى وأنت لا[١] تسمع ولا تبصر[٢]، سخرت لك الأكوان وأنت تطغى وتكفر، تطلب الإقامة في الدنيا وإنما هي قنطرة[٣] لمن يعبر[٤]، إذا خربت إقليم العمر[٥] بالمعاصي متى يعمر، كل يوم في غفلة ما هذه ليلة هذه أشهر، عنقاء[٦] هل من داع لا يُصَاد إلا بشبكة السَّهر لمن يَسْهر[٧]، ما أطيب عيْشَ الزاهد[٨] في الدنيا تمرُّ به وهو لا يشعر، وأهل الشَّقا طعامهم الضريع واليحموم[٩]. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

قال ابن عياش القطان[١٠] رحمه الله تعالى: «كانت امرأة بالبصرة يقال لها مُنيبة[١١]، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، وكان الحسن[١٢] ربما يراها، ويتعجب منها ومن عبادتها على حداثة سنها[١٣]، فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آتٍ فقال له[١٤]: أما علمت أن الجارية في سياق الموت[١٥]، فوثب الحسن ودخل[١٦] عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا حبيبتي[١٧] ما يبكيك؟ فقالت[١٨]: يا أبا سعيد التراب يحثىٰ على شبابي وأنا لم أشبع من

---

(١) عبارة «وأنت لا»، في (م) و(ع): «وأنت بَعْدُ مَا».

(٢) في (م) و(ع): «تنظر».

(٣) القنطرة: الجِسْر. ابن منظور، اللسان، «قنطر»، ٥/١١٨.

(٤) في الأصل: «يعتبر»، وهي من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «عمرك».

(٦) العنقاء يقال: إنها طائر عظيم لا تُرى إلا في الدهور، ثم كَثُر ذلك حتى سموا الداهية عنقاء. ابن منظور، اللسان، «عنق»، ١٠/٢٧٦.

(٧) في (م) و(ع): «يسمر». (٨) في الأصل: «الزاهدين»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «الضارع والمجموع»، والتصويب من (م) و(ع). والضريع: هو نبت بالحجاز له شوك كبار يقال له: الشِّبْرِق. واليحموم: دخان أسود شديد السواد، وقيل: اليحموم سُرادِق أهل النار. ابن منظور، اللسان، «ضرع»، ٨/٢٢٣، و«حمم»، ١٢/١٥٧.

(١٠) في الأصل: «أبو عياش القطان»، والتصويب من (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٧. وابن عياش: هو أبو عبد الله الحسين بن يحيى بن عياش بن يحيى، البغدادي القطان، الشيخ المحدث الثقة، مسند بغداد، توفي سنة ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/٣١٩. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٣١ ـ ٣٥٠هـ، ص١٠٢.

(١١) في الأصل: «منيعة»، وفي (م) و(ع): «منينة»، والتصويب من صفة الصفوة. ومنيبة: كانت من مصطفيات عابدات البصرة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/٢٧. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ٥/١١٥.

(١٢) هو الحسن بن يسار البصري. وقد تقدمت ترجمته.

(١٣) عبارة «ويتعجب منها.. إلخ»، في (م) و(ع): «ويتعجب من عبادتها على حداثتها».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) عبارة «في سياق الموت»، في (م) و(ع): «تموت».

(١٦) في (م) و(ع): «فدخل». (١٧) عبارة «يا حبيبتي» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «قالت».

طاعة ربي ﷻ[1]، يا أبا سعيد أنظر إلى والدتي وهي تقول[2]: احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها [٣٢أ] كفنا حسنا، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال حزني، فكيف و[3] أنا أجهز إلى ظلمة القبر وحشة[4] وبيت الظلمة والدود». شعر:

لَعَمْرُكَ ما شَطَّ[5] الغَرام ولا نَأى ... وإنْ بَعدَت ليلى وشَطَّ مَزارها

هل الشَّوق إلا جَذْوة[6] بين أضْلُعِي ... وهل عَبَرات العين إلا شِرارُها[7]

أعِيدوا قَصير الليل مِنْ بَعْد طُوله[8] ... فخير لَيَال العاشقين قِصَارُها

لَقَدْ حَمَلَتْ نفسي اغترارا أذى الهوى ... ألا طَالَ مَا آذى[9] النُّفوس اغْتِرَارها

وكانت قُبَيْل البَيْنِ[10] تحْذَر كَوْنَهُ[11] ... فلمَّا أتاها البين شَطَّ مَزارها[12]

وما هَانَ إلا في الصَّبَابَةِ عِزُّها ... ولا خَانَ إلا في الفراقِ اصْطِبَارُها

لَئِنْ أفِقْ إذْ فِقْتُ مِنْ سكرة الهوى ... فما هو حتى اليوم يَبْدُو خِمارُها

على أنَّ لي نفساً إذا ذُكِرَ الحِمَى ... سَحَّت بِدموعٍ كالسُّيول انْهِمَارُها

تُقَادُ بِأدْنَى العِشْقِ طرّاً[13] إلى الرَّدَى ... ويأتي على أيدي الزمان انْتِشَارُها

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ثم يعيده إليه ثم يخرجه منه وهو[14] المبدئ المعيد، نسل[15] من مائع السلالة نسل الحيوان وركبه في الإيجاد كما يُريد، خص بكمال العقل من اصطفاه[16] من العبيد، ومنع من خذله بمشيئته فهو عن طريق الحق بعيد[17]، جعل

---

(١) عبارة «يا أبا سعيد التراب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «تقول لوالدي». (٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) عبارة «إلى ظلمة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلى ظلمة القبور ووحشتها».

(٥) شَطّت داره: بعُدت. ابن منظور، اللسان، «شطط»، ٧/ ٣٣٣.

(٦) في (م): «وجدة»، وهو تصحيف. والجَذْوَة: الجمرة. ابن منظور، اللسان، «جذا»، ١٤/ ١٣٨.

(٧) في الأصل: «وهل عبرة الدمع إلا شراها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من بعد طوله»، في (م) و(ع): «بعد طويله».

(٩) عبارة «ألا طال ما آذى»، في الأصل: «فلعل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (ع): «الليل».

(١١) في الأصل: «طرفه»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: تحذر حدوث البين.

(١٢) عبارة: «فلما أتاها البين.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكان كأن لم يغن عنها حذارها».

(١٣) في (م) و(ع): «طورا». وطَرّ الإبل يطُرُّها طَرّاً: ساقها سوقاً شديداً وطردها. ابن منظور، اللسان، «طرر»، ٤/ ٤٩٨.

(١٤) في (م) و(ع): «فهو». (١٥) في (م) و(ع): «سَلّ».

(١٦) في (م) و(ع): «اصطفى». والمصطفون هم الأنبياء والمرسلون.

(١٧) في (ع): «يحيد».

العلم أنيسه[1] لما علم أنه في قفار البدن غريب فريد، فالعارف دائم الأحزان من خوف الوعد والوعيد، هجر الأوطان[2] والأقطار فهو بين[3] الخوف والرجاء[4] يميد[5]، هجرت أجفانه طيب الكرى فله في مقام مأتم الأحزان تعديد[6] [٣٢ب]، كم لورقاء نفوسهم على أغصان المراقبة من ترجيع وتغريد، أذابهم الخوف فإذا هم[7] كالخيال ينظر[8] من بعيد، وأهل الغفلة في عيش الشهوات لو علموا في تنكيد، نسوا أهوال[9] الحساب وغربة القبر المديد، وحسرات الأسف على الأرواح وتناهب الدود والصديد[10]، وغربة ينساه فيها الأهل والقرابات والصاحب العَمِيد[11]، ضجيعه عمله فالويل[12] له إن كان غوياً ويا[13] فرحته إنْ كان رشيد، أما ترى معاول الأيام تخرب قصرالبدن وسيف الحمام يقطعه عما يريد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[14]، فسبحان من ليس[15] في فعله ترديد، أحمده حمدا أرجو به من نعمه المزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عليها أموت وأبعث من أهل التوحيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ميمون البعثة وهو الطالع السعيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[16] أولي الحكم والتسديد.

يا غائباً عن رفاق التائبين قسمت الغنائم وأنت في نوم غفلتك نائم[17]، ولا نوم أصحاب الكهف[18] يا ليتك سالم، إن كنت في اليقظة مطروداً فذلك الذي تلقى وأنت نائم، قلبك في

---

(١) الضمير في «أنيسه» عائد على العقل.
(٢) في (م) و(ع): «الأوطار».
(٣) في الأصل و(م) و(ع): «من»، والصواب ما أثبتناه.
(٤) في الأصل: «والجفا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) ماد يميد ميداً: تحرك ومال. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٣/ ٤١١. وقوله هذا إشارة إلى أن العبد المؤمن يكون دائماً بين الخوف والرجاء، يخاف من بطشه تعالى، ويرجو رحمته ومغفرته، فلا خوف يودي إلى القنوط، ولا رجاء يودي إلى التقصير، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنّة متظاهرة على ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد». مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم الحديث (٢٣/ ٢٧٥٥)، ٤/ ٢١٠٩.
(٦) أي معاودة وتجديد.
(٧) في (م) و (ع): «بهم».
(٨) في (م) و (ع): «يُبْصَر».
(٩) الكلمة ساقطة في (م).
(١٠) الصديد هو الدم والقيح الذي يسيل من الجسد. ابن منظور، «صدد»، ٣/ ٢٤٦.
(١١) العميد: الذي بلغ به الحب مَبْلَغاً. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣/ ٣٠٥.
(١٢) في (م) و (ع): «فويل».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م).
(١٤) سورة هود، آية ١٠٢.
(١٥) في (م) و(ع): «مَن ليس له».
(١٦) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) أصحاب الكهف هم فتية آمنوا بالله إيماناً صادقاً، وخالفوا دين ملكهم فتركوا عبادة الأوثان والأصنام، =

العراق وهواك في التهائم[1]، جسمك في المجلس وقلبك في الأسباب مُلازم[2]، متى تحن إلى نفحات نجد متى تستنشق تلك النسائم، سفينة[3] التوبة [٣٣أ] ما تركب! وجسر العزم مقطوع ولا السباحة تحسن! متى تعبر جسر[4] العزائم، ليلى[5] بها قيس[6] هائم، أين الفقراء أين الواجدون أين العارفون أين السَّالك أين العالم، متى يخد الدمع أخدوداً[7] في الخد الناعم، متى ترافق محمل المجتهدين وبين يديك مشعل[8] التلاوة[9] قائم، لا تظهر سلع[10] الواجدين إلا إذا كان سوق السماع قائم، البس رداء الذل وبادر باب التوبة وٱطلب[11] الراحم، الوقت ضيِّق والشباب ولى فقم وبادر وزاحم، التنور[12] حمي فألصق فرص الندم فإذا نضج فأنت نادم، وإذا طاب لك مجلس التوبة فٱدخل فأنت تعلم من تنادم، ما كل محب يواتي المحبوب ولا كل سليم من الهوى سالم، يا مسافراً في تيه الحرمان متى أراك قادم، إن فاتتك التوبة في هذا المجلس فقلبك قلب البهائم[13]، كم ويحك تسوف بالحرمان حتى يحول الحِمام بينك وبين ما تريد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

= فرُفع خبرهم إلى الملك، فخافوه فهربوا ليلاً، ومروا براع معه كلب فتبعهم فآووا إلى الكهف يتعبَّدون، فتبعهم الملك إلى فم الغار، وأمر فَسُدَّ عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النَّوم، وبقوا نائمين سنين طويلة، ثم بعثهم الله تعالى، وأطلع الناس عليهم ليعلموا أن وعد الله بالبعث حق، فقد كان هناك من ينكر البعث فأراهم الله هذه الآية تثبيتاً للمؤمنين وحجة على الكافرين، وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٣٥٦. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الجزء الخامس عشر، ص٤٨، بتصرف.

(١) التهائم: جمع التَّهَم وهو مصدر من تِهَامَة. ابن منظور، اللسان، «تهم»، ١٢/ ٧٣. وتهامة تساير البحر طرفها من قِبَل الحجاز مدارج العَرْج، وأولها من قِبَل نجد ذات عرق. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٢٨٣. والمعنى: قلبك في عراك مع المعاصي، ونفسك في هيام مع الهوى.

(٢) أي: ملازم لأسباب الحياة والمعيشة والتلهي في الدنيا.

(٣) في الأصل: «بشارة»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع) «الليلة ليلى». وليلى: هي بنت مهدي بن سعد، أم مالك العامرية، صاحبة المجنون قيس بن الملوح. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٤٩.

(٦) هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، من المتيّمين، من أهل نجد لم يكن مجنوناً، وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد، وفي وجودهما شك كبير. الأعلام، الزركلي، ٥/ ٢٠٨.

(٧) في (م) و(ع): «متى تخد الدموع أخدوداً». وخَدَّ الدمع في خدِّه: أثَّر. والخَدّ والأُخْدُود: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة. ابن منظور، اللسان، «خدد»، ٣/ ١٦٠.

(٨) في الأصل: «مِشعال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «البلادة»، وهو تصحيف. (١٠) في (م) و(ع): «مع».

(١١) كلمة «وٱطلب» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) التَّنُّور: نوع من الكوانين. والتَّنُّور: الذي يُخْبَز فيه. ابن منظور، اللسان، «تنر»، ٤/ ٩٥.

(١٣) في (م) و(ع): «هايم».

عبيس بن مرحوم[١] العطار رحمه الله تعالى قال[٢]: حدثتني عبدة ابنة أبي شوال[٣] وكانت من خيار[٤] إماء الله تعالى[٥]، وكانت تخدم رابعة رضي الله عنها[٦]، قالت: كانت رابعة تصلي الليل كلّه فإذا طلع الفجر هجعت[٧] في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، وكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها وهي فازغة[٨]: يا نفسي[٩] كم تنامين! يوشك أن تنامي نومةً لا تقومين منها[١٠] إلا لصرخة [٣٣ب] النُّشور، قالت: وكان هذا دأبُها دهرها حتى ماتت، فلمَّا حضرتها الوفاة دعتني فقالت[١١]: يا عبدة[١٢] لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي[١٣]؛ هذه جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هجعت[١٤] العيون. قالت: فكفَّناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه. قالت عبدة[١٥]: فرأيتها[١٦] بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة أستبرق[١٧] خضراءوخمار من سندس[١٨] أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه[١٩]، فقلت: يا رابعة، ما فعلت الجبة التي كفناك فيها وخمار[٢٠] الصوف؟ قالت: إنه والله نزع عني وأبدلت

---

(١) في الأصل و(م) و(ع): «عبيد بن مرحوم»، والتصويب من الجرح والتعديل للرازي، ٧/ ٣٤. وعبيس: هو عُبَيس بن مرحوم بن عبد العزيز العطار، مولى آل معاوية بن أبي سفيان، بصري مقل. ذكره ابن حبان في الثقات. الرازي، الجرح والتعديل، ٧/ ٣٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢١١ ـ ٢٢٠هـ، ص٢٨٨.

(٢) في (م) و(ع): «قال عبيد. .». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٩/٤.

(٣) عبارة «حدثتني عبدة ابنة أبي شوال»، في الأصل: «حدثني عبدة بن أبي شوال»، والتصويب من (م) و(ع). وهي عَبْدَة بنت أبي شوَّال، كانت من خيار إماء الله، حدَّثت عن رابعة العدوية. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٩/٤. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ٢٣٩/٣.

(٤) في (م) و(ع): «خير».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع). ورابعة: هي رابعة بنت إسماعيل البصرية العدوية، أم الخير، الصالحة المستورة، من أعيان عصرها، فضلها مشهور، توفيت سنة ١٣٥هـ ـ ٧٥٢م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٧/٤. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٤٠٨.

(٧) هجع يهجع هجوعاً: نام. ابن منظور، اللسان، «هجع»، ٨/ ٣٦٧.

(٨) في (م) و(ع): «فزعة».

(٩) في (م) و(ع): «نفس».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «فقالت لي».

(١٢) في الأصل: «عبيدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «وكفنيني. . إلخ»، في الأصل: «وكفني في جبة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «هدأت».

(١٥) في الأصل: «عبيدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «رأيتها».

(١٧) الإستبرق: هو الدِّيباج الصَّفيق الغليظ الحسن، وهو ما غَلُظ من الحرير. ابن منظور، اللسان، «استبرق»، ٥/١٠.

(١٨) السندس: رقيق الدِّيباح، ورفيعه. ابن منظور، اللسان، «سندس»، ١٠٧/٦.

(١٩) في (م) و(ع): «منها».

(٢٠) في (م) و(ع): «والخمار».

به هذا الذي ترينه علي[1] وطويت أكفاني وختم عليها، ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة. قالت: فقلت لها: هذا جزاء ما كنت[2] تعملين أيام الدنيا. قالت[3]: وما هذا عندي ما رأيت من كرامات الله ﷻ لأوليائه[4]. قالت[5]: قلت[6] لها: ما فعلت عبيدة ٱبنة أبي كلاب[7]: فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله[8] إلى الدرجات العلى. قالت: فقلت لها[9]: وبم وقد كنْتِ عند الناس أكبر منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أيّ حال أصبحت من الدنيا أو[10] أمست، قالت: قلت[11]: ما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً[12]. قالت: يزور الله تعالى[13] متى شاء. قالت: قلت: ما فعل بِشر[14]؟ قالت: بَخ بَخ أُعْطي - والله - فوق ما كان يُؤَمِّل[15] قالت: قلت: [٣٤] فأمريني بأمر يقربني[16] إلى الله ﷻ[17]. قالت: عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغبطي[18] بذلك في قبرك».

قلت: وقد ٱقتصرت هنا[19] على هذا القدر من أخبار رابعة العدوية رحمة الله عليها[20]؛

---

(١) عبارة «إنه والله نزع.. إلخ»، في (م) و(ع): «إنهما والله نزعا عني وأبدلتا بهاتين اللتين ترين علي»، إلا أنه في (ع): «أبدلتا لي» بدل «أبدلتا».

(٢) عبارة «هذا جزاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «لهذا كنت».

(٣) في (م) و(ع): «فقالت».

(٤) في (م) و(ع): «وما هذا عندما رأيت من كرامة الله لأوليائه».

(٥) في (ع): «قال». (٦) في (م) و(ع): «فقلت».

(٧) في (م) و(ع): «عبيدة بنت أبي كلاب». وعبيدة ابنة أبي كلاب هي عابدة من عابدات البصرة، كانت تقوم الليل كله، وبكت أربعين سنة حتى ذهب بصرها. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/ ٣٤. المناوي، الكواكب الدرية، ١/ ١٤٦.

(٨) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «قالت فقلت لها»، في (م) و(ع): «قلت». (١٠) في (م) و(ع): «و».

(١١) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٢) في الأصل: «ضغيماً»، والتصويب من (م) و(ع). وأبو مالك: هو ضيغم بن مالك الزاهد القدوة الرباني، أبو مالك، وقيل: أبو بكر الراسبي البصري، كان من الصالحين الخائفين البكائين، توفي سنة ١٨٠هـ - ٧٩٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٣٥٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٢١.

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمٰن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المَرْوزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، توفي سنة ٢٢٧هـ - ٨٤١م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٣٢٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٤٦٩.

(١٥) عبارة «قالت: قلت: ما فعل بشر.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «فأمريني.. إلخ»، في الأصل: «فأمرني بأمر تنقرب به»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «تعالى». (١٨) في (م) و(ع): «تغتبطي».

(١٩) في (م) و(ع): «هاهنا». (٢٠) عبارة «العدوية.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

لأني قد أفردت لها كتاباً[١] جمعت فيه كلامها وأخبارها رحمها الله تعالى[٢]. شعر[٣]:

حَديثُ سَقامي عَن غَرامِي يُسْنَد ... وآيَةُ[٤] وجْدِي بالصَّبابة تَشْهَد
ولي مَدْمَعٌ جارٍ[٥] من العين مُطْلَق ... وراتِبُ حُزْنِي[٦] في الفؤاد مُخَلَّد
وقد عَقَدَ الإجماع يَوْم فِراقكم ... بِأنَّ بَقَاء النَفْس فيه تَرَدُّد
عَرَفْتُ[٧] مَعانيكم فَأصْبَحْتُ عَبْدَكم ... بِكم عُقِدَ[٨] المعنى وصحَّ التَّعبُّد
أُطِيل نُواحي في نَواحي خِيامِكم[٩] ... وأحْسبُ أيام الجَفَا وأُعَدِّد
وبالماء تُطْفَى النار عند لَهِيبها ... ونار ضُلُوعي بالمَدَامع تُوقَد
أيا[١٠] مُلْبِسي ثوب السَّقَام فإنني ... وحَقِّك من أثواب صبري مُجَرَّد

[بحر الطويل]

يا سالكاً يريد الوصول[١١] عدلت عن الطريق، أرجع إلى سبيل التوبة ورافق رفيق العلم فهو رفيق، أسمع نغم حديث المجتهدين بالتلاوة في ليلهم فهو رفيق[١٢]، فتحوا حِرز[١٣] النَّوم وسرقوا السهر ولا قطع في التحقيق[١٤]، ليلهم نادم[١٥] الندم وصادقوا التصديق، عربدت بهم الأشواق ففي قلوبهم الحريق، عثروا على كنز ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١٦] فخرجوا إلى السعة من الضيق[١٧]، إلى متى هذا المقام في الغفلة متى توافق الفريق[١٨]، يا مقطوعاً بالتسويف يا مكبولاً [٣٤ب] من الشهوات بالقيد الوثيق[١٩]، كم تبت ثم عدت ونقضت العهد

---

(١) في (م) و(ع): «باباً وكتاباً».
(٢) عبارة «رحمها الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). والكتاب الذي أشار إليه ابن الجوزي هو «مناقب رابعة العدوية»، وقد عدَّه عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي»، ص٢٢٠، ضمن آثاره الضائعة أو التي يحتمل ضياعها.
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «وآيات».
(٥) في الأصل: «ولا دمع تجري»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «وراتب حزن»، وعيش راتب: ثابت دائم. ابن منظور، اللسان، «رتب»، ١/ ٤١٠. وحزن راتب أي دائم.
(٧) في (م) و(ع): «عقلت».
(٨) في (م) و(ع): «عُقل».
(٩) في (م) و(ع): «عراصكم».
(١٠) في الأصل: «ألا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «بريد الأمل». والمعنى: يريد الوصول إلى زخرف الحياة الدنيا.
(١٢) في (م) و(ع): «اسمع نغم حداة المتهجدين بالتلاوة فهو رقيق».
(١٣) الحِرْز: الموضع الحصين. ابن منظور، اللسان، «حرز»، ٥/ ٣٣٣.
(١٤) أي: لا قطع في تحقيق الصلة بالله تعالى.
(١٥) عبارة «ليلهم نادم»، في (م) و(ع): «نادموا».
(١٦) قوله ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الذاريات، آية ١٧.
(١٧) في الأصل و(م) و(ع): «فخرجوا من السعة إلى الضيق»، والصواب ما أثبتناه.
(١٨) في الأصل: «متى ترافق الرفيق»، وهي من (م) و(ع). والمعنى: متى توافق فريق المؤمنين فتصحبهم وتتبعهم.
(١٩) في (م) و(ع): «بالقيد الثقيل الوثيق».

الوثيق، أما تستحي أن تعصي من أنت آكل رزقه وساكن داره وهو يراك بالتحقيق، بأي وجه تطلب ثوابه[1] بأي لسان تذكره وأنت في بحر الخطايا غريق، إسكندر[2] أملِك يطلب البقاء وخَضِرُ الزهد[3] قسم له بالحياة وعرف الطريق، أحكم سد المخالفة من يأجوج الهوى ومأجوج الشهوات[4] وآمنع[5] الطريق، إن لم يهزك[6] هذا السماع ويطير بك[7] هذا التشويق، وإلا فأبك على نفسك فقد غلب على نفسك فقد غلب على مرآة قلبك الصدأ والصّديد[8] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال[9]: «أصابني في بعض أسفاري عطش شديد، فملت إلى بعض الأودية طمعاً في الماء، فسمعت صوتاً يتردد ولا يكاد يبين، فقلت هذه سباع مقبلة، فوليت هارباً، فناداني هاتف من بين تلك[10] الجبال: يا هذا ليس الأمر كما ظننته[11] إنما هو ولي الله ﷻ[12] عظمت زفرته وآشتدت حسرته فآرتفع[13] صوته وعلا نحيبه، فعدت إلى طريقي فإذا شاب قد أذابته العبادة حتى عاد كالخيال فسلمت عليه وأخبرته بعطشي، فقال لي:

---

(١) في (م) و(ع): «رضاه».

(٢) قيل الإسكندر هو اسم ذي القرنين، وقد اختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به اختلافاً كثيراً، وكان من خبره أنه أوتي ما لم يؤت غيره، فمدَّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلا سُلِّط على أهلها. وروي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود وإسكندر، والكافران نمروذ وبختنصر. القرطبي، الجامع، ١١/٤٥، بتصرف.

(٣) في (م) و(ع): «وخضر الدهر». وسيدنا الخضر قد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: هو عبد صالح قد توفاه الله تعالى، ومنهم من قال: هو نبي معمرّ محجوب عن الأبصار. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/٤١، بتصرف.

(٤) في (م) و(ع): «الشهوة». ويأجوج ومأجوج قوم يخرجون في آخر الزمان؛ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان عن الرسول ﷺ قال: «يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصَر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم، فيصبحون فَرْسى [قتلى] كموتِ نفسٍ واحدة». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث (١١٠/٢١٣٧)، ٤/ ٢٢٥٠.

(٥) في (م) و(ع): «ومنع».

(٦) عبارة «إن لم يهزك»، في الأصل: «أزهري»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «ويطير بك»، في (م) و(ع): «ويطربك».

(٨) في (م) و(ع): «وإلا فأبك على من فقد وغلب على مرآة قلبه الصدأ والصديد».

(٩) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٥٥.

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ظننت».

(١٢) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٣) في (م) و(ع): «وارتفع».

يا مالك ما وجدت لك[1] في المملكة نقطة ماء، ثم قام إلى صخرة فضربها برجله وقال لها: ٱسقنا[2] ماء بقدرة من يحيي العظام وهي رميم[3]، فإذا بالماء يجري[4] من الصخرة كما [٣٥أ] يجري[5] من العين فشربت[6] حتى رويت، ثم قلت له: أوصِني بشيء أنتفع به، فقال لي: يا مالك كن لمولاك عابداً[7] في الخلوات يسقيك الماء في الفلوات[8]» شعر[9]:

أَلَا هَلْ عَلَى اللَّيْلِ الطَّوِيلِ مُعِينُ	إذا نَزَحَتْ دَارٌ وحَنَّ حزينُ[10]
أُكَابِدُ هذا اللَّيلَ حتى كأنَّما	على نَجْمِهِ أَلَّا يَغِيبَ يَمِينُ[11]
فَوَاللهِ ما فَارَقْتُكُمْ قَالِياً لَكم[12]	ولكن ما يُقْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ[13]
وَلَمَّا رَأَى أنَّ الهوى قد أَضَلَّه	وأنَّ خليلاً مِنْ غَدٍ سَيَبِينُ
بَكَيتُ له[14] مِنْ لاعِجِ[15] البينِ والأَسَى	وكُلٌّ بِكُلٍّ مُسْعِدٌ وظَنِينُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوابِقَ عَبْرَتِي	على الخَدِّ مِنّي والدموع هَتُون
لقد كنتُ أَبْكِي قَبْلَ أَنْ يَشحط النوى[16]	فكيف إذا ما غِبْت كيف أَكُون
تُذَكِّرُنِي لَيْلَى الغَدَاة حَمَائم	لهن بأَعْلَى الرَّقْمَتَينِ[17] حنين
أَلَا يا حمامات اللِّوى عُذْنَ عَوْدَةً	فإنِّي إلى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ[18]
تُخْبِرُنِي الأَحْلَامُ أنَّك زَائري	فَيا لَيتَ أحْلَامُ المنام تكون[19]

[بحر الطويل]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (ع): «اسقني».

(٣) الرميم: العظام البالية. ابن منظور، اللسان، «رمم»، ١٢/٢٥٢.

(٤) في (م) و(ع): «فإذا الماء يخرج».

(٥) في (م) و(ع): «يخرج».

(٦) الكلمة ساقطة في (م).

(٧) في (م) و(ع): «عبداً».

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «ثم ولّى فما رأيته».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «حنين»، وهي من (م) و(ع).

(١١) البيتان الأول والثاني مقتبسان من قصيدة لأبي نواس. انظر: الديوان، ص٦٢٩.

(١٢) عبارة «قالياً لكم»، في الأصل: «قائلاً»، والتصويب من (م) و(ع). والقِلَى: البغض. ابن منظور، اللسان، «قلا»، ١٥/١٩٨.

(١٣) البيت لذي القرنين بن حمدان، أبي المطاع وجيه الدولة (ت٤٢٨هـ ـ ١٠٣٦م). انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١/٣٧٩.

(١٤) في (م) و(ع): «لها».

(١٥) اللّاعج: الهوى المُحْرِق. ابن منظور، اللسان، «لعج»، ٢/٣٥٧.

(١٦) في الأصل: «قبل أن يرق بي الهوى»، والتصويب من (م) و(ع). والشَّحْط والشَّحَط: البُعْد. ابن منظور، اللسان، «شحط»، ٧/٣٢٧.

(١٧) الرقمتان: روضتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٥٨.

(١٨) في الأصل: «حنين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) البيتان الأخيران لقيس ليلى. انظر: الديوان، ص٢٦٣، ٢٦٥.

إخواني المعصية داء والعصاة مرضى، ويوم مجلس الأسبوع دواء[1]، كم وصفت فيه من شراب حكمةٍ وصفَّيت فيه[2] من مقلى[3] قلق، ومزجت فيه من معجون الخوف وشراب الرجاء، وسقيت منه السامعين بقدر، والكل قد شرب إلا أن من العلل ما هو قريب البرء ومنها بطيء، فإن لم يستفرغ[4] أخلاط الخطايا في هذا المجلس ففي الثاني،[٣٥ب] وبعض العلل لا يداوى بالأشربة فأنا أداويه بترياق[5] البلاغة فإنه[6] أسرع في تسكين سم العجب من ترياق[7] المراهمة، وبعض الأمزجة يداوى بطبيب التلاحين،وأنامل نظمي إذا جسَّت أوتار نثري خرج[8] دقيق السّر فنهض عليل البلادة ونقله إلى صحّة الاستماع[9]، ومن العلل[10] ما يداوى بالمفاكهة[11]، ومسامير فصاحتي[12] تفتح من حلل الخطب وشياً[13] ألطف من نسيم الربيع وأبدع في الإبداع[14] من بديع البديع، كم في أسفاط[15] فصاحتي من أمثال ما لها مثال[16]، أين نسائم زهور[17] معارفي من نسائم زهر الربيع، هذا دائم العرف وذاك ينقطع، كم داوى وعظي من ملسوع وكم أحيا من ميِّت قلب كأنّه ميت حس مما هو مطبوع[18]، يقول أهل الفضل فيا[19] ليت كل يوم أسبوع، فإذا رأيتم من خرج[20] كما دخل فأعلموا أنه بالقطوع مقطوع، والحاسد وإبليس كلاهما في قيد الحرمان مجموع.

إلٰهي اجعل نصيبي عندك نصيب من أرغمت الشيطان بالعفو عنه مع زلله، وأسهم لي بسهم من عنايتك كما قسمت لمن قربته بفضلك، إلٰهي لا أبرح عن باب سؤالك فإني لا أعرف

---

(١) في (م) و(ع): «ويوم مجلسي هو الأسبوع».

(٢) عبارة «وصفَّيت فيه»، في الأصل: «وصفه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) مُقْلى: اسم مفعول من قَلَى يقلى. وقلى الشيء قلياً: أنضجه على المِقْلاة، ويقال للرجل إذا أقلقه أمر مهم فبات ليله ساهراً: بات يتقلّى أي يتقلّب على فراشه كأنه على المِقْلَى. ابن منظور، اللسان، ١٥/١٩٨.

(٤) في (م) و(ع): «تستفرغ».

(٥) في (م) و(ع): «برقا».

(٦) في (م) و(ع): «فإنها».

(٧) في (م) و(ع): «رقى».

(٨) في الأصل: «خرجت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «ونقله.. إلخ»، في (م) و(ع): «ونَقِهَ إلى صحة الأسماع».

(١٠) في الأصل: «العليل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (ع): «بالفاكهة».

(١٢) في الأصل: «الفصاحة»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) وشَى الثوب وشَياً: حسَّنَهُ. ابن منظور، اللسان، «وشي»، ١٥/ ٣٩٢.

(١٤) في (م) و(ع): «وأبدع في بديع الإبداع».

(١٥) في الأصل: «اسطفاه»، وفي (ع): «أسقاط»، والتصويب من (م). والأسفاط: جمع السَّفَط، الذي يُعَبَّى فيه الطّيب وما أشبهه من أدوات النساء. ابن منظور، اللسان، «سفط»، ٧/ ٣١٥.

(١٦) في (م) و(ع) زيادة: «وكم لعبارتي من تمثال ما له أمثال».

(١٧) في (م) و(ع): «زهر».

(١٨) عبارة «مما هو مطبوع»، في (م) و(ع): «وما له من رجوع».

(١٩) في (م) و(ع): «يا».

(٢٠) في (م) و(ع): «يخرج».

غيرك، إلٰهي إن قدرت عليَّ ما لا ترضى فما لي قدرة على رفع[1] قدرك وحسبي الرضا وٱعترافي بنقصي فيما قضيت فإن ٱستوحشت منك فبمن آنس. إلٰهي صفتي[2] الذّل والفقر والعجز والضعف و[3]هذه [٣٦أ] بضاعتي وجودك يعطي بلا سبب ويتصدَّق بلا سؤال فتصدق علي بعفوك وفضلك وكرمك[4] يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[5].



---

(١) عبارة «على رفع»، في (م) و(ع): «في دفع».

(٢) في الأصل بياض، وفي (ع): «وصفتي»، وهي من (م).

(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «وفضلك وكرمك» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الخامس

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي احتجب بعظمته عن نواظر الناظرين، توحد في أزليته[1] عن مدارك المدركين، وتقدس في جلاله عن صفات التكوين والتمكين[2]، لم يفتقر في إيجاده[3] الموجودات إلى مشير ولا معين، أوجد عن كلمة «كن» من دخل في دائرة التكوين[4]، رفع السماءبلا عمد ترونها[5] وزيَّنها بالنجوم زينة للناظرين، فمنها دلائل للاهتداء[6] ورجوم للشياطين[7]، جعلها خزائن وحيه يهبط منها الروح الأمين[8]، أسكنها ملائكة من أدناس البرية مطهرين، فمنهم عاكف على بساط[9] الحضرة ومنهم في أفعاله مسخرون، بسط بساط الأرض على مُتلاطم ماءٍ معين، و[10]أرساها بأوْتاد الأرض[11] لئلا تميد أو تبين[12]، خلق من ترابها الحيوان وغذاه بنباتها ثم يعيده في بطنها دفين، أظهر فيه مكنون القدر ففي اختلاف حالته[13] يبين، جعل أناساً[14] من أهل الشمال وآخرين من أهل اليمين، رتب الحفظة لحفظ أفعال الخلائق كاتبين[15]، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار [٣٦أ] لضبط أعمالك[16] حافظين[17]، ما

---

(١) في (م) و(ع): «وتوحد في أزله».

(٢) كلمة «والتمكين» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «إيجاد».

(٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(٥) عبارة «بلا عمد ترونها» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ومنها دلائل الاهتداء».

(٧) خلق الله تعالى النجوم لثلاث: زينة للسماء، وعلامات يُهْتَدى بها في البر والبحر والأوقات، ورجوماً للشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٢١٠، ٢١١.

(٨) في (م) و(ع): «جعلها خزائن رحمته يهبط بها الروح الأمين». والروح الأمين: هو سيدنا جبريل.

(٩) في (م) و(ع): «مشاهدة».

(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بأوتاد الأطواد». والأوتاد: جمع وتد وهو مارزٌ في الحائط أو الأرض من الخشب. وأوتاد الأرض: الجبال لأنها تثبتها. ابن منظور، اللسان، «وتد»، ٣/ ٤٤٤.

(١٢) في (م) و(ع): «تمين».

(١٣) عبارة «ففي اختلاف حالته»، في الأصل: «في اختلاف أحوالها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «ناساً».

(١٥) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] قال مجاهد وقتادة: «المتلقيان» ملكان يتلقيان عملك: أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك. القرطبي، الجامع، ١٧/ ٩.

(١٦) في (م) و(ع): «أفعالك».

(١٧) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعْرُج الذين باتوا =

أغفلك عن المُراد وسيأتيك الحق المبين، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

إخواني الأمل صرح على شفى جرف[2] إذا هبت عليه أرياح المنية[3] انكفا[4]، كم تسحب ذيل المعاصي على أرض البقاء[5] أما كفى، أين أرباب الأشواق يا مُدَّعي الهوى أين الوفا، لا تحن لنفحات حاجر ولا تحنو إلى الصَّفا[6]، كم لي أحدث[7] قلبك ما أرى قصرك إلا خربا[8] قد عفا[9]، أتعبت نفسك[10] في طلب الطُّلول الدَّوارس تلهُّفا، أين جيران المنحنى[11] أين من ودادهم قد[12] صفا، يا متخلفاً[13] عن رفاق الأحباب في ودهم ما أنصفا، يا عبد السّوء أطلب مصالحتك وقد غلب عليك الجفا، بنعمتي[14] أغذيك وبستري أغطيك[15] وقبائحك علي[16] ما تخفى، في الصبا تلهو وتلعب وفي الشباب[17] تمزق ثوب الحياة[18] وما يرفا[19]، وفي الكهولة أنت مصر على المعاصي كلفا، وفي الكبر تنوي المتاب ما أبعد وعدك و[20]ما أخلفا، إذا دنا الحصاد علم البطال ما قدم وأسلفا[21]، بينما[22] مصباح أملك يضيء هب عليه عاصف المنون

= فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصَلّون وأتيناهم وهم يُصَلُّون». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم الحديث (٢١٠/ ٦٣٢)، ١/ ٤٣٩.

(١) سورة الأنبياء، آية ٤٧.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «أرياح المنية»، في (م) و(ع): «رياح المنون».

(٤) في الأصل: «انطفا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م): «النعم»، وفي (ع): «النعيم».

(٦) الصَّفا: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٤١١.

(٧) في الأصل: «أجلب»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ما أرى قصره إلا خراباً».

(٩) عبارة «قد عفا»، في الأصل: «قاعد عفا»، والتصويب من (م) و(ع). وعفت الدار: درست. ابن منظور، اللسان، «عفا»، ١٥/ ٧٨.

(١٠) في (م) و(ع): «أتعب نفسه».

(١١) المُنْحَنَى: موضع مذكور في رسم عُوَق وهو موضع بالحجاز. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ١٢٦٨/٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٦٨/٤.

(١٢) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٣) في الأصل: «مختلفاً»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بنعمي».

(١٥) في (م) و(ع): «أسترك».

(١٦) في (م) و(ع): «عني».

(١٧) عبارة «وفي الشباب» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «الجيوب»، وهي من (م) و(ع).

(١٩) رفا الثوب: أصلحه. الفيروزآبادي، القاموس، «رفا»، ص١٦٦٣.

(٢٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) عبارة «إذا دنا الحصا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «بينا».

فأنطفا، وقد أسلمت إلى قبر قد[١] عفا عليه العفا[٢]، أنيسك أعمالك هذا الأمر عليك ما يخفى[٣]، وبعده يوم مهول ينشر فيه للخلائق الدواوين[٤]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ [٣٧أ] مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

حصين بن القاسم[٥] الوزان ﷺ قال[٦]: كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ الناس[٧]، فناداه رجل من ناحية المسجد: كفى[٨] يا أبا عبيدة[٩] فقد كشف قناع قلبي[١٠]، كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد يعظ الناس[١١] ولا يقطع موعظته حتى ـ والله ـ حشرج الرجل حشرجة الموت ثم خرجت نفسه رحمة الله عليه[١٢]. قال: وأنا ـ والله ـ قد[١٣] شهدت جنازته يومئذٍ فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر منه خلقاً[١٤]. شعر[١٥]:

أَعِدْ ذِكْرَ مَنْ حَلَّ العَقِيقَ وإنْ قضَى ... على الوَصْلِ فيما بيننا حَادِثُ الدَّهْرِ
حَدِيثٌ[١٦] هوىً يُجْرِي المَدَامِعَ بَعْثُه[١٧] ... ويَعْمَلُ فِي أَلْبَابِنَا[١٨] عَمَلَ السُّكْرِ
أَلَذُّ وَأَحْلَى في القلوب من المُنَى ... وأسرى[١٩] بأعضاء[٢٠] الرِّجال من السِّمر
وإنِّي وإنْ أَفْنَى السَّقَام حُشَاشَتِي[٢١] ... ولَمْ يُبْقِ في قَلْبِي سِوَى مَوْضِعِ السِّرِّ
لَمُصْغٍ إلى بَثِّ الحديث مُعَلِّلاً ... به ما عسى أَبْقَتْ يَدُ البَيْنِ من عمري

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) عفت الأرض إذا غطاها النبات، ويقال عفا فلان على فلان في العلم إذا زاد عليه. ابن منظور، اللسان، «عطا»، ١٥/٧٦،٧٨ .
(٣) في (م) و(ع): «هذا الأمر عنك ما خفي».
(٤) عبارة «ينشر. . إلخ»، في (م) و(ع): «تنشر فيه الدواوين».
(٥) في الأصل: «حصين بن عاصم»، والتصويب من (م) و(ع)، والذهبي في تاريخ الإسلام.
(٦) في (م) و(ع): «حصين بن القاسم قال». والقصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٥٩/٦. والذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ، ص٥١٠.
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «كُفَّ».
(٩) في الأصل: «أبا عبد الله»، وفي (م) و(ع): «أبا عبيد»، والتصويب من لسان الميزان لابن حجر، ٨٠/٤.
(١٠) عبارة «كشف قناع قلبي» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر مما كنا يومئذٍ».
(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٦) في الأصل: «وحديث»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) عبارة «يجري المدامع بعثه»، في (م) و(ع): «يحكي المدامة نعته».
(١٨) الكلمة بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «أمرى». ومَرى الشيء وامتراه استخرجه، ومرى الدم وأمراه إذا استخرجه. ابن منظور، اللسان، «مرا»، ٢٧٧/١٥.
(٢٠) في الأصل: «في أعضاء»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) الحُشَاش والحُشَاشة: بقيّة الروح في المريض والجريح. الفيروزآبادي، القاموس، «حشش»، ص٧٦١.

فَفي ذِكْرِ لَيْلَى بِرْءُ سُقْمِي وَرَاحَةٌ[1] لِرُوحِي[2] وَتَفْرِيجٌ لِمَا[3] ضَاقَ مِنْ صَدْرِي
دَعَانِي الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي إِلَيْكُمُ فَكَيْفَ[4] أَخَافُ الدَّمعَ من حيث لا[5] أدري
ولِلصَّبِّ في الرَّكْبِ اليَمَانيِّ نَشْوَةٌ مِنَ الحُبِّ تُنْسَى عندها نشوة الخَمْرِ
ويَسْتَوقِفُ الحَادِي أَنِينِي[6] وَزَفْرَتِي لها رِقَّةُ الأَشْوَاقِ لا قَسْوَةَ الزَّجْرِ[7]
وَأَسْأَل إِلَّا عَنْكُم ولأجلِكُم سُؤَالي وَهَلْ إِلَّاكُمُ جَالَ فِي فِكْرِي
يُسَاعِدُنِي[8] إِلَّا عَلَيْكُم تَجَلُّدِي وأَمْلِكُ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِكُم أَمْرِي [٣٧ب]
عَسَى مَنْ أَضَلَّ السَّعْيَ يَهْدِي[9] وَمَنْ قَضَى عَلَيَّ بِكَسْرِ الحال يُنْعِمُ بالجَبْرِ
فَكَمْ رَفَعَ البَلْوَى الذي يَبْتَلِي بِهَا وكَمْ وَضَعَ العفو الرحيم من الوزْرِ[10]

[بحر الطويل]

يا من تتلى[11] عليه صحف المعاني وهو لا يدري، أعرني سمعك حتى أحدثك بكل ما يجري، أول النطفة قلم القضاء عليها يجري[12]، هذه رحلة من الأصلاب يا ليتك لم تكن[13] إلى الحشر، من أول يوم نقلت إلى الدنيا راحل إلى منزل القبر[14]، وكلفت بحمل الزاد إلى طول السفر ومالك في التخلف من عذر، ألفت النوم على قنطرة الرحلة أما تسري، سيحملك تيار الأجل فيسري بك قبل أن تسري[15]، و[16]هواك في الآخرة فيه سلو وفي الدنيا هوى عذري، أنفت أنوف الزهاد عن الدنيا وعانقوا الجد براحتي[17] الصبر، فما هو إلا أن لاحت

(١) في الأصل و(م) و(ع): «وراحتي»، والتصويب من (ب).
(٢) في (م) و(ع): «وروحي».
(٣) عبارة «وتفريج لما»، في الأصل: «وتفرجي بما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «وكيف». (٥) في (م) و(ع): «ما».
(٦) في الأصل: «أنني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «الجمر»، وهي من (م) و(ع).
(٨) في الأصل: «ويساعدني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «أن يهتدى»، وهو تصحيف.
(١٠) في (م) و(ع): «وكم وضع العفو الرحيمي من وزري». والوزر: الحِمل الثقيل، والوزر: الذنب لثقله. ابن منظور، اللسان، «وزر»، ٥/٢٨٢.
(١١) في (م) و(ع): «أتلو».
(١٢) أي قضاء الله تعالى يجري على إيجاد الخلق، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩].
(١٣) في (م) و(ع): «تكمل».
(١٤) عبارة «من أول يوم.. إلخ»، في (م) و(ع): «ثم نقلت إلى الدنيا فأول قدم أنت راحل إلى منزل قفر».
(١٥) عبارة «سيحملك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «براحلة»، والتصويب من(م) و(ع).

لهم أعلام نجد الوجد على ثنية الفجر، جدوا حمد السرى[1] وأصبحوا من هول الحساب آمنين، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

أبو عبد الله الجريري رحمه الله تعالى قال[2]: قلت لمحمد بن السماك أخبرني عن أعجب شيء رأيته في[3] الخائفين، قال[4]: آشتقت إلى عباد البصرة فأتيت الربيع بن الصبيح[5] فنزلت عنده ثم قلت له: هل تعرف هاهنا أحداً من أهل الخوف؟ قال: نعم، هاهنا، واحد[6] يقال إنه من الخائفين [٣٨أ] فقلت له: فبكر بنا إليه إذا صلينا[7]. قال: فبكرنا إلى بعض زوايا البصرة، فدق باباً، فخرجت إلينا عجوز فسلم عليها ثم قال لها[8]: ما فعل آبنك؟ قالت: إن ابني[9] قد نسي الدنيا. قال: أتأذنين[10] لنا أن ندخل عليه؟ قالت: بشرط ألا تذكروا له القيامة. قال: فأذنت[11] لنا فدخلنا فإذا شاب عليه مدرعة من شعر، وفي عنقه طوق وسلسلة[12] مشدودة بسارية[13] البيت، وإذا قبر محفور وإذا هو جالس على شَفير القَبْر ينظر في لحده فقال له[14] الربيع: يا هذا، أخوك محمد بن السماك أتاك زائراً، فالتفت إلي فقال: ما أنت قائل؟ فتلجلج لساني وهبته وجهدت الجهد أن أنطق فما قدرت، فخرجنا يومئذ ثم عدت في[15] اليوم الثاني فإذا هو على حالته التي رأيناه عليها[16] بالأمس، فالتفت إلي وقال: أما[17] أنت قائل، فتلجلج لساني ثم قلت: إنَّ للعباد مقاماً. فقال[18]: ويحك عند مَن؟ قلت:

---

(١) في (م) و(ع): «حمدوا السرى». والسُّرَى: سير الليل عامَّته، وقيل: السُّرَى سيرُ الليلِ كلِّه. ابن منظور، اللسان، «سرا»، ١٤/ ٣٨١.

(٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٤/ ٢١، وإنما قال: «أبو عبد الله الخرزي قال».

(٣) في (م) و(ع): «من».

(٤) في (م) و(ع): «فقال».

(٥) في (م) و(ع): «الربيع بن صبح»، وهو تصحيف. والربيع: هو الربيع بن صبيح السعدي، أبو بكر، ويقال: أبو حفص البصري، كان من عباد أهل البصرة وزهّادهم، إلا أن رواية الحديث لم تكن من صناعته فكان يهم فيما يروي كثيراً، توفي سنة ١٦٠هـ ـ ٧٧٧م. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٢٤٧. الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٥.

(٦) في (م) و(ع): «رجل».

(٧) عبارة «إذا صلينا» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (ع).

(٩) عبارة «إن ابني»، في الأصل: «أراني»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «أتأذن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م): «قال: فأذن»، وفي (ع): «قالت فأذن».

(١٢) في (م) و(ع): «بسلسلة».

(١٣) في (م) و(ع): «السارية».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «ما».

(١٨) في (م) و(ع): «قال».

عند مالك الملوك، فشهق شهقة فإذا هو ميت في قبره رحمه الله تعالى[1]». شعر[2]:

آيَـاتُ حُـبـي فِـيـك لا تـتَـأوَّلُ ... سقمي النَّموم بها ودَمْعي المُسْبَل[3]

حَكَمَ الغَرامُ بأنَّ دَمْعِي بَعْدَكم[4] ... أبَداً يَجُودُ وأنَّ صَبْري يَبْخَل[5]

حَنَّ الفُؤَادُ كما أحِنُّ صَبَابَةً ... فَعَلَام دَمْعي في الخدود مُسَلْسَل[6]

يا سَالِبَ الغُصْن الرَّطِيب قِوَامُهُ ... بالاْعْتِدَالِ وأنْتَ لم لا[7] تعدل

يا مُعْولِي[8] أسَفاً عليك مُعَوَّلِي[9] ... يا جَنَّةَ المَأوَى إلَيْكَ المَوْئِل[10] [٣٨ب]

يا مرسلاً من[11] لحظه مترسلاً[12] ... سهما[13] بما يوحي إليه المرسل[14]

لا ترسلنَّ إليَّ منها بَعْدَهُ ... أمْسِكْ سِهَامَكَ قَدْ أصِيبَ المَقْتَلُ

يَا سَاكِني وادي العَقِيق عُقُوقكم ... ليس المراد وهَجْركُمْ أتَحَمَّل[15]

مالي أدَاوِي في فؤادي عِلَّة ... وَجَنَابكُم للصَّبْر فيه مَنْهَلُ[16]

أنَسِيتُم عَهْدي وَضَيَّعْتُم قِلىً ... وُدِّي وعُذْر العُذْر لا يُتَقَبَّل[17]

---

(١) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) عبارة «سقمي.. إلخ»، في الأصل: «سقم الهوى ودمع عيني مرسل»، والتصويب من (م) و(ع). والنَّمُوم من النميمة وهو تزيين الكلام بالكذب، ورجل نَموم أي قَتَّات، يقال: قَتَّ إذا مشى بالنميمة، وقيل: النميمة هو وسواس همس الكلام. ابن منظور، اللسان، «نمم»، ١٢/ ٥٩٢.

(٤) في (م) و(ع): «لا يفي».

(٥) عبارة «أبداً.. إلخ»، في (م): «أن يجود عيني يبخل»، وفي (ع): «إن الغرام يجود عيني يبخل»، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل: «مسول»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) مُعْوِل من العَوْل، وعالَهُ الأمر يَعوله: أهَمَّه. ابن منظور، اللسان، «عول»، ١١/ ٤٨٤.

(٩) مُعَوَّل: من عَوَّل، وعَوَّلت عليه أي اتكلتُ، ومُعَوَّلي على فلان أي أتكالي عليه واستغاثتي به. ابن منظور، اللسان، «عول»، ١١/ ٤٨٣، ٤٨٥.

(١٠) الموئل: الملجأ. ابن منظور، اللسان، «وأل»، ١١/ ٧١٥.

(١١) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «مسترسلاً».

(١٣) في الأصل: «قسماً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل و(م) و(ع): «مرسل»، والصواب ما أثبتناه.

(١٥) البيتان ساقطان في (م) و(ع).

(١٦) البيت في (م) و(ع):

«مالي إذا وافى فؤادي غلة ... وجنابكم للطير فيه موئل»

والمَنْهَل: المَشْرَب والمَوْرِد، وهو عين ماء تَرِدُه الإبل في المراعي، وتسمى المنازل التي في المفاوز على طريق السُّفَّار مناهل لأن فيها ماء. ابن منظور، اللسان، «نهل»، ١١/ ٦٨١.

(١٧) عبارة «لا يُتَقَبَّل»، في الأصل: «لم لا يقبل»، والتصويب من (م) و(ع).

لِمَ لا صَنَعْتُمْ بي الجَميل وإنْ يَكُنْ مَنَعَ الجفا[1] أنْ تَحْمِلُوا فَتَحَمَّلُوا
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له حقاً، كل من سواه صنيعته[2] فالكل تحت قهره ملكا ورقا، نور قلوب العارفين بمعرفته[3] فهي إلى جلالِه تَرَقَّى، سهل طريق الوصول على[4] نجائب المخلصين فهي تتسابق إليه سبقا، وأبعد المحروم فهو في تيه الشهوات يشقى، أحكمت القسمة[5] فيما أراد على من مضى ومن بقى[6]، أنعم على أهل الأرض بمحمد ﷺ وشرف وكرم[7] فهو أمان لهم بأن ينزل[8] بهم خسفاً أو غرقا[9]، قرن آسمه بآسمه وجمَّله خَلقا وخُلقا، خصه بمعجزات خرقت له العوائد[10] خرقاً، ما أشرف ليلة الإسراء وأشرق نورها وأنقى[11]، كم أَسَرَّ له فيها من سِرٍّ وتَمَسَّك بالعُروة الوثقى[12]، شرفه برسالة أعجزت[13] الخلائق غرباً وشرقاً، نبوءته مثبوتة[14] في كل كتاب صدقاً[15]، نعوته بالرَّأفة والرحمة وسيره في سيرته رفقا[16]، آسمه في المصحف[17] أحمد من كل حامد و[18]غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما [٣٩أ] تزايد في الخدمة إلا تشوقاً[19]، ناداه محبوبه من جانب اللُّطف أيُّها

---

(١) في الأصل: «الحيا»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «صنعه».

(٣) في الأصل: «بمعرفة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (ع): «إلى».

(٥) في (م) و(ع): «الحكمة».

(٦) في (م) و(ع): «يبقى».

(٧) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «بأن ينزل»، في (م) و(ع): «أن ينزل الله».

(٩) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

(١٠) في (م) و(ع): «العادات».

(١١) في الأصل: «وأبقى»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) العروة من الشجرة ما لا يسقط ورقه في الشتاء الذي يعوِّل الناس عليه إذا انقطع الكلأ. ابن منظور، اللسان، «عرا»، ٤٦/١٥. والعروة الوثقى مثلٌ للإيمان، شُبِّه التمسك به بالمتمسك بالعروة الوثيقة، فكأنه يقول: إن المبالغ في التمسك بهذا الحق والرشد كمن يأوي إلى ذلك الشجر الملتف الكثير الذي لا ينقطع مدده ولا يفنى غذاؤه. ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٠٦/١. محمد حجازي، التفسير الواضح، ٩/٣.

(١٣) في (م) و(ع): «أعجز».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

(١٦) وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١٧) في (م) و(ع): «الصحف».

(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «شوقاً». وقد روي ـ في هذا المعنى ـ عن عائشة رضي الله عنها أنّ نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطّر [أي تنشق] قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»، فلما كثر لحمه صلَّى جالساً فإذا أراد أن يركع =

المحبوب رِفقا، ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[1].

معشر التائبين ٱرحلوا عن ديار الإدبار فإنها مجدبة، وٱنزلوا بوادي المعاملة فإنها مخصبة، قودوا عيس النفوس بزمام المخالفة فإنها لديار الأحباب[2] مقربة، ٱسمعوا نغم التائبين فإنها مطربة، إذا[3] لاحت أعلام الكرامات فأثبتوا فإنها معجبة[4]، إياكم ومعاملة الدنيا فإنها وإن أرتكم[5] أنها[6] مشرقة فإنها مغربة، لله حديث أموات أخبارهم للسعادة مقربة، سلكوا سبيل القرب[7] فهم الغرباء في الغربة[8]، كيف لا ينصبون[9] أقدامهم والحبيب يعاين القيام[10] ليس له في الراحة رغبة، لولا نداء الحبيب له رفقاً أيها الحبيب رفقا، ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

قال أحمد بن يحيى الجلَّاء[11] رحمه الله تعالى: «سمعت[12] أبي يقول: كنت عند معروف الكرخي رحمه الله تعالى[13] في مجلسه فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محفوظ رأيت في هذه

= قام فقرأ ثم ركع. البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، رقم الحديث (٣٣٢)، ٦/ ٢٤١.

(١) سورة طه، آية ١ ـ ٢.

(٢) عبارة «قودوا عيس.. إلخ»، بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «وإذ»، وهي من (م) و(ع).

(٤) في (ع): «معجفة»، وهو تصحيف.

(٥) عبارة «إياكم ومعاملة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إياكم ومعاينة الدنيا فإن أرتكم».

(٦) في (ع): «بأنها».

(٧) في (م) و(ع): «نبيهم».

(٨) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث (٢٣٢/ ١٤٥)، ١/ ١٣٠.

(٩) في (م) و(ع): «يصفون».

(١٠) عبارة «يعاين القيام»، في (م) و(ع): «يعانق الفاقة».

(١١) عبارة «أحمد بن يحيى الجلاء»، في الأصل: «يحيى بن الجلاء»، وفي (م) و(ع): «يحيى الجلاء»، والتصويب من الصفة وطبقات الأولياء. والقصّة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/ ٥٠٠. وابن الملقن في طبقات الأولياء، ص٨٥. وأحمد: هو أحمد بن يحيى الجلاء، أبو عبد الله البغدادي، ثم الشامي، كان عالماً ورعاً، وكان مذهبه في سفره التوكل والتجريد، وقد صحب أباه وذا النون وغيرهما، وكان والده من خيار عباد الله الصالحين؛ قيل لابنه أبي عبد الله: لِمَ سُمِّي أبوك الجلاء؟ فقال: ما جلا أبي قط شيئاً، وما كان له صنعة قط، ولكن كان يتكلم على الناس فيجلو القلوب. توفي أحمد سنة ٦٠٣هـ ـ ١٢٠٦م، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٤٤٣. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٨١.

(١٢) في الأصل: «قال سمعت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «الكرخي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). ومعروف الكرخي: هو معروف بن فيروز، وقيل فيرزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، أبو محفوظ، كان من جُلّة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والزهد، توفي سنة ٢٠٠هـ ـ ٨١٥م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص٨٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٢٣١.

الليلة[1] عجباً، فقال[2]: وما رأيت رحمك الله تعالى[3]: قال: آشتهى علي أهلي سمكاً فذهبت إلى السوق فآشتريت لهم سمكة وحملتها[4] مع حمال ومشى معي، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال: يا عم هل لك أن تصلي[5]؟ فكأنه أيقظني من غفلة، فقلت له: نعم، فوضع الطبق والسمكة على موضع ودخل المسجد، فقلت [٣٩ب] في نفسي: الغلام قد[6] جاد بالطبق أجود أنا بالسمكة، فلم يزل يركع حتى[7] أقيمت الصلاة وصلينا جماعة وركع بعد الصلاة، وخرجنا وإذا بالطبق على حاله موضوع، فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بالأمر[8]، فقالوا لي: قل له يأكل معنا من هذه السمكة[9]، فقلت له[10]: فقال: أنا صائم، فقلت له: فأفطر عندنا، فقال: نعم، أرني[11] طريق المسجد، فأريته فدخل[12] وجلس إلى أن صلينا المغرب، فجئت إليه[13] وقلت له: تقوم[14] يرحمك الله، فقال: أو نصلي العشاء الآخرة، وقلت[15]: وهذه ثانية، يُريد أن فيها خيراً، فلما صلينا جئت به إلى منزلي، ولنا ثلاثة بيوت[16]: بيت أنا فيه[17] وأهلي، وبيت لنا[18] فيه صَبية مقعدة ولدت كذلك، إنها فوق[19] العشرين سنة، وبيت يكون للضيف إذا كان عندنا[20]. فبينما[21] أنا مع أهلي إذ دق داق الباب[22] آخر الليل، فقلت[23]: من؟ قالت: أنا فلانة، فقلت[24]: أفلا هي مضغة[25] لحم مطروحة في البيت كيف يستوي لها أن تمشي؟

---

(١) عبارة «رأيت.. إلخ»، في (م) و(ع): «رأيت البارحة».
(٢) في (م) و(ع): «قال».
(٣) عبارة «رحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «يرحمك الله».
(٤) كلمة «وحملتها» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «نصلي».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «إلى أن».
(٨) في (م) و(ع): «بهذا».
(٩) عبارة «من هذه السمكة»، في (م) و(ع): «من هذا السمك».
(١٠) عبارة «فقلت له» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) عبارة «فقال نعم أرني»، في (م) و(ع): «قال نعم، أروني».
(١٢) في (م) و(ع): «فدخل المسجد».
(١٣) عبارة «فجئت إليه»، في (م) و(ع): «فجئته».
(١٤) في (م) و(ع): «قم».
(١٥) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٦) في (م) و(ع): «أبيات».
(١٧) في (م): «بيت فيه أنا»، وفي (ع): «بيت فيها أنا».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «إنها فوق»، في (م) و(ع): «لها نحو».
(٢٠) عبارة «وبيت يكون.. إلخ»، في (م) و(ع): «وبيت كان فيه ضيفنا».
(٢١) في (م) و(ع): «فبينا».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٤) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٥) عبارة «أفلا هي مضغة»، في (م) و(ع): «فلانة قطعة». والمُضْغَة: القطعة من اللحم. ابن منظور، اللسان، «مضغ»، ٨/٤٥١.

قالت: أنا هي فٱفتحوا[1]. ففتحنا[2] فإذا هي سوية[3]، فقلت لها: أي شيء الخبر[4]؟ قالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا[5] بخير فوقع في نفسي أن أتوسل إلى الله عزَّ وجلَّ[6] به، فقلت: اللهم بحق ضيفنا هذا، وبجاهه عندك إلّا أطلقت أسري فٱستويت وقمت في عافية كما ترى، فقمت إليه أطلبه في البيت فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد، فجئت إلى الباب[7] فوجدته مغلقاً بحاله. فقال معروف: فيهم[8] [٤٠أ] صغار وكبار، يعني الأولياء رضي الله عنهم أجمعين[9]». شعر[10]:

قَسَماً بقلب الصَّبِّ في حَرَكَاته	وَثَبَاتِهِ[11] في الحُبِّ في وَثَبَاتِهِ
وَبِمَنْ صَفَا عند الصَّفا بِفُؤَادِهِ	وبِحُسْنِ صُورَتِهِ[12] وَحُسْنِ صِفَاتِهِ
وَوَحَقِّ[13] مَكَّةَ والمَقَام وزَمْزَم	والبَيْت والمَأْثُورِ مِنْ حُرُمَاتِهِ
وَوَحَقِّ خَيْف مِنَى وَخوف أولي النُّهى[14]	خَوْفاً يَرُدُّ المَرْءَ عَنْ زَلَّاتِهِ[15]
وَسَماعِ أَصْوَاتِ[16] الحَجِيجِ بِنَغْمَةٍ	باتَتْ تُحَرِّكُها إلى مِيقَاتِهِ[17]
خَرَجُوا عَن الأوْطَان وَجْداً باعَدُوا	فيه مَقَال عُدَاتِهِ لِعِدَاتِهِ[18]
يجدون عِيسهم بِذِكْرِ أَنِيسِهم	فَتَكَادُ أَنْ تَنْقَادَ في مَرْضَاتِهِ
تَنْسَابُ حين تُسَاقُ[19] سَيْراً في السُّرَى	لا تَحُوجُ الحادي إلى مَنْسَاتِهِ[20]

---

(١) عبارة «أنا هي فٱفتحوا»، في (م) و(ع): «هي افتحوا».
(٢) في (م) و(ع): «ففتحنا لها».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «ايش الخبر».
(٥) في (م) و(ع): «ضيفنا هذا».
(٦) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
(٧) في (م) و(ع): «البيت».
(٨) في (م) و(ع): «نعم فيهم».
(٩) عبارة «رضي الله عنهم أجمعين» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) في (ع): «وثبات»، وهو تصحيف.
(١٢) عبارة «وبحسن صورته»، في (م) و(ع): «وحنين صفوته».
(١٣) في (م) و(ع): «وبحق».
(١٤) النُّهى: جمع نهية وهي العقل، وفلان ذو نُهْية أي ذو عقل ينتهي به عن القبائح ويدخل في المحاسن. ابن منظور، اللسان، «نهى»، ١٥/٣٤٦.
(١٥) عبارة «خوفاً يرد.. إلخ»، في (م) و(ع): «من بعدهم بالذب عن لذاته».
(١٦) في الأصل: «وسماع صوت أهل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) الميقات: الوقت المضروب الفعل والموضع. والميقات: مصدر الوقت، وهو مقدار من الزمان، ثم اتُّسِع فيه فأطلق على المكان، فقيل للموضع: ميقات. وميقات الحاج موضع إحرامهم. ابن منظور، اللسان، «وقت»، ٢/١٠٧، ١٠٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص٢٠٨.
(١٨) العِدَة: الوعد، والهاء عوض من الواو، ويجمع على عِدات. والعادي: العدو، وجمعه عُداة. ابن منظور، اللسان، «وعد»، ٣/٤٦٢. «وعدا»، ١٥/٣٧. والمعنى: هجروا الأوطان والأولاد والأموال، وكل ما يثبط الهمم، ويزين للنفوس متاع الدنيا الفانية، رغبة فيما وعد الله تعالى به عباده المتقين من جنات النعيم.
(١٩) في (م) و(ع): «تُسام». والسوم: سرعة المَرّ، يقال: سامت الناقة تسوم سوماً. ابن منظور، اللسان، «سوم»، ١٢/٣١١.
(٢٠) المنساة: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من نسأتُ البعير أي زجرته ليزداد سيره. ابن منظور، اللسان، «نسأ»، ١/١٦٩.

رَكِبُوا مَطَايَا العَزْمِ في طَلَبِ النّهى فَأَتـوا[1] وَقَـدْ عَـرَفُـوهُ فِـي عَـرَفَـاتِـهِ
قَصَدُوا وما قَصَدُوا سواه بِسَعْيِهِمْ[2] شَـوْقـاً إلـيـه لا إلـى جَـنَّـاتِـهِ
فَوَحَقِّ مَنْ أَبْدى لهم سُبُل الهُدَى وأَحَـبَّـهـم حـتـى هَـوَوا طَـاعَـاتِـهِ
وقد ٱشْتَرَى ما يَشْتَهِي مِنْ وَصْلِهِ قَـلْـبِـي ولـو بـحـيـاتِـه لِـحَـيَـاتِـهِ[3]
قَدْ عَزَّ بَيعاً[4] وٱشْترى ما يَشْتَهِي مِـنْ وَصْـلـه قـلـبـي ولـو بـحـيـاتـه
وأُسيمه والرَّوض[5] مـن أسـمـائـه وأَشُـوقـه والـورد[6] مـن آيـاتـه
وَلَأَفْخرنَّ[7] علـى الـوجـود بـحـبِّـه وأَصْـدُقَـنَّ الـقَـلْـبَ فـي مِـنْـيَـاتِـهِ[8]
فَـحَـذَارِ مـنـه إنْ أَرَدْتُـمْ قُـرْبـه خَـوْفـاً مـن الـزَّفَـراتِ فِـي لَـهـواتِـهِ[9]
أَتُرى بنَجْد[10] مُنْجِد من وجْدِهِ أَوْ مَنْ يُقِيل مِن الهوى عَثَرَاتِهِ [٤٠ب]

[بحر الكامل]

يا محمد قد ٱصطفيناك قبل آدم في الكتاب الأول[11]، مهدنا لك الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة حتى تنزل، غمسنا روحك في بحر النور وناديناك[12] أقبل فأقبل، خمرنا طينة تكوينك في الرفيق الأعلى فمن أعلى منك ومن أجمل، منحنا لك[13] علمنا وكشفنا لك

---

(١) في (م) و(ع): «باتوا».

(٢) في الأصل: «بعيسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) البيتان ساقطان في (م) و(ع).

(٤) عبارة «قد عز بيعاً»، في الأصل: «صبري به»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) عبارة «وأسيمه والروض»، في الأصل: «وأسمنه الروض»، وفي (م) و(ع): «وأسيمه في الروض»، والتصويب من (ب).

(٦) في الأصل و(م) و(ع): «للورد»، والتصويب من (ب).

(٧) في (م) و(ع): «ولأصدقن».

(٨) في (م) و(ع): «إخباته». والإخبات: الخشوع والتواضع. والمِنْيات من التمني وهو تَشَهِّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون. ابن منظور، اللسان، «خبت»، ٢/٢٨، و«منى»، ١٥/٢٩٤.

(٩) اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق. ابن منظور، اللسان، «لها»، ١٥/٢٦٢.

(١٠) في (م) و(ع): «النجد».

(١١) أي: أن الله ﷻ قد اصطفاه في علمه الأزلي؛ وقد أخرج الحاكم عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إني عند الله في أول الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام». هذا حديث صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/ ٦٠٠.

(١٢) في (م) و(ع): «وناديناه».

(١٣) في (م) و(ع): «منحناك».

سرنا قبل أن تسأل، ملائكة السمٰوات[1] رؤيتك لم تزل تسأل، لولاك يا معنى الوجود ما أفضت الجود[2] على من يسأل، جعلتك إماما للملائكة[3] فتم لهم بك العمل، جسمك إمام لمن فوق وأمان لمن أسفل، من بايعك بايعني وبلغ من أمله فوق ما أمل[4]، قرنت ٱسمك مع ٱسمي[5] من ختم له بهذه الكلمة أمن من الزلل[6]، طرزت حلة الرسائل بٱسمك[7] وأنت[8] ختام المجلس إذا ٱحتفل، مات المرسلون كلهم[9] بشوقهم لرؤيتك وسيعلمون قدرك إذ الأمر جلل[10]، أنت أحمد من كل حامد وأكمل من[11] فوض أمره إلي[12] وتوكل، كل الخلائق يوم القيامة[13] على شفاعتك تتوكل[14]، علم أهل العرش قدرك ليلة الإسراء وبرد الليل ٱنسدل، قال جبريل ﷺ[15]: ها أنت وربك فسر مَن قَرُب دل وٱسمع لنداء أقبل[16]، أمَّنت

---

(١) في (م) و(ع): «السمٰوات السبع».

(٢) عبارة «أفضت الجود»، في الأصل: «فضيت الوجود»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «للملائكة إماماً».

(٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

(٥) في (م) و(ع): «قرنت اسمي باسمك».

(٦) أي من كان آخر كلامه كلمة «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله» نجى؛ فعن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله وإني رسول الله، لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حُجِبَت عنه النار يوم القيامة». حديث صحيح وأقرّه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب التاريخ، ٦١٨/٢.

(٧) عبارة «من ختم له.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فأنت».

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «إذا الأمر جلل». والجلل: الأمر العظيم، والمراد به يوم القيامة. وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه فأمر الملائكة فسجدوا لك فٱشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هُنَاكم [أي ليس ذلك المقام لي]، ويذكر خطيئته ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هُنَاكم ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لست هُناكم ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلّمه الله، فيأتونه فيقول: لست هُناك فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً ﷺ فقد غُفر له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعتُ ساجداً، فَيَدَعني ما شاء الله ثم يقال لي: ارفع رأسك سل تعطه وقل يُسمع واشفع تُشَفَّع...» الحديث. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث (١٤٩)، ٢٠٨/٨.

(١١) في (م): «ممن».

(١٢) في (م) و(ع): «إلى الله».

(١٣) عبارة «يوم القيامة»، في (م) و(ع): «في الحشر».

(١٤) في (م): «عوَّل»، وفي (ع): «اتكل».

(١٥) عبارة «عليه السلام» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «واسمع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

صفوف الملائكة والمرسلين على دعائك[1] فأعطيتهم الأماني[2] وأزلت عنهم الخجل، بعثتك رحمة للعالمين من أدبر منهم[3] ومن أقبل، جنودك[4] الملائكة يصلون على أرواح الشهداء[5] إذا بلغ الأجل، حنَّ الجذع لمفارقتك[6] وظهر عليه أنين الثكل[7]، شققت لك القمر حتى[8] عاينه أهل السهل[9] والجبل، [٤١أ] أنبعث الماء من بين أصابعك فخلال البركة ليس فيها خلل[10]، غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما[11] أدركك عن الشكر كسل، ناديناك على ما سبق عنا[12] في الأزل، وقفت على القدم الواحدة[13] على الأرض والثانية[14] في مقعد صدق[15] والأمر عليك تسهل، أشتاقت الأرض إلى تلك القدم ليتخذها العارفون قبلة للقبل، وتأمن بها أهل[16] الأرض

---

(١) تأمين الملائكة على ما أتى في الحديث، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينُه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه». البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب جهر الإمام بالتأمين، رقم الحديث (١٦٨)، ١/ ٣١٠. وتأمين المرسلين على ما جاء في بعض حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة ﷺ: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يُصَلِّي، أقربُ الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم ﷺ قائم يُصَلي؛ أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتُهم..» الحديث. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم الحديث (٢٧٨/ ١٧٢)، ١/ ١٥٦.

(٢) في الأصل: «أماني»، وهي من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «جندك».

(٥) الشهداء: هم الذين شهدوا بوحدانية الله تعالى. وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

(٦) في (م) و(ع): «لفراقك».

(٧) في (ع): «وظهر عليه أثر الكسل».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «الأبطح».

(١٠) هذه ثلاث معجزات لرسول الله ﷺ: حنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وانشقاق القمر؛ فقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت». وأخرج أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزَّوْرَاء [وهو موضع بالمدينة قرب المسجد] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم». وأخرج عن أنس ﷺ أيضاً أنه قال: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما». البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٧٩، ٩٢)، ٥/ ٣٥، ٤١. وكتاب أصحاب النبي ﷺ، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٣٥١)، ٥/ ١٣٩.

(١١) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «منا».

(١٣) في (م) و(ع): «الواحد».

(١٤) في (م) و(ع): «الثاني».

(١٥) أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ١٥٠.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

أن تخسف أو تزلزل، فيا أيها المحبوب[١] إذا أقبلت الشداد[٢] فأقبل بالرُّخص[٣] فأنت كامل وليس فوقك[٤] أكمل، من صلى عليك مرة صليت عليه عشرا وغفرت له الزلل[٥]، فضلتك بالوسيلة والمقام المحمود إلى أجل كمل[٦]، لا تُنْصِب بدنك[٧] فأنت إلى حضرتنا ترقى، ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

قال أبو السفر الصولي رحمه الله تعالى[٨]: «دخلت في يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيتُ عنده خلاً وهندباً، فاشتغل قلبي وخرجت، فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته، فدفع إلي صرة فيها دراهيم[٩] وقال: احملها[١٠] إليه، فعدت بها إليه، فقلت: جئتك[١١] بهذه لتستعين[١٢] على وقتك. قال: وما الذي رأيت من حالي[١٣]؟ فقلت: رأيت عندك خلاً وهندباً، قال: كأنك انتقدت[١٤] ذلك! لو كانت[١٥] في بيتي امرأة كنت انتقدتها[١٦]! قُم، والله لا كلمتك شهراً، فقمت[١٧] فضرب الباب في وجهي فسال الدم، فأتيت الشبلي رحمه الله تعالى[١٨]

---

(١) عبارة «فيا أيها المحبوب»، في الأصل: «أيها المحبون»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «الشدايد».

(٣) وقد روي في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رُخَصه، كما يكره أن تؤتى معصيته». الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (٥٨٦٨/١٤٢٠)، ٢/١٤٦. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الصيام، باب الصيام في السفر، ٣/١٦٢.

(٤) في الأصل: «فوق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحطّ عنه عشر خطيئات». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب الدعاء، ١/٥٥٠.

(٦) عبارة «فضلتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والمقام المحمود: هي شفاعته ﷺ لأمته يوم القيامة.

(٧) في الأصل: «إلى ذلك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «قال أبو الصقر الصولي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢/٥٠٩، وإنما قال: «عن أبي الصوفي قال.. إلخ».

(٩) في (م) و(ع): «دراهم».

(١٠) في (م) و(ع): «أوصلها».

(١١) في (م) و(ع): «جيت».

(١٢) في (م) و(ع): «لتستعين بها».

(١٣) في (م) و(ع): «حالنا».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «كان».

(١٦) في (م) و(ع): «تفتقدها».

(١٧) في (م) و(ع): «فخرجت».

(١٨) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). والشبلي: هو دُلف بن جَحْدر، وقيل: ابن جعفر، وقيل: اسمه جعفر بن يونس، وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، كان أوحد وقته حالاً وعلماً وزهداً، توفي سنة ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص٣٣٧. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٤٥٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/٣٣٨.

فأخبرته[١] فقلت له[٢]: يا أبا بكر رجل يمشي في طاعة الله ﷻ[٣] فيشج[٤] وجهه، ما سبب ذلك[٦]؟ قال له[٧]: أراد[٨] أن يأتي إلى شيء صافي فيكدره[٩]» [٤١ب]. شعر[١٠]:

حَالَفَ الوصل[١١] فأضحى مُسْتَهَامَا	مُـذْ رَأى الـبـارق مـن نـجـد أقَـامـا
ضَـاحـكـاً أبـكـى سـحـابـاً هَـاطِـلا	بدموع[١٢] الـوجْـد تَـنْـهَـلّ سِـجـامـا[١٣]
بَـسَـمَ الـرَّوْض بـه[١٤] لـمَّـا بَـكَـى	فَـبَـكَـى هَـذا وذا أبْـدَى[١٥] آبْـتِـسَـامَـا
ذِكْـرُ سـكـان الـحِـمَـى يُـقْـلِـقُـه	وَصَـبَـا نـجـد سقى منه الـسّـقـامـا[١٦]
كَـتَـمَ الـوَجْـدَ وَأخْـفَـى وَجْـدَهُ	آبَ بـالأشـواق حُـزْنـاً وآكْـتِـتَـامـا[١٧]
قَـدْ أذابَ الـشَّـوْقُ مـنـه لَـوْعَـةً	عـنـدمـا آسْـتَـنْـشَـقَ أريـاح الـخُـزَامـا[١٨]
فَـهُـوَ مَـجْـنُـون بـلَـيْـلَـى وَامِـقٌ[١٩]	ذَاقَ مِـن هُـجْـرانِـهـا كَـاسَ الـحِـمَـامَـا[٢٠]

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لم يجعل إلى معرفة ذاته سبيلاً، جعل آختصاصه لأهل الخصوصية عليه[٢١] دليلاً، يسر لهم أسباب القرب فمذ[٢٢] عرفوه ما أرادوا به بديلاً، لاطفهم بأنسه مثل ما يلاطف الخليل خليلا، فجر من قلوبهم[٢٣] وادي الحكمة فشربوا منه علماً جليلا، خلصهم

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «فآنفتح».
(٥) في الأصل: «مجب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «هذا».
(٧) عبارة «قال له»، في (م) و(ع): «فقال».
(٨) في (م) و(ع): «لعله أراد».
(٩) في (م) و(ع): «يكدره».
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «النوم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «فدموع».
(١٣) سجم العين والدمع الماء يسْجُم سُجُوماً وسِجاماً إذا سال. ابن منظور، اللسان، «سجم»، ١٢/ ٢٨١.
(١٤) في (م) و(ع): «أبسم الروض فيه»، وهو تصحيف.
(١٥) عبارة «وذا أبدى»، في الأصل: «وهذا بدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «وصبا نجد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وصبا نجد شفاه والسقاما».
(١٧) عبارة «حزناً واكتتاماً»، في (م) و(ع): «أرواح الخزاما».
(١٨) البيت ساقط في (م) و(ع). والخزامى: عُشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح. ابن منظور، اللسان، «خزم»، ١٢/ ١٧٦.
(١٩) في الأصل: «أنه»، وفي (ع): «وأمن»، والتصويب من (م). والوامق من ومِقَ يمِقُ: أحب. ابن منظور، اللسان، «ومق»، ١٠/ ٣٨٥.
(٢٠) عبارة «كاس الحماما»، في (م) و(ع): «كاساً حماماً».
(٢١) عبارة «لأهل الخصوصية عليه»، في الأصل: «لأهل خصوصيته عليهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «فمنذ».
(٢٣) في (م) و(ع): «فؤادهم».

في مخلصة الإخلاص وكان بهم[1] في توكلهم كفيلا، سبقت لهم سابقة الحسنى[2] فذلل لهم المطلوب تذليلا، وأبقى المحروم في تيه الغفلة[3] غلبت عليه الشقاوة فبقي ذليلاً، عميت عليه السُّبل فإن سلك[4] لم يجد زاداً ولا مقيلاً[5]، بهذا جرى القدر فما يصنع من ألقي في بحر الطرد قتيلا، قَرَّب سلمان[6] وأبعد أبا لهب[7] هيأ له في النار مقيلا، فيا مغروراً بالأمل[8] سترحُلك المنون عن أوطانك ترحيلا، اذكر مقامك في الرمس تترى[9] عليك الحسرات [٤٢أ] بكرة وأصيلا[10]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[11]، فسبحان من مد ظل التكوين على الخلائق مدا طويلاً، أحمده حمد من لسانه رطب بذكره يرتله ترتيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أحط بها عني من الأوزار حملاً ثقيلاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سعد من آمن به ولمن جحده[12] جحيما وعويلا[13]، صلى الله عليه وسلم[14] وعلى آله وصحبه[15] الذين أسعدهم الكريم[16] بجنته ﴿يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾[17].

---

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «سبقت». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. والمراد بالحسنى: الجنة. القرطبي، الجامع، ٣٤٥/١١.

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع) زيادة: «طريقاً».

(٥) المقيل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر. ابن منظور، اللسان، «قيل»، ٥٧٨/١١.

(٦) هو أبو عبد الله الفارسي، ويقال له: سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير، أصله من رام هرمز وقيل: من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة، فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد، وكان عالماً زاهداً، توفي سنة ٣٦هـ - ٦٥٦م. ابن حجر، الإصابة، ٦٢/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٤/١.

(٧) في (م) و(ع): «أبا طالب». وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، كان من أشد الناس عداوة للمسلمين، إذ كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره وقاتلهم وحرض عليهم. ابن هشام، تهذيب سيرة النبي ﷺ، ٧١/١. الزركلي، الأعلام، ١٢/٤.

(٨) في (م) و(ع): «بالآمال».

(٩) تترى: أي تتوالى.

(١٠) البُكْرة: الغُدْوَة. والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. ابن منظور، اللسان، «بكر»، ٧٦/٤، و«أصل»، ١٦/١١.

(١١) سورة الفرقان، آية ٢٧.

(١٢) في (م) و(ع): «جحد».

(١٣) في الأصل: «هويلاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وأصحابه».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) قوله: ﴿يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الإنسان، آية ١٧. والزنجبيل: مما ينبت في بلاد العرب، وهو عروق تسري في الأرض، ونباته شبيه بنبات الرَّاسَن وليس منه شيء برِّيًّا، وليست بشجر. وزعم قوم أن الخمر يسمى زنجبيلاً، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا. ابن منظور، اللسان، «زنجبيل»، ٣١٢/١١، ٣١٣.

يا من هو في دهليز الغفلة مأسور، يا من ضرب بينه وبين السعادة من الحرمان بسور، ترى أنك موصول[1] وأنت ـ والله ـ مهجور، جسمك جسم حي وقلبك في الغفلة مقبور، لا يسبح[2] في بحر التوبة جبان إنما يسبح فيه جسور[3]، كم جسر لك الوعظ من جسر على النار وتسويفك يقطع الجسور، و[4]ضيعت مال العمر في الغفلة من يعاملك[5] في الكبر يا مهجور[6]، بيت وصلك خراب وبيت هجرك معمور، عقلك يحزن عليك وهواك بلهوك مسرور، إن ضيعت الشباب[7] كيف تصنع بالستين وخط قواك زور، تصلي في مسجد التوبة وقلبك بحب الدنيا مخمور[8]، ما أرى شقاءك إلا في المسطور، يا أرباب الأحزان بادروا التوبة[9] قبل غلق الدستور، ويحك كم تظلم وكم تتعدى وكم تجور، وكم تمد[10] [٤٢ب] ظلمك يا ظالم فعليه يكون العبور، دعوة المظلوم نفط نار في حطب الظلمة فستراه يفور[11]، الحلال شوك في حلق المحاسبة فكيف بالحرام[12] يا مغرور، أعلمت من جعلته[13] خصمك و[14]من يحاكم هذا المظلوم يوم النشور، أحتقرت المظالم وهي تنمى وتسقى بعبرات[15] المظلوم وهي عند الله بحور، فبادر برد[16] المظالم فما لك قدرة[17] على نار توقد بالصخور[18]، يا أيوب[19] التوبة قل رب[20] مسني الضر فعسى اللطيف يداوي

---

(١) عبارة «ترى أنك موصول»، في (م) و(ع): «تراك موصولاً».
(٢) في (م) و(ع): «يعوم».
(٣) الجَسُور: المِقْدَام. ابن منظور، اللسان، «جسر»، ٤/١٣٦.
(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «من ذا يعاملك».
(٦) في (م) و(ع): «محجور».
(٧) عبارة «إن ضيعت الشباب»، في (م) و(ع): «ضيعت المشيب».
(٨) في (م) و(ع): «معمور».
(٩) في (ع): «بالتوبة».
(١٠) عبارة «وكم تتعدى.. إلخ»، في (م) و(ع): «كم تتعدى كم تجوركم تمد».
(١١) في (م) و(ع): «دعوة المظلوم نفط فيرمى في بحر الظلمات فستراه يفور».
(١٢) في (م) و(ع): «كيف الحرام». وقوله: «الحلال شوك.. إلخ»، هو معنى حديث لرسول الله ﷺ الذي يرويه عنه أبو برزة الأسلمي ﷺ، ونصه: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسْأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم الحديث (٢٤١٧)، ٤/٦١٢.
(١٣) عبارة «أعلمت.. إلخ»، في (م) و(ع): «اعلمت من جعلت».
(١٤) الواو ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).
(١٥) في الأصل: «بعبارات»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «رد».
(١٧) في (م) و(ع): «قوة».
(١٨) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].
(١٩) عبارة «يا أيوب» بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

المقمور[1]، هذا مغتسل التوبة منه شراب ومنه طهور، قبل يوم لا ينفع فيه[2] الخليل خليلاً، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

خرج[3] الرشيد يوماً فأتى إلى[4] الفضل بن الربيع[5] فخرج إليه[6] مسرعاً وقال[7]: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ لأتيتك، فقال[8]: ويحك أجد في نفسي شيئاً[9] فٱنظر لي[10] رجلاً نسأله. فقصد سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى[11] فلمَّا ٱنصرف الرشيد سأله[12]: أعليك دين؟ فقال: نعم، فقضاه عنه[13] فقال: ما أغنى عني[14] شيئاً، فمضيا[15] إلى الفضيل بن عياض رضي الله عنه ونفعني به[16]، فدق عليه الباب[17]، فقال: من؟ قال[18] الفضل: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي[19] ولأمير المؤمنين. قلت: طاعته فرضٌ عليك. فنزل وفتح الباب[20] ثم ٱرتقى إلى غرفته وأطفأ[21]

---

(١) في (م) و(ع): «هذا المكسور». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «حج».

(٤) عبارة «يوماً فأتى إلى»، في (م) و(ع): «فأتى يوماً».

(٥) في الأصل و(م) و(ع): «الربيع»، والتصويب من الحلية والصفة. وحيثما ورد في القصة «الربيع» فالصواب فيه «الفضل». وهو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، ولي الوزارة للرشيد ثم الأمين، فلما ظفر المأمون استتر، ثم عفا عنه وأهمله بقية حياته، توفي سنة ٢٠٨هـ ـ ٨٢٤م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٣٧. الزركلي، الأعلام، ٥/١٤٨.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فقال».

(٨) في (م) و(ع): «قال».

(٩) في الأصل: «وشيئاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وسفيان: هو أبو محمد سفيان بن عُيَيْنة بن أبي عمران ميمون الهلالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة، كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً، توفي سنة ١٩٨هـ ـ ٨١٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/٢٣١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٣٩١.

(١٢) في (م) و(ع): «فلما انصرفا سأله الرشيد».

(١٣) عبارة «فقضاه عنه»، في (م) و(ع): «فقام بقضايه، ثم قال يا ربيع: ما أغنى عني صاحبك شيّاً. فقصدا عبد الرزاق بن همام فجلسا إليه ثم انصرفا فسأله الرشيد عن دينه فقضاه».

(١٤) في الأصل: «عنك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م): «فمضينا».

(١٦) عبارة «رضي الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «بابه».

(١٨) في (م) و(ع): «فقال».

(١٩) عبارة «فقال مالي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «فأطفأ».

السراج والتجأ إلى زاوية[١]، فجالت عليه أيدينا فوقعت عليه كف أمير المؤمنين[٢] هارون الرشيد أولاً، فقال: ما ألين هذا[٣] الكف إن نجت غداً من عذاب الله تعالى[٤]، فقال الفضل: خذ ما [٤٣أ] جئنا إليه[٥]. فقال الفُضيل رضي الله عنه[٦]: يا أمير المؤمنين إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[٧] لمَّا وَلِيَ الخلافة قال لأصحابه: «إني أبتليت بهذا الأمر»، فسمَّى الخلافة بلاءً وأنت تعدها نعمة. وقال سالم بن عبد الله[٨] لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما[٩]: «إن أردت النجاة غداً[١٠] من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، والمتوسط أخاً، والصغير ولداً، فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك، وأحب لهم[١١] ما تحب لنفسك، وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مُت إذا شئت، وإني خائف عليك يوم تزل فيه الأقدام، فهل عندك يا أمير المؤمنين من يشير عليك بمثل هذا[١٢]؟ فبكى الرشيد حتى غشي عليه. فقال الفضل: أرفق يا فضيل[١٣] بأمير المؤمنين! فقال: تقتله أنت وأرفق به أنا[١٤]. فقال الرشيد: زدني. فقال: قال رسول الله ﷺ وشرف وكرم[١٥] للعباس عمه رضي الله عنه[١٦] لما طلب الإمارة: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة. فإن أستطعت ألا تكون أميراً فأفعل»[١٧] فبكى الرشيد حتى غشي

---

(١) في (م) و(ع): «زاويته».

(٢) عبارة «أمير المؤمنين» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (ع): «هذه».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «خذ لما جئنا فيه».

(٦) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «سلام بن عبد الله»، والتصويب من (م) و(ع). وسالم: هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي، أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، توفي سنة ١٠٦هـ ـ ٧٢٥م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٩٠. الزركلي، الأعلام، ٣/ ٧١.

(٩) عبارة «رضي الله عنهما» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (ع): «إليهم».

(١٢) عبارة «بمثل هذا»، في (م) و(ع): «بهذا».

(١٣) عبارة «يا فضيل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وأرفق أنا به».

(١٥) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «عمه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والعباس: هو سيدنا العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، عم الرسول ﷺ، أبو الفضل، حضر بدراً فأسره المسلمون، فأسلم بعد أن فَدَى نفسه وقدِم مكة، له أحاديث، توفي سنة ٣٢هـ ـ ٦٥٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص٣٧٣. ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٧١. الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٦٢.

(١٧) أخرج البيهقي عن محمد بن المنكدر قال: قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله أمِّرني على بعض ما ولَّاك الله، فقال النبي ﷺ: «يا عباس! يا عم رسول الله نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها» هذا هو المحفوظ مرسل. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة.. إلخ، ١٠/ ٩٦. ومن حيث المعنى فهو صحيح لشواهده؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنِعم المرضعة وبئست الفاطمة». البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم الحديث (١٢)، ٩/ ١١٤. وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تَأمَّرَنَّ على أثنين =

عليه[1]، فلما أفاق قال: أعليك دَين؟ فقال[2]: نعم، علي دين[3] لربي ﷻ[4] لم يحاسبني عليه، فالويل لي[5] إن سألني، والويل لي[6] إن لم ألهم حجتي. فقال: إنما أعني دين[7] العباد، قال[8]: إن ربي لم يأمرني بهذا، وإنما أمرني بالعبادة فقال تعالى[9]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[10]. فقال: هذه [٤٣ب] ألف دينار. فقال: أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، ثم صمت فلم يكلمنا. فلما خرجنا[11] قال هارون للفضل: إذا دللتني فدلني على مثل هذا. فدخلت عليه[12] زوجته فقالت: ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال. فقال: ما مثلي ومثلك[13] إلا كرجل له بعير يأكل[14] عياله من كسبه فلما كبر نحروه[15]. فسمع هارون ذلك فأعاد زيارته[16] وسأله أن يأخذ المال[17]، فلم يكلمه زماناً إلى أن أتت[18] جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ فٱنصرف يرحمكَ الله، فٱنصرف[19].

وحَقّكَ ما أبقى مريداً على حالي ... فحسبِي بِبسطي في رِضاك وإدلالي
فَلَوْ أنَّ أهْل الحبِّ طراً تَجَمَّعُوا ... لَمَا مَثَّلُوا وجْدي ولا شَكَّلُوا حَالي
فَتِسْعَةُ أعْشار الهوى قد مَلِكتها ... وعشر الهوى أيضاً تُريد[20] وصالي
فكيف أخَافُ الهجر أو أرْهَب الأسى ... ولا أنا مَنْسِيٌّ لَدَيك ولا قَالي
وَمَا كُنْتُ أدْري أنَّ ذَاك قَطِيعَة ... ولا خَطَر الهُجْران مِنْه على بَالي
إلى أنْ بَدَى المَقْدُور يوماً بلَفْظِه ... فَبَدَّلَ بالهُجْران وَصْلي وإقْبَالي
وَهَبْ أنَّني خاطي فيا طُول ما[21] مَضى ... فَجُدْ لي بِعَفْوٍ منك في الزمن الخالي

= ولا تَوَلَّينَّ مال يتيم». مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث (١٨٢٦/١٧)، ٣/١٤٥٧.

(١) عبارة «حتى غشي عليه» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «قال».
(٣) عبارة «علي دين» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «فالويل لي»، في (م) و(ع): «فالويل ثم الويل».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «عن».
(٨) في (م) و(ع): «فقال».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) سورة الذاريات، آية ٥٦.
(١١) في (م) و(ع): «خرجا».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «ومثلكم».
(١٤) في (م) و(ع): «أكل».
(١٥) في (م) و(ع): «ذبحوه».
(١٦) عبارة «فأعاد زيارته»، في (م) و(ع): «فعاد إلى زاويته».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (ع): «أتته».
(١٩) في (م) و(ع): «فٱنصرفنا». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٢٤٢. وأبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٨/١٠٥.
(٢٠) في الأصل: «ترديا»، والصواب ما أثبتناه.
(٢١) في الأصل: «من»، والصواب ما أثبتناه.

فيا لَهْفَ نفسي من جَوى الصَّدِّ والأَسَى ويـا طـول أَحْـزَانِـي وَلَـوْعَـة بَـلْـبَـالـي[1]

[بحر الطويل]

يا رفاق التائبين متى يكون الملتقى، يا أنفاس العارفين إلى أين المُرتقى[2]، ويحك رحل الصالحون وبقيت في المعاصي تتعثر في الشقا، ضيعت [١٤٤أ] أيام الشباب وتكاسلت لما ٱبيضَّ الشعر ونقى، إذا خرب إقليم الكبر قواك كيف يكون البقا، أما سمعت بوق الرحيل ٱرتحلوا وخلفوك ستتعب ـ والله ـ بعدهم وتشقى، إذا فاتتك[3] فعسى ثنية[4] الفجر تحث لها[5] عيس قيامك سبقا، لعلك[6] تدرك أعقاب الركب ترفق[7] بك رفقا، و[8]قَو علف الجوع لراحلة النفس تحمد سراها إذا طرق المجتهدون[9] الأوراد طرقا، السمين في أعقاب الركب والضامر مع المحمل يتغذى بطيب الجد[10] من غير أن يطعم ويسقى، إن فاتك هذا[11] السفر فسيرحلون إلى الحبيب[12] وتبقى، فيا معشر[13] التائبين بادروا قبل يوم السؤال ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[14]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

قال خلف رحمه الله تعالى[15]: «مررت برجل مجذوم[16] مقطوع الأربع، فرفعته ووضعته[17] مع المجذومين، قال[18]: فغفلت عنه أياماً ثم أتيته وٱعتذرت إليه[19]. فقال: إن

---

(١) الأبيات ساقطة في (م) و(ع). والبَلْبَال: البُرَحاء في الصدر، وبَلْبَل القوم بلبلة وبِلْبالاً: حرَّكهم وهيَّجهم. ابن منظور، اللسان، «بلل»، ١١/٦٩.

(٢) في (م) و(ع): «إلى أين يكون المرتقى».

(٣) في (م) و(ع) زيادة: «دجلة التهجد فلعل سَوْرَة السحر تهيِّج لك شوقاً، فإن فاتتك».

(٤) في الأصل: «تثنية»، وفي (ع): «بينة»، وهي من (م).

(٥) في (م) و(ع): «إليها».

(٦) في (م) و(ع): «فلعلك».

(٧) في (م) و(ع): «فترتفق».

(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «المتهجدون».

(١٠) في (م) و(ع): «الحَذْو».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «إلى الحبيب»، في (م) و(ع): «للحبيب».

(١٣) في (م) و(ع): «يا معاشر».

(١٤) قوله: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النساء، آية ٧٧.
والفتيل: ما كان في شق النواة، وهذه تضرب مثلاً للشيء التافه الحقير القليل، ولا يظلمون فتيلاً أي: لا يظلمون قدرها. ابن منظور، اللسان، «فتل»، ١١/٥١٤.

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٥٠١.

(١٦) عبارة «مررت برجل مجذوم»، في (م) و(ع): «أتيت بمجذوم». والجذم: القَطْع، والجُذَام من الداء: معروف لِتجَذُّم الأصابع وتقطُّعها، ورجل مجذوم: إذا تهافَتَتْ أطرافه من داء الجُذَام. ابن منظور، اللسان، «جذم»، ١٢/٨٦، ٨٧.

(١٧) عبارة «فرفعته ووضعته»، في (م) و(ع): «فوضعته».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «واعتذرت إليه»، في (م) و(ع): «فاعتذرت له وقلت له نسيتك».

حبيبي لا ينساني، ولا أجد ألماً لما أنا فيه من محبته[١]. فقلت[٢]: ألا أزوجك ٱمرأة تنظفك من الأقذار؟ فبكى وتنفس ورفع طرفه إلى السماء وقال: يا حبيبي، فغشي[٣] عليه، ثم أفاق و[٤]قال: كيف تزوّجونني[٥] وأنا عروس الدنيا والآخرة، قلت[٦]: وما عندك من المال؟ قال: رضي سيدي عني إذ أبلى جسدي[٧] وأطلق لساني بذكره. فبقي أياماً ومات رحمه الله تعالى[٨]، فأخرجت له كفناً فيه طول، فقطعت منه، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: يا خلف، بخلت على وليّي ومحبّي بكفن طويل[٩]! قد رددنا[١٠] عليك كفنك وكفناه من عندنا بالسندس الأخضر والإستبرق، قال: [٤٤ب] فسرت إلى بيت الأكفان فوجدت الكفن ملقى رحمه الله ورضي عنه[١١]. شعر[١٢]:

مُغْرَمٌ في حبِّ ليلى يَتَبَاهَى[١٣] ... يَقْتَدِي فِيهِ[١٤] بأنوار هُداها
سُوَرُ الحبِّ بِمِحْراب الهوى ... عندما أَتْقَنَها حِفْظاً تَلَاها
كم عَذُول في هَوَاكم لَائِم ... ما ٱنْتَهَى عني[١٥] و[١٦]وجْدي ما تناها
آه مِن قَلْبِي ولولا حَسْرَةٌ ... تَتَثَنَّى[١٧] في الحَشَى ما قلت آها
يا أَخِلَّائي على وادي مِنىً ... هل سَبيلٌ لي إلى الدَّار أراها
نَفَسٌ مِن نَفس صَبٌّ مُغْرَمٍ ... أَتُرى تَقْضِي[١٨] ولا يُقْضَى مُنَاها
غَرَّنِي صَبْرِي فَفَارَقْتُ الحِمَى ... كيف لي صبر ولا قصد سِواها[١٩]
أَسْتَبِين الريح عن[٢٠] أَخْبَارِكم ... فَتُسَمِّيهم ولا أَرْضَى كُنَاها

---

(١) في (م) و(ع): «ولا أجد لما أنا فيه من محبته الماً».
(٢) في (م) و(ع): «قلت».
(٣) في (م) و(ع): «وغشي».
(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «تزوجني».
(٦) في (م) و(ع): «فقلت».
(٧) في (م) و(ع): «جوارحي».
(٨) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) عبارة «فقطعت منه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «قد رددنا»، في (م) و(ع): «فرددنا».
(١١) عبارة «فوجدت الكفن.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا بالكفن ملقى فيه».
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «يتناهى».
(١٤) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «عندي».
(١٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «تثني»، وفي (ع): «تنثني»، والتصويب من (م).
(١٨) في (ع): «يقضي».
(١٩) عبارة «كيف لي صبر.. إلخ»، في (م): «لم أخله بفؤادي في سواها»، وفي (ع): «أخله بفؤادي في سواها»، وهو تصحيف.
(٢٠) في (م) و(ع): «من».

هي لـلـنَّـفْـس شِـفـاهـا إنْ غَـدَتْ تَـنْـقُـل الأخـبـار بـالـنَّـصِّ شِـفَـاهـا

وأشِـيـمُ[1] الـبَـرْق مـن تِـلْـقَـائـهـم فـعـسـاه بـحـديـث الـقـوم فَـاهـا

يـا نُـجـوم الـلَّـيْـل كـونـوا رُسُـلـي[2] عـنـد مَـنْ أوْدَعْـتُـهُ قـلـبـي فَـتَـاهـا

أتُـرى مَـنْ عَـلَّـم الـعَـيْـن الـبُـكَـى لَـيْـس إلا مَـنْ نَـفَـى عـنـهـا كَـرَاهـا

وعـلـى جـسـمـي مِـن ذُلّ الـضَّـنَـى سَـقَـمٌ فـي الـنَّـفْـس بـالـوَجْـد رَمَـاهـا

فَـسَـقَـى الله ربـوع الـمُـنْـحَـنَـى بِـيَـدِ الأنْـوَاءِ[3] مـا يَـرْوي صَـدَاهَـا

وَرَعَـىٰ الله أثَـيْـلَات[4] الـحِـمَـى فـهـي لـلأيَّـام لا شـك حـلاهـا[5]

[بحر الرمل]

شراب وعظي من نهر الكوثر[6] من شرب منه لم يظمأ، أكوابه أمثاله، فصاحته حافاته، ملائكته معارفه، السامعون وُرَّاده، كل كلمة هي كاسٌ [١٤٥] عليه ٱسم صاحبه فلذلك يشرب كل واحد على حدته، هذا من النثر وهذا من النظم وهذا من الحكاية وهذا من الأمثال وهذا من الاستعارة، وتفاوتهم في الوجد تفاوتهم في الشرب لا يُذاد[7] عنها إلا الحاسد وإبليس، هذا مُبعد من الرحمة وهذا أرض فلاة سَبْخة[8] لا تنبت.

إلٰهي كم دلّ[9] وعظي عليك من منقطع حتى ٱنقطع إليك أتراه يرحم وأحرم، إلٰهي كم شفى من عبرة علة، وكم أروى من غلة أفتراهم يردون إلى عفوك وأصدد، إلٰهي إن لم أكن في

---

(١) شام السحاب والبرق شيماً: نظر إليه أين يَقْصِد وأين يُمطر، وقيل: هو النظر إليهما من بعيد. ابن منظور، اللسان، «شيم»، ١٢/ ٣٣٠.

(٢) عبارة «كونوا رسلي»، في الأصل: «كن لي رسلاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الأنواء واحدها نَوْء، ومعنى النَّوْء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه، وهو نجم آخر يقابله، وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط فيها، فنقول: مُطرنا بِنَوْء كذا. ابن منظور، اللسان، «نوأ»، ١/ ١٧٥.

(٤) الأُثَيْل: منبت الأراك. ابن منظور، اللسان، «أثل»، ١١/ ١٠.

(٥) في (م) و(ع): «مناها».

(٦) الكوثر: هو فوعل من الكثرة، والواو زائدة، ومعناه الخير الكثير. ابن منظور، اللسان، «كثر»، ٥/ ١٣٣. والكوثر: هو نهر في الجنة وهو للنبي ﷺ خاصة؛ فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قِباب الدُّرّ المُجَوَّف، قلتُ: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكَوْثَر الذي أعطاك ربُّك فإذا طِينُه ـ أو طِيبُه ـ مِسْك أذْفَر» [هو الذكي الرائحة] شَكَّ هُدْبَة. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب الحوض، رقم الحديث (١٦٢)، ٨/ ٢١٥.

(٧) الذَّوْد: الطرد والدفع. ابن منظور، اللسان، «ذود»، ٣/ ١٦٧.

(٨) السَّبَخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تُنبت إلا بعض الشجر. ابن منظور، اللسان، «سبخ»، ٣/ ٢٤.

(٩) في الأصل: «ذا»، والصواب ما أثبتناه.

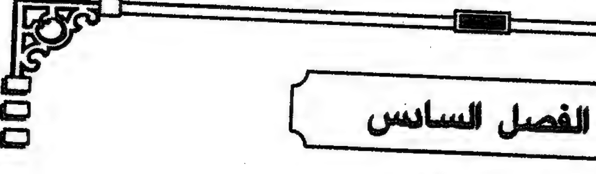
وعظي محقاً فقد ينتفع به محققاً أفتراه تحقق آماله وتحقق خيبتي، إلٰهي هون علي ما بعد الموت فالذي قبله يسير، إلٰهي أرحم من أقعده التسويف وعمره به يسير، إلٰهي فك غل الأسر من رقبة من هو في سجن الهوى أسير، إلٰهي أرفق بنا رفق[1] من قبلته ويسر لي معهم أن أسير، وأرحمنا بما رحمته منا من الكبير والصغير يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[2].



---

(١) عبارة «ارفق. . إلخ»، في الأصل: «رافق بنا رفاق»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) عبارة «شراب وعظي. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل السادس

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي نعَّم أحبابه بأنسه[1] في حندس[2] الليل البهيم[3]، لاطفهم بأنسه فتقربوا إليه بقلب سليم، أذاقهم لذيذ[4] مناجاته فكل منهم بحبه يهيم، أسكن[5] قلوبهم حبه فليلهم بالأشواق ليل[6] السليم، طهرها من الهوى فحب الدنيا عنها راحل وحب الآخرة مقيم، فعلى[7] كل حال لا يعرفون سواه فأهلاً به من تنعم[8] وأهلاً به من نعيم، [٤٥ب] أفناهم[9] شهوده[10] عن وجودهم فحالهم لشوقه مستديم[11]، أقطعهم إقليم الكرامات فما[12] أبدعه من إقليم، حماهم عن[13] الأغيار غيرةً عليهم وخلع عليهم حلل الرضى والتسليم، سقاهم مدام الإلهام[14] فيا له من مدام ويا له من نديم، أسبل على العاصي ستره ليعود إلى الباب الكريم، تقرب برحمته للمذنبين ليسكن روع المفلس من الطاعة العديم، أرسل إليه رسالة اللطف على يد[15] رسول كريم، ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[16].

معاشر[17] التائبين أعلموا مع من عقدتم! من حرككم وبصركم بعد أن عصيتم[18]، لو علمتم عند المعصية بعين من كنتم لمتُّم، غذاكم بلطفه وعاملكم بالوفا فخنتم، تسبلون الأستار على المعاصي[19] وما آستحيتم[20]، كم دعاكم إلى بابه وتكاسلتم، كم ناداكم منادي المشيب

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الحِندِس: الليل الشديد الظلمة. ابن منظور، اللسان، «حندس»، ٦/٥٨.

(٣) ليل بهيم: لا ضوء فيه إلى الصَّباح. ابن منظور، اللسان، «بهم»، ١٢/٥٧.

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في الأصل: «أمكن»، والتصويب من (م) وع).

(٦) في الأصل: «والليل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع) «على».

(٨) في (م) و(ع) «تنعيم».

(٩) في (ع) «أفنى»، وهو تصحيف.

(١٠) في (م) و(ع): «وجوده».

(١١) عبارة «فحالهم.. إلخ»، في الأصل: «فحالهم لشوقهم ومستديم»، والتصويب من (م) وع).

(١٢) في (م) و(ع) «ما».

(١٣) في (م) و(ع): «من».

(١٤) في (م) و(ع): «مُدام الأفهام». ومُدام: المطر الدائم، والمُدام والمُدامة: الخمر. ابن منظور، اللسان، «دوم»، ١٢/٢١٤.

(١٥) في (م) و(ع): «يدي».

(١٦) سورة الزمر، آية ٥٣.

(١٧) في (م) و(ع): «معشر».

(١٨) في (م) و(ع): «عميتم».

(١٩) في الأصل: «الإصرار»، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «استحييتم».

وإذا سمعتم النداءأثاقلتم[1]، غلب عليكم طرش الغفلة كأنكم ما سمعتم، إذا عرضت عليكم سلع الآخرة تثاقلتم، وإذا عرض عليكم شراب الدنيا[2] الفانية تبادرتم، كم تقاطعتم على[3] شهواتها وتدابرتم، كم بنيتم ما ترحلون عنه وشيدتم، كم أتعبتم الأبدان في الشهوات والعيون أسهرتم، هذا مأتم الأحزان فيا أهل المصائب أين أنتم، كأني بكم ـ والله[4] ـ تحت اللحود كأنكم ما كنتم، اشربوا شراب التوبة فإن [٤٦أ] شربتم طبتم[5]، لازموا الحمية[6] تدركوا الصحة إن لازمتم، فالتائبون تناديهم الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾[7]، والحق تعالى[8] يناديهم بلطف و[9]تسليم، ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى[10]: «خرجت ذات ليلة فإذا بصوت من باب صغير[11]، فأنصت إليه وهو يقول: ما أردت[12] بمعصيتي مخالفتك، ولا أنا شاك[13] جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي، وغلبت علي شقوتي، وغرني سترك المُرخى علي، واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي، ويلي كم أتوب ثم[14] أعود، قد حان أن أستحي من ربي[15]. قال منصور: فتعوذت و[16]قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[17]، فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً، فمضيت ثم جئت[18] من الغد وإذا بجنازة الفتى وخلفها[19] عجوز تتلهف[20] نفسها عليه، فقلت: من الميت؟

---

(١) عبارة «وإذا سمعتم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وإذ سمعتم اثاقلتم».
(٢) عبارة «وإذا عرض.. إلخ»، في (م): «وإذا لمع سراب الدنيا»، وفي (ع): «وإذا لمع شراب الدنيا».
(٣) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «كأني والله بكم».
(٥) في (م): «طربتم».
(٦) الحِمْيَةُ والحِمَى ما حُمِيَ من شيء. وحَمَى المريض ما يضره حِمْيَةً: منعه إياه. ابن منظور، اللسان، «حما»، ١٤/١٩٨.
(٧) قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٧٣.
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل الثالث من هذا الكتاب.
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «وعزَّتك ما أردت».
(١٣) في (م): «بنكالك».
(١٤) في (م) و(ع): «وكم».
(١٥) عبارة «أستحي من ربي»، في (م) و(ع): «أستحيي».
(١٦) في (م) و(ع): «ثم».
(١٧) سورة التحريم، آية ٦. وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ الآية».
(١٨) في (م) و(ع): «ومضيت وجيت».
(١٩) في (م) و(ع): «وخلفه».
(٢٠) في (م) و(ع): «تتلف». ولهف لهفاً: حزن وتحسر، وكذلك التلهف على الشيء. ابن منظور، اللسان، «لهف»، ٩/٣٢٢.

فقالت[1]: أبني، جاء رجل غريب ـ لا جزاه الله خيراً[2] ـ فقرأ آية من القرآن[3] فيها ذكر النار فمات من خوف[4] الله ﷻ[5]. شعر[6]:

شَـفَّـتْ زُجـاجـة دَمْـعـه عـن دَائِـه ... لَـوْ كَـان عِـنْـد الـنـاس عِـلْـمُ شِـفَـائِـه
وَأَلَـحَّـتَ الـزَّفَـرات فـي إِظْـهَـارِه ... لَـمَّـا أَلَـحَّ الـسَّـقْـم فـي إِخْـفَـائِـه [٤٦ب]
لَـمْ يَـقْـضِ شَـانُ الـدَّمْـع شَـانَ غَـرامِـه ... حـتَّـى قَـضَـى فـي دَائِـه[7] بِـوَفَـائـه
قَـسَـماً بِـمَـنْ[8] قَـسَـم الـغـرام وخَـصَّـنـي ... دون الأنـام عِـنَـايَـةً بِـعَـنَـائِـه
لَأُقَـلْـبَـنَّ[9] عـلـى الأَسَـى قَـلْـبـي عَـسَـى ... يَـرْثـي لَـهُ مَـنْ حَـلَّ فـي سَـوْدَائِـه[10]
يـا إِخْـوَة الـمُـشْـتَـاق فُـكُّـوا أَسْـرَه ... مـن دائـه[11] وتَـفَـضَّـلُـوا بـقَـضَـائـه
يا مَـنْ لَـه قَـلْـبـي[12] تَـقَـلَّـبَ فـي الـهـوى ... وَجْـداً حَـشَـى الـنِّـيـران فـي أَحْـشَـائـه
وبِـرَمْـل عَـالِـج[13] مَـنْ يُـعـالـج[14] هـائـمـاً ... بِـالـنَّـيْـل لا يَـرْوِيـه بـارد مـائـه[15]
ذَكَـر الـعـراق فـبـات يَـعْـتَـنِـقُ[16] الـضَّـنَـى ... أَوْصَـالَـهُ ويَـعَـضُّ فـي أَعْـضَـائِـه[17]

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي حكم بالفناء على الخلائق فتساوى الملوك والعبيد، تفرد بالبقاء وتوحد بالقدم وصرف أقداره في الملك بما يريد، ظهر افتقار الكل إليه الصالح والطالح والغوي والرشيد، يسأله من في السمٰوات والأرض كل يوم هو في رزق جديد[18]، عم الكل

---

(١) في (م) و(ع): «قالت».
(٢) عبارة «لا جزاه الله خيراً» ساقطة في (م) و(ع). (٣) عبارة «من القرآن» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «من خوف»، في (م) و(ع): «خوفاً من». (٥) في (م): «تعالى».
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٧) في الأصل: «ذاته»، وهي من (م) و(ع).
(٨) في الأصل: «بما»، وفي (ع): «عن»، والتصويب من (م).
(٩) في الأصل: «لأقبلن»، والتصويب من (م) و(ع) لأجل الوزن.
(١٠) سواد القلب وسَوْداؤه: حبته، وقيل: دمه. ابن منظور، اللسان، «سود»، ٣/٢٢٧.
(١١) في الأصل: «ديته»، والتصويب من (م) و(ع) لأجل الوزن.
(١٢) في الأصل: «قلت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) عالج: رمال بين فَيْد والقُريَّات ينزلها بعض طيء، متصلة بالثعلبية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٩١١.
(١٤) في الأصل: «تعالج»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «بالنيل لا يرويه.. إلخ»، في (م): «لا يروى ببارد مائه»، وفي (ع): «لا يروى بنار دمائه».
(١٦) في الأصل: «يعترض»، والتصويب من (م) و(ع). (١٧) في (م) و(ع): «أوصاله».
(١٨) المعنى: يسأله من في السمٰوات [أي الملائكة] الرحمة، ومن في الأرض الرزق، وقالوا: أهل الأرض يسألونهما جميعاً. القرطبي، الجامع، ١٧/١٦٦.

قضاؤه[١] فأين يفر العاصي ومن يجبر[٢] الفقيد، كم[٣] خذل القضاء من زعيم وكم[٤] أدخل الحضرة من طريد[٥]، ما أغفل أهل المعاصي عن قسمته[٦] فمنهم شقي وسعيد، كم[٧] استلانوا طيب العيش أما سمعوا[٨] ذكر الوعيد، يخرق الجديدان عمره[٩] وهو يفرح[١٠] بالجمع والعيد، هذا نذير المشيب[١١] أتى فأين البكى وأين التعديد[١٢]، وبعده ضعف القوى وأهوال وتنكيد[١٣]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١٤].

يا معشر السالكين رافقوا رفيق الخلوات[١٥] فهو رفيق صالح، كثروا زاد التقى[١٦] فالفاضل من هو[١٧] في سوق [٤٧أ] الحساب راجح[١٨]، وافقوا دليل العلم[١٩] ووفوا له دليل العمل بميزان راجح، ضمروا عيس الأبدان لتخف في السير وتنجوا بها فارح، خففوا عنها ثقل أعمال أهل الغفلة[٢٠] بحادي التلاوة عساها بمنزل الوصل تراوح[٢١]، حلوا عنها أحراج[٢٢]

---

(١) في (م) و(ع): «غمر الكل عطاؤه».

(٢) في (م) و(ع): «يعيد». والجبر خلاف الكسر، جبر الله مصيبته أي رد عليه ما ذهب منه أو عوَّضه عنه. ابن منظور، اللسان، «جبر»، ٤/ ١١٤، ١١٥.

(٣) في الأصل: «قد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «قد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) قوله هذا يندرج تحت معنى حديثي رسول الله ﷺ، أما الأول: فأخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن يُنْكح، وإن شفع أن يُشَفَّع، وإن قال أن يُسْتَمع، قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا يُنْكح، وإن شفع أن لا يُشَفَّع، وإن قال أن لا يُسْتَمَع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا». البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الأكْفاء في الدين، رقم الحديث (٢٩)، ٧/ ١٢. والحديث الثاني: أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه». مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، رقم الحديث (١٣٨/ ٢٦٢٢)، ٤/ ٢٠٢٤.

(٦) في (م) و(ع): «قسمة».

(٧) في (م) و(ع): «كيف».

(٨) في الأصل: «أما ما سمعوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «يُخْلِق الجديدان جِدَّته».

(١٠) عبارة «وهو يفرح» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الشيب».

(١٢) عبارة «وأين التعديد»، في (م) و(ع): «والتغريد».

(١٣) في الأصل: «أو تنكيد»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) سورة ق، آية ١٩.

(١٥) في (م) و(ع): «رفيق الخلوة».

(١٦) في (م) و(ع): «التقوى».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «رابح».

(١٩) في (م) و(ع): «رافقوا رفيق العلم».

(٢٠) عبارة «ثقل أعمال أهل الغفلة»، في (م) و(ع): «ثقل الأعمال».

(٢١) عبارة «بمنزل.. إلخ»، في (م) و(ع): «منزل الأمن تصابح». والمُراوحة: عملان في عمل، يعمل ذا مرة وذا مرة، وهما يتراوحان عملاً أي يتعاقبانه. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/ ٤٦٥.

(٢٢) الأحراج: جمع حَرَجَة، والحِراج غِياض من شجر السلَم ملتفة، لا يقدر أحد أن ينفذ فيها. =

السهر في منزل الفجر لعلها بالذكر تصابح[1]، قدموا لها زاد الصوم وأسقوها[2] ظمأ الهواجر[3] فماؤه[4] عذب وما سواه مالح، أدلجوا بها في سروة[5] التهجد عسى يلوح في منزل الفجر لائح، حطوا عنها أكوارها[6] في روضة الذكر ففيه مرعًى خصيب فالح[7]، هذا سفر الأحباب والمحروم في تيه الشقاء ماسٍ وصابح، مهما سار منزلاً عاد إليه[8] ما عليه علامة ناجح، سيندم[9] إذا جاءته السكرات بحديث جديد، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى[10]: «دخلت على جار لي وهو[11] مريض، فقلت له[12]: عاهد[13] الله تعالى وتب وهو[14] يشفيك. فقال: هيهات يا أخي، إني ميت لا محالة، أردت أن أتوب[15] فسمعت قائلاً يقول من ناحية[16] البيت: عاهدناك مراراً فوجدناك غداراً». شعر[17]:

قِفَا صَاحِبَيّ[18] اليوم أَسْأَل حَاجَتي[19] ... ولا تُرْجِعَا سَمْعي بِغَير بَيَان

هَلِ الرَّبْعُ بَعْدَ الظَّاعِنين[20] كَعَهْدِه[21] ... وهَلْ رَاجِعٌ يَوْماً عليَّ[22] زَمَاني

لَكَ اللَّه هَلْ بَعْد الصُّدُود تَعَطُّفٌ ... وهَلْ بَعْد رَيْعَان[23] البِعاد تَدَانِ [٤٧ب]

= ابن منظور، اللسان، «حرج»، ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(١) في (م) و(ع): «تراوح».

(٢) في الأصل: «وأسقوه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الهواجر: هو نصف النهار عند اشتداد الحر. ابن منظور، اللسان، «هجر»، ٥/ ٢٥٤.

(٤) في (م) و(ع): «ماؤه».

(٥) الدُّلْجَة: الساعة من آخر الليل، وقيل: الليل كله، وأدْلَجوا: ساروا من آخر الليل، وقيل: ساروا الليل كله. والسَّرْوَة جمعها سَرْوٌ: وهي الشجر. ابن منظور، اللسان، «دلج»، ٢/ ٢٧٢، و«سرا»، ١٤/ ٣٨٠.

(٦) الأكْوار: جمع كُور وهو رحل الناقة بأداته. ابن منظور، اللسان، «كور»، ٥/ ١٥٥.

(٧) في (م) و(ع): «فايح».

(٨) في (م) و(ع): «إليه عاد».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) القصة ذكرها الأصبهاني في محاضرات الأدباء، ٤/ ٤٠٨.

(١١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فقلت له» ساقطة في (م)، وفي (ع): «قلت».

(١٣) في (ع): «عاهدني»، وهو تصحيف.

(١٤) كلمة «وهو»، في (م) و(ع): «عساه».

(١٥) في الأصل: «وأردت أن نتوب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «جانب».

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للشريف الرضي. انظر: الديوان، ٢/ ٥٢٢.

(١٨) في (م) و(ع): «صاحباي».

(١٩) في (م) و(ع): «حاجة».

(٢٠) الظَّعْن: سير البادية لنُجْعَة أو تحوُّل من بلد إلى بلد. ابن منظور: اللسان، «ظعن»، ١٣/ ٢٧١.

(٢١) في (م) و(ع): «بعهده».

(٢٢) في (م) و(ع): «إليَّ».

(٢٣) في (م) و(ع): «تفريق».

وما غَرضي[1] أني أسومك[2] خطةً كَفَاني قَليل مِن رِضَاك كَفَاني
أُدَاوِي به قَلْباً مِن الشّوق لَم تَدَع به فَتَكات الشّوْق غير جَنَان[3]

[بحر الطويل]

يا أخي من لك إذا ملَّك الزائر وفي الرمس تنسى، بعت نفسك بالثمن الخسيس وسمتها بخساً، أملك في الفاني فيه سرعة وفي الباقي ليت وعسى، ضيعت غصن[4] الشباب حتى تقوس عودك[5] وعسا، لا حيلة فيمن أقعده القدر: العينان منه جامدتان[6] والقلب قد قسى، ليت شعري أنسيت[7] قبائحك[8] وهي في ديوان لا تنسى، أما تعتبر بالراحلين في الصباح وفي المسا[9]، تمشي في تيه[10] الغفلة مشية مدل ما هذه مشية من قد[11] أسى، لو علمت من تعصي وهو يراك وثياب نعمه تكسى، ويحك أنسيت بما ترحل عنه هلَّا جعلت[12] مولاك أنساً، أحييت جسمك[13] بالشهوات وبالمعاصي قتلت نفساً، كأني بقاطع الأمل[14] وافاك فقطع منك أنيناً وحساً، فبادر قبل أن يبدو لك ما لا تريد، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

قال ذو النون المصري[15] رحمه الله تعالى: «بينما[16] أنا في جبال المغرب إذ وقعت برجل عابد على رأس جبل، فسلمت عليه فأطرق ساعة[17] إلى الأرض ثم رفع رأسه إلي فقال[18]: وعليكم السلام. قال ذو النون: فقلت له: ما[19] مقامك في هذا المكان؟ قال[20]: معي بضاعة قد هربت بها من السراق[21]، [٤٨أ] وقد جئت لأدفنها في هذا المكان. قلت: وما بضاعتك هذه[22]؟ قال: عقد توحيدي وخالص ضامر مكنوني[23].

---

(١) في (م) و(ع): «غرَّني».
(٢) في الأصل: «أسومه»، وهي من (م) و(ع). والسَّوْم: عرض السلعة على البيع، وسِمت بالسلعة أسوم بها سوماً: غاليت. ابن منظور، اللسان، «سوم»، ١٢/٣١٠.
(٣) الجَنان: جوف ما لم تَرَ. الفيروزآبادي، القاموس، «جنن»، ص١٥٣٢.
(٤) في (م) و(ع): «عصر».
(٥) في (م) و(ع): «حتى تقعرس عوده».
(٦) في الأصل: «جامدة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «نسيت».
(٨) في (ع): «فيا ويحك».
(٩) عبارة «في الصباح.. إلخ»، في (م) و(ع): «وبالصباح والمساء».
(١٠) في (م) و(ع): «ليل».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «جعلته»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «نفسك».
(١٤) في (م) و(ع): «الآمال»، وقاطع الأمل هو الموت.
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٥٤.
(١٦) في (م) و(ع): «بينا».
(١٧) في (م) و(ع): «رأسه».
(١٨) في (م) و(ع): «ثم رفع رأسه وقال».
(١٩) في (م) و(ع): «وما».
(٢٠) في (م) و(ع): «فقال».
(٢١) في (م) و(ع): «الأسواق».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «وخالص ضميري».

قلت[1]: لو أنست بالناس. قال[2]: منهم هربت، وقد قصدت إلى من قصده غيري من الراجين[3] فوجدته مؤنساً، ثم رفع طرفه[4] إلى السماء و[5]قال: أنت أنت. قال ذو النون: فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه فلم أره». شعر[6]:

في طاعة الحُبِّ في عِصْيَانِ مَنْ عَذَلا ... قَلْبي الذي ذَابَ والجِسْم الذي نَحَلا
وفي سَبيل الهَوى نَفْسِي التي ذَهَبَتْ ... شَوْقاً وجِسْمي[7] الذي في الوَصْل قد وَهَلا[8]
وَجْدٌ وَجَدْتُ هَوَاي[9] فيه يَعْذُب لي ... وكُلَّما ٱشْتَدَّ مِنْ مَرِّ الغَرام حَلا
لا تَعْذِلُوا وٱعْذُرُوا في الحبِّ وٱجْتَهدوا[10] ... في عاشقٍ في الهوى عن قَصْدِه عَدَلا
حَيْران وَلْهَان قد فَاضَتْ مَدَامِعُه[11] ... فأنْفَقَ الدَّمع حتى ٱسْتَنْفَذَ الجِمْلا[12]
دُلُّوا[13] على الصَّبْر قَلْبي أَوْ دَعُوه وَمَا ... قد أَوْدَعُوه فما يَبْغي بهم[14] بَدَلا
كيف السَّبيل إلى بَرْدِ السُّلُوِّ وقد ... أَصْبَحْتُ مُشْتَغِلاً بالوَجْدِ مُشْتَغلا[15]
قالوا جَرَى لك دَمْعٌ فٱفْتَضَحْتَ به ... ليس[16] الفضيحة إلا أَنْ يُقَالَ سَلا
إنِّي لأَشْكُر دَمْعاً ظَلَّ يَنْصُرُني ... يَوْمَ الوَدَاع وجَيْشُ الصَّبْر قد رَحَلا

[بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا تحد عظمته ولا تقاس، الكبير[17] الذي هو مع الأرواح والنفوس والأنفاس، لا يعزب عن[18] علمه معلوم فوق الفوق ولا تحت التحت ولا تأخذه سنة ولا نوم

---

(١) في (م) و(ع): «فقلت».
(٢) في (م) و(ع): «فقال».
(٣) في (ع): «الراحلين»
(٤) في (م) و(ع): «راسه».
(٥) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) في (ع): «وحسبي».
(٨) عبارة «في الوصل قد وهلا»، في (م) و(ع): «في الوهل قد وهلا». والوهل: الفزع، وَهِل وَهَلاً: ضعف وفزع وجَبن. ابن منظور، اللسان، «وهل»، ١١/٧٣٧.
(٩) في (م): «هوائي».
(١٠) في (م) و(ع): «وٱقتصدوا».
(١١) عبارة «حيران.. إلخ»، في (م) و(ع): «حَرَّان حيران قد ضاقت مذاهبه». وحَرَّ يَحَرُّ حِرَّة: عَطِش، فهو حَرَّان. الفيروزآباي، القاموس، «حرر»، ص٤٧٨.
(١٢) في (م) و(ع): «المقلا».
(١٣) في الأصل: «لولا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «به».
(١٥) عبارة «أصبحت.. إلخ»، في (م): «أصبحت مشتعلاً بالوجد مشتعلاً».
(١٦) في الأصل: «وليس»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م). والله هو الكبير لأنه أكبر من أن تشاهده الحواس، أو تدرك حقيقة ذاته العقول. والله هو الكبير الذي لا نهاية لكبره؛ لأنه هو الكامل الواجب الوجود لذاته، وما عداه موجود بإيجاد الله له؛ ولأنه سبحانه هو الغني عن كل شيء، وما عداه في حضيض النقص والافتقار. عبد الرحمٰن حبنكة، العقيدة الإسلامية، ص٢٣٧.
(١٨) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

ولا نعاس، يسمع[1] اختلاف مسائل السائلين فيسمع[2] الكل بلا التباس، أمضى حكمه وأقداره في [٤٨ب] الأفلاك والأملاك والأرض والجنة والناس[3]، نعَّم أحبابه بقربه وحجبهم[4] عن خطرات الوسواس[5]، حمى إقليم قلوبهم من غيار[6] الشهوة من حمايته بحراس[7]، ثم[8] قبلوا أمره[9] بالقبول وقاموا به[10] على العينين والراس، قدموا زاد التقى[11] لسفر الموت وظلمات[12] الأرماس، أبطال ميدان الدجى لله درهم من أبطال ومن[13] أفراس، خلع عليهم حلة الرضى وناداهم مرحباً بالأكياس[14]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[15]، فسبحان الأحد الصمد القديم الذي لا يحد ولا يقاس[16]، أحمده على عموم نعمه التي عمت جميع الأنواع والأجناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لبناء آمالنا[17] أساس، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين فهو جسوم وهو الراس، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[18] صلاة محب غير مُفَرِّط ما دامت الأنفاس[19].

يا من إذا هزمه جيش الهرم قال: إني تائب، أين كنت والعمر فيه بقية ترافق[20] الحبائب، تخلفت في منقطع الغفلة وجانبت النجائب[21]، جسمك حاضر في المجلس وقلبك في تحصيل

---

(١) في (م) و(ع): «سمع».

(٢) في الأصل: «فيسمعه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) عبارة «أمضى حكمه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «فحجبهم».

(٥) الوسوسة: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير. الفيروزآبادي، القاموس، «وسس»، ص٧٤٨.

(٦) في (م) و(ع): «غبار». وغار في الشيء غَوْراً وغِيَاراً: دخل. ابن منظور، اللسان، «غور»، ٥/ ٣٤.

(٧) في (م) و(ع): «بحواس».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (ع): «أمرهم».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الأعمال».

(١٢) في (م) و(ع): «ظلمة».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بالأحباب الأكياس». والأكْيَاس جمع كَيِّس: الخِفَّة والتَّوَقُّد، وهو كَيْس وكَيِّس. ابن منظور، اللسان، «كيس»، ٦/ ٢٠٠.

(١٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(١٦) في (م) و(ع): «فسبحان الأحد الصمد الذي لا يحاس ولا يماس». والأحد: أي المنفرد الذي لا شريك له، فهو وحده واجب الوجود في ذاته وفي صفاته، وهو وحده المستحق للعبادة. والقديم: أي أنه سبحانه لا بداءة له. والصمد: أي الله هو الغني في ذاته وفي صفاته غنى تاماً، وهو الذي يصمد إليه - أي يرجع إليه - في كل أمر صغر أو كبر. عبد الرحمٰن حبنكة، العقيدة الإسلامية، ص١٨٣، ١٨٥، ١٨٧.

(١٧) في (م) و(ع): «أعمالنا».

(١٨) في (م) و(ع): «وصحبه».

(١٩) في (م) و(ع): «صلاة محب مُفْرِط غير مُفَرِّط ولا ناس».

(٢٠) في (م) و(ع): «توافق».

(٢١) عبارة «تخلفت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الدنيا غائب، ويلي مع من أتحدث ويلي من أخاطب، تملى أقوالك وتكتب أفعالك فأنت المملي والكاتب، إقليم قلبك خراب من التقوى وليس لك في رفقة التائبين صاحب، تفرح بربح فلس ما أحقك لو بكيت مع أهل المصائب، سهم عزمك[1] في المتاب [٤٩أ] غير مصيب وسهم عزمك في الغفلة صائب، هذه جود[2] المعاني تُجْلى على الأسماع ولا خاطب[3]، هذه جواهر المعاني تنشر في سوق الأفهام[4] ولا طالب، لا حيلة في حل عقد القضاء يعطى العاجز ويمنع الطالب، كم نائم وجد في المنزل ومدلج قطع عن الركائب[5]، يا عبد الشهوة لا مكاتَب ولا مكاتِب[6]، بادروا إخواني إلى باب الحبيب تسمعوا من لطفه العجائب، واحملوا[7] الزاد إلى دار الكريم فعنده[8] كل المطالب، أفخر ملابس التائب الخلوة و[9] الخشوع والانكسار والدمع الساكب، عساه يحظى بمدحة الأكياس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال ابن السماك رحمه الله تعالى[10]: «دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه دلني على عبادكم، فأدخلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت، لا يرفع رأسه إلى أحد، قال: فجعلت أستنطقه الكلام فلم[11] يكلمني. قال: فخرجت من عنده، فقال صاحبي[12]: هاهنا ابن عجوز هل لك أن تراه[13]؟ قال: فدخلت عليه، فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئاً من[14] حديث جنة ولا نار فتقتلوه علي، فإنه[15] ليس لي غيره، قال: فدخلنا على شاب عليه من اللباس نحو مما[16] على

---

(١) في (م) و(ع): «عزيمتك».

(٢) في (م) و(ع): «حور».

(٣) في الأصل: «خطاب»، وهي من (م) و(ع).

(٤) عبارة «تنشر.. إلخ»، في (م) و(ع): «تنثر في سوق الاجتماع».

(٥) قوله هذا يندرج تحت معنى حديثين لرسول الله ﷺ؛ فالأول: ما رواه مسلم في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». مسلم، الصحيح، كتاب الأيمان، باب «غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذّب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»، رقم الحديث (١٧٩/ ١١٢)، ١/ ١٠٦. والثاني: ما أخرجه الترمذي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة...» تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.

(٦) المكاتبة: هي اتفاق عبد مع سيِّده على عتقه بأداء بدل مُعين. محمد قلعجي، موسوعة فقه الحسن البصري، ١/ ٤٣٥. والمعنى أنه جعل العاصي عبداً لشهوته، لا يسعى للتحرر من عبوديته.

(٧) في (م) و(ع): «إياك وحمل».

(٨) في الأصل: «فعند»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) كلمة «الخلوة و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٠.

(١١) في (م) و(ع): «فلا».

(١٢) في (م) و(ع): «فقال لي صاحبي».

(١٣) عبارة «أن تراه»، في (م) و(ع): «فيه».

(١٤) عبارة «شيئاً من» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «فإني»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «ما».

صاحبه، وهو[1] منكس الرأس، طويل الصمت، فرفع رأسه فنظر إلينا. فقلت[2]: ألا[3] إن للناس موقفاً لا بد منه[4] أن يقفوه. فقال[5]: بين يدي من يرحمك الله؟ قلت: بين يدي ديان يوم الدين[6]. قال: فشهق شهقة فمات رحمه الله تعالى[7] [٤٩ب]، فجاءت العجوز فقالت: قتلتم ولدي. قال ابن السماك: فكنت ممن صلى عليه رحمه الله تعالى ورضي عنه[8]». شعر[9]:

ذَكَر الحِمى وعُهودَه وعِهَادَه[10] ... فبَكَى وأبكَى رَحْمَةً حُسَّاده

فأبْتَاع منه الوَجْدُ نَقْداً حَاضِراً ... يوم النَّوى وأبْتَاع منه فؤادَه

وأسْتَلَّ[11] من جَفْنَيْهِ نَصْل هُجُوعِه[12] ... وأعَاضَه بعد الرُّقَاد سُهَادَه[13]

نَزَحَ[14] البُكى يا نَازِحين مَدامعي ... وصُدُودكم[15] مِن بَعْد ذلك زَادَه

ورحَلْتُم بالقلب بَيْنَ رِحَالِكم ... وجَعَلْتُم الشَّوْق المُبَرِّح زَادَه

رُدُّوه أو فَخُذُوا المُخَلَّف[16] بعده ... إنْ لم تكونوا تَمْنَعُون[17] مُرَادَه

يا مَن لِطَرفٍ قد مَلَكْتُم دَمْعَه ... بِيَدِ[18] الهَوى وبَيَاضَه وسَوَادَه

أخَذ الهوى عَهْدَ المَنام بأنَّه ... بَعْدَ التَّفَرُّق لا يَزُور وِسَادَه

لِلَّه أحْشَاء عَرَتْها حُرْقَة ... بحراقها[19] قَدح الغرام زِنَادَه[20]

يا سَاكِنِي نَجْدٍ متى أنْجَدْتُم ... مشتاقه ومنحتموه معاده[21]

---

(١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «ثم قال».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «فقلت».

(٦) عبارة «قلت: بين يدي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «فكنت ممن.. إلخ»، في (م) و(ع): «فكنت فيمن صلى عليه».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل و(ع)، وهي من (م).

(١٠) العهود والعهاد: جمع عَهْد، وهو مطر بعد مطر يُدرك آخره بلل أوله. ابن منظور، اللسان، «عهد»، ٣/٣١٤.

(١١) في الأصل: «واسبل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «سجوده».

(١٣) السُّهْد: الأرق. الفيروزآبادي، القاموس، «سهد»، ص٣٧١.

(١٤) نزح البئر: استقى ماءَها حتى يَنْفَد أو يَقِل. ونزح القوم: نزحَت آبارهم. الفيروزآبادي، القاموس، «نزح»، ص٣١٢.

(١٥) في الأصل: «وصدودهم»، وهي من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «المخالف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «تمنعوه»، وهو تصحيف.

(١٨) في الأصل: «بين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) الحُرَاق: ما تقع فيه النار عند القدح. ابن منظور، اللسان، «حرق»، ١٠/٤٢.

(٢٠) زناد: جمع زَنْد، وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار. ابن منظور، اللسان، «زند»، ٣/١٩٥.

(٢١) عبارة «مشتاقه.. إلخ»، في (م) و(ع): «مشتاقكم ووفيتم ميعاده». والمعاد: المصير والمرجع، تقول: عاد الشيء يعود عَوْداً ومَعَاداً: أي رجع. ابن منظور، اللسان، «عود»، ٣/٣١٧. =

هــل زَارَهُ مــنــكــم خَــيَــالٌ طَــارِق   لِـيـراه فـي فـرش الـضَّـنـى أَوْ عَـاده[1]
أَوْ هَـادَنَـتْـه هِـنْـدكـم أو أَسْـعَـدَتْ   بِـيَـد الـوصَـال سُـعَـادُكـم إِسْـعَـادَه[2]
مِنْ كُلِّ واضِحَةِ الـجَـبِـيـن[3] إذا بَـدَتْ   لَـبِـسَ الـهِـلال مِـن الـظَّـلام حِـدَادَه

[بحر الكامل]

معاشر العارفين[4] أفلتوا[5] أطيار الأفكار لاقتناص المعارف، حاذروا بها نزاع التصريح فإنها لإلف الإشارة توالف[6]، دعوها تغدو خماصاً[7] من الدعوى[8] وتروح بطانا[9] من أخبار السلف السالف[10]، [٥٠أ] أحكموا إكسير[11] الحقيقة بصيغة ذهب التوحيد ففيها غنى كل عارف، حوموا على دين[12] المحبة ففيه راهب شوق يلاطف، أرهنوا نفوسكم[13] في سكرة من شراب لا يبقي فيك منك موالف[14]، عربد وارقص واشرب واطرب وأنت تالف، ومزق إزارك واخلع عذارك[15] وكن على دنان الدنو[16] عاكف، الكون كونك والديار ديارك والمحبوب محبوبك كن ذائقاً لا تكن واصف، اسمع يا جنيد ويا شبلي ويا بسطامي[17] فالعيش يطيب مع

---

(١) عبارة «أو عاده»، في الأصل: «عواده»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «سعاده»، والتصويب من (م) و(ع). والإسعاد: المعونة، وساعَدَه مساعدة وسِعَاداً وأَسْعَده: أعانه. وأسعد الله العبد وسَعَدَه: وفقه الله لما يرضيه عنه فَيَسْعَد بذلك سعادة. ابن منظور، اللسان، «سعد»، ٣/ ٢١٤.

(٣) الوَضَح: البياض من كل شيء، وإنه لواضح الجبين إذا ابيض وحَسُن ولم يكن غليظاً كثير اللحم. ابن منظور، اللسان، «وضح»، ٢/ ٦٣٤.

(٤) في (م) و(ع): «معشر التائبين».

(٥) في الأصل: «اقبلوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «تواليف»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) خماص: جمع خَمْصان وهو الجائع الضامر البطن. ابن منظور، اللسان، «خمص»، ٢٩/٧.

(٨) عبارة «من الدعوى» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) أي ممتلئة البطون. ابن منظور، اللسان، «بطن»، ٥٣/١٣.

(١٠) في الأصل: «والسالف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) الإكسير: الكيمياء. الفيروزآبادي، القاموس، «كسر»، ص٦٠٤.

(١٢) في (م) و(ع): «دير».

(١٣) في الأصل: «نفسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) كل شيء غطى شيئاً وألبسه فهو مولف له إبن منظور، اللسان، «ولف»، ٣٦٤/٩ .

(١٥) العذاران: جانبا اللحية. وخلع العذار أي الحياء، وهذا مثل للشاب المنهمك في غيِّه. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٤/ ٥٥٠.

(١٦) في (م) و(ع): «الدير».

(١٧) الجنيد والشبلي والبسطامي من أعلام الزهاد، وأسيد العباد. فالجنيد هو أبو القاسم الخزاز، الجنيد بن محمد بن الجنيد، شيخ وقته، ونسيج وحده، أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه ببغداد، توفي سنة ٢٩٨هـ - ٩١٠م، وقيل سنة ٢٩٧هـ. ابن الجوزي، الصفة ،٤١٦/٢. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص١٢٦.=

المناصف[1]، لكل شراب سكر ولكل سماع وجد فسلم ولا تخالف، فقد أسمعنا المولى مدائح العارفين وزال الالتباس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال إبراهيم بن المهلب رحمه الله تعالى[2]: «رأيت في بعض السياحات شاباً ليس معه أحد، قد انقطع عن الناس وهو قائم يصلي فانتظرته حتى فرغ من صلاته[3]، فقلت له: يا فتى أما[4] معك مؤنس؟ فقال[5]: بلى. فقلت: و[6]أين هو؟ قال: أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي. فعلمت أن معه معرفة، فقلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: أين هو[7]؟ قال: إيمان صادق وتوكل[8] واثق. فقلت[9]: هل لك في مرافقتي؟ فقال: الرفيق يشغلني عنك[10]. فقلت: أما[11] تستوحش في هذه الصحراء! فقال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة. فقلت: فمن أين تأكل وما معك طعام؟ وما طعامك؟ فقال: إليك عني[12] يا ضعيف اليقين. فقلت[13]: سألتك بالله تعالى[14] إلا أعلمتني؟ فقال[15]: الذي غذاني في الأحشاء صغيراً تكفل برزقي كبيراً. قلت: على كل حال، أخبرني[16]. قال: وقت مفهوم وحد معلوم[17] ورزق مقسوم [٥٠ب] فإذا أنا[18] احتجت إلى الطعام وجدته في أي وقت شئت[19]».

شعر[20]:

= والشبلي: هو دُلَف بن جحدر، أبو بكر، كان أوحد وقته حالاً وعلماً وزهداً، توفي سنة ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص٣٣٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٣٣٨. والبسطامي: هو طيفور بن عيسى بن سروشان، أبو يزيد البسطامي، الزاهد العارف، من كبار مشايخ القوم، وهو بكنيته أشهر وأعرف، توفي سنة ٢٦١هـ ـ ٨٧٤م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ١٠٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ، ص١١٠.

(١) المناصف: جمع منصف وهو الخادم. ابن منظور، اللسان، «نصف»، ٩/ ٣٣٣. والمعنى هنا: أولياء الله وخدامه.

(٢) في (م) و(ع): «قال إبراهيم المهلب». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٤٠٣. وإبراهيم: هو أبو إسحٰق إبراهيم بن يزيد بن المهلب البجلي الزاهد، جرجاني، روى عن سفيان بن عيينة وعبد الرحمٰن بن مهدي. السهمي، تاريخ جرجان، ص١٢٧.

(٣) في (م) و(ع): «حتى انقضت صلاته».

(٤) في (م) و(ع): «ما».

(٥) في (م) و(ع): «قال».

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «قال: أمامي.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «وقلب».

(٩) في (م) و(ع): «فقلت له».

(١٠) في (م): «عنه».

(١١) عبارة «فقلت: أما»، في (م) و(ع): «قلت: أفما».

(١٢) عبارة «فقلت فمن أين تأكل.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «فقال»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «قال».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «حد معلوم ووقت مفهوم».

(١٨) في (م) و(ع): «فأنا إذا».

(١٩) في (م) و(ع): «أردته».

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

يا بانَةَ الجَرْعَاء[١] هل من عَطْفَة[٢] تعطف بها قَلْباً عليك مُعَذَّبا[٣]
يَهْوَى جَنَابَك بالعُذَيْبِ لأنَّه ما زال يَرْشِفُ منك ثَغْراً أشْنَبا[٤]
وتَشُوقُه تلك الرِّيَاض لأنَّها لَبِسَتْ[٥] على الأهْضَابِ وَشْياً مُذَهَّبَا
وتَنَسَّمَتْ ريح الوِصَال فأطْفَأت بالقُرْبِ ما أذْكَى البِعَاد وألْهَبَا
ولقد رَمَاني الوَجْدُ عن قَوْسِ الهوى حقّاً لِمَنْ يُرْمَى بها أن يُغْلَبا[٦]
وهَرَبْتُ[٧] من نار الهوى وعَذَابِها نَحْو السُّلُوِّ فلَم أجِدْ لي مَهْرَبا
وسَرَيْتُ في لَيْل الشَّبَاب ولم[٨] أصل أدْنَى نَهَار الشَّيْب إلا مُتْعَبَا
وعَجِبْتُ مِنْ قَلْبِي وطُول ثَبَاتِه كَلَفاً وكنتُ عَهِدْتُ قَلْبي قُلَّبَا
ذَهَبَ الزَّمَان وما ظَفِرْتُ بطائِل ممن أحِبّ فأسْتَلِذّ المَشْرَبا
وإذا تَصَفَّحْتُ الشَّبِيبة لم أجِدْ مُتَعَطِّفاً[٩] يوماً يُذَكِّرني الصِّبَا
فأزْدِدْتُ حُبّاً للشَّقَاء لحاجَة[١٠] ولَرُبَّما كان الشَّقَاء مُحَبَّبَا

[بحر الكامل]

مجلسنا جنة معجلة فيها ثمار المعارف[١١]، وأنهار الحكم، وحور المعاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت؛ أرض عباراته[١٢] مسك نسك، وحصب[١٣] أنهار فصاحته در نظم ونثر نغم، أطيار لغته[١٤] تغني عن سماع كل ملذوذ، حور معانيه أبكار لم يطمثهن[١٥] فكر،

(١) الجرعاء: هي الأرض الرملة السهلة المستوية. ابن منظور، اللسان، «جرع»، ٨/٤٦.
(٢) في (م) و(ع): «عودة».
(٣) عبارة «تعطف.. إلخ»، في (م) و(ع): «تفتك قلباً في هواك معذباً».
(٤) الشنب: البَرْد والعذوبة في الفم. ابن منظور، اللسان، «شنب»، ١/٥٠٧.
(٥) في (ع): «ليست»، وهو تصحيف.
(٦) عبارة «حقاً.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأصابني ورميته فتنكَّبا».
(٧) في (م) و(ع): «وهويت».
(٨) في (م) و(ع): «فلم».
(٩) في الأصل: «مستعطفاً»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «بحاجة».
(١١) في (م) و(ع): «مجلسي جنة معجلة فيه ثمار المعرفة».
(١٢) في الأصل: «عبارته»، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «حصباء». الحَصَب والحصباء: الحصى. ابن منظور، اللسان، «حصب»، ١/٣١٨.
(١٤) في (م) و(ع): «بلاغته».
(١٥) عبارة «لم يطمثهن»، في (م) و(ع): «لأنها أبكار لم يطمثهن»، والطَّمْث: المَسّ، يقال: ما طمث هذا المرتع قبلنا أحد. ابن منظور، اللسان، «طمث»، ٢/١٦٥. والمعنى أن كلماته ومعانيه مبتكرة لم يسبقه إليها أحد قبله.

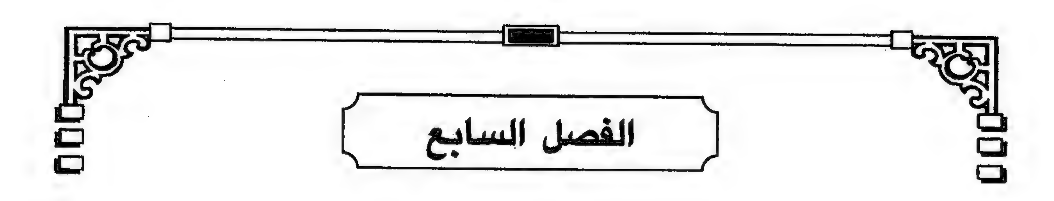
كم فيه من[1] شغله نعيم معانيه، وآخر ناظر إلى صفة[2] محبوبه، الملائكة تدخل فيه من كل باب على[3] قلبٍ قُلِبَ إلى الطاعة وتسلم[4] على التائبين، أبوابه ثمانية: العبارة والإشارة [٥١أ] والتلويح والتصريح والأمثلة والبلاغة[5] والفصاحة والمعاني، فكل يدخل من[6] بابه إلا العارف[7] فإنه يدخل من كل باب، ولا يمنع من الدخول إلا الحاسد وإبليس.

إلٰهي ما أشد غبن من يصف ويمنع السلوك، إلٰهي[8] جد على من يدل عليك الآبقين[9] عن بابك أفتراهم يصلون وأقطع. إخواني ناشدتكم الله[10] من آستراح منكم في منزل مقامه فليذكر الذليل[11]، ويتصدق عليه بفضل دعوة أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون. وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[12].



---

(١) في (م) و(ع): «ممن».
(٢) في (م) و(ع): «صفات».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «ويسلم».
(٥) عبارة «والتلويح.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «إلا من العارف»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) أبَق يَأْبِق فهو آبق: أي هرب. والإباق: هرب العبد من سيده. ابن منظور، اللسان، «أبق»، ٣/١٠.
(١٠) في (ع): «بالله».
(١١) في (م) و(ع): «الدليل».
(١٢) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل السابع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كان قبل الأكوان والمكان والزمان والحين، لم يفتقر في ٱختراعه الأكوان إلى مشير ولا معين، خلق العقل وجعله سراجاً في بيت القلب يبين، قال له: أقبل فأقبل[١]، وأدبر فٱمتثل[٢] الأمر فهو ميزان الموازين[٣]، جعله سفير المعقولات لذوي التكوين والتمكين، خلق الملائكة من أنوار طاهرة[٤] في بقاع طاهرة على جمال الحضرة عاكفين، خلق الأرض قاعاً[٥] مظلماً وبدأ منها خلق الإنسان من طين، طوره في أطوار الإيجاد ففي كل طور له سر مكين[٦]، كم فيه من أضداد ألف بينها[٧] معجز القدرة[٨] وإن خفيت فهي للعارفين تبين، لذلك ٱختلف عليه الأمر والنهي والوعد والوعيد وأعراض التلوين[٩]، ما أعظم جرأته[١٠] وأكثر دعواه وهو فقير ضعيف عاجز مسكين، بينما [٥١ب] هو في ديار الأمل يبني سفا عليه ساف البلاء[١١] فإذا به تحت الردم دفين، كم حرز[١٢] قفله بكرةً فتحه الوارث عشية والمسكين

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٢) في (ع): «وامتثل».

(٣) قوله هذا هو معنى حديث منكر، رواه الطبراني من حديث عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: فأدبر، قال: وعزتي ما خلقت خلقاً أعجب إليّ منك، بك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب». الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٨٠٨٦)، ٨/ ٢٨٣. وعمر بن أبي صالح عن أبي غالب قال فيه العقيلي في الضعفاء، ٣/ ١٧٥: «حديثه منكر، ولا يتابع على حديثه ولا يثبت في هذا المتن شيئاً». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب ما جاء في العقل والعقلاء، ٨/ ٢٨، فقال فيه: «وفيه عمر بن أبي صالح، قال الذهبي: لايعرف». وقال ابن حجر في لسان الميزان، ٤/ ٣١٤: «الخبر باطل في العقل وفضله».

(٤) في (م) و(ع): «ظاهرة». وقوله هذا هو معنى حديث روي عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِف لكم». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث (٦٠/٢٩٩٦)، ٤/ ٢٢٩٤.

(٥) القاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية، وهي الحُرَّة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها. ابن منظور، اللسان، «قوع»، ٨/ ٣٠٤.

(٦) في (م) و(ع): «كمين». (٧) في الأصل و(م) و(ع): «بينهما»، والصواب ما أثبتناه.

(٨) عبارة «معجز القدرة»، في الأصل: «سبر الدرة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) أي: تقلبات الإنسان قوة بعد الونى، ووَنًى بعد قوة، وغنى بعد حاجة، وحاجة بعد غنى، وصحة بعد علّة، وعلة بعد صحة...

(١٠) عبارة «ما أعظم جرأته» ساقطة في (م).

(١١) في (م) و(ع): «ساف البِلى». وسَفا: أسرع، والسَّفى هي تراب القبور، وسفت الريح التراب تسفيه سَفياً: ذَرّته، وتراب سافٍ: مسفي. ابن منظور، اللسان، «سفا»، ١٤/ ٣٨٩.

(١٢) في الأصل: «حارز»، والتصويب من (م) و(ع).

بأعماله رهين، ينادي بلسان حاله واحسرتاه[1] أمهلوني[2] ساعةً لعلي أستقيل هيهات لا[3] رجعة بعد الراحلين، سيطول المقام في البلى[4] واحسرة الغافلين، فيا لها ليلة غربة ما أطولها ما يسفر صبحها[5] ليوم[6] الدين، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[7].

يا صحيح البدن يا مريض القلب، يا من شاب[8] في البطالة وشاخ في كسب الذنب، تعصيه بنعمه عليك أما تخاف السلب، تجني ثمار الشهوة وتشرع إليها بالنهب، عند ذكر الآخرة تنقبض وعند ذكر الدنيا لك قلب[9] واسع رحب، أين من ملك الملوك؟ أين من قتل[10] الأمم بالقتل والصلب؟ أين المترفون في القصور واللذات غافصهم الموت والهول الجسيم الخطب[11]، كم لهم تحت اللحود من حسرات ومن كَرْبٍ وكُرَب[12]، إن لم يوقظك زمزم[13] وعظي فسيوقظك[14] بطش الحمام والضرب، عند الكبر تبكي أين كنت وغصن الشباب غصن[15] رطب، ما أسرع أسفار آمالك في لحظة تمشي[16] الشرق والغرب، أفلت - ويحك - طير التوبة عساه يتلقط[17] من هذا المجلس الحب، قبل أن تقوم مقاماً لا[18] تقبل فيه إقالة من ذنب، ويظهر من قبائح أعمالك ما هو دفين، [٥٢أ] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

قال[19] ذو النون المصري ﷺ: «بينما[20] أنا أسير في خراب مصر[21] إذا أنا بجارية حاسرة عن وجهها، وقد غشيها صفار، وعلاها[22] أنوار، وعليها من المحبة آثار، فسلمت

---

(١) عبارة «ينادي.. إلخ»، في (م) و(ع): «ينادي لسان حسرته».
(٢) في (ع): «أمهلوني أمهلوني».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «دار البلى».
(٥) في (م) و(ع): «صباحها».
(٦) في (م): «إلى يوم».
(٧) سورة النمل، آية ٨٧.
(٨) في (م) و(ع): «شب».
(٩) عبارة «وعند ذكر.. إلخ»، في (م) و(ع): «ولذكر الدنيا قلبك».
(١٠) في (م) و(ع): «مثل».
(١١) عبارة «غافصهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «غافصتهم المنون بالهول الجسيم وعظيم الخطب». وغافصه: فاجأه، وأخذه على غرة. الفيروزآبادي، القاموس، «غفص»، ص٨٠٦.
(١٢) كلمة «وكرب» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «مزمزم».
(١٤) في (م) و(ع): «سيوقظك».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «يلتقط».
(١٨) في (م) و(ع): «ما».
(١٩) في الأصل: «وقال»، وهي من (م) و(ع). والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص٢٣٥.
(٢٠) في (م) و(ع): «بينا».
(٢١) الخراب ضد العمارة، وخراب مصر: أي في ضواحيها أو الأماكن الخربة غير المأهولة.
(٢٢) في (م) و(ع): «وعَلَتْها».

عليها. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: من أعلمك بأسمي؟ فقالت[1]: شاهدتك بمشاهدة المحبين، ونظرتك ببصيرة[2] المحققين، فأشارت الضمائر إلى السرائر فعرفتك بمعرفة المالك القادر. فقلت: أما تسترين وجهك بخمار؟ قالت: وما يصنع بوجه قد علاه صفار[3]. ثم قالت: يا ذا النون أعلم أن لله عباداً ركبوا سفن السلامة، وأقلعوا بقلوع[4] الكرامة، فأرسوا على سواحل الأمن. فقلت: ما صفتهم؟ قالت: قوم قطع الشوق أكبادهم، وخالف النوم سهادهم، أولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى. ثم ولّت، فقلت: أين تريدين؟ فقالت[5]: يا ذا النون إن لله عباداً لهم مولاهم سكن والجنة مسكن[6]، فأختاروا السكن على المسكن، فأعطاهم السكن والمسكن[7]». شعر[8]:

بُيوتٌ لهم فيها قُلُوب مُنِيرة ... وفيها قُصُور الصَّبْر والصِّدْق والوَفَا
إذا نَسَمَتْ منها نَسائم أُنْسِه ... أَضَاءَ سِراجُ الأُنْسِ من بعد ما انْطَفَا
هُنالك أَبْدَى العارفون[9] سِرارَهم ... وسَاروا إلى قَصْر[10] الحبيب تَعَسُّفَا[11]
فقالوا أَتَيْنا باذِلِين نُفوسنا ... نُؤَمّل منك الجُود[12] والعَطْف والوفا [٥٢ب]

[بحر الطويل]

إخواني بادروا الصحائف قبل أن تطوى، رافقوا عيس البكائين فسيرحم أهل البلوى، بضائع البطالة خاسرة وهي[13] في سوق الآخرة ما تسوى، أرباب المعاملة جعلوا الدنيا ساعة وأخلصوا السر والنجوى، حالفوا أنفسهم على المخالفة فتركوا أهواءهم[14] لما هوى[15]، فما هو إلا أن لاح لهم المنزل فجدوا[16] برواحل التقوى، هجروا مرادهم لما يريد محبوبهم[17]، عجباً كيف وجدت بعد فراق الأحباب سلوى، صلاتك في طلب الفاني فيها حضور وفي

---

(١) في (م) و(ع): «قالت».
(٢) في (م): «بنظر»، وفي (ع): «بنظرة».
(٣) في (م) و(ع): «وما يصنع وجه قد علاه صفار بخمار».
(٤) القُلُوع: الناقة الضخمة. ابن منظور، اللسان، «قلع»، ٨/ ٢٩١.
(٥) عبارة «يا ذا النون.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «لهم مولاهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «الله لهم سكن والجنة لهم مسكن».
(٧) عبارة «فأعطاهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «العاشقون».
(١٠) في الأصل: «قبر»، وهي من (م) و(ع).
(١١) التَّعَسُّف: السير بغير هداية. واعتسف الطريق اعتسافاً إذا قطعه دون صوب توخّاه فأصابه. ابن منظور، اللسان، «عسف»، ٩/ ٢٤٥.
(١٢) في الأصل: «الوجد»، وهي من (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «هواهم».
(١٥) في الأصل «هوى»، وهي من (م) و(ع)؛ وذلك لمراعاة السجع.
(١٦) في (م) و(ع): «فجدوا السُّرى».
(١٧) في الأصل: «محبهم»، والتصويب من (م) و(ع).

الباقي صلاتك[1] سهوى، يا مطروداً عن رفاق القوم هذه أحاديثهم[2] تروى، و[3]أنت في صحراء الخيبة عطشان وغيرك في رياض القرب يروى، ثبت أسمك في ديوان الشقاء ومحي من ديوان القبول محوا، أين عبرات[4] الأحزان؟ أين أنكسار الذل على ما حل[5] بك من بلوى، بادر قبل يوم ترى الخلائق فيه[6] حائرين، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

يروى عن منصور بن عمار رحمه الله تعالى قال[7]: «كان لي أخ في الله تعالى[8] يتفقدني[9] ويزورني في شدتي ورخائي، وكنت أراه كثير الصلاة والبكاء، قال: ففقدته[10] أياماً، فقيل لي: إنه مريض. فسألت عن داره فدللت عليها، فقربت منها، فدققت[11] الباب، فخرجت إلي[12] أبنته فقالت لي: ما تريد؟ قلت: فلاناً. فأستأذنت ثم عادت فقالت: أدخل ما على أبي من حاجب[13]، أدخل فإنه مشغول عنك بنفسه. فدخلت [٥٣أ] عليه، فوجدت أهله قد فرشوا له في قلب[14] الدار، وهو مضطجع وقد أسود وجهه، وأزرقت عيناه، وغلظت شفتاه. فقلت له وأنا[15] فازع منه: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله. ففتح عينيه ونظر إلي شزراً[16]، ثم غشي عليه. فقلت له[17] الثانية: قل لا إله إلا الله. ففتح عينيه ونظر إلي[18] شزراً[19]. فقلت له[20] الثالثة: قل لا إله إلا الله[21]، ولئن[22] لم تقل لا غسلتك ولا كفنتك ولا أصلي[23] عليك. قال: ففتح عينيه ثم قال: يا أخي، يا منصور، هذه كلمة قد حيل بيني وبينها. قال منصور: فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت[24]: يا أخي، وأين[25]

---

(١) في (م) و(ع): «صلاتها».
(٢) في (م) و(ع): «آثارهم».
(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «عبارة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «حصل».
(٦) في (م): «منه».
(٧) في (م) و(ع): «يروى أن منصور بن عمار قال». والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص١٣.
(٨) الكلمة ساقطة في (م).
(٩) في (م) و(ع): «يعتقدني».
(١٠) في (ع): «فقعدت».
(١١) في (م) و(ع): «فقرعت».
(١٢) في الأصل: «لي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «حجاب».
(١٤) في (م) و(ع): «وسط».
(١٥) في (م) و(ع): «وأنا والله».
(١٦) في (م): «ونظرني شزراً». ونظرٌ شَزْرٌ: هو النظر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون في حال الغضب. ابن منظور، اللسان، «شزر»، ٤/٤٠٤.
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م): «ونظرني».
(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «وغشي عليه».
(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) عبارة «قل لا إله إلا الله» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٢) في (م): «وإن».
(٢٣) في (م) و(ع): «صليت».
(٢٤) في (م) و(ع) زيادة: «له».
(٢٥) في (م) و(ع): «فأين».

الصلاة وأين الصيام[١] وأين البكاء. فقال لي: يا أخي - والله[٢] - ما كان شيء من ذلك لوجه الله تعالى، إنما كان ذلك لأذكر يا منصور، إني كنت أظهر البكاء والصلاة والصيام[٣] عند الناس، وإذا خلوت بنفسي أغلقت[٤] أبوابي، وأرخيت الستور علي، وشربت الخمور[٥]، وبارزت ربي بالمعاصي، وكنت على[٦] هذا مدة فأصابني الله ﷻ[٧] بمرض فأشرفت منه على الهلاك، فقلت لأبنتي هذه ناوليني المصحف فناولته لي[٨]، فأخذته وجعلت أقرأ فيه حرفاً حرفاً حتى بلغت يٰس فرفعت المصحف وقلت: اللهم بحق[٩] هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً. قال: ففرج الله عني، فعدت إلى ما كنت عليه من الذنب[١٠]، وآرتكاب[١١] المعاصي، وتحمّل الأوزار والآثام، وأنساني الشيطان العهد الذي بيني[١٢] وبين ربي ﷻ[١٣]، وكنت على ذلك مدة من عمري فوقعت [٥٣ب] في مرضة أخرى، فأشرفت منها[١٤] على الموت. قال: فأمرت أهلي فأخرجوني[١٥] وسط الدار، ثم دعوت بالمصحف على عادتي، فقرأت فيه، ثم رفعته، فقلت: إلٰهي بحق[١٦] هذا المصحف إلا ما فرجت عني. قال: ففرج الله عني، فعدت[١٧] إلى ما كنت فيه[١٨]. قال[١٩]: فوقعت في هذه المرضة[٢٠]، فأمرت أن أخرج إلى وسط الدار كما ترى، ثم دعوت[٢١] بالمصحف لأقرأ فيه فلم أميز فيه حرفاً، فعلمت أن الله ﷻ[٢٢] قد غضب علي. قال: فرفعت طرفي إلى السماء فقلت: إلٰهي بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عني يا جبار الأرض والسماء، فسمعت منادياً ينادي:

تَـتُـوبُ مِـن الـذنـوب إذا مَـرِضْـتَ ... وتَـرْجِـعُ لـلـذنـوب إذا بَـرِيـت

إذا مـا الـضُـرُّ مَـسَّـكَ أنـت بَـاكٍ ... وأخْـبَـث مـا تـكـون إذا قَـوِيـت

ألا يـا راكـب الـعِـصْـيـان مَـهْـلاً ... كـأنَّـك بـالـمَـنَـايـا قـد رُمِـيـت

---

(١) في (م) و(ع): «الزكاة».
(٢) في (م) و(ع): «فقال: والله يا أخي».
(٣) في (م) و(ع): «والصوم».
(٤) في (م) و(ع): «غلقت».
(٥) في (ع): «الخمر».
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «فناولتنيه».
(٩) في (م) و(ع): «بحرمة».
(١٠) عبارة «فعدت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فرجعت إلى ما كنت فيه من الدنيا».
(١١) في الأصل: «وارتكبت»، وهي من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «الذي كان بيني».
(١٣) في (م) و(ع): «تعالى».
(١٤) في (م) و(ع): «فيها».
(١٥) عبارة «فأمرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأمرت فأخرجت إلى».
(١٦) في (م) و(ع): «بحرمة».
(١٧) في (م) و(ع): «قال فعدت».
(١٨) في (ع): «عليه».
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «المرضة الثالثة».
(٢١) عبارة «ثم دعوت»، في (م) و(ع): «فدعوت».
(٢٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

كأنَّك فوق نَعْشٍ[1] الموت مُلْقىً صَريعاً لا تُجيب إذا دُعِيت
فكم[2] من كَرْبَةٍ نَجَّاك منها وكم كَشَفَ البَلايا إذا بُلِيت[3]

[بحر الوافر]

قال منصور: فوالله ما خرجت من عنده إلا والصياح قد قام[4]، وقائل يقول[5]: قد مات فلان[6]».

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي بسط بساط الأنس فأرواح العارفين ببسطه[7] ترتاح، دعاهم لقربه في الدجى[8] غيرةً عليهم من مِعْيان[9] النوم والليل مطوي الوشاح، فتح لهم ساحة[10] الدجى وأفاض[11] عليهم من شراب التلاوة أقداح، تلذذوا بأستماع مثاني [٥٤أ] المثاني[12] من عود ذكر العود فنالوا بها أفراح[13]، خامرهم سكر المحبة فأستزادوا من طيب حال الراح[14]، بذلوا في سكرهم[15] من دنه[16] النفوس والأنفاس وخلع العذار والافتضاح، فإذا أنتشوا من سكرهم طلبوا العود وقالوا لا جناح، فإذا[17] طالبهم بالاختيار نادى لسان أشواقهم لا[18] براح عن بابكم[19] لا براح، عيونهم ذابلة وعبراتهم سائلة[20] وزفراتهم قاتلة وألسنتهم بالثناء على المحبوب فصاح، فإذا كان يوم القيامة نودوا أين أحبابي هنيئاً لكم ماذا[21] هيئ لكم من التحف[22] والأفراح، هذا حديث القوم وأهل المعاصي قص من

---

(١) في (م) و(ع): «عرش».
(٢) في (م) و(ع): «وكم».
(٣) البيتان الأول والثاني والبيت الرابع لأبي العتاهية. انظر: الديوان، ص٩٦.
(٤) في (م): «ارتفع».
(٥) عبارة «قد قام.. إلخ» ساقطة في (ع).
(٦) في (م) و(ع): «قد مات فلان مات فلان».
(٧) في (م) و(ع): «لبسطه».
(٨) عبارة «في الدجى» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) رجل عَيُون ومِعْيَان: خبيث العين. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، «عين»، ٤/١٩٩.
(١٠) في (م) و(ع): «حافة».
(١١) في (م) و(ع): «أدار».
(١٢) في الأصل: «مثاني الثاني»، والتصويب من (م) و(ع). والمثاني الأولى هي من المثاني مما أُثني به على الله تبارك وتقدَّس؛ لأن القرآن فيه حمد الله وتوحيده وذكر ملكه يوم الدين. والمثاني الثانية هي القرآن، وسُمِّي بذلك لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه. ابن منظور، اللسان، «ثني»، ١٤/١١٩.
(١٣) في (م) و(ع): «فنالوا الأفراح».
(١٤) في الأصل: «راح»، والتصويب من (م) و(ع). والراح: الخمر. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص٢٨٢.
(١٥) في (م) و(ع): «سكرة».
(١٦) في الأصل: «دونه»، والتصويب من (م) و(ع). والدَّن: الراقود العظيم، له عسعس لا يقعد إلا أن يحفر له. الفيروزآبادي، القاموس، «دنن»، ص١٥٤٥.
(١٧) في (م) و(ع): «فإن».
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «بابك».
(٢٠) في (م): «سابلة».
(٢١) في (م) و(ع): «ما».
(٢٢) في (م) و(ع): «المبهجات». والتحف: جمع تحفة وهي ما أتحفتَ به الرجل من البِرِّ واللطف. ابن منظور، اللسان، «تحف»، ٩/١٧.

عزائمهم[1] الجناح، لا حيلة لمن خذله القضاء[2] ما ينفعه البكى ولا النواح، كم أرتهم[3] الليالي من العبر[4] وصرح لهم الفناءبالصراح، كم ضربت لهم الأمثال[5] ليعود عليهم الامتثال بالأرباح، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[6].

معشر السالكين هيئوا أسباب الرحلة، و[7]أدخروا زاد التقى[8] في أيام المهلة، أغتنموا ليالي التهجد فبدورها آهلة[9]، سافروا إلى إقليم الآخرة فأرباب[10] العلم على الطريق[11] أدلة، تعوضوا منها ذخائر الإخلاص وما عليكم ولو كان فيها قلة، الجوهر كمال صفاته صفاؤه[12] والياقوت إشراقه لا تكن بالتجارة أبله، أعمال القلوب صحيحة وأعمال الأبدان فيها علة، يا من وعظه[13] المشيب إلى متى [٥٤ب] تُنْظِر[14] بالتوبة، بالله يا رسول الكبر ناده بالرحيل وقل له، عسى عود المعاصي يلين عساه[15] ولعله، ما أقبح سن الشيخ يضحك كأنه ما علم ما هيئ له، موت وسؤال وحساب وجزاء على ما عمله، كم تناديه العبر ما ينظر[16] بالإجابة ويله[17]، أظن أن[18] الشقاء مثبوت في الفطرة فكيف[19] ترجو الإصلاح، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾.

قال شقيق البلخي رضي الله عنه[20]: «رأيت إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه[21] بمكة عند مولد رسول الله ﷺ

---

(١) في (ع): «عزماتهم».

(٢) عبارة «لمن خذله القضاء»، في (م) و(ع): «لمن خانه القدر».

(٣) في الأصل: «أردتم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «عبر».

(٥) في (م) و(ع): «أمثال».

(٦) سورة الكهف، آية ٤٥.

(٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «التقوى».

(٩) في الأصل: «آنلة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «وبانية»، وفي (م) و(ع): «ونواتية»، والتصويب من (ب).

(١١) عبارة «على الطريق» ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٢) عبارة «الجوهر.. إلخ»، في (م) و(ع): «قيمة الجوهر كمال صفاته».

(١٣) في (م) و(ع): «وخطه»، وهو تصحيف.

(١٤) عبارة «إلى متى تُنْظر»، في (م) و(ع): «ما تنتظر». والإنظار: التأخير والإمهال. ابن منظور، اللسان، «نظر»، ٥/٢١٩.

(١٥) في (م) و(ع): «عسى».

(١٦) في (م) و(ع): «ينتظر».

(١٧) في (م) و(ع) زيادة: «طريق الشهوات صعب في الحساب وطريق الآخرة سهلة، فرغَتْ كنانة وعظي وما أصابتك نبله».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في الأصل: «كيف»، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) القصة ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهاني في جامع كرامات الأولياء، ١/٢٣٢. وشقيق: هو شقيق بن إبراهيم البلخي، من كبار مشايخ خراسان، توفي سنة ١٩٤هـ ـ ٨٠٩م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/١٥٩. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص١٢.

(٢١) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع). وإبراهيم: هو أبو إسحٰق العجلي وقيل: البلخي، إبراهيم بن=

وشرف وكرم[1]، وهو يبكي، فعدلت إليه وقلت: ما هذا البكى يا أبا إسحاق؟ قال[2]: خيراً. فعاودته مراراً، فقال[3]: يا شقيق، إن أنا أخبرتك بشيء[4] أتستر علي؟ قلت[5]: يا أخي، قل ما شئت. قال: اشتهت نفسي[6] سكباجاً وأنا أمنعها منذ ثلاثين سنة، فلما كان البارحة وقد غلبني النعاس إذا أنا بشاب و[7]بيده قدح أخضر تعلو منه رائحة سكباج، فقرب مني ووضع القدح بين يدي، وقال: يا إبراهيم كل. فقلت: ما آكل شيئاً تركته لله ﷻ[8]. فقال لي: وإلى الآن! والله أطعمك فما تأكل[9]! فما كان لي جواب إلا أن بكيت[10]. فقال لي: كل يرحمك الله تعالى[11] فإنما أعطيته وقيل لي: يا خضر اذهب بهذا إلى نفس إبراهيم بن أدهم فأطعمها[12] شهوتها فقد رحمها الله ﷻ[13] من طول صبرها. فقلت[14]: إن كان الأمر [55أ] هكذا[15] فها أنا بين يديك لا أحل العهد[16] مع الله تعالى[17]. ثم التفت فإذا بفتى آخر ناوله شيئاً آخر[18] وقال: يا خضر ألقمه أنت[19]. فلم يزل يلقمني حتى شبعت فانتبهت فوجدت طعمه في فمي. قال شقيق رحمه الله[20]: فقلت له: أرني كفك[21] فأخذتها وقبلتها ورفعتها إلى السماء وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المعاملة[22]، يا من سقى[23] قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالاً من أحوالهم[24]، اللهم[25] بحرمة هذا الكف وبقدر صاحبها والجود[26] الذي وجده عندك جُد على عبدك الفقير بفضلك

= أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أحد الأعلام والزهاد، وهو مأمون ثقة، توفي سنة ١٦١هـ ـ ٧٧٧م. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٥. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ١/١٣.

(١) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «وقال»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «فقال لي».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «قلت له».
(٦) في (م) و(ع): «اشتهت علي نفسي».
(٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «تركته.. إلخ»، في (م) و(ع): «قد تركته لوجه الله».
(٩) عبارة «وإلى الآن.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلّا أن أطعمك الله فما تأكل».
(١٠) في (م) و(ع): «إلا البكا».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «إبراهيم بن أدهم فأطعمها»، في (م) و(ع): «إبراهيم أطعمها».
(١٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «قلت».
(١٥) في (م) و(ع): «كذلك».
(١٦) في (م) و(ع): «العقد».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «يا خضر.. إلخ»، في (م) و(ع): «لقّمه يا خضر أنت».
(٢٠) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) في الأصل: «كفيك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «المعاملات».
(٢٣) في الأصل: «مساق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «أترى لشقيق عندك ذلك».
(٢٥) في (م) و(ع): «إلٰهي».
(٢٦) في (م) و(ع): «وبالجود».

وإحسانك وإن لم أستحق[1] ذلك، ثم مضينا[2] إلى المسجد الحرام». شعر[3]:

تَحَكَّم بقلبي كيف شِئْت فما أَرَى	لِـحَـقِّـكَ[4] فـي قَـلْـبـي لِـوِدِّكَ ثَـانِـيـا
تَـحَقَّـق حـقّ الـحَـقّ في جَوٍّ[5] بَـاطِـنـي	وأَصْبَـح قـلْبي لـلـحبيب مُـصَـافِـيـا
وَآنَسَني بَـالـبَسْطِ في مَجْلِس الرِّضَى	وَأحشمنِي التَّـعْـظِيـم إذْ كُنْتُ دَانِـيـا
وأَجْلَسَني في رَوْضَةِ الحُبِّ[6] سَيِّدي	فَـطَـالَـعـه قـلـبـي وقـد لاح بَـادِيـا
نَـدِمْتُ عـلى وَصْـفٍ وَصَـفْـتُ لِسَيِّـدي	وهل[7] يَصِفُ العَبْد الحَقِير المَوَالِيا

[بحر الطويل]

ويحك تخالف من خلقك وتعصي من خولك، وبأنعامه[8] نعَّمك وبتيسيره يسر لك[9]، من صورك من نطفة؟ من سوَّاك من مضغة؟ من نفخ الروح لك؟ من أخرجك من ضيق الأمعاء إلى فسيح واسع أنزلك، من ألهمك التقام الثدي ومن أجراه حتى كبر[10] لك، [٥٥ب] من ألقى الشفقة في قلوب[11] الوالدين من استخدمهما لك، من نقلك من الفطام إلى الأغذية سخر فيها الفلك[12] والملك لك، من أوقد في قلبك سراج القلب[13] حتى عاينت ما عليك وما[14] لك، من أوهبك[15] أيام الصبا وأمر الملك ألا يكتب[16] وأمهلك، من بلغك سن[17] البلوغ وبكمال الشهوة كملك، من ألهمك[18] التوحيد والإيمان في قلبك كتب لك، من قواك أيام الشباب وبلطفه عاملك، من بعث إليك رسول المشيب لينذرك بالرحلة وأعذر لك[19]، كم

---

(١) في (م) و(ع): «يستحق».
(٢) في (ع): «مضيا».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «وحقك».
(٥) في (م) و(ع): «حق».
(٦) في (م) و(ع): «الأنس».
(٧) في الأصل: «ومن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «من بأنعامه».
(٩) عبارة «وبتيسيره يسر لك»، في الأصل: «وبتيسره يسرك»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م): «در»، وفي (ع): «مدَّ».
(١١) في (م) و(ع): «قلب».
(١٢) في (م) و(ع): «المالك».
(١٣) في (م) و(ع): «العقل».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «هبط»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «ألا يكتب»، في (م): «لا يكتب». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فأكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فأكتبوها حسنة، فإن عملها فأكتبوها عشراً». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بسيئة لم تكتب، رقم الحديث (١٢٨/٢٠٣)، ١/ ١١٧.
(١٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (ع): «ألزمك».
(١٩) عبارة «وأعذر لك»، في (م): «ويعلمك ترحّلك»، وفي (ع): «ويعلمك ترجُّلك». وأَعْذَر إعذاراً وعُذْراً: أبدى عُذْراً. والعرب تقول: أعذر فلان أي كان منه ما يُعْذر به. وفي المثل: «أَعْذَر مَن أنذر»، ويكون=

تعصي من هذه أفعاله لا أم لك، ألا أستحييت ألا أرعويت هلا خجلت ما أغفلك، كم تعامل التوبة بالتسويف ما مطلك[١]، هذا مقام[٢] الأحزان هل لك في الموافقة هل لك، كأني بك تطلع عليك الشمس وعند غروبها يقال هلك، ما ينفعك التسويف ولا أهل[٣] ولا ولد ولا مال لك[٤]، عصفت ريح الخيبة[٥] فغرقت البضائع وأنقطع كلأك[٦]، وأسفا ما أراك أيها المغرور تعلم يوم الحساب[٧] من يسألك، واخيبتك إن نودي بأسمك في أهل سقر تسلك فيها مع من سلك، بالله عليك يا[٨] أخي أسق زرع توبتك بماء العبرة قبل أن تهلك[٩]، بادر فهذه مواسم الأربـاح، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾.

قال ابن السماك [٥٦أ] رحمه الله تعالى[١٠]: «وصف لي رجل من العباد، فسرت إليه فوجدته في بيت قد حفر فيها[١١] قبره، وهو جالس على شفيره يصلح خوصاً بين يديه، فسلمت عليه، فرد عليَّ السلام رداً ضعيفاً، ثم قال لي: من أنت يرحمك الله[١٢]؟ قلت: رجل من[١٣] أهل الكوفة. قال: ما أسمك؟ قلت: محمد بن السماك. قال لي: الواعظ. قلت: نعم. فألقى الخوص من يديه[١٤] وقال: يا ابن السماك، الوعظ[١٥] من السمع بمنزلة الطبيب من العليل، فأعرض علي شيئاً من دوائك. فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى، وذنبك لا يمحى، كم بين يديك من ظلمة و[١٦]أهوال وكرب وأنكال[١٧]، أولها ظلمة القبر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة الصراط. فبكى بكاء شديداً وقال[١٨] لي: يا[١٩] ابن السماك، وما بعد

= أعذر بمعنى اعتذر اعتذاراً يُعْذَر به وصار ذا عذر منه. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٤/٥٤٥. والمعنى: أن الشيب منذر للمرء بقرب رحيله إلى دار الحساب، فإن لم يرتدع عن غيِّه استوجب العقوبة، ويكون لمن يعذبه العذر إذ لم يعتبر بالشيب.

(١) في (م) و(ع): «أمطلك».
(٢) في (م) و(ع): «مأتم».
(٣) عبارة «ما ينفعك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما ينفعه أهل».
(٤) في (م) و(ع): «مَلَك».
(٥) في (م) و(ع) زيادة: «على سفينة عمرك».
(٦) في الأصل و(م) و(ع): «الكلك»، والصواب ما أثبتناه.
(٧) في (م) و(ع): «يوم القيامة».
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع) زيادة: «فيمن هلك».
(١٠) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٢٥.
(١١) في (م) و(ع): «فيه».
(١٢) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «يده».
(١٥) في (م): «الواعظ»، وهو تصحيف.
(١٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) الأنكال: جمع النِّكْل، وهو القيد الشديد من أي شيء كان. ابن منظور، اللسان، «نكل»، ١١/٦٧٧.
(١٨) عبارة «شديداً وقال»، في (م): «عظيماً فقال».
(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

ذلك، فقلت[1]: حمل الأوزار، والجواز على النار، وأعظم من ذلك توبيخ المالك[2] الجبار. فصاح الشيخ وسقط في قبره، فخرجت روحه، فأقبلت عجوز، وبقيت[3] تمسح التراب عن وجهه وتقول: يا أبي[4]، هاتان العينان طالما سهرت بهما في طاعة الله ﷻ[5]، وطالما بكيت بهما من خشية الله ﷻ[6]. فخرجت من عنده وقد صغرت نفسي عندي رحمة الله عليه[7]».
شعر[8]:

تَـعَـوَّذ عَـبْـد أَسْـلَـمَـتْـه ذنـوبـه	إلـى قَـسْـوةٍ سَـدَّتْ وُجـوه نَـجَـاتِـه
فَـفَـرَّ إلـى الـمَـوْلَـى وأَسْـلَـم نَـفْـسـه	وأَلْقى إلى التَّقْوى عِنَانَ حَيَاته [٥٦ب]
يُـنَـادِي إذا مـا الـلـيـل أَسْبَـل سِـتْـرَه	وظَـلَّ غَـريـق الـطَّـرْفِ فـي عَـبَـراتِـه
وهَـاج لَـهِـيب الـخَـوْف بـيـن ضُـلُـوعِـه	فَـبَـاتَ حـريـق الـجِـسْـم مـن زَفَـراتِـه
عَـسَـى الـمَـلِـك الـمَـوْلـى يَـمُـنّ بِـعَـفْـوِه	عـلـى مُـذْنِـبٍ قـد تـاب قـبـل وَفَـاتِـه

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تنزه في عز جلاله عن المحدثات فله التنزيه[9]، يعلم ما في جواهر المخلوقات من حكمة وما يظهر المرء[10] وما يخفيه، بعلم قديم واحد[11] لا يدخله الترتيب بل الموجودات ترتبت[12] فيه، توحد في علمه فـ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[13] إلا وعلمه محيط بما يخفيه وما[14] يبديه، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[15] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[16] وكيف لا وهو منشيه، أسبغ عليه[17] نعمه ظاهرة وباطنة، ويحك أما

---

(١) في (م) و(ع): «قلت».
(٢) في (م) و(ع): «الملك».
(٣) كلمة «وبقيت» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «يا أبي»، في (م): «بأبي».
(٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م)، وفي (ع): «تعالى».
(٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م)، وفي (ع): «تعالى».
(٧) عبارة «وقد صغرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد صغرت عندي نفسي».
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «فله التنزيه النزيه».
(١٠) في (م) و(ع): «وما يظهره السر».
(١١) في (م) و(ع): «بعلم واحد قديم».
(١٢) في (م) و(ع): «تترتب». والمعنى: أن المخلوقات نُظِّمت بعلمه ﷻ، فعرَّف كل خلق مهمته في الحياة لا يتجاوزها.
(١٣) قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة سبأ، آية ٣. وعبارة «توحَّد.. إلخ»، في (م) و(ع): «توحد من عالم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض».
(١٤) عبارة «محيط بما يخفيه وما» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الطلاق، آية ١٢.
(١٦) قوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الجن، آية ٢٨.
(١٧) في (م) و(ع): «عليك».

تستحي[1] أن[2] تعصيه، قرب هذا بلا علة وأبعد هذا بلا سبب[3] وخلَّفه في تيه الحرمان يتيه[4]، لا فاعل سواه فويل[5] للجاهل وما يفتريه وعفر[6] الثرى في فيه، إن نظر بالأنس قرب وإن نظر بالجلال خير ما هو فيه[7]، كم عاصٍ مضى على عصيانه فأصبح بالمسابقة وجيه، وكم من[8] طائع في ميزان عمله عيب خفي عنه[9] ما يدريه، فعند فتح كيس العمل إذا بَهْرَج ما فيه ما يرتجيه، قبض عليه شرطي الجزاء فبفعله[10] يجازيه، فأسلمه أهله وماله وولده! و[11]ما أغفله عن تجرع هذا الشراب الكريه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[12] [١٥٧أ]، فسبحان من يعلم مكائل[13] البحر وعدد كل

---

(١) في الأصل: «أما ما تستحي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) أي: بلا علة ظاهرة للخلق وبلا سبب واضح لهم.

(٤) إن الله ﷻ أعطى للإنسان حرية الاختيار، فهو يختار بنفسه طريق الهداية أو طريق الضلالة، وهو سبحانه عالم بعلمه الأزلي من الذي سيختار طريق الشقاء فيكتب شقياً، ومن سيختار طريق السعادة فيكتب سعيداً؛ فالقضاء بالسعادة والشقاوة إنما هو موجود في علم الله الأزلي العالم بما سيكون عليه ابن آدم والسبيل الذي سيختاره ويسير في ركابه، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنّة متظاهرة على ذلك، من ذلك ما رواه سهل بن سعد الساعدي ﷺ: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يَدَع لهم شاذَّةً إلا اتّبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ مِنَّا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً، قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نَصْل سيفه بالأرض وذُبَابُه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟»، قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.. إلخ، رقم الحديث (١٧٩/١١٢)، ١/١٠٦.

(٥) في الأصل: «قيل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) العَفْر والعَفَر: ظاهر التراب. وعفَّره في التراب: مرَّغه فيه أو دَسَّه. ابن منظور، اللسان، «عفر»، ٤/٥٨٣.

(٧) عبارة «إن نظر بالأنس.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: إن أنس بالله تعالى وعبده حباً فيه لا خوفاً من ناره نال منزلة القُرب منه، وإن عبده خوفاً من ناره ورهبة من سطوته وجبروته اختار ما هو فيه من الطاعة وفضله.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م): «عليه».

(١٠) في (م) و(ع): «قبض عليه حاكم الجزاء بفعله».

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) سورة عبس، آية ٣٤ إلى ٣٧.

(١٣) في (ع): «مكاييل».

قطر[1] فيه، أحمده حمد من أعجزه سر[2] القضاء[3] فلا يدريه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ من لعفوه يرتجيه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قامع هام الكفر ومرديه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وبنيه[4].

إخواني كيف حال المقيم مع الراحل، كيف الإقامة لمن يحثه الحمام ويعاجل، كيف يطلب أرباح الهند عاجز كاسل، القلب وراء السد والجسم في المخالفة نازل[5]، ذهب ذهابك للدنيا خالص وللآخرة ذهب نازل[6]، أتعب نفسه البهرج[7] يا ليته[8] حاصل، ثوب الرياء من خزف[9] وحقه باطل، سُمَارِيَّة الخذلان تمر بك[10] وجسر الهمة مقطوع ما أبعد عنك[11] الساحل، إذا قال عقلك الآن أتوب قال تسويفك في قابل[12]، كم تحت اللحود من طلاب الدنيا مثلك رحلوا عنها ولم يحظوا منها بطائل[13]، لو قيل لهم تمنوا لتمنوا[14] من أنفاسك أياماً[15] قلائل، عساهم[16] يسألون الإقالة هيهات تمنٍّ باطل، أين كنت في زمان[17] الشباب من كنت تنازل[18]، أين كنت في الكهولة من كنت تراحل، ما أبطأك[19] إلى زمان الكبر أما كنت عاقل، عند هجوم السكرات تطمع[20] أن تعود هيهات ما يبلغ المنى كل آمل، هذا مأتم الأحزان [٥٧ب] فأين دموعك الهواطل، أين التلهف على الفائت قبل الحلول فيه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

---

(١) في (م) و(ع): «قطرة».

(٢) في الأصل: «سوي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «القدر».

(٤) عبارة «وذريته وبنيه» في (م) و(ع): «وذويه».

(٥) في (م) و(ع): «قلب وراء السد وجسم في المخالفة ناقل».

(٦) عبارة «ذهب ذهابك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «المبهرج».

(٨) في (م): «يا ليت له».

(٩) الخَزَف: ما عُمِل من الطين وشُوي بالنار فصار فخَّاراً. ابن منظور، اللسان، «خزف»، ٩/٦٧.

(١٠) عبارة «سمارية.. إلخ»، في (م) و(ع): «مسمارية الخذلان تمر». وسُمَارِية لفظة عامية تعني ضرب من السفن، والصواب «سُمَيْرية»، منسوبة إلى من عملها. الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص٣١٩، بتصرف. والمعنى: يتوالى عليك البلاء لكي تتعظ وترتدع فتعود، لكن لا تعود.

(١١) في (ع): «عنه».

(١٢) في الأصل و(م) و(ع): «من قابل»، والتصويب من (ب). وقابل صفة لمحذوف، والتقدير في عام قابل، أي قادم.

(١٣) في (م) و(ع): «كم تحت اللحود من أهل الهموم طلبوا الدنيا مثلك ورحلوا ولم يحظوا بطائل».

(١٤) في (م) و(ع): «لسألوا».

(١٥) في (م) و(ع): «أنفاساً».

(١٦) في (م) و(ع): «مناهم».

(١٧) في (م) و(ع): «ريعان».

(١٨) في (م) و(ع): «تناقل».

(١٩) في (م) و(ع): «ما أبطأ بك».

(٢٠) في (م) و(ع): «تطلب».

قال بعض السادات(1): «كان فتىً كثير الاستهزاء(2)، كثير المزاح، فمر يوماً بمقبرة فأخذ عظماً ففتته(3) فأنفت في يديه(4)، فقال: يا ويلاه هكذا أصير، وغلبه البكاء، قال: فأتى(5) إلى أمه وقال: يا أماه ما يفعل السيد بالعبد الآبق إذا قدر عليه؟ قالت: يضيق عليه. قال: يا أماه إن رجعت إلى ربي أيقبلني؟ قالت: يا بني، كن مع مولاك كالولد مع أمه، كلما ضربته ودفعته ترامى عليها، وكلما طردته تضرع إليها، فلا يزال كذلك(6) حتى تكون هي التي تضمه إليها. قال: ثم شمّر في العبادة حتى نحل جسمه، ورق عظمه، ثم أخذ في البكاء فخر يوماً مغشياً عليه، فقالت له أمه: يا بني، أين الملتقى؟ فقال لها: يا أماه، إذا قدمت القيامة فأسألي(7) مالكاً(8) عني، ثم صاح صيحة خر ميتاً رحمة الله عليه وغفر له وعفا عنه(9)» شعر(10):

خذل(11) المُعِينُ عن(12) الغَريق المنجد ... فَاْسْتَدْعِ دَمْعَكَ فهو عَيْنُ المُنْجِدِ
ما عُذْره وهو الذي أَعْدَدْتَه ... ذُخْراً لِيوم البَيْن إنْ لم يُسْعِدِ
هي مُهْجَة(13) لا دَمْعَة جَمَدَت وقد ... ذَابَت دَماً وكأنَّها(14) لم تَجْمُدِ
عَجَباً لِبَيْنِهم فكم من ضاحِكٍ ... باكٍ وكم مِنْ جَازعٍ مُتَجَلِّد [58أ]
بِنْتُم فلا عَيْني لِبَهْجَةِ مَنْظَرٍ(15) ... نَظَرَتْ ولا سَمْعي لِلَوْم يَهْتَدِي(16)
فإذا سَمِعْتُم في الحديث مُتَيَّماً ... أَرْدَاه يَوْم فِراقِه فأنا الرَّدِي
ولَئِن قُتِلْتُ لَقد رَضِيتُ لِقَاتِلي ... أَلَّا يُقَاد بما جَنَاه ولا يَدِي(17)
لِسِوَى(18) النَّوى صَبْرِي الذي أَعْدَدْتُه(19) ... ولِغَيْر حَادِثَة الزَّمَان تَجَلُّدِي

---

(1) في (م) و(ع): «السادة». والقصة ذكرها ابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين، ص٢٥٦.
(2) في الأصل: «الاهتزاء»، والتصويب من (م) و(ع).
(3) في (م) و(ع): «ففته».
(4) في (م) و(ع): «يده».
(5) عبارة «قال فأتى»، في (م) و(ع): «فأقبل».
(6) عبارة «فلا يزال كذلك» ساقطة في (م) و(ع).
(7) في (ع): «فسلي».
(8) مالك هو خازن جهنم.
(9) عبارة «رحمه الله. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(10) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(11) في الأصل: «خذ»، والتصويب من (م) و(ع).
(12) في الأصل و(م) و(ع): «على»، والصواب ما أثبتناه.
(13) المُهْجَة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مُهْجَتها. وقيل: المهجة خالص النفس. ابن منظور، اللسان، «مهج»، ٢/ ٣٧٠.
(14) في (م) و(ع): «فكأنها».
(15) في (م) و(ع): «ناظر».
(16) في (م) و(ع): «مقتد».
(17) يقاد من القَوَد: وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتيل، ويدي من الديَّة وهي حق القتيل. ابن منظور، اللسان، «قود»، ٣/ ٣٧٢، و«يدي»، ١٥/ ٣٨٣.
(18) في الأصل: «سوى»، والتصويب من (م) و(ع).
(19) في الأصل: «أعدته»، والتصويب من (م) و(ع).

رِدُّوا[1] الـقُـلـوب الـمُـسْـتَـعَـارة إنَّـهـا ... تَـشْـكُـو الـغَـرَام ونَـارها لـم تُـخْـمَـد[2]
قَـسَـمَ الـهـوى أعْـضَـاءه فَـجـفُـونـه[3] ... لِـتَـسَـهُّـدٍ وضُـلـوعـه لِـتَـوَقُّـد
وَرَمَـاه مـن عَـبَـرَاتـه[4] بِـتَـصَـوُّبٍ[5] ... تُـضْـنـي[6] ومِـن زَفَـرَاتِـه بِـتَـصَـعُّـد
جاءَتْ بِنَشْرِكم[7] الشّمال فكم على ... التَّلِعَات[8] مِن مُسْتَنْشِقٍ مُتَبَرِّد[9]
واسْـوَدّ بَـعْـدكـم الـصَّـبَـاح كَـأنَّـمـا ... كُـحِـل الـظـلام جـفُـونـه بـالإثْـمَـد[10]
أَصْـبُـو إلَـيْـك وإنَّـنـي لَـمُـوَقَّـر ... وَأَضِـلّ فـيـك وإنَّـنـي لَـمُـهْـتَـدِي
إنْ تُـضْـرَب الأمْـثَـال أمْـثَـال الـهَـوَى ... فأنَا الحَدِيث لِرَائِح[11] أو[12] مغتدِ
سَهَري بِفكرِي عَزْمَة[13] أو صَبْوَة ... مَـن يَـدَّع إحـداهـمـا لـم يَـرْقـد

[بحر الكامل]

ويحك جدَّ القوم في التوبة وهزلت، عانقوا العمل وشمروا أذيال الراحة[14] وتكاسلت، نظروا هلال الهدى فبيَّتوا[15] على نية الصوم[16] وتعاميت، صاموا أيام العمر عن الشهوات وأفطرت، سترجع بالأسف إذا رحموا وحرمت، ستندم والله إذا قُبلوا وطردت، سمعك فيه طرش وكأنك على الحرمان جبلت، كأني بك من لذاتك عن قليل سلبت، وعما قدمته وأخرته في ديوان عملك [٥٨ب] سئلت، ما اعتذارك ما يكون جوابك إذا طلبت، جُزْ بقبور[17] القوم وقل هذا منزلي إذا نزلت، هذه جيرتي[18] بينهم فيا ليت شعري أربحت[19] أم خسرت، زادك

---

(١) في (ع): «ودوي».
(٢) عبارة «ونارها لم تحمد»، في (م) و(ع): «وتارة لم تحمد».
(٣) في (م) و(ع): «وجفونه».
(٤) في الأصل: «غمراته»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) التَّصوب: الانحدار. ابن منظور، اللسان، «صوب»، ١/ ٥٣٤.
(٦) في (م) و(ع): «يضني».
(٧) النَّشر: الريح الطيبة. ابن منظور، اللسان، «نشر»، ٥/ ٢٠٦.
(٨) التلعات: جمع تَلْعَة، وهي أرض مرتفعة غليظة، وقيل: هي ما انهبط من الأرض، وهو من الأضداد. ابن منظور، اللسان، «تلع»، ٨/ ٣٦.
(٩) في (م) و(ع): «مستبرد».
(١٠) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: هو نفس الكحل. ابن منظور، اللسان، «ثمد»، ٣/ ١٠٥.
(١١) في (م) و(ع): «الرائح».
(١٢) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «عزيمة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «الراحلة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «بيّتوا»، وهي من (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «بقبول»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «وأنسي».
(١٩) في (م) و(ع): «هل ربحت».

من الدنيا تعجيل لرمسك فيا فرحتك إن قبلت ويا حسرتك إن طردت[1]، فبادر قبل تجرع كاس الفراق الكريه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه[2]: «أتيت ليلة باردة إلى بعض المساجد لأبيت فيه، فلما صليت العشاء الآخرة وخرج الناس أتى إليَّ الإمام وقال لي[3]: اخرج. فقلت: رجل غريب، أبيت في[4] هذه الليلة هاهنا في المسجد[5]، فقال[6]: لا سبيل إلى ذلك. فأطلت[7] معه الكلام فجرني[8] برجلي وأخرجني[9] إلى مزبلة هناك فطرحني عليها وأغلق الباب[10]، فقمت[11] متحيراً لا أدري أين أتوجه، فرأيت أتون[12] حمام ووقاداً يوقد[13] فأتيت إليه[14] وسلمت عليه، ولم[15] يرد علي السلام، فجلست قريباً منه، فرأيته ينظر يميناً وشمالاً، فلما فرغ من عمله رد علي السلام. فقلت[16]: يا هذا، لم لم ترد[17] علي السلام في وقته؟ قال: كنت مُستأجَراً فخفت أن أشتغل معك فأقصر في عملي فآثم، فقلت له: إني رأيتك تنظر يميناً وشمالاً. فقال لي: إني لا أدري من أين يأتيني ملك الموت[18]. فقلت له: بكم تعمل كل يوم؟ قال: بدرهم ودانق، أنفق الدانق[19] على [٥٩أ] نفسي وأنفق الدرهم على أولاد أخي[20]؛ مات وخلف صبيَة، فأنا أنفق عليهم منذ عشرين سنة. قلت: ابن أمك وأبيك؟ قال: لا، أخاً واخيته في الله تعالى[21]. فقلت[22]: وهل[23] سألت الله ﷻ[24] في حاجة قط؟

---

(١) عبارة «ويا حسرتك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ويا ذلك إن قوبلت».
(٢) القصة ذكرها النبهاني في جامع كرامات الأولياء، ٢/ ٣١٠.
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «في المسجد» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «قال».
(٧) في (ع): «قال: فأطلت».
(٨) في (م) و(ع): «فجر».
(٩) في (ع): «فأخرجني».
(١٠) في (م) و(ع): «بابه».
(١١) في (م) و(ع): «فبقيت».
(١٢) الأَتُون: المَوْقِد. ابن منظور، اللسان، «أتن»، ١٣/ ٧.
(١٣) في (م) و(ع): «يقد».
(١٤) عبارة «فأتيت إليه»، في (م) و(ع): «فأتيته».
(١٥) في (م) و(ع): «فلم».
(١٦) في (م) و(ع): «فقلت له».
(١٧) في (م) و(ع): «لما لا رددت».
(١٨) عبارة «فقلت له: إني رأيتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «فأنا أنفق الدانق». والدانق: هو سدس الدينار والدرهم. ابن منظور، اللسان، «دنق»، ١٠/ ١٠٥.
(٢٠) في (م) و(ع): «أخ لي».
(٢١) عبارة «فأنا أنفق.. إلخ»، في (م) و(ع): «قلت: ابن أمك وأبيك؟ قال: لا، أخاً واخيته في الله، مات وخلف صبية فأنا أنفق عليهم منذ عشرين سنة».
(٢٢) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٣) في (م) و(ع): «فهل».
(٢٤) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

قال: نعم سألت الله ﷻ في حاجة منذ عشرين سنة فما قضيت بعد. فقلت: وما هي؟ قال: سألته[1] أن يريني إبراهيم بن أدهم وأموت. فقلت[2]: والله ما رضي ربي أن آتيك إلا مسحباً[3] على وجهي، و[4]أنا إبراهيم بن أدهم. قال: أنت إبراهيم بن أدهم! قلت: نعم. فوثب علي[5] من مكانه وعانقني، ثم قال: ضع رأسي في حجرك ففعلت فسمعته يقول: إلٰهي قضيت حاجتي فاْقبضني إليك. قال: فسكن من ساعته، فحركته فإذا هو ميت رحمه الله تعالى وغفر له[6]» شعر[7]:

صَبٌّ بَكَت لِفَقْدِكم عُيونه ... وليس مِنْكم أَحَد[8] يُعِينُه

هَتَكْتمو أسْتَاره في حُبّكم[9] ... قولوا[10] لنا من ذا الذي يَصُونه

إنَّ حمامات اللِّوى[11] تَرَنَّمت ... حَنَّتْ له إذْ سَمِعَت حَنينه[12]

وما شَجَت شُجُونها[13] لو لم يَكُن ... يُقْلِقُها لمَّا بَكَى شُجُونه

وكيف لا يَبْكي حَزينٌ[14] فاقِدٌ ... فَارَقَه عن عَجَلٍ قَرِينه

آهِ على الحيِّ الذي بَان[15] وقد ... فَارَقَه تَعَمُّداً قَطِينه[16]

يا راحلين قد[17] سَلَبْتم عَقْلَه ... جُودوا[18] عليه قد[19] علا أَنِينه

وعاد من تَوْدِيعه إلى الحِمَى ... يُكَحِّل[20] من ترابه جُفُونه [٥٩ب]

---

(١) عبارة «عز وجل في حاجة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «فقلت له».

(٣) في (م) و(ع): «سحباً».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (ع): «إليَّ».

(٦) عبارة «رحمه الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «وليس أحد منكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «هتكتمو.. إلخ»، في (م) و(ع): «هتكتمو أسراره في حبه».

(١٠) في الأصل: «قالوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الحمى».

(١٢) في (م) و(ع): «أنينه».

(١٣) في (م) و(ع): «بشجوها»، وشجنت الحمامة تشجن شجوناً: ناحت وتحزَّنت. ابن منظور، اللسان، «شجن»، ١٣/ ٢٣٢.

(١٤) عبارة «لا يبكي حزين»، في الأصل: «لا أبكي حازن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «بنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (ع): «فطينه».

(١٧) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «جودا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في الأصل و(م): «وقد»، والتصويب من (ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «تكحل».

وقـد سَـقَـى دِمْـنَـتـه[1] بـأعْـيُـنٍ[2] جَـادت[3] بـهـا مـن بـعـدهـم عُـيـونـه

[بحر الرجز]

مجلسي مغاص[4] الجوهر، عباراته أصدافه، جواهره معانيه، الغائصون في الأفهام[5] كل يحصل بقدر مفهومه، التائبون على ساحله يلتقطون لؤلؤ التوبة، كم على حافاته من أشجار أشجان وأطيار فصاحة وبلابل بلاغة، ظل معارفه ممدود، ونهر في علم[6] التوحيد مورود[7]، كلماته سبائك ذهب، فإذا أردت صرفه في سوق الأسماع سبكته دنانير معاني، ونقشت عليه سكة الأمثال، فهو للعارف هبة، وللتائب صدقة، وعن الحاسد ممنوع؛ فإنه يأخذ دنانير المعاني ويؤخر مصارفة[8] الشكر[9] فلذلك يحرم عليه.

إلٰهي ما حيلة من أحيل على بواقي الإفلاس، ما حيلة من رد يوم العرض لأنه لم يصلح، إلٰهي من للمنكسر إن لم تجبره؟ من للفقير إن لم ترحمه؟ من للحائر إن لم تدله؟ إلٰهي ارحم غربتنا في القبور[10] إذا نسينا الذاكرون، و[11]ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[12].



---

(١) الدِّمْنة: الموضع القريب من الدار. ابن منظور، اللسان، «دمن»، ١٣/١٥٨.
(٢) في (م) و(ع): «بأدمع».
(٣) في الأصل: «جادوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «مغائص»، وفي (ع): «معاض»، والتصويب من (م).
(٥) عبارة «في الأفهام»، في الأصل «للأفهام»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «بحر».
(٧) في (م) و(ع): «ممدود».
(٨) في (ع): «مصافة»، وهو تصحيف. والمصارفة من الصَّرْف وهو بيع الذهب بالفضة لأنه يُنْصَرف به عن جوهر إلى جوهر. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ٩/١٩٠.
(٩) في الأصل: «الفكر»، وهي من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «القبر».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «يا رب العالمين.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثامن

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي جعل معرفته للعارفين عليه دليلاً، أقامهم في الدجى لمناجاته وإن كانت ناشئة الليل أقوم قيلا[1]، باعوا النوم بنقد السهر وجعلوا مناجاتهم للحبيب رسولا، صفوا [٦٠أ] أقدامهم على بساط التهجد وقدموا شفيع الدمع[2] رسولا، لو عرضت عليهم الأكوان لم يريدوا بمحبوبهم[3] بديلا، ترافق[4] في محمل وجدهم الشوق والقلق فكل اتخذ صاحبه عديلا[5]، و[6]لهم حنين بالأذكار لم يبق منهم الشوق إلا شيئاً قليلا، كم لهم من وجد على نفحات نجد و[7]تجديد أشواق بكرةً وأصيلا، آستعذبوا عذبات الغوير[8] وودوا لو طاروا إليه كالطير لو يجدون[9] إليه سبيلا، كم لهم من[10] حنين إلى بان الحمى وقد ظعن الساكن[11] عنه[12] رحيلا، راحتهم في الدجى ورواحهم في الذكر[13] جعلوا منزل السحر مقيلا، صبروا على مشقة السفر فأسفر لهم صبح الوصل فأهلاً به صبحاً[14] جميلا، خلعت عليهم حلل الرضى رقم[15] أعلامها مدحاً جليلا، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[16].

---

(١) ناشئة الليل: أي أوقاته وساعاته، والمقصود به قيام الليل. وأقوم قيلاً أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار؛ لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سمعه وتفهُّمه حائل. ابن الجوزي، زاد المسير، ٨/ ٣٩٠. القرطبي، الجامع، ٣٩/١٩.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «بغير محبوبهم».

(٤) في الأصل: «يوافق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) العديل: النظير والمثيل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/ ٤٣٢.

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «التعذيب»، والتصويب من (م) و(ع). والغُوَير: ماء بين العقبة والقاع، في طريق مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٠٠٦/٢.

(٩) عبارة «لو يجدون»، في الأصل: «لم يجدوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (ع).

(١١) في (م) و(ع): «السكان».

(١٢) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «ورواحهم في الذكر»، في (م) و(ع): «وراحهم». والرواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين وراح لذلك الأمر رواحاً: أشرف له وفرح. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص٢٨٣.

(١٤) في (م) و(ع): «محباً».

(١٥) الرَّقم: الكتابة والختم، ورقم الكتاب: أعجمه وبينه، ورقم الثوب: خططه. ابن منظور، اللسان، «رقم»، ٢٤٨/١٢، ٢٤٩.

(١٦) سورة الأحزاب، آية ٢٣.

يا أرباب القساوة حدقوا نحو هلال التوبة بالبصائر، وإن[1] لم يبن فغشاء[2] الذنوب عم النواظر، هلال التوبة خفي فلا تملوا التملح فهو يلوح كالخاطر[3]، إذا هبت رياح[4] العزم أنقشع[5] سحاب الغفلة فيعود البصر ناظر، ويحك سرت قوافل الصالحين وما أراك معهم سائر، كم تغرس[6] عروق التسويف ستبقى عند الجنى حائر، ما أرى دستور[7] شقائك إلا طوي[8] ما أرى صلاحك إلا نادر، ما أرى للتوبة عندك[9] [٦٠ب] علامة ما أراك في تجارتك إلا خاسر، الإخلاص منخل يفرق بين خبيث العمل[10] وطيب الحاضر[11] الساهر، التوبة والقبول مصارفة إذا كان صيرفي[12] الصدق حاضر، لله نفوس التائبين ما أطيب آصالهم والهواجر، ما أطيب سماعهم ما أحلى ماء عيونهم من المحاجر[13]، كشفوا قناع الوجد عند معاينة نجد وحاجر، لله درهم آتخذوا[14] الصدق إليه دليلا، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى[15]: «عصفت بنا الريح فطرحتنا[16] على جزيرة[17] في البحر، فإذا برجل[18] يعبد صنماً من دون الله ﷻ[19]، فقلنا له: أيها الرجل ما[20] تعبد؟ فأومأ بيده إلى الصنم. فقلنا: إن معنا في هذا[21] المركب من يصنع مثل هذا[22]. قال: وأنتم ما تعبدون[23]؟ قلنا: نعبد الله ﷻ[24]. قال: فمن[25] هو؟ قلنا: الذي في السماء عرشه،

---

(١) في (م) و(ع): «فإن».

(٢) في (ع): «فعسى». وعَسَا الشيء: يبس وآشتد وصلب، وفيه لغة أخرى: عَسِيَ يَعْسَى عسًى. ابن منظور، اللسان، «عسا»، ١٥/٥٤.

(٣) عبارة «هلال التوبة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «ريح».

(٥) في (م) و(ع): «وانقشع».

(٦) في (ع): «تفرش».

(٧) في (م): «ما أرى ستور»، وفي (ع): «ما أدري ستور». وهو تصحيف

(٨) في (م) و(ع): «طويت».

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «الغافل».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) الصيرفي: النقاد من المُصَارِفة، وهو من التصرف. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ٩/١٩٠.

(١٣) المحجر: العين، وقيل: هو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن. ابن منظور، اللسان، «حجر»، ٤/١٦٩.

(١٤) في (م) و(ع): «أخذوا».

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٦٩.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «بجزيرة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في (ع): «رجل».

(١٩) عبارة «من دون الله عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «من».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) عبارة «من يصنع مثل هذا»، في (م) و(ع): «من يعمل هذا».

(٢٣) في (م) و(ع): «فأنتم من تعبدون».

(٢٤) في (م) و(ع): «تعالى».

(٢٥) في (م) و(ع): «ومن».

وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. قال: كيف علمتم ذلك[1]؟ قلنا: وجّه إلينا رسولاً أعلمنا به. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: قبضه الله ﷻ[2] إليه. قال: فما[3] ترك عندكم[4] علامة، قلنا: كتاب الملك[5]. قال: أرونيه. فأتيناه[6] بالمصحف، قال[7]: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة، وهو يبكي ثم قال: ينبغي لصاحب هذا الكلام ألا يعصى [٦١آ] فأسلم وحملناه معنا، وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن. فلما جن الليل علينا، أخذنا مضاجعنا[8] فقال: يا قوم، إن[9] الإله الذي دللتموني عليه أينام[10]؟ قلنا[11]: لا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم[12] لا ينام. قال: فعجبنا من كلامه. فلما قربنا من عبادان أعطيناه دراهم[13] وقلنا له: أنفقها. قال: دللتموني[14] على طريق لم تسلكوه، أنا كنت في جزيرة[15] أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني فكيف الآن وقد عرفته. فلما كان بعد أيام أتاني آتٍ فقال لي: إنه يعالج سكرات الموت. قال[16]: فجئته فقلت[17]: ألك حاجة؟ فقال: قد قضى حوائجي من عرفتموني[18] به. فبينما[19] أنا أكلمه إذ غلبتني عيناي، فنمت، فرأيت في المنام روضة، وفي الروضة قبة فيه سرير وعليه جارية[20] أجمل من الشمس تقول: سألتك بالله عجل علي به، فأنتبهت فإذا هو قد مات[21]، فجهزته لقبره ثم رأيته في المنام في القبة والجارية إلى جانبه[22] وهو يتلو ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ

---

(١) في (م) و(ع): «هذا».
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «فهل».
(٤) في الأصل: «عنكم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «ترك عندنا كتاب الملك».
(٦) في (م) و(ع): «قال فأتيناه».
(٧) في (م) و(ع): «فقال».
(٨) في (م) و(ع): «فلما جنّ الليل صلينا وأخذنا مضاجعنا».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «أينام إذا جنّه الليل».
(١١) في (م) و(ع): «فقلنا».
(١٢) في الأصل: «وعبدكم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) عبارة «فلما قربنا.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما قدمنا عبّادان جمعنا له دراهم وأعطيناها له». وعَبّادان جزيرة في فم دجلة؛ لأنها تتفرق عند البحر فرقتين عند قرية، ففرقة تذهب إلى جهة اليمين يركب فيها إلى بر العرب ناحية البحرين وغيرها، وفرقة إلى جهة اليسار يركب فيها إلى نواحي فارس. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٩١٣، ٩١٤.
(١٤) في (م) و(ع): «لا إله إلا الله دللتموني».
(١٥) في (م) و(ع): «في جزيرة في البحر».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «وقلت».
(١٨) في (م) و(ع): «عرفتني».
(١٩) في (م) و(ع): «فبينا».
(٢٠) عبارة «فيه سرير.. إلخ»، في (م) و(ع): «وفيها سرير عليه جارية».
(٢١) في (م) و(ع): «فإذا به قد مات رحمه الله».
(٢٢) عبارة «إلى جانبه»، في (ع): «الجنبه».

بَابٍ ﴿٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1]» شعر[2]:

سَلام على الدَّار التي لا تَزُورُها[3] ... على أنَّ هذا القلب فيه أسِيرُها

إذا ما ذَكَرْنا طِيبَ أيَّامِنا بها ... تَوقَّد في نفسي الذُّكور سَعيرها[4]

رَحَلْنا وفي سِرِّ القُلوب[5] ضَمائِرٌ ... إذا هَبَّ نَجْدِيّ الصَّبا يَسْتَيشِرها[6]

مَحَتْ بَعْدكم تلك العُيون بُكاؤها ... فَهَلْ مِنْ عيونٍ بَعْدها نَسْتعيرُها [٦١ب]

إذا كَتَبَتْ أنْفاسُه بعض وَجْدِها ... على صفحة الذِّكْرَى مَحَاهُ زَفِيرُها

سَقَى اللّه أيَّاماً مَضَتْ ولَيَالِياً ... تَضَوَّعَ رَيَّاهَا[7] وفَاحَ عَبِيرُها

[بحر الطويل]

إخواني ردوا شوارد النفوس إلى وادي الزهد ففيه مرعى خصيب، لا تُخرجوها حتى تظهر شمس الورع فهي إذ ذاك تطيب، إياكم وأرض الشهوة[8] فكل سهلها قليب، أيها العاصي لو أنكشف من[9] بصيرتك رمد[10] الغفلة لرأيت العجب العجيب، يا مسجوناً في سجن أرباب الجرائم ما أرى لك في الخلاص[11] من نصيب، إذا لم تهزك مطربات التشويق ليت شعري بماذا تطيب، عزمك فيه ضعف[12] وسمعك فيه طرش وقلبك فيه قساوة وبصرك عليه ظلمة قل لي ماذا يفعل الطبيب، إذا كان الشقاء في أصل الفطرة فصاحبه يدعى فلا مجيب، من الحماقة طيب العيش في السجن[13] وكيف عساه يطيب، من فرح بحاصل الدنيا رده يوم القبر وبقي

---

(١) سورة الرعد، آية ٢٣ ـ ٢٤، في (م) و(ع): «﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لابن الجوزي، انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ١/ ٤٢٣.

(٣) في (م) و(ع): «نزورها».

(٤) عبارة «الذّكور سعيرها»، في (م) و(ع): «الشجي زفيرها».

(٥) في (م) و(ع): «الفؤاد».

(٦) في الأصل: «إذا ذهب نجدي الصبا يسترها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) تَضَوُّع الريح: تفرُّقها وانتشارها وسطوعها. والريَّا: الريح الطيبة. ابن منظور، اللسان، «ضوع»، ٨/ ٢٢٩، و«روي»، ١٤/ ٣٥٠.

(٨) في (م) و(ع): «الشهوات». (٩) في (م) و(ع): «عن».

(١٠) الرّمد: وجع العين وانتفاخها. ابن منظور، اللسان، «رمد»، ٣/ ١٨٥.

(١١) في الأصل: «ما أرى لكم في الإخلاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «وضعف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) السجن أي الدنيا، وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث (١/ ٢٩٥٦)، ٤/ ٢٢٧٢.

عليه محاسبة الحسيب، من أدام الفرح بالفاني[1] فحزنه طويل في القبر[2] وهو كئيب، فأهلاً بقلوب المخلصين جعلوا الإخلاص عليهم وكيلا[3]، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى[4]: «أرقت ذات[5] ليلة من [٦٢أ] الليالي، فرمت السكون فلم أجده[6]، فأجتهدت جهدي في قضاء ورد كان علي[7] فلم أقدر، ثم حرصت على تلاوة القرآن فلم أقدر[8]، ووقع في نفسي[9] انزعاج عظيم، فأخذت ثوبي على كتفي وخرجت وكان آخر الليل، فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان[10] ملتف في عباءة فرفع رأسه وقال: إلى الساعة! فقلت: سيدي هل من وعد تقدم[11]؟ قال: لا. قلت: وما ذلك؟ قال[12]: سألت[13] محرك القلوب أن يحرك لي قلبك. قلت[14]: قد فعل ﷻ[15] فهل من حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ فقال: يا[16] أبا القاسم، متى يكون داء النفس دواها؟ قلت[17]: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها[18]. قال: فتنفس ثم قال[19]: لقد جاوبتها[20] بهذا الجواب سبع مرات وهي تقول: لا، إلا أن[21] أسمعه من الجنيد، فقد سمعته منك. ثم مضى فما رأيته بعد ذلك». شعر[22]:

يـا صَـاحِ إنَّ الـرَّبْـع قـد أنْـكَـرْتُـه	لـمَّـا تَـنَـكَّـرَ بـعـدهـم وجَـهِـلْـتُـه
فَـوَجَـدْتُ فـيـه نـسـيـم نَـشْـرِ أَحِـبَّـتـي	والإثْـر مِـن أَقْـدامِـهـم[23] قَـبَّـلْـتُـه

---

(١) في الأصل: «على الفاني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «في القبر» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «كفيلا».
(٤) في (م) و(ع): «قال الجنيد». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٥٠٤.
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «فلم أجده»، في (م) و(ع): «فما وجدته».
(٧) في (م) و(ع): «لي».
(٨) عبارة «ثم حرصت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «ووقع فيَّ».
(١٠) في الأصل: «في إنسان»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «سيدي أمن وعد تقدم».
(١٢) عبارة «قلت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «ولكن سألت».
(١٤) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٥) عبارة «سبحانه وتعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) عبارة «فقال: يا»، في (م) و(ع) «قال».
(١٧) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٨) عبارة «صار داؤها دواها» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «ثم قال»، في (م) و(ع): «وقال».
(٢٠) عبارة «لقد جاوبتها»، في (م) و(ع): «لقد أجبتها الليلة».
(٢١) عبارة «إلا أن»، في (م) و(ع): «أو».
(٢٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٣) في الأصل: «أقدامكم»، والتصويب من (م) و(ع).

ولقد عَزَمْتُ على الرَّحيل ورُمْتُه ... يا صَاحِ لولا أنني ٱسْتَنْشَقْتُه
وكَحَّلْتُ طَرْفي من سَحِيق تُرابِه ... فكأنني بالغَائبين[1] كَحَلْتُه
وسَأَلْتُه[2] عن أهله فأجَابَني ... عنه الغُراب فلَيْت ما ٱسْتَخْبَرْتُه
ماتوا ومنهم من تَشَتَّت شَمْله ... فَصَرَخْتُ مما قَاله[3] وأجَبْتُه
لا كنْتَ ويحك مِن غُراب مُخْبِرٍ ... عَمَّا سُئِلْت[4] بِضِدِّ ما أَمَّلْتُه [٦٢ب]
لم أنس يوم رَحِيلهم ما نَالَني ... وجَرَى عليَّ لِفقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُه
لا تَتَّهم[5] قلبي فما قَلْبي معي ... القَلْب[6] عند خِيَامِهم خَلَّفْتُه
لا أعتب الأقْدار في تَشْتِيتِها ... نَال المُنَى غَيْري بِكُم وحُرِمْتُه

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لم يكن في ملكه وملكوته إلا ما يريد، صرف أقداره كما شاء[7] فهذا شقي وهذا سعيد، قيد العقول بقيد أوثق من قيد الحديد، كنفه[8] باللطف عن العدول إلى ساحة التكييف كما يفعل بالعبيد[9]، قهر الكل عزه وأذلهم قهره فٱستوى[10] فيه الغوي والرشيد، كم له[11] على باب الدجى من مطرود وكم على فراش النوم من محبوب فهذا قريب وهذا بعيد[12]، بنفس يرحم وبه يعذب فإن[13] أردت كشفه قطع منك الوريد[14]، همتك في الشهوات وتريد مرافقة الجنيد وأبي يزيد[15]، هيهات غلب عليك[16] الحرمان ما على شقائك من مزيد، إذا كان العمر في ٱنتقاص والموت في إقبال فأين النوح والتغريد، بينما[17] أنت في

---

(1) في (م) و(ع): «بالعانتين».
(2) في (م) و(ع): «وسألت»، وهو تصحيف.
(3) في (م) و(ع): «قال لي».
(4) عبارة «عما سُئلت»، في (م) و(ع): «لما أجبت».
(5) في (م) و(ع): «تتهموا»، وهو تصحيف.
(6) في الأصل: «والقلب»، والتصويب من (م) و(ع).
(7) في (م) و(ع) زيادة: «وكيف شاء».
(8) كَنَفَه عن الشيء: حجزه عنه. ابن منظور، اللسان، «كنف»، ٣٠٨/٩.
(9) أي: تكيفت العقول على ما قدّر الله تعالى من أقدار، وذلك لما جاء في حديث رسول الله ﷺ، فعن عمران بن حُصَين ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله أيُعرف أهلُ الجنة من أهل النار؛ قال: نعم، قال: فلِمَ يعمل العاملون؟ قال: كلٌّ يعمل لِمَا خُلِق له أو لما يُسِّر له». البخاري، الصحيح، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله... إلخ، رقم الحديث (٣)، ٢٢٠/٨.
(10) في (م) و(ع): «واستوى».
(11) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(12) في (م) و(ع): «وذاك بعيد».
(13) في (م) و(ع): «فإذا».
(14) الوريدان: عِرقان في العنق. ابن منظور، اللسان، «ورد»، ٤٥٩/٣.
(15) هو أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى.
(16) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(17) في (م) و(ع): «بينا».

أمل[1] جديد جاءك من[2] الموت عتيد، لا يرحم من بكى من رضيع ولا وليد، وبعده أهوال في يوم مدى حسراته مديد، حذرنا من هوله من جعله للوعد والوعيد[3]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[4].

إخواني إياكم والأنس بما عنه ترحلون، عليكم بمرافقة من برفقه ترتفقون، [٦٣أ] إذا استوحشتم في ديار الغفلة فتذاكروا الحبيب فبذكره تأنسون[5]، مهر الآخرة قطرة دمع ومخالفة ما تشتهون، ومهر الدنيا عمر في شقاء في برها تهلكون أو في بحرها تغرقون[6]، إذا أمهلك القضاءفلم تنتبه فعلامة ردته[7] عند المنون، ما تعلف الشاة براً لها بل لأمر تشتهون، بينما[8] العلف ينقى لها إذا هي مجزورة ما[9] تعتبرون، ويحك في هوى الفاني تفنى ما هذا هوى هذا جنون[10]، تأملون ما لا تملكون وتعمرون ديار الفناءوديار الآخرة تخربون، تجمعون ما لا تأكلون وستفجعون فيما تجمعون، ما أمرّ[11] كاس الحساب لو تعلمون، وبين[12] أيديكم أهوال هولها شديد، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

قيل[13]:

---

(١) في (م) و(ع): «أملك». (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) أي رسول الله ﷺ، وأحاديثه في الترغيب في الجنة وأعمالها الموصلة إليها، والترهيب من النار وأعمالها، كثيرة منثورة في كتب الحديث.

(٤) سورة الحج، آية ١ ـ ٢.

(٥) في (م) و(ع): «إذا استوحشتم في ديار الغربة فبذكر الحبيب تأنسون».

(٦) عبارة «في برها.. إلخ»، في (م) و(ع): «في بر تسكنون أو في بحر تغرقون».

(٧) عبارة «فعلامة ردته»، في الأصل: «مرديه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «بينا». (٩) في (م) و(ع): «أما».

(١٠) في الأصل: «ما هذا جنون»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «مر»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «فبين».

(١٣) القصة أخرجها أبو نعيم في الحلية، ٢/٨١، عن مخلد بن يزيد عن نوفل بن عبد الله عن الضحاك. وقد علق الذهبي على هذه القصة في سير أعلام النبلاء، ٤/٢٧، فقال: «وهذا سياق منكر لعله موضوع». ويغني عنها ما ورد في صحيح مسلم؛ فعن أُسَيْر بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أوَيْس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُرادٍ ثم من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك بَرَص فبرأتَ منه إلا موضع دِرْهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد، ثم من قَرَن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: =

أقام عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[(١)] يطلبان أويساً[(٢)] عشر سنين. فلما كان في آخر السنة التي مات[(٣)] فيها عمر رضي الله عنه[(٤)] قام على جبل أبي قبيس[(٥)] فنادى بأعلى صوته وقال[(٦)]: يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس؟ فقام إليه[(٧)] شيخ كبير طويل اللحية[(٨)] فقال: أنا لا أدري من أويس[(٩)]، ولكن ابن أخ لي يقال له: أويس، وهو أخمل ذكراً، وأقل مالاً، وأهون أمراً من أن[(١٠)] أرفعه إليك، وإنه يرعى[(١١)] إبلنا، وهو[(١٢)] حقير بين أظهرنا. فعمى عليه عمر رضي الله عنه[(١٣)] كأنه لا يريده، فقال[(١٤)]: ابن أخيك هذا قريب هو منا أو بعيد[(١٥)]؟ قال: نعم قريب[(١٦)]. [٦٣ب] قال: وأين[(١٧)] يصاب؟ قال: بإزاء[(١٨)] عرفات. قال: فركب عمر وعلي رضي الله عنهما سراعاً إلى عرفة[(١٩)] فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة وإبله ترعى[(٢٠)]، فشدا حماريهما ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فخفف أويس الصلاة، ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته. ثم[(٢١)] قالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم. قالا: لسنا نسأل عن

= أين تريد؟ قال الكوفة، قال: ألا أكْتُب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبّ إليّ، قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت قليل المتاع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد ثم من قَرن، كان به برص فَبَرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فأتى أويساً فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه. قال أُسَيْر: وكَسَوْتُه بُرْدَة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البُرْدَة؟». مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، رقم الحديث (٢٢٥/٢٥٤٢)، ١٩٦٩/٤.

(١) عبارة «أقام.. إلخ»، في (م): «أقام عمر وعلي رضي الله عنهما»، وفي (ع): «أقام عمر وعلي».

(٢) هو أويس بن عامر بن جرير بن مالك القَرَني اليمني العابد، كان من جُلة التابعين ومن أولياء الله الصادقين، اختلفوا في سنة وفاته فقيل: إنه توفي زمن عمر رضي الله عنه، وقيل: إنه استشهد في معركة صفين وهو يقاتل في صفوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ابن الجوزي، الصفة، ٤٣/١. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢٧٨/١.

(٣) في (م) و(ع): «هلك».

(٤) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (ع): «قام على أبي قبيس». وأبو قبيس جبل مشرف على مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٠٦٦/٣.

(٦) كلمة «وقال» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «طويل اللحية» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «إنَّا لا ندري ما أويس».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ليرعى».

(١٢) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وقال».

(١٥) عبارة «قريب.. إلخ»، في (م) و(ع): «قريب منا هو».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فأين».

(١٨) في (م) و(ع): «بأراك».

(١٩) في (م) و(ع): «عرفات».

(٢٠) في (م) و(ع): «وإبله حوله ترعى».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

الرعاية ولا عن[1] الإجارة، ما ٱسمك؟ قال: عبد الله. قالا: قد عرفنا[2] أن هذا ٱسم من في السمٰوات ومن في[3] الأرض كلهم عبيد الله تعالى، فما ٱسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: يا[4] هذان ما تريدان من ذلك[5]؟ قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني، فقد عرفنا الصهوبة والسهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيمن[6] لمعة بيضاء فأوضحها لنا، فإن كانت بك فأنت هو. فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فٱبتدرا يقبلانها[7]، فقالا[8]: نشهد أنك أويس القرني فٱستغفر لنا يغفر الله لنا ولك[9]. قال: ما أخص بٱستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه لمن[10] في البر والبحر[11] من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فمن أنتما يا هذان فقد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري[12]؟ فقال علي رضي الله عنه[13]: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب. فٱستوى أويس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابن أبي[14] طالب، فجزاكما الله خيراً عن هذه الأمة[15]. قالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك [٦٤أ] خيراً. فقال عمر رضي الله عنه[16]: مكانك يرحمك الله[17] حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، وهذا المكان الميعاد[18] بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، لا أراك بعد اليوم تعرفني، و[19]ما أصنع بالنفقة و[20]ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى نعلي مخصوفتين[21] متى تراني أبليهما! أما تراني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها! يا[22] أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك[23]

---

(١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «علمنا».
(٣) عبارة «من في» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) عبارة «من ذلك»، في (م) و(ع): «إلي».
(٦) في (م) و(ع): «الأيسر»، إلا أن ما رُوي من أحاديث في هذا الشأن لم تُشِر إلى الجانب الذي بقي فيه أثر البرص.
(٧) في (م) و(ع): «يقبلانه».
(٨) في (م) و(ع): «وقالا».
(٩) في (م) و(ع): «يغفر الله لك».
(١٠) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م): «في البحر والبر».
(١٢) عبارة «فمن أنتما.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا هذان قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما».
(١٣) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «فجزاكما.. إلخ»، في (م) و(ع): «كذلك فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً».
(١٦) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «ميعاد».
(١٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) خَصَف النعل يخصفها خَصْفاً: ظاهَرَ بعضها على بعض وخَرزَها. ابن منظور، اللسان، «خصف»، ٩/ ٧١.
(٢٢) في الأصل «بد»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «وبين يديك».

عقبة كؤوداً[١] لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول، فخفف رحمك الله تعالى[٢]. فلما سمع عمر مقالته[٣] ضرب بيده الأرض وقال منادياً بأعلى صوته: ألا ليت أم عمر لم تلده، ألا[٤] ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها. ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا[٥] حتى آخذ أنا هاهنا[٦]، فولى عمر رضي الله عنه[٧] ناحية مكة، وساق أويس رحمه الله[٨] إبله فوافى القوم بإبلهم[٩] وخلى عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم، آمين آمين يا رب العالمين[١٠]» شعر[١١]:

خُذْ شَامَةَ البَان من نعْمان والسَّمرُ[١٢] ... فليس في الوَطنَ المَهْجُور[١٣] من وطر

بَانُوا بزهر النُّجُوم الطَّالِعَات فما[١٤] ... في الرَّبْع من مَعْنًى ولا في الرَّوْض من زَهر

وأيّ نُور يَشيم[١٥] العَيْن من طَلَلٍ ... أمْسَى خَلاءً بلا نَجْم[١٦] ولا قَمَر[١٧]

صَاحَ الغُراب بهم للبَيْنَ[١٨] فَافْتَرَقُوا ... طوْع النَّوى ليت لم يَنْعق[١٩] ولم يَطر

ومِن جُفُوني دِمَاءٌ للغُراب[٢٠] ولم ... يَحْكُم على النَّوى إلا يَد الغَدر [٦٤ب]

يا هذه طال تِسْهادي وأقْصر عن ... هَذْل اللَّواحي[٢١] فما في الليل من قِصَر

---

(١) عقبة كؤود: شاقة المصعد، صعبة المُرْتقى. ابن منظور، اللسان، «كأد»، ٣/ ٣٧٤.

(٢) في (م) و(ع): «يرحمك الله».

(٣) في (م) و(ع): «كلامه».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «من هاهنا».

(٦) في (م) و(ع): «من هاهنا».

(٧) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «إبلهم».

(١٠) عبارة «رضي الله عنهم.. إلخ» ساقطة في (م)، وعبارة «عز وجل.. إلخ» ساقطة في (ع).

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «السهر»، والتصويب من (م) و(ع). ونعمان: هو نعمان الأراك وهو بين مكة والطائف، ونعمان وادٍ سكنه بنو عمرو بن الحارث بين أدناه ومكة نصف ليلة، ونعمان أيضاً: حصن من حصون زبيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٩٣. والسَّمُر جمع السَّمُرة، بضم الميم، من شجر الطلح. ابن منظور، اللسان، «سمر»، ٤/ ٣٧٩.

(١٣) في الأصل: «المجهول»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «فيما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «تشيم». وشمت مخايل الشيء: إذا تطلعت نحوها ببصرك منتظراً له. ابن منظور، اللسان، «شيم»، ١٢/ ٣٣٠.

(١٦) في الأصل: «أنجم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «زهر».

(١٨) في الأصل: «للحين»، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «ينعب».

(٢٠) عبارة «دماء للغراب»، في الأصل: «ماء للفرات»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في (م): «عذل اللواحي»، وفي (ع): «عدل اللواحي».

وخَانَني كلّ خِلٍّ[1] كنتُ آمُل أنْ | أَلْقَى به الخَطْبَ حتى خَانَ مُصْطَبري
فما تُريد[2] العِدَى مِنّي وما لهم | عندي[3] وليس عليهم في الهوى ضَرَري
إنْ كان فَرطُ جُنوني فيك عندهم | ذَنْبي فما أنا مِن ذَنْبي بمُعْتَذِر
قَدْ جُنَّ مَنْ هو مِن[4] عَقْلٍ على ثِقَةٍ | فكيف مَنْ هو في جَهْل على خَطَر
لولاك ما ٱبْتَاع بالعقل[5] الجنون بكم | قلبي ولا بَاعَ طَرْفي النوم بالسَّهر
ولا وَقَفْتُ على أطْلال دَارِكُم | أبْكِي وأُتْبِعُ بَعْدَ العَيْن بالأثَر

[بحر البسيط]

يا عجباً[6] ما في المجلس أُذُنٌ معي[7]، يا أهل الأحزان أين من يبكي معي، أين الذين تلهَّفوا على فوات المطلوب[8] بالأدمع، أين أسماع[9] العارفين أين من يسمع أين من يعي، كأنّي بالغافل وقد[10] طلعت عليه الشمس فما[11] غربت حتى نعي[12]، يا عروس التوبة إذا لم تجدي خطَّاباً فتبرقعي، يا نفحة الأحباب سيري بأنفاس المحبين وتضوَّعي[13]، يا ريح القبول قبّلي[14] قلب المشوق ولأشواقه[15] تفجَّعي، يا من أعماه الهوى فٱستوى عنده من نَعِيَ ومن نُعي، كم دعاك داعي المشيب ويحك فلم تسمع[16]، غرّك فضاء[17] الفناء وما لك إلا ثلاثة أذرع، شبابك بالقوى عامرة وجاء المشيب بالخراب البلقع، ما ينفع الحزن على الفائت ولا تفجُّع المتفجّع[18]، إذا فاتك المجلس[19] فما لك في رفاق التّائبين من[20] مطمع، فقل لها ويحك أقصري وٱرجعي، الشَّيب والعيب والتسويف فَعُدْ [٦٥أ] ويحك عنهم ودع، أسبل

---

(١) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «فيما يريد»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «نفعي».
(٤) في (م) و(ع): «في».
(٥) في الأصل: «في العقل»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «واعجبا».
(٧) في (م) و(ع): «تعي».
(٨) عبارة «على فوات المطلوب»، في الأصل: «عن المطلوب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م): «سماع».
(١٠) كلمة «وقد» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «وما».
(١٢) في الأصل: «يعي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «وتضرعي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «قلبي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «وبأشواقه»، وهي من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «ويحك.. إلخ»، في (م): «فلم تعِ».
(١٧) في الأصل: «قضاء»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) عبارة «ولا تفجع المتفجع»، في (م) و(ع): «ولا توجع المتوجع».
(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «ولم تتب».
(٢٠) الكلمة ساقطة في (ع).

ويحك عبرات الأسف وقل[1] بكى بعضي على بعضي معي، دموع الحسرات في الآخرة تذيب الحديد، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

ضل قوم في السفر[2] عن الطريق، فٱسترشدوا راهباً قد[3] أشرف من صومعته فقالوا: أين الطريق؟ فأشار بيده إلى السماء. فقالوا: إنا سألناك عن الطريق أفتجيبنا[4]. قال: سلوا ولا تُكثروا، فإن النهار لن يرجع، والعمر لن[5] يعود، والطالب حثيث[6]. فقالوا: أوصنا[7]. قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ[8] البغية. ثم أرشدهم إلى المحجة[9] وأدخل رأسه في صومعته[10]. شعر[11]:

يا صَاحِبَيَّ[12] أَطِيلا في مُؤَانَسَتي ... ونَاشِدَاني[13] بِخِلَّاني وعُشَّاقي
وحَدِّثَاني حَدِيث الخَيْفِ[14] إنّ به ... رَوْحاً لِقَلْبي وتَسْهيلاً لأخلاقي
ما ضَرَّ ريح الصَّبا لو نَاسَمَت[15] حُرَقِي ... فٱسْتَنْقَذَت مُهْجَتي مِن أَسْرِ أَشْواقي
دَاءٌ تَقَادَم عندي مَنْ يُعَالجُه ... وحَيَّةٌ لَدَغَتْ قَلْبي مَن الرَّاقي
يمضي الزَّمان وآمالي مُضَيَّعَة[16] ... ممن أُحِب على مَطْلٍ وإِمْلَاق[17]
واضَيْعَة العُمر لا[18] الماضي ٱنْتَفَعْتُ به ... ولا حَصلْتُ على شيء[19] من الباقي

[بحر البسيط]

---

(١) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «ضل سفر».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «إنّا سائلوك أفتجيبنا».
(٥) في (م) و(ع): «لا».
(٦) أي أن ملك الموت لا يفتأ يحثُّهم ويستعجلهم باتصال.
(٧) عبارة «فقالوا: أوصنا»، في (م) و(ع): «قالوا فأوصنا».
(٨) في (م) و(ع): «يبلغ».
(٩) المحجَّة: الطريق. ابن منظور، اللسان، «حجج»، ٢/٢٢٨.
(١٠) القصة ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد، ٣/١٢٤.
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للحسن بن علي بن عبد الله بن محمد، أبو علي (ت٥٥١هـ - ١١٥٦م). انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٤/٧.
(١٢) في (م) و(ع): «صاحباي».
(١٣) في الأصل و(م): «وأنشداني»، والتصويب من (ع).
(١٤) في الأصل: «وحدثني حديث»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «سمعت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «وآمالي مضيعة»، في (م) و(ع): «وأيامي مصرمة».
(١٧) الإملاق: الافتقار. ابن منظور، اللسان، «ملق»، ١٠/٣٤٨.
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «علم».

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه ترجع الأمور، سبق القبل وجوده ومن سواه[1] غير موجود ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[2]، جعل العالم صوراً كالخيال يحرِّكها[3] بخيوط أقدار خفيت عن الظهور، ضرب دونها حجاب العجز [٦٥ب] فلا يفهم سرَّها الناظر ولا المنظور، هي أموات في الحقيقة وحركتها إلى الوجود زور[4]، فعند كشف الغطاء يعلم أن لا فاطر[5] سواه وما[6] سواه مفطور، إن ادَّعى الكسب فبدعواه وكيف يدَّعي الكسب من هو مقهور[7]، بعوضة قتلت نمروذ فإذا هو[8] على أرض الموت يخور، أين فرعون وهامان وقارون في مهواة[9] الخسف يدور، أين عاد وثمود ومن كان في ملكه يعدل و[10]يجور، كم أمَّلوا المقام على قنطرة الدنيا أما علموا أنَّها للعبور، خذلهم حسام الحمام فإذا هم في ظلمة القبور[11]، عمرت بهم قبورهم وخربت من أوانسهم القصور، نسوا سرعة الصَّرعة[12] أما[13] علموا أنَّ الدوائر تدور، ويا أطروش[14] الغفلة ويا مقيَّداً بالشهوات[15] يا مأسور، هذا المشيب غيَّر قواك وقد حدثت بعد الأمور أمور، ستبكي والله بدموع الحسرات لو أرسلت فيها سفن[16] كانت تمور[17]، بكاء حيث لا ينفع وكيف يسعى إلى نيل مراده مكسور، فيا معشر[18] المذنبين أسقوا دِمَنَ الهرم بعزائم ماء التوبة قبل أن تغور[19]، كم ناداكم المولى

---

(١) عبارة «ومن سواه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) قوله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الملك، آية ٣. والمعنى: اردد طرفك إلى السماء هل ترى من شقوق وخلل ووهن. القرطبي، الجامع، ٢٠٨/١٨.

(٣) في (م) و(ع): «يحركهم».

(٤) في (م) و(ع): «هي موات في الحقيقة وحركاتها إلى الموجود زور». وقوله: هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۞ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١ ـ ١٢].

(٥) فطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبدأهم. والفِطْرة: الابتداء والاختراع. ابن منظور، اللسان، «فطر»، ٥٦/٥.

(٦) في (م) و(ع): «من».

(٧) عبارة «من هو مقهور»، في (م) و(ع): «مقهور». والمعنى: مقهور بالموت.

(٨) في (م) و(ع): «به».

(٩) المَهْواة: موضع في الهواء مُشْرِفٌ ما دونه من جبل وغيره، والمَهْوى والمَهْواة ما بين الجبلين ونحو ذلك. ابن منظور، اللسان، «هوا»، ٣٧٠/١٥.

(١٠) في (م) و(ع): «أو».

(١١) في (م) و(ع): «فإذا بهم في ظلمات القبور».

(١٢) الصَّرْع: الطرح بالأرض. ابن منظور، اللسان، «صرع»، ١٩٧/٨. والمقصود بها هنا الموت.

(١٣) في (م) و(ع): «ما».

(١٤) في (م) و(ع): «فيا مطروش».

(١٥) في (م) و(ع): «بالشهوة».

(١٦) في (م) و(ع): «سفينة».

(١٧) في الأصل: «قصور»، والتصويب من (م) و(ع). ومار يمور موراً: إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد. ابن منظور، اللسان، «مور»، ١٨٦/٥.

(١٨) في (م) و(ع): «يا معاشر».

(١٩) في (م) و(ع): «يغور». وغار الماء غوراً: ذهب في الأرض وسَفَل فيها. ابن منظور، اللسان، «غور»، ٣٤/٥.

ولكن[1] لا تسمعون، وكيف يسمع النداء محضور[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[3]، فسبحان من يقضي ولا يقضى [٦٦أ] عليه و[4]هو في قضائه لا يجور، أحمده حمداً أنال به الفوز[5] يوم النشور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة على تحقيقها أحوم وأدور، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله جابر شعب الإيمان بعد أنْ كان مكسور، صلى الله عليه[6] وعلى آله وأصحابه أنهار العلم بل البحور.

ويحك بعد المشيب تلهو يا من قلبه قد مات، ظاهرك أبيض نقيٌّ[7] وقلبك أظلم من الظُّلمات، كم لك تجمع الذنوب ويحك متى تجمع[8] الحسنات، أمتلأ بك الدستور بما[9] فيه من الحسرات، ما[10] تقول عند قراءته أو إذا جاءتك السكرات، يا من نزل عن شاهق الأربعين أما تندم على ما فات، قد آن وقت الرَّحيل فلا كانت التَّبعات، ويحك بلذَّة ساعة ضيَّعت عمرك بالغفلات، ولَّى زمان الصِّبا وكأنَّك بالهرم آت، لا كان زمان الهجران و[11] لا كان وقت[12] المخالفات، تبني وتجمع كأنَّك باقٍ[13] هيهات، لو كان عقلك موفوراً[14] لازمت الوقوف بالباب أتمَّ الملازمات، أملك في الهند وكفنك في صندوقك[15] فكم في الأفراح من آفات، لمَّا أعتراك خناق المشيب[16] وذات جنب الهرم[17] أقبلت تطلب المداوات، ضيَّعت باقي العمر لمَّا أنقطعت زاوية الشباب يا من أنقطعت[18] عنه السعادات، يا مكسور الخطايا هذا شعاب التوبة بادر قبل الوفاة[19]، وتحدث بعد الأمور أمور، [٦٦ب] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[20].

---

(١) في (م) و(ع): «ولكنكم».

(٢) في (م) و(ع): «وكيف يسمع ذاهب العقل مخمور». والعرب تقول: اللبن محتضر ومحضور؛ أي كثير الآفة، يعني يحتضره الجن والدواب وغيرها. ابن منظور، اللسان، «حضر»، ١٩٩/٤. والمعنى: كيف يسمع الوعظ ويستجيب لندائه من تلبّسته الشياطين، فأبعدته عن الصراط المستقيم، وزينت له الدنيا الزائلة، فسكر بزخارفها الباطلة، وعمي عن الحق وأهله.

(٣) سورة لقمان، آية ٣٣، وفي (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]».

(٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الأجر».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «ظاهرك نقي أبيض».

(٨) عبارة «ويحك متى تجمع»، في (م) و(ع): «أما تجمع».

(٩) في (م) و(ع): «ماذا».

(١٠) في (م) و(ع): «ماذا».

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «زمان».

(١٣) عبارة «كأنك باق» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «موقوفاً». والموفور: الشيء التام. ابن منظور، اللسان، «وفر»، ٢٨٨/٥.

(١٥) في (م) و(ع): «الصندوق».

(١٦) في (م) و(ع): «الشباب».

(١٧) الجَنب: القُرب. وذات الجَنب يعني الذي يَقْرُب منك ويكون إلى جنبك. ابن منظور، اللسان، «جنب»، ٢٧٥/١، ٢٧٦.

(١٨) في (م) و(ع): «ولّت».

(١٩) في (م) و(ع): «الفوات».

(٢٠) الآية في (م) و(ع): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]».

قال حمَّاد[1] رحمه الله تعالى: «كانت ٱمرأة من المتعبِّدات لها أيتام فوكف[2] السَّقف عليها[3] في يوم مطر فسمعتها تقول: يا رفيق إرفق بي فسكن المطر، فأخذت عشرة دنانير وحملتها إليها، فقالت صبية من الأيتام عليها مدرعة من[4] صوف: لا[5] حمَّاد، لا تتعرَّض بيننا وبين ربنا ﷻ[6]، ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنَّه لمَّا شكونا[7] مولانا أنَّه سيبعث لنا[8] الدنيا ليطردنا عن بابه، وألصقت خدَّها بالتراب متضرِّعة إلى الله ﷻ[9] ليرضى عنها» شعر[10]:

أَسَمَحْتَ أَنْ يَبْقَى الفُؤاد بِدَائِهِ	مِنْ بَعْدِ ما أَطْعَمْته بِدَوَائِه
أَوَعَدْتَه[11] بالوَصْل ثم تَرَكْته	حَيْرانَ بين مَطَاله وَوَفَائِه
أَوَمَا عَلِمْتَ بأَنَّ أَرْبَاب الهوى	أَسْرَى[12] لِفَرْط سَقَامِه وبَلائه
يا مَنْ يَتِيه على الوجود بحُسْنِه	إعْطِف على الصَّبِّ المَشُوق التَّائِه
أَضْحَى يخاف مِن ٱحْتِراق فُؤَادِه	أَسَفاً لأنَّك منه في سوْدَائه[13]

[بحر الكامل]

ما ألذ شراب وعظي، كل يوم أفتح دنّاً من فضِّ ختامه فأدير منه في أقداح العبارة على السامعين ما يخرجهم من الطرب إلى الوجد[14]، فلذلك تراهم سكارى يتواجدون؛ هذا مزَّق ثوبه لثوابه، وهذا رمى بطيلسانه[15] في طيِّ لسانه، وهذا يذكر محبوبه فيُشَاق إلى لقائه[16] [٦٧أ]

---

(١) في (م) و(ع): «قال حماد بن سلمة». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٥٠. وحماد: هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، يكنى أبا سلمة مولى لبني تميم. كان عالماً زاهداً فصيحاً مفوهاً إماماً في العربية صاحب سنة له تصانيف في الحديث، توفي سنة ١٦٧هـ ـ ٧٨٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٣٦١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.

(٢) في الأصل: «فوطف»، وهي من (م) و(ع). ووكف البيت: هطل وقطر، وكذلك السطح. ابن منظور، اللسان، «وكف»، ٩/ ٣٦٣.

(٣) في (م) و(ع): «عليهم».

(٤) الكلمة ساقطة في (ع).

(٥) في (م) و(ع): «يا».

(٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في(م) و(ع).

(٧) عبارة «أنه لما شكونا»، في (م) و(ع): «لما شكرنا»، وهو تصحيف.

(٨) في (م) و(ع): «إلينا».

(٩) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «واعدته».

(١٢) في الأصل: «أهوى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) البيتان الأخيران لمحمد بن إبراهيم بن ثابت، أبي عبد الله المصري الكيزاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ ـ ١١٦٦م. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٦١ ـ ٥٧٠هـ، ص١٣٤

(١٤) في الأصل: «الواجد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) الطيلسان: ضرب من الأكسية. ابن منظور، اللسان، «طلس»، ٦/ ١٢٥.

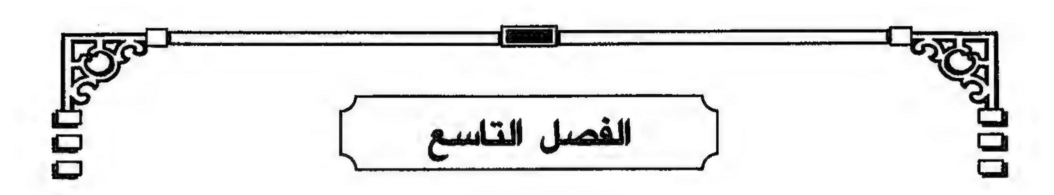
(١٦) عبارة «فيشاق إلى لقائه»، في (م) و(ع): «فيشتاق».

وهذا يرقص من الطرب، والحاسد وإبليس ما شربا منه قطرة، في كل مجلس يأخذ وعظي بمخانق إبليس فيبقى طريحاً[1]، بل في هذا المجلس أصابه سهم فهو ملقى على الباب لا يعقل.

إلٰهي إنْ لم أصلح للإصلاح فإنّي متوسّل[2] إليك بمن صلح وأصلح، إلٰهي إنّي متوسّل[3] إلى رحمتك[4] برحمتك، وإلى فضلك بفضلك[5]، وإلى لطفك بلطفك، الطف بنا في غربة[6] القبر إذا نسينا الذّاكرون برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[7].



(١) في الأصل: «طرحاً»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «أتوسل».
(٣) عبارة «إني متوسل»، في (م) و(ع): «أتوسل».
(٤) عبارة «إلى رحمتك» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «ظلمة».
(٧) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل التاسع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ظهر بالقدرة فلا تدركه[1] العيون، واحدٌ لا من عدد[2] جلَّ عن تصرُّف فعل كان أو[3] يكون، صمد صمدت[4] إليه الموجودات فأرزاقهم[5] في كفاية كفالته مدموج و[6]مضمون، خلق الأرواح قبل الأشباح بسر من الحكمة مصون[7]، أسكنها ظلم[8] الأحشاء لينفرد بالعزَّة ومن سواه بالهون، نشر روض[9] إيوان السَّماء على الفلك مرصعاً بالنجوم لنزهة العيون، فمنها[10] دلائل للمهتدي ورجوم للشياطين إذ[11] هم يسترقون، و[12]دحا الأرض على بحرٍ زاخِرٍ والبحر على صخرة والصخرة على النون[13]، فجَّر فيها أنهاراً وأنبت[14] منها حبّاً فمنه يأكلون[15]، أمر الكل بخدمته فخدامه[16] أعطاهم فوق ما يسألون، امتثلوا قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[17]، وقوم قيّدهم عن[18] بابه فهم في تيه الشَّقاءما يبرحون، صمَّت آذانهم وبعيون بصائرهم لا يبصرون، غلبت عليهم شهواتهم فهم على [٦٧ب] مجاهدتها لا ينصرون، كم لهم تحت اللُّحود من حسرات يودُّون لو[19] أنَّهم يرجعون، وبعد

---

(١) في (م) و(ع): «تماثله».

(٢) في الأصل: «مدد»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: يستحيل عليه سبحانه التجزئة في الذات والصفات.

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: يستحيل على الله ﷻ الحوادث التي يطرأ عليها العدم ثم تكون.

(٤) صَمَده صَمداً: قصده واعتمده. والصمَد: من صفاته تعالى وتقدَّس لأنه أُصْمِدَتْ إليه الأمور فلم يَقْضِ فيها غيره. ابن منظور، اللسان، «صمد»، ٢٥٨/٣.

(٥) في (م) و(ع): «فأرزاقها».

(٦) كلمة «ملموج و» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) قوله: «خلق الأرواح.. إلخ»، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٧٢/٣.

(٨) في (م) و(ع): «مظلم».

(٩) في (م) و(ع): «رواق».

(١٠) في (م): «ومنها»، وفي (ع): «فيها».

(١١) في (م) و(ع): «إذا».

(١٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) قوله: «ودحى الأرض.. إلخ»، رواية ذكرت في جامع القرآن للقرطبي، ٢٥٦/١، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] وهي من الروايات التي لا أصل لها، ولعلها من الروايات الإسرائيلية.

(١٤) في (م) و(ع): «فأنْبَت».

(١٥) في (م) و(ع): «منه تأكلون».

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(١٨) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

ذلك أهوال الحساب يا ليتهم لم[1] يخلقون، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

يا هذا من ٱنقطع في صحراء القبر بلا زادٍ هلك[3] هلاك الأبد، يا تائها في ظلمة هواه مالك بصيرة المرصد[4]، ويحك كم تحيد عن الجادَّة أرى في عينك الرَّمد[5]، أوقد مصباح التَّقوى فَتِيهُ الشَّقاء ما له[6] حدّ، ٱطلب رفقة التائبين عساك لطريقهم ترشد، من قاد زمام نفسه بالشهوة[7] لم ينتبه إلَّا على شفير النَّدم ولهيبٍ قد توقَّد[8]، نهار الخفَّاش كله ليل والفراش يحرق نفسه فشمله قد تبدَّد[9]، ٱندب على بعادك يا مطرود فمثلك من بكى وعدَّد[10]، ٱعتذر يا مهجور عساك بالذُّل تسعد، يا من مات قلبه وشمله بالمعاصي تبدَّد، قلب لا يقبل الموعظة قلب[11] رديّ ما أراه يسعد، كم لك على المعاصي من إصرار في كل يتجدَّد[12]، جسم عامر وقلب خراب وهو بالقساوة قد جمد[13]، ولَّى زمان الشباب في الغفلة وفي المشيب تعصي كأنَّك مخلَّد، أين من ملك من الملوك[14] وحصَّن الحصون وجنَّد، أين من صدر إلى القبور وبعد[15] ما ورد، فما منعهم من القضاء العَدد ولا العُدد[16] فتراهم في الحشر[17] كأس الأسف يشربون، ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قال أبو الحسن [٦٨] الفارسي رحمه الله تعالى[18]: «بلغنا أنَّ رجلا من أصحاب ذي النون المصري[19] أُصيب بغفلة، فكان يطوف ويقول: أين[20] قلبي؟ أين من وجد قلبي[21]؟

---

(١) في (ع): «لا».

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) في (ع): «للمرصد». والمرصد كالرَّصد وهو المراقبة، رصده رصداً ويرصده: يرقبه. ابن منظور، اللسان، «رصد»، ٣/ ١٧٧، ١٧٨.

(٥) عبارة «في عينك الرمد»، في (م) و(ع): «في عينيك رمد».

(٦) عبارة «ما له» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «بالأمل».

(٨) عبارة «ولهيب قد توقد»، في (م) و(ع): «ولهيبه قد وقد».

(٩) الخفَّاش: طائر يطير بالليل لأنه يَشُقُّ عليه ضوء النهار. والفَرَاش ما تراه كصِغار البَقّ يتهافت في النار. ابن منظور، اللسان، «خفش»، ٦/ ٢٩٩، و«فرش»، ٦/ ٣٣٠.

(١٠) بكى وعدَّد: أي جعل بكاءه ذا عدد.

(١١) في (م) و(ع): «جوهر».

(١٢) في (م) و(ع): «مجدد».

(١٣) في (م) و(ع): «تجمد».

(١٤) عبارة «من الملوك» في(م) و(ع): «الأموال».

(١٥) في (م) و(ع): «وبعدها».

(١٦) العَدد: أي كثرة الأنصار والأعوان، والعُدد ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

(١٧) في (م) و(ع): «المحشر».

(١٨) في (م) و(ع): «قال الحسن الفارسي»، والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٣٠.

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «آه أين».

(٢١) عبارة «أين من وجد قلبي» ساقطة في (م) و(ع).

والصبيان يتبعونه ويقذفونه بالحجارة فدخل يوماً[1] بعض سكك مصر، وقد هرب من الصِّبيان، فجلس يستريح ساعة إذ سمع بكاء صبيٍّ تضربه والدته ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً لا يدري أين يذهب وإلى أين يقصد، فلمَّا سكن ما به عاد ناكصاً على عقبيه[2] حتى رجع[3] إلى باب دار أمه[4]، فوضع خدَّه على باب[5] الدار، فذهب به النوم، ثم أنتبه فجعل يبكي ويقول: يا أمَّاه من يفتح لي الباب إذا غلقت بابك عنّي[6]؟ ومن يدنيني بعد أن غضبت[7] عليَّ؟ قال: فرحمته أمه فقامت[8] فنظرت من خلل[9] الباب، فوجدت ولدها والدموع تجري على خدِّه متمعّكاً[10] في التراب، ففتحت الباب[11] وأخذته ووضعته[12] في حجرها وجعلت تقبّله وتقول: يا قرَّة عيني و[13] يا عزيز نفسي، أنت الذي[14] حملتني على نفسك، وأنت الذي تعرَّضت لما حلَّ بك[15]، لو كنت أطعتني لم تر[16] مكروهاً. قال: فتواجد الفتى وصاح حتى أجتمع عليه الخلائق[17]، فقالوا: ما الذي أصابك؟ قال: وجدت قلبي، وجدت قلبي[18]. فلمَّا بصر بذي النون قال: يا أبا الفيض وجدت قلبي في سكَّة كذا وكذا عند فلانة سمَّاها[19]، ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك». شعر[20]:

هل مُنْقِذ[21] لأخ الهَوَى أو مُنْجِد … إنْ أتْهَموا بِفَرِيقهم أو أنْجَدُوا[22] [٦٨ب]

أوَ مَا هُم وَعَدُوا[23] بإبْعَاد النَّوَى … عند المقام فأين ذاك المَوْعِد

كَتَم الجَوى يوم الفِراق ودَمْعُه … فَوق الخُدُود على الصَّبَابة تَشْهَد[24]

---

(١) عبارة «والصبيان.. إلخ»، في (م) و(ع): «والصبيان قد وُلِعوا به يرمونه بالحجارة من كل جانب فقضى أنه دخل يوماً».

(٢) نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه. ابن منظور، اللسان، «نكص»، ٧/١٠١.

(٣) في (م) و(ع): «حتى إذا رجع».

(٤) في (م) و(ع): «والدته».

(٥) في (م) و(ع): «عتبة».

(٦) في (م) و(ع): «عني بابك».

(٧) عبارة «بعد أن غضبت»، في (م) و(ع): «إذا غضبت».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «ظل».

(١٠) مَعَكه في التراب يمعكه معكاً: دَلَكه، ومعَّكه تمعيكاً: مرَّغه فيه. ابن منظور، اللسان، «معك»، ١٠/٤٩٠.

(١١) عبارة «فوجدت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «حتى وضعته».

(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وأنت الذي قد تعرضت لما قد حل بك».

(١٦) في (م) و(ع): «تلق».

(١٧) في (م) و(ع): «الخلق».

(١٨) عبارة «وجدت قلبي» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «وسماها».

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «مسعد».

(٢٢) أتهموا: أي قصدوا تهامة، وأنجدوا: أي قصدوا نجداً.

(٢٣) في الأصل: «أو عادوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٤) في (م) و(ع): «يشهد».

كم ذا يُغَالط مَن يراه بَاكِياً[1] ويَقُول[2] خَوْف وشَاتِهِ يا أرْمَد

صَبٌّ متى صَانَ الدُّموع تَجَلُّدا رَجَع السُّهاد لجفْنِه يَتَرَدَّد[3]

مَالي أمَالي[4] في هَواه عواذِلي سِيَّان عندي أبْرقُوا أم أرْعَدُوا[5]

أخَذَ الغرام جَوانِحي فَلعاذلي[6] مِنِّي المغيب وللغرام المَشْهَد

دَعْني أحُوم على الحِمَى وَأرُودُه فَيُضِلُّني وَلَهِي ورُشْدِي يُرْشِد

سَل نَارهم هَلَّا تَجُود بجَذوَةٍ أهْدَى بها ومِيَاهُهم هل تُورَد

وإن اسْتَطَعْتَ فحيِّهم في حَيِّهم عَنِّي[7] فإنيّ عندهم أتَبَلَّد

فهناك يُوجَد كلّ قلبٍ ضائع عن طَالِبِيه وكلّ قَلْب يُفْقَد[8]

ولك البشَارَة في المَعَاهِدِ إنْ بَدَتْ عند الوقوف بها[9] على ما أعْهد

أيام تُتْحفني[10] سُلَيْماً سَلمَها[11] وسُعَاد تُسْعِدُني وسُعْدَى تُسْعِدُ

[بحر الكامل]

معاشر[12] السالكين رافِقوا[13] التائبين في طَلب[14] السَّماع، تحركوا بالموافقة فلعلَّ يحصل الأستمتاع[15]، كم من[16] مقرَّب في الأسباب وكم من[17] منقطع في الأنقطاع، يا من[18] دنَّس القلب والقالب لذكر الآخرة عندك ضِيقٌ ولذكر الدنيا عندك[19] اتِّساع، أحضر[20] قلبك

---

(1) في (م) و(ع): «كم ذا تغالط من تراه باكياً».

(2) في (م) و(ع): «وتقول».

(3) عبارة «رجع.. إلخ»، في (م) و(ع): «وَقَد السهاد لجفنه متردد».

(4) أمالي من الممالأة، وقد سهلت الهمزة إلى ياء. ومالأته على الأمر ممالأة: ساعدتُه عليه وشايعته. ابن منظور، اللسان، «ملأ»، 1/159. والمعنى: يتعجب من ممالأته للعواذل بكتمان هواه رغم أنه لا يخافهم ولا يهتم بوعيدهم وتهديدهم.

(5) برق الرجل ورعد: تهدَّد، وإذا أوعد الرجل قيل: أرعد وأبرق، ورعد وبرق. ابن منظور، اللسان، «رعد»، 3/180، و«برق»، 10/14.

(6) عبارة «جوانحي فلعاذلي»، في(م) و(ع): «جوارحي فلعُذَّلي».

(7) في الأصل: «دعني»، والتصويب من (م) و(ع).

(8) في (م) و(ع): «مفقد».

(9) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(10) في الأصل: «تلحقني»، وهي من (م) و(ع).

(11) في الأصل: «سلامها»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) في (م) و(ع): «معشر».

(13) في (م) و(ع): «وافقوا».

(14) في (م) و(ع): «طيب».

(15) في الأصل: «الاستفاع»، والتصويب من (م) و(ع).

(16) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(17) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(18) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(19) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(20) في الأصل: «احذر»، والتصويب من (م) و(ع).

في مأتم[1] الحزن فعساه يُسقى بناضحة[2] النَّدَم والاسترجاع، كم لي أُداوي قلبك من ألم المعاصي والأوجاع، أرى قلبك في غير جنس القلوب لا يقبل غذاء الوعظ[3] إن عطش [٦٩أ] أو جاع، هذه علامة الهلاك قُل لي متى يكون الانتجاع[4]، إذا ولَّى الشباب في الغفلة والشيخوخة في الكسل فعلامة الهلاك بالإجماع، استحِ ويحك من شيبك واخجل من عيبك ودافع الاندفاع[5]، شيب أبيض وقلب أسود قل لي بماذا يكون الانتفاع، ستعلم قولي إذا فاجأتك سكرات المنون، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

«كان شاب يحضر مجلس ذي النون مدّة، ثم انقطع عنه زماناً، ثم حضر عنده، وقد اصفرَّ لونه ونحل جسمه وظهرت عليه آثار العبادة والاجتهاد، فقال له ذو النون: يا فتى ما الذي أكسبتك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك الله[6] بها، ووهبها لك، واختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده[7]، واصطفاه وأعطاه مفاتح الخزائن، وأسرَّ إليه سراً يحسن أن يفشي[8] ذلك السِّر»[9]. شعر[10]:

صَاحِ إنيَّ مِـن الـهـوى غـيـر صاح	فَـهـوَ رَاحـي وفـيـه طَـاب ارْتِـيـاحـي
وإذا لَاحَ مَـــن أُحِـبُّ لِـعَـيْـنَـي	مـا أُبَـالـي بـمـا تَـقُـول الـلُّـوَاحـي
كـم عَـذُول لـي[11] قـال لـمَّـا[12] رآه	مـا عـلـى مَـن أَحَـبَّ ذا مِـن جَـنَـاح
هـو لـي قَـاتِـلٌ ومُـحـيـي دلالاً	بـيـن جـدٍّ مـن لـفـظـه ومُـزَاح
ورأتْ جَـيْـشَ حُـسْـنِـه أعْـيُـنُ الـ	ـنـاسِ فقـالـوا هـذا أمِـيـر الـمِـلَاح [٦٩ب]
يـا صِـحـابـي[13] عـلـى الـعُـذيْـب وقـد	طـال غُـدُوِيّ فـي حُـبِّـكُـم وَرَواحـي
هـل إلـى نَـظْـرَة إلـيـكـم سَـبـيـلٍ	بـعـدمـا قَـصَّـت[14] الـلـيـالـي جَـنَـاحـي
لـو مَـنَـنْـتُـم بـمَـرْهَـمٍ مـن لـمـام	أو سَـلام دَاوَى الـزَّمَـان جِـرَاحـي
أيـن مـا مَـرَّ مـن أصِـيـل بـنَـجْـدٍ	وضُـحـيٍّ واضـح بـتـلـك الـنَّـوَاحـي

(١) عبارة «قلبك في مأتم»، في (م) و(ع): «ويحك مأتم».
(٢) في (م) و(ع): «بنائحة».
(٣) في (ع): «الموت».
(٤) في (م) و(ع): «الانتفاع».
(٥) في (م) و(ع): «بالاندفاع».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) عبارة «من بين عبيده»، في الأصل: «بين يدي عبيده»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «يفشو».
(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٢٤.
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «قد».
(١٢) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «صاحب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «قصرت»، والتصويب من (م) و(ع).

فاتَني[1] العيد في رُبَاها فَجَفْني بِدَم الدَّمْع قد غَدا كالأَضَاح
وبنَفْسِي تلك الديار وأَهْلو ها[2] وإن حاولوا بِبُعْدِي اطِّرَاحي
نَزَحُوا والدُّمُوع قد وَافَقَتْهُمْ[3] حين بانُوا عن أُفْقِهم بانْتِزَاح
[بحر الخفيف]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لا تدركه الخواطر ولا الأبصار ولا اللحظات، حيٌّ بحياةٍ ليست كحياة من مآله إلى الممات، قدير بقدرة بها[4] ظهر وجود الأرض والسموات، عالمٌ بعلمٍ[5] يعلم به ما يهجس في السَّرائر والضمائر الخافيات[6]، مريد بإرادة[7] رتَّب بها المبتدعات والمخترعات، سميع[8] يسمع حنين الجنين[9] في الأمعاء[10] وجري الماء في الأعواد اليانعات[11]، بصير يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء وأخفى ما يدق عن العبرات[12]، آخترع العالم لا عن مثال ولا عن ترتيب كيفيَّات[13]، أظهر فيهم من حكمته ما ظهر وكم له من حكم[14] خافيات[15]، جعل الكلَّ مختلفين في الصُّور والحركات والسَّكنات، فرَّق مطالبهم فلا يزالون مختلفين في جميع الحالات، وكيف لا وقد ركبهم في طبائع بالتضاد متنافرات[16]، كسى النُّفوس من تكوين الاعتراض أحوالاً[17] مختلفات، [170آ] قهرهم بهوان الهوى وأذلَّهم[18]

---

(1) في الأصل: «فاقتد»، والتصويب من (م) و(ع).
(2) في الأصل: «وأهلها»، والتصويب من (م) و(ع).
(3) في الأصل: «رفقتم»، والتصويب من (م) و(ع).
(4) في (م) و(ع): «عنها».
(5) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(6) في (م) و(ع): «الخفيات».
(7) في الأصل: «بإرادات»، والتصويب من (م) و(ع).
(8) الكلمة ساقطة في الأصل و(م)، وهي من (ع).
(9) في (ع): «الحنين».
(10) في (م) و(ع): «المعاء».
(11) ينع الثمر فهو يانع: أدْرَكَ ونَضِج. ابن منظور، اللسان، «ينع»، 8/ 415.
(12) في (م) و(ع): «العبارات». والعَبْرة: الدمعة قبل أن تفيض أو تردُّد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء. الفيروزآبادي، القاموس، «عبر»، ص558.
(13) عبارة «لا عن مثال.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا عن مثال سبق ولا ترتيب كيفيات».
(14) في الأصل: «أحكام»، والتصويب من (م) و(ع).
(15) في (م) و(ع): «خفيات».
(16) في (م) و(ع): «وكيف لا وتركيبهم من طبائع بالتضادد متنافرات». وقوله هذا هو معنى حديث للنبي ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قَدْر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسَّهْل والحَزْن والخبيث والطيب» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة البقرة»، رقم الحديث (2955)، 5/ 204.
(17) في (م) و(ع): «احلالا».
(18) في (م) و(ع): «قهرها بهوان الهوى وأذلها».

بشهوة الشهوات، أقام عليهم[1] ميزان العمل وأمرهم معادات[2] العادات، ما أبعد الانسلاخ من قشرة الطَّبع ومن انسلخ ظهرت له السَّعادات، فواجدٌ[3] واصل وآخر سالك في تيه الظُّلمات، هذه أحكام من لا ترد أحكامه بالنقص والزيادات، أخبرنا بذلك ترتيبه تعالى[4] في رتب المقامات، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5].

يا أخي العمر مبني على الكدر، ما تصفو منه[6] ساعة من الغبر[7]، الدنيا جيفة من شم ريح شهواتها استقذر، من زاحم الجيفة تدنَّس وما عنده خبر، من آثر الفاني على الباقي فجواد عزمه تقنطر[8]، إذا هزم[9] الهوى العقل فهزيمته[10] لا تتدبَّر، كم قَيِّل[11] خلَّصته إذا هو في قفص الغلبة انقهر، ما صفا شراب المحبَّة للمحبِّين إلا بدوام أرق السَّهر[12]، فيا[13] من ترك الجادَّة حتى شاب ستعلم عند الموت ما الخبر، يا من تخلف عن الركب حتى خفي عنه الأثر، يا من يمشي في ظلمات الشهوة[14] حتى تعثر، فيا[15] من ضيع في الغفلة أيام الشَّباب حتى أناخ في مناخ الكِبر، يا مطروداً عن الباب يا من عيشه تكدَّر، كلما طلبت القرب أبعدوك و[16]أرى ذلك في جبينك مسطر، من أولى منك[17] بأن[18] تتحسَّر، بعت جوهر الشباب بالغفلة أما علمت أنَّك تخسر[19]، بلذَّة ساعة رغبت [٧٠ب] عن الجنة ستندم ـ والله ـ إذا تقبر، كم تنكَّب[20] عن طريق الهدى[21] متى تقضي من التَّوبة الوطر، لا حيلة في القضاء و[22]عقد القدر، بادر الهفوات[23] قبل الوفاة[24]، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

---

(١) في (م) و(ع): «عليها».
(٢) في (م) و(ع): «بمعادات».
(٣) في (م) و(ع): «فواحد».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) سورة فاطر، آية ٣٢.
(٦) في (ع): «عنه».
(٧) في الأصل: «الخير»، والتصويب من (م) و(ع). والغَبَر: البقاء. ابن منظور، اللسان، «غبر»، ٥/٤. والمعنى: أنه لا تصفو لنا ساعة من ساعات بقائنا ومكثنا في هذه الدار.
(٨) عبارة «فجواد عزمه.. إلخ»، في (م) و(ع): «من على جواد عزمه تقنطر».
(٩) في (م) و(ع): «غلب».
(١٠) في (م) و(ع): «فهزيمة».
(١١) في (م): «قتيل».
(١٢) عبارة «إلا بدوام.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلا برواق السهر».
(١٣) في (م) و(ع): «يا».
(١٤) في (م) و(ع): «الشهوات».
(١٥) في (م) و(ع): «يا».
(١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع) زيادة: «بالبكا من أولى منك».
(١٨) في الأصل: «أن»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «بأنك تحشر».
(٢٠) نكَب عنه: عدل، كنكَّب وتنكَّب. الفيروزآبادي، القاموس، «نكب»، ص١٧٨.
(٢١) في الأصل: «الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٣) في (ع): «الهوات»، وهو تصحيف.
(٢٤) في (م) و(ع): «الفوات».

قال يوسف[1] رحمه الله تعالى: «سألتُ ذا النُّون ما كان بدوّ شأنك وما كنت فيه؟ قال: كنتُ شاباً صاحب لهوٍ ولعب، ثم إنِّي تبت وتركت ذلك كله وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ومعي بضاعة، فركبت في مركب مع التجار من أهل مصر[2]، وركب معنا شاب صبيح كأنَّه يشرق وجهه. فلمَّا توسَّطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال، فأمر بحبس المركب وفتَّش كل من فيه[3]، فلمَّا وصلوا إلى الشاب ليفتِّشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على موج البحر[4]، وصار[5] له الموج على مثل[6] سرير، ثم قال: يا مولاي إنَّ هؤلاء اتَّهموني وأنا[7] أقسم عليك يا حبيب قلبي أن تريهم آية[8] من آياتك، أن[9] تأمر كل دابة في هذا البحر أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر. قال ذو النون: فما تمَّ[10] كلامه حتى رأينا دوابَّ البحر أمام المركب وحواليه قد خرجت[11] رؤوسها وفي فم كل واحدة منها[12] جوهرة تضيء وتتلألأ[13] وتلمع، ثم وثب الشاب من الموج[14] إلى البحر[15] وجعل[16] يتبختر على متن[17] الماء وهو يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[18]، حتى غاب عنه رحمة الله عليه[19]». [71آ] شعر[20]:

هُم أَوْدَعُوا قَلْبِي الأَسَى حِينَ وَدَّعُوا ... وَأَغْرَوا فُؤَادي بالغَرَام وأَوْجَعُوا

و[21]هُم وَهَمُوا أَنِّي تَسَلَّيْتُ بَعْدَهُم ... وذلك[22] أَمْر لَيْسَ لي فيه مَطْمَعُ

---

(1) في الأصل: «أبو يوسف»، والتصويب من (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٢٥/٤. ويوسف: هو يوسف بن الحسين الرازي، أبو يعقوب، شيخ الصوفية، كان إمام وقته، ولم يكن في المشايخ على طريقته في تذليل النفس وإسقاط الجاه، توفي سنة ٣٠٤هـ - ٩١٦م. ابن الجوزي، القصاص والمذكرون، ص٦٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٠١ - ٣١٠هـ، ص١٥١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤٥/٢.

(2) عبارة «مع التجار.. إلخ»، في (م) و(ع): «مع تجار مصر».

(3) في (م) و(ع): «وفتش من فيه وأتعبهم».

(4) عبارة «حتى جلس.. إلخ»، في الأصل: «حتى أجلس على عرج البحر»، والتصويب من (م) و(ع).

(5) في (م) و(ع): «وقام».

(6) في (م) و(ع): «مثال».

(7) في (م) و(ع): «وإني».

(8) في الأصل: «الأية»، والتصويب من (م) و(ع).

(9) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(10) في (م) و(ع): «أتم».

(11) في (م) و(ع): «أخرجت».

(12) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(13) في الأصل: «تلالا»، والتصويب من (م) و(ع).

(14) في (ع): «المركب».

(15) عبارة «ثم وثب.. إلخ»، ساقطة في (م).

(16) في (م): «وجعل الشاب».

(17) في (م) و(ع): «وجه».

(18) سورة الفاتحة، آية ٥.

(19) عبارة «حتى غاب.. إلخ»، في (م) و(ع): «حتى غاب عني فلم أره».

(20) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(21) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(22) في الأصل: «وذاك»، والتصويب من (م) و(ع).

وما حَدَّقَ[1] العُشَّاق إلا حَدَائق بها[2] ظَبِيَّات الحيِّ تَرْعَى وتَرْتَعُ
وكيف سُلُوِّي عنهم ولهم إذا خَلَا ربعهم في العَيْن والقَلْب مَرْتَع
وأُقْسِم أَنِّي لو تَسَلَّيْتُ في الهوى لَرامُوا خِلافي سُرْعَةً وتَشَفَّعوا
فمَن عَاذِرِي مِن عَاذِلِين[3] مَنَحْتُهم وِدَادِي فَصَانُوا وَصْلَهم وتَمَنَّعُوا
دَنَيْتُ فأَبْعَدُوا[4] أَتَيْتُ فأَعْرَضُوا وَفَيْتُ فَخَانُوني حَفِظْتُ فَضَيَّعُوا
خَلِيلَيَّ هذا رَبْعُهم فَتَدَاوَيا بِلَثْم ثُرَاهُ فهو للوَجْدِ أَنْفَعُ
ولا تَحْجُبَا عَنِّي النَّسِيم إذا[5] سَرَى فَقَلْبي بِرَيَّا عِطْرِهِ يَتَنَقَّع[6]

[بحر الطويل]

إخواني ما أظلم ليل الغفلة على[7] عيون الغافلين، فديت أهل السهر فديت المجتهدين، وجفت عيونهم و[8]جفونهم وجنوبهم لذَّة الفراش لمرافقة الناجين[9]، همَّتهم[10] مقصورة على موافقة الراكعين والساجدين، بصائرهم أسرع نفوذاً من أبصارهم في مشاهدة اليقين، قطعوا[11] وادي الدُّجى بسباحة[12] السَّهر وخلَّفوا النَّائمين، حطُّوا على سواحل السَّحر مع ركائب[13] المستغفرين، طلعت طلائع دموعهم على رُبى المحاجر وفي ساقتها الأنين، هيَّج لهم نسيم السَّحر من الوجد الداء الدَّفين، كم لهم على ثنيَّات اللِّوى من جند غرام كمين، كم لهم على الأبرقين من بروق يقين[14]، عذبت لهم عذبات العذيب وأفناهم [٧١ب] الحنين، كم لهم على لمعات نجدٍ من وجدٍ جديد وحزن حزين، دموعهم كالعقيق[15] في وادي العقيق تندب

---

(١) في الأصل: «دق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «به».
(٣) عدل عن الشيء: حاد، وعن الطريق: جار. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/ ٤٣٤.
(٤) في (م) و(ع): «دنوت فأنأوني».
(٥) في الأصل: «إذ»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «يتلفع». ويتنقع من النقع وهو الرِّي. ونقعْتُ بالخبر وبالشراب إذا اشتفيت منه، ونَقَعَتْ بذلك نفسي أي اطمأنت إليه ورَوِيَت به. والتَّلفُّع: الالتحاف بالثوب، وهو أن يشتمل به حتى يُجلِّل جسده. ابن منظور، اللسان، «لفع»، ٨/ ٣٢٠. و«نقع»، ٨/ ٣٦١.
(٧) في (م) و(ع): «عن».
(٨) الواو ساقطة في الأصل، والصواب ما أثبتناه.
(٩) عبارة «وجفت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وجفت جنوبهم وعيونهم لذة الفراش لمرافقة المناجين».
(١٠) في (م) و(ع): «هممهم».
(١١) في الأصل: «واقطعوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (ع): «بسياحة».
(١٣) في (م) و(ع): «ركاب».
(١٤) في (م) و(ع): «تبين».
(١٥) العقيق: خرز أحمر يتخذ منه الفصوص. ابن منظور، اللسان، «عقق»، ١/ ٢٦٠.

الراحلين، نزلوا بوادي الأراك[١] عسى هيمانهم يراك فقد براه[٢] الوجد ما كاد يبين، لو رأيت حنينهم بالمنحنى لرأيت أسير غرام رهين، أناخوا بوادي الصبح[٣] عيس أشواقهم على نظرة من الظَّاعنين[٤]، عرسوا بوادي الحمى يتلمَّحون آثار الراحلين[٥]، عرف نسيم[٦] أنفاسهم بالمحبَّة أعطر من عرف دارين، أين الشيح والضَّال و[٧]أين البان والرند[٨] من أنفاس المحبين، هذه صفاتهم هل لك فيها من صفات، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

قال أبو سليمان المغربي رحمه الله تعالى[٩]: «كنت أحتمل[١٠] الحطب من الجبل وأتقوَّت به، وكان طريقي فيه التَّقوى والتجرد[١١]. قال: فرأيت جماعة من البصريين في النوم منهم الحسن ومالك بن دينار وفرقد السَّبخي[١٢] فسألتهم عن[١٣] حالي[١٤] وقلت لهم[١٥]: أنتم أئمة المسلمين دلوني على الحلال الذي ليس لله ﷻ[١٦] فيه تبعة ولا للمخلوق[١٧] فيه منَّة، قال: فأخذوا بيدي وأخرجوني من طرسوس[١٨] إلى مرج خبَّاز[١٩]، فقالوا: هذا الحلال الذي

---

(١) في (م) و(ع): «وادي الأراك». ووادي الأراك قرب مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٤٩.

(٢) في الأصل: «ترى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «الطلح».

(٤) في (م) و(ع): «الراحلين».

(٥) عبارة «عرسوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٨) الشيح: نبات سهْلي يتخذ من بعضه المكانس، له رائحة طيبة وطعم مر. والضال: شجرة من الدِّق تكون بأطراف اليمن ترتفع قدر الذراع تَنْبُت نبات السَّرْو، ولها بَرَمَةٌ صفراء ذكية جداً تأتيك ريحها من قبل أن تصل إليها. والبان: شجر يسمو ويطول في استواء، وليس لخشبه صلابة. والرند: هو شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة يستاك به. ابن منظور، اللسان، «شيح»، ٢/٥٠٢، و«ضيل»، ١١/٣٩٨، و«بين»، ١٣/٧٠، و«رند»، ٣/١٨٦.

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٢٨٥. وأبو سليمان المغربي الزاهد، نزل طرسوس والمصيصة، وكان مشهوراً بالكرامات، معروفاً بالعبادة، روى عنه أبو عبد الله بن الجلاء. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٤٤٧٦.

(١٠) في (م) و(ع): «أحمل».

(١١) في (م) و(ع): «والتحري».

(١٢) هو فرقد بن يعقوب السبخي، يكنى أبا يعقوب، الزاهد المشهور، بصري، حدث عن جماعة التابعين، وشغله التعبد عن حفظ الحديث، توفي سنة ١٣١هـ ـ ٧٤٨م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٢٧١. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص٥١٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/١٨١.

(١٣) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «علم حالي».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٧) في (ع): «للخلق».

(١٨) طرسوس: مدينة بثغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، يشقها نهر البَرَدان. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٨٨٣.

(١٩) في (م) و(ع): «خبازى». والخُبَّازَى والخُبَّاز: نبت بقلة معروفة عريضة الورق لها ثمرة مستديرة. ابن منظور، اللسان، «خبز»، ٥/٣٤٤.

ليست لله ﷻ[1] فيه تبعة ولا للمخلوق[2] فيه منّة. قال: فمكثت آكل منه نصف سنة وثلاثة أشهر في دار السبيل[3]، وكنت آكله نيّاً ومطبوخاً، فصار لي حديث فقلت هذه فتنة، فخرجت من دار السلام[4]، وكنت آكله[5] نصف سنة و[6]ثلاثة أشهر أخر[7]، فأوجدني الله تعالى[8] قلباً طيّباً حتى قلت: إنْ كان أهل الجنة بالقلب [١٧٢أ] الذي لي فهم والله في شيء طيِّب، وما كنتُ آنس بكلام الناس. فخرجتُ يوماً من باب قلَمْيَة[9] إلى صهريج[10] يعرف بالمدنف، فجلست عنده فإذا بفتى قد أقبل من لامس[11] يريد طرسوس[12]، وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجي به من الجبل. فقلت: أنا قد قنعت بهذه[13]، أعطي هذه القطيعات[14] لهذا الفقير إذا دخل طرسوس يشتري بها شيئاً يأكله[15]، فلمّا دنا منّي أدخلت يدي إلى جيبي حتى[16] أخرج الخرقة، فإذا بالفقير قد حرَّك شفتيه، وإذا كل ما[17] كان حوله من الأرض ذهباً[18] يتّقد حتى كاد يخطف بصري، ولبستني منه هيبة فجاز ولم أسلِّم عليه من هيبته. قال الشيخ أبو بكر رحمه الله تعالى[19]: وزادني[20] أبو الفرج بن أبان في هذه الحكاية

---

(١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «للخلق».
(٣) دار السبيل: أي منطقة وقف لعابر السبيل.
(٤) عبارة «وكنت آكله.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). ومدينة السلام هي بغداد. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٥٠٦.
(٥) في الأصل: «آكله منه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) عبارة «نصف سنة و» ساقطة في (م) و(ع). (٧) في (م) و(ع): «أخرى».
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) قَلَمْيَة: كورة واسعة برأسها من بلاد الروم قرب طرسوس، ويقال لأحد أبواب طرسوس قَلَمْيَة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١١٩.
(١٠) الصهريج: واحد الصهاريج وهي كالحياض يجتمع فيها الماء. ابن منظور، اللسان، ٢/٣١٢.
(١١) في الأصل و(م) و(ع): «لامين»، والتصويب من الصفة. ولامس من قرى فرغانة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١١٩٥.
(١٢) في الأصل: «طرطوس»، والتصويب من (م) و(ع). وحيثما ورد في القصة «طرطوس» فالصواب فيه «طرسوس».
(١٣) في (م) و(ع): «بهذه الخُبّازى». (١٤) في (م) و(ع): «القطع».
(١٥) عبارة «يشتري.. إلخ»، في (م) و(ع): «اشترى بها شيئاً وأكله».
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) عبارة «حوله.. إلخ»، في (م) و(ع): «حولي من الأرض قد صار ذهباً».
(١٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وأبو بكر: هو محمد بن داود الدّينوري الدُّقي، شيخ الشاميين، كان من أجل مشايخ وقته، وأحسنهم حالاً. توفي سنة ٣٦٠هـ ـ ٩٧٠م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/١٣٨. تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ، ص٢١٧.
(٢٠) في الأصل: «وزاد مني»، والتصويب من (م) و(ع).

قال: فقلتُ له: أرأيته بعد ذلك. قال: نعم، خرجتُ يوماً خارج طرسوس فإذا بالفتى جالسٌ تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء، فسلَّمت عليه ثم استدعيت منه موعظة، فمدّ رجله فقلب الماء ثم قال: كثرة الكلام تنشف[1] الحسنات كما تنشُّف الأرض هذا الماء، يكفيك». شعر[2]:

أيَا سَعْد هَاتِيك المَنَازِل من سُعْدَى ... فَدَعْـنـي أُجَدِّد فـي مَعَاهِـدِهـا عَـهْـدا
وذَرْهـا تَـهـب لـي هَبَّةً مـن نَـسِـيـمـهـا ... تَـزِدْ كَـبِـدِي مـنـهـا عـلـى ظَـمـأ بَـرْدا
وكَـرِّر أحَـادِيـث الـغُـوَيْـر لـمـغـرَم ... تُـقَرِّب إلـيه البَـان والطَّلْـح[3] والرَّنْـدا
ولا تَـسْـأَلَـنِّـي[4] سَـلْـوَة بـعـد صَـبْـوَةٍ ... فَتُضحِي[5] من الأعْدَاء يا صَاحِبي أعْدا [٧٢ب]
وَسَلْـهـا سَلَامـاً نـافعاً[6] مِـنـيّ الـصَّـدَى ... وَسَلْـهـا وِصَـالاً مَـانِـعـاً مـنـي[7] الـرَّدى[8]
فـيـا صَـبْـر بـاعـدنـي إذا بَـعُـدَ الـحِـمَـى ... ويـا وَجْـد أنْـجِـدْنـي[9] إذا سَـكَـنـت نَـجْـدا
ويـا طَـيْـف طِـفْ بـي حَـول كَـعْـبَـة طَـيْـفِـهـا ... لـعـل لـهـا إنْ مَـانَـعَـت وَصْـلَـهـا وَعْـدا[10]

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تفرَّد بحكمته في ظهور المقامات بالظهور[11]، غرس بستان الكون بيد القدرة[12] فهو بترتيب الإرادة مفطور[13]، لا يعزب عن علمه معلوم كلُّ ذلك في الكتاب[14] مسطور، قلم ولوح[15]

---

(١) في (م) و(ع): «ينشف».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) الطَّلْح: أعظم العِضَاه وأكثره ورقاً وأشده خضرة، وله شوك ضخام طوال وشوكه من أقل الشوك أذى، وله بَرَمَة طيبة الريح. ابن منظور، اللسان، «طلح»، ٢/٥٣٢.

(٤) في (م) و(ع): «تسأليني». (٥) في (م) و(ع): «فنصحي».

(٦) في (م) و(ع): «ناقعاً».

(٧) عبارة «مانعاً مني»، في الأصل: «ما تعاملني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «الصدى».

(٩) في الأصل: «يا واجد أوجدني»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «أوعدا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «بلا ظهور»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «بيد القدرة»، في (م): «بقدرته». (١٣) في (م) و(ع): «مقهور».

(١٤) في (م) و(ع): «كتاب». وأراد بالكتاب ما كتب في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، وقد يكون المراد به ما كتب على العباد من أعمالهم.

(١٥) القلم هو الذي كُتِب به ما كان وما يكون؛ فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصور قلما من نور. فقيل له اجر في اللوح المحفوظ. قال: يا رب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة. فلما خلق الله الخلق وكَّل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا =

وكتابة كلٍّ ذلك عليك[1] يدور، عرش وكرسي[2] وأفلاك وأملاك[3] على ما يصلحك تدور، أرض وجوٌّ وجبال ومعادن وأقاليم وبحور، كل ذلك لعمارة قنطرة دنياك ليكون عليها العبور، أمر ونهيٌ ووعد ووعيد وحفَّاظ على أعمالك لا تجور، صراط وميزان[4] وسؤال وقراءة ديوان عليك منشور، أنت تملي بأفعالك والكاتب[5] يكتب كلٌّ عليك محصور، سائل ومسؤول وحلال وحرام ومباح ومحظور، شمِّر إزار عزمك[6] فما يعلم الموصول[7] ما فيه المهجور، أيَّام البقاء قلائل وكيف وقد خطَّ المشيب في لمتك[8] خط زور، إذا أعميت البصيرة في الشباب ترجو في المشيب أن تظفر[9] بنور، ما أغفلك عن ظلمة الرمس وأهوال تذوب لها الصخور، فبينما[10] أنت نبات يانع أصبحت هشيماً بتولي[11] الدهور، ثم تقوم للحساب كما وعدت[12] يوم الحشر والنُّشور، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

= نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، عرض بالكتابين فكانا سواء، قال ابن عباس: ألستم عرباً هل تكون النسخة إلا من كتاب»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب التفسير، ٢/٤٥٣. وأما اللوح فهو اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، والأقضية النافذة فيهم، ومآل عواقب أمورهم. القرطبي، الجامع، ١٩/٢٩٨.

(١) في (م) و(ع): «عليه».

(٢) ذكر الله تعالى العرش والكرسي في كتابه العزيز ولم يبين ماهيتهما سوى أن قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والمذهب الصحيح عند علمائنا أن كل ما ثبت بالكتاب والسنة لا يتعلق به العمل فإنه لا يجب الاشتغال بتأويله بل يجب الاعتقاد بثبوته. أكمل الدين البابرتي، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ص٩٣.

(٣) في (م): «وأملاك وأفلاك».

(٤) الصراط هو جسر يضرب على جهنم يمر عليه بنو آدم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان [هو نبت ذو شوك] أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السَّعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق [المهلك] بعمله، ومنهم المُخَرْدَل [المصروع وما قطعت أعضاؤه جعل كل قطعة منه مقدار خردلة] ثم ينجو..» الحديث. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم الحديث (١٥٦)، ٨/٢١١، ٢١٢. وأما الميزان فهو ميزان ينصب يوم القيامة لبني آدم توزن فيه أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. القرطبي، التذكرة، ص٣٧٣، ٣٩٦.

(٥) في الأصل: «الكتاب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «العزم». (٧) في (م) و(ع): «الواصل».

(٨) اللِّمَّة: شعر الرأس إذا كان فوق الوَفْرَة. ابن منظور، اللسان، «لمم»، ١٢/٥٥١.

(٩) في (م) و(ع): «تظهر». (١٠) في (م): «وبينما»، وفي (ع): «بينا».

(١١) عبارة «هشيماً بتولي»، في (م) و(ع): «فانياً بتوالي». (١٢) في (م) و(ع): «وعد».

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ [١٧٣أ] ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[١]، فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه، يكسر الصَّحيح ويجبر المكسور، أحمده حمد من يرجو رحمته لعلمه[٢] أنَّه الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدّها ليوم الموت وهول النشور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعث من في القبور، صلى الله عليه و[٣]على آله وأصحابه[٤] ما دامت الأزمان والدهور.

إخواني لا تزال قلوب أهل المعاصي تائهة[٥] في قفار الندم، يندبن في[٦] مأتم الأسف دمعاً وبعده دم، ويحك كم تسافر إلى الآخرة بلا زاد[٧] لما تنقطع تندم، إذا أخربت[٨] يد المعاصي رَبْع التَّعبُّد أمتحن بالعدم، يا مأسور الغفلة هذا فكاك الموعظة فبادر عساك تسلم، توبة المسوِّف على طرف اللسان وتوبة الصادق من قلبه لعلمه بما ثَمَّ، المخلص على الجادَّة والمبهرج رجع من الطريق ماتمَّ، معاشر[٩] العصاة آندبوا أحزان الذنوب فهذا مجمع المآتم، ألطم خدود الأسف بأنامل الحزن و[١٠]قل يا[١١] ويلي ماذا علي ثَمَّ[١٢]، ضيَّعت أيام الشباب في الغفلة وماذا ينفع الهرم والندم، سكن حب الدنيا قلبك فرحلت الآخرة ووَلِيَ[١٣] السقم، إذا أسكن[١٤] الزُّهد قلباً رحل عنه اللعب وقصر الأمل يهدم، ما أسرع صرعة الموت ينغص[١٥] العيش وما يرعى[١٦] الذِّمم، يا نظَّارة[١٧] العروس واحد يخلو بالمحبوب [٧٣ب] والمحروم[١٨] يعود بالخيبة والندم[١٩]، يا متفرِّجين جددوا نية التوبة فكم متفرِّج[٢٠] في زمان[٢١] القبول آرتسم[٢٢]، إنَّما يهتزّ بالموعظة[٢٣] حيٌّ لا حيلة في الميت لأنه لا يتألم، قدِّم

---

(١) سورة الحج، آية ٦ ـ ٧.

(٢) عبارة «من يرجو. . إلخ»، في الأصل: «من يرجو بعلمه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) كلمة «عليه و» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في الأصل: «تائهاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «قلب».

(٨) في (م) و(ع): «خربت».

(٩) في (م) و(ع): «معشر».

(١٠) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «ماتم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «وولي السقم»، في الأصل: «وتولّى إلى السقم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «سكن».

(١٥) في (ع): «يُنَقِّص».

(١٦) في الأصل: «ترى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) النَّظَّارة: القوم ينظرون إلى الشيء. الفيروزآبادي، القاموس، «نظر»، ص٦٢٣.

(١٨) في (م) و(ع): «المتفرج».

(١٩) في (م) و(ع): «ويندم».

(٢٠) في (ع): «مقترح».

(٢١) في (م) و(ع): «زمام».

(٢٢) في (م) و(ع): «ارتقم». ورسمتُ له كذا فارتسمه إذا امتثله. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ١٢/٢٤٢.

(٢٣) في (م) و(ع): «في الموعظة».

من نفسك لنفسك[1] فعسى الأمر عليك يهون يوم النشور[2]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[3].

أبو عبد الرحمٰن الأزدي رحمه الله تعالى قال[4]: كنتُ أدور على حائك ببيروت[5]، فمررت برجل متدليِّ الرجلين في البحر وهو يكبِّر، فأتكيت على الشُّرفة[6] التي إلى جانبه، فقلت: يا شاب مالك جالساً وحدك؟ فقال[7]: آتق الله عز وجل[8] ولا تقل إلا حقاً، ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي، إنَّ معي ربي عز وجل[9] حيثما كنت، ومعي ملكان يحفظان عليَّ عملي[10]، وشيطان ما يفارقني، وإذا عرضت لي حاجة إلى ربي عز وجل جاءني[11] بها وهو على كل شيء قدير[12]».

شعر[13]:

مـا لـي عـن وَصْـلِـك اَصْـطِـبَـار	إلـيـك مِـن هَـجْـرِك الـفِـرار
أصـبْـحْـتُ ظَـمْـآن ذا جُـفُـون	مِـيَـاه أَحْـدَاقِـهـا غِـزَار
أَرُومُ كِـتْـمَـان مـا أُلاقِـي	وبـالـمـآقـي لـه اَشْـتِـهَـار
ومِـن نـسـيـم الـصَّـبَـا إذا مـا	هَـبَّ عـلـى أَرْضِـكُـم أَغَـار
آهـاً لِـذِكْـر[14] ديـار سَـلْـمَـى	لا أَجْـدَبَـتْ تِـلْـكُـمُ[15] الـدِّيـار [74أ]
لَـهْـفـي لِـعَـيْـشٍ بـهـا تـوَلَّـى	يَـطِـيـر أَيَّـامـه الـقِـصَـار[16]
إذْ أَعْـيُـن الـدُّهـور قـد أَقـرَّت[17]	وفـي غُـصُـون الـهَـوى ثـمَـارُ

[مخلع البسيط]

---

(1) في (م) و(ع): «قدم نفسك لرمسك».

(2) عبارة «يوم النشور» ساقطة في (م) و(ع).

(3) الآية في(م) و(ع): «﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الجاثية: 28]».

(4) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، 4/287. وأبو عبد الرحمن الأزدي يقال له الأسدي، كان يأتي المقابر كل اثنين وخميس. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 29/63، 64.

(5) عبارة «على حائك ببيروت»، في (م) و(ع): «على حائط بيروت».

(6) في الأصل: «الشرفات»، وفي (م) و(ع): «الشرافة»، والتصويب من (ب).

(7) في (م) و(ع): «قال».

(8) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(9) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(10) عبارة «علي عملي» ساقطة في (م) و(ع).

(11) عبارة «إلى ربي.. إلخ»، في (م): «إلى الله تعالى فجاءني»، وفي (ع): «إلى الله عز وجل فجاءني».

(12) عبارة «وهو على كل شيء قدير» ساقطة في (م) و(ع).

(13) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(14) في (م) و(ع): «الذكرى».

(15) في الأصل: «لا أجاذبتكم تلك»، والتصويب من (م) و(ع).

(16) البيت ساقط في (م) و(ع).

(17) عبارة «قد أقرت»، في (م) و(ع): «راقدات».

يا هذا كم تلبس قميص المعاصي بالليل وتتردَّى بالرِّياء بالنهار، إذا خرجت من بيتك أبداً[1] بالمقابر وقل[2] الرحيل إلى هذه الديار، فيا ليت شعري أين منزلي غداً أو بعد غد ليقرّ[3] عندهم القرار، بينما[4] أنت جالس حتى يقال فلان سَار، قل لأهل القبور ما تشتهون وتسمَّع إلى الجواب في الأسرار، مناهم ساعة من عمرك يعتذرون عسى تقبل الأعذار، يا خيبة المفرِّطين إذا[5] شفّهم[6] الأسف وحيل بينهم وبين قضاء الأوطار، أنظر ويحك طائر عزمك هل عشش في التّسويف أوطار[7]، كم وادي عين جرت فيه عيون الأسف فأنبتت أزهار، ندم حيث لا ينفع كمطر في سبخة لا تنبت أنوار[8]، كم خربت المعاصي قصر قلبك عليك ببنّاء التوبة لأنه[9] معمار، يا نائح الموعظة هيج أهل الشجون بذكر الأحباب والديار، ويحك كم[10] في أحمال ذنوبك من أوقار[11]، في الصِّبا لا ترعوي وهذا المشيب فأين الوقار، كيف يلذّ عيش[12] من لا يعلم سيره[13] هل إلى الجنة أو إلى[14] النار، ما أغفلنا عمَّا يراد[15] منّا وعند كشف الغطاء تهتك[16] الأستار، فبادروا إخواني بالتوبة[17] قبل أن يضرب بوق الرحيل وترحلون إلى القبور[18]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[19] [٧٤ب].

قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى[20]: «رأيت في البادية شاباً حسن الوجه له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قبطيّ، وعليه قميص كتّان[21]، وفي رجليه نعل، قال معروف:

---

(١) في (م) و(ع): «فأبدا».
(٢) في الأصل: «وقال»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «يقربني».
(٤) في (م) و(ع): «بينا».
(٥) في (م): «إذ».
(٦) في الأصل: «سافهم»، والتصويب من (م) و(ع). وشفه الحزن: لذع قلبه، وقيل: أنحله، وقيل: أذهب عقله. ابن منظور، اللسان، «شفف»، ١٧٩/٩.
(٧) عبارة «انظر ويحك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «نوّار». وأنوار جمع نَوْر وهو الزَّهر. ابن منظور، اللسان، «نور»، ٢٤٣/٥.
(٩) في (م): «فإنه».
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) أوقار: جمع وِقْر: الثِّقْل يحمل على ظهر أو على رأس. وقيل: الوِقْر: الحمل الثقيل. ابن منظور، اللسان، «وقر»، ٢٨٩/٥.
(١٢) في الأصل: «العيش»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «مصيره».
(١٤) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٥) عبارة «عما يراد»، في (م) و(ع): «عن المراد».
(١٦) في (م) و(ع): «تكشف».
(١٧) في (م) و(ع): «التوبة».
(١٨) عبارة «وترحلون.. إلخ»، في (م) و(ع): «فترحلون».
(١٩) الآية في (م) و(ع): «﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]».
(٢٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٨٩/٤.
(٢١) عبارة «وعليه قميص كتان» ساقطة في (م) و(ع).

فعجبت منه في مثل[١] ذلك المكان ومن زيّه، فقلت له[٢]: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[٣] يا عم[٤]. فقلت: يا فتى من أين أَقْبَلْتَ[٥]؟ فقال: من مدينة دمشق. قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت[٦] منه وكان بيننا[٧] وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة. فقلت له: وأين المقصود[٨]؟ فقال: مكة إن شاء الله تعالى[٩]، فعلمت أنه محمول[١٠]، فودعته ومضى ولم أره حتى مضت ثلاث سنين. فلمَّا كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكّر في أمره[١١] وما كان منه، إذا أنا بإنسانٍ يدقّ الباب، فخرجت إليه[١٢] فإذا أنا بصاحبي، فسلَّمت عليه فردَّ عليَّ السلام[١٣] ثم قلت[١٤]: مرحباً وسهلاً[١٥]، فأدخلته[١٦] المنزل فرأيته منقطعاً والهاً تالفاً خائفاً[١٧] حاسراً[١٨]، فقلت[١٩]: أيها الصاحب[٢٠] حدِّثني شيئاً من الخبر. فقال: يا أستاذ هو[٢١] لاطفني حتى أدخلني الشَّبكة فرماني، فمرة يلاطفني، ومرة يهدِّدني، ويجيعني مرة ويكرمني أخرى، ويا ليته [١٧٥أ] وقَّفني[٢٢] على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بي[٢٣] ما شاء. قال معروف: فأبكاني كلامه، فقلت له: فحدثني[٢٤] بعض ما جرى عليك منذ فارقتني. فقال[٢٥]: هيهات أن أبديه وهو يريد أن يخفيه، ولكن قد فعل بي مولاي[٢٦] ما قد[٢٧] فعل، ثم استفرغه البكاء[٢٨]، فقلت: وما فعل بك؟ قال: جَوَّعني ثلاثين يوماً ثم جئتُ إلى قرية فيها مقثأة[٢٩]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «فقلت له»، في (م) و(ع): «وقلت».

(٣) كلمة «وبركاته» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل زيادة: «فقلت: يا عم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «فعجبت».

(٧) في (م) و(ع): «بينه».

(٨) في (م) و(ع): «المقصد».

(٩) عبارة «إن شاء الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) أي أنه من أولياء الله تعالى.

(١١) في الأصل: «أمري»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «فرد علي السلام» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) عبارة «ثم قلت»، في (م) و(ع): «وقلت».

(١٥) في (م) و(ع): «وأهلاً».

(١٦) في (م) و(ع): «وأدخلته».

(١٧) عبارة «تالفاً خائفاً»، في (م) و(ع): «خافياً».

(١٨) رجل حاسر: لا عمامة على رأسه. ابن منظور، اللسان، «حسر»، ١٨٧/٤.

(١٩) في (ع): «فقلت له».

(٢٠) عبارة «أيها الصاحب»، في (م): «إيه»، وهي ساقطة في (ع).

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) عبارة «ويا ليته وقفني»، في (م) و(ع): «فليته أوقفني».

(٢٣) الكلمة ساقطة في (م).

(٢٤) في (م) و(ع): «حدثني».

(٢٥) في (م) و(ع): «قال».

(٢٦) في (م) و(ع) زيادة: «في طريقي».

(٢٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٨) أي بكى كثيراً حتى نفد دمعه.

(٢٩) أرض مقثأة: كثير القِثَّاء [الخيار]. والمقثأة: موضع القِثَّاء. ابن منظور، اللسان، «قثأ»، ١٢٨/١.

قد نبذ[1] منها المدوَّد وطرح، فقعدت آكل منه، فنظرني[2] صاحب المقثأة، فأقبل إليَّ يضرب ظهري وبطني وقال[3]: يا لص ما خَرَّب ميقثاتي إلا أنت[4]، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك، فبينما[5] هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السّوط في رأسه، وقال: تعمد إلى وليٍّ من أولياء الله ﷻ[6] وتقول له يالص! فأخذ صاحب المقثاة بيدي وذهب[7] بي إلى منزله فما بقي شيء من الكرامة إلا عملها[8] واستحلَّني وجعل مقثاته لله ﷻ[9] ولأصحاب معروف. فقلتُ له: صِف معروفاً، فوصفك لي، فعرفتك لما كنت شاهدته منك ومن صفتك في طريقي. قال معروف[10]: فما استتم كلامه حتى دقَّ صاحب المقثاة الباب، ودخل إليَّ وكان موسِراً فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء، وصحب الشاب سنة، وخرجا[11] إلى الحج فماتا بالربذة[12] رحمهما الله تعالى ونفعنا ببركة أوليائه[13]». شعر[14]:

يَكْفِيك أنَّ فؤادي في تَلافِيك ... لكل سُورَة وجْدٍ قد تَلَى فيكا [٧٥ب]
وإنَّ قَلْبي متى[15] أنْ رَامَ سُلْوَته ... عن الغَرَام ثَنى قلبي يُثَنِّيكا[16]
وأنت لي جَنَّة أرْجُو النعيم بها ... لولا تَجَافِيك[17] لم أبْرَح أنَاجِيكا
يا كَعْبة الحُسْن نَادِ القَلْب مُحْتَجِباً ... فإنه[18] مع إحْرامي يُلَبِّيكا
كم لَيْلَة غِبْتَ عن عيني فما نَظَرَتْ ... للبَدْرِ في الأفق لَمَّا بَاتَ يَحْكِيكا
ومِلْتُ للغُصْن لمَّا أنْ حَكَاك هوى ... فلم أجِدْ فيه مَعْنًى من مَعَانيكا
أَهْوى لأجل هَوَاك العَذْب يا أملي[19] ... لَثْم الأقَاح[20] وما فيه[21] لما[22] فيكا

---

(١) في (م) و(ع): «مُدًّ».
(٢) في (م) و(ع): «فنظرت».
(٣) في (م) و(ع): «ويقول».
(٤) عبارة «إلا أنت»، في (م) و(ع): «غيرك».
(٥) في (م) و(ع): «فبينا».
(٦) في (م) و(ع): «تعالى».
(٧) في (م) و(ع): «فذهب».
(٨) عبارة «فما بقي.. إلخ»، في (م) و(ع): «فما أبقى من الكرامة شيئاً إلا عمله».
(٩) في (م) و(ع): «تعالى».
(١٠) عبارة «فقلت له: صف.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «وخرج»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) الرَّبَذة: من قرى المدينة، على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة. صفي الذين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٦٠١.
(١٣) عبارة «رحمهما الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «تُثَنيكا».
(١٧) في (م) و(ع): «تجنّيك».
(١٨) في (م) و(ع): «وإنه».
(١٩) في الأصل: «أهوى لأجل ثنائك العذاب هوى»، وفي (ع): «أهوى لأجل هواك العذاب هوى»، وهي من (م).
(٢٠) الأقاح جمع الأقحوان وهو نبت طيب الريح، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. ابن منظور، اللسان، «قحا»، ١٥/١٧١.
(٢١) في (م) و(ع): «فيها».
(٢٢) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع).

تَـعَـلُّـلاً لـفـؤادٍ لـم يُـفِـدْه سـوى هَـجْـر فَـيْـعَـتَـاض عـن وَصْـلٍ تَـمـنيـكـا

لأحْـبِـسَـنَّ عـلـيك الـنَّـفْـسَ مُـحْـتَـسِـباً دمعي[1] لـعـل الـذي أخـفَـاكَ يُـبْـدِيـكـا

إنْ كنْتَ أنْكَرت مَا بي[2] من هَوًى وجوًى فـأنـظر لشـاهـد حَـالـي فـهـو يُـنْـبِـيـكـا

وحَـسْـبُ حُـبِّـك أنَّ الـقَـلْـب فـي وَلَـهٍ ومـا تَـعَـدَّاه يُـودِيـهِ[3] تَـعَـدِّيـكـا

زَدْ يـا غَـرَامـي وإنْ زاد الـحَـبـيـب قِـلـىً فـإنّ أدْنَـى وصَـالٍ مـنـه يُـرْضِـيـكـا[4]

[بحر البسيط]

مجلسي روضة ربيع جمعت[5] أزهار الفصاحة وفواكه الأمثلة، وأطيار فصاحته تهيِّج البلابل لذوي الألباب، كم تحمل[6] منه في أودية الأسماع وأوعية القلوب من نفائس الذَّخائر وهو يزيد، هو نهر لا يزال يمدّ لا تنقصه[7] دِلَاء[8] الواردين، أجري منه على السامعين بقدر ما يفهمون، وأجري عليهم الدُّعاء بالمغفرة والنجاة من النار ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين[9] [٧٦أ].



(١) في (م) و(ع): «دمي».

(٢) في الأصل: «فيَّ»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «يوليه». ووديت الأمر ودياً: قرَّبته. ابن منظور، اللسان، «ودى»، ١٥/ ٣٨٥.

(٤) قوله: «إخواني لا تزال قلوب أهل المعاصي.. إلخ»، ورد في (م) و(ع) بعد انتهاء الخطبة الأولى من هذا الفصل.

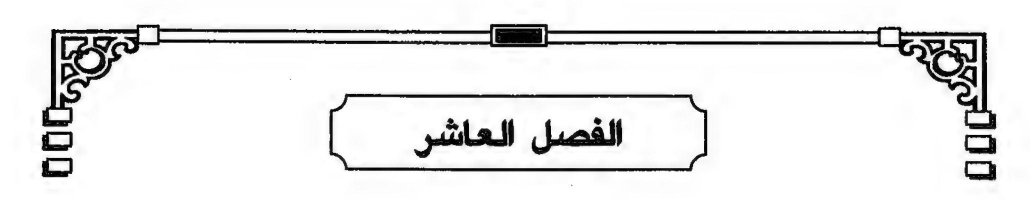
(٥) في الأصل: «جمع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «يحمل».

(٧) في (م): «ينقصه».

(٨) في (م) و(ع): «إدلاء». والدِّلاء جمع دَلْو: معروفة. ابن منظور، اللسان، «دلو»، ١٤/ ٢٦٤.

(٩) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل العاشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ألَّف بحكمته بين لطائف الأرواح وكثائف الأشباح[1]، جعل الليل والنهار جناحي الأعمار يطير[2] للفناء بلا ريش ولا جناح، سقى أرواح المحبِّين شراب المحبَّة فللّه ما أحلاه من راح، غَنَّى لهم في مجلس الأنس بعود[3] الوجد فشربوا بالدِّنان لا بالأقداح، زيَّنوا روضة الدُّجى بأزهار التَّهجُّد وصابحوا الأذكار أيَّ اصطباح، فهم بين صبوح وغبوق وبين ريحان[4] وراح، قلبهم في قوالب الابتلاء[5] فنادى[6] لسان تصبُّرهم لا براح، خلع عليهم خلعة الرِّضى وأجلسهم بين أفراح من الشوق واقتراح[7]، نظروا إلى الكون فما رأوا فيه[8] سواه فليس عليهم في هيمانهم جناح، غشي بصائرهم نور معرفته فترنَّم عارفهم بألسنة من التوحيد فصاح، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ﴾[9].

يا مزكوم الغفلة هذه نفحات نجد[10] متى تستنشق، أنت عند ذكر الدنيا حاضر[11] وعند ذكر الآخرة مستغرق، لا يطرق باب التهجُّد في الدُّجى[12] إلا محقِّق، يا مزين الظاهر بالرِّياء على من تخرِّق[13]، تحدَّث ويحك مع نفسك وزِن بميزان الأخلاق[14] وحقِّق، ما ينفع الأسود اسمه كافور[15] فافهم المعاني وصدِّق، ويحك تخرب قصر العمر وثوب إيمانك تمزَّق، ما حمل ثقل السهر عن[16] المجتهدين[17] إلا هَمٌّ [٧٦ب] مزعج وخوف مقلق، تنسَّموا نسيم

---

(١) الأرواح لطيفة لكونها لا تُرى ولا يدركها البصر، والأشباح كثيفة لما لها من حيِّز ومكان.

(٢) في (م) و(ع): «تطير».

(٣) في (م) و(ع): «معبد».

(٤) الريحان: نبت طيِّب الرائحة. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص٢٨٢.

(٥) في الأصل و(ع): «الابتداء»، والتصويب من (م).

(٦) في الأصل: «فناداهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الاقتراح: ابتداع الشيء. ابن منظور، اللسان، «قرح»، ٢/٥٥٨. والمعنى: أنعم عليهم بأفراح متجددة مبتدعة لم تخطر على قلب بشر.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) سورة النور، آية ٣٥.

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «يقظان».

(١٢) عبارة «باب.. إلخ»، في(م) و(ع): «باب الدجى».

(١٣) في الأصل و(م) و(ع): «تمخرق»، والصواب ما أثبتناه. والتخرُّق لغة في التخلُّق من الكذب. ويقال: خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها إذا ابتدعها كذباً. ابن منظور، اللسان، «خرق»، ١٠/٧٥.

(١٤) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(١٥) الكافور: نبات له نوْر أبيض كنَوْر الأقحوان. ابن منظور، اللسان، «كفر»، ٥/١٤٩.

(١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «المتهجِّدين».

السحر لأنَّ فيه عطريَّة[1] ينزل ربُّنا[2] إلى سماء الدنيا[3] فيرحم من هو من خوفه مشفق، قادُوا نفوسهم لله تعالى[4] بزمام المخالفة[5] فمسك القبول عليهم يعبق، من ينجدك عند هزيمة الموت من ذا الرحيم الذي يشفق[6] ما أطيب عيش العارفين تلذَّذُوا بذكر الحبيب في المساء والصباح، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾.

داود بن رشيد رحمه الله تعالى قال[7]: حدَّثني الصَّبيح والمليح ـ شابان كانا يتعبَّدان بالشام سمِّيا[8] بذلك لحسن عبادتهما ـ قالا: تحدثنا يوماً[9] فقلت لصاحبي أو[10] قال لي: اُخرج بنا إلى الصحراء لعلنا نجد رجلاً نعلِّمه شيئاً من أمر دينه لعل الله ﷻ ينفعنا به، قال: فخرجنا[11] فاستقبلنا رجل[12] أسود على رأسه حزمة حطب، فدنونا منه، فقلنا له: يا هذا من ربك؟ فرمى الحزمة من رأسه وجلس عليها[13] وقال: لا تقولوا لي[14]: من ربك، ولكن قولا لي[15]: أين محلّ الإيمان من قلبك. فنظرت إلى صاحبي ونظر إلي، فقال: سلا[16] فإنَّ المريد لا تنقطع مسائله. فلمَّا رآنا لم[17] نجد جواباً قال: اللهم إن كنت تعلم أنَّ لك عباداً كلَّما سألوك أعطيتهم فحوِّل حزمتي هذه ذهباً، فرأيناها قضبان ذهب تتقد و[18]تلمع. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً الخمول أحبّ إليهم[19] من الشُّهرة فردَّها حطباً كما كانت [١٧٧] أول

---

(١) عبارة «لأن فيه عطرية»، في (م) و(ع): «وفيه عطرية».
(٢) في الأصل: «ينزل أمر ربنا»، والتصويب من (م) و(ع). وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا..»، تقدم الحديث في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.
(٣) عبارة «إلى سماء الدنيا» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «لله تعالى»، في (م) و(ع): «إليه».
(٥) أي مخالفة النفس وشهواتها.
(٦) عبارة «الذي يشفق»، في (م) و(ع): «المشفق».
(٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٩١. وداود بن رُشيد: هو أبو الفضل الخوارزمي، كان ثقة واسع الرواية، خوارزمي الأصل، بغدادي الدار، مولى بني هاشم، توفي سنة ٢٣٩هـ ـ ٨٥٣م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/ ٣٦٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٩١.
(٨) في الأصل: «سمي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) عبارة «تحدثنا يوماً»، في (م) و(ع): «جعنا أياماً».
(١٠) في (م) و(ع): «و».
(١١) عبارة «لعلنا نجد.. إلخ»، في (م) و(ع): «لعلنا نرى رجلاً نعلمه بعض أمر دينه لعل الله تعالى أن ينفعنا به. فلما أصبحنا أسحرنا».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) عبارة «فرمى الحزمة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) عبارة «وقال.. إلخ»، في (م) و(ع): «فقال: لا تقولا».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «سَلَاسَلَا».
(١٧) في (م) و(ع): «لا».
(١٨) كلمة «تتقد» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «الخمول إليهم أحب».

مرة[1]، فرجعت ـ والله ـ حطباً ثم حملها على رأسه ومضى فلم نجسر أن نتبعه». شعر[2]:

يَا صَاحِبي إنْ كُنتَ لي أو مَعي ... فَعج[3] بنا نحو الحِمى[4] نَرْتَع
وَسَلْ عن الوادي وأرْبَابِه[5] ... وَٱنْشد فؤادي في رُبى المَجْمَع[6]
حَيٌّ كَثِيب الرَّمْلِ رَمْل الحِمى ... وقِف وسَلِّم لي على لَعْلَع[7]
وٱسْمع حَدِيثاً قد رَوَتْه الصَّبَا ... تُسْنِدهُ عن بَانَة الأجْرع[8]
وٱبْكِ فما في العَيْن من فضلة ... وقِف فَدَتْك النَّفْسُ عن مَدْمَع
وٱنْزِل على الشِّيح بِوَادِيهم ... وٱشْمم عُشَيْبَ البَلَد البَلْقَع
بَلِّغ تَحِيَّتي[9] إلى رَبْعِهم ... وقُلْ دِيَار الظَّاعِنِين ٱسْمَعي
رِفقاً بجسمٍ[10] قد بَرَاه الضَّنَى[11] ... يا عُذَّلي[12] لو كان قَلْبي معي

[بحر السريع]

يا مزين الظاهر يا مدنس[13] الباطن، ويحك أما تعلم بأحوالك[14] من تباطن، أنت في طلب المعاصي متحرِّك وفي الطاعة ساكن، تفرح وتلهو و[15]ما تعلم أيَّ الدارين ساكن[16]، ويحك ٱمدد يد المعاهدة على الصُّلح حتى[17] يمحى عنك ٱسم الخائن، لو علمت ما ضاع من رأس مالك في الشَّباب ظعنت في الظعائن، إنما ٱستعملت مشارفاً[18] على إقليم البَدَن

---

(١) عبارة «كما كانت. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات لابن الجوزي. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٦/١٧٦.
(٣) في (م) و(ع): «فجز».
(٤) في (م) و(ع): «الحجاز»، وهو تصحيف.
(٥) أرباب: جمع رب وهو السيد والمالك. ابن منظور، اللسان، «ربب»، ١/٣٩٩.
(٦) عبارة «في ربى. . إلخ»، في الأصل: «كيما يرجع»، والتصويب من (م) و(ع). والمجمع: يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه. ابن منظور، اللسان، «جمع»، ٨/٥٣.
(٧) لَعْلَع: جبل به وقعة للعرب. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١٢٠٥.
(٨) عبارة «بانة الأجرع»، في الأصل: «بنات الأرجع»، والتصويب من (م) و(ع). والأجرع: كثيب جانب منه رمل وجانب حجارة. ابن منظور، اللسان، «جرع»، ٨/٤٦.
(٩) في (م) و(ع): «تحياتي».
(١٠) في (م) و(ع): «بنضو». والنِّضْو: المهزول من جميع الدواب. ابن منظور، اللسان، «نضا»، ١٥/٣٣٠.
(١١) في (م) و(ع): «الهوى».
(١٢) في (م) و(ع): «عاذلي».
(١٣) في (ع): «مدلس».
(١٤) في (م) و(ع): «بأفعالك». والحال: كينة الإنسان، وما هو عليه. الفيروزآبادي، القاموس، «حول»، ص١٢٧٩.
(١٥) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «أنت ساكن».
(١٧) في (م) و(ع): «عسى».
(١٨) أي أميناً على جوارحك وقيّماً عليها.

وأنفاسك عليك[١] رهائن، أمرت بجمع حاصل العمر[٢] و[٣]وقت المحاسبة تعلم ما هو كائن، إذا فرَّطت في حاصل العمر فماذا توازن، كل الأعمال لك ٱستيفاء[٤] فالمفرط خائف[٥] والأمين آمن، كم عليك من تشوُّف[٦] في جوارحك وكيف منك[٧] عليك تأمن[٨]، [٧٧ب] و[٩]الأمين في الولاية[١٠] يرجو السلامة والويل للخائن، نعَّم المحبوب أحبابه[١١] بالمحبة فقلوبهم[١٢] إلى محبوبهم ترتاح[١٣]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾.

ٱشترى الفيض بن إسحاق[١٤] داراً بمائتي دينار وكتب كتاباً وأشهد عليه[١٥] عدولاً، فأتى إليه الفضيل بن عياض وقال: سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن حالك حتى يخرجك إلى قبرك، ولو أنبأتني لكتبت لك[١٦] كتاباً نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما ٱشترى عبد ذليل من ميِّت أزعج بالرحيل، ٱشترى هذا المغرور بالأمل المزعج بالأجل داراً من دار الغرور يحدها[١٧] من الجانب الغربي من عساكر[١٨] الهالكين، حدّها الأول إلى دواعي المنيَّات، والثاني إلى دواعي المصيبات، والثالث إلى دواعي البليَّات، والرابع إلى الهوى المردي والشيطان المغوي[١٩]، وفيه يشرع باب هذه الدار بالخروج عن القنوع والدخول في ذل الطمع[٢٠]، فما أدرك المشتري فضمانه على مثل[٢١] أجسام الملوك والجبابرة والفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبَّع

---

(١) في (م) و(ع): «عليها».
(٢) في (م) و(ع): «العمل».
(٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) عبارة «لك اسيتفاء»، في الأصل: «لها إلا استخفاء»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: كل أعمالك مسجلة عليك محفوظة.
(٥) في (م) و(ع): «خاين».
(٦) في (ع): «مستوف». والمعنى: كم عليك من مطلع وناظر.
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (ع).
(٨) عبارة «كم عليك.. إلخ» ساقطة في (م).
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في الأصل: «الأولية»، والتصويب من (م) و(ع). والمراد بالولاية استخلاف الإنسان في الأرض والقيام بالأمانة التي كلّف بها.
(١١) في (م) و(ع): «أولياءه».
(١٢) في (م) و(ع): «قلوبهم».
(١٣) في (ع): «يرتاح».
(١٤) هو الفيض بن إسحاق، أبو يزيد الرَّقِّي، خادم الفضيل بن عياض، كان صاحب حديث وخير وغزو، مات بالرقة سنة ٢١٦هـ ـ ٨٣١م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/٤٨٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢١١ ـ ٢٢٠هـ، ص٣٤٩.
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «إليك».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «عساكرها».
(١٩) في (م) و(ع): «الغوي».
(٢٠) في (م) و(ع): «الطبع».
(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

وحمير[1]، فما أبين الحقّ لذوي[2] عينين، وإن الرحيل إلى الآخرة ليومين[3]، فتزودوا من صالح الأعمال، فقد دنت الرحلة للنزال[4]. شعر[5]:

يا مَن يَبيتُ على لهوٍ ولذات ... العمر يَفْنَى بأيام وساعات
يا غافِلاً وهو لا يَدْري مَنِيَّته ... متى تكون تَأَهَّبْ قبل أنَّ تأتي [78أ]
كم قد رأيْتَ رَخيَّ البالِ[6] عَاجَلَهُ ... مُنَغِّص عَيْشه مِن بَعْد راحات
غَدوا سِراعاً بِسَيْرحَثَّ أوَّلهم ... إلى المَنُون وقد حَلُّوا بآفات[7]
وأصْبَح القوم صَرْعى في قُبُورهم ... لا يَسْتَفِيقون من سُكْر المَنِيَّات
فاْعمل لنفسك ما يُنْجي وكُنْ رَجُلا ... رَاعَى عَواقِبه حَقَّ المراعات

[بحر البسيط]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي قدر مقادير الأمور[8] قبل أن تكون، أحصى أعمارهم وأرزاقهم وأخلاقهم وأعطاهم فوق ما يسألون، قبض القبضتين[9] هؤلاء للنَّعيم[10] وهؤلاء في الجحيم يعذَّبون، سوابق سبقت بما أراد ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[11]، قرب بسرٍّ علمه وأبعد بحكمته حكمة من[12] لا تدركه الأبصار ولا الظُّنون، ليس له شريك في الملك و[13]الملكوت يعلم ما كان وما يكون، كم تحيَّر من فكر وكم عجز من عقل وكم هامٍ من وهمٍ وكلٌّ في سجن السِّجن[14] مسجون، أحكم ما أقسمه[15] في أمِّ الكتاب[16] فكلُّ شَيءٍ فَي ديوان إحصائه

---

(1) حِمْيَر: بطن عظيم، من القحطانية، ينتسب إلى حمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، 1/305.

(2) في (م) و(ع): «الذي».

(3) عبارة «إلى الآخرة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلى آخر اليومين».

(4) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، 8/101. وقد رويت القصة في الأصل و(م) و(ع) وجعلت بين شريح القاضي وسعدون، وهذا باطل لوجود فترة زمنية بينهما؛ إذ إن شريح توفي سنة 98هـ - 716م، بينما كانت وفاة سعدون بعد سنة 250هـ - 864م، والتصويب من الحلية.

(5) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(6) عبارة «رخي البال»، في الأصل: «نحيل البلا»، والتصويب من (م) و(ع).

(7) في (م) و(ع):

«غدوا سراعاً بهم نجب المنون إلى ... ألحادهم فحلوا منها بآفات»

(8) في (م) و(ع): «الوجود».

(9) في (م) و(ع): «قبضتين».

(10) في (م) و(ع): «في النعيم».

(11) قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنبياء، آية 23.

(12) عبارة «وأبعد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وأبعد بحكمة حكمه».

(13) في (م) و(ع): «ولا».

(14) في (م) و(ع): «العجز».

(15) في (م) و(ع): «قسمه».

(16) أم الكتاب قيل: اللوح المحفوظ. ابن منظور، اللسان، «أمم»، 12/31.

موزون، جعل عمارة الدنيا لظهور مصنوعاته(1) ونزول رسائله(2) ليعمل بها العاملون، أعلمهم أنّها للسَّفر وأنّهم عنها راحلون(3)، وجعل الآخرة دار مقام(4) فكم فيها من مسرور ومغبون، كم تجمعون الأموال والذّنوب ستندمون على ما تجمعون، أما تراكم بالمنون في أحبابكم تفجعون(5)؟ ما ينفعكم الأهل والأموال وإذا سألتم الرَّجعة لا ترجعون، أما أنذركم من غاب تحت التراب وأنتم لما حلَّ به [78ب] تنظرون(6)، أما لكم أسماع واعية أما لكم في الأعتبار(7) عيون، أين ما جمعتموه وحصَّنتموه من الحصون، خلَّفتموه ورحلتم وأنتم والله نـادمـون، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(8).

إخواني معاملة الخلق بالأبدان ومعاملة(9) الخالق بالقلوب(10)، لا تبهرجوا بزينة الظَّاهر فالناقد(11) علّام الغيوب، يا من كلّه للدنيا أما علمت أنَّك عن الأحباب محجوب، تسلك على جادَّة الشَّهوات وغاب عنك - ويحك - المطلوب(12)، تصفَّح - ويحك(13) - دستور عملك ونظِّفه قبل أن تصبح وأنت مطلوب، قدِّم زاد القبر بقدر الإقامة والمسافر(14) بلا زادٍ متعوب، الفكرة في طلب الحلال تكدِّر وقت الصَّفا فكيف إذا كان الحرام هو المطلوب، لحم الحرام حرامٌ وفي جهنم يذوب، من دخل تحت أسر الهوى فهو مغلوب، واحزناه على ذهاب العمر والدِّين إلى أن يقال هو في الموت(15) مسلوب(16)، إذا لم تتَّعظ بالمشيب فسطر الشَّقاء في جبينك مكتوب، كم نادتكم العبر ولكن لا تسمعون(17)، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ [79أ] تَزْعُمُونَ﴾.

---

(1) في الأصل: «مصنوعات»، والتصويب من (م) و(ع).

(2) في (ع): «سائله»، وهو تصحيف.

(3) في (م) و(ع): «يرحلون».

(4) في (م) و(ع): «المقام».

(5) عبارة «أما تراكم.. إلخ» ساقطة في (م).

(6) في (م) و(ع): «تنتظرون».

(7) عبارة «في الاعتبار»، في (م) و(ع): «للاعتبار».

(8) سورة الأنعام، آية 94.

(9) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(10) قوله هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله، رقم الحديث (33/2564)، 4/1986.

(11) في (ع): «والناقد».

(12) عبارة «تسلك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(13) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(14) في (م) و(ع): «فالمسافر».

(15) عبارة «أن يقال.. إلخ»، في (م) و(ع): «أن يقال في التراب».

(16) في (م) و(ع) زيادة: «ولى الشباب والصبا وأنت في الغفلة في أسلوب».

(17) عبارة «ولكن لا تسمعون»، في (م) و(ع): «بالعيون ولا تسمعون».

قال صالح المرّي رحمه الله تعالى[1]: «كانت جارية تغنّي فمرَّت بقارئٍ يقرأ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[2]. قال: فصرخت فوقعت[3] على وجهها، ثم قامت وأخذت[4] في العبادة، فدخلت عليها وكلَّمتها في الرِّفق بنفسها[5]، فبكت وقالت: ليت شعري أهل المعاصي من القبور كيف يخرجون، وعلى الصِّراط الرَّقيق كيف يعبرون، ومن أهوال[6] الآخرة[7] كيف يخلصون، و[8]من الجحيم[9] والزَّقُّوم كيف يتجرَّعون، ولعتاب المولى كيف يسمعون، ثم وقعت مغشيَّة عليها، ثم أفاقت وقالت: مولاي عصيتك وأنا غضَّة رطبة، وأطعتك يابسة خشبة، أتُراك تُحرق الخشبة بالنار. فلم يبق أحد في مجلسها حتى غشِي عليه[10] من شدَّة بكائها. هذه صِفَة الخائفين المشفقين المحزونين الوجلين». شعر[11]:

أَمَا وَالَّذِي قَدْ قَدَّرَ البُعْد بيننا ... وَعذبَني بالشَّوْق وهو شَدِيد
وَخَصَّكُم بالصَّبْر دُوني وخَصَّني ... بحُزْنٍ عليكم يَغْتَدِي[12] ويُعِيد
وصَيَّرني مهما شَمَمْتُ نَسِيمكم ... أشدّ لقلبي راحتي وأميد
لقد ذابَ قَلْبي في دموعي عليكم ... على أنّه في النَّائِبات حَدِيد[13]
فيالت شِعْري هل على ما لَقِيتهُ ... وكابَدْتُ من حَرِّ[14] الفِراق مَزِيد
لَئِن عَادَ ذاك الوَصْل أوْ عَاد بَعْضه ... وَهَيْهَات منه إنَّني لَسَعِيد [٧٩ب]
على أنَّها الأقْدار قد تُبْعد الفَتَى ... قَريباً وقد تُدْنِيه وهو بَعِيد

[بحر الطويل]

إخواني اغتنموا فرصة الشباب فزمان الشيب[15] كله كدر، لا يهولَنَّكم[16] كثرة الذُّنوب فصدق التوبة تغفر[17]، إيَّاك أن تعامل في بضائع عمرك[18] مفاليس الغفلة فمن عاملهم افتقر،

---

(١) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٣٨.
(٢) سورة الحجر، آية ٤٣ ـ ٤٤. والآية في (م) و(ع): ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾.
(٣) في (م) و(ع): «ووقعت».
(٤) في (م) و(ع): «فأخذت».
(٥) في الأصل: «على نفسها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (ع): «أهل»، وهو تصحيف.
(٧) في (م) و(ع): «القيامة».
(٨) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «الحميم».
(١٠) في الأصل: «عليها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «يبتدي».
(١٣) في (م): «جليد»، وفي (ع): «جديد».
(١٤) في (م) و(ع): «جور».
(١٥) في (م) و(ع): «المشيب».
(١٦) في (م) و(ع): «تهولنكم».
(١٧) عبارة «فصدق.. إلخ»، في (م) و(ع): «فبصدق التوبة تغتفر».
(١٨) في (م) و(ع): «العمر».

أحفظ رأس مال الشيبة ولا تضيِّعها في الكبر[1]، ٱدَّخر بضائع الطَّاعة ليوم يربح فيه من ٱدَّخر، لا ندم[2] أشدَّ من ندم المفرِّط إذا غيره ربح في المتجر، عرِّجوا بوادي التَّوبة فربيعه قد أزهر، زاحم رفاق التائبين وإيَّاك أن تتأخَّر، إذا خالفت صحراء التَّخلُّف[3] حصلت في مغاص[4] الجوهر، قلب التائب بلد عامر وقلب العاصي خراب بلقع[5] أقفر، حاذر صاعقة[6] الشَّهوة فإنَّها إن أصابت قلبك لا تبقي ولا تذر، يا مريض الخطايا[7] تنسَّم ويحك نسيم السحر، ففيه[8] عطريَّة هل من تائبٍ ذنوبه تغفر، لازم ويحك باب الفجر إذا الفجر ٱنفجر، ٱنظر لنفسك فما عند السعيد من الشقيِّ خبر، إيَّاكم والغفلة إلى يوم ترحلون، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

منصور بن عمار رحمهم الله تعالى قال[9]: قال لي رجل من أهل الشام: بالشَّام يا أبا السَّري عندنا رجل من العبَّاد من أهل واسط[10] العراق [١٨٠أ] و[11]لا يأكل إلا من كدِّ يده[12]، وقد دَبِرت يداه[13] من شقِّ الخُوص، ولو رأيته لأطلت النظر إليه، قال[14]: فهل لك أن تمضي بنا إليه؟ قلت: نعم. فأتيناه فوقفنا[15] على بابه، فخرج إلى الباب فسمعته يقول: اللهم إنِّي أعوذ بك ممن جاءني[16] يشغلني عنك[17] عمَّا أتلذَّذ به[18] من مناجاتِك. ثم فتح

---

(١) في (م) و(ع): «احفظ رأس مال الشيبة ولا تضيع ما في الكبر».

(٢) في (م) و(ع): «حزن».

(٣) عبارة «إذا خالفت.. إلخ»، في الأصل: «إذا خلفت في صحرا التخلف»، وفي (م): «إذا حالفت صحرا التخلف»، والتصويب من (ع).

(٤) في الأصل: «مغائض»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد. ابن منظور، اللسان، «صعق»، ١٠/١٩٨. والمعنى أن الشهوة متى استحكمت بالقلب عصفت به، وملأته بحب الدنيا وحجبت عنه نور الإيمان، فكان أثرها في الضرر والأذى تماماً كأثر الصاعقة.

(٧) في (ع): «الخطا».

(٨) في (م) و(ع): «فيه».

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٢٣٩.

(١٠) في الأصل: «واسطة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «يمينه».

(١٣) في (م) و(ع): «وقد دبرت صفحة يديه». والدَّبَر: الجرح الذي يكون في ظهر الدابة، والمدبور: المجروح. ابن منظور، اللسان، «دبر»، ٤/٢٧٤.

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «فوقفت».

(١٦) في (م) و(ع): «جاء».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «بك»، والتصويب من (م) و(ع).

الباب، ودخل ودخلنا[١]، فإذا رجل ترى به أثر[٢] الآخرة وإذا قَبْر محفور، ووصيَّته قد كتبها في الحائط، وكساء[٣] قد أعدَّه لكفنه، فقلتُ: أيّ موقف لهذا الخلق؟ فقال: بين يدي من؟ ثم صاح وخرَّ مغشيّاً عليه[٤]، ثم أفاق من غشيته، فقال له صاحبي: يا عابد[٥] هذا أبو السَّري منصور بن عمَّار. فقال لي: مرحباً بك يا أخي مازلت إليك مشتاقاً، وإلى ٱستماع مواعظك تواقا[٦]، أعلمك أنَّ لي داء قد أعيا الأطبَّاء[٧] قبلك قديماً فهل لك أن تأتي[٨] عليه برفقك وتلصق عليه من[٩] بعض مراهمك لعلَّ الله ﷻ ينفعني بك[١٠]. قال: قلت: و[١١]كيف يُعالج مثلي مثلك وجرحي أدغل[١٢] من جرحك؟ قال: وإن كان كذلك فإنِّي مشتاق إلى ذلك. قال: فقلت[١٣]: إنْ كنت قد تمسَّكت بأحفار قبر[١٤] في بيتك، وبوصيَّة رسمتها[١٥] بعد وفاتك، وبكفن أعددته ليوم موتك، فإن لله ﷻ[١٦] عباداً أقطعهم خوفهم[١٧] عن النظَّر إلى قبورهم. قال: فصاح صيحة فوقع[١٨] في قبره، وجعل يفحص برجله[١٩] وبال، فعرفت ذهاب عقله [٨٠ب] فخرجت إلى طحَّان عند بابه، فقلت: ٱدخل وأعنَّا على هذا الشيخ، فٱستخرجناه من قبره[٢٠] وتركناه[٢١] صريعاً فلمَّا كان من الغداة[٢٢] عدتُ إليه، فإذا بسلخٍ في وجهه وإذا بشريط قد شدَّ به رأسه لصداع وجده، فلمَّا رآني قال[٢٣]: يا أبا السَّري المعاودةَ يرحمك الله تعالى[٢٤]. فقلت له[٢٥]: أين[٢٦] بلغت بك[٢٧] أيُّها المتعبد أحزانك بالله، فكأنِّي أنظر إلى آكل الفطير

---

(١) عبارة «ودخل ودخلنا»، في (م) و(ع): «فدخلنا».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «وكساه».
(٤) عبارة «وخر.. إلخ»، في (م) و(ع): «وخر لوجهه».
(٥) في (م) و(ع): «عبَّاد».
(٦) عبارة «وإلى استماع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «المتطببين».
(٨) في (م) و(ع): «تتالى».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «لعل الله أن ينفع بك».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) الدَّغَل: الفساد. ابن منظور، اللسان، «دغل»، ١١/ ٢٤٤.
(١٣) في (م) و(ع): «قلت».
(١٤) في (م) و(ع): «قبرك».
(١٥) في (م) و(ع): «قد رسمتها».
(١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «خوفه».
(١٨) في (م): «وقع»، وفي (ع): «ووقع».
(١٩) في (م) و(ع): «برجليه».
(٢٠) في (م) و(ع) زيادة: «وهو في غشيته فقال لي الطحان ما صنعت فخرجت».
(٢١) في (م) و(ع): «وتركته».
(٢٢) عبارة «من الغداة»، في (م) و(ع): «الغد».
(٢٣) في (م) و(ع): «قال لي».
(٢٤) عبارة «يرحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «رحمك الله».
(٢٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٦) في الأصل: «إني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

والصَّابر على خبز[1] الشَّعير يأكل ما اشتهاه[2] ويسعى إليه[3] بلحم وطير ويسقى[4] من الرَّحيق المختوم[5]. فشهق شهقة فحرَّكته فإذا هو قد[6] فارق الدنيا رحمة الله علينا وعليه[7]». شعر:

لَوْ صَحَّ في عِقْد السُّلو أمَانه ... لأَتَاه من مَلك الغرام[8] أمانه
وَلكم نَوَى كِتْمَان سِرّ جُفونِه ... فَوَشَتْ عليه لحَالِه[9] أشجانه
صَبٌّ متى هَبَّتْ صَباً نَجْدِيَّة ... نَثَرَت نِثار[10] دمُوعه أجْفَانُه
ومتى تَألَّقَ بَارِق أهْدَى له ... ذِكْر الهوى ومَعَانه لَمعانُه
يا صَاح يا صَاح الفُؤاد وإنَّني ... ثَمِلُ الفؤاد من الهوى سَكْرَانه
عرِّج على المغْنى[11] ففيه أحبتي ... معنى يدقّ عن اللسان بيانه[12]
قِف فيه وَقْفَةَ حَائِرٍ مُتَبَلِد ... مُتَبَلْبِل[13] أحزانه أحزانُه
واشْكُر لِطَرْفك أنْ أراك أراكه ... واخْلَع فُؤَادك حين يَرْقص[14] بَانه
وانْحر جُفُونك في ثراه فإنَّه ... لَمُنَى مُنَاك هَوًى وذاك مَكَانُه
وعَهِدْتُه مَأْوَىَ الحِسَان فطالما[15] ... أولى فَزَيَّن حُسْنَه إحْسَانُه[16]

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي لا يردّ قضاؤه فله الحكم فيما قضى[17] وقدَّر، عدل فيما [81أ] حكم وحكمه في أمِّ الكتاب مسطَّر، كلّ شيء له عنده مقدار وأقدار فيما بطن وظهر، ليس في الوجود مدبِّر غيره[18] وكل من[19] سواه مدبَّر، كلٌّ ألبسه ثوب الفقر فهذا فقير وهذا أفقر، طبعهم على الضَّعف والعجز فلسان المدَّعي قصر وأقصر، من أوله قطعة طين وآخره جيفة في

---

(1) في (م) و(ع): «أكل».
(2) في (م) و(ع): «اشتهى».
(3) في (م) و(ع): «عليه».
(4) في (م) و(ع): «وسقي».
(5) الرحيق: من أسماء الخمر يريد خمر الجنة، والمختوم: المصون الذي لم يُبْتَذل لأجل ختامه. ابن منظور، اللسان، «رحق»، 10/114.
(6) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(7) عبارة «رحمة الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(8) في (م) و(ع): «العراق».
(9) في (م) و(ع): «بحاله».
(10) في (م) و(ع): «نثار».
(11) المغنى: المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا. الفيروزآبادي، القاموس، «غنى»، ص1701.
(12) البيت ساقط في الأصل، وهو من (م) و(ع).
(13) في الأصل: «مبلبل»، والتصويب من (م) و(ع).
(14) في (م): «ترقص».
(15) في (م): «وطالما».
(16) الأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة في (ع).
(17) في (م): «قد قضى».
(18) في (م): «غيره مدبِّر».
(19) في (م): «ما».

القبر رهين أما عنده خبر، يا ليته لم يخلق يا[1] ليته لم يبعث ويا ليته جدَّ وشمَّر، ٱستلان فراش الغفلة حتى ولَّى زمان الصِّبا وجاء الكبر، يا ليلته بادر إلى[2] المتاب قبل أن يقبر، كيف يطيب[3] عيش من لا يدري مآله إمَّا إلى الجنة وإمَّا[4] إلى سقر، بينما المغرور يجرّ إزار الغفلة إذ[5] به في ديوان الموت يتعثَّر، لا يُقَال ولا يقام ولا تقال له عثرة[6] إن عثر، فسيندم[7] المفرِّطون عند معاينة المحتوم بالقدر، ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[8]، فسبحان من لا تحيط به العقول ولا الفكر، أحمده حمدا يليق بعظمته وهو أعلى من حمد[9] الحامدين وأكبر[10]، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدُّها[11] ليوم أقبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النَّبيِّين وسيِّد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[12] الذين أذهب عنهم الرِّجس[13] وطهَّر.

إخواني جدُّوا في طلب الآخرة فإنَّ دونها[14] أهوال، النار قرنت بأدنى شهوة تنال[15]، أهل الهوى في تيه [٨١ب] الشقاء ضلَّال، عجباً لهم كيف يحملون الأوزار وهي ثقال، إذا حلُّوا منزل القبر ظهرت لهم[16] الآلام[17] والأنكال، تيقَّظوا يا أهل الغفلة فهذا[18] نذير الشيب ينادي[19] بالارتحال، أنت في علم الآخرة بليد وفي علم[20] الدنيا لك ٱرتجال، كم شيَّعتم من[21] جنازة وهي تناديكم يا للرِّجال، بصوت لو سمعتموه لتمزَّقت أوصالكم[22] قبل

---

(١) في (م): «ويا».
(٢) الكلمة ساقطة في (م).
(٣) في (م): «طاب».
(٤) في (م): «إما إلى جنة أو».
(٥) في (م): «إذا».
(٦) عبارة «ولا تقال.. إلخ»، في (م): «ولا يقال له لعاً». ولعا كلمة يُدْعى بها للعاثر معناها الارتفاع. ابن منظور، اللسان، «لعا»، ١٥/ ٢٥٠.
(٧) في (م): «سيندم».
(٨) سورة القيامة، آية ٧ إلى ١٠.
(٩) في الأصل: «حمده»، والتصويب من (م).
(١٠) في (م): «وأكثر».
(١١) في الأصل: «نستعدها»، والتصويب من (م).
(١٢) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م).
(١٣) الرِّجس: المأثم والشك. ابن منظور، اللسان، «رجس»، ٦/ ٩٥.
(١٤) عبارة «فإن دونها»، في (م): «فدونها».
(١٥) عبارة «النار قرنت.. إلخ»، في (م): «الجنة قريبة بترك أدنى شهوة تنال»، وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم الحديث (٧٤)، ٨/ ١٨٣.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م).
(١٧) في الأصل: «الآمال»، والتصويب من (م).
(١٨) عبارة «تيقظوا.. إلخ»، في (م): «يا أهل الغفلة تيقظوا هذا».
(١٩) الكلمة ساقطة في (م).
(٢٠) في الأصل: «علوا»، والتصويب من (م).
(٢١) الكلمة ساقطة في (م).
(٢٢) عبارة «لو سمعتموه.. إلخ»، في (م): «لو سمعته تمزقت أوصالك». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا وُضِعَت الجنازة فاحتملها الرِّجال على =

الوصال، لكن عليكم[1] طرش الغفلة ولكم[2] في البطالة مجال، يا قيس التوبة متى تظفر بليلى الوصال، كم قطع من موصول ووصل من مقطوع فطال لسانه وصال[3]، واعجبا[4] كم في المجلس من النظّارة فأين الأبطال، يا مخنَّث العزيمة رضيت بأن توسم بآسم البطّال[5]، يا أرباب الجرائم[6] أسبلوا عبراتكم قبل حلول القبر[7]، ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

أبو إسحاق الهَرَوي رحمه الله تعالى قال[8]: «كنت مع ابن الحنوطي[9] بالبصرة فأخذ بيدي وقال قم حتى نخرج إلى الأبلَّة[10]، فلمَّا قربنا من[11] الأبلَّة ونحن نمشي على شاطئها[12] بالليل والقمر طالع إذ مررنا بقصر جندي[13] فيه جارية تغني، فوقفنا في فناء[14] القصر نستمع، وفي جناب[15] القصر الآخر فقير بخرقتين[16] يستمع[17] واقفاً، فقالت الجارية:

كلَّ يَوْم تَتَلَوَّن ... غَيْر هذا بك أجْمَل
ما ترى العُمْر تولَّى[18] ... وَرَسُول الموت أقْبَل

[مجزوء الرمل]

قال[19]: فصاح الفقير: أعيدي، هذا[20] حالي مع الله ﷻ[21]. فنظر صاحب الجارية إلى

= أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصَعِق». البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة قدِّموني، رقم الحديث (٧٣)، ٢/ ١٨٤.

(١) في (م): «لكن غلب عليك».
(٢) في (م): «ولك».
(٣) صال: استطال. ابن منظور، اللسان، «صول»، ١١/ ٣٨٧.
(٤) في (م): «واعجباه».
(٥) عبارة «يا مخنث.. إلخ» ساقطة في (م).
(٦) في (م): «الإجرام».
(٧) في (م): «العبر».
(٨) في (م): «قال أبو إسحاق الهروي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٥٢. وابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين، ص٢٤٨. والقشيري في الرسالة القشيرية، ص٣٤٦، وإنما ساق القصة عن الدراج.
(٩) في الصفة «ابن الخروطي»، وفي كتاب التوابين «ابن الخيوطي»، وفي الرسالة القشيرية «ابن الفوطي»، والله أعلم.
(١٠) الأُبلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى، في زاوية الخليج الذي يَدْخل إلى مدينة البصرة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ١٨.
(١١) في (م): «إلى».
(١٢) في (م): «على شاطئ الأُبلَّة».
(١٣) في (م): «الجندي».
(١٤) عبارة «في فناء»، في (م): «بفناء».
(١٥) في (م): «فناء».
(١٦) عبارة «فقير بخرقتين» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م).
(١٨) في الأصل: «أما ترى العمر ولى»، والتصويب من (م).
(١٩) الكلمة ساقطة في (م).
(٢٠) في (م): «فهذا».
(٢١) في (م): «تعالى».

الفقير، فقال[1] لها: [٨٢أ] أتركي العود وأقبلي على هذا[2] فإنَّه صُوفيّ، فأخذت تقول والفقير يقول: هذا حالي مع الله ﷻ[3]، والجارية تُردد إلى أنْ زعق الفقير زعقة[4] خرَّ مغشياً عليه، فحرَّكناه فإذا هو ميِّت رحمة الله عليه[5]. فلمَّا سمع صاحب القصر بموته نزل وأدخله القصر، فأغتممنا وقلنا هذا يكفِّنه من غير وجهه. فصعد الجندي وكسر كل ما كانَ عنده[6] بين يديه. وقلنا: ما بعد هذا إلا خير. ومضينا إلى الأبلَّة، وبتنا وعرَّفنا الناس، فلمَّا أصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناس يقبلون من كل جانب[7] إلى الجنازة و[8] كأنَّما نُودِيَ بالبصرة[9] حتى خرج العدُول والقضاة وغيرهم، وإذا الجندي يمشي[10] خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفنَّاه. فلمَّا هَمَّ[11] الناس بالانصراف قال للشهود[12]: أشهدوا[13] أنَّ كل جارية لي حرَّة لوجه الله ﷻ[14]، وكلَّ متاعي[15] وعقاري حبس في سبيل الله ﷻ[16]، وفي صندوقي أربعة آلاف دينار هي في سبيل الله ﷻ[17]، ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرماه وبقي في سراويله. فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما تقبلهما مني[18]؟ فقال: شأنك. فحملهما إليه فأتَّزر بواحد وتوشَّح بآخر[19] وهام على وجهه، فكان بكاء النَّاس عليه[20] أكثر من بكائهم على الميِّت». شعر[21]:

ما حَالَ[22] راية وَصْلكم أنْ تنشَرا	كَرَماً ومَيِّتُ هَجْرِكم أنْ يُنْشَرا
أَحْبَابنا كم ذا الجَفَا تَجنِّياً	وإلى متى هذا الصُّدود تَكَبُّرا[23] [٨٢ب]
إنْ غُيِّبَت صَفَحات صَفْح[24] وجُوهِكم	فالخَطّ منها في الفؤاد[25] تَسَطَّرا[26]

---

(١) في (م): «وقال».
(٢) عبارة «على هذا»، في (م): «عليه».
(٣) في (م): «تعالى».
(٤) عبارة «زعق.. إلخ»، في الأصل: «زهق الفقير زهقة»، والتصويب من (م).
(٥) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م).
(٦) الكلمة ساقطة في (م).
(٧) في (م): «جهة».
(٨) الواو ساقطة في (م).
(٩) في (م): «بأهل البصرة».
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١١) في الأصل: «هوى»، والتصويب من (م).
(١٢) في (م): «قال للقاضي والشهود».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م).
(١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م).
(١٥) في (م): «ضياعي».
(١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م).
(١٧) عبارة «وفي صندوقي.. إلخ» ساقطة في (م).
(١٨) عبارة «تقبلهما مني»، في (م): «أتقبلهما».
(١٩) عبارة «وتوشح بآخر»، في (م): «واتشح بالآخر».
(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(٢٢) في (م): «دان».
(٢٣) عبارة «وإلى متى هذا.. إلخ»، في الأصل: «إلى متى في حبكم أن تهجر»، والتصويب من (م).
(٢٤) في (م): «صحف».
(٢٥) في الأصل: «فؤاد»، والتصويب من (م).
(٢٦) في (م): «مسطراً».

لي بعدكم قَلْب تَقَلَّب في الجَوَى ... وجُفُون عيني قد جَفَتْ سَنَةَ الكَرَى
وتَحَدَّر الدَّمْع الذي لَوْلاكم ... وجَرَتْ به ريح الجنوب[1] لَمَا جَرَى
يَرْتَاح قلبي كُلَّما ذُكِرَ الحِمَى ... شُوْقاً كَأَنِّي قد شَرِبْتُ المُسْكِرا
وإذا رِيَاح دياركم هَبَّت لنا[2] ... تُغْنِي[3] المَعَاطِس[4] أنْ تشُمَّ العَنْبَرا
ما زال جَيْشُ تَواصُلي في غِبْطَة ... حتى أعَدَّ[5] البَيْن منه عَسْكَرا
كان الوِصَال مُقَدَّما بِدُنُوكم[6] ... فأتَى النوى فارْتَدَّ منه مُؤَخرا
ما لاَمَ فيكم عَاذِل[7] فرأى الذي ... بي من جَوىً إلَّا أتَى مُسْتَعْذِرا[8]
هيهات أنْسَاكُم وأنْسَى ذِكْرَكم ... مَن ذا[9] لما طَبَع الإله مُغَيِّرا
أمِن المروءة أنْ تَنَاموا عن فَتَى ... حَيْران صاد[10] للوِصَال فَيَسْهَرا
جَرَت المدامع من شُؤون[11] جفُوُنه ... بعد النَّوى حتى جَرَحْن المَحْجَرا
ما هَمَّ بالصَّبْر الجميل فُؤَاده ... إلا نَهَتْهُ دُمُوعه أنْ يَصْبِرا
قد كان أيْسر بالتَّداني بُرْهَةً ... فاليوم أصْبح بالتَّفرق مُعْسرا
قد أنْذَرَته البَانُ غُرْبَان النَّقَى ... فمتى يرى بالوصل بعد مُبَشِّرا[12]

[بحر الكامل]

واعجباه كم لي أعاتب المهجور والعتب لا[13] ينفع، كم لي أنادي الأطروش لو كان النداء يسمع، كم لي أحدِّث قلبك وفي سماعك أطمع، واهاً عليك يا جامد العين قطُّ ما تدمع، من

---

(1) ريح الجنوب تخالف الشمال، مَهبُّها من مطلع سُهَيْل إلى مطلع الثُّريا. الفيروزآبادي، القاموس، «جنب»، ص٨٩.
(2) عبارة «وإذا رياح.. إلخ»، في (م): «وإذا يهب نسيم ريح دياركم».
(3) في (م): «يغني».
(4) المعاطس: الأنوف. ابن منظور، اللسان، «عطس»، ٦/ ١٤٢.
(5) في الأصل: «أعاد»، والتصويب من (م).
(6) في (م): «يدنو بكم».
(7) في (م): «لائم».
(8) في (م): «مستغفراً».
(9) عبارة «من ذا»، في (م): «أضحى».
(10) صاد: هو اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد. ابن منظور، اللسان، «صدى»، ١٤/ ٤٥٥.
(11) الشؤون: عروق الدموع من الرأس إلى العين. والشؤون هي مَواصِل قبائل الرأس ومُلتقاها، ومنها تجيء الدموع. ابن منظور، اللسان، «شأن»، ١٣/ ٢٣٠، ٢٣١.
(12) عبارة «فمتى يرى بالوصل.. إلخ»، في الأصل: «فمتى يرى منه بالوصال مبشراً»، والصواب ما أثبتناه على ما جاء في الأصل في الخطبة الأولى من الفصل الرابع والعشرين، والأبيات الخمسة الأخيرة ساقطة في (م).
(13) في (م): «ما».

علامات[1] الخذلان قلب لا يخشع[2]، طويت بساط[3] العزم ونشرت بساط الأمل [183أ] أما ترجع[4]، عقلك ذهب في حبّ[5] الفاني وأنت في الحرام تجمع، عليك[6] في جمعه الحساب[7] وتخلّفه لمن لا ينفع، بينما أنت في بستان اللّهو[8] إذ قيل فلان سافر وليس في رجعه[9] مطمع، ليت شعري أعجب[10] أهل القبور المقام في ضيق لحدٍ خراب بلقع؟ كم بكى عليهم[11] الباكي وناح عليهم النّائح وما ينفع، شغله عن أهله وولده ماهو فيه من الجزع، يتجرّع شراب الأسف على الفائت جرع، لقد وعظوا بسكنهم ومسكنهم وسكونهم فأين من يسمع، كانوا يتزيّنون في المأكل والملبس فهاهم تحت اللّحود[12] هجّع، ملّهم العائد ونسيهم الزائر وكلّهم إلى ما قدّموا أنقطع[13]، فبادروا إخواني قبل أن تبادر[14] الخُبْر والخَبَر[15]، ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

سالم بن زرعة بن حمّاد رحمه الله تعالى أبو المرضي ـ شيخ بعبّادان له عبادة وفضل ـ قال[16]: ملح عندنا الماء[17] منذ نيفٍ[18] وستين سنة، وكان هاهنا رجل من أهل السّاحل له فضل. قال: ولم يكن في الصّهاريج شيء فحضرت صلاة المغرب، فنهضت لأتوضّأ للصلاة،

---

(1) في (م): «علامة».

(2) قسوة القلب: معناه خلوه من الإنابة والإذعان لله تعالى، وهو علامة من علامات البعد عن الله تعالى؛ لذا استعاذ منه رسول الله ﷺ؛ فعن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها». مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم الحديث (73/2722)، 4/2088.

(3) عبارة «طويت بساط»، في (م): «سَوَّفْت نشاط».

(4) عبارة «ونشرت.. إلخ»، في (م): «وبسطت بساط المضطجع».

(5) في (م): «طلب».

(6) في (م): «غلبك».

(7) في الأصل: «في الحساب»، والتصويب من (م).

(8) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(9) في (م): «رجوعه».

(10) في (م): «أأعجب».

(11) في (م): «كم بكاهم».

(12) في (م): «تحت صم اللحود».

(13) عبارة «وكلهم إلى.. إلخ»، في (م): «وكل إلى ما قدمه انقطع».

(14) في (م): «تعاينوا».

(15) الخَبَر: النبأ. والخُبْر: العلم بالشيء. ابن منظور، اللسان، «خبر»، 4/227. والمعنى: بادروا المتاب قبل أن يفجأكم نبأ الموت.

(16) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، 4/59، وإنما قال: «سَلْم بن زرعة بن حماد». وفي المنتظم، 12/19، وإنما قال: «مسلم بن زرعة بن حماد».

(17) في (م): «ملح الماء عندنا».

(18) في الأصل: «ونيف»، والتصويب من (م).

وكان ذلك في رمضان وكان يوم حرٍّ[1] شديد، وإذا أنا به وهو يقول: سَيِّدي أرضيت عملي حتى أتمنَّى عليك أم رضيت طاعتي حتى أسألك؟ سيِّدي غسالة الحمَّام لمن[2] عصاك كثير، سيِّدي لولا أنِّي أخاف غضبك لم أذق الماء ولو[3] أجهدني العطش [٨٣ب]. قال: ثم أخذ بيديه فشرب شرباً صالحاً[4]، فتعجَّبت[5] من صبره على ملوحته، فأخذت من الموضع الذي شرب منه[6] فإذا هو بمنزلة السُّكَّر، فشربت منه[7] حتى رويت. قال أبو المرضي: قال[8] لي[9] هذا الشيخ يوماً: رأيت فيما يرى النائم كأنَّ رجلاً يقول لي قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتها قرت عيناك، وقد لهونا بتنجيدها والفراغ منها إلى سبعة أيَّام، وٱسمها دار السّرور، فتهيَّأ للقدوم إليها[10] في اليوم السابع من الآن وأبشر بخير، فلمَّا كان في اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكَّر للوضوء فنزل في النَّهر وقد مدَّ قدميه[11] فزلق فغرق، فأخرجناه ميِّتاً وصلَّينا عليه ودفنَّاه[12]. قال أبو المرضى: فرأيته بعد ثلاثة أيام في النوم، وهو يجيء إلى القنطرة وهو يكبِّر وعليه حلل خضر، فقال: يا أبا المرضي أنزلني الكريم دار السرور فماذا أعدَّ لي فيها! فقلت له: صف لي ذلك[13]، فقال: هيهات يعجز الواصفون أن[14] تنطق ألسنتهم بما فيها، فٱكتسب مثل الذي ٱكتسبت[15]، وليت عيالي يعلمون أنْ قد هيئ لهم منازل معي، فيها كلّ ما ٱشتهت أنفسهم، نعم وإخواني وأنت معهم إن شاء الله تعالى[16] ثم ٱنتبهت». شعر[17]:

أَلَا هَل على اللَّيْل الطويل معين ... إذا نزحت دار وحنَّ حزين[18]

أَكَابِدِ هذا الليل حتى كأنَّما ... على نَجْمِهِ أَلَّا يغيب يَمين [٨٤أ]

فوالله ما فَارَقْتُكم قَالِياً لكم ... ولٰكِن ما يُقْضَى فَسَوْف يَكُون

---

(١) عبارة «وكان يوم حرّ»، في (م): «وفي حر».

(٢) عبارة «غسالة الحمام لمن»، في الأصل: «غسالة الحمالين»، والتصويب من (م). وغُسالة كل شيء ماؤه الذي يُغْسَل به. والغُسَالة: ما غَسَلْتَ به الشيء. ابن منظور، اللسان، «غسل»، ١١/٤٩٤.

(٣) في (م): «ولولا»، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «فشرب شراباً مالحاً»، وهي من (م).

(٥) في (م): «فعجبت».

(٦) عبارة «الذي شرب منه»، في (م): «الذي أخذ».

(٧) الكلمة ساقطة في (م).

(٨) في (م): «فقال».

(٩) في الأصل: «له»، والتصويب من (م).

(١٠) عبارة «للقدوم إليها»، في (م): «القدومها».

(١١) الكلمة ساقطة في (م).

(١٢) عبارة «فأخرجناه.. إلخ»، في (م): «فأخرجناه بعد الصلاة فدفناه».

(١٣) عبارة «لي ذلك» ساقطة في (م).

(١٤) في (م): «عن أن».

(١٥) عبارة «فاكتسب .. إلخ» ساقطة في (م).

(١٦) الكلمة ساقطة في (م).

(١٧) تقدمت الأبيات في الخطبة الأخيرة من الفصل الرابع.

(١٨) في الأصل و(م): «حنين»، وقد وردت لفظة «حزين» في ديوان أبي نواس، ص٦٢٩، وهي الأصوب.

حتى رجع من الدفن[1]، فلمَّا رجع[2] إلى بيتها، فوجد الكفن الذي كفَّنها فيه ولم يجد المرقعة، فناداه منادٍ من جانب البيت: يا هذا خذ كفنك الذي كفنتها فيه[3] فقد كفَّنَّاها فيما يصلح لها، وجعلنا مرقعتها لها حفظاً لوصيَّتها، فرجع من ساعته إلى القبر وكشف[4] التراب عنها فلم يجدها، فتحيَّر فنودي من جانب القبر: يا هذا أما علمت أنَّ مثلها من المستغفرين لا يترك وحيداً غريباً[5] بين التراب والديدان». شعر[6]:

باتت ترى نحو[7] العقيق رامة[8]	ما بعده لولا الغرام نظرا
طَوَى لها الشوق البعيد[9] فأنبرت	ترى بأبصار الهوى مالا يرى
واهاً لها ما للحمى وما لها	أَوَطَراً تبغي به[10] أو[11] خطرا
ولا يفيد قولها برامة	إن وصلت هل من قِرىً ولا[12] قرى
لا تشتكي[13] من الرَّدى توجُّهاً[14]	ولا تخاف من دُجى تحيُّرا
رِفقاً فلو جاز[15] السَّحاب طَرْفَها	ونَوَّرت[16] نَوْرا وفاضت غُزُرا [٨٦ب]
ما وَرَدَتْ غيرالدموع مَنْهلاً	ولا ٱرتعَتْ[17] إلا القلوب زهرا
تُثنِي إلى حُدَاتِها أعناقها	كأنَّما تأخذ عنهم خبرا

---

(١) في (م): «المدفن».

(٢) عبارة «فلما رجع»، في (م): «فرجع».

(٣) في (م): «به».

(٤) في (م): «فكشف».

(٥) في (م): «غريباً وحيداً».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من(م).

(٧) في (م): «على».

(٨) رامة: منزل في طريق البصرة إلى مكة، وهي هضبة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢/٥٩٧

(٩) في (م): «الشديد».

(١٠) عبارة «أوطرا.. إلخ»، في (م): «وطراً تبغي بها»، وهو تصحيف.

(١١) في الأصل: «أمراً»، والتصويب من (م).

(١٢) في الأصل: «ولا من»، والتصويب من (م). وقَرى الضيف قِرًى: أضافه. ابن منظور، اللسان، «قرا»، ١٥/١٧٩.

(١٣) في الأصل: «تشكي»، والتصويب من (م).

(١٤) عبارة «من الردى توجها»، في (م): «من الوجا تغيرا». والوجا: الحفا، أو أشد منه. الفيروزآبادي، القاموس، «وجا»، ص١٧٢٩.

(١٥) في (م): «حاز».

(١٦) في الأصل: «النوّرت»، وهي من (م). ونوَّرت الشجرة أي أخرجت نوْرها. ابن منظور، اللسان، «نور»، ٥/٢٤٤.

(١٧) عبارة «ولا ارتعت»، في الأصل: «ولوعت»، والتصويب من (م). ورعت الماشية تَرعى رعْياً وٱرْتَعَت. ابن منظور، اللسان، «رعى»، ١٤/٣٢٦.

تُحْدى بشعري فتميل طربا قل لي متى صار القريض مُسْكرا[1]
حَسْبُك لم يُبْقِ الهوى من جسدي عينا ولا جَوْر الغرام أثرا[2]

[بحر الرجز]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أوحى إلى أسرار العارفين أن صفاء التوحيد يرفع عن القلب الحجاب، أنشأ لهم سفينة الاستدلال وجعل لهم فيها[3] من مدلول المعاني العجيب العجاب، وسع لهم في ديوان[4] الزيارة بإغاثة الملهوفين والطلاب، نصب لهم[5] شراعها في الشريعة ورقائقها من خالص الاكتساب، جعل دلائلها نور[6] العلم يستدل بحركات الأقطاب، وثبت مراسيها بالصدق والإخلاص ومدامع بانسكاب، أقلعوا في بحر الإقلاع عن[7] الشهوات فبلغوا نهاية المطلب للطلاب، ساعدتهم رياح العناية فقربت[8] لهم الغاية أي اقتراب، حطوا على ساحل[9] التهجد يتنسمون[10] ديار الأحباب، وجدوا بضاعتهم[11] رابحة وافرحتهم بالكواعب[12] الأتراب، كم لهم تحت الدجى من حنين وأنين وتملق[13] وآداب، والمحروم صريع النوم لا يفهم معنى الخطاب، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[14].

يا أعمى عن طريق القوم عليك بإصلاح نور البصر، القلب المظلم [٨٧أ] يمشي في شوك الشك وما عنده خبر، وقت التائب كله عمل نهاره نوم وليله سهر، وقت[15] المصر كله غفلة وسيظهر له ما أصر، نهار الغافل ليل وليله غفلة[16] وبصيرته عميت عن النظر، كم تسافر لرؤية العجائب وكم فيك من أسرار وعبر، وأنفك[17] المزكوم لا يشم ريح المسك ولا ما هو أعطر، والأطروش لاحظَّ له في سماع الوتر، كم فيك آلات[18] اعتبار لا[19] تظهر إلّا لمن

---

(١) في (م): «منكرا».
(٢) عبارة «الحمد لله الذي أخلص بخلاصه.. إلخ» ساقطة في (ع).
(٣) الكلمة ساقطة في (م).
(٤) في (م): «ديار».
(٥) الكلمة ساقطة في (م).
(٦) عبارة «جعل.. إلخ»، في (م): «جعل دليلهم».
(٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م).
(٨) في (م): «فقرَّب».
(٩) في (م): «ساحة».
(١٠) في الأصل: «يستنسمون»، والتصويب من (م).
(١١) عبارة «وجدوا بضاعتهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١٢) كَعَبَت الجارية: نهد ثديها، وجارية كاعب، وجمع الكاعب كواعب. ابن منظور، اللسان، «كعب»، ٧١٩/١.
(١٣) المَلَق: الود واللطف الشديد، مَلِق مَلَقاً وتَمَلَّق وتَمَلَّقه، أي تودَّد إليه وتلطف له. ابن منظور، اللسان، «ملق»، ٣٤٧/١٠.
(١٤) سورة الزمر، آية ٩.
(١٥) في (م): «ووقت».
(١٦) عبارة «وسيظهر له.. إلخ» ساقطة في (م).
(١٧) كلمة «وأنفك»، في (م): «أنف».
(١٨) في (م): «من الآيات».
(١٩) في (م): «ما».

تفكر[١]، جرت في مجاري الفكر[٢] والعارف في جريه لا يعثر[٣]، من ذاق حلاوة الزهد أستحلى التهجد والسهر، إن لم تدرك المتهجدين في أول الساقة ففي[٤] أعقاب السحر، فيا من قطعه النوم حتى غاب من القوم الأثر، نالوا المنى وحرمت عجباً لك كيف لا تتحسر، تيقظ ويحك من نوم الغفلة فهذا فجر المشيب أنفجر، واذلة المحبوب[٥] إذا تخلف عن الأحباب ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

قال أبوعامر الواعظ رحمه الله تعالى[٦]: «بينما[٧] أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءني غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا[٨] فيها مكتوب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم[٩]، متعك الله يا أبا عامر[١٠] بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر [٨٧ب] أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك وأحببت زيارتك وبي من الشوق إليك و[١١]إلى مجالستك والاستماع لمحادثتك ما لو كان فوقي لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني[١٢]، فسألتك[١٣] بالذي أدهق[١٤] كؤوس بلاغتك وأوسع جداول إصابتك إلا أتحفتني[١٥] جناح التوصل برؤياك وزيارتك[١٦]، والسلام. قال أبو عامر رحمه الله تعالى[١٧]: فقمت مع الرسول حتى أتى بي[١٨] إلى فناء دار فأدخلني منزلاً خرباً، قال: فإذا فيه بيت في الخربة منفرد[١٩] له[٢٠] باب من جريد[٢١] النخل وإذا بكهل

(١) في (م): «فكر».
(٢) عبارة «جرت.. إلخ»، في (م): «خربت مجاري الفهم».
(٣) في (م): «يتغير».
(٤) في الأصل: «ففيه»، والتصويب من (م).
(٥) في (م): «المحب».
(٦) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٠/ ١٨٤. وأبو عامر: هو أبو عامر البناني واعظ أهل الحجاز. ابن قدامة المقدسي، كتاب التوابين، ص٢٥٦، حاشية.
(٧) في (م): «بينا».
(٨) عبارة «فقرأتها فإذا» ساقطة في (م).
(٩) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م).
(١٠) عبارة «يا أبا عامر» ساقطة في (م).
(١١) كلمة «إليك و» ساقطة في (م).
(١٢) أقل الشيء يُقِلُّه إذا رفعه وحمله. ابن منظور، اللسان، «قلل»، ١١/ ٥٦٥.
(١٣) في (م): «سألتك».
(١٤) أدهقت الكأس إلى أصبارها أي ملأتها إلى أعاليها، ودهقت الكأس أي ملأتها. ابن منظور، اللسان، «دهق»، ١٠/ ١٠٦.
(١٥) في (م): «الحقتني».
(١٦) عبارة «برؤياك وزيارتك»، في (م): «بزيارتك».
(١٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م).
(١٨) في الأصل: «به»، والكلمة ساقطة في (م)، والصواب ما أثبتناه.
(١٩) عبارة «قال: فإذا فيه.. إلخ»، في (م): «فإذا بيت مفرد في الخربة».
(٢٠) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م).
(٢١) في (م): «جرايد».

قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروباً، ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت في وجهه أحزانه، وذهبت من البكاء عيناه، وقرحت أجفانه[١] فلم يطق القيام، فسلمت[٢] فرد علي السلام، ثم تخلخل[٣] فإذا هو أعمى مقعد مسقام[٤]، فقال[٥]: يا أبا عامر غسل الله من رين[٦] الذنوب قلبك، ونقى من دنس الشهوات لبَّك، فلم[٧] يزل قلبي إليك تواقا، وإلى استماع مواعظك[٨] مشتاقاً، وبي جرح قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المتطببين شفاؤه، وقد بلغني نفع مراهمك للجراح فلا تنسنا ـ يرحمك الله تعالى[٩] ـ في إيقاع الدرياق وإن كان مر المذاق فإني ممن يصبر[١٠] على ألم الدواء رجاء الشفاء. قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرني، وسمعت كلاماً قطعني، فتفكرت[١١] طويلاً ثم تأتى لي[١٢] من كلامي ما تأتى، وسهل [٨٨أ] من صعوبته ما قد قسى[١٣]، قلت[١٤]: يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء، وأجل[١٥] سمع معرفتك في سكان الأرجاء، فيمثل لك[١٦] بحقيقة إيمانك جنة المأوى، فترى ما أعد الله للأولياء[١٧]، ثم تشرف[١٨] على نار تتلظى[١٩] فترى ما أعد الله فيها[٢٠] للأشقياء، فشتان ما بين الدارين، ليس[٢١] الفريقان في موقف[٢٢] سواء فأين أنت[٢٣]؟ قال أبو عامر: فأنَّ أنَّة، وصاح صيحة، وزفر والتوى وقال: يا أبا عامر وضع الله[٢٤] دواءك على دائي، وأرجو أن يكون عندك شفائي، زدني رحمك الله تعالى[٢٥]. فقلت له[٢٦]: يا شيخ إن الله ﷻ[٢٧] عالم بسر سيرتك،

---

(١) عبارة «وقرحت.. إلخ»، في (م): «وذهبت من البكاء أجفانه».

(٢) في (م): «فسلمت عليه».

(٣) الخَلَل: الفساد والوهن في الأمر. وعسكر متخلخل: غير مُتَضَام كأن فيه منافذ. ابن منظور، اللسان، «خلل»، ١١/ ٢١٥.

(٤) في الأصل: «مستقام»، والتصويب من (م).

(٥) في (م): «وقال لي».

(٦) الرَّيْن: الطَّبع والدَّنَس، ران ذنبه على قلبه رَيْناً: غلب. الفيروزآبادي، القاموس، «رين»، ص١٥٥١.

(٧) في (م): «لم».

(٨) في (م): «موعظتك».

(٩) عبارة «فلا تنسنا.. إلخ»، في (م): «فلا تبال رحمك الله».

(١٠) في (م): «أصبر».

(١١) في (م): «فأفكرت».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م).

(١٣) عبارة «ما قد قسى»، في (م): «ما منه رق لي».

(١٤) في (م): «فقلت».

(١٥) في الأصل: «واجعل»، والتصويب من (م).

(١٦) عبارة «فيمثل لك»، في (م): «فتمثل لي».

(١٧) في (م): «فيها للأولياء».

(١٨) في الأصل: «شرف»، والتصويب من (م).

(١٩) في (م): «تلظى».

(٢٠) عبارة «فترى ما أعد ..إلخ»، في الأصل «قرر الله ما أعد»، والتصويب من (م).

(٢١) في الأصل: «أليس»، والتصويب من (م).

(٢٢) في (م): «الموقف».

(٢٣) عبارة «فأين أنت» ساقطة في (م).

(٢٤) عبارة «وضع الله»، في (م): «وقع والله».

(٢٥) عبارة «رحمك الله تعالى»، في (م): «يرحمك الله».

(٢٦) عبارة «فقلت له»، في (م): «قال: فقلت».

(٢٧) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م).

مطلع على خفيتك[١]، مشاهدك في خلوتك، فعيناه تراك[٢] عند آستتارك من خلقه ومبارزتك إياه بمعصيته[٣]، قال: فصاح صيحة أشد من الأولى[٤] ثم قال: من لفقري؟ من لفاقتي؟ من لذلي[٥]؟ من لخطيئتي؟ أنت يا مولاي، وإليك منقلبي، ثم خر رحمه الله تعالى[٦]. قال أبو عامر[٧]: فسقط في يدي وقلت[٨]: ماذا جنيت على نفسي، فبينا أنا كذلك[٩] إذ خرجت إلي[١٠] جارية عليها مدرعة صوف وخمار من صوف، و[١١]قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، وآصفر وجهها لطول الصيام[١٢]، وتورمت قدماها من طول القيام[١٣]، وقالت: أحسنت والله[١٤] يا حادي قلوب العارفين، ومثير أشجان علل المحزونين، لا ينسى لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر هذا الشيخ والدي مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة، صلى حتى أقعد[١٥] [٨٨ب] وبكى حتى عمي، وكان يتمناك على الله ﷻ[١٦]، ويقول: إن[١٧] حضرت مجلس أبي عامر[١٨] فأحيا موات قلبي وطرد وسن عيني، وإن سمعته ثانية قتلني، فجزاك الله من واعظ خيراً ومتعك بما أعطاك من حكمة[١٩]، ثم آنكبت على أبيها تقبله في عينيه وتبكي وتقول: يا أبتاه[٢٠]، يا من قتله ذكر وعيد ربه، يا من قتله البكاء على ذنبه، ثم أقبلت على البكاء[٢١] والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول: يا أبتاه[٢٢] يا صريع[٢٣] المذكرين[٢٤] والخطباء، يا أبتاه[٢٥] يا قتيل الواعظين[٢٦] والحكماء، قال أبو عامر: فأجبتها وقلت لها: أيتها الباكية الحيرى[٢٧]، والنادبة الثكلى، إن أباك نحبه قد[٢٨] قضى، وورد

---

(١) في الأصل: «حقيقة»، والتصويب من (م).

(٢) عبارة «فعيناه تراك»، في (م): «بعينيه كنت». والمعنى: إنك في مراقبته سبحانه لا تخفى منك خافية.

(٣) عبارة «ومبارزتك.. إلخ»، في (م): «ومبارزته».

(٤) عبارة «فصاح.. إلخ»، في (م): «فصاح كضيحته الأولى».

(٥) في (م): «الذنبي».

(٦) عبارة «ثم خر.. إلخ»، في (م): «ثم خرميتا ؒ».

(٧) عبارة «قال أبو عامر» ساقطة في (م).

(٨) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م).

(٩) عبارة «فبينا.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(١٠) في (م): «علي».

(١١) الواو ساقطة في (م).

(١٢) في (م): «القيام».

(١٣) عبارة «من طول القيام» ساقطة في (م).

(١٤) كلمة «والله» ساقطة في (م).

(١٥) في الأصل: «قعد»، والتصويب من (م).

(١٦) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م).

(١٧) الكلمة ساقطة في (م).

(١٨) في (م): «أبي عامر البناني».

(١٩) عبارة «ومتعك.. إلخ»، في (م): «ومتعك من حكمتك بما أعطاك».

(٢٠) في (م): «أبتاها».

(٢١) في (م): «ثم علاها البكاء».

(٢٢) في (م): «أبتاها».

(٢٣) في (م): «صريخ».

(٢٤) في الأصل: «المذكورين»، والتصويب من(م).

(٢٥) عبارة «يا أبتاه» ساقطة في (م).

(٢٦) في (م): «الوعاظ».

(٢٧) في (م): «الحزنى».

(٢٨) الكلمة ساقطة في (م).

دار الجزاء، وعاين كل ما عمل عليه محصى في كتاب عند ربي لا يضل[١] ولا ينسى، محسن له[٢] الزلفى، ومسيء يجازى بما أساء[٣]، فصاحت الجارية صيحة[٤] كصيحة أبيها، وجعلت تترشح عرقاً، وخرجت مبادرة[٥] إلى مسجد المصطفى ﷺ وشرف وكرم[٦]، وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء، حتى كان عند العصر فجاءني[٧] الغلام الأسود فآذنني بجنازتيهما جميعاً رحمهما الله تعالى[٨] وقال[٩]: احضر الصلاة عليهما، فحضرت وسألت عنهما فقيل لي من ولد الحسن[١٠] بن علي بن أبي طالب رضي الله عن جميعهم[١١] ونفعنا بهم آمين[١٢]. قال أبو عامر: فبقيت مفكراً في أمرهما [٨٩أ] وما جنيت[١٣] على نفسي من قتلهما، فبينا أنا نائم في بعض الليالي[١٤] إذ رأيت الرجل في المنام وعليه حلتان خضراوتان فقال: يا أبا عامر لا تخف فقد أعطيت مثل ما أعطيت[١٥]، وجعل يقول هذه الأبيات[١٦]:

أنت شريكي في الذي نِلْته[١٧] ... مِثْلاً بمِثْلٍ يا أبا عامر

مَن ردَّ عبدا آبِقاً مذنباً ... فناصِح للسيد الغافر[١٨]

وكلّ مَن أيقظ ذا غفلة[١٩] ... فنِصْف ما يُعْطاه للآمر[٢٠]

[بحر السريع]

وأنشد رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبأمثاله آمين آمين[٢١]:

لَهْفِي على من ودَّعا ... وسار عنِّي مُسْرعا

فليتني يوم النَّوى ... كنت له مُشيِّعا

وقد جَزِعت بعده[٢٢] ... وحُقّ لي أن أجزعا

---

(١) عبارة «في كتاب.. إلخ»، في (م): «في كتاب لا يضل ربي».
(٢) في (م): «فله».
(٣) عبارة «ومسيء.. إلخ»، في (م): «ومسيء فدار من أسى».
(٤) في (م): «صيحة عظيمة».
(٥) في (م): «مبادرا».
(٦) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م).
(٧) عبارة «حتى كان عند العصر فجاءني»، في (م): «حتى إذا كان وقت العصر جاءني».
(٨) عبارة «جميعاً.. إلخ» ساقطة في (م).
(٩) في (م): «وقال لي».
(١٠) عبارة «من ولد الحسن»، في (م): «هما من ولد الحسين».
(١١) عبارة «عن جميعهم»، في (م): «عنهم أجمعين».
(١٢) عبارة «ونفعنا بهم آمين» ساقطة في (م).
(١٣) عبارة «وما جنيت»، في (م): «وخشيت».
(١٤) عبارة «فبينا أنا نائم.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١٥) في (م): «أعطيته».
(١٦) عبارة «هذه الأبيات» ساقطة في (م).
(١٧) في الأصل: «قد نلته»، والتصويب من (م).
(١٨) في الأصل: «الغفير»، والتصويب من (م).
(١٩) في الأصل: «غفلته»، والتصويب من (م).
(٢٠) في الأصل: «الأمر»، والتصويب من (م).
(٢١) عبارة «وأنشد... إلخ»، في (م): «شعر».
(٢٢) في (م): «بعدكم».

لا كـــان يـــوم الـــبـــيـــن كـــم   قـــطـــع قـــلـــبـــي قـــطـــعـــا
ومَـــنْ عـــلـــيـــنـــا بـــالـــفـــراق   والـــبِـــسِـــعَـــاد قـــد دعـــا
ومـــن لِـــشَـــتِّ شـــمـــلـــنـــا   مـــن غـــيـــر ذنـــب قـــد ســـعـــى
وكـــم أذاب أنـــفـــســـا   وكـــم أســـال أدْمُـــعـــا
وحَـــقِّـــكـــم مـــا[1] زلـــت مـــن   بـــعـــدكُـــمُ مُـــفَـــجَّـــعـــا

[مجزوء الرجز]

يا من حديث الآخرة عنده مضمر وحديث الدنيا[2] عنده مظهر، إنما تلين الغصون والخشب إذا قومتها تتكسر، كم تحدثك[3] نفسك بالتوبة ولسان غفلتك[4] يقول تصبر، لو علمت أن للعزمات[5] بدوات ما [٨٩ب] كنت تتأخر، أهجم هجوم الطفيلي فوليمة الكبير أكبر، كم أدخل من طفيلي وكم متصنع استثقل[6] منه المنظر والمخبر، زرع عمرك أخذ في الذبول فاستسق ماء التوبة عساه يعود أخضر، ابك على ظلمة قلبك واندب على خراب عمرك[7] وتغير الغِيَر، إذا عدمت الزاد للرحلة قل[8] لي بماذا يكون السفر، سفر بعيد ولا زاد[9] أما علمت أن آخره المحشر، إعراب توبتك مبهم وعزيمة عزمك مضمر، مجاهدتك حلم وعلمك[10] في الآخرة نكرة وأنت أنكر، ما أفلحت في الشباب ولا في الكهولة وهذا حالك في الكبر، ماذا عسى يصف فيك الواصف أنت بنفسك أخبر، الرياء والسمعة والحرص والأمل والتسويف كل في محشر قلبك يحشر، سلام على صلاحك سلام مودع ما أراه يرد بعد أن صدر، إذا لم تهزك المواعظ[11] فعند الموت تسمع الخبر والخطاب[12]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

مصعب بن ثابت رحمه الله تعالى قال[13]: بت ليلة في مسجد رسول الله ﷺ[14] بعد ما

---

(١) في (م): «لا».
(٢) في (م): «يا من حديث الدنيا عنده مبهم وحديث الآخرة»، وهو تصحيف.
(٣) في (م): «تحدث».
(٤) في الأصل: «عقلك»، والتصويب من (م).
(٥) في الأصل: «المعزمات»، والتصويب من (م).
(٦) في (م): «وكم من متصنع قد استثقل».
(٧) في (م): «عملك».
(٨) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م).
(٩) في (م): «همة».
(١٠) عبارة «مجاهدتك.. إلخ»، في (م): «مجاهرتك علم وهمتك».
(١١) في (م): «الموعظة».
(١٢) عبارة «تسمع.. إلخ»، في (م): «تسمع الخطاب».
(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/١٩٧. ومصعب: هو مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله القرشي، وهو من أعبد أهل زمانه، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر، توفي سنة ١٥٧هـ ـ ٧٧٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/١٧٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٠/٢٤٢.
(١٤) عبارة «في مسجد.. إلخ»، في (م): «في المسجد».

خرج الناس منه، فإذا رجل جاء إلى بيت النبي[١] ﷺ، ثم أسند ظهره إلى الجدار، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني كنت أمس صائماً أمسيت فلم أفطر على شيء[٢]، اللهم إني قد[٣] أمسيت أشتهيت طعاماً بزبد[٤] فأطعمه [١٩٠] لي من عندك. قال: فنظرت إلى وصيف قد دخل من خوخة[٥] المنارة ليس في خلقة[٦] الناس، و[٧]معه قصعة فأهوى بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه، وجعل[٨] الرجل يأكل وحده، فقال[٩]: هلم فجئته وظننت أنه من الجنة وأحببت أن آكل معه[١٠]، فأكلت منها لقمة فما[١١] هي مما يشبه طعام الدنيا[١٢]، ثم أحتشمت وقمت ورجعت إلى مجلسي، فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث أتى، وقام الرجل منصرفاً، فأتبعته لأعرفه فما أدري أين سلك، فظننت أنه[١٣] الخضر عليه السلام. شعر[١٤]:

في طاعة الحبِّ في عِصْيان مَنْ عَذلا ... قلبي الذي ذاب والجسم الذي نحلا
وفي سبيل الهوى نفسي التي[١٥] ذَهَبَتْ ... شوقاً وعقلي الذي في الحبِّ قد وَهَلا
وَجْد وجدْتُ هواي[١٦] فيه يَعْذب لي ... وكلَّما أشتدَّ من مرّ[١٧] الغرام حلا
لا تعذلوا وأعذروا في الحب وأقتصروا[١٨] ... في عاشق في الهوى عن قَصْده عَدَلا
حَرَّان حيران قد ضاقت مذاهبه ... فأنفَق الدّمع حتى أسْتَنْفَذ[١٩] الحملا
دلّوا على الصّبر قلبي أو دعوه وما ... قد أودعوه فما يَبْغي به بدلاً
كيف السَّبيل إلى دار السُّلوّ[٢٠] وقد ... أصبحْتُ مشتغلا بالوجد مشتغلا[٢١]
قالوا جرى لك دمعٌ فأفتضحْتَ به ... ليس الفضيحة إلا أن يُقال سَلا

(١) في (م): «رسول الله».
(٢) عبارة «اللهم إنك تعلم.. إلخ» ساقطة في (م).
(٣) الكلمة ساقطة في (م).
(٤) عبارة «اشتهيت طعاماً بزبد»، في (م): «أريد الزبد». والزُّبْد: زبد السمن قبل أن يُسْلا [يطبخ]، والقطعة منه زُبْدة وهو ما خلُص من اللبن إذا مُخِض. ابن منظور، اللسان، «زبد»، ٣٠/١٩٢.
(٥) في الأصل: «خوخ»، والتصويب من (م). والخوخة: كُوَّة في البيت تؤدِّي إليه الضوء، والخوخة مُخْتَرق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب. ابن منظور، اللسان، «خوخ»، ٣/١٤.
(٦) في (م) زيادة: وصفات».
(٧) الواو ساقطة في (م).
(٨) في (م): «وجلس».
(٩) في (م): «قال».
(١٠) في (م): «منها».
(١١) في (م): «ما».
(١٢) في (م): «أهل الدنيا».
(١٣) عبارة «فظننت أنه»، في (م): «فظننته».
(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م). والأبيات وردت في الخطبة الثانية من الفصل السادس.
(١٥) في الأصل: «الذي»، والتصويب من (م).
(١٦) في (م): «عذابي».
(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١٨) في (م): «واقتصدوا».
(١٩) في (م): «استأنف».
(٢٠) في الأصل: «كيف السلو إلى دار الحبيب»، والتصويب من (م).
(٢١) في (م): «مشتعلا».

إنـي لأشـكـر دمـعـاً ظـلَّ يـنـصـرنـي يـوم الـوداع وجـيـش الـصـبـر قـد رحـلا
يا ساعة[1] البين قد أوقدت في كبدي نارا تزيد إذا طَفِئْتها[2] شعلا[3] [٩٠ب]

[بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي فتح بصائر العارفين فزهدوا في الدنيا لمَّا علموا أنَّ البقاء فيها[4] قليل، دلّ قلوبهم عليه[5] فأهلاً به من مدلول ومن[6] دليل، أعمى بصيرة الغافل فليس له إلى الوصول سبيل، عطَّر محاريب الدجى بأنفاس المتهجدين[7] فلهم في روضة[8] السحر مقيل، سقى قلوب المحبِّين شراب المحبَّة وسكرهم[9] دائم في[10] الغدو والأصيل، هذا أسكره المدام وهذا ذَهَله[11] جمال الساقي الجميل، فطينة الوجود معجونة بحبه فهذا موصول وهذا مهجور ذليل، فقوم هداهم لقربه[12] وقوم حيَّرهم بالقال والقيل، إن جال فكر بين صفوف القضاء والقدر فما[13] أسرعه من قتيل، وإنْ سلك على ساحل التسليم بلغ[14] مقام الأمن في الزمان[15] القليل[16]، فبادروا إخواني الرحلة إلى المتاب قبل الرَّحيل، فما[17] ينفع نداء المسرفين إذا نادوا بالويل والعويل، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[18]، فسبحان من بطن[19] في شدَّة ظهوره فليس إلى إدراك ظهور ذاته[20] من سبيل، أحمده حمد عاجز عن معرفة نفسه وبصره عما سواه كليل[21]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدَّخرها ليوم

---

(١) في الأصل: «سادة»، والتصويب من (م).
(٢) في (م): «أطفأتها».
(٣) عبارة «الحمد لله الذي أوحى إلى أسرار.. إلخ» ساقطة في (ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م).
(٥) في (م): «به عليه».
(٦) الكلمة ساقطة في (م).
(٧) في (م): «المجتهدين».
(٨) في (م): «روضات».
(٩) في (م): «فسكرهم».
(١٠) «في» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١١) في (م): «أذهله».
(١٢) في (م): «بقربه».
(١٣) في (م): «ما».
(١٤) في (م): «بلغ منزل».
(١٥) في (م): «الزمن».
(١٦) قوله هذا فيه إرشاد إلى الدواء عند وقوع المقدور، وذلك بالتسليم لأمر الله والرضا بقضائه وقدره، والإعراض عن الالتفات لما مضى؛ لأن ذلك يؤول إلى الخسران؛ وقد أخرج الإمام مسلم في هذا المعنى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث (٣٤/ ٢٦٦٤)، ٤/ ٢٠٥٢.
(١٧) في (م): «ما».
(١٨) سورة غافر، آية ١١.
(١٩) في الأصل: «بطر»، والتصويب من (م).
(٢٠) عبارة «إلى إدراك ظهور ذاته»، في (م): «إلى إدراكه».
(٢١) كَلَّ بصره كُلولاً: نَبَا، وطَرْف كليل إذا لم يحقِّق المنظور. ابن منظور، اللسان، «كلل»، ١١/ ٥٩١.

لا ينفع فيه[1] مال ولا خليل، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوث بأتم حكمة وأكمل تنزيل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه[2] صلاة أستعدُّها ليوم الرحيل.

يا مضيعاً عمره في البطالة ويبكي على الأمل، كم أمل كاذب أوصل آمله إلى الأجل، سنُّك [٩١أ] يضحك في تحصيل الحرام وشيبك يبكي من هذا العمل، أنت ما يطيب عيشك مع القرب قل لي كيف طاب مع الكسل، إذا خرج توقيع القدر بقدر شخصٍ[3] فكل توقيع سواه أبطل[4]، كم قرب إلى الباب من مبعد[5] وكم أبعد من قريب ردت حسناته زلل، كيف تخضر[6] رياض قلبك وما سكبت عليه مزنة دمع وما هطل، وما أجريت له عيناً من عين[7] قل لي كيف العمل، أجدبت أرض قلبك[8] من أزهار التوبة وداخلها الخراب والخلل، كم تدَّعي العقل وتتلاها بك جنون الأمل[9]، قد[10] أفترس شبابك سبع المشيب وما أرى الرُّشى[11] فيك يقبل[12]، تيه الشقاء لا آخر له وفي بُدُن[13] العزائم كسل، زادك[14] قليل وما أراه مبلغاً فالهلاك لعمري بك قد حل، إذا خرجت من المجلس كما دخلت عانقك إبليس وقال هكذا كان لي فيك الأمل، فديت من لم[15] يفلح فديت من عانق الكسل، كم تحت اللُّحود من حسرات ينادون بالويل والعويل[16]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

قال الأوزاعي[17] رحمه الله تعالى: «حدَّثني رجل حكيم قال: خرجت أريد[18] الرباط وإذا

---

(١) الكلمة ساقطة في (م).
(٢) في (م): «وأصحابه».
(٣) في (م): «الشخص».
(٤) في (م): «بطل».
(٥) في (م): «كم قرب للباب من بعيد».
(٦) في الأصل: «يخضر»، والتصويب من (م).
(٧) المعنى: كيف النجاة والرجوع إلى باب الحبيب، ولم تفض من عينيك الدمع المدرار الذي لا يتوقف، كعين الماء التي تجري ولا تنقطع ليلاً ونهاراً.
(٨) في الأصل: «أرض أزهار قلبك»، والتصويب من (م).
(٩) عبارة «وتتلاها. .إلخ»، في (م): «ويتلهى بك جنون جنون الأمل».
(١٠) في (م): «كم».
(١١) الرشوة: الجُعْل، والجمع رُشًى. ابن منظور، اللسان، «رشا»، ٣٢٢/١٤.
(١٢) في (م): «تقبل».
(١٣) في (م): «نوق». والبَدَنَة ناقة أو بقرة تُنْحَر بمكة، سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يُسَمِّنُونها، والجمع بُدُن وبُدْن. ابن منظور، اللسان، «بدن»، ٤٨/١٣.
(١٤) في (م): «وزادك».
(١٥) في (م): «لا».
(١٦) في (م): «ينادون بالعويل».
(١٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٢٦/٤. والأوزاعي: هو عبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو من كبار تابعي التابعين، وأئمتهم البارعين، كان عالم الأمة منفرداً بالسيادة مع اجتهاد في إحياء الليل، أفتى في سبعين ألف مسألة، توفي سنة ١٥٧هـ ـ ٧٧٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٥٥/٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤١/١.
(١٨) في الأصل: «أردت»، والتصويب من (م).

أنا بظلَّة عريش عليه رجل قد ذهبت[١] يداه ورجلاه وهو يقول: اللهم إنّي أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك[٢] كفضلك على سائر خلقك إذ فضَّلتني على كثير ممَّن خلقت تفضيلاً، فدنوت منه مسلماً فقلت[٣]: [٩١ب] وأيّ نعمة وأنت هكذا؟ فقال: لو صبَّ عليَّ الماء[٤] ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدككتني[٥]، وأمر البحار فأغرقتني[٦]، والأرض فخسفت بي، ما ٱزددت له إلا حبّاً. ثم قال: كان لي ابن يتعاهدني لصلاتي وطعامي ففقدته[٧] من أمس. قال الرجل: فخرجت في طلبه فإذا[٨] بسبع قد ٱفترسته[٩]، فتلطفت في إعلامه بحاله، فقلت[١٠]: أنت أكرم على الله أم أيوب عليه السلام[١١]؟ فقال: بل أيوب[١٢]. فقلت[١٣]: إنَّ الله تعالى[١٤] قد ٱبتلاك بفقد ولدك وإن السبع قد ٱفترسه. فشهق شهقة ومات رحمة الله تعالى عليه[١٥]. وإذا[١٦] بركب فنزلوا فغسلوه[١٧] وكفَّنوه ودفنوه. فبتُّ في مظلَّته[١٨] فرأيته في النوم في روضة خضراء وعليه ثياب خضر يتلو القرآن[١٩]، فقلت: ما الذي صيَّرك إلى ما أرى؟ فقال[٢٠]: رقيت[٢١] منازل الصابرين». فكان الأوزاعي رحمه الله[٢٢] يحب البلاء منذ[٢٣] حدثه الحكيم رحمه الله تعالى[٢٤]. شعر[٢٥]:

يـا مَـن دُمُـوعـي فـيـه لا تَـرْقَـا	رِفْـقـاً بِـقَـلْـبـي فـي الـهـوى رِفْـقـا
قَـد جِـئْـتُ إذْ لَـم يَـبْـقَ لـي رَمَـقٌ	أشْـكُـو إلـيـك[٢٦] عَـظـيـم مـا ألْـقَـى
حَـاشَـاك مـن هَـجْـري لَـدَيْـك وقـد	عَـلِـقَـتْ يَـدَيّ بـالـعُـرْوةِ الـوُثْـقَـى
نَـعَّـمْـتَـنـي دَهْـراً[٢٧] وَهَـا أنـاذا	مِـن بَـعْـد مـا نَـعَّـمْـتَـنِـي أشْـقَـى
وَسَـقَـيْـتَـنـي كَـاسـاً سَـكِـرْتُ بـهـا	وتَـرَكْـتَـنـي ظـمـآن لا أسْـقَـى

---

(١) في (م): «بظلة عريش فيها رجل ذهبت».
(٢) في الأصل: «عقلك»، والتصويب من (م).
(٣) في (م): «وقلت».
(٤) في (م): «من السماء».
(٥) في (م): «فدمرتني».
(٦) في (م): «فغرقتني».
(٧) عبارة «وطعامي ففقدته»، في (م): «ووضوئي فقد فقدته».
(٨) في (م): «وإذا».
(٩) في (م): «أفترسه».
(١٠) في (م): «وقلت».
(١١) عبارة «عليه السلام» ساقطة في (م).
(١٢) عبارة «فقال: بل أيوب»، في (م): «قال: وما الخبر».
(١٣) في (م): «قلت».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م).
(١٥) عبارة «فشهق.. إلخ»، في (م): «فشهق فمات».
(١٦) في (م): «فإذا».
(١٧) في (م): «وغسلوه».
(١٨) في (م): «ظُلّته».
(١٩) في (م): «الوحي».
(٢٠) في (م): «قال».
(٢١) في (م): «رأيت».
(٢٢) عبارة «الأوزاعي.. إلخ»، ساقطة في (م).
(٢٣) في (م): «مذ».
(٢٤) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م).
(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(٢٦) في (م): «إليه».
(٢٧) في (م): «دايماً».

فَــالآنَ قَــد أبْــقَــاك لــي ألَــمٌ قد جاءني والشَّوْقُ ما أبْقَى[1] [١٩٢أ]
يــا لَــيْــت لــي[2] مــمــا أحــاوِلُــه رزقــاً فــهــب لــي ذلــك الــرزقــا

[بحر الكامل]

إخواني من أراد أن ينشد ضالَّة قلبه فعليه بالأسحار، هو سوق المستغفرين لا يخرج فيه إلا سلع الاستغفار، مجلس الذكر مقام[3] الملهوفين ومرتع الأخيار وعدَّة الأسحار[4]، ناد بلسان الأحزان هل رأيتم منقطعاً عن الرفاق بعيد الدار، هل عاينتم حزيناً يتلمح الآثار في[5] الآثار، هل رأيتم تائهاً عليه آثار الذُّل والانكسار، ما آستيقظ من نوم الغفلة إلا وقد قدح زناد[6] المشيب في لمّته[7] نار[8]، ففتح[9] قفل شبابه[10] وأنتهب منه القوى فليس له على النهوض أقتدار، كم زارع[11] زرع من آمال في أرض الغفلة ولم يجد[12] لزرعه ثمار، قامر بعمره[13] في البطالة حتى قهره[14] الهرم فأصبح نادماً من هذا القمار، أمات قلبه وأحيا هواه ولَّى[15] عمره ولم يقض أوطار، كم حدَّثه نسيم السحر عن القائمين بأخبار، خاطر يا أخي بنفسك فما تنال الأخطار إلا بالخطار[16] إن غلق في وجهك باب التوبة بعد المشيب فما بعد[17] الرَّحيل إلّا النار، إنما يزرع في زمان[18] الشباب وفي المشيب يكون الادِّخار، و[19]إذا لم يحرِّكك وعظي فربوع قلبك خراب قفار، وسيظهر لك نصحي[20] عن قليل، ﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

---

(١) في الأصل: «فالآن قد أبقى المدامة سرها لما قد جاءني والشوق ما أبقى»، وفي (م): «فالآن أبقاك لما جاءني والشوق بألصب فما أبقى»، والتصويب من (ب).
(٢) في الأصل: «يا ليتني»، والتصويب من (م). (٣) في (م): «بقاع».
(٤) عبارة «ومرتع الأخيار وعدة الأسحار»، في (م): «ومحدث الأسمار».
(٥) عبارة «والحمد لله الذي فتح بصائر العارفين.. إلخ» ساقطة في (ع).
(٦) عبارة «وقد قدح زناد»، في (م) و(ع): «وألهب».
(٧) في الأصل: «لمة»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «النار».
(٩) في (م) و(ع): «فتح».
(١٠) في الأصل: «شبابك»، وهي من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): يوجد.
(١٣) عبارة «قامر بعمره»، في الأصل: «قام لعمره»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «قمره». (١٥) في (م) و(ع): «وولى».
(١٦) الأخطار: جمع الخَطَر، وهي: ارتفاع القَدْر والمال والشرف والمنزلة، وخطَر يَخْطُر خَطَراً إذا جَلَّ بعد دقَّة، والخطير من كل شيء النبيل. والخطار جمع الخَطَر: الإشراف على الهلكة، وخاطر بنفسه يخاطر أشفى بها على خَطَر هُلْك. ابن منظور، اللسان، «خطر»، ٤/٢٥١، ٢٥٢. الفيروزآبادي، القاموس، «خطر»، ص٤٩٤.
(١٧) في (م) و(ع): «الذى». (١٨) في (م) و(ع): «إنما الزرع في أيام».
(١٩) الواو ساقطة في (م) و(ع). (٢٠) في (م) و(ع): «نصحي لك».

إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى قال[١]: سلكْتُ [٩٢ب] البادية ستَّة عشر طريقاً على غيرالجادَّة فأعجب ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان وعليه من البلاء أمر عظيم،وهو يزحف زحفاً، فتحيرت منه وسلَّمت عليه فقال[٢]: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت: بما عرفتني ولم ترني قبل هذا[٣]؟ فقال: الذي جاء بك عرَّفني بك[٤]. فقلت: صدقت إلى أين تريد؟ فقال: إلى مكة شرَّفها الله تعالى[٥]. فقلت: ومن أين أقبلت؟ فقال[٦]: من بخارى[٧]. فبقيت متعجِّباً أنظر إليه، فنظر إليَّ شزراً وقال: يا إبراهيم تعجب[٨] من قويٍّ يحمل ضعيفاً ويرفق به. ثم دمعت عيناه وسالت[٩] الدموع، وتركته[١٠] على حاله ومضيت[١١]، فلمَّا دخلت مكَّة رأيته في الطَّواف وهو يزحف[١٢]. شعر[١٣]:

أَرَاكَ الحِمَى هَل في ذُرَاكَ مَقِيل ... وهل فيك مِن جَوْرِ[١٤] الغرام مُقِيل
وهَل سَلْسَبِيل[١٥] تحت ظِلِّك بارد ... لِظمآن وِرْدٍ[١٦] ما إليه سَبِيل
وهل ذلك المَغْنى أهلَّة أهْلِه ... به نَظَروا أم عن سماه[١٧] أُفُول
أأَسْأَل[١٨] عَنْهُم رَبْعَهم وَهُمُ مَعِي ... وَمَا بَيْن أحْنَاء[١٩] الضُّلوع حُلُول

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ١٧١. وإبراهيم: هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، كنيته أبو إسحاق، هو أحد من سلك طريق التوكل، وكان أوحد المشايخ في وقته، توفي سنة ٢٩١هـ ـ ٩٠٣م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص٢٨٤. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٩٨.

(٢) في (م) و(ع): «فقال لي».

(٣) عبارة «قبل هذا»، في (م) و(ع): «قبلها».

(٤) عبارة «عرفني بك»، في (م) و(ع): «عرف بيني وبينك».

(٥) عبارة «شرفها الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «قال».

(٧) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يُعبر إليها من آمل الشَّط، وبينها وبين جيحون يومان، وهي مدينة قديمة نزهة البساتين، وهي على أرض مستوية. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/ ١٦٩.

(٨) في (م) و(ع): «أتعجب».

(٩) في (م) و(ع): «وأرسل».

(١٠) في (م) و(ع): «فتركته».

(١١) في (م) و(ع): «ثم مضيت».

(١٢) في (م) و(ع) زيادة: «ويطوف».

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «جوهر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) السلسبيل: اللين الذي لا خشونة فيه، وربما وُصف به الماء. ويقال: عين سلسبيل معناه أنه عَذْب سهل الدخول في الحلق. ابن منظور، اللسان، «سلسل»، ١١/ ٣٤٤.

(١٦) في الأصل: «بظمآن ورْد»، والتصويب من (م) و(ع). والوِرْد: النصيب من الماء. ابن منظور، اللسان، «ورد»، ٣/ ٤٥٧.

(١٧) في الأصل: «سواه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «أسأل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في الأصل: «أخلاء»، والتصويب من (م) و(ع). والحِنْو: كل شيء فيه أعوجاج أو شبه الأعوجاج، كعظم الضِّلَع، والجمع أحناء. ابن منظور، اللسان، «حنا»، ١٤/ ٢٠٤.

فهم[1] أَهْلُ وُدِّي إِنْ تَدانوا وَإِنْ نَأَوا[2] ... وَهُم أَهْلُ وُدِّي و الحَنِين دَليل

لَقَدْ غِظْتَني يا دَمْع إذْ غِضْتَ[3] بَعْدَهم ... وشَانَكَ[4] وَاش أو نَهَاك عَذُول

أَجِرْني بأَنْ تَجْرِي من الوَجْد إنما ... هُمُولك للهَمّ الدَّخِيل دَليل

فَمَا ٱفْتَقَرَتْ من كَنْز[5] دَمْعي مَحَاجري ... وَقَدْ أقْفَرَتْ للظَّاعنيين طُلُول

أأَنْسَى[6] أُناساً آنَسُوني بِقُرْبهم[7] ... وَتَعْذيبهم[8] إنِّي إذاً لَجَهُول [93أ]

وَأَسْأَل سُلْواناً وتَصْدِيق حُبِّهم ... غَدا محكماً في القلب ليس يحول

حَلَالي هَوَاهُمْ حين حَلَّ بمُهْجَتي ... فَحالَفتُه[9] أنْ لَسْتُ عنه أزُول[10]

وسَمْعي[11] غَدَا في الحجْرِ من حَاكم الهَوَى ... وقلبي[12] عن الأحباب فيه فُضُول

إذا ما قَبُول[13] الريح مِنْ نَحْوِهم سَرَتْ ... فَمَا أنا لِلعَذْل المَقُول قَبُول

ويعهدني[14] الريح الشَّمَالي نَشْوَة ... فهل لي إلى[15] ريح الشَّمال شُمُول

سَلامٌ على سَلْمى[16] وإنْ حَالَ دُونها[17] ... بذي سَلَم يحيي[18] النَّسيم عَلِيل

---

(1) في (م) و(ع): «هم»، وهو تصحيف.

(2) في الأصل: «أهل وادي إن تناءوا ودنوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(3) في الأصل: «يا دمعي إذا غضت»، والتصويب من (م) و(ع). وغاض الماء يغيض غيضاً: قل ونقص. وغَيَّض دمعه تغييضاً: نَقَصَه. الفيروزآبادي، القاموس، «غيض»، ص٨٣٨.

(4) في (ع): «وشابك».

(5) في (م) و(ع): «كثر».

(6) في الأصل: «أنسى»، والتصويب من (م) و(ع).

(7) في الأصل: «بقربكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(8) في الأصل: «وواصلهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(9) في (ع): «فخالفته»، وهو تصحيف.

(10) في (م): «أحول».

(11) في الأصل: «وسعيي»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) كلمة «وقلبي»، في (م): «مجيباً»، وهي ساقطة في (ع).

(13) القَبُول: ريح الصَّبا؛ لأنها تقابل الدَّبور، أو لأن النفس تقبلها. الفيروزآبادي، القاموس، «قبل»، ص١٣٥١.

(14) في (م) و(ع): «ويهفولي». والعهد: الأمان، أنا أعْهِدك من هذا الأمر أي أؤمنك منه أو أنا كفيلك. ابن منظور، اللسان، «عهد»، ٣/٣١١، ٣١٢.

(15) عبارة «فهل لي إلى»، في (م) و(ع): «فقل لي هل».

(16) في الأصل «سنى»، وهي من (م) و(ع).

(17) في (م) و(ع): «وإن حل أرضها».

(18) في (م) و(ع): «حيث».

وإنّي لأرْعَى النَّجْم مِن نَحو أرْضِها لِيَبْرد وَجْدٌ[1] أوْ يُبل غَليل

[بحر الطويل]

إلٰهي أرْحَم غَريق الخطايا لا مَلْجَأ له سواك، دَارِكْ بِعَفْوك مَن عَفَتْ آثَارُ صلاحِه[2]، أَحْيِ قُلوباً أمَاتَها البُعْد عن بابك، وَقِّع[3] على قِصَص الآبقين بالصَّفْح، سَامِح من بَقِيَت عليه بَقَايا[4] أَمْرِك ونَهْيِك، يا أرحم[5] الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين[6].



(١) في (م) و(ع): «ذو وجد»، وهو تصحيف.
(٢) عبارة «آثار صلاحه»، في الأصل: «آثاره بإصلاحه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «رفع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «باقيا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «برحمتك يا أرحم».
(٦) عبارة «وصلى الله.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثاني عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ظهر في صنعه[١] ظهوراً حيَّر العقول وبهر الأمثال، كتب سطور الوجود بقلم كن لقارئ المثال، أبرز من كن التَّقدير صور التكوين تلعب على بساط البسيطة لعب الخيال، تحركها رقائق الأقدار بلطف اللُّطف[٢] من طيف الخيال، أنطق ألسنة الأكوان بتوحيده بألسنة الحال والمقال[٣]، ميّع المائع وجمَّد الجامد بحكمة التّرتيب [٩٣ب] في الأفعال، حَرَّك المتحرك وسكَّن السَّاكن وأخدم العقل جنديّ التَّخيّل والخيال، نوّع الأنواع وجنّس الأجناس فظهرت حكمته في الجمع[٤] والانفصال، طوّر الأطوار ودوَّر الأدوار ليعلم التَّخصيص في الإدبار والإقبال، قدَّر الأقدار ورتَّب المقدار بميزان عدل ومكيال، جعل أسماءه علاماً[٥] تدلّ عليه بلسان النطق[٦] والاستدلال، ألهم جوهر[٧] العقل نظم[٨] جواهر المعقولات في سلك العلم لرتبة[٩] الكمال، أقام الكل بتوحيده لتوحيده في الجلال والجمال، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ۩﴾[١٠].

يا هذا كم لك على المعاصي مصرّ متى يكون المتَاب، جسمك بالهوى عامر وقلبك من التُّقى[١١] خراب، ضيَّعت الشباب في الغفلة وعند الكبر تبكي على زمان الشباب، في المجلس تبكي على الفائت وإذا[١٢] خرجت عُدْت للتَّصاب، لا حيلة لوعظي فيك وقد غلق في وجهك الباب، كم لي أحدِّث قلبك أرى قلبك غائباً مع الغيَّاب، تبكي لعمري دماً في موقف الحساب، بالله يا من عقله مشغول كيف تفهم الخطاب، وافرحة الشَّامت إبليس إذا طردت عن الباب، الشَّيب والعيب والحرمان سيبدو ما تخفي عند فتح الكتاب، هذا مأتم الأحزان هذا المجلس قد طاب، رحلت رفاق التائبين إلى ديار[١٣] الأحباب، يا وحشة المقطوع إذا لم يجد

---

(١) في (م) و(ع): «صنعته».

(٢) في (م) و(ع): «يحركها رقائق أقدار اللطف».

(٣) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(٤) في (م) و(ع): «فظهرت حكمة الجمع».

(٥) في (م) و(ع): «أعلاماً».

(٦) في (م) و(ع): «النظر». والمعنى: بلسان الوحي والخلق الذي يستدل به على الخالق.

(٧) في (م) و(ع): «جوهري».

(٨) الكلمة ساقطة في (ع).

(٩) في الأصل: «لترتبنا»، والتصويب من (م) (ع).

(١٠) سورة الرعد، آية ١٥.

(١١) في الأصل: «بالتقى»، والتصويب من (م) و(ع)

(١٢) في الأصل: «وإذ»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «رفاق».

مؤنساً [١٩٤] سوى الأسباب[١]، تعلَّق بأعقاب السَّاقة بذلٍّ وأنكسار ومدامع[٢] بأنسكاب[٣]، وقل تائه في برِّية الحرمان مقطوع في تيه[٤] الشقاء مسدول دونه الحجاب، كُلّما رام القيام أقعده وأبعده بذنوبه الحجّاب[٥]، لا زاد ولا راحلة ولا قوَّة فأين الذَّهاب، عسى عطفة[٦] من وراء ستر الغيب تهون عليك مصائب[٧] المصاب، فإذا صحّت لك سجدة على أرض التوبة[٨] بلغت بها الآمال، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

بلغنا عن أبي قدامة الشَّامي رحمه الله تعالى قال[٩]: «كنتُ أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغَّبتهم في الثَّواب، وذكَّرتهم[١٠] فضل الشهادة وما لأهلها. ثم تفرَّق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي، وإذا[١١] بأمرأة من أحسن الناس وجهاً وهي[١٢] تنادي: يا أبا قدامة، فقلت هذه مكيدة من الشيطان، فمضيت ولم أجب. فقالت: ما هكذا كان الصَّالحون. فوقفت فجاءت فمدَّت[١٣] إلي رقعة وحزمة مشدودة وأنصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا مكتوب فيها[١٤]: إنَّك دعوتنا للجهاد ورغَّبتنا في الثَّواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما بي[١٥]، وهما ضفيرتان[١٦]، وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيداً لفرسك[١٧] لعلَّ الله ﷻ[١٨] يرى شعري قيد فرسك في سبيل الله[١٩] فيغفر لي. فلَّما كانت [٩٤ب] صبيحة القتال[٢٠] فإذا بغلام بين يدي[٢١] الصُّفوف يقاتل، فتقدَّمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلام غير راكب[٢٢] ولا آمن عليك[٢٣] أن تجول الخيل فتطاك، فأرجع عن

---

(١) أي: يا حسرة لأولئك الذين اشتغلوا بأسباب الحياة ونسوا المسبب الذي هو الله ﷻ والذي أمروا أن يعبدوه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) في (م) و(ع): «مدمع».

(٣) في (ع): «باسكاب»، وهو تصحيف.

(٤) في (م) و(ع): «ثنية».

(٥) عبارة «كلما رام.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (ع): «نفحة».

(٧) في (م) و(ع): «مصيبة».

(٨) عبارة «فإذا صحت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا صح لك على أرض التوبة سجدة».

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٩٨/٤.

(١٠) في (م) و(ع): «وذكرت».

(١١) في (م) و(ع): «وإذا أنا».

(١٢) عبارة «وجها وهي» ساقطة في (م)و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فدفعت».

(١٤) في (م) و(ع): «فإذا فيها مكتوب».

(١٥) في (م) و(ع): «في».

(١٦) في (م): «ضفيرتاي».

(١٧) عبارة «قيداً لفرسك»، في (م) و(ع): «قيد فرسك».

(١٨) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «في سبيل الله»، في (م) و(ع): «في سبيله».

(٢٠) عبارة «صيحة القتال»، في (م) و(ع): «صبيحة يوم القتال».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «غلام غر راجل».

(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

موضعك هذا. فقال: أفتأمرني[1] بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]. قال: فحملته على هجين كان معي. فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم. فقلت: ما هذا[3] موضع قرض، فما زال يلحُّ عليّ[4] حتى قلت بشرط إنْ منَّ الله عليك بالشَّهادة أكن في شفاعتك. قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع السَّهم الأول[5] في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل رومياً. ثم رمى بالثاني[6] وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل روميا، ثم رمى بالثالث[7] فقتل روميا وقال: السلام عليك يا أبا قدامة[8] سلام مودّع، فجاءه سهم فوقع في عينه، فوضع رأسه في قربوس[9] سرجه، فتقدَّمت إليه وقلت[10]: لا تنسَ. فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة فأت والدتي وسلِّم إليها خرجي[11] وأخبرها، وهي[12] التي أعطتك شعرها لتقيِّد به فرسك، وسلِّم عليها، فإنَّها العام الأول أصيبت بوالدي، وهذا العام بي، ثم مات رحمه الله تعالى[13]، فحفرت له ودفنته. فلمَّا [٩٥] هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظاهرها[14]، فقال أصحابي: إنه غلام غزيّ[15]، ولعلَّه خرج بغير إذن والدته[16]. فقلت: إنّ الأرض لتقبل من هو شر منه، فقمت وصلَّيت ركعتين ودعوت الله ﷻ[17]، فسمعت قائلاً[18] يقول: يا أبا قدامة أترك وليَّ الله ﷻ[19]، فما برحت حتى نزلت طيور فأكلته، فلمَّا أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلمَّا قرعت الباب خرجت أخته إليَّ، فلمَّا رأتني عادت فقالت[20]: يا أمَّاه هذا أبو قدامة ليس معه أخي؛ فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي. فخرجت أمّه فقالت: أمعزيا أم مهنِّيا؟ فقلت: ما معنى هذا الكلام[21]؟ فقالت[22]: إنْ كان مات فعزِّني[23]، وإن كان استشهد فهنِّني. فقلت: لا بل مات شهيداً.

---

(١) في (م) و(ع): «أتأمرني».
(٢) سورة الأنفال، آية ١٥ ـ ١٦.
(٣) عبارة «ما هذا»، في (م) و(ع): «أهذا».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «فوضع سهما».
(٦) في (م) و(ع): «بالآخر».
(٧) في (م) و(ع): «بالآخر».
(٨) عبارة «يا أبا قدامة» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «على قربوس». والقَرَبُوس: حِنْوُ السَّرج. ابن منظور، اللسان، «قربس»، ٦/ ١٧٢.
(١٠) في (م) و(ع): «وقلت له».
(١١) في (م) و(ع): «خرجي إليها».
(١٢) في (م) و(ع): «فهي».
(١٣) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «ظهرها».
(١٥) في (م) و(ع): «غر».
(١٦) في (م) و(ع): «أمه».
(١٧) عبارة «ﷻ»، في (م) و(ع): «تعالى».
(١٨) في (م) و(ع): «صوتا».
(١٩) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في الأصل: «قالت»، وهي من (م) و(ع).
(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «قالت».
(٢٣) في (ع): «فعرِّفني».

فقالت له[1]: إنَّ[2] له علامة فهل رأيتها؟ قلت: نعم، قذفته الأرض وأكلته الطير[3] وتركت عظامه فدفنتها. فقالت: الحمد لله. فأسلمت[4] إليها الخرج، ففتحته فأخرجت[5] منه مسحاً[6] وغلاً من حديد وقالت: إنَّه كان إذا أجنَّه[7] الليل لبس هذا المسح وغلَّ نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وكان يقول[8] في مناجاته: آحشرني في حواصل الطير، فقد آستجاب الله دعاه، ولله الحمد[9]». شعر[10]:

هَل الطَّرْفُ يُعْطِي نَظْرةً مِن حَبِيبِه	أوِ القَلْبُ يَلْقَى رَاحَةً[11] مِنْ وَجِيبِه[12]
هَـلْ لِـلَّـيـالـي عَـطْـفَـة بَـعْـدَ نَـفْـرةٍ	وَهَلْ لِعَلِيل الشَّوْقِ وَصْل طَبِيبه[13] [٩٥ب]
وَلله[14] أيَّـام عَـفَـوْن كَـمـا عَـفَـا	ذَوائِـب مَـيَّـاسِ[15] الـغُـصـون رَطِـيـبِـه
أَحِنُّ إلى نَوْر الحمى[16] في بِطَاحِه	وَأَظْـمـأ إلى مـرِّ الـهَـوى فـي هُـبُـوبـه
وَذَاكَ الـحِـمَـى يَـغْـدُو عَـلِـيلاً نَـسِـيـمُـه	وَيُـمْـسِـي صَـحِـيـحاً مَاؤُه في قَـلِـيـبـه
حَبِيبٌ لِقَلْبي ظِلُّه[17] في هَجِيره	إذا مـا بَـدا أو سَـمـتُـه فـي غُـروبـه
هو الشَّوْقُ مَدْلول على مقتل[18] الفتى	إذا لَـم يـعـد قَـلْـبـاً بِـلـقْـيَـا حَـبِـيـبـه
يـغـيِّـرنـي[19] تـلـويـح وجـهـي وإنَّـمـا	مَـضَـارِبـه مـدفـونـةٌ فـي شـحـوبـه[20]
فَـرُبَّ شَـقَـاءٍ قَـدْ نـعِـمْـنـا بِـقُـرْبِـهِ[21]	وَرُبَّ نَـعِـيـم قـد شـقـيـنـا بـقُـرْبـه

[بحر الطويل]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «وأكلته الطير»، في (م) و(ع): «ونزلت الطيور فأكلت لحمه».
(٤) في (م) و(ع): «فسلمت».
(٥) في (م) و(ع): «وأخرجت».
(٦) المِسْح: الكساء في الشَعر. ابن منظور، اللّسان، «مسح»، ٢/٥٩٦.
(٧) في (م) و(ع): «جنّه».
(٨) عبارة «وكان يقول»، في (م) و(ع): «وقال».
(٩) عبارة «ولله الحمد» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضى، انظر الديوان، ١/١٣٢.
(١١) في الأصل: «روحه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) وَجب القلب وجيباً: خفق واضطرب. ابن منظور، اللسان، «وجب»، ١/٧٩٤.
(١٣) عبارة «وهل لعليل.. إلخ»، في (م): «بها يتسلى ناظري عن غروبه»، وفي (ع): «عني ناظري عن غروبه»، وهو تصحيف.
(١٤) في (م) و(ع): «فلله».
(١٥) غصن مَيَّاس: مائل. ابن منظور، اللسان، «ميس»، ٦/٢٢٤.
(١٦) في (م) و(ع): «اللوى».
(١٧) في الأصل و(م) و(ع): «ظلمة»، وقد وردت لفظة «ظله» في الديوان، وهي الأصوب.
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «تغيرني».
(٢٠) في الأصل: «شجونه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «ببعده».

يا هذا طاب الهوى للقوم فجدوا وأقعد المأسور، أملك في الهند وربما خرج أسمك في أهل القبور، كم من[1] طلعت عليه الشَّمس وهو مسرور وغربت وهو مقبور، يا من خرَّب شبابه بالغفلة[2] وقلبه بالشَّهوات مقبور[3]، ويحك كم تبهرج بالرِّياء[4] ظاهر صحيح[5] وباطن مكسور، غلب عليك طرش الغفلة لا حيلة لمن[6] سمعه موقور[7]، غداً ـ ويحك[8] ـ تندم إذا نفخ في الصور وبعث من في القبور ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[9]، ذكر الآخرة عندك لمحة ولذكر الدنيا في قلبك سرور[10]، يا من أبعده الحرمان هذه رفاق التائبين عليك عبور[11]، لا رسالة دمع ولا نفس أسف ما أراك إلا مهجور، إذا[12] لم تنل في زمان[13] الشباب أرباح العمل فقد ثبت شقاؤك[14] في المسطور، هذا نذير المشيب[15] ينذر بالرحلة تهيّأ يا منذور، كم أعذار كم كسل كم غفلة ما أحد يوم الحساب[16] [٩٦أ] معذور، بيت وصلك خراب وبيت هجرك معمور، هذا شعاب التوبة ينادي أين من هو مكسور[17]، بادر عساك تجبر بالتوبة وتعود مجبور، سجدة بها وصل السَّحرة[18] ونجوا من الأهوال، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ۩﴾.

قال إبراهيم بن شبيب رحمه الله تعالى[19]: «كنَّا نتجالس يوم الجمعة، فأتى رجل يوماً[20]

---

(١) عبارة «كم من»، في الأصل: «فمتى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «في الغفلة».

(٣) في (م) و(ع): «معمور».

(٤) عبارة «ويحك.. إلخ»، في (م) و(ع): «كم تبهرج ويحك برياء».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «فيمن».

(٧) الوَقْر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله. الفيروزآبادي، القاموس، «وقر»، ص ٦٣٥.

(٨) في (م) و(ع): «وحقك».

(٩) عبارة «وبعث من في القبور.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، اقتباس من قوله تعالى من سورة العاديات، آية ١٠.

(١٠) عبارة «في قلبك سرور»، في (م) و(ع): «عندك مرور».

(١١) في (م) و(ع): «تمور».

(١٢) في الأصل: «إذ»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «زمن».

(١٤) في (م) و(ع): «ذلك».

(١٥) في (م) و(ع): «الشيب».

(١٦) في (م) و(ع): «القيامة».

(١٧) في (م) و(ع): «أين المكسور».

(١٨) في (م) و(ع): «سجدة وصل بها السحرة». والمعنى: أن السحرة من قوم فرعون نجوا من عذاب الله يوم القيامة بإيمانهم بالله وسجودهم له إقراراً وخضوعاً، قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠، ١٢١].

(١٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٩/٤. وإبراهيم هو إبراهيم بن شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، كان والده شبيب إخبارياً علّامة مفوّهاً، ورجلاً شريفاً يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، وأميراً جليلاً. ابن الجوزي، الصفة، ٤/٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٦١ ـ ١٧٠هـ، ص٢٥٧. ابن حجر، التهذيب، ٤/٣٠٧.

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع)

عليه ثوب متلحف[١] به، فجلس إلينا، فألقى مسألة فما زلنا نتكلّم في الفقه حتى انصرفنا، ثم جاء[٢] في الجمعة المقبلة، فأحببناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل الخريبة[٣]. فسألناه عن كنيته فقال: أبو عبد الله، فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس ثقة. فمكثنا كذلك زماناً ثم انقطع عنّا. فقال[٤] بعضنا لبعض: ما حالنا[٥]؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله وقد صار موحشاً. فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا[٦] أن نأتي[٧] الخريبة فنسأل عنه. فأتينا الخريبة وكنّا عددا فعدنا[٨] نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله. فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من المكتب، فقلنا: أبو عبد الله، فقالوا: لعلّكم تعنون الصَّيَّاد، قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته الآن يجيء. فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أقبل متزراً بخرقة، وعلى كتفيه[٩] خرقة، وبيده أطيار مذبوحة وأطيار أحياء[١٠]، فلمّا رآنا [٩٦ب] تبسَّم تبسُّم الإقبال[١١] وقال: ما جاء بكم؟ قلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسنا[١٢] فما غيبك[١٣] عنّا؟ قال: إذاً أحدِّثكم، كان لنا جار وكنت أستعير منه كل يوم جمعة[١٤] ذلك الثوب الذي كنت آتيكم به، وكان غريباً فخرج إلى وطنه، ولم يكن لي ثوب[١٥] آتيكم فيه، وهل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله تعالى[١٦]؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلَّم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأذن[١٧] لنا في الدُّخول فدخلنا فإذا هو قد أتانا[١٨] بقطع من البواري[١٩] فبسطها لنا وقعدنا[٢٠]، وقام إلى المرأة

---

(١) في (م) و(ع): «ملتحف».
(٢) في (م) و(ع): «جاءنا».
(٣) في الأصل: «منزلي الخربة»، والتصويب من (م) و(ع). والخريبة تصغير خَرْبَة: موضع بالبصرة، كانت مدينة للفرس خربت لتواتر غارات المثنى عليها، فلما مصرت البصرة ابتنوا إلى جانبها فسُمِّيت الخريبة لذلك. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/ ٤٦٣.
(٤) في (م) و(ع): «قال».
(٥) في (م) و(ع): «ما بالنا».
(٦) في (م) و(ع): «أصبح».
(٧) في (ع): «يأتي».
(٨) في الأصل «فعدنا أن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «كتفه».
(١٠) في الأصل و(م) و(ع): «بالحياة»، ووردت لفظة «أحياء» في الصفة، وهي الأصوب.
(١١) عبارة «تبسم تبسم الإقبال»، في (م) و(ع): «تبسم إلينا».
(١٢) عبارة «وقد كنت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد كان مجلسنا عامراً بك».
(١٣) في (م) و(ع): «غيبتك».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) عبارة «كنت آتيكم به.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «وأذن».
(١٨) في (م) و(ع): «أتى».
(١٩) في الأصل «البراري»، والتصويب من (م) و(ع). والبوريّ: الحصير المنسوج. الفيروزآبادي، القاموس، «بور»، ص٤٥٢.
(٢٠) في (م) و(ع): «فقعدنا».

وسلَّم[1] إليها الأطيار المذبوحين[2]، وأخذ الأطيار الحيَّة وقال: أنا آتيكم إن شاء الله تعالى[3] عن قريب، فأتى السُّوق فباعها وٱشترى خبزاً وجاء به[4]، وقد صنعت ٱمرأته تلك الطيور وهيَّأتها، وقدَّم[5] إلينا خبزاً ولحم طير فأكلنا، وجعل يقوم ويأتينا[6] بالملح والماء، وكلَّما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا ألا تغيرون حاله[7] وأنتم سادات[8] أهل البصرة؟ فقال أحدهم: عليَّ خمسمائة درهم[9]. وقال الآخر: ثلاثمائة درهم[10]، وضَمِن بعضهم أن يأخذ لهم من بعض[11]، فبلغ الذي جمعوا له[12] في الحساب خمسة آلاف درهم، وقالوا: قوموا نذهب فنأتيه بالمال فنسأله[13] أن يغير[14] بعض ما هو فيه، فقمنا وٱنصرفنا[15] فمررنا بالمربد، فإذا بمحمد[16] بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له[17]، فقال [١٩٧] لغلامه[18]: يا غلام إئتني بإبراهيم بن شبيب من بين القوم، فجئت فسلَّمت عليه، فسألني عن قضيّتنا من أين أقبلنا، فأصدقته الحديث[19]، فقال: أنا أسبقكم إلى بره، يا غلام إئتني ببدرة[20] دراهم وفرَّاش، فجاء بها[21]، فقال: يا غلام[22] ٱحمل هذه[23] مع هذا الرجل حتى يدفعها إلى من أمرناه، ففرحت ثم قمت مسرعاً، فلمَّا أتيت الباب سلَّمت فأجابني أبو عبد الله، ثم خرج إليَّ، فلمَّا رأى

---

(١) عبارة «وقام.. إلخ»، في (م) و(ع): «ودخل إلى المرأة فسلم».
(٢) في (م) و(ع): «المذبوحة».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «وقد صنعت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته فقدم».
(٦) عبارة «فأكلنا.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأكل فجعل يقوم فيأتينا».
(٧) عبارة «رأيتم.. إلخ»، في (م) و(ع): «أرأيتم مثل هذا لا تغيرون أمره».
(٨) في (م) و(ع): «سادة».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع)
(١٠) عبارة «ثلاثمائة درهم»، في (م) و(ع): «علي ثلاثمائة».
(١١) في (م) و(ع): «غيره».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «ونسأله».
(١٤) في الأصل: «يتغير»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «فٱنصرفنا على حالة ركبانا».
(١٦) في (م) و(ع): «محمد». ومحمد: هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي البصرة أيام المنصور، كان فارس بني هاشم، جواداً مُمَدَّحا، توفي سنة ١٧٣هـ ـ ٧٨٩م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٢٤٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٠/ ٢٨٢.
(١٧) عبارة «في منظرة له»، في الأصل: «في منتظره»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «فسلمت عليه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فدخلت إليه وأخبرته».
(٢٠) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. الفيروزآبادي، القاموس، «بدر»، ص٤٤٤.
(٢١) عبارة «وفراش.. إلخ»، في (م) و(ع): «فجاء بها فقال ائتني بغلام فراش فجاء».
(٢٢) عبارة «يا غلام» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): « هذه البدرة».

الغلام[1] والبدرة على عنقِه كأنَّما نسفت[2] في وجهه التراب، وأقبل[3] عليَّ بغير الوجه الذي رأينا أوَّلاً[4] وقال: مالي ولك بهذا[5]؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت: يا أبا عبد الله أُقعد حتى أخبرك؛ إنه من القصة كذا وكذا، وهذا الذي تعلم أنَّه من أحد الجبابرة[6]، يعني محمد بن سليمان، ولو كان أمرني أن نضعها[7] حيث أمرني لرجعت إليه وأخبره[8] أني وضعتها، فالله و[9]الله في نفسك. فازداد عليَّ غيظاً وقام ودخل[10] منزله وأطبق الباب في وجهي. فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى[11] ما أدري ما أقول للأمير، ثم لم أجد بدّاً من الصدق، فجئت الأمير[12] فأخبرته الخبر، فقال: خارجي[13] والله أعلم[14]، يا غلام آتيني بالسيف[15]، وقال[16] لي: خذ بيد هذا الغلام حتى تأتي[17] به إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك[18] فاضرب عنقه، وآتني برأسه. قال إبراهيم: قلت[19]: أصلح الله الأمير اتق الله، والله[20] لقد رأينا[21] رجلاً ما هو من الخوارج ولكن[22] [٩٧ب] أذهب فآتيك به، وما أريد بذلك إلا أنْ يهدأ[23]. قال: فضمنته ومضيت حتى أتيت الباب فسلَّمت، فإذا بالمرأة تبكي[24] ثم فتحت الباب وتوارت[25] وأذنت لي، فدخلت فقالت لي: ما شأنكم وشأن أبي عبد الله؟ فقلت: وما

---

(١) في (م) و(ع): «الفراش».
(٢) عبارة «على عنقه.. إلخ»، في (م) و(ع): «على كتفه كأني سفيت».
(٣) في (م) و(ع): «فأقبل».
(٤) عبارة «الذي رأينا أولاً»، في (م) و(ع): «الأول».
(٥) في (م) و(ع): «يا هذا».
(٦) عبارة «وهذا الذي تعلم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو الذي يعلم أحد الجبارين».
(٧) في (م) و(ع): «أضعها».
(٨) في (م) و(ع): «فأخبرته».
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «فدخل».
(١١) في (م) و(ع): «فجعلت أقدّم وأؤخر».
(١٢) عبارة «فجئت الأمير»، في (م) و(ع): «فجئته».
(١٣) في (م) و(ع): «خروجي».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «فجاء بالسيف».
(١٦) في (م) و(ع): «فقال».
(١٧) في (م) و(ع): «تذهب».
(١٨) عبارة «فإذا أخرجه إليك» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «فقلت».
(٢٠) عبارة «اتق الله والله»، في (م) و(ع): «الله الله فوالله».
(٢١) في (م) و(ع): «رأيت».
(٢٢) في (م) و(ع): «ولكني».
(٢٣) عبارة «إلا أن يهدأ»، في (م) و(ع): «إلا افتداء».
(٢٤) عبارة «فإذا بالمرأة تبكي»، في (م) و(ع): «فإذا المرأة تحن وتبكي».
(٢٥) في الأصل: «وتوارت عليه»، والتصويب من (م) و(ع).

حاله؟ قالت: دخل ومال إلى الرَّكوة وفرَّغ[١] منها ماء فتوضَّأ ثم صلّى، فسمعته[٢] يقول: اللّهم ٱقبضني إليك ولا تفتنيّ، ثم تمدَّد وهو يقول ذلك حتى مات، وهو ذلك ميّت[٣]، فقلت: يا هذه إنَّ لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئاً. فجئت محمد بن سليمان فأخبرته بالخبر[٤]، فقال: أنا أركب وأصلّي عليه[٥]. قال: وشاع خبره بالبصرة فصلّى عليه عامّة الناس رحمه الله تعالى». شعر[٦]:

مَنْ بَاتَ رَهْنَ بُكَائه وسُهَادِه	ما يَهْتَدِي نظراً إلى عوَّادِه
دَع يا عَذُول مَلامَه إنَّ الهوى	لَهبٌ يَزيد اللَّوْم في إيقَادِه
حَلَّ اللُّحَاة قُوَى عُقُود عزائه	فَوَهَى وما حُلَّتْ عقود[٧] وِدَادِه
فَمَحَى مَحَاسِن عَقْلِهِ بجنُونِه	ورَمَى وُجُوه صَلاحِهِ بِفَسَادِه
وَيْحَ العَوَاذِل لَيْتَهم إذْ لَمْ يَروا	إسْعَادَه مَا عَرَّضُوا لسعاده[٨]
وا رَحْمَةً للصَّبِّ تَاهَ وَمَالَهُ	جَلَدٌ ولا حِمْلُ الأَسَى مِن عَادِه
هُوَ في العِراق[٩] وَقَلْبُه بِتهامَة	يا قُرْبَ مَسْمَعِه وبُعْد فُؤاده
يَهْوَى الحِمَى وَهَوَاهُم في بَابِل	شَتَّانَ بَيْنَ مُرادِهم وَمُرَادِه
هٰذِي الخِيَامُ خِيَام سُعْدَى فَٱنْدُبي[١٠]	وَٱسْتَعْمِل الإنْصَاف في إسْعَاده [٩٨أ]
وٱرْجع إلى الوادي[١١] الذي فيه الحمى[١٢]	وٱسْتَعْلِم الأخبار من وُرَّادِه
إنْ كان هذا اليوم يَوْم رَحِيلهم	فاليوم من دُنْياه آخِر زَادِه
لا جَادَ دَارهم السَّحَاب ولا سَقَتْ	عَطشا بَوَادِيها[١٣] أكُفّ عِهَادِه

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي سبق[١٤] علمه أن السعادة لا تنال إلا[١٥] بالاكتساب، تفرَّد في

---

(١) عبارة «إلى الركوة وفرغ»، في (م): «إلى الركي فرغ»، وفي (ع): «إلى الركي ففرغ».
(٢) في (م) و(ع): «ثم سمعته».
(٣) عبارة «وهو يقول ذلك.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو يقول كذلك فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت».
(٤) في (م) و(ع): «الخبر».
(٥) عبارة «وأصلي عليه»، في (م) و(ع): «فأصلي على هذا».
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «وعقود»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «بسعاده».
(٩) في (م) و(ع): «هو بالعراق».
(١٠) في (م) و(ع): «فاتَّئِد».
(١١) في الأصل: «وراجع الوادي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «الهوى».
(١٣) في (م) و(ع): «معاهدها».
(١٤) في الأصل: «يسبق»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع)، وهو تصحيف.

سابق[1] علمه بما[2] أوعد في أمّ الكتاب، لا يعلم سرّه في خلقه غيره في الجبر والاكتساب[3]، تجلّى في أفعاله لخلقه وٱحتجب عن المبعدين وظهر للأحباب، ٱنفرد بعلم السوابق وجعل الغيب عن[4] المغيب كالستر على الباب، ألهم أسرار العارفين معرفته ورفع عن بصائرهم الحجاب، أمر القلم أن يكتب في اللوح ما يليق بالأسباب، لا تضجره مسائل السُّؤّال وٱختلاف ألسنة[5] الطُّلّاب، أباح جماله للعارفين والعاصي عليه من شهواته حجاب، كم تحت ستر الدُّجى من متيّم واقف بالباب، دعاه الشّوق فلبّى وبادر وأجاب، والمحروم سكران من خمرة[6] الغفلة سيّان عنده البعد والاقتراب، كم قرَّب من دعاه لخدمته[7] وآخر أبعده وقطع عنه[8] حيل الأسباب، فيا معشر المذنبين تعرضوا لنفحات الأبواب، تشفَّعوا بالانكسار وعبرات بالانسكاب[9]، فلعل من أبعد يقرَّب وعسى يعود الغيّاب[10]، لا تيأس فربّما جاء اللّطف من غير ٱحتساب، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[11] [98ب].

معشر[12] السالكين تعالوا بنا[13] نَبْكِ الذنوب فهذا مأتم الأحزان، تعالوا نكتب[14] بالمدامع ونشتك الهجران، لعل زمان الوصل يعود كما قد كان، هذا بياض المشيب ينذر بخراب الأوطان، يا من تخلّف حتى شاب قد رحل الأظعان، يا تائها في تيه التّخلُّف يا حائراً في بريَّة الحرمان، نهارك للأسباب وليلك الرّقاد[15] هذه الخسارة عيان، إذا ولّى الشباب ولم تربح ففي المشيب يكون[16] الخسران، ويلي مع من أتحدَّث! الهوى أصم الآذان، دخلت[17] إقليم قلبك لصوص الغفلة وتطمع بالأمان، أملك وراء السد وربما هيِّئت لك الأكفان، قف على ساحل التوبة فبحار المعاصي طوفان، دينار الرِّياء مطلى تَزْوَرّ[18] تلك الطلاوة بالنيران، ضيَّعت ربيع الشباب حتى ذبل من معاصي[19] الرحمٰن، فعند ضيف[20] المشيب ندمت على ما قد كان، إن لم يساعدك رفيق التوفيق وإلا فالحرمان حرمان، وقد

---

(1) عبارة «في سابق»، في (م) و(ع): «يسابق».
(2) في (م) و(ع): «علم ما».
(3) عبارة «في الجبر والاكتساب»، في (م) و(ع): «في الحين والمآب»، والمعنى: في القضاء المبرم والعمل المكتسب.
(4) في (م) و(ع): «على».
(5) في (م) و(ع): «مسايل».
(6) في (م) و(ع): «شراب».
(7) في (م) و(ع): «الخلوته».
(8) في (م) و(ع): «منه».
(9) في (م) و(ع): «بانسكاب».
(10) في (م) و(ع): «العتاب».
(11) سورة الرعد، آية 38 ـ 39.
(12) في (م) و(ع): «معاشر».
(13) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(14) في (ع): «نبك».
(15) في (م) و(ع): «للرقاد».
(16) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(17) في (م) و(ع): «أدخلت».
(18) في (م) و(ع): «تزول».
(19) في الأصل: «المعاصي»، والتصويب من (م) و(ع).
(20) في (م) و(ع): «صيد».

يرحم المولى من ضعف عن الأسباب، ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

عمر بن عبد العزيز ﷺ شيَّع جنازة فلما ٱنصرفت تأخَّر عنها، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليّها تأخّرت عنها وتركتها؟ فقال: إني تأخّرت فناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما فعلت[١] بالأحبة؟ مزَّقت الأبدان، وقطَّعت الأكفان[٢]، ومصصت الدم، وأكلتُ اللحوم[٣]. [١٩٩] ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ فرَّقت[٤] الكتفين من الذراعين[٥]، والرُّكبتين من السَّاقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر ﷺ[٦] وقال: إنَّ الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيّها فقير، وشبابها يهرم[٧]، وحيّها يموت، فلا يغرَّنَّكم[٨] إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، أين قرَّاء القرآن؟ أين حجاج بيت الله الحرام؟ أين صوَّام شهر رمضان؟ ما صنع التّراب بأبدانهم، والدّيدان بأجسادهم[٩]، والبلاء بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا والله في الدنيا على سررٍ[١٠] ممهدة، وفرش منضدة[١١]، بين خدَّام[١٢] يخدمون، وأهل يكرمون، أليس هم بعدها في مدلهمَّة[١٣] ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل، فارقوا الأهل والوطن، و[١٤]قد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السَّعة في المضائق، وتزوَّجت نساؤهم، وتردَّدت في الطُّرقات[١٥] أبناؤهم، وتوزَّعت القربات[١٦] ديارهم وتراثهم[١٧]، فمنهم والله الموسع عليه[١٨] في قبره، ومنهم والله المضيّق عليه[١٩] في لحده، هيهات هيهات يا مغمِّض الوالد والأم[٢٠] وغاسله، و[٢١]يا مكفِّن الميت وحامله، يا مدخله[٢٢] في القبر وراجعاً عنه، ليت شعري بأيِّ يد و[٢٣] عضو يبدأ البلاء[٢٤]؟ ثم بكى حتى غشي عليه، فما بقي إلا

---

(١) في (م) و(ع): «صنعت».

(٢) عبارة «مزقت. . إلخ»، في (م) و(ع): «خرقت الأكفان ومزقت الأبدان».

(٣) في (م) و(ع): «اللحم».

(٤) في (م) و(ع): «فرَّقت الأوصال فرقت».

(٥) في (م) زيادة: «والذراعين من الكفين».

(٦) عبارة «ﷺ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «هرم».

(٨) في الأصل: «يغنكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «بأجسامهم».

(١٠) في (م) و(ع): «أسرة».

(١١) نَضَد متاعه يَنْضِدُه: جعل بعضه فوق بعض، فهو منضود ومُنَضَّد. الفيروزآبادي، القاموس، «نضد»، ص٤١١.

(١٢) في (م) و(ع): «خدم».

(١٣) ادْلَهمّ الظلام: كثف. الفيروزآبادي، القاموس، «دلهم»، ص١٤٣١.

(١٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (ع): «طرقات».

(١٦) في (م) و(ع): «القرابات».

(١٧) في (م) و(ع): «وأموالهم».

(١٨) في (م) و(ع): «له».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) عبارة «يا مغمض. . إلخ»، في (م) (ع)، «يا مغمض الوالد والأخ والولد».

(٢١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «مُحِلّه».

(٢٣) الكلمة «يد و» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٤) في (م) و(ع): «البلى».

جمعة ومات رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين[1]». شعر[2]:

ضَعُوا خَدِّي على لَحْدي ضعُوه ... ومِن حُفَر[3] التراب فَوَسِّدُوه
وَشُقُّوا عنه أكْفَانا رقَاقاً ... وفي الرَّمْسِ البَعيد فَغَيِّبوه [٩٩ب]
فلو أبصَرْتُموه إذا تقَضَّت ... صَبيحة[4] ثالثٍ أنكَرْتموه
وقد سَالَت نواظِر[5] مُقْلَتَيه ... على وَجَنَاتِه وَانْطَمَسَّ فُوه
وقد نادى البِلَى هذا فُلان ... هَلُمُّوا فانْظُروا هل تَعْرِفُوه
حَبيبكم وَجَاركم المُفَدَّى ... تَقَادَم عَهْده فَنَسيتُمُوه

[بحر الوافر]

يا مضيعاً شبابه في البطالة هذا المشيب[6] نذير، كم تطاوع إبليس وعند[7] الكبر تبكي على التّقصير، الشيب وطول الأمل والغفلة قل لي إلى أين تسير[8]، وا وحشتي لشبابٍ[9] بعته بالنزر اليسير، وا حسرتي للمشيب قادني للكبر كالأسير، كم لي[10] أقول لكِ يا نفسي[11] توبي فصافي الهوى تكدير، أيّ شيء[12] أعمل فيما[13] مضى ما حيلتي في التّقدير، كلّما[14] قلت صعدت و[15] إذا بي[16] في وسط الحفير، طول ليلي مفكّر في تغيير أحوالي بالتّغيير، وطول النهار أهذي في طلب الفاني الحقير[17]، ويلي على هذا التّدبير ويلي[18] وطير العزائم ما يطير، بعد خمسين تصبو وبعد ستِّين تفرح وما تعلم إلى أين تصير، هلال عمرك ما يبقى[19] منه إلا اليسير، إلى أي يوم تدَّخر[20] توبتك إلى يوم الحفير، ما ينفعك من[21] تجمع له يوم تسافر إلى القبر بنقير، ما عند من على الأرض خبر ممَّن وقع في البير، ما ينفعك لطْم الخدود وتمزيق الجيوب وأنت في الحسرات بين شهيق وزفير، فقدّم قدَّامك ما تقدم عليه لهول منكر

(١) عبارة «ﷺ.. إلخ»، في (م) و(ع): «رحمة الله عليه ورضوانه لديه». والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص٩٩.
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «عفر».
(٤) في الأصل: «صحيحة»، وفي (م): «صبحة»، والتصويب من (ع).
(٥) في (م) و(ع): «حدائق».
(٦) في (م) و(ع): «الشيب».
(٧) في (م) و(ع): «وفي».
(٨) في (م) و(ع): «أسير».
(٩) في (م) و(ع): «للشباب».
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «نفس».
(١٢) عبارة «أي شيء»، في (م) و(ع): «ايش».
(١٣) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (ع): «فلما».
(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م): «أنا».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «لمن أخاطب».
(١٩) في (م) و(ع): «بقي».
(٢٠) في (ع): «تؤخر».
(٢١) في الأصل: «أن»، والتصويب من (م) و(ع).

ونكير، فبادر يا أخي قبل غلق الدستور[١]، [١٠٠أ] فعسى دعوة تستجاب[٢]، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣].

سفيان الثوري رحمه تعالى قال[٤]: دخلت على بنت أم حسان[٥] الأسدية وفي جبهتها مثل ركبة العنز[٦] من أثر السجود. فقلت لها: يا ابنة أم حسان ألا تأتين[٧] عبد الله بن شهاب بن عبد الله[٨]، فلو رفعت إليه رقعة لعلَّه أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحال التي أراها بك. فدعت بمعجر[٩] لها فاْعتجرت[١٠] به وقالت: يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحان كثير[١١] فقد أذهب الله ﷻ[١٢] رجحانك[١٣] من قلبي، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا ممَّن[١٤] لا يملكها؟ وعزَّته وجلاله إنِّي لأستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها[١٥]. قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث، وإذا الجوع قد أثَّر في وجهها، فقلتُ لها: يا ٱبنة[١٦] أمّ حسان إنك لن تؤتين أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام[١٧] إذ[١٨] أتيا إلى[١٩] أهل قرية ٱستطعما أهلها[٢٠].

---

(١) عبارة «قبل غلق الدستور» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «مستجاب».

(٣) الآية في (م) و(ع) ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

(٤) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٧/٩. وابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٥. وسفيان هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، الفقيه سيد أهل زمانه علماً وعملاً، توفي سنة ١٦١هـ - ٧٧٧م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/٢٢٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/٢٥٠.

(٥) ابنة أم حسان: كانت ذات اجتهاد وعبادة، وورع وتصوف وزهادة، وكان سفيان الثوري وابن المبارك رحمهما الله وغيرهما يزورونها. ابن الجوزي، الصفة، ٤/٤٥. المناوي، الكواكب الدرية، ١/٨٧.

(٦) في الأصل: «المعزي»، والتصويب من (م) و(ع). يقال للمصلي الذي أثَّر السجود في جبهته بين عينيه: مثل ركبة العنز؛ ويقال لكلِّ شيئين يستويان ويتكافآن: هما كركبتي العنز، وذلك أنهما يقعان معاً إلى الأرض منها إذا ربضت. ابن منظور، اللسان، «ركب»، ١/٤٣٣.

(٧) في الأصل «ياتينا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «ابن عبد الله» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) المِعْجَر: ثوب تَلُفُّه المرأة على استدارة رأسها ثم تجَلْبب فوقه بِجلْبابها. ابن منظور، اللسان، «عجر»، ٤/٥٤٤.

(١٠) في (م) و(ع): «اعتجرت».

(١١) في (م) و(ع): «كثير وكبير».

(١٢) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (ع): «برجحانك».

(١٤) في (م) و(ع): «من».

(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «قال سفيان: وكانت إذا جن عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها الباب، ثم قالت: إلٰهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن يسجن من عصاك إلا جهنم ولا عذاب إلا النار»، إلا أنه في (ع): «إذا جن الليل» بدل «إذا جن عليها الليل»، و«غلقت» بدل «أغلقت»، و«محجوب» بدل «محبوب».

(١٦) في (م): «بنت».

(١٧) عبارة «عليهما السلام» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «وإذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) قوله هذا إشارة إلى ما كان من الخضر وموسى عليهما السلام، حينما طلبوا الطعام من أهل قرية مروا بها فلم =

فقالت: يا سفيان قل الحمد لله. فقلت: الحمد لله. فقالت: اعترفت[1] له بالشُّكر. فقلت[2]: نعم. قالت: وجب عليك من معرفة الشُّكر شُكر، وشكر[3] معرفة الشُّكر شكر لا ينقضي أبدا. قال سفيان: فقصر - والله - عليَّ، ووقف لساني فولّيت أريد الخروج. فقالت: يا سفيان كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله ﷻ[4]، اعلم يا سفيان[5] أنَّه لن تُنتقى[6] القلوب من الرَّدى حتى تكون [١٠٠ب] الهموم همّاً واحداً. فقال سفيان: فقصرت والله نفسي عندي رحمها الله تعالى[7]». شعر[8]:

هل الوَجْد إلَّا أنْ أبِيتَ مُسَهَّدا ... بمَن بَات مِن فوق الحَشَايا[9] مُمَهَّدا

وألبس ثوب السَّقْم[10] أصْفَر فَاقِعاً ... وأسْبِل دَمْع العين وَرْداً[11] مُوَرَّدا

وَأرْقُب بَرْق الأبْرَقَيْن[12] عَسَى به ... لِسَلْمى سلام بالوِداد تَرَدَّدا

وَأرْصُد نَجْم الأُفْق عند إفَاقَتي ... عَسَى خَبَرٌ يَرْوِي غَلِيلي[13] من الصَّدى

وَلي مَنْ إذا ما[14] تِهْتُ في ليل شَعْرِها ... أرَتْني صُبْح الوَجْه منها فَأرشَدا

أمَا آنَ للصَّادِي من الصَّدِّ أنْ يَرَى ... بإحْسَان مَن يَهْوَى مِن الوَصْل مَوْرِدا

وَبَيْنَ ثَنيَّاتِ اللِّوَى مُغْرَم غَدا ... يُسِرُّ الهوى وَجْدا وَيُبْدِي تَجَلُّدا

إذا كَتَبَتْ أيْدي اللَّطافة[15] أحْرُفا ... تَلاها بألْفَاظ الصَّبَابة مُنْشِدا

وَيَصْبُو إلى ريح الصَّبا مُتَرَنِّماً ... لِصَوْت الصبا عَهْدا قديما وَمَعْهدا

وَلَم يبق في سَلع[16] على الدَّمْع مُسْعِد ... وَلَمْ يُرَ[17] في نَجْد على الوَجْد مُنْجِدا

أسُكَّان وَادِي الرَّمْل ما يخْلق الهوى ... وَحَقِّكُم حتى يُقَال تَجَدَّدا

= يطعموهما الطعام؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، وإنما ساق سفيان ذلك ليدلل لها على أن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يردّ جوعه.

(١) في (م) و(ع): «اعترف».

(٢) في (م) و(ع): «قلت».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «ﷻ»، في (م) و(ع): «تعالى».

(٥) عبارة «يا سفيان» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة: «لن تنتقى»، في (م) و(ع): «لم تنق».

(٧) عبارة: «عندي.. إلخ»، في (م) و(ع): «إليّ».

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «الحشا»، والتصويب من (م) (ع). والحشايا واحدتها حَشيَّة وهي الفراش المحشو. ابن منظور، اللسان، «حشي»، ١٤/ ١٨٠.

(١٠) في (م) و(ع): «الصبر».

(١١) في (م) و(ع): «بردا».

(١٢) في (م): «الأرقمين»، وهو تصحيف.

(١٣) في (م) و(ع): «ويروي».

(١٤) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٥) في (م) و(ع): «الكآبة».

(١٦) في الأصل: «سمع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «يبق».

ولا سَمَح الصَّبُّ الكَئيب بسَلوَة فَيُلْجِيه[1] قَاضِي الحُبّ أنْ يَتَرَشَّدا[2]
مَتى هَبَّ ريح الصَّبَّ مِن أُفُق العُلَى على جَمَرات الوَجْد زَاد[3] تَوَقُّدا
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي زين السماء بالنَّيِّرَيْن ورصَّعها بالأنجم الزاهرة، و[4]جعل الليل والنهار حثيثين على بواقي الأعمار وٱرتفاعها لديوان الآخرة، بعث عمال الأيام إلى جمع خراب[5] الشباب وقد خربت الساعات [١٠١أ] العامرة، فيا إفلاس البطالين وخيبتهم عند[6] المحاسبة في ديوان الساهرة[7]، فيا من غرته الآمال ما ينفع عند الموت التزين بالثياب[8] الفاخرة، أين من قاد الجيوش وجمع الأموال وتعزز بالقوة القاهرة، تجرع ـ والله[9] ـ كاس الحمام وٱنفرد بأعماله الرابحة والخاسرة، هذه قبورهم وهذه قصورهم تندبها أيدي البلاء في الدُّجُنَّة[10] والهاجرة، بدلوا بغربان بَيْنٍ تندب أعظمهم[11] الناخرة، أضحوا كأن لم يكونوا بالأمس وأمست ربوع أذكارهم دائرة[12]، منادي سكراتهم[13] ينادي يا ويلنا على ما فرطنا في الأيام الخالية[14]، ألهانا الهوى عن هول هذا المصرع فما أفقنا إلا ودوائر الحدثان دائرة، فيا أهل الغفلة ٱستعدوا الزاد[15] ليوم[16] فيه العقول حائرة، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[17]، فسبحان من يعطي ويمنع وحكمته في المنع والعطاء ظاهرة، أحمده حمد مذنب يرجو عفوه في الدنيا والآخرة[18]، وأشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) ألجأه إلى الشيء: اضطره إليه. والتلجئة أن يُلجئَك أن تأتي أمراً باطنه خلاف ظاهره، وأحوجك إلى أن تفعل فعلاً تَكْرَهه. ابن منظور، اللسان، «لجأ»، ١/ ١٥٢.

(٢) في الأصل: «يسترشدا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «زادت».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «خراج».

(٦) في (م) و(ع): «في».

(٧) في الأصل: «المشاهرة»، والتصويب من (م) و(ع). والساهرة: وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان نومهم وسهرهم. ابن منظور، اللسان، «سهر»، ٤/ ٣٨٣.

(٨) عبارة «التزين بالثياب»، في (م) و(ع): «الثياب».

(٩) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «الجنة»، والتصويب من (م) و(ع). والدُّجُنَّة: الظلمة. الفيروزآبادي، القاموس، «دجن»، ص١٥٤٢.

(١١) عبارة «تندب أعظمهم»، في الأصل «تنديب أعظامهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «مداثرة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «سكونهم».

(١٤) في (م) و(ع): «الغابرة».

(١٥) في (ع): «الزاد».

(١٦) في (م) و(ع): «السفر».

(١٧) سورة القيامة، الآية ٢٠ ـ ٢١. والآية في (م) و(ع): «﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾»، وكذا في الموضعين التاليين من هذه الخطبة.

(١٨) عبارة «أحمده حمد.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

وحده لا شريك له شهادةً ظاهرة وباطنة[1]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أحيا به ملة الإسلام بعد أن[2] كانت دائرة، صلى الله عليه وسلم وآله[3] وأصحابه الأنجم الزاهرة.

يا تائهاً في الضلال[4] بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك بوق الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد، كم تتعثر في ظلمات[5] [١٠١ب] الشهوة وآمالك فيه[6] تزداد، فواحسرتي عليك على الدوام أما آن لك الترداد[7]، جميع عمرك في جمع الدنيا[8] سيحرمك في الكبر المراد، قل لي متى تتيقظ وماضي الشباب ما يعاد، في كل مجلس تقول ويلي متى ألتحق[9] بالعباد، يا مخنث الهمة دع عنك عزائم الأنجاد[10]، بعت النفس[11] النفيس بالثمن[12] الخسيس لا مزيد ولا مزاد، يا مبهرجا بالرياء وافضيحتك عند[13] النقاد، ويحك كيف[14] تقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولا زاد، عودت نفسك الكسل[15] فعميت بالتسويف[16] ولكل جسد[17] ما اعتاد، ستندم إذا حان[18] الرحيل وأمسيت مريضاً تعاد، منعت التصرف فيما جمعت وقطعت الحسرات منك الأكباد، فجاءت[19] السكرات ومنع عنك العواد، وكُفِّنْتَ في أحقر[20] الثياب وحملت على الأعواد، ووضعت[21] في ضيق لحد وغربة ما لها من نفاد، تغدوا عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد[22]، ثم بعده أهوال عظيمة فيا ليتك لمعاينتها لا تُعاد، اغتنموا[23] بضائع الطاعة فبضائع المعاصي[24] خاسرة، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾.

أحمد بن محمد البزاز رحمه الله تعالى قال[25]: «كنت بعبادان وكانت ليلة عاشوراء،

---

(١) في (م) و(ع): «باطنة وظاهرة».
(٢) في (م) و(ع): «ما».
(٣) عبارة «وسلم وآله»، في (م) و(ع): «وعلى آله».
(٤) في (م) و(ع): «في ليل الضلال».
(٥) في (م) و(ع): «ظلمة».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) الرد: صرف الشيء ورَجْعُه. وردَّه عن وجهه يَرُدُّه تَرْدَاداً: صرفه. ابن منظور، اللسان، «ردد»، ٣/ ١٧٢.
(٨) عبارة «في جمع الدنيا»، في الأصل: «في جميع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «ألحق».
(١٠) رجل نَجْد شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره، والجمع أنجاد. ابن منظور، اللسان، «نجد»، ٣/ ٤١٧.
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «بالمثل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «ماذا يرى».
(١٤) في الأصل: «كم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «عودت جسمك بالكسل».
(١٦) في (م) و(ع): «في التسويف».
(١٧) في (م) و(ع): «جسم».
(١٨) في الأصل: «جاز»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «فجاءتك».
(٢٠) في الأصل: «حقار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «وأودِعَت».
(٢٢) يوم التناد هو يوم القيامة سمي بذلك لمناداة الناس بعضهم بعضا؛ فينادي فيه كلُّ أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء. ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٢١٩، بتصرف.
(٢٣) في (م) و(ع): «فاغتنموا».
(٢٤) في (م): «العاصي».
(٢٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٦١.

فدخلت إلى دار السبيل فرأيت فقيراً يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً[1]، فأحترق قلبي عليه، [١٠٢أ] وكانت معي ألف دينار للتفريق[2]، فسألت عنه فقالوا هو أفضل من هاهنا في الزهد ومنازلة الفقر، فقلتُ في نفسي: أعطيه الدنانير التي معي فإني لا أعرف المستحقين. فلما أصبحنا[3] قصدته وسلمت عليه وجلست إليه وباسطته فقلت له: رأيت الشيخ البارحة يأكل[4] خبز الشعير ومِلحاً جريشاً، وأعلمت به[5] أنه كان صائماً، فحملت إليه شيئاً ليتحكم فيه، وقدمت إليه الكيس وقلت له: هو[6] ألف دينار، فشدد النظر إلي وقال: خذ دراهمك فهذا[7] جزاء من أفشى سره للناس». شعر[8]:

تـلـك نـجـد وأيـن سُـكَّـان نـجـد	أتُـرَاهُـم يُـوفـون بَـعْـدي بِـعَـهْـدِي
هـي لِـي[9] قِـبْـلـة فـلا تَـمْـنَـعُـونِـي	أنْ أُوَدِّي فـيـهـا فـريـضـة وِرْدِي[10]
وَأُداوِي داء الـسَّـقـام بِـلَـثْـمِـي	تُـرْبـهـا إنَّـه عـبـيـري ونَـدِّي[11]
وَأُداوي قَـلْـبـي لِـيَـدْرأ[12] عـنـه	شُـبُـهـات الـسُّـلُـوِّ تَـوْجِـيـدُ وَجْـدِي
حَدَّث[13] الـدمـع عـن جـفـونـي فـقـالـوا	مَـن رَوى عـنـه مُـسْـنِـدا قـلـت خَـدِّي
وأجَـابـتـنـي[14] الـصـبـابـة حـتـى صِـرتُ	أفْـتِـي مِـنْ مَـذْهَـبِ[15] الـعِـشْـقِ وَحْـدِي
وَلَـبِـسْـتُ الـشَّـبَـاب[16] بُـرْدا[17] فَـسَـلْـهُـم	كـيـف أفْـنَـوا بُـرْدِي وَأفْـتَـوا بِـرَدِّي
رَغِـبُـوا فِـيَّ والـشـبـاب نَـضِـيـر	فَـتَـوَلَّـى عـنـي فَـوَلَّـوا[18] بـزهـد
آنَـسَـتْ أوْحَـشَـتْ أفَـادَتْ أفَـاتَـتْ	أوْجَدَتْ أعْدَمَتْ[19] بِوَصْل وَصَدٍّ [١٠٢ب]

---

(١) جَرَش الشيء: لم يُنْعِم دَقَّه، فهو جريش. الفيروزآبادي، القاموس، «جرش»، ص٧٥٦.

(٢) في (م) و(ع): «للتفرقة».

(٣) في (م) و(ع): «أصبحت».

(٤) في (م) و(ع): «يأكل البارحة».

(٥) عبارة «وأعلمت به»، في (م) و(ع): «وأعلم».

(٦) عبارة «وقلت له هو»، في (م) و(ع): «وقلت هي».

(٧) عبارة «خذ.. إلخ»، في (م) و(ع): «خذه فإن هذا».

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٠) في (م) و(ع): «ودي».

(١١) عبارة «تربها.. إلخ»، في الأصل: «فترابها عنبري وندي»، والتصويب من (م) و(ع). والنّد: طيب، أو العنبر. الفيروزآبادي، القاموس، «ندد»، ص٤١١.

(١٢) في الأصل: «الندرأ»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «فردت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وأجازتني».

(١٥) في الأصل: «ذهب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «الثوب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) البُرْد: ثوب مُخطط، وأكْسِيَة يُلْتَحَف بها. الفيروزآبادي، القاموس، «برد»، ص٣٤١.

(١٨) في (م): «فتولوا»، وفي (ع): «فتلوا»، وهو تصحيف.

(١٩) عبارة «أوحشت.. إلخ»، في الأصل: «وحشت أفادت فاتت أو وجدت أو عدمت»، والتصويب من (م) و(ع).

أرفـدت[1] نـحـوي الـسـرور فـلـمـا ... قـلـت قـد نِـلْـتُ أَوْثَـقْـتَـنِـي بِـقَـيْـدِ
قَـبِلْتَنـي[2] بـالـصَّـفـحِ حِـيـنـاً[3] فَـلَـمَّـا ... أنْ دَنَـا الـحـي[4] قَـاتَـلَـتـنِـي بِـجِـدُّ
أَعْـرَضَـتْ[5] ثـم أَعْـرَضَـتْ فـهـي لا تَـبْـ ... ـرَح قَـصْـداً تَـرْتَـدُّ[6] عـنـي وَتُـرْدِي
لَـيْـتَـهـا حِـيـنَ وَدَّعَـتْ أَوْدَعَـتْـنِـي ... أوعـدتـنـي[7] أن لا تـبـوء بـنَـجْـدي[8]

[بحر الخفيف]

سبحان من أعطى أهل العزائم فوق ما أملوه من الآمال، وخلف المحروم يبكي على الأطلال، باعوا النوم بنقد السهر فأهلاً بهم من أبطال، نعمهم[9] في التلاوة ودموعهم تجري كالزلال، يا[10] مخنث العزم دع عنك مقامات الرجال، أفنيت[11] شبابك في الغفلة وبين يديك كروب و[12] أهوال، غيرك على الجادة وأنت من الشقاء في أوحال، تُرى متى تستقيل مولاك فيقال أستقال، متى تخرب ديار اللَّهو وتعمر ديار الأعمال، ويحك كم تتوب ثم[13] تعود وكم عليك من أسجال[14]، قد وافاك متقاضي المشيب بعد التَّلوُّم[15] وضرب الآجال، لا بد من قبض مبلغ العمر على أي حال، ما أمهلت إلا رفقاً لتدبر حالك وإلا فالدَّيْن حال[16]، ما

---

(1) في الأصل: «وقدت»، والتصويب من (م) و(ع).
(2) في (م) و(ع): «فابتلتني».
(3) في (ع): «حيآ».
(4) في (م) و(ع): «الجفن»، وهو تصحيف.
(5) في (م) و(ع): «عرضت».
(6) في الأصل: «بردي»، والتصويب من (م) و(ع).
(7) في (م) و(ع): «أودعتني».
(8) في (م) و(ع): «بحدِّي». والنَّجَد: العرق من عمل أو كَرْب، والمنجود: المكروب، وقد نُجد نَجْداً فهو منجود. ابن منظور، اللسان، «نجد»، ٣/٤١٨.
(9) في (م) و(ع): «نعيمهم».
(10) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(11) في الأصل: «أفنت»، والتصويب من (م) و(ع).
(12) كلمة «كروب و» ساقطة من (م) و(ع).
(13) في (م) و(ع): «كم».
(14) أسجلت الكلام أي أرسلته. ابن منظور، اللسان، «سجل»، ١١/٣٢٦. والمعنى: كم عليك من نقاش وحساب يوم القيامة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عُذِّب». فقلت أليس قد قال الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، فقال: «ليس ذاك الحسابُ، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب». مسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم الحديث (٧٩/٢٨٧٦)، ٤/ ٢٢٠٤. ومعنى نوقش اسْتُقْصي عليه، وقوله عُذِّب يعني أن هذا الحساب مفض إلى العذاب بالنار، لأن التقصير غالب في العباد، فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر، ما دون الشرك، لمن يشاء.
(15) التَّلوُّم: الانتظار والتلبُّث. ابن منظور، اللسان، «لوم»، ١٢/٥٥٧.
(16) عبارة «ما أمهلت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

أعتذارك إذا سئلت و[1]ما جوابك للسؤال، ضيعت الشباب وتخلفت في المشيب ومن الحرام تجمع المال، نهارك في الغفلة وليلك في الكسل و[2]ما عندك خبر من الانتقال، شباب أدبر ومشيب أقبل وحال الهوى ما حال[3]، بالله من يبكي معك عليك يا متعللاً بالمُحال، هذه رفاق التائبين لهم بين الصفوف [١٠٣أ] مجال، فبادروا إخواني فالأمور ظاهرة، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

إسرائيل بن محمد القاضي رحمه الله تعالى قال[4]: كان بجرجان[5] رجل يقال له سابق[6]، وكان معتوهاً ذاهب العقل قد توحش، وكان مأواه الخربات[7] والغياض والمقابر، وكنت أحب[8] أن أكلمه وأسمع جوابه، فقيل لي يوماً: هو بالمقابر[9]. فقمت حافياً فدخلت المقابر، فإذا به منكس رأسه في قبر فلم يعلم حتى سلمت عليه فرفع رأسه[10] وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[11]. قال: وهِبْتُه فأنقطعت عنه ولم أقدر أن أكلمه[12]، فرأى ذلك بي[13]، فقال لي[14]: يا إسرائيل خف الله عز وجل[15] خوفاً لا يشغلك عن الرجاء، فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء أشغلته[16] عن الخوف، وفرّ إلى الله[17] عز وجل[18] ولا تفر منه فإنه عز وجل[19] مدركك ولن تعجزه، ولا تطع المخلوق في معصية الخالق، وأعلم أن لله عز وجل[20] يوماً: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[21]، قال: ثم قام

---

(١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «وحال الهوى.. إلخ»، في (م) و(ع): «وحال القوى حال».
(٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٦٣. وإسرائيل هو إسرائيل بن محمد النهري، أبو تمام، وقيل: أبو همام، قاضي الرحاب. وكيع، أخبار القضاة، ٣/٣١٣، ٣٢٢.
(٥) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي قطعتان إحداهما المدينة والأخرى بكر آباذ، وبينهما نهر كبير، يحتمل جري السفن فيه. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٣٢٣.
(٦) هو سابق العباداني المجنون، كان يسكن المقابر والخرابات والغياض مستوحشاً عن الخلق. المناوي، الكواكب الدرية، ١/١١٣.
(٧) في (م) و(ع): «الخرابات».
(٨) في (م) و(ع): «أريد».
(٩) في (م) و(ع): «في المقابر».
(١٠) عبارة «في قبر.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) عبارة «ورحمة الله وبركاته» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «وهبته.. إلخ»، في (م) و(ع): «فهبته فأنقطعت ولم أكلمه».
(١٣) في (م) و(ع): «فيَّ».
(١٤) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م): «اشغلته».
(١٧) عبارة «إلى الله»، في (ع): «لله».
(١٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) قوله: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة إبراهيم، آية ٤٢ ـ ٤٣.

فتخطى خطوطاً[1] فمضى في الخربات[2]. فقلت للذي يحفر القبور: إذا جاء فأتني، فمكثت[3] شهراً أو أكثر، قال: وأتاني الرجل وقال[4]: قد دخل الساعة المقابر. فقمت إليه مسرعاً من غير نعل ولا رِداء، فلما أبصرني وَلَّى وأسْرَع، فقلت[5]: يا سابق لا أعود إليك بعد اليوم، فوقف، فقلت: [١٠٣ب] علمني كلمات أدعو بهن، فقال: إن خير[6] الكلام للقلوب ما جاء من القلوب[7]، وإن أفضل الأعمال ما أُكْرِهَت عليه النفوس. ثم[8] قال: اللهم ٱجعل نظري عبرة، وسكوتي فكرة». شعر[9]:

اِحْــذَرْ دُنْــيَـــاكَ وغِــرَّتَــهــا	و[10]ٱحْـذَر أن تُـبْـدِي[11] لـهـا طَـلَـبا
تَـبْـغِـي وُداً مِـمَّـن قِـدمـا	لـك قـد قَـتَـلَـتْ أُمّـاً وأبَـا
وعـلـى الـجـيـران فـقـد جَـارَتْ	فـي فُـرْقَـتِـهِـمْ سَـكَـنُـوا الـتُّـرَبـا
عـاداً وثَـمُـودا مـع إِرَم[12]	كُـلًّا قَـهَـرَتْ[13] أوْلَـتْ عَـطَـبَـا
كَـمْ مِـنْ مَـلِـكٍ ذي مَـمْـلَـكَـةٍ	قَـدْ مَـالَ لـهـا سُـكْـراً وصَـبَـا
رَجُـلٌ والـخـيـل إذا رَكِـبَـتْ[14]	تَـرْتَـجُّ الأرض إذا رَكِـبـا
أَضْـحَـى فـي الـلَّـحْـدِ مُـعَـفَّـرَة	بـتـراب الـلَّـحْـد قـد ٱحْـتَـجَـبَـا
اطْـلُـب أُخْـراك[15] وَدَع دنـيـا	ك فـفـي أُخْـراك تَـرى عَـجَـبـا
كـم مِـن قَـصْـر قـد شِـيـد بِـنـىً	بـالـمَـوت وَهـي أَضْـحَـى خَـرِبَـا
يـا طَـالِـبَـهـا لا تَـلْـه بـهـا	كم لاهي[16] بـها مَلِك نـصبا[17]
أيـن الـمـاضـون لـقـد سَـكَـنُـوا	لَـحْـدا خَـرِبـا قَـفْـراً[18] تَـرِبـا

---

(١) في (م) و(ع): «خطاً». والخط: الطريق. الفيروزآبادي، القاموس، «خطط»، ص٨٥٨.
(٢) في (م) و(ع): «الخرابات».
(٣) عبارة «فأتني فمكثت»، في (م) و(ع): «فأتني به قال فمكث».
(٤) في (م) و(ع): «فقال».
(٥) عبارة «وأسرع فقلت»، في (م) و(ع): «فأسرعت وقلت له».
(٦) في (م) و(ع): «أخذ».
(٧) في الأصل: «الغيوب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «تبذل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) إرم: اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة. ابن الجوزي، زاد المسير، ٩/ ١١٠.
(١٣) في الأصل: «قهر»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) عبارة «رجل.. إلخ»، في الأصل: «ذو الخيل وذو الرجال ومن»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «مولاك».
(١٦) في (م) و(ع): «تاه».
(١٧) في (م) و(ع): «غصبا».
(١٨) في (م) و(ع): «لحداً فرداً خرباً».

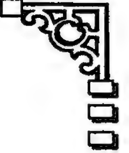
كـانـوا وَمَـضـوا ثـم ٱنْـقَـرَضُـوا فَـتَـأَدَّب أنـت بـهـم أَدَبـا
فـالـعُـمْـر مَـضَـى والـشَّـيْـبُ أتـى والـمَـوْت لـحَـيْـنِـكَ قـد قَـرُبـا
فـأَعِـدّ الـزاد إلـى سَـفَـرِ عُـمْـر الأيـام قـد ٱنْـتُـهِـبَـا
بـادِر بـالـتَّـوْبِ[1] وكُـنْ فَـطِـنـاً لا تَـلْـق بحفرتك[2] الـنَّـصَـبَا [١٠٤أ]
فـلَـعَـل الله بـرحـمـتـه يُـبْـقِـي بـالـعـفـو لـنـا سَـبَـبـا

[بحر المتدارك]

اللهم يا منور قلب العارفين، ويا قاضي حوائج السَّائلين، ويا قابل توبة[3] التائبين، تب علينا أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، وسلم تسليما كثيراً[4].



(١) في الأصل: «بالتوبة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «في حفرتك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «التوبة»، والصواب ما أثبتناه.
(٤) عبارة «اللهم يا منوّر.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الثالث عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ٱخترع الأكوان بلا مثال ولا أعوان ولا أنصار، رفع قبة السماء على[1] إيوان الجو ورصعها بجواهر الكواكب والقمر النوَّار، أدار أفلاكها بسر التسخير لتظهر حكمته بالليل والنهار، كتب على صفحات المصنوعات خطوط التصوير وحروف المقدار[2]، ألهم عقول العارفين وفهموا[3] ما في خَفِيّ الأسرار، خصص الخواص بسابق العناية فأزهار أذكارهم[4] أعبق من الأزهار، فلو سمعت في الدجى حنينهم سمعت نغمة أشجى من نغمة الأوتار، فإذا تنسموا نسيم السحر خامرهم من شراب[5] الاستغفار خمار، فلِلّه ما أطيب[6] أوقاتهم تركوا الأوطان والأطوار[7]، سموا بهممهم نحو الحبيب فلا يقر لقلوبهم عنه قَرار، قهر الخلائق بالفناء فالدنيا لهم ٱستتار، يفنيهم بنفخة[8] الصعق فلا يبقى على الأرض منهم ديار[9]، ليظهر عزّه في قهره وأنه في حُكمه ما جار، [١٠٤ب] قضى على الدنيا بالخراب ويمحو من آثارها الآثار، ثم يناديهم أين الجبابرة والأكاسرة ومن جار[10]، لا يجيبه منهم[11]

---

(١) في (م) و(ع): «عن».

(٢) في الأصل: «المقادر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «ففهموا».

(٤) في (م) و(ع): «أفكارهم».

(٥) في الأصل: «شارب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «فللَّه طيب».

(٧) في (م) و(ع): «الأوطان والأوطار والأطوار». والطَّوْر: ما كان على حَدِّ الشيء أو بحذائه. والأطوار: الحالات المختلفة والتارات والحدود. ابن منظور، اللسان، «طور»، ٥٠٧/٤.

(٨) في الأصل: «بنفخات»، والتصويب من (م) و(ع)؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. والصَّعق: أن يُغْشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً، وأصعقه: قتله. ابن منظور، اللسان، «صعق»، ١٩٨/١٠.

(٩) في (م) و(ع): «منهم على الأرض ديار». ويقال: ما بالدار ديَّار، أي ما بها أحد، وهو فَيْعَال من دار يَدُور. ابن منظور، اللسان، «دور»، ٢٩٨/٤.

(١٠) عبارة «قضى على الدنيا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقوله: هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة؛ ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث (٢٤/٢٧٨٨)، ٢١٤٨/٤.

(١١) عبارة «لا يجيبه منهم»، في (م) و(ع): «فلا يجيبه». وذلك لأن الخلق حينئذٍ أموات؛ فالحديث السابق =

مجيب ثم يحييهم لدار القرار، يحصي من أعمالهم الكبائر[1] والصغار، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2].

يا من سفينة عمره تلعب بها أمواج الكبر كم في آمالك[3] من آفات، كم في أسواق الدنيا من شهوات[4]، وكم فيها من[5] قاطع الشهوات، إذا آستغرق فيها القلب صُمٌّ عن سماع الخيرات، إقليم الشهوات خراب لا يسكنه أرباب المعاملات، بلوغ الأمل مع الكسل تَمَنٍّ وهيهات أن يدرك وهيهات[6]، ما كل كيمياوي[7] حصل على الإكسير فشمر ودع سماع الترهات، ترى لماذا[8] أظمأوا أكبادهم وأضنوا أجسادهم وشردوا[9] رقادهم وحلت بهم الحالات، شاهدوا الآخرة بلا حِجاب، فعاينوا ما أعد للمطيعين وأهل المخالفات، عملوا على[10] بصيرة حملت عنهم أثقال المشقات، آسمع يا من وسع على نفسه في الشهوات، ويحك كم تضيق عليها في الحسنات، أنت[11] في جمع[12] الدنيا فرقت عمرك[13] وفي وصلها قطعت الساعات[14]، حديثها[15] يلهو عن سماعه[16] من له عنها آنفلات، أشد الحسرات عند الموت من يجمع لغيره ويدفن مع الحسرات، رب ساعٍ لقاعد هذا ينعم بما خلَّفه وهذا عليه التبعات، [١٠٥أ] كلما أسمعك الواعظ حديث القوم قلتَ هذه مقالات، حب الدنيا في قلبك حاصل وحب الآخرة قد مات[17]، تصفَّح العارفون ديوان الحسنات[18] ورأوا

= يدل على أن الله ﷻ يفني جميع خلقه ثم يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ويكون ذلك بين النفختين [أي بين النفخة الأولى التي يصعق فيها الخلق والنفخة الثانية التي يحيون فيها] حين فني الخلائق وبقي الخالق وحده، فيجيب نفسه المقدسة بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ لأنه بقي وحده وقهر خلقه. القرطبي، الجامع، ١٥/ ٣٠٠. والتذكرة، ص٢١١. بتصرف.

(١) في (م) و(ع) زيادة: «والصغائر ومن خلقهم الكبار».

(٢) سورة غافر، آية ١٦.

(٣) عبارة «في آمالك»، في (م) و(ع): «أمامك».

(٤) في (م) و(ع): «شبهات».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) عبارة «أن يدرك وهيهات»، في (م) و(ع): «أن تدرك هيهات».

(٧) في (م) و(ع): «كيماوي».

(٨) في (م) و(ع): «لمَّا».

(٩) في (م) و(ع): «وسوَّدوا».

(١٠) عبارة «عملوا على»، في الأصل: «عموا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «جميع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «فرقت عمرك»، في (م) و(ع): «فرقته».

(١٤) عبارة «قطعت الساعات»، في (م) و(ع): «قطعته بالآفات».

(١٥) في (م) و(ع): «حدثتها بحديث».

(١٦) في (م) و(ع): «سماعها».

(١٧) في (م) و(ع): «فات».

(١٨) في (م) و(ع): «الحساب».

مثاقيل الجزاء بالمعيار[١]، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

كان فتح الموصلي[٢] رحمه الله تعالى يبكي بالدموع[٣] حتى نفدت[٤] ثم بكى الدم، فلما مات رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال[٥]: قال لي: يا فتح بكيت الدموع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك. قال: فلم بكيت الدم؟ قلت: يا رب على دموعي خوفاً[٦] ألّا تكون صحت لي. قال[٧]: ما أردت بهذا كله؟ قلت: شوقاً إلى لقائك. قال[٨]: وعزتي وجلالي لقد صعد إلي حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة واحدة[٩].

شعر[١٠]:

سَلُوا بَعْدَكُم وادِي الغَضَا مَا أَسَالَهُ ... دمي أَمْ دُمُوع العَاشِقِين أم القَطْر
وَصَارِخَة[١١] تَشْدُوا كَأَنَّ قُلُوبنا ... هي الطَّيْر أو في كُلِّ قَلْب لها وَكر
أَتَبْكِي أَسىً وَالإِلْف دَانٍ وَتَشْتَكِي ... غَراماً[١٢] وفي أَغْصَانِها وَرَق خُضر
ولو كانَ حَقّاً نَوحُها لم يَطِر[١٣] بها ... جَنَاح ولم يرقص[١٤] بها غُصْنٌ نَضِر
لكِ اللّه يَا وَرْقَاء مَا هَكَذَا الهَوَى ... أَنَوحٌ ولا وَجْدٌ وَشَكْوَى ولا ضُرٌّ

[بحر الطويل]

يا أخي من سبقت له السعادة سبقت عزيمة[١٥] عمله، قصّروا عنان الأمل فما أفلح من أرسله، طريق الجنة فيها صعوبة[١٦] وطريق النار ما أسهله، بينما[١٧] الإنسان في زخرف أمله صاح به الموت واستعجله، [١٠٥ب] طلب[١٨] المهلة لتدارك الفائت ما أمّله[١٩]، فجاءته

---

(١) في (م) و(ع): «مثاقيل الحساب بالعيار». والمعيار من المكاييل: ما عُيِّر. قال الليث: العِيَار ما عايَرْت به المكاييل، تقول: عَايَرْت به أي سَوَّيْتُه، وهو العِيَار والمِعْيار. ابن منظور، اللسان، «عير»، ٤/ ٦٢٣.

(٢) هو فتح بن سعيد الموصلي، أبو نصر، كبير الشأن في باب الورع والمعاملات، توفي سنة ٢٢٠هـ - ٨٣٥م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ١٨٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٥٠.

(٣) في (م) و(ع): «الدموع».

(٤) عبارة «حتى نفدت» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «فقال».

(٦) في (م) و(ع): «خوفاً على دموعي».

(٧) في (م) و(ع): «فقال».

(٨) عبارة «قلت: شوقاً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ١٨٨.

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) الصارخة: المغيث. ابن منظور، اللسان، «صرخ»، ٣/ ٣٤

(١٢) في (م) و(ع): «الغرام».

(١٣) في الأصل: «تطر»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «ينقض».

(١٥) في (م) و(ع): «عزيمته».

(١٦) عبارة «فيها صعوبة»، في (م) و(ع): «فيه نصب».

(١٧) في (م) و(ع): «بينا».

(١٨) في (م) و(ع): «طالب».

(١٩) في (م) و(ع): «أهمله». والمعنى: ما الذي أمله حتى أخّر فعل الخيرات وأهملها إلى أن فاجأه الموت.

السكرات وعاين ما هيئ له[1]، الأهل والأولاد يبكون عليه فما في الكل من يبكي له، الملك يحصي ما قدم والوارث يحصي ما خلف والويل في الحالين له، ما أسرع حَثْو[2] التراب عليه ما أعجله، رجعوا إلى ما خلَّف فرحين وانفرَد المسكين بما عمله، عفّروا خدّه في التراب وأطبقوا[3] عليه الجنادل[4] وخلفوه للديدان مأكله، فمر به حبيبه و[5]قد جفاه وملَّه، واحسرته في طول غربته ويا له من سفر ما أطوله، استبدلت حليلته[6] غيره وأنفقت في عرسها ما حصله، هذه فجائع[7] الدنيا فكيف[8] يرضى[9] العاقل بهذه الحالة[10]، فيا من باع عمره بثمن بخيس[11] هلّا سألت الإقالة، هذا باب التوبة مفتوح فإلى متى[12] هذه البطالة، كم قيّدت عليك[13] الحفظة ما نسيته فتعاينه عند كشف الأستار[14]، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى[15]: «خرجت أنا وفرقد السبخي ومحمد بن واسع ومالك بن دينار نزور أخاً لنا بأرض[16] فارس، فلما جاوزنا رام هرمز[17] إذا نحن برجل صوفي[18] في سفح جبل فتراكضنا نحوه، فإذا نحن برجل مجذوم يتقطر قيحاً ودماً[19]، فقال له [١٠٦أ] بعضنا: يا هذا لو دخلت المدينة فتداويت وتعالجت من بلائك[20]، فرفع طرفه[21] إلى السماء وقال: اللهم أتيتني[22] بهؤلاء يُسَخِّطوني عليك، لك الكرامة والعُتبى[23] فإني[24] لا أخالفك أبداً». شعر[25]:

---

(١) عبارة «وعاين.. إلخ»، في (م) و(ع): «وعاين هولاً ما أهوله».

(٢) في الأصل: «حث»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «وأطلقوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) الجَنْدل: الحجارة. والجَنْدل: صخرة مثل رأس الإنسان، وجمعه جَنَادِل. ابن منظور، اللسان، «جندل»، ١١/١٢٨، ١٢٩.

(٥) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (ع): «خليلته».

(٧) في الأصل: «فجاع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فكم».

(٩) في الأصل: «يرضيك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «المنزلة».

(١١) في (م) و(ع): «الغفلة».

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) عبارة «فتعاين.. إلخ»، في (م) و(ع): «ستعاينه يوم كشف الأسرار».

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٨٦.

(١٦) في (م) و(ع): «في أرض».

(١٧) رام هرمز مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، والعامة يسمونها رامز؛ اختصاراً. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٥٩٧.

(١٨) عبارة «برجل صوفي»، في (م) و(ع): «بصوفي».

(١٩) في (م) و(ع): «دماً وقيحاً».

(٢٠) في (م) و(ع): «بلائك هذا».

(٢١) في (م) و(ع): «رأسه».

(٢٢) عبارة «اللهم أتيتني»، في (م) و(ع): «إلهي أتيت».

(٢٣) العُتْبَىٰ: الرضا، الفيروزآبادي، القاموس، «عتب»، ص١٤٣.

(٢٤) في (م) و(ع): «بأن».

(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

أيا[١] عَاذِلِي لو كنتَ شَاهِد وَقْفَة لِوَدَاعِ لَيْلَى لم[٢] تَكُنْ في الهوى خَصْمِي
هَوىً فيه[٣] إتلاف النُّفوس وما على الـ غَرَام[٤] إذا ما أتْلَفَ الشَّيء من غُرْم[٥]
إذا كان حُبُّ الشيء يُعْمِي بَصائرا فإنَّ هَوَى لَيْلَى يُصِمّ كما يُعْمِي
فَلِمْ جَعَل العُذَّالُ عَذْلِي هَمَّهُم ولَيْس أستماع العَذْل في الحُبِّ مِنْ هَمِّي
يَرُومُون[٦] سَتْر[٧] الحبِّ والحب ظَاهِر وَيَرْجُونَ[٨] نقْصَان الأسَى والأسَى هَمِّي
عَدِمْتُ فُؤَادي مُذْ حَمَدْتُ به الهَوَى فَعدْمي وُجُودِي ثم وجدي[٩] في عدم
وَأَفْنَى[١٠] القلى دَمْعي فَمُذْ جاءَت النوى[١١] عَزَمْتُ مُجِيباً للفِراق على رغم

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي ألف بحكمته بين لطائف الأرواح وكثائف الأجساد، رتب قوارير القوى على محكم التدبير وأحكمها في القرب والإبعاد، فهذا[١٢] قرَّبه لمراده وهذا حكم ببعاده[١٣] فشتَّان ما بين مُريد ومُراد، آنس قلوب[١٤] الخائفين بالخلوات ولذَّذ عيشهم بالانفراد، فتح باب القرب للمحبِّين فأفناهم الشوق عن الأموال والأولاد، باعوا النوم بنقد السهر فلله درهم من أبطال أنجاد[١٥]، وفَّر لهم نصيب السعادة يوم القسمة وللمحروم الطرد والإبعاد، فيا ليت شعري ما جرى به[١٦] القدر فكلٌّ[١٧] من بحر القضاء وُرَّاد، فللَّه درهم من قلوب[١٨] فهمت عنه المراد، فتجانبت جنوبهم[١٩] لذيذ الرقاد، [١٠٦ب] فلو تراهم في مجلس الدجى بين قطرات العبرات وحُرْقة[٢٠] الأكباد، فيا من أبعده[٢١] التسويف حتى هجم المشيب وفات

---

(١) في (م) و(ع): «يا»، وهو تصحيف.
(٢) عبارة «لوداع ليلى لم»، في الأصل «ودع لليلى يم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «الغريم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) غَرِم يَغْرَم غُرْماً وغَرَامة، والغُرْم: الدين. ابن منظور، اللسان، «غرم»، ١٢/٤٣٦ .
(٦) في (ع): «ترومون».
(٧) في (م) و(ع): «سِرّ».
(٨) في (ع): «ترجون».
(٩) عبارة «فعدمي.. إلخ»، في الأصل: «فعدمي في وجدي ووجدي»، وفي (ع): «فعدمي وجودي ووجدي»، والتصويب من (م).
(١٠) في الأصل: «وأين»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «هذا».
(١٣) عبارة «وهذا حكم ببعاده» ساقطة في الأصل و(ع)، وهي من (م).
(١٤) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٥) في (م) و(ع): «وأنجاد».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «فالكل».
(١٨) عبارة «فللَّه درهم من قلوب»، في (م) و(ع): «فللَّه در قلوب».
(١٩) عبارة «فتجانبت جنوبهم»، في (م) و(ع): «فجانبت جنوبها».
(٢٠) في (م) و(ع): «حرق».
(٢١) في (م) و(ع): «أبعدهم».

المراد، بادروا بقيَّة عمر ذهب أطيبه وأبكوا على بعد السفر وقلة الزاد[1]، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

واعجباً كم[3] تناديكم العبر بأصوات فصاح، يا آدم المعصية مر[4] بوادي التوبة ففيه ترتاح، يا نوح الندم[5] عليك بالبكاء والنواح، يا هود الهداية أُدع على هلاك الشهوة بالرياح[6]، يا صالح العمل أثبت على قدم[7] الصلاح، يا إبراهيم الهمة كسر أصنام الأسباب فهي بلا أرواح[8]، يا موسى الأنس ألق عصا الدعوى فإذا عادت حية فخذها ولا جُناح[9]، يا داوود

---

(١) عبارة «بادروا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) سورة غافر، آية ٤٤. وفي (م) و(ع) زيادة: «شعر:

لـلَّـه مـا أطـيـب هـذا الـسـهـاد	ومـا ألـذ الـقـرب بـعـد الـبـعـاد
يـا نـاقـضـاً لـلـعـهـد عـاملـتـنـا	ثـم تـعـلـلـت بـطـيـب الـرقـاد
بـمـن تـشـاغـلـت وأيـن الـذي	قـد كـنـت مـن جـمـلـة أهـل الـوداد
شـمـر مـن الـيـوم ودع مـا مـضـى	وكـن فـقـيـراً مـا مـضـى لا يـعـاد»

[بحر السريع]

إلا أنه في (ع): «من حمله» بدل «من جملة».

(٣) عبارة «واعجباكم»، في (م) و(ع): «واعجباه».

(٤) في (م) و(ع): «جز»، وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢].

(٥) وفي ذلك إشارة إلى استغفار نوح وندمه عما فرط منه من السؤال عن ابنه الذي هلك مع الهالكين لكفره؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

(٦) قوله هذا إشارة إلى العذاب الذي نزل بقوم هود حين عصوا الله؛ قال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١ ـ ٤٢].

(٧) في الأصل: «قدوم»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى ردّ سيدنا صالح على قومه الذين رفضوا الإيمان بما جاء به، والذين كانوا يرجون رجوعه إلى دينهم قبل دعوته النبوة، فلما دعاهم إلى الله انقطع رجاؤهم منه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٢ ـ ٦٣].

(٨) في هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥١ إلى ٥٨].

(٩) أي ادع إلى الله ولا تبالي بما يصادفك من المصاعب، وفي قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٩ إلى ٢١].

الوُدّ عُد إلى الود فجبال الإنذار تسخَّر معك وأطيار المعارف تُظلِّك بالجناح[1]، يا سليمان التسليم قد ٱستخدمنا لك[2] الثقلين وزدنا لك[3] الرياح، يا عيسى الزهد رفعناك مكاناً علياً وأنزلنا عليك مائدة الأفراح[4]، يا محمد الرضا أنت خاتم المقامات فكل الصيد في جوف الفرا[5] أنى له براح، فيا أرباب الذنوب التوبة التوبة قبل حلول المنية ومفارقة الأرواح الأجساد، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

أبو عُتبة الخواص رحمه الله تعالى قال[6]: «حدثني رجل من أهل[7] الزهاد وممن يسيح في الجبال قال: لم تكن لي [١٠٧أ] همة في شيء من الدنيا، ولا لذة إلا في لقائهم[8]، يعني الأبدال والزهاد ﷺ[9]. قال: فبينما أنا على ساحل[10] من سواحل البحر، ليس يسكنه الناس ولا ترقى[11] إليه السفن، إذا[12] برجل قد خرج من بين[13] تلك الجبال، فلما رآني هرب منِّي[14] وجعل يسعى، فأتَّبعته[15] أسعى خلفه فسقط على وجهه فأدركته، وقلت[16]: ممن تهرب يرحمك[17] الله، فلم يكلِّمني، فقلت[18]: إني[19] أريد الخير فعلمني، فقال: عليك

---

(١) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

(٢) في (ع): «استخدمناك»، وهو تصحيف.

(٣) في (م) و(ع): «وزدناك»، وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ ـ ٨٢].

(٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وإلى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

(٥) والفرأ: الحمار الوحشي. وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فأصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حماراً، فأستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالاه، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفرا، أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي. الميداني، مجمع الأمثال، ١٣٦/٢. وهذا المثل يضرب لمن يفضل على أقرانه.

(٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧١/٤. وأبو عتبة هو عباد بن عباد الرملي الأرسوفي ـ نسبة إلى أرسوف مدينة على ساحل بحر الشام ـ أبو عتبة الخواص، كان من فضلاء أهل الشام وعبادهم، ذكره ابن حبان في الضعفاء فقال: كان ممن غلب عليه التقشف والعبادة حتى غفل عن الحفظ والضبط.
أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٢٨١/٨. ابن حجر، التهذيب، ٩٧/٥.

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «القياهم».

(٩) عبارة «رضي الله عنهم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «فبينا أنا ذات يوم في ساحل».

(١١) في الأصل «تلقى»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «إذا أنا».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وأتبعته».

(١٦) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٧) في (م) و(ع): «رحمك».

(١٨) عبارة «فلم يكلمني فقلت» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «فإني».

بلزوم الخير حيثما[1] كنت، فوالله ما أنا حامد لنفسي فأدعوك إلى مثل عملها، ثم صاح صيحة فسقط ميتاً، فمكثت لا أدري كيف أصنع به، وهجم[2] الليل علينا فتنحيت عنه[3] ناحية فنمت[4]، فرأيت في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء[5]، فحفروا له وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، فٱستيقظت فازعاً[6] للذي رأيت، فذهب[7] عني سنة النَّوم بقية الليل، فلما أصبحت ٱنطلقت إلى موضعه فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره وأنظر حتى رأيت قبراً جديداً فظننت أنَّه القبر الذي رأيته[8] في منامي». شعر[9]:

يَا رَاحِلِينَ إلى الحَبِيبِ تَرَفَّقُوا[10] ... فالقَلْبُ بين رِحَالِكُم خَلَّفْتُهُ
مَا لي سِوى قَلْبي وَفِيكَ أَذَبْتُهُ ... مَا لي سِوى دَمْعي وَفِيكَ أَرَقْتُهُ
أَبْكي إذا جَنَّ الظلام تَشَوُّقاً ... في طول ليل[11] في هواك سَهِرْتُهُ
وَأَنُوح إنْ[12] ناح الحمام لأنَّه[13] ... إِلْفٌ فَقَدْتُ الصَّبر حين فَقَدْتُهُ [١٠٧ب]
ما كنتُ أَعْرِفُ ما[14] الغَرامُ وما[15] الأَسَى ... والشَّوق والتَّبْريح حتى ذُقْتُهُ

[بحر الكامل]

يا أخي[16] كم قبض من عاصٍ على الإصرار لم يُفْسَح[17] له في الرجوع، عجباً ممن[18] يفرح بالأسباب وهو عنها مقطوع[19]، ما أشد غُبْن من باع الجنة بشهوة ظهر عليه القطوع، يا من صحيفة عمله سوداء ٱغسلها بماء الدموع، طعام الأمل: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[20]، إذا لم تهزك المواعظ فقلبك[21] في قالب الطرد مطبوع، ثوب معاملتك متسخ بالرياء وكم فيه

---

(١) عبارة «الخير حيثما»، في (م) و(ع): «الحق حيث».
(٢) في (م) و(ع): «قال: وهجم».
(٣) في (ع): «منه».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع) زيادة: «على خيل».
(٦) في (م) و(ع): «فزعا».
(٧) في (م) و(ع): «فذهبت».
(٨) في (م) و(ع): «رأيت».
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) في الأصل: «تفرقوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) عبارة «في طول ليل»، في الأصل: «وطول ليلي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م): «إذ»، وفي (ع): «إذا»، وهو تصحيف.
(١٣) في (م) و(ع): «فإنه».
(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «ولا».
(١٦) عبارة «يا أخي»، في (م) و(ع): «واعجباه».
(١٧) في (م) و(ع): «يسمح».
(١٨) في (م) و(ع): «المن».
(١٩) أي عجباً لمن يبتهج ويسر بأسباب الحياة الدنيا وزينتها وهو مقطوع عنها بالموت.
(٢٠) قوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الغاشية، آية ٧.
(٢١) في (م) و(ع): «أنت».

بالتصنع من زور مطبوع[١]، حسَّنْت ظاهرك بالسكون وقلبك لطلب[٢] الدنيا شديد الشروع، عمرت البدن وخربت القلب من الخشوع، وَلِّ خراب[٣] قلبك لعمَّار التقى[٤] ومكنه من آلات[٥] السهر والجوع، عليك بشعاب الصدق فله صناعة في جبر المصدوع[٦]، عليك برفَّاء[٧] الندم تصل[٨] كل مقطوع، إذا لم يقبل ثوب عملك الرفو[٩] فرقِّعه فشتان ما[١٠] بين المرفو[١١] والمرقوع، تعرض ويحك لمحمل[١٢] المجتهدين وقل ضال ضل عن الطريق مقطوع، اتَّبع آثارهم كالطفيلي ففضل رب البيت لا مقطوع ولا ممنوع، هذا مأتم الأحزان فإلى أيٍّ وقت تدَّخر الدموع، هذا مجلس الشكوى هذا وقت الرجوع[١٣]، فبادروا إخواني وافهموا أسرار المراد، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾.

أحمد بن أبي الحَواري[١٤] رحمه الله تعالى قال[١٥]: «حججت أنا وأبو سليمان[١٦]، فبينما[١٧]

---

(١) عبارة «من زور مطبوع»، في (م) و(ع): «من مخدوع».

(٢) في الأصل: «لطالب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) عبارة «ولِّ خراب»، في الأصل: «وخراب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «العمار التقى»، في (م) و(ع): «المعمار التقوى».

(٥) في (م) و(ع): «آلة».

(٦) إن الصدق سبب كل خير؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث (١٠٥/ ٢٦٠٧)، ٤/ ٢٠١٣.

(٧) رَفَأ الثوب: لأمَ خرْقه، وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما وهى منه، ورفوتُ الثوب رَفْواً. ورجل رفَّاء: صنعته الرَّفأ. ابن منظور، اللسان، «رفأ»، ١/ ٨٧.

(٨) في (م) و(ع): «يصل».

(٩) في الأصل: «الرفق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «المرقع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «المحامل».

(١٣) عبارة «هذا مجلس.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «أحمد بن الحواري»، والتصويب من (م) و(ع). وهو أحمد بن عبد الله بن ميمون، الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، أحد الأعلام، أصله من الكوفة، توفي سنة ٢٤٦هـ ـ ٨٦٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٣٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٨٥.

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٧٩.

(١٦) هو عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية، العنسي الداراني، أبو سليمان، الإمام الكبير، زاهد العصر، توفي سنة ٢١٥هـ ـ ٨٣٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٢٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/ ١٨٢.

(١٧) في (م) و(ع): «فبينا».

نحن نسير إذ سقطت السطيحة[1] [١٠٨أ] مني وكان برد عظيم، فلما ٱفتقدت[2] السطيحة، قلت: بقينا بلا ماء، فأخبرت أبا سليمان، فقال: سلم الأمر لمالكه، وصل على سيدي محمد وصحبه وسلم تسليماً[3]، وقل: يا راد الضالة رد علي سطيحتي[4]. فإذا الرجل[5] ينادي من سقط[6] له سطيحة، فأخذتها منه، فقال لي أبو سليمان: أحسبته يتركنا[7] بلا ماء. فبينما[8] نحن نسير فإذا[9] برجل[10] عليه طمران رثان، وقد تدرَّعنا بالفرو[11] من شدة البرد وهو يرشح عرقاً، فقال له أبو سليمان: ألا ندثرك ببعض ما معنا[12]؟ فقال له[13] الرجل: يا داراني، أتدثرني من الحرّ و[14]البرد و[15]هما خلقان من خلق الله ﷻ[16]، إن أمرهما أن يغشياني غشياني[17]، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني، يا داراني[18] ويحك تصف الزهد وتخاف من البرد، أنا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما ٱنتفضت ولا ٱرتعدت[19]، يلبسني في البرد فيحاً من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته، ثم ولى وهو يقول: يا داراني تبكي و[20]تصيح وتستريح إلى[21] الترويح. فكان أبو سليمان رحمه الله تعالى يقول له: لم يعرفني غيره[22]». شعر[23]:

أَيَنْفَعُنِي فِي حُبِّ لَيْلَى التَّكَتُّم[24] ... وكيف ودَمْعي عن ضَمِيري مُتَرْجِم[25]

---

(١) السَّطيحة والسطيح: المزادة التي من أديمين قوبل أحدهما بالآخر، وتكون صغيرة وتكون كبيرة، وهي من أواني المياه. ابن منظور، اللسان، «سطح»، ٢/ ٤٨٤.

(٢) في (م) و(ع): «فقدت».

(٣) في (م) و(ع): «وصلِّ على سيدنا محمد ﷺ».

(٤) عبارة «رد علي سطيحتي» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «فإذا الرجل»، في (م) و(ع): «ففعلت فإذا برجل».

(٦) في (م) و(ع): «ذهبت».

(٧) عبارة «أحسبته يتركنا»، في الأصل: «لا تتركنا»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فبينا».

(٩) في (م) و(ع): «إذا».

(١٠) في الأصل: «بالرجل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بالفرا».

(١٢) في (م) و(ع): «علينا».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «أم».

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «من خلق.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «أصاباني».

(١٨) عبارة «ياداراني» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «ما ارتعدت ولا انتفضت».

(٢٠) كلمة «تبكي و» ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٢) عبارة «فكان أبو سليمان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٤) في الأصل: «التكثر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٥) عبارة «عن ضميري مترجم»، في (م) و(ع): «عن زفيري يترجم».

متى خُتِمَتْ أَفْوَاه شَكْوَاي كان في ... أنـامِـل وَجْـدي لـلـوُشَـاة تـخـتُّـم[1]
لـقـد صُـمَّ سَـمْـعِـي عـن عَـواذِل حُـبّـهـا ... كَمَا أَنَّهـم بـالـشَّكِّ عَنْ حُسْنِها عَمُوا
أَلَا هَلْ بِنَجْد مُنْجِد لي علىٰ الهَوَىٰ ... فَقَدْ طَالَ ما يُبْدِيه دَمْعي وَيَكْتُم [١٠٨ب]
وَهَـلْ مُـسْـتَـهَـام بَـعْـدَمَـا فَـارَقَ الـحِـمَـى ... يَـرِقُ لـه قَـلْـبُ الـزَّمَـان ويَـرْحَـم
وَإِنِّـي لَـذُو سِـرٍّ مَـصُـون وَمَـدْمَـع ... بِلَيْلَى و[2]واشـيـنـا يـقـول وَيَـزْعـم
إذا مـا رَأَيْـتُ الـريـح حَـلَّـتْ[3] بِـرامَـةٍ ... فـلِـلْـوَجْـدِ جَـيْـش فـي فُـؤادي مرمرم[4]
يُـرَوِّعُـنـي الـبَـرْق الـيَـمَـانـي جَـهْـرَة[5] ... بِـصَـوت فَـيُـضْـنِـيـنِـي وَأَبْـكِـي[6] وَيَـبْـسُـم
وَعِـنْـدِي دُيُـون[7] لـلـغَـرَام وَكَـلَّـفَـت ... جُـفُـونـي أَدَاهـا فـهـي لـلـدَّمْـع تَـغْـرَم

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي دَبَّر الخلائق بالإيجاد بلطف التدبير، تفرد بأختراعهم لم يفتقر إلى معين ولا[8] مشير، قسم أقداره على الخلائق بميزان العدل ومثاقيل[9] التقدير، فكلٌّ ميسر لما خلق له[10] من تيسير وتعسير، قسم القبضتين على سابق علمه فريق في الجنة وفريق في السعير، يَسَّر المريد للمراد وجعل اليسير على المحروم عسير، جعل الليل والنهار جناحي الأعمار إلى أرض الفناء تطير، كم فرق المنون من أحباب وكم غيب من أتراب تحت الحفير، بينما[11] الإنسان في فَسيح الأمل قيل غافصه[12] المصير، فترك ماله وأهله وتقدم بأعماله[13] لمساءلة

---

(١) تخَتَّم عنه: تغافل وسكت، وتختَّم بأمره: كتمه. الفيروزآبادي، القاموس، «ختم»، ص١٤٢٠.

(٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «لاحت».

(٤) في (م) و(ع): «عرمرم». ورمرم إذا أصلح شأنه. ابن منظور، اللسان، «رمم»، ١٢/٢٥٦.

(٥) في (م) و(ع): «يمنة».

(٦) في (م) و(ع): «فأبكي».

(٧) في الأصل: «ديوان»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) المثقال في الأصل، مقدار من الوزن أيُّ شيء كان من قليل أو كثير، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله. ابن منظور، اللسان، «ثقل»، ١١/٨٧.

(١٠) عبارة «فكل.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكل ميسر لما خلق الله». وقوله هذا هو بعض حديث الرسول ﷺ؛ فعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود يَنْكُت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد عُلِم مَنْزِلُها من الجنة والنار»، قالوا: يا رسول الله: فَلِمَ نعمل؟ أفلا نَتَّكِل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل مُيَسَّر لما خُلِقَ له»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥ إلى ١٠]. مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٢٦٤٧/٧)، ٤/٢٠٤٠.

(١١) في (م) و(ع): «بينا».

(١٢) في الأصل: «غصفه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «بعمله».

منكر ونكير، وكلٌّ لمقام[1] غربة لا يدري بعدها إلى أين يصير[2]، ماء الأمل سَرابٌ[3] كم هلك فيه من مالك[4] ووزير، كم تناديكم العبر ورحائل أعماركم[5] إلى الفناء تصير، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[6]، فسبحان من بيده مقادير[7] التقدير، أحمده حمد عبد بحبل رجاه[8] [١٠٩أ] مستجير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها لهول الموت المرير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مهدِي الضَّال وجابر الكسير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس بالتطهير.

يا أخي لا تغسل[9] دنس الذنوب إلا بمدامع[10]، و[11]لا ينجو من قِفار المعصية إلا من يُسارع، لا حِيلَة في أطروش سَدَّت الغفلة منه المسامع، أحضر قلبك ساعة عساه بناجحة[12] الموعظة يراجع، كم لي أتلو عليك صحف الموعظة وما أظنك سامع، كم تمشي في ظلمة الهوى والغفلة[13] عن الأحبة[14] قاطع، لا كان يوم المعصية ما أنحسه من طالع، يوم الطاعة مُحَبّ للقلوب[15] وكل سعود فيه طالع، اطلب ويحك رفاق التائبين وجدد رسائلك للحبيب وطالع[16]، اجعل زمام عزمك بيد[17] التّقى[18] تكن في البلوغ طامع، من انقطع في منقطع القبر بلا زاد أهلكته الفجائع، غيره ينعم بما قدم وهذا بالخيبة راجع، مصباح التقوى يدل على الجادة وكم في ظلمات[19] الغفلة من باضع[20] وقاطع، تعوَّض الخفاش من النور بالظلمة

---

(١) في (م) و(ع): «مقام».
(٢) في (م) و(ع): «يسير».
(٣) السَّراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. ابن منظور، اللسان، «سرب»، ١/ ٤٦٥.
(٤) في (م) و(ع): «ملك».
(٥) عبارة «ورحائل أعماركم»، في (م) و(ع): «العل رحائل أعمالكم».
(٦) سورة الشورى، آية ٤٧.
(٧) في (م) و(ع): «مقاليد».
(٨) في (م) و(ع): «رجايه».
(٩) في (م) و(ع): «يغسل».
(١٠) في (م) و(ع): «بماء المدامع».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «بنائحة». والنُّجح والنجاح: الظفر بالشيء، وقد نجحت حاجتي، وأنجحها الله تعالى: أسعفني بإدراكها، ونجح أمر فلان: تيسَّر وسَهُل، فهو ناجح. ابن منظور، اللسان، «نجح»، ٢/ ٦١١، ٦١٢.
(١٣) كلمة «والغفلة» في (م) و(ع) «نوم الغفلة».
(١٤) عبارة «عن الأحبة»، في الأصل: «للأحبة»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) عبارة «محب للقلوب»، في (م) و(ع): «مختار».
(١٦) عبارة «اطلب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «بين»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «التقوى».
(١٩) في (م) و(ع): «ظلمة».
(٢٠) في (م) و(ع): «قاطع». وبَضَع الشيء يبضعه: شقه، وسيف باضع إذا مَرَّ بشيء بضعه أي قطع منه بَضْعَة. ابن منظور، اللسان، «بضع»، ٨/ ١٣

فعمره كله ضائع، أبك ويحك على موت قلبك وعمى بصيرتك[1] وكثرة الموانع، إذا لم يعظك الدهر والشيب وضعف القوى فما أنت صانع، أيام عمرك[2] تقدِّمك للحمام وأملك يؤخرك[3] فأعجب برائح و[4]راجع، فبالله يا[5] [١٠٩ب] إخواني بادروا المتاب فالأمر خطير، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

قال بعضهم[6]: كانت إلى جانبي عَجُوز وكان لها ولد مسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة ندم على ما كان فيه، و[7] استيقظ من غفلته، وقال لأمه: إذا أنا متُّ فلا تعلمي الناس بموتي فإنهم لا يصلون علي، وأجعلي قبري في بيتي فإني قد[8] آذيت جيراني في حياتي، وما أريد[9] أن أضر الموتى بعد وفاتي، ففعلت ما أوصاها[10] به ودفنته في بيته، وأقبلت تبكي وتقول: يا ابني و[11]يا ولدي ما أعظم غربتك، وما أشد محنتك، فقد ضمك القبر والموعد[12] بيني وبينك الحشر، وأقامت مدة تسأل الله تعالى في رؤيته، فرأته في النوم وهو في رياض مُرَونقة، وأنوار[13] مشرقة، وبين عينيه سطر من نور[14]: هذا عبد أعترف بذنبه وزلته وندم على خطيئته، وأستحى[15] مما قدمه وجناه، فعفى عنه مالكه ومولاه. فقالت له أمه[16]: يا بني، أخبرني بأمرك كيف كان؟ فقال[17] لها: يا أماه[18]، لما قبضت أوقفني المولى جل وعلا[19] بين يديه وقال[20]: يا عبدي، أما علموا أني مولاك! فلم هجروك ولم يصلوا عليك، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك، كأن عفوي ضاق عن سيئاتك، ثم تخوفت

---

(١) في الأصل: «حيرتك»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «عزمك».

(٣) عبارة «وأملك يؤخرك»، في (م) و(ع): «وآمالك تؤخرك».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في بستان الواعظين، ص٢٥٠، ٢٥١.

(٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) عبارة «فإني قد»، في (م) و(ع): «فقد».

(٩) في (م) و(ع): «أحب».

(١٠) في (م) و(ع): «وصَّاها».

(١١) عبارة «يا أبني و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «الوعد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «وهو في رياض.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو في رياض من الجنة مونقة، وأنهار»، إلا أنه في (ع): «رياض الجنة» بدل «رياض من الجنة».

(١٤) عبارة «سطر من نور»، في (م) و(ع): «مكتوب سطور بالنور».

(١٥) في (م) و(ع): «أستحيى».

(١٦) عبارة «فقالت له أمه»، في (م) و(ع): «قالت».

(١٧) في (م) و(ع): «قال».

(١٨) عبارة «يا أماه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «جل وعلا» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «وقال لي».

من شدة إشفاقك على الموتى بعد وفاتك، لقد غفرت لكل مدفن قريب منك إكراماً لك [١١٠أ] ولحشمتك، ورحمناك لذُلّك وفقرك[١]». شعر[٢]:

مـا وَجَـدْتُ لـي سَـبَـبـا	أتّـقِـي بِـهِ الـعَـطَـبـا
قَـلْـبِـي الـمُـبَـرّح بِـي[٣]	بـالـذُّنُـوب قـد حُـجِـبـا
قَـدْ أَلَـحَّ فـي تَـلَـفِـي[٤]	مِـن قَـبِـيح مـا ارْتَـكَـبـا
كُـلَّـمـا عَـذَلْـتُ هـوى[٥]	كُـلَّـمـا نَـصَـحْـتُ أبـى
فـانْـظُـروا لـمِـخْـنَـتـه[٦]	تَـنْـظُـروا بـه[٧] عَـجَـبـا
كـم رَكِـبْـتُ مَـنْـقَـصَـة	كـم تَـرَكْـتُ مـا وَجَـبـا
كـم ظَـوَاهِـر حَـسَـنـت	أبْـتَـغِـي بـهـا الـكَـذِبَـا

[بحر المقتضب]

يا من مات قلبه أي شيء[٨] تنفع حياة البدن، إذا فقدت حاسة[٩] الحواس فالتصرف لمن، أعمى بصيرتك دخان الشهوة فلا تفرق بين القبيح والحسن، يا مختثا في العزيمة[١٠] نازلاً[١١] في الهزيمة يا ممحونا بالمحن، الدنيا قنطرة العبور بيِّت عليها لبكورك للوطن، إذا جاءك تيار الموت حملك وأنت نائم لم تستيقظ إلا بحس الكفن، سلبك المشيب من الشباب فأين البكاء وأين الحزن، إذا كان القلب من التقى[١٢] خرابا فما ينفع البكاء في البدن[١٣]، يا قتيل الهجران هذا أوان الصلح بادر عسى يزول هذا الحزن، رافقوا[١٤] التائبين في التوبة قبل أن ينادي الحمام النفير النفير[١٥]، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ [١١٠ب] مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

بعض السادات[١٦] رحمه الله تعالى لما حضرته الوفاة قال لولده[١٧]: يا ولدي[١٨]، لا

---

(١) عبارة «ورحمناك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ورحمناك لفقرك ومذلتك».
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٣) في (ع): لي.
(٤) في (م): «قلقي».
(٥) في الأصل: «الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «المحنتي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «بها». (٨) عبارة «أي شيء»، في (ع): «إيش».
(٩) في (م) و(ع): «حاسِيَّة».
(١٠) عبارة «يا مختثاً.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا مخنث العزيمة يا».
(١١) في (م): «بازلا». (١٢) في (م) و(ع): «التقوى».
(١٣) في (م) و(ع): «الدمن». (١٤) في (م) و(ع): «وافقوا».
(١٥) تنافروا: ذهبوا. ابن منظور، اللسان، «نفر»، ٥/٢٢٥.
(١٦) في (م) و(ع): «السادة».
(١٧) في الأصل: «الولديه»، والتصويب من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «بني».

تسعك[1] مخالفتي، فقال: نعم، فقال: كَفِّنِّي[2]، وٱجعل في عنقي حبلاً، وٱجذبني[3] إلى محرابي، ومرغ خدي على التراب، وقل هذا جزاء عبد عصى مولاه، وآثر[4] شهوته وهواه. قال: فلما فعل به ذلك رفع طرفه إلى السماء وقال: مولاي، قد آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك، ثم خرجت روحه في الحال، فإذا هو[5] بصوت من زوايا البيت سمعه كل[6] من حضر يقول: تذلل العبد لمولاه، وٱعتذر مما[7] جناه، فقبله وأدناه». شعر[8]:

يَـا خَـلِـيـلَـيَّ ٱنْـزِلا بي[9] فـي الـحِـمَـى ... وَٱرْتَـعَـا مـا بَـيْـنَ أَطْـلَال الـخِـيَـام

فَـرُسُـوم الـدَّار قِـدْمـاً رَسَـمَـتْ ... فـي فُـؤَادِي حِـفْـظ وُدِّي والـذِّمَـام

وَٱسـأل[10] الأَطْـلَال عـن سُـكَّـانـهـا ... كـيـف بَـانُـوا بَـعْـدَ حُـسْـن الالْـتِـئَـام

يَـا خَـلِـيـلَـيَّ ٱسْـأَلَاهَـا عَـنْ سَـمِـي[11] ... مُـغْـرَم مِـنْ بَـعْـدهـم حِـلْـف الـسَّـقَـام

قُـلْـتُ لـلـحَـادِي وَقَـدْ رَاحَ بِـهِـمْ ... عُـجْ عَـلـى صَـبٍّ كَـئِـيب[12] مُـسْـتَـهَـام

[بحر الرمل]

عذب كلامي لا يذوقه إلا من له ذوق لطيف، ألفاظي لا يفهمه إلا من له شوق[13]، المجلس حلةٌ طرازها[14] الموعظة، ويد العناية تخلع على التائبين من هذه اللطائف مرهما[15] على القلوب الصافيات ألطف[16] من مر النسيم على[17] الروض.

إلٰهي كل كلام لا يوافقه [١١١أ] التوفيق نبات لا يثمر[18]، إلٰهي أهل مجلسي قد نقلوا

---

(١) في (م) و(ع): «يسعك».

(٢) عبارة «فقال كفني»، في (م) و(ع): «قال كتفني».

(٣) في الأصل: «واجنبني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وآثر عليه».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «وسل».

(١١) عبارة «عن سمي»، في (م) و(ع): «مخبرا».

(١٢) في الأصل: «كائب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «لا يفهمه.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا يهز إلا صاحب وجد».

(١٤) في (م) و(ع): «طرازه».

(١٥) عبارة «تخلع على التائبين.. الخ»، في (م) و(ع): «تخلع على التائب مر هذه المواعظ».

(١٦) في الأصل: «ألطف من النسيم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «في».

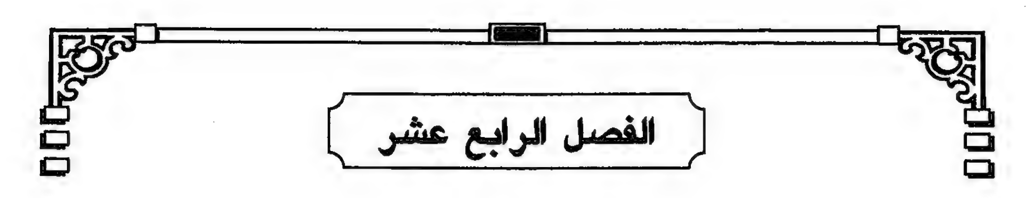
(١٨) في (م) و(ع): «بلا ثمر».

أقدامهم للإقدام إلى بابك ما منهم إلا منه قصة ندم[١]، وبعضهم غلب عليه الخجل؛ إما حياء منك، وإما[٢] احتقاراً لنفسه و[٣]خوفاً من ذنوبه، إلٰهي ابعث رسول عفوك يلتقط القصص من أيدي نياتهم، إلٰهي كل قصة ترجمتها: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾[٤] ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٥]، وختامها: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٦]، إلٰهي وقع[٧] على قصتنا بمسامحة[٨] ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٩]، اغفر لنا[١٠] ولا تطردنا عن بابك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين[١١].



---

(١) عبارة «إلا منه.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلا من له قصة».
(٢) كلمة «وإما»، في (م) و(ع): «أو».
(٣) في (م) و(ع): «أو».
(٤) قوله: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة يوسف، آية ٨٨.
(٥) قوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ١٥١. ومن سورة الأنبياء، آية ٨٣. والآية ليست في (م) و(ع).
(٦) قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ٢٣.
(٧) في الأصل: «رقع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) عبارة «على قصتنا بمسامحة»، في (م) و(ع): «على قصصنا مسامحة».
(٩) قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة يوسف، آية ٩٢.
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الرابع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أحصى علمه ما في الدارين مما كان أو يكون(١)، يرى خفيَّ الهاجس في الهاجس(٢) وخفيّ ما تخفي العيون، امتنع في عز ألوهيته(٣) بالعظمة عن(٤) مدارك الأوهام والظنون، فرض معرفته على العقول(٥) وكلّف الأبدان العمل(٦) فهي ديون(٧)، قهر(٨) جبروته(٩) جبار النفوس(١٠) بالوعيد لعلمه أنها جموح عن الحق خؤون(١١)، جعل التوحيد أمانة في القلوب(١٢) ووعد الأمين وتوعد الخؤون، جمع في وجودك معاني الموجودات وكم فيه(١٣) من شأن وكم فيه(١٤) من شؤون، أظهر في حركاتك وسكناتك أقداره تعالى(١٥) فكم فيه(١٦) من سر مكنون، [١١١ب] فأنت بالعقل ملك وبالشهوة شيطان فأفهم الحديث شجون(١٧)، عمرك بستان وأيامه أغراسه(١٨) والهرم خشبه(١٩) والشبيبة(٢٠) غصون، فيا مضيِّعاً شبابه في اللعب أما علمت أن أيام الكبر سجون، متابعة ما يبقى دليل على الصحة ومتابعة ما يفنى دليل على

---

(١) في (م) و(ع): «مما كان ويكون، لا يعزب عن علمه معلوم يعلم مقادير الحركات والسكون».

(٢) عبارة «في الهاجس» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «امتنع في الإلهية»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «القلوب».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الديون جمع دَين، وهو معروف، وكل شيء غير حاضر دين، وإنما سَمّى الأعمال ديون لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة، فالله ﷻ سيوفي الناس أعمالهم يوم الحساب، فيجازيهم بما عملوا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فكما يدين المرء يدان.

(٨) في (م) و(ع): «قهرت».

(٩) في الأصل: «جبروتيته»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «النفس».

(١١) في (م) و(ع): «حرون». وفرس حرون: لا ينقاد، إذا اشتد به الجَرْي وقف. ابن منظور، اللسان، «حرن»، ١٣/١١٠.

(١٢) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١٣) في (م) و(ع): «فكم فيك».

(١٤) في (م) و(ع): «فيك».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «فيك».

(١٧) عبارة «فأنت بالعقل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «أغراس».

(١٩) في (م) و(ع): «خشب».

(٢٠) في (ع): «الشيبة».

الجنون[1]، كم أبادت الأيام من أحباب وكم[2] مزّقت من قرون، دُوِّنت عليهم أعمالهم وكم عليهم من شهود جوارح[3] وعيون، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

إخواني الطاعة[5] أرباح والمعاصي خسران، دار المفلس من الطاعة سِجِّين[6] ودار الرابح الجنان، لا يلوذ بملاذ النفوس[7] من يطلب راحة الأبدان، كم شاهد العقل مراكب الأعمار تغرق من الآجال في الطوفان، كم تطلبون السفر بعد هذا الخبر ما أراكم إلا عميان، دِسار[8] سفينة الغفلة واهية وليس فيها أيضاً سُكَّان[9]، شراع آمالها مقطوع وملَّاح عزمها مقعد وأنت بلا زاد ما أسرع ما يقال هاهنا قد[10] كان، إذا نصحك الناصح ولم تقبل فعلامة الحرمان، عجباً كيف تسمع النصح وأنت غافل وعقلك في طلب الفاني ولهان، لو علمت[11] ما مهِّد للصالحين[12] من نعيم وأمان، [١١٢أ] وما هُيِّء للعصاة[13] من عذاب ونيران، لعلمت ما أنت إليه صائر وعدوك من أعمالك الصبح والميزان[14]، لا تُبَهْرِج فنقاد الحساب بصير بمقادير الأثمان، إنما هيئت[15] مطية الشباب لتنجو بها إلى بر الأمان، أفلتَّها حتى شردت في قفار العصيان، ولما آستحثَّك رسول المشيب ندمت على ما قد كان، أين سرعة الشباب من تأخُّر الكبر أين[16] الشجاع من الجبان، كيف يطيب عيش من جوارحه بفضائحه يشهدون، ﴿وَقَالُوا۟

---

(١) عبارة «ومتابعة ما يفنى.. إلخ»، في (م) و(ع): «ومتابعة الفاني علامة الجنون».

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «جوارح شهود».

(٤) سورة فصلت، آية ٢١.

(٥) في (م) و(ع): «الطاعات».

(٦) سِجِّين فِعِّيل من السجن، وسِجِّين وادي في جهنم، نعوذ بالله منها، مشتق من ذلك. ابن منظور، اللسان، «سجن»، ١٣/٢٠٣.

(٧) في (م) و(ع): «النفس».

(٨) في الأصل و(م) و(ع): «دساتر»، والصواب ما أثبتناه. والدِّسار: المسمار، وجمعه دُسُر، والدُّسُر مسامير السفينة وشُرُطُها التي تُشَدّ بها. ابن منظور، اللسان، «دسر»، ٤/٢٨٥.

(٩) عبارة «وليس فيها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وليس أيضاً فيها ربان».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «عاينت».

(١٢) في الأصل: «الصالحين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «للعاصين».

(١٤) الصبح أي يوم القيامة حيث يحاسب كل إنسان بما عمل، ويرى ما قدَّم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها عليه الرب تبارك وتعالى، فكما أن الصبح يكشف بنوره معالم الأشياء ويوضحها ويزيل عنها أستارها، فكذلك يوم القيامة يكاشف الإنسان بأعماله كبيرها مهما عظم، وصغيرها مهما دق. والميزان هو ذلك الذي ينصب يوم القيامة فتوزن فيه أعمال بني آدم؛ فمن ثقلت موازينه بالحسنات نجى، ومن خفت موازينه هلك.

(١٥) في (م) و(ع): «هيئت لك».

(١٦) عبارة «من تأخر.. إلخ»، في (م) و(ع): «من تأخير الكبر وأين».

لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

لما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا له: نأخذ ماءك فيراه فلان الطبيب النصراني[1]، فما رأى ماء عليل إلا عرف علته في أول ما يرفع عليه، فأبى عليهم، فألحوا عليه، وأخذوا ماءه ومضوا به إلى النصراني فقال لهم: ارفعوه، فرفعوه. ثم قال: أنزلوه، فنزلوه[2]. وفعلوا ذلك مرات، فقالوا له: ما هذه عادتك أنت تعرف العلة من أول نظرة[3] إلى الماء. فقال: والله ما رفع إلي من أول مرة[4] حتى عرفت علة صاحبه،هذا ماء رجل قد أحرق خوف الله تعالى[5] كبده، فإما أن يكون فلاناً الراهب أو بشراً الحافي، فقالوا: إنه بشر الحافي[6]، فقطع الطبيب زنّاره من وسطه وقال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن [١١٢ب] محمداً رسول الله ﷺ[7]. فرجعوا إلى بشر ليخبروه، فلما دخلوا عليه قال لهم: أسلم النصراني، فقالوا: نعم، من أين علمت؟ قال: لمَّا خرجتم من عندي وقف بي هاتف فقال: أبشر يا بشر لن تخرج من الدنيا حتى يسلم النصراني على يديك، ثم قضى نحبه رحمه الله[8]. شعر[9]:

عَـرِّجـا بـي نـحـو أعـلام الـشـآم	وأَطْرَحَاني بين أَطْنَاب[10] الخيام
وأَسْقِيَانِي من حُمَيَّا حُبِّهم	فَهْيَ أَشْهَى لِي[11] من شُرْب[12] المُدَام
واسْمِعَاني اسم من أَحْبَبْتُه	فلقد زاد من الشَّوق غرامي
والْحِقَاني نَفَساً من رَبْعِهِمْ	فَهْي أذكى[13] لِي[14] مِن شَمِّ[15] الخُزام
وَقِفَا لِي[16] فِي مَغَانِي أرْضِهِم	وَاقْرِيا سُكَّانها عَنِّي سلامي[17]

(١) في (ع): «النصراني الطبيب».
(٢) في (م) و(ع): «فأنزلوه».
(٣) عبارة «من أول نظرة»، في الأصل: «في أول النظرة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «نظرة».
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «فقالوا إنه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «أنا أشهد.. إلخ»، في (م) و(ع): «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله».
(٨) في (م) و(ع): «رحمه الله تعالى»، والقصة ذكرها الأبشيهي في المستطرف، ١/١٤٣.
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) الطُّنُب: حبل طويل يُشَدّ به سُرادِق البيت، أو الوَتَد، وجمعه: أطناب. الفيروزآبادي، القاموس، «طنب»، ص١٤٠، ١٤١.
(١١) عبارة «أشهى لي»، في الأصل: «أشد إلي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «طيب».
(١٣) في (م) و(ع): «أشهى».
(١٤) في الأصل: «إلي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «نشر».
(١٦) في (م) و(ع): «وقفاني».
(١٧) في الأصل: «السلام»، والتصويب من (م) و(ع).

ثم قُولا هذه الدار وذا | مَنْزل القَوْم بهَاتِيك[1] الخِيام[2]
فَعَسى أَسْكب في دِمْنَتِها | دَمْعَ طَرْفي من مَسِيل الدَّمْع دامي
كُلَّما قَلَّبْتُ طَرْفي في الحِمَى | طَلَب القَلْب زَمَان الالْتِئَام
ذَكَرَ اللهُ زَمَاناً قد مَضَى | فيك يا دَار بِأَنْوَاعِ السَّلام
فَلَعَلَّ الدَّهْر أَنْ يَسْمَح لي | فِيهم يَوْماً فأَحْظَى بِالْمَرَام[3]

[بحر الرمل]

يا أخي لو أنقشعت سحائب المعصية لرأيت[4] أعلام منزل القبول، يهون عليك السلوك إذا رافقت[5] أهل الوصول، أبك أياماً ذهبت في المخالفة فما ينفع البكاء على الطلول، رافق رفاق التائبين فدمع محاجرهم مكلول[6]، أنت في طلب [١١٣أ] الشهوات منصف وفي طلب الآخرة مَطْلول[7]، رافق رفاق المجتهدين[8] في بيداء الليل وإن كان فيها طول، أضرب راحلة النفس بسوط الجد وأسمع ما أقول، الخوف وله الخائفين ففي أكبادهم حرق وفي عبراتهم سيول، وفي أنفاسهم أنين وفي أجسادهم[9] نحول، إذا لاحت لهم[10] أعلام السحر بكوا على فراق الليل ما أجمله من بكاء مقبول، فَللّه طيب أوقاتهم علقوا هممهم به لا بالمشروب ولا بالمأكول، المحروم[11] صريع على فراش الغفلة مقيد مكبول، كم قيدت عليه[12] الحفظة من قبائح يسمعها[13] إذا جوارحه[14] ينطقون، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قال عثمان الدخاني رحمه الله تعالى[15]: «خرجت من بيت المقدس في حاجة أريد بعض القرى، فلقيتني عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف، فسلمت عليها[16] فردت علي السلام

---

(١) في الأصل و(م) و(ع): «وهاتيك»، والتصويب من (ب).
(٢) في (م) و(ع): «خيام».
(٣) الأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة في (م) و(ع)، والمرام: المطلب. ابن منظور، اللسان، «روم»، ١٢/٢٥٨ .
(٤) في (م) و(ع): «رأيت».
(٥) في (م) و(ع): «وافقت».
(٦) عبارة «التائبين . . إلخ»، في (م) و(ع): «البكائين فدم محاجرهم مطلول».
(٧) في (م): «مطول». والطل هدر الدم، وقد طُلَّ طلاً وطُلولاً فهو مطلول وطليل، وطل فلان غريمه يطلُّه كأنه مَطَله، وقيل يطلُّها يسعى في بطلان حقها كأنه من الدم المطول. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ١١/٤٠٥، ٤٠٦ .
(٨) في (م) و(ع): «المتهجدين».
(٩) في (م) و(ع): «أجسامهم».
(١٠) عبارة «إذا لاحت لهم»، في الأصل: «إذ لاحت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «والمحروم».
(١٢) في الأصل: «عليك»، وهي من (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٤) في الأصل: «جوارحها»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٢٥٢. وعثمان: هو عثمان بن عبد الله العابد، رجل من العباد، روى عنه أحمد بن عبد الله الرصافي. ابن العديم، بغية الطلب، ٢/٩٦٢.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

وقالت: يا بني[١]، من أين أقبلت؟ فقلت: من هذه القرية، قالت: وأين تريد؟ قلت: إلى بعض القرى في حاجة. قالت: كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلا، قالت: ثمانية عشر ميلاً[٢] في حاجة! إنَّ هذه لحاجة مهمة. قلت: أجل، قالت: فما اسمك؟ قلت: عثمان. قالت: يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن[٣] يوجه إليك [١١٣ب] حاجتك ولا تتعنى لها[٤]، قال: ولم أعلم الذي أرادت، قال[٥]: قلت: يا عجوز ليس بيني وبين صاحب القرية معرفة. قالت: يا عثمان، وما الذي أوحش بينك وبين معرفته، وقطع بينك وبين الاتصال به؟ فعرفت الذي أرادت، فبكيت، فقالت: من أي شيء تبكي؟ من[٦] شيء كنت فعلته فنسيته[٧]، أو من شيء نسيته وذكرته، قلت: لا بل من شيء كنت أنسيته[٨] وذكرته. فقالت[٩]: يا عثمان أحمد الله ﷻ[١٠] الذي لم يتركك في حيرتك[١١]، أتحب الله ﷻ[١٢]؟ قلت: نعم. قالت: فاصدقني. قلت: إي والله، إني أحب الله ﷻ[١٣]. قالت: فما الذي أفادك من طرائف حكمته إذا[١٤] أوصلك إلى محبته؟ قال: فبقيت متحيراً[١٥] بين يديها لا أدري ما أقول. فقالت: يا عثمان لعلك ممن يحب[١٦] أن يكتم[١٧] المحبة، فتحيرت في الجواب. فقالت: يأبى الله ﷻ[١٨] أن يدنس طرائف حكمته، وخفي معرفته، ومكنون محبته بممارسة قلوب المطالين[١٩]، قلت: رحمك الله لو دعوت الله ﷻ[٢٠] أن يشغلني بمحبته، فنفضت يديها في وجهي، فأعدت القول أبتغي[٢١] الدعاء، فقالت: يا عبد الله امض لحاجتك فقد[٢٢] علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك، ثم ولت وقالت: لولا خوف[٢٣] السلب لبحت بالعجب، ثم قالت ثلاثاً[٢٤]: أواه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن حنين لا يسكن إلا إليك، فأنّى[٢٥] لوجهي الحياء منك، [١١٤أ]

---

(١) عبارة «وقالت.. إلخ»، في (م) و(ع): «ثم قالت يا فتى».
(٢) عبارة «قالت: ثمانية عشر ميلاً» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «أمِن».
(٧) في (م) و(ع): «ونسيته».
(٨) في (م) و(ع): «نسيته».
(٩) في (م) و(ع): «قالت».
(١٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «خزيك».
(١٢) في (م) و(ع): «تعالى».
(١٣) عبارة «قالت فاصدقني.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «إذ».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «تحب».
(١٧) في (م): «تكتم».
(١٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «البطالين».
(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «أقتضي».
(٢٢) في (م) و(ع): «وقد».
(٢٣) في الأصل: «خوفك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٥) في (م) و(ع): «فأين».

وأنَّى[1] لعقلي الرجوع إليك، قال عثمان: فوالله ما ذكرت ذلك إلا بكيت وغشي علي». شعر[2]:

خَلِيلَيَّ هَلْ لِي فِي الرِّفَاقِ رِسَالَة ... يُذَكِّرُني العَهْد القَدِيم جَدِيدها[3]
وَقُولا فُؤَادِي أيْن قَرَّ قَرَاره ... هُدِيتُم وَعَيْنِي أين بات هجُودها[4]
فَإنْ دَافَعَتْ عَمَّا أجنَّت صُدورها ... فلا تَذْهَلا عَمَّا أذَاعَتْ بُرُودها
فَتِلْكَ مُرُوط[5] بَاشَرَتْ تُرْبَة الحِمَى ... وَأوْدَعَها أشْجَان قَلْبي صُعُودها[6]
ألا إنَّ دائي في فُؤَادي[7] وَإن[8] ترى ... كِذي عِلَّةٍ يَبْغِي شِفَاء يَزِيدُها
فَلِلَّهِ أشْجَان إذا عَزَّ ذِكْرُها ... يُقَبِّل[9] مغناها وَيُلْثَم[10] جيدها
تَهب صَبَاكم[11] ليسَ بينَ رُكُودِها ... وبين رُكُودِ النَّفس إلا رُكُودها
ويَسْرِي هَواكم فِي البُروق فإنها[12] ... وَقُود الحَشى مما آستطار وَقُودها
فحالي[13] من جَوْر الأحبة لم يَزَل ... مُقيماً إلى أنْ عَادَ وَصْلاً صُدُودها
وتِلْك الخَيَالات التي كُلَّما آمْتَطَت ... لِنَيْلِ المُنَى أمْسَى قريباً بَعِيدُها
ألَمَّت فَأدْنَاها الكَرَى وَنَأتْ به ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَل رُقَادِي يَزِيدها
ويَا[14] طَيْف لا تَرْكَب غُروراً فإنني ... إذا وَرَدَتْ عَيني غُروراً أذُودُها[15]

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي كتب أسطار الموجودات فظهرت[16] لقارئ العقل حروفاً وخطّاً، جعل أفعالها دلائل عليها وضبطها في ديوان الإحصاء ضبطاً، فأفعالها إعرابها في العلو والسفل[17]

---

(١) في (م) و(ع): «وأين».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «حديثها»، والتصويب من (م) و(ع). وهذا البيت مع البيتين السابع والثامن اقتباس من قصيدة لابن القيسراني محمد بن نصر بن صغير، شرف الدين المتوفى سنة ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م. ينظر خريدة القصر وجريدة العصر للأصبهاني، ١/ ١٣٠.

(٤) في الأصل: «جموعها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) المِرْط: كل ثوب غير مخيط، وجمعه: مروط. ابن منظور، اللسان، «مرط»، ٧/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٦) في (م) و(ع): «صعيدها».

(٧) في (م) و(ع): «دوائي».

(٨) في (م) و(ع): «لن». و«إن» هنا تفيد النفي؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]، فـ«إن» الأولى شرطية، والثانية نافية. ينظر: المغني لابن هشام، ١/ ٢٢، ٢٣.

(٩) في الأصل: «تقبل»، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل «تلثم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) عبارة «تهب صباكم..»، في الأصل: «يهب صبابكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «وإنما».

(١٣) في (م) و(ع): «فيالي».

(١٤) في الأصل: «ولا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «أرودها».

(١٦) في الأصل: «فظهر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) أي في الخير والشر.

والقدر ينقطها للتعريف نقطا، نظم جواهر الموجودات [١١٤ب] في سلك الإيجاد وجعلها سمطاً[١]، عميت بصيرة من أدعى خلق[٢] الأعمال وعن سبيل الرشد أخطا، من ذا الذي يدرك سر القدر ومن إلى بساط الكمال يتخطَّى، بحر القدر لا ساحل له ومكفوف العجز متى يدرك له شطا، لِلَّهِ ما أطيب عيش الزاهدين كيفما أقامهم قاموا قبضاً وبسطا، نيلهم من الدنيا نيل المضطر[٣] وحَطَّ[٤] حمل الشهوات عن ظهورهم حطا، حالفوا النفوس على الفاقة والزهد وجعلوا ذلك عليها شرطا، طالبوها بوزن المبلغ[٥] من العلم قسطوه عليها قسطا، قبلوا منها حاصل الفقر والفاقة وراقبوا مولاهم[٦] يخافون منه سخطا، أكرمهم تعالى[٧] بولايته وجعلهم لنبيه ورَّاثاً وسبطا[٨]، أمره ﷺ[٩] بالمقام معهم وكشف له[١٠] عن حقيقتهم المُغطَّى، ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[١١].

---

(١) السِّمْط: الخيط الواحد المنظوم. ابن منظور، اللسان، «سمط»، ٧/٣٢٢.

(٢) في الأصل: «كسب»، والتصويب من (م) و(ع). وفيه رد لقول المعتزلة، إذ إنهم قالوا: أفعال العباد بخلقهم لا بخلق الله، والطريق المستقيم والمنهج القويم ما قاله أهل السنة: وهو أن الأفعال بخلق الله وكسب العباد؛ أما الدليل على أن الأفعال بخلق الله فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأما الدليل على أنه بكسبهم فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]. البابرتي، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ص١٣٧، بتصرف.

(٣) وذلك لأنهم اعتبروا الدنيا دار ممر وعبور يقطعها السائر إلى الدار الآخرة؛ فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا كراكب.. إلخ، رقم الحديث (٢٣٧٧)، ٤/٥٨٨.

(٤) في (م) و(ع): «يحط». (٥) في (م) و(ع): «السلع».

(٦) في الأصل: «مرادهم»، وهي من (م) و(ع). (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) السِّبط: ولد الابن والابنة. ابن منظور، اللسان، «سبط»، ٧/٣١٠.

(٩) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «الهم»، والتصويب من (م) و(ع)، وقوله هذا إشارة إلى ما أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ من البقاء مع من أسلم من الفقراء والصبر معهم على أداء الصلوات، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ الآية [الكهف: ٢٨]، وسبب نزول هذه الآية أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنا، يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا إليك وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية، فقام رسول الله ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات» هذا قول سلمان الفارسي. ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/١٣٢.

(١١) سورة الكهف، آية ٢٨.

يا أخي[1] من وسع على نفسه في الشهوة[2] فتلك علامة شقوته، من ضيق عليها بالقناعة شُكر سعيه يوم رحلته، من آشترى برأس مال عمره الغفلة ما أخسره في سلعته، طريق الإخلاص[3] ضيق من سافره طوي له في سفرته، يا معشر الفقراء [115أ] منزل الفقر واسع وفرحته في نزهته[4]، الفقراء الصابرون[5] جلساء الله[6] فكم يتمنى ذو الغنى أن تبدل جلسته[7] بجلسته، حلة الفقراء حلل[8] المقربين وحلة[9] أهل الصفا من صفوته، إذا طفئت سرج بيوتكم فقد أوقد لكم مصباح اليقين في حضرته، إذا طويتم بالطوى[10] فقد طوي لكم بيداء قرب محبته، إذا أجاع بطونكم فكم[11] هيأ لكم من موائد نعمته، إذا عريت أبدانكم وظهوركم[12] فأطماركم طِرْز[13] حلل السندس والاستبرق في جنته[14]، إذا ملَّكم[15] أهل الدنيا فكم لكم من جولان بين الصفوف فكل يشفع في معرفته[16]، إذا لم تتبع جنائزكم فكم للملائكة عليها من آزدحام ومن أنس في بريته، إذا نسيكم الذاكرون فأنتم بعين من صبرتم على خدمته[17]، فقد أمر تعالى[18] المصطفى ﷺ وشرف وكرم[19] أن يكون معكم ومن

---

(1) في (م) و(ع): «هذا».

(2) في (م) و(ع): «الشهوات».

(3) في (م) و(ع): «الخلاص».

(4) عبارة «وفرحته.. إلخ»، في (م) و(ع): «وفُرْجَته في فُرْجَتِه».

(5) في (م) و(ع): «الصُبَّر».

(6) قوله هذا إشارة إلى الحديث الموضوع الذي رواه أحمد بن داود، ونصه: «مفتاح الجنة المساكين والفقراء هم جلساء الله»، وأحمد بن داود بن عبد الغفار أبو صالح الحراني المصري كذبه الدارقطني وغيره، وقد ذكر ابن حبان في الضعفاء أحمد بن داود هذا فقال: وكان بالفسطاط يضع الحديث لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل التنبيه. ابن حجر، لسان الميزان، ١/١٦٨.

(7) في (ع): «جلستك».

(8) عبارة «الفقراء حلل»، في (م) و(ع): «الفقر حلة».

(9) في (م) و(ع): «حلية».

(10) في(ع): «بالمطوى». والطَّوَى: الجوع، وقد طَوِي يَطْوَى طَوىً وطِوىً، وطوى نهاره جائعاً يطوي طَوىً. ابن منظور، اللسان، «طوى»، ١٥/ ٢٠.

(11) في (م): «فقد».

(12) كلمة «وظهوركم» ساقطة في (م) و(ع).

(13) الطِّرْزُ: الشكل، يقال: هذا طرز هذا أي شكله. ابن منظور، اللسان، «طرز»، ٥/٣٦٨.

(14) عبارة «حلل.. إلخ»، في (م) و(ع): «حلل الاستبرق والسندس في رحمته».

(15) في (م) و(ع): «مقتكم».

(16) قوله هذا هو معنى الحديث المنكر الذي يرويه ابن عدي من حديث موسى بن محمد، ثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمساكين دولة قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم في الله لقمة وكساكم ثوباً أو سقاكم شربة ماء فأدخلوه الجنة». ابن عدي، الكامل، ٦/٢٣٤٦. قال ابن حجر: موسى بن محمد أحد التلفاء، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه كان يضع الحديث. ابن حجر، لسان الميزان، ٦/١٢٧.

(17) في (م) و(ع) زيادة: «سيادتكم تظهر في المحشر وحرمتكم من حرمته».

(18) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(19) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

خالفكم فقد[1] أخطأ، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

عطاء بن السائب[2] رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي بن أبي طالب ﷺ[3] أن رسول الله[4] ﷺ لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة[5] ووسادة من أديم[6] حشوها ليف، ورحاءين[7] وسقاء وجرتين. فقال علي لفاطمة [١١٥ب] ﷺ[8] ذات يوم: والله لقد ٱستقيت حتى ٱشتكيت صدري، وقد أتى[9] الله تعالى[10] أباك بفيء[11] فٱذهبي فٱستخدميه[12]. فقالت: وأنا والله لقد[13] طحنت حتى[14] مجلت[15] يداي. فأتت النبي ﷺ، فقال لها[16] ﷺ[17]: ما جاء بك أي بنيتي؟[18] فقالت[19]: جئت لأسلم عليك، وٱستحيت[20]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «عطاء بن المسيب»، والتصويب من مسند الإمام أحمد. وعطاء هو عطاء بن السائب بن مالك الثقفي، أبو السائب الكوفي، الإمام الحافظ محدث الكوفة، تابعي مشهور، حسن الحديث، توفي سنة ١٣٦هـ - ٧٥٣م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١١٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ١/ ١٩٤. والحديث رواه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم الحديث (٨٣٨/ ٢٧٧)، ١/ ١٢٩، من حديث حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي ﷺ، ورجاله كلهم ثقات، وحماد سمع من عطاء قبل اختلاطه، فسماعه منه صحيح على ما جاء في تهذيب التهذيب: ترجمة عطاء بن السائب ٧/ ٢٠٦. وبعضه في الصحيحين: البخاري، الصحيح، كتاب الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين وإيثار النبي ﷺ أهل الصفة والأرامل، رقم الحديث (٢١)، ٤/ ١٨٦. ومسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث (٨٠/ ٢٧٢٧)، ٤/ ٢٠٩١.

(٣) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع). (٤) في (م) و(ع): «أن النبي».

(٥) الخميلة: القطيفة وهي كل ثوب له خمل والخمل ريش النعام. ابن منظور، اللسان، «خمل»، ١١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٦) في (م) و(ع): «أدم»، والأديم: الجلد ما كان. ابن منظور، اللسان، «أدم»، ١٢/ ٩.

(٧) الرَّحى معروفة التي يطحن بها. ابن منظور، اللسان، «رحا»، ١٤/ ٣١٢.

(٨) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «جاء».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بسبي». والفيء ما رَدَّ الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف دينه، بلا قتال. ابن منظور، اللسان، «فيأ»، ١/ ١٢٦.

(١٢) استخدمه فأَخْدَمَه: استوهبه خادماً فأوهبه له. ابن منظور، «اللسان»، «خدم»، ١٢/ ١٦٧.

(١٣) في (م) و(ع): «قد». (١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) مجلت يده: نفِطت من العمل فمرنت وصلبت وثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البشر. ابن منظور، اللسان، «مجل»، ١١/ ٦١٦.

(١٦) في الأصل: «له»، والصواب ما أثبتناه، وهي ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «بنية».

(١٩) في (م) و(ع): «قالت». (٢٠) في (م) و(ع): «فٱستحيت».

أن تسأله ورجعت، فقال لها علي رضي الله عنه: ما قال لك رسول الله ﷺ[1]؟ قالت: آستحييت أن أسأله[2]، فأتياه جميعاً، فقال علي[3]: يا رسول الله، لقد آستقيت حتى آشتكيت صدري، وقالت فاطمة رضي الله عنها[4]: لقد[5] طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاء الله بخير وسعة فأخدمنا، فقال النبي ﷺ[6]: والله لا أعطيكما[7] وأدع أهل الصفة[8] تطوى بطونهم و[9]لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن[10] أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا رضي الله عنهما[11]، فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما[12] إذا غطيا رؤوسهما تكشَّفت[13] أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما آنكشفت[14] رؤوسهما، فآحتشما من رسول الله ﷺ[15]، فقال ﷺ[16]: مكانكما، ثم قال[17]: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلى، قال: كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، فإذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، وآحمدا [١١٦أ] ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين[18]. قال علي رضي الله عنه[19]: ما[20] تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ، فقال له ابن الكواء[21]: ولا ليلة

---

(١) عبارة «فقال لها علي.. إلخ»، في (م) و(ع): «فقال ما فعلت».

(٢) عبارة «أن أسأله» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «فقال علي»، في (م) و(ع): «فقالا».

(٤) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «قد».

(٦) عبارة «النبي ﷺ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «أعطيتكما».

(٨) الصُّفة: الظُّلة، وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلَّل في مسجد المدينة يسكنونه. ابن منظور، اللسان، «صفف»، ٩/ ١٩٥.

(٩) الواو ساقطة من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «ولكني».

(١١) عبارة «رضي الله عنهما» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) القطيفة: القَرْطفة وجمعها القطائف، والقراطف: فُرش مُخْمَلَة، والقطيفة: دِثَار مُخْمَل. ابن منظور، اللسان، «قطف»، ٩/ ٢٨٦.

(١٣) في الأصل: «انكشف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «تكشفت».

(١٥) عبارة «فآحتشما.. إلخ»، في (م) و(ع): «فثارا».

(١٦) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «ثم قال»، في (م) و(ع): «فقال».

(١٨) عبارة «وكبرا ثلاثاً وثلاثين» على ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، رقم الحديث (١٤)، ٨/ ١٢٦، وهي في (م) و(ع): «وكبرا أربعاً وثلاثين» على ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، كتاب الخمس، باب الدليل أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ.. إلخ، رقم الحديث (٢١)، ٤/ ١٨٦. ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح.. إلخ، رقم الحديث ٨٠/ ٢٧٢٧، ٤/ ٢٠٩١.

(١٩) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «فوالله ما».

(٢١) هو عبد الله بن الكواء، وهو رجل من بني يشكر، من رؤوس الخوارج، قال البخاري: لم يصح حديثه، =

صفين[١]، فقال له[٢]: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم[٣] ولا ليلة صفين». وأنشد[٤]:

أَحِنّ إلى مَنْ بالعقيقِ دِيَاره ... حَنيناً يُبَكّي الوُرْق[٥] في وَرَق السِّدْر[٦]
وأُقْسِم لو فَاضَتْ على الجَمْر أدْمُعي ... لأَطْفَأ أدنى حَرّها لَهَب[٧] الجَمْر
لقد فُضِّلَت لَيْلى على النَّاسِ كالتي ... عَلى أَلْف شَهْر فُضِّلَتْ ليلة القَدْرِ[٨]
سَأصبِر[٩] لِلأَيَّام حتى يَسُرّني ... بها الدَّهر أَوْ تَفْنَى حَياتي مع الدَّهر
وقد صِرْت لا أَدْرِي إذَا مَا ذَكَرْتُهَا ... كَم الشَّهر من يَوْم أو الحَوْل مِنْ شَهْر
تَنَفَّسْتُ لَمَّا هَاج شَوْقِي بِذِكْرِها ... فَأَمْسَكْتُ مِنْ خَوف الحَريق على صَدْري
وسكر[١٠] الهوى أَوْدَى[١١] بِعَظْمِي وَمِفْصَلي ... كما سكن[١٢] النَّدمان من عَاتِق الخَمْر
سَلَام على مَنْ لا أَمَلّ حَدِيثها ... ولو عِشْتُ طُولَ الدَّهْر عُمْراً إلى عُمْر

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا يخفى عليه شيء من مسموع أو منظور فهو يسمع يرى، رفع السماء على عمد القدرة فمن خفائها لا ترى، زينها بالنجوم فمنها دلائل لمن يحيد عن الطريق إذا سرى، ومنها رجوم للشياطين ترميه فترميه من حيث لا يرى، منها يهبط[١٣] الأملاك والوحي بما في[١٤] القلم جرى، بسط الأرض مهاداً لتمهيد الموجودات وقدر لهم فيها ما ترى[١٥]، جعل الأيام رواحل أعمارهم لم [١١٦ب] يبق[١٦] منها عيناً ولا أثراً، كم فرقت يد الحدثان[١٧]

= وله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعنيه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علي. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٤٧٤. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٣/ ٣٢٩.

(١) صفّين موضع بقرب الرقّة على شاطئ الفرات من غربيِّها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٨٤٦.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) كلمة «وأنشد»، في (م) و(ع): «شعر».

(٥) الوُرْق جمع ورقاء وهي الحمامة. قال ابن دريد: جمل أورق وحمامة ورقاء والجميع وُرْق. ابن دريد، جمهرة اللغة، «رقو»، ٢/ ٤١٠.

(٦) عبارة «في ورق السدر»، في الأصل: «في غصن السار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «لهيب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) البيت مقتبس من قصيدة لقيس بن ذريح. انظر: الأغاني للأصبهاني، ٨/ ١٢٠.

(٩) في الأصل: «سافر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «وسكن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «ودي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «كما سكن»، في (م) و(ع): «إذا سكر».

(١٣) في (م) و(ع): «تهبط».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م).

(١٥) عبارة «ما ترى»، في (م) و(ع): «أثراً».

(١٦) في (م) و(ع): «تبق».

(١٧) في (م) و(ع): «الخذلان».

من أحباب ما تركت من اَفتقر ولا[1] من أثرى، تساووا في ظلمة الأرماس فأصبحوا للعابرين معتبراً، قيدت أعمالهم الحفظة كتاباً محققا محبرا، لا يغادر[2] نفسا ولا يجاوز[3] لحظة ولا لفظة[4] نسخوها حروفا وأسطراً، يدفن معك في قبرك[5] حقا يقيناً بلا اَمترى، فأهل البعد عن الله ألفوا الشهوات وسلكوا[6] سبيلاً وعراً، وأهل العناية تأتيهم ملائكة البشرى بما تسمع في الحساب وما ترى[7]، فإذا كان في القيامة نودوا أين الذين أجروا عبراتهم من أعينهم[8] قطرا، وقد خلع عليهم حلة الرضوان وأجرى لهم من السلسبيل نهرا، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾[9]، فسبحان من أعجز عن إدراك ذاته عقولاً وفكراً، أحمده تعالى[10] حمد راض[11] عليه مسطراً[12]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة، أستعدها إذا برق البصر لما يرى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي لم يزل في دين الله مجاهداً و[13]مشمراً[14]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[15] صلاةً يكون ثوابها مدخراً.

يا هذا من اَشتغل[16] عن صلاحه اَشتغل، من جمعها فرقته في القول والعمل، من وصلها قطعته عن بلوغ الأمل، حديثها ضعيف ما عليه في شريعة الحق عمل، سماعه أحدوثة لهو و[17]يتولد عنه الكسل، ما أشد حسرة من ضيع عمره حتى غافصه الأجل، ويحك لمن تجمع ويحك لمن تبني [١١٧أ] ويحك لمن تعمل، ما أخسر من سافر إلى الآخرة بلا زاد وخلف[18] ما جمع ولا يمهل[19]، قدم لنفسك ما عليه تقدم فأنت عما ملكته[20] ترحل، واعجبا[21] حب الدنيا في قلبك راسخ وحب الآخرة قد[22] رحل، سفينة عزمك[23] تلعب بها أمواج الكبر فأوان الغرق قد حل، واعجبا[24] مرتعش القوى يحمل قوارير الأمل، ما أسرع كسرها عند مُزاحمة الأجل، فأهل الزهد[25] في جنة الراحة آمنين، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «تغادر».
(٣) في (م) و(ع): «تجاوز».
(٤) عبارة «ولا لفظة» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «في قبرك» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «وسلكوا في تحصيلها».
(٧) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].
(٨) في (م) و(ع): «أشواقي».
(٩) سورة الزمر، آية ٧٣.
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «راض بما جرى».
(١٢) سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمّقها. ابن منظور، اللسان، «سطر»، ٤/ ٣٦٤.
(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (ع): «أسمَرا».
(١٥) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «شغل».
(١٧) الواو ساقطة من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «ويخلف».
(١٩) في (م) و(ع): «يهمل».
(٢٠) في (م) و(ع): «تركته».
(٢١) في (م) و(ع): «واعجباه».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «ضعفك».
(٢٤) في (م) و(ع): «واعجباه».
(٢٥) عبارة «فأهل الزهد» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

أحمد بن علي الإخميمي رحمه الله تعالى قال[١]: «كنا ذات يوم[٢] عند ذي النون، وقد ذكر كرامات الله ﷻ[٣] لأوليائه، فقال بعض من حَضَر: هل[٤] رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض؟ فقال: كان عندي فتى من أهل خراسان[٥] عجمي[٦]، بقي عندي في المجلس[٧] سبعة أيام لم[٨] يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه[٩]، فبينما[١٠] نحن جلوس ذات يوم إذ[١١] دخل سائل فسأل شيئاً، فقال له الخراساني: لو قصدت الله ﷻ[١٢] دون خلقه أغناك، فقال له[١٣] السائل: مالي هذا المقام[١٤]. فقال له الخراساني: فأيّ شيء تريد؟ فقال[١٥]: ما يسد فاقتي، ويستر عورتي، فقام[١٦] إلى المحراب وصلى ركعتين، ثم أتاه بثوب جديد، وطبق فاكهة، فأعطى السائل. قال ذو النون: فقلت له[١٧]: يا عبد الله لك هذا [١١٧ب] الجاه عند الله ﷻ[١٨] ولك منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً[١٩]، فجثا على ركبته[٢٠] وقال: يا أبا الفيض كيف[٢١] تنبسط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه تعالى[٢٢]. قال ذو النون: فقلت له: فالرَّاضُون[٢٣] لا يسألون؟ فقال: منهم من يسأل من باب الإدلال، ومنهم من يملؤه غنى به[٢٤]، ومنهم من يستخرج المسألة منه عطفة على غيره، ثم أُقيمت الصلاة، فصلى معنا العشاء الآخرة وأخذ ركوته وخرج من المسجد يريد الطهارة، فلم أره بعد ذلك». شعر[٢٥]:

أَقُولُ لِرَكْبٍ رَاحِلِينَ لَعَلَّكُمْ ... تَحِلُّون مِنْ بَعْدِي العَقِيقَ اليَمَانِيا

---

(١) في (م) و(ع): «قال أحمد بن علي الإخميمي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٧٦/٤.
(٢) عبارة «ذات يوم»، في (م) و(ع): «يوماً».
(٣) في (م) و(ع): «تعالى».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أَزَاذْوَرْد، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٤٥٥.
(٦) في (م) و(ع): «أعجمي».
(٧) في (م) و(ع): «المسجد».
(٨) في (م) و(ع): «لا».
(٩) في (م) و(ع) زيادة: «الطعام فيأبى».
(١٠) في (م) و(ع): «فبينا».
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «المكان».
(١٥) في (م) و(ع): «قال».
(١٦) في (م) و(ع): «فقام الخراساني».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «لم تطعم شيئاً»، في (م) و(ع): «لا تطعم الطعام».
(٢٠) في (م) و(ع): «ركبتيه».
(٢١) في (م) و(ع): «كيف لا».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م): «الراضون».
(٢٤) عبارة «من يملؤه غنى به»، في الأصل: «من يجعله في عيانة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي، انظر الديوان، ٢/ ٥٧٠.

خُذُوا نَظْرَةً مِنِّي وَلاقُوا بِهَا الحِمَى ... وَنَجرا[1] وكُثْبَان اللِّوى والمَطَالِيا[2]

وَمُرُّوا علـى أبيـاتِ حَـيٍّ بِـرَامَـةٍ ... وَقُولُوا لَـديغٌ يَبْتَغِـي اليـومَ رَاقِـيَا

عَـدِمْـتُ فـؤادي بـالعِـراق[3] فـربـمـا ... وَجَـدْتُمْ بـنَجْـدٍ لـي طَـبيـباً مُـداويـا

وقُولوا لنجراني[4] على الخَيْفِ مِنْ مِنىً ... تُـراكُـم[5] مَـن اَسْتَبْدَلْتُمْ بِجُواريا[6]

وَمَنْ حَـلَّ ذاك الرَّبْـع بَعْـدي وَرَاشَـقَتْ ... لَـواحِـظُـه تـلـك الظِّـبَـاءَ الجَـوَالِـيَا[7]

وَمَـنْ وَرَدَ الـمـاءَ الـذي كُـنْـتُ وَارِداً ... به وَرَعَـى العشيب الذي كنتُ رَاعِـيَا

فَوأَسَفِي كم لِي على الخَيْفِ وَقْفَةٌ[8] ... تَـذُوبُ عـلـيـهـا قِـطْـعَـةٌ مِـن فُـؤاديا

فيا رَبْع إِنْ أَلْبَسْتَنِي السَّقْم والضَّنى ... فَـإِنِّـي سَـأَكْـسُـوكَ الـدُّمُـوع الـجَـواريا

ويَـا قُـرْب مَـا أَنْكَـرْتُـم العَـهْـدَ بـيـنـنـا ... نَسِيتُم وما اَسْتَوْدَعْتُم[9] الـسِّـرَّ نَـاسِـيا

أأنسيتمـو[10] تَسْلِيمنـا لَيْلَـةَ النَّـقَا ... وَمَـوْقِـف رَمْـي لِلْـجِمَـار لَـيَـالِـيَا [118أ]

وَمِنْ جلَدِي لَا أَسْأَل[11] الرَّكْبَ عَنْهُم[12] ... وَأَعْـلَاقُ[13] وَجْـدِي بَـاقِـيَـاتٌ كَـمَـاهِـيَا

وَمَـنْ يَسْـأَلِ الـرُّكْـبَان عن كُـلِّ غَـائِـب ... فَـلَا بُـدَّ أَنْ يَـلْـقَ بَـشِـيـرا ونَـاعِـيـا

[بحر الطويل]

يا هذا أوَّل قَتيل في القتال الجبان ويسلم الشجاع، ميدان المجاهدة فيه ضيق وحيات وسباع، رافق رفاق التائبين وأبك التخلف والانقطاع، أجهد نفسك في سَوْرة[14] الدجى على راحلة التهجد ففي باعها اتساع، خفف عنها ثقل الطعام والشراب فإنها تتلذذ بطيب السماع، فإذا حللت[15] منزل السحر فأرحها بعد الاستغفار تذهب عنها الأوجاع، لا توردها نهر

---

(1) في (م) و(ع): «ونجدا». ونَجْر عَلَمٌ لأرض مكة والمدينة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٣٦٠.

(2) المَطَالي: موضع بنَجْران. وقيل: أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٢٨٣.

(3) في (م) و(ع): «عدمت دواي بالعقيق».

(4) في (م) و(ع): «الجيراني».

(5) في الأصل: «متى يراكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(6) في الأصل: «جواريا»، والتصويب من (م) و(ع).

(7) في (م) و(ع): «الحواريا».

(8) في (م) و(ع): «شهقة».

(9) عبارة «وما استودعتم»، في الأصل: «يستودع»، والتصويب من (م) و(ع).

(10) في (م) و(ع): «أأنكرتمو».

(11) في الأصل: «سل»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) في (م) و(ع): «عنكم».

(13) العِلْق: النفيس من كل شيء، جمعه: أعلاق وعُلوق، وعِلْق علم، أي: يُحِبّه ويتبعه. الفيروزآبادي، القاموس، «علق»، ص١١٧٦.

(14) في (م) و(ع): «سروة». وسَوْرة الخمر وغيرها: حدَّتها. ابن منظور، اللسان، «سور»، ٤/ ٣٨٤. والمعنى: أجهد نفسك وأحملها على قيام الليل وقد أدلهم ظلامه، وأشتد أطلسه.

(15) في (م) و(ع): «حلت».

الشهوات فليس في مائه ٱنتفاع، الدنيا بحر[١] طالوت من أكثر من[٢] شربه عطش أو[٣] جاع، ومن ٱغترف بيد الزهد غرفة للقوت[٤] أسرع في الإسراع، يا داوود التوبة ٱضرب جالوت الهوى بحجر المخالفة في الإقلاع، فإذا مات وقعت الهزيمة في جنود[٥] الشهوات بالاسترجاع[٦]، فبادروا إخواني رفاق التائبين فإنها من الفائزين[٧]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾.

محمد بن رافع رحمه الله تعالى قال[٨]: أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينما[٩] أنا في بعض الطريق إذ[١٠] رأيت فتى عليه جبة صوف[١١] وبيده ركوة، فقلت: أين تريد؟ فقال[١٢]: لا أدري. فقلت: من[١٣] أين جئت؟ فقال[١٤]: لا أدري [١١٨ب] فظننته موسوساً، فقلت له[١٥]: من خلقك؟ فٱصفر وجهه حتى خلته صبغ بالزعفران، فقال: خلقني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. فقلت: رحمك الله أنا من إخوانك وممن يأنس بالصالحين[١٦] أمثالك فلا تنقبض عني. قال: فكيف وأنا والله إني[١٧] أود لو جاز لي ترك الجماعات[١٨]

---

(١) في (م) و(ع): «نهر».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «و».
(٤) في (م) و(ع): «للفوت».
(٥) في (م) و(ع): «جند».
(٦) وقوله هذا إشارة إلى ما كان بين داود وطالوت وبين من خالفهم من بني إسرائيل جنود جالوت، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩ إلى ٢٥١].
(٧) عبارة «فإنها من الفائزين» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «عن محمد بن رافع قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٢٦. ومحمد: هو محمد بن رافع بن أبي زيد سابور، الإمام الحافظ الحجة القدوة، بقية الأعلام، أبو عبد الله القشيري مولاهم النيسابوري، شيخ عصره بخراسان في الصدق والرحلة، توفي سنة ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ، ص٤٣٠. وسير أعلام النبلاء، ١٢/٢١٤.
(٩) في (م) و(ع): «فبينا».
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «قال».
(١٣) عبارة «فقلت من»، في (م) و(ع): «قلت فمن».
(١٤) في (م) و(ع): «قال».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «إلى الصالحين».
(١٧) في (م) و(ع): «وكيف لا، إني والله».
(١٨) في (م) و(ع): «الجماعة».

حتى أنفرد في شاهق الجبل[1] منيف[2] صعب المرتقى، أو في غارٍ موحش لعلي أجد في نفسي ساعة أسلو[3] عن الدنيا وأهلها، فقلت: وما جنت عليك حتى ٱستحقت هذا البغض منك؟ قال: جنايتها العمى عن جنايتها[4]. فقلت: هل من دواءٍ أُعالج به هذا[5] العمى الذي قد حجب عنِّي[6] ما يراد بي؟ قال: ما أراك تقدر على العلاج، فٱستعمل من الدواء أيسره. فقلت: صِف لي دواء لطيفاً. قال: فما داؤك؟ قلت: حب الدنيا، فتبسم وقال: و[7]أيّ قرحة أعظم من هذه[8]؟ ولكن ٱشرب السموم الطرية، والمكاره الصعبة، قلت: ثم ماذا[9]؟ قال: الزم[10] من الصبر الذي لا تجزع[11] فيه، والتعب الذي لا راحة فيه[12]، قلت: ثم ماذا[13]؟ قال: الوحشة التي لا أنس فيها، والفرقة التي لا ٱجتماع معها. قلت: ثم ماذا؟ قال: السلو عما تريد، والصبر عما تحب، فإن أردت فٱستعمل هذا وإلا فتأخر، وٱحذر الفتن فإنها كقطع[14] الليل المظلم، قلت: فدلني على عمل يقربني إلى الله ﷻ[15]، قال: يا أخي، قد نظرت في جميع العبادات فما وجدت أنفع[16] [١١٩أ] من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، يا أخي رأيت القلب[17] عشرة أجزاء: تسعة[18] مع الناس، وجزء مع الدنيا، فمن قوي على الانفراد[19] حاز تسعة أجزاء[20] من القلب، ثم غاب عني فلم أره». شعر:

سَأَبْكِي عليكم بالدُّمُوع تَأَسُّفا ... وأَنْدُب أَيَّاماً بِوَصْلِي تَقَضَّت

فَلَهْفِي على رَبْعٍ خلا مِن أَنِيسِهِ ... وَصَاحَ بِهِ دَاعِي الفِرَاق المُشَتِّت

ودَار لنا بالرَّقْمَتَيْنِ عَهِدْتُها ... بِها كَان[21] أَحْبَابِي وأَهْل مَوْدَّتِي

أَطُوفُ بِهَا طَوْفَ الحَجِيجِ بِمَكَّة ... وَأَسْعَى بها في كُلِّ يَوْمٍ[22] وَلَيْلَة

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) ناف الشيء نوفاً، ارتفع وأشرف، ويقال لكل مشرف على غيره: إنه لمُنيف. ابن منظور، اللسان، «نوف»، ٩/ ٣٤٢.

(٣) في الأصل: «نسأل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «جناياتها العمى عن جناياتها».

(٥) في (م) و(ع): «من هذا».

(٦) في الأصل: «عيني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الواو ساقطة من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من هذه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) عبارة «ثم ماذا»، في (م): «بماذا».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «جزع».

(١٢) في (م) و(ع): «معه».

(١٣) في الأصل: «ثم قال ماذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «قطعة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٦) في الأصل: «نفعاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «الخلق».

(١٨) في (م) و(ع): «فتسعة».

(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «خاصة».

(٢٠) في (م) و(ع): «أشياء».

(٢١) في الأصل: «كانوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «وأسعى إليها طول يومي».

وبـي[1] زَفَـرات بـالـغَـرام تَـأَجَّـجَـت   بِـهَـا فـي فُـؤَادِي نَـار شَـوْقٍ تَـلَـظَّـتِ
سَـأَطْـرَح نَـفـسي فِـي الخِـيام لَـعَـلَّـنِي   تَـجُـودُ عُـيـونـي جَـارِيَـات بِـعَـبْـرَتِـي
فَـيَـا مَـعْـشَـرَ الـعُـشَّـاقِ رِقُّـوا لـمـذْنَـف   غَـرِيب بُـلي بـالشَّـوْقِ[2] فِـي أَرْضِ غُـرْبَـةِ

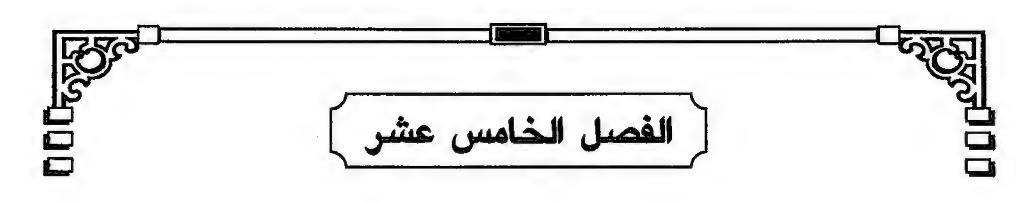
[بحر الطويل]

حلة كلامي ديباج بلاغة، رقمت بأنامل الفصاحة، فيها من بدائع صنوف المعاني، نسَّاج فكري[3] ينسج على منوال العلم حلة المعارف، نسجها[4] صانع العبارة بأعتدال الترتيب فإذا ظهرت في سوق الأسماع على يد دلَّال اللِّسان[5] بادر العارفون لتقليب ثقله[6] ومقداره وحدِّه، فإذا ثوب البيان نسيج وحده، كم من[7] غائص يرفع الدر ولا كاليتيمة، من قنع بالساحل كفاه جمع[8] الصدف، فإذا صادف صدفة فما حصل على طائل، يا أرباب المعاملات عليكم بسوق[9] الفهم فما يباع فيه[10] إلا الرفيع، [١١٩ب] لولا الحاسد لزدت سلوكا في السلوك تقصر[11] الأفهام عن أثمانها، وما يعرض في الأسواق إلا ما يعرف ثمنه، وفي الأسفاط نفائس الذخائر، وما يطّلع عليها إلا كابر بعد كابر[12].

إلٰهي خصنا بالفهم عنك، أسمعنا نداء القرب[13] بأسماع الفهم، أفتح لنا من لطفك[14] فهم اللطائف عنك، أجعل ملاذنا بملاذ جودك، خصَّنا بخاصية الخواص، أرحمنا برحمتك التي سابق بها السابقون فسبقوا[15] برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه وأزواجه وسلم[16].

---

(١) في (م) و(ع): «ولي».
(٢) في (م) و(ع): «بالعشق».
(٣) في (م) و(ع): «فكرتي».
(٤) في (م) و(ع): «ثم يلحمها».
(٥) الكلمة بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «تقلبه».
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في الأصل: «جميع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) عبارة «عليكم بسوق»، في (م) و(ع): «احضروا سوق».
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «تقصر أكثر».
(١٢) في الأصل: «الأكابر»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «الوجود».
(١٤) في (م) و(ع): «من لطائف لطفك».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الخامس عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كتب سطور القضاء بحروف خفيت عن مدارك العيون، علم صبيان العقول في مدرسة[1] الإيجاد أن أمره بين[2] الكاف والنون، أنطق ألسنة أفعاله بالدلالة عليه لأنه يقول لها كن فيكون[3]، دبرها بما شاء كيف شاء[4] في الحركات والسكون، رتب المسببات على الأسباب ترتيباً لا يفهمه إلا العارفون[5]، ربط نواصي الخلائق بسلسلة[6] بها يتحركون، فالكل لعب خيال على بساط البسيطة لا يعلمون بماذا يُحركون[7]، المحرك لهم سواهم والمتكلم عنهم غيرهم وهم لا يشعرون، نعَّم أحبابه بالفهم عنه فهم بمفهومهم يتنعمون[8]، وأبعد أهل الحرمان عن بابه فهم في تيه الغفلة [١٢٠أ] يلعبون، كم تمر عليهم آيات العبر وهم لا يعتبرون، كم ناداهم المشيب بالرحلة لكنهم لا يسمعون، غرهم الإمهال حتى ظنوا أنهم يهملون، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[9].

إخواني[10] غضوا أبصاركم عن الشهوات فالمراقبة[11] بالمرصاد، قيدوا خطاكم عن الخطايا فكم عليكم من أرصاد، جوارحك تشهد عليك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[12]، أجمعوا سهام الغيبة عن أغراض الأعراض فمستوفي الحساب نقَّاد، رُبَّ رمية أصابت الرامي فأصابت منه الفؤاد[13]، كم نظرة أذهبت نضارة وكم كلمة خرجت فخرقت الأكباد[14]، كم تحقر صغار

---

(١) في الأصل: «مدارسة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «في معنى».
(٣) في (م) و(ع): «فتكون».
(٤) في (م) و(ع): «كيف شاء بما شاء».
(٥) في (م) و(ع): «العالمون». والمعنى أن الله ﷻ رتب مجريات الأمور على حسب ما خلق لها من أسباب، فلكل مسبب سبب يفسره، وسبب الأسباب هو الله تعالى، ومخلوقاته تدل على ذاته العلية وعظيم قدرته التي لا تحدها حدود.
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «فالكل لعب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «بمفهومهم يتنعمون»، في (م) و(ع): «بأفهامهم يمتعون».
(٩) سورة الزخرف، آية ٨٠.
(١٠) في (م) و(ع): «معشر السالكين».
(١١) في (م) و(ع): «فالمراقب».
(١٢) قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة غافر، آية ٥١. والمعنى يوم القيامة، وواحد الأشهاد شاهد، والأشهاد أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح. ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٢٣٠.
(١٣) عبارة «رب رمية.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) عبارة «خرجت فخرقت الأكباد»، في (م) و(ع): «حرقت أكباد».

الذنوب وعليها حفظة وأشهاد، جواد معاملتك كثير العِثار يخلفك عن الأنجاد، بصيرتك[1] فيها رمد وجِدّ وجدك على[2] الجد ما جاد، كم يطلب اللحوق بالساقة من أنقطع عن طريق التوبة[3] وحاد، يا معشر المذنبين[4] كم تحضرون مأتم الأحزان وما أفاد، أعلمت[5] بأي وسيلة صار المريد مراد، كان أملهم[6] أقصر من النفس[7] وباعوا النوم بالسُّهاد، تصاعد أنفاسهم أرق من نسيم الصبا أو كاد، عيونهم جارية بالعيون وأنسوا[8] بالانفراد، روض رياضهم[9] زاهر بالمعاملة فهم بين واردات وأوراد، هممهم همومهم وسوق شوقهم قائم[10] بالاجتهاد، راقبوا مولاهم[11] في خواطر [١٢٠ب] النُّفوس ولحظات العيون، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

قال بعضهم[12]: سمعت ذا النون المصري رحمه الله تعالى يقول: بينما أنا أسير في البادية إذ رأيت أمرأة متعبدة[13]، فلما دنت مني سلمت عليَّ، فرددت عليها السلام، فقالت: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند حكيم لا يوجد مثله، فصاحت وقالت: ويحك[14] كيف فارقته وهو أنيس الغُرباء، فأوجعت قلبي بكلامها، فبكيتُ. فقالت لي: مم[15] أبكيت[16]؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا[17]، لأن البكاء راحةً للقلب[18]، وهذا نقص عند ذوي العقول يا بطال، قلت: علميني شيئاً[19] ينفعني الله به. قالت: ويحك ما[20] أفادك الحكيم ما تستغني به عن طلب الزوائد[21]؟ فقلت: إن رأيت أن تعلميني فعلت. قالت: أخدم مولاك شوقاً إلى لقائه فإنَّ له تعالى[22] يوماً يتجلى فيه لأوليائه[23]، وإنه تعالى سقاهم في الدنيا كاساً لا

---

(١) في (م) و(ع): «بصر بصيرتك». (٢) في (م) و(ع): «عن».
(٣) في (م) و(ع): «الحق».
(٤) عبارة «يا معشر المذنبين»، في (م) و(ع): «معشر التائبين».
(٥) في الأصل: «علمت»، وهي من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «أمهلهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) عبارة «من النفس»، في الأصل: «بالنفس»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) عبارة «بالعيون وأنسوا»، في (م) و(ع): «كالعيون أنسوا».
(٩) في (م) و(ع): «رياضتهم».
(١٠) في الأصل: «قائمة»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «مولاهم فهم».
(١٢) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٣٤١/٩. وابن الجوزي في الصفة، ٤٢٧/٤.
(١٣) في (م) و(ع): «بينا أنا سائر رأيت امرأة في البادية متعبدة».
(١٤) في (م) و(ع): «ويلك».
(١٥) في الأصل: «ممن»، والتصويب من (م) و(ع). (١٦) في (م) و(ع): «بكيت».
(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «القلب».
(١٩) في (م) و(ع): «مما». (٢٠) في (م) و(ع): «أما».
(٢١) في (م) و(ع): «الزيادة». (٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) عبارة «يتجلى.. إلخ»، في (م) و(ع): «يتجلى إلى أوليائه».

يظمأون[1] بعدها أبداً. ثم أقبلت تبكي وتقول: سيدي إلى متى تدعني في دار لا أجد فيها من يساعدني على بلائي، ثم مضت وتركتني رحمة الله عليها[2]». شعر[3]:

نَمَّ النَّسِيم[4] بِذِكْرِ سَاكِنَةِ الحِمَى ... أَهْلاً بِذَيَّاكَ النَّسِيم وَمَرْحَبا

أَرِجَ الطَّرِيق بِعَرْفِهِ فَعَرَفْتُه ... وَغَدا يُجَانِبُنِي السّرور بِمَا حَبَا[5]

يَا نَسْمَةَ الرِّيح القَبُول تَنَسَّمِي ... كَيْمَا أُقَبِّل مِنك ثَغْراً أَشْنَبَا

هَبْنِي أَهَبْ[6] لك مُقْلَةً فَرْط[7] الهوى ... وَجْداً[8] عليها أَنْ تَجُودَ وَأَوْجَبَا

أَتَظُن فِي تَرْكِ[9] الغَرام تَنَاسِياً ... فَأَعدْتَ لِي عَهْدَ الصَّبَابَةَ وَالصِّبا [١٢١أ]

وَحَيَاة مَن أَسَر الفُؤاد وكُلَّما ... أَبْدَى له وَصَباً يَذُوب بِه[10] صَبَا

لم أَجْرِ في مَيْدان سُلْوَان[11] الهوى ... يَوْماً جَواد تَفَكُّري إلا كَبَا

يا عَاذِلِي قد عَادَ لي[12] ما كان مِنْ ... وَجْد[13] الصَّبَابَة والكآبة قد خَبَا

دَعْنِي أُبَدِّد في مَدامع[14] صَبْوَتِي ... دَمْع العُيون مُفَضَّضاً ومُذَهَّبا

وأَشِيم[15] برق الأبرقين من الحمى[16] ... لهباً[17] وإنْ أَذْكَى الفؤاد تَلَهُّباً

وأرود قَلْباً[18] بالعقيق تَرَكْتُه ... قد عَقَّنِي وأَبى وكنتُ له أَبَا

وَأَحُول[19] حَول الحيِّ شوقاً[20] إنه ... لا رَيْبَ في وَجْدِي بِهَاتَيْكَ الرُّبَى

---

(١) عبارة «كأساً.. إلخ»، في (م) و(ع): «من محبته كأساً لا يَصْحون».

(٢) عبارة «وتركتني.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «نسيم»، وهو تصحيف.

(٥) في (م) و(ع): «جنى».

(٦) عبارة «هبني أهب»، في (م): «هي أصحب»، وفي (ع) «هي أحب»، وهو تصحيف.

(٧) في (م) و(ع): «فرض».

(٨) وجد على الأمر: أكرهه. الفيروزآبادي، القاموس، «وجد»، ص٤١٤.

(٩) عبارة «أتظن في ترك»، في (م) و(ع): «أتراك أذراك».

(١٠) في الأصل: «لما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بستان».

(١٢) عبارة «قد عاد لي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «وهج».

(١٤) عبارة «أبدد في مدامع»، في (م) و(ع): «أجدد في مذاهب».

(١٥) في الأصل: «وأشير»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «برق.. إلخ»، في (م) و(ع): «برق الأفق من نحو الحمى».

(١٧) في (م) و(ع): «وهنا».

(١٨) عبارة «وأرود قلباً»، في (ع): «وأروِ ذا قلب»، وهو تصحيف. والرَّود مصدر فعل الرائد، والرائد: الذي يُرسل في التماس النُّجعة وطلب الكلأ، وراد الكلأ يروده أي طلبه. ابن منظور، اللسان، «رود»، ٣/١٨٧.

(١٩) في (م) و(ع): «وأحوم». وحال الشخص إذا تحرك، وقد حال يحول، ويقال: إنه ليحول أي يجيء ويذهب. ابن منظور، اللسان، «حول»، ١١/١٨٩، ١٩٤.

(٢٠) في الأصل: «حيا»، وهي من (م) و(ع).

لِلَّهِ أيامًا خَلَتْ لَمَّا خَلَتْ ... ما كان أحْسَنهَا لَدَيَّ وَأطْيَبَا[1]
أيَّام غُصْن شَبِيبَتِي غَضُّ الجَنَى ... بِرِضَى الحَبِيبِ وَضِدّه أنْ يَغْضَبَا

[بحر الكامل]

إخواني وصل المجدون ورجعنا، و[2]وصل الواصلون وقطعنا، منحوا اللطائف ومنعنا، نجوا من مهالك الشهوات ووقعنا، نالوا من محبوبهم المنى وحرمنا، لازموا الباب حتى دخلوا وطردنا، بلغوا منزل الأمن[3] في الطريق وسلبنا، قربوا فتقربوا وأبعدنا فأُبْعِدْنا[4]، يا عبد السوء إلى أين تبعد[5] عنا، كم تعصي ونستر كم تطغى ونرزق أما تستحي منا، يا عبدي اذكر لطفي بك في الأمعاء[6] إذ صورتك من نطفة[7] تمنى، سخرت لك الوجود حساً ومعنى، جعلت لك قلباً وشققت لك عيناً وفتحت لك أذناً، صرفتك في الأكوان ووهبت لك[8] مني إذناً، خَوَّلتك مني[9] ظاهراً وباطناً، [١٢١ب] توَّجتك بتاج أحسن التقويم[10] والأملاك لخدمتك سخرنا، و[11]منهم من استخدمناه في[12] الدعاء لك[13] أما[14] أحسنَّا، اخترنا لك الباقي فتركته وأخذت ما يفنى، ترخي الأستار على المعاصي وهل شيء يسترك منا، كم أناديك في الأسحار والنوم يشغلك عنا، لو بكيت بعد الدموع الدم[15] كان قليلاً على[16] ما فاتك منا، ويحك إذا لم يطب عيشك بي فأي عيش لك[17] بغيري يهنا، ضيعت الصبا والشباب والاكتهال وفي الكبر مُعَنًّى، بأي وجه تلقاني وتخالف أمري وليس لك غنى عنا[18]، أنا أرحم

---

(١) عبارة «أحسنها.. إلخ»، في (م) و(ع): «أطيبها لدي وأعذبا».

(٢) الواو ساقطة من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «الأمان».

(٤) في (م) و(ع): «فبعدنا».

(٥) في (م) و(ع): «تدبر».

(٦) في (م) و(ع): «المِعَى».

(٧) في (م) و(ع): «مني».

(٨) عبارة «ووهبت لك»، في (م) و(ع): «ووهبتك». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢ ـ ١٣].

(٩) في (م) و(ع): «بعيني».

(١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

(١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «وفي»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

(١٤) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «بالدم».

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) عبارة «غنى عنا»، في الأصل: «غنى»، وفي (م): «عني غنى»، وهي من (ع).

بك منك ألا ترى أنك إذا دعوت أجبنا[١]، إذا رحت عن بابي[٢] فإلى[٣] باب من تقصد ومن يلبي دعوتك إذا نحن غضبنا، يا[٤] معشر المذنبين تعالوا نجدد توبة قبل حلول المنون ونفنى، هذا أوان الصلح فبادروا قبل أن ترحلون[٥]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

عبد الله بن ميمون رحمه الله تعالى قال[٦]: «سمعت ذا النون المصري ﷺ[٧] يقول: كنت في تيه بني إسرائيل[٨] ومعي صاحب لي، فرأيت امرأة عليها مدرعة من شعر، وخمار من[٩] صوف، وفي يدها عكاز من جريد النخل[١٠]، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: وعليك السلام، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله! فقلت: أخوك ذو النون المصري. فقالت: مرحباً، حيَّاك الله بالسلام. قلت: ما[١١] تصنعين هاهنا؟ قالت: كلما أتيت بلداً يُعصى فيه الحبيب[١٢] [١٢٢] ضاق عليَّ ذلك البلد، فأنا أطلب بقعة طاهرة أخرُّ عليها ساجدة وأناجيه[١٣] بقلب قد ذاب من شدة الشوق إلى لقائه. قلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب بأحسن[١٤] من ذكرك فأي شيء المحبة؟ فقالت[١٥]: سبحان الله وأنت الحكيم الواعظ وتسألني أدلك على المحبة[١٦]! أهل المحبة[١٧] تعبت أجسادهم على الكدِّ حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفاء جرعهم من محبته لذيذ الكؤوس». شعر:

يَا أَهْلَ نَجْد وُجُودِي بَعْدَكُم عَدَم ... عُمر يَرُوح[١٨] وَعَيْشٌ كُلُّهُ نَدَم

---

(١) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

(٢) في الأصل: «بابه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «فيا».

(٥) عبارة «أن ترحلون»، في (م) و(ع): «أن تروا ترحلون».

(٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٢٩. وعبد الله هو عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث، ويقال: عبد الله بن محمد بن ميمون، أبو الحواري التغلبي الغطفاني، والد أحمد بن أبي الحواري الزاهد، كان من الزهاد أيضاً. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ١٤/٨٥.

(٧) عبارة «المصري.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) التِّيه هو الموضع الذي ضلّ فيه موسى ج وبنو إسرائيل، أرض بين أيْلَة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٢٨٨.

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «كلما أتيت إلى بلد يعصى الله تعالى فيه»، إلا أنه في (ع) كلمة «تعالى» ساقطة.

(١٣) كلمة «وأناجيه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «أحسن».

(١٥) في (م) و(ع): «قالت».

(١٦) عبارة «أدلك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «أهل المحبة» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «يذم».

بِنْتُمْ وَخَلَّفْتُمُوني[1] بَعْدَ بُعْدِكم ... مُسْتَسْلِماً لِلأسَى وَالصَّبْرُ مُنْصَرِمٍ[2]
بِنْتُمْ فَلَا أنْتُمْ نَحْوِي فَأنْظُرُكُم ... ولا الخَيَالُ الذي يَسْرِي بِهِ الحُلُم
وَأقْسَمَتْ مُقْلَتي لا مَسَّها وَسَنٌ ... فقال دَمْعِي بجريبي قد[3] جرى القَلَمُ
لي عَبْرَتي ولِغَيْرِي صَفْوُ وَصْلِكُم ... فالهَجْرُ وَالوَصْلُ فِي حُكْمِ الهوى قَسَم
آثارُكم في ثَرَاكُم أثَّرتْ حُرَقاً ... بين الضُّلُوعِ فَجَمْرُ الوَجْدِ يَضْطَرِمِ
أطُوفُ فيها وَأسْتَحْلِي حَدِيثَكُم ... من سَفْحِها ونسيمكم[4] فأسْتَلِم[5]
مَا أنْصَفَ البَرْقُ لمَّا شِمْتُ بَارِقَه ... مِنْ أنْ تُسَابِقَنِي مِنْ سَقْيِها الدِّيَم

[بحر البسيط]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه ليكون بعباده حليماً، أحكم ما أراده من قضائه في خلقه قسم لهذا جنة ولهذا جحيماً، قضى لهذا بالطاعة وعلى[6] هذا بالمعصية وادخر له عذاباً أليماً، لا يدرى كيف جرت أحكامه في خلقه[7] أعد لهذا أبؤساً[8] ولهذا نعيماً، فرق الكل [١٢٢ب] بأحكامه تعالى[9] جعل هذا سليماً[10] وهذا سليماً، لا يعرف سر الوجود سواه ولهذا سمى نفسه حكيماً، عمت رحمته تعالى[11] الموجودات كبيراً وصغيراً رضيعاً[12] وفطيماً، عاملهم بلطفه لما علم ضعفهم وتكرم عليهم بفضله[13] تكريماً، دلهم على كرمه وعلمهم كيف يسألون[14] تعليماً، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[15].

يا هذا إن أردت أن تعرف قدرك عند الملك فأنظر بماذا تشتغل[16]، إن كنت من أهل القرب ولّاك خالص العمل، وإن كنت من أهل البعد قطعك بقاطع الأمل، كم بباب الخواص من واقف بقصّته[17] ما دخل، ما يدخل إلا مَن عني به ويُعطى ما سأل، ما يوقّع إلا لمن لازم

---

(١) عبارة «بنتم وخلفتموني»، في (م) و(ع): «نأيتم فسلوني». (٢) في (م) و(ع): «منهزم».
(٣) عبارة «بجريبي قد» في (م) و(ع): «وفي جريي». (٤) في (م) و(ع): «ويُسَمّيكم».
(٥) استلم من السلام لا يدل على معنى الاتخاذ، واستلام الحجر افتعال من السلام وهو التحية. ابن منظور، اللسان، «سلم»، ١٢/٢٩٧، ٢٩٨.
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «جرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «جرت أفعاله».
(٨) في (م) و(ع): «بؤساً». والأبؤس جمع بؤس. ابن منظور، اللسان، «بأس»، ٦/٢٣.
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «سالماً». والسليم من الأضداد؛ فهي قد تكون بمعنى السالم، وقد تكون بمعنى اللديغ والجريح.
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «ورضيعاً».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «يسألونه».
(١٥) سورة النساء، آية ١١٠.
(١٦) عبارة «بماذا تشتغل»، في (م) و(ع): «بم تشغل». (١٧) في (م) و(ع): «بقصة».

الباب ويحرم أهل الكسل، ما كل قلب يصلح للقرب ولا كل صدر للمحبة يحمل، ما كل نسيم من نجد ولا كل آمل[(١)] يبلغ ما أمّل، ما كل معروف معروف[(٢)] فافهم المعنى وتأمّل، ما كل جندي جنيد[(٣)] ولا[(٤)] كل ساري سري[(٥)] جِدّ فما على الكسل معوَّل، ما نالوا الراحة إلّا لمَّا كان سيرهم على العجل[(٦)]، مُلئت[(٧)] قلوبهم بالمحبة فتفجرت مدامعهم كأنها جدول، جمعوا شتات[(٨)] قلوبهم بالعزلة ليتم لهم العمل، غمضوا بازي[(٩)] الهوى عن الطيران مخافة أن يُحصل[(١٠)]، أطلقوه في فضاء القضاء فاقتنص المعارف وحصَّل، يا[(١١)] مُضيّعاً عمره في البطالة[(١٢)] حتى ولَّى ورحل، بادِر بقية ما يبقى[(١٣)] [١٢٣أ] فأنت تعامل ربا كريماً، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

محمد بن داود الدينوري رحمه الله تعالى قال[(١٤)]: «حدثني أبو الحسن اللؤلؤي[(١٥)]، وكان خيِّراً[(١٦)] فاضلاً، قال: ركبت[(١٧)] في البحر فانكسر المركب وغرق كلّ من فيه، وكان في وِطائي شيء فيه[(١٨)] لؤلؤ قيمته أربعة آلاف دينار، وقربت أيام الحج وخفت[(١٩)] الفوات، فلما سلَّم الله ﷻ[(٢٠)] روحي ونجَّاني مشيت، فقال لي[(٢١)] جماعة كانوا معي[(٢٢)] في المركب: لو

---

(١) في الأصل: «العامل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) هو معروف الكرخي الزاهد.

(٣) هو أبو القاسم الجنيد العابد.

(٤) في (م) و(ع): «ما».

(٥) هو السَّري بن المُغَلِّس السَّقَطي، أبو الحسن البغدادي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، وإمام البغداديين في الإشارات، توفي سنة ٢٥٣هـ ـ ٨٦٧م. وقيل سنة ٢٥١هـ ـ ٨٦٥م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ١٠/ ١١٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/ ١٨٥.

(٦) في (م) و(ع): «عجل».

(٧) في (م) و(ع): «علقت».

(٨) في (م) و(ع): «أشتات».

(٩) البازيّ ضرب من الصقور. ابن منظور، اللسان، «بزى»، ١٤/ ٧٢.

(١٠) الحَصَل من الطعام: ما يُخرج منه فَيُرمى به من دَنْقة وزؤان ونحوهما. وفي الطعام حَصَلةُ وحُثَالته بمعنى واحد. وحَصِلت الدابة حَصَلاً أكلت التراب فبقي في جوفها ثابتاً. ابن منظور، اللسان، «حصل»، ١١/ ١٥٤.

(١١) في (م) و(ع): «فيا».

(١٢) في (م) و(ع): «الغفلة».

(١٣) في (م) و(ع): «بقي».

(١٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٤٠٢.

(١٥) هو سُرَيْج بن النعمان بن مروان، أبو الحسين، ويقال أبو الحسن البغدادي الجوهري اللؤلؤي، خراساني الأصل، بغدادي الدار، سمع حماد بن سلمة، وصالحاً المري، وسفيان بن عيينة، وجماعة. روى عنه البخاري، وأحمد بن حنبل، وخلق، توفي سنة ٢١٧هـ ـ ٨٣٢م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩/ ٢١٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢١١هـ ـ ٢٢٠هـ، ص١٦١. ابن حجر، التهذيب، ٣/ ٤٥٧.

(١٦) في الأصل: «خياراً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «كنت».

(١٨) عبارة «شيء فيه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (ع): «وحق».

(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) عبارة «فقال لي»، في الأصل: «فقالوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

وقفت[1] عسى[2] أن يخرج إلينا من رحلك[3] شيء، قلت[4]: قد علم الله ﷻ بأمري[5]، وكان في وطائي شيء قيمته أربعة آلاف دينار، وما كنت أؤثره على وقفة بعرفة، قالوا: وما الذي أورثك هذه المنزلة؟ قلت[6]: أنا رجل مولع بالحج أطلب الربح والثواب، حججت في بعض السنين وعطشت عطشاً شديداً، فأجلست عديلي[7] في وسط المِحْمَل[8]، ونزلت أطلب الماء والناس معطشون[9]، فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً و[10]مَجْمَعاً مَجْمَعاً: أعندكم ماء[11]؟ حتى صرت في ساقة[12] القافلة بميل أو ميلين، فمررت بموضع[13] مصهرج، وإذا فقير جالس والماء ينبع من موضع عصاه[14] وهو يشرب، فنزلت إليه وشربت حتى رويت، وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها[15] ورجعت، فلما رآني الناس [١٢٣ب] والقِربة على كتفي مملوءة فكأنه نودي فيهم أن الماء وراءكم، فتبادروا إليه بالقِرَب، فلما روي الناس عن آخرهم و[16] سارت القافلة، جئت لأنظر الماء[17] فإذا البركة ملأى تلطم[18] بأمواجها والناس يرمون الدِّلاء ويرتجزون عليه[19]، فقلت: موسم[20] يحضره مثل هؤلاء[21] يقولون اللهم اغفر لمن حضر الموسم[22] ولجماعة المسلمين أؤثر عليه أربعة آلاف

---

(١) في (م) و(ع): «توقفت».

(٢) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) عبارة «إلينا من رحلك»، في (م) و(ع): «لك من رحالك».

(٤) في (م) و(ع): «فقلت».

(٥) عبارة «عز وجل... إلخ»، في (م) و(ع): «بحالي».

(٦) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «فأجلست عديلي»، في الأصل: «فلما جلست عدلي»، والتصويب من (م) و(ع). والعديل الذي يعادلك في المحمل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/٤٣٣.

(٨) المحمل: الذي يركب عليه، والمحمل شقَّان على البعير يُحمل فيهما العديلان. ابن منظور، اللسان، «حمل»، ١١/١٧٨.

(٩) في (م) و(ع): «معطشون أيضاً».

(١٠) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) عبارة «أعندكم ماء»، في (م) و(ع): «أمعكم ماء والناس على حال واحد».

(١٢) في (ع): «مسافة».

(١٣) في (م) و(ع): «بمصنع».

(١٤) في (م) و(ع): «العصا».

(١٥) عبارة «ومضيت فملأتها»، في (م) و(ع): «فملأتها ماء».

(١٦) الواو ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، والصواب ما أثبتناه.

(١٧) عبارة «جئت لأنظر الماء»، في (م) و(ع): «حيث لا ماء يظهر».

(١٨) في (م) و(ع): «تلتطم».

(١٩) عبارة «الدلاء.. إلخ»، في الأصل: «الدلاوين تجوز»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) عبارة «فقلت موسم»، في (م) و(ع): «فموسم».

(٢١) في (م) و(ع): «هؤلاء القوم».

(٢٢) في (م) و(ع): «الموقف».

دينار! لا والله ولا الدنيا[1] بما فيها[2] بأسرها، وترك اللؤلؤ وجميع قماشه، قال الشيخ رحمه الله تعالى[3]: بلغني أن فيما كان معروفاً[4] له خمسون ألف دينار». شعر[5]:

خُذِي نفسي يا ريحُ من جانب الحِمَى ... فلاقي بها ليلى تشم[6] رُبَى نجد

فإنَّ بذاكَ الحيِّ حيّاً عرفْتُه[7] ... وبالرَّغم منِّي أنْ يَطول به[8] عَهْدي

فلولا تداوي القلب من ألَم الهوى ... بذِكْرِ تلاقينا قَضَيْت من الوَجد

ويا صاحبيَّ اليوم عُوجا[9] لتسألا ... ربوعاً شكَتْ ما قد شكوت من البعد[10]

عن[11] الحيِّ بالجَرْعَاء جرعاء[12] مالكٍ ... هل أرتبعوا[13] أو سال[14] واديهم بعدي

كأنَّ بعيني بعدهم غائِرَ القَذَى[15] ... إذا أنا[16] لم أبلغ إلى العَلم[17] الفَرْد

شممتُ بنجد نفحةً حاجريَّة ... فأمطرتُها دمعي[18] وأفرشتُها خدِّي

ذكرتُ بها عهد[19] الحبيب على النَّوى ... وهيهات ذا يا[20] بُعْد بَيْنهما عندي

وإنِّي لمَجْلوبٌ إلى الشَّوْق كلَّما ... تألَّم شاكٍ أو تنفَّس ذو وَجْد

[بحر الطويل]

يا هذا إذا أستحكم عقد الصدق أنحل عقد[21] الكسل، يا أخي [١٢٤] عَرف المحبة[22]

---

(١) في (ع): «بالدنيا».
(٢) عبارة «بما فيها»، ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «رحمه الله تعالى»، ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «بلغني.. إلخ»، في (م) و(ع): «فبلغني أن ما فيه ما كان عرف».
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي، انظر: الديوان، ٣٨٩/١.
(٦) في الأصل: «تشم بها»، وهو تصحيف، وفي (ع): «يشم»، وهي من (م).
(٧) في (م) و(ع): «عهدته».
(٨) في الأصل: «بها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في الأصل: «عرجا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «شكوت من البعد»، في (م) و(ع): «شكيت من الوجد».
(١١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وجرعاء مالك: موضع فيه سهولة ورَمْل لا تنبت، وهذه الجرعاء بالدهناء، قرب حُزْوَى. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣٢٦/١.
(١٣) ارتبع بمكان كذا: أقام به في الربيع. الفيروزآبادي، القاموس، «ربع»، ص٩٣٠.
(١٤) عبارة «أو سال»، في (م) و(ع): «أم كيف».
(١٥) عبارة «غائر القذى»، في الأصل: «غامر الفضا»، وفي (م) و(ع): «غابر الفضا»، والتصويب من الديوان. والقذى: ما يقع في العين وماترمي به. ابن منظور، اللسان، «قذى»، ١٧٢/١٥.
(١٦) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «العالم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في الأصل: «دمي»، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «ريا».
(٢٠) في الأصل و(م) و(ع): «وهيهات هل ما»، والتصويب من الديوان.
(٢١) في الأصل: «عزم»، وهي من (م) و(ع).
(٢٢) عبارة «عرف المحبة»، في (م) و(ع): «عرب المحب».

يعرب عما جنى عليه جنانه[1] وما يحمل[2]، ما أصبر المحب على نار الشوق كأنه سَمَنْدَل[3]، لولا تدارك حريق الشوق بسواقي الدموع تلف قبل بلوغ الأجل[4]، كم عقدت الدنيا لمحبِّها من عقد فعند أمنه انحل، ما أصبح أحد منها على رَفْع أمل إلا وأصبح في خَفْض أجل، أصدق مواعيدها[5] مواعيد عرقوب في ضرب المثل[6]، كم حريص عليها حرصه الأجل فأسْلب منه[7] ما حصَّل، ألقاه في تيه مظلم خَرِب في بطنه حصل[8]، يا من عوقته العوائق كم تعامل متقاضي[9] التوبة بالمطل، لو شممت ثرى نجد الوجد هان عليك العمل، تضيق من سجن[10] وهو أوسع من قبرك إذا قضي[11] الأجل، ويحك لمن تجمع ويحك[12] لمن تتعب وأنت عنه ترحل، إذا ولى الشباب في الغفلة والمشيب في البطالة متى تبلغ الأمل، فبادروا إخواني التوبة قبل غلق الدستور وفراغ العمل، فالكريم يعطي لا يزال كريماً، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

محمد بن عيسى القرشي رحمه الله تعالى قال[13]: «حدثنا[14] إبراهيم بن المهلب قال: رأيت بين الثَّعلبية والخُزيمية[15] غلاماً قائماً يصلي عند بعض الأميال قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى فرغ من صلاته. ثم قلت: أما[16] معك مؤنس؟ قال: بلى، قلت: وأين هو؟

---

(١) عبارة «عما جنى.. إلخ»، في الأصل: «مما جنى عليه جنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م): «تحمَّل».

(٣) السَّمَنْدَل: طائر بالهند لا يحترق بالنار. الفيروزآبادي، القاموس، «سمندل»، ص١٣١٤.

(٤) في (م) و(ع): «الأمل».

(٥) في الأصل: «مواعيد»، وهي من (م) و(ع).

(٦) في الأصل و(ع): «الأجل»، وهي من (م). وأصل هذا المثل أن رجلاً من العماليق أتاه أخ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال: دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال: دَعْها حتى تصير زهواً، فلما زهت قال: دعها حتى تصير رطباً، فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدَّها ولم يعط أخاه شيئاً، فصار مثلاً في الخُلْف. الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٣١١.

(٧) عبارة «حرصه.. إلخ»، في (م) و(ع): «حرصه الموت فاستلب». والحَرْص: الشق، وحَرَص الثوب يحرصه حَرْصاً: خرقه. ابن منظور، اللسان، «حرص»، ٧/ ١١.

(٨) عبارة «ألقاه في تيه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «تقاضي».

(١٠) في (م) و(ع): «سجن القبر».

(١١) عبارة «من قبرك.. إلخ»، في (م) و(ع): «من قفر إذا قصر».

(١٢) في (ع): «ويلك».

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٤٠٣.

(١٤) في (م) و(ع): «حدثني».

(١٥) في الأصل: «البعلية والجرمية»، وفي (م) و(ع): «البعلية والجربية»، والتصويب من الصفة. والثَّعلبية: منسوب، من منازل مكة، قد كانت قرية فخربت، وهي مشهورة. والخُزَيمية: منسوب مصغر، منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/ ٢٩٦، ٤٦٦.

(١٦) عبارة «قلت أما»، في (م) و(ع): «قلت له: ما».

قال: أمامي ومعي وخلفي[١] [١٢٤ب] وعن يميني وعن شمالي وفوقي. فعلمت أن عنده علماً ومعرفة، فقلت له[٢]: أما معك زاد؟ قال: بلى، قلت: وأين هو؟ قال: الإخلاص لله ﷻ[٣]، والتوحيد، والإقرار بنبيه محمد ﷺ، وإيمان صادق، وتوكل واثق. فقلت له[٤]: هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق يشغلني عن الله ﷻ[٥]، ولا أحب أن أرافق أحداً فأشتغل به عنه طرفة عين فيقطعني عن بعض ما أنا عليه. فقلت[٦]: أما تستوحش وحدك في هذه البرية؟ فقال: الأنس[٧] بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها ولا آستوحشت منها، فقلت: من[٨] أين تأكل؟ قال: الذي غذاني في ظلمة الأحشاء والأرحام[٩] صغيراً قد[١٠] تكفل برزقي كبيراً، قلت: ففي أي وقت[١١] تجيئك الأسباب، قال لي: وقت مفهوم وأجل معلوم، و[١٢]إذا آحتجت إلى الطعام وجدته في أي موضع كنت، وقد علم ما يصلحني وهو غير غافل عني، قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: إن رأيتني فلا تكلمني، ولا تعلم أحداً أنك تعرفني. قلت[١٣]: لك ذلك فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم، قلت: وما هي؟ قال: إن آستطعت أن لا تنساني من[١٤] دعائك عند[١٥] الشدائد إذا نزلت بك فآفعل. قلت: كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني [١٢٥أ] خوفاً وتوكلاً؟ فقال[١٦]: لا تقل هذا، إنك قد صليت لله ﷻ[١٧] وصمت قبلي، ولك حق الإسلام ومعرفة الإيمان، قلت: وأنا لي أيضاً[١٨] حاجة، قال: وما هي؟ قلت: آدع لي. قال[١٩]: حجب الله ﷻ[٢٠] طرفك عن كل معصية، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه حتى لا يكون لك هم إلا هو، قلت: يا حبيبي متى ألقاك وأين أطلبك؟ فقال[٢١]: أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي[٢٢]، وأما في الآخرة فهي[٢٣] مجمع المتقين، وإياك أن تخالف الله ﷻ[٢٤]

---

(١) في (ع): «وخلفي ومعي».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «فقلت له»، في (م) و(ع): «قلت».
(٥) عبارة «يشغلني.. إلخ» في (م) و(ع): «يشغل عن الله».
(٦) في (م) و(ع): «قلت».
(٧) في (م) و(ع): «إن الأنس».
(٨) عبارة «فقلت من»، في (م) و(ع): «قلت فمن».
(٩) كلمة «والأرحام» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) الواو ساقطة من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٤) في (م) و(ع): «في».
(١٥) في (م) و(ع): «وعند».
(١٦) في (م) و(ع): «قال».
(١٧) في (م) و(ع): «تعالى».
(١٨) عبارة «لي أيضاً»، في (م): «لي»، وفي (ع): «أيضاً لي».
(١٩) عبارة «آدع.. إلخ»، في (م) و(ع): «ادع وقل».
(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «قال».
(٢٢) في (م) و(ع): «بلقائي فيها».
(٢٣) عبارة «وأما في الآخرة فهي»، في (م) و(ع): «وأما الآخرة فإنها».
(٢٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

فيما أمرك به[1] وندبك إليه، إن كنت تبغي لقائي فأطلبني مع الناظرين إلى الله ﷻ[2] في زمرتهم. قلت: وكيف علمت ذلك[3]؟ قال: بغض بصري[4] عن[5] كل محرم، وأجتنابي فيه[6] كل منكر ومأثم، وقد سألته تعالى[7] أن يجعل حظي النظر إليه، ثم صاح وجعل[8] يسعى حتى غاب عن بصري رحمه الله تعالى ونفع به[9]. شعر[10]:

هذه من بعدهم[11] آثارُهم ... فأسأل الأطلال عنهم والأثل[12]

ما وقوفي في محلٍّ ساكن ... في فؤادي أهله لا في المحل

واصَل السّقم الحشى[13] مُذْ[14] هجروا ... آه من قطع ضنًى[15] يدعى بوَصْل

أصُدودٌ في التَّداني والنَّوى ... يا وُلاة الحُكْم ما ذا حُكْم عَدل

يتمنَّى طيفكم صبٌّ بكم ... مُسْتَهام والمُنَى جَهْد المُقِل

والتَّمني منع[16] الطَّيْف الكَرَى ... مَن لعيني أن ترى النَّوْم ومَن لي

بِعتُ نومي[17] طائعاً لا كارهاً ... في رضاكم[18] فأشتروا عِزّي بذلي [١٢٥ب]

عجباً لي ولقلبٍ[19] ضائع ... بان عني بين باناتٍ وأثْل

حرَّم الله على البان الصّبا ... وحباه الغيث من طلٍّ ووَبْل

يا مُبيح القتل في دين الهوى ... أنت من قتلي[20] في أوسع حِلٍّ

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «طرفي».

(٥) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «به»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «وأقبل».

(٩) عبارة «رحمه الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «فما رأيته».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات ورد بعضها في الخطبة الثانية من الفصل الثالث.

(١١) في الأصل: «بعده»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فأسأل الأطلال.. إلخ»، في (م) و(ع): «ووقوفي ببلى الأطلال يبلى». والأثل شجر طوال في السماء مستطيل الخشب، وخشبه جيد يحمل من القرى فتبنى عليه بيوت المدر، وورقه هَدَب طوال دقاق وليس له شوك. ابن منظور، اللسان، «أثل»، ١١/ ١٠.

(١٣) في (م) و(ع): «الأسى».

(١٤) في الأصل: «منذ»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «صب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «إزار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «حلمي».

(١٨) عبارة «في رضاكم»، في (م) و(ع): «برضاكم».

(١٩) كلمة «ولقلب»، في الأصل: «ولي قلب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) في الأصل: «قتلتي»، والتصويب من (م) و(ع).

ما على السائق لو حَلَّ النَّقَى ... وأراح العِيس من شدّ وحل

فعسى يُدني المُنَى مني مِنىً ... ولعلي أن أرى الطَّيف لعلي

وليالٍ في المُصَلى[1] لم أزل ... في الهوى السابق فيها والمصلي

[بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي أباح للعارفين[2] معرفته وحماهم من التغيير، غرس في قلوبهم غرس المحبة ولاطفهم[3] بألطف تدبير[4]، فدلت عليه ببقائه ودلت عليهم[5] بفنائهم بمعان لا تدرك بالتعبير، نسيم معارفهم عطر[6] من دارين ومن عرف الأزاهير، كم يمر عليهم من مسك نسك وعنبر عبير، كم وَدْق[7] عبرات خرجت من خلال محاجرهم في الدجى والهجير، أحيت[8] نبات المعاملات فهو لكل نزهة[9] لكل نظر نظير[10]، كم حوت رياض رياضهم[11] من أنين[12] أسف وياسمين أنس وأنوار نيلوفر[13] وريحان ارتياح ومنثور دموع وورْد وِرْد ومن الأنين[14] دواليب ونواعير، أطيار أذكار بتغريد ألحان في دوحات السحر تطير، وشراب الوجد يدب في أبدان المشتاقين فواجدهم معنًى بها أسير، ومدام إلهام لم يدنس[15] بعصر المعاصير، وأعطاف أعطافهم [١٢٦أ] للحبيب تميس[16] طرباً بنسائم الأشواق وتشير، كلما غنى لهم معبد[17] الوجد[18] بأوتار وطنابير[19]، خلعوا عذار الأعذار وهاموا من طيب الشراب وجمال المدير، رقصوا بأكمام القناعة في إيوان الزهد ومنثور الرضا عليهم نثير[20]، هذه آثار المعاملة

---

(١) في (م) و(ع): «الهوى».

(٢) في (م) و(ع): «العارفين».

(٣) في (م) و(ع): «لاطفها».

(٤) في (م) و(ع): «التدبير».

(٥) عبارة «ببقائه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «أعطر».

(٧) الوَدْق: المطر، وَدَق: قطر. الفيروزآبادي، القاموس، «ودق»، ص١١٩٧.

(٨) في الأصل: «أجيبت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «فهو لكل نزهة»، في (م) و(ع): «قهوة بره».

(١٠) في (ع): «نضير».

(١١) في (م) و(ع): «رياضتهم».

(١٢) في (م) و(ع): «آس». والآس: شجر. الفيروزآبادي، القاموس، «أوس»، ص٦٨٤.

(١٣) النَّيْلَوْفَر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة. الفيروزآبادي، القاموس، «نيلوفر»، ص٦٢٥.

(١٤) في (م) و(ع): «الأنيق».

(١٥) في (ع): «يدلس».

(١٦) المَيْس: التبختر، ماس يميس فهو مائس. الفيروزآبادي، القاموس، «ميس»، ص٧٤٣.

(١٧) هو معبد بن وهب، أبو عباد المدني، مولى لبني مخزوم، كان يضرب به المثل في جودة الغناء، وكان أديباً فصيحاً، توفي سنة ١٢٦هـ ـ ٧٤٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص٢٦٩. الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٦٤.

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) الطُّنبور الذي يُلعب به، معرّب وقد استعمل في لفظ العربية. ابن منظور، اللسان، «طنبر»، ٤/ ٥٠٤.

(٢٠) في (م) و(ع): «يثير».

تظهر كامن الكرامة وتشير[1]، فأفهم ضرب المثال وكن لفهم المعاني خبير، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ولا أحد عليه يجير، أحمده حمد من تردَّى برداء العجز وأتَّزر بإزار التقصير، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لمساءلة منكر ونكير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء لمن يسير.

يا أخي لا تستبعد طريق الصالحين[3] فما أقربها من آثار، لله درهم صبروا على قطع مسافة الأعمار، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من هو في الانتظار، إذا كان المُعين يعين فما أسرع الوصول إلى الدار، رُبَّ مطلب خاب منه[4] الطَّالب فلم يقض منه أوطار، وناله[5] من رافق[6] رفيق الذل والانكسار، تعرَّض ويحك لمن أعطاهم وقدِّم أمامك الافتقار، سل بلسان الفقر من أغناهم ما أسرع جابر فضله [١٢٦ب] بالانجبار، بالله ما قعودك عن الركب وتخلفك في القفار[7]، كم تمشي في ليل الغفلة وتترك ضوء النهار، ما أرى ركائب العزائم إلا وقفت ليس لسيرها[8] آثار، أترى نام الحادي أم ضعفت عن مرافقة ركب الأسحار، تيامن بها إلى وادي الدجى ففيه من النقاوة[9] أزهار، وعج بها على منحنى حنينهم في الأذكار، وإذا شممت[10] صَبا نجد الوجد تحرك الوجد وزاد الخُمار، زدني من حديثك يا سعد فقد التهب في قلبي[11] النار، ويلي على خراب قلبي ما وجدت له معمار، ضيعت الشباب في الغفلة والكبر في الاعتذار[12]، سكبت ماء العمر على سِبَاخ[13] البطالة هيهات أن يجنى منها[14] ثمار، متى تردّه إلى زرع المعاملة فعسى أن[15] يعود عود المعاملة فيه اخضرار، ويحيي به رياض المعاملة فيعبق بالقبُول والأزاهير[16]، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) في (م) و(ع): «وتنير».

(٢) سورة الروم، آية ٥٠.

(٣) في (م) و(ع): «الآخرة».

(٤) في الأصل: «عنه»، وهي من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «وياله».

(٦) في الأصل: «موافق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «الأقفار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «تسير بها».

(٩) في (م) و(ع): «التلاوة».

(١٠) في (م) و(ع): «شمت».

(١١) عبارة «التهب في قَلبي»، في (م) و(ع): «ألهبت في كبدي».

(١٢) في (م) و(ع): «الأعذار».

(١٣) عبارة «على سباخ»، في (م) و(ع): «في ديار».

(١٤) عبارة «أن يجنى منها»، في (م) و(ع): «أجني منها».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «ويحيي به.. إلخ»، في (م) و(ع): «يحيَى رياض فيعبق من العقول بالأزاهير».

الوليد بن مسلم[(١)] رحمه الله تعالى عن ابن جابر[(٢)] أن أبا عبد ربه[(٣)] كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان[(٤)] في تجارة[(٥)]، فأمسى إلى جانب مرعى ونهر فنزل به. قال أبو عبد ربه: فسمعت صوتاً يُكثر حمد الله تعالى[(٦)] في سياحته[(٧)]، فأتبعته فرأيت رجلاً في حفير من[(٨)] الأرض ملفوفاً في حصير، فسلمت عليه وقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين. [١٢٧أ] قلت: وما حالك هذا[(٩)]؟ قال: حال نعمة يجب علي حمد الله فيها. قال: قلت: وكيف وأنت[(١٠)] ملفوف في حصير؟ قال: ومالي لا أحمد الله إذ خلقني فأحسن خلقي، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني وستر علي ما أكره نشره، فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه! فقلت: رحمك الله إن[(١١)] رأيت أن تقوم معي إلى المنزل[(١٢)] فأنا نُزُول على النهر هاهنا. قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير. قال: فأبى، قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن[(١٣)] لي في أكل العشب كفاية. قال أبو عبد ربه: فأردت أن يتبعني فأبى وقال: ما لي به حاجة[(١٤)]، فانصرفت وقد تقاصرت[(١٥)] إلي نفسي. فذكر أنه رجع من تجارته[(١٦)] وتصدق

---

(١) في (م) و(ع): «سعيد بن مسلم»، وهو تصحيف. والوليد هو أبو العباس الدمشقي، الإمام الحافظ عالم أهل الشام، مولى بني أمية، كان من أوعية العلم، ثقة حافظاً، توفي سنة ١٩٥هـ ـ ٨١٠م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/٢١١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/٣٤٤.

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «أبو جابر»، والتصويب من تاريخ الإسلام للذهبي. وابن جابر هو عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، أبو عتبة الأزدي الداراني الدمشقي الحافظ، ثقة، مات سنة ١٥٤هـ ـ ٧٧٠م، وقيل سنة ثلاث وقيل سنة ست. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ، ص٥٠٠. ابن حجر، التقريب، ١/٥٠٢.

(٣) في الأصل: «عبد ربه»، والتصويب من (م) و(ع). وهو أبو عبد رب الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال أبو عبد رب العزة، كان رومياً اسمه قسطنطين فلما أسلم سمي عبد الرحمٰن، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من أيسر أهل دمشق فخرج من ماله كله، مات سنة ١١٢هـ ـ ٧٣٠م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٠١ ـ ١٢٠هـ، ص٥١٤. ابن حجر، التهذيب، ١٢/١٥٢.

(٤) أذْرَبيجان هو صقع حدّه من بَرْذَعة مُشرّقاً إلى زَنْجان مغرّباً، ويتصل حدّه من جهة الشمال ببلاد الدَّيْلم والجبل والطَّرْم. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٤٧.

(٥) في (م) و(ع): «غارة».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) السياحة الذهاب في الأرض للعبادة. الفيروزآبادي، القاموس، «سيح»، ص٢٨٨.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «وما حالك هذا»، في (م) و(ع): «ما حالك هذه».

(١٠) في (م) و(ع): «وإنما أنت».

(١١) في (ع): «إني».

(١٢) في (م) و(ع): «منزلي».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «من حاجة».

(١٥) في (م) و(ع): «تصاغرت».

(١٦) في (م) و(ع): «غارته».

بماله[1]. شعر[2]:

رضيتُ بذلّي فيك يا غاية المُنَى ... إذا كان ذاك الذل يُرضيك فِعْله
ويعذلني فيك المضلّ[3] بعِلمه ... وأعذره لمّا تبيَّن جهله
وبي منك سرٌّ لَسْتُ أفْهم بعضه ... فاشرح حتى يُفهم الحال كلّهُ
إذا كان مَن يهوى عزيزاً مُكَرَّماً ... وفي يده[4] عَقْد القضاء[5] وحَلّه
فإن وقعَت منك العناية لامرئ ... يقيناً علمنا أنه تمَّ شغله
وإن كان لا يُعْنَى[6] به في طريقه[7] ... فذاك الذي قد حان[8] وأنبَتَّ حبله
وكيف[9] أحتيالي فيك[10] أم كيف حيلتي ... وأنت الذي تَهدي الفتى وتُضِلّه
فلا ترمني بالهجر عَمْدا لأنني[11] ... رضيّ بطلّ الوصل إن عزَّ وَبْله[12] [١٢٧ب]

[بحر الطويل]

يا أخي ما أطيب أيام الوصال وأمرّ الهجران، ما أعذب ساعة[13] العذيب لولا رحيل الأظعان، ما ألطف نسيم نجد لأنه بريّا الحبيب ريّان، شفيع المشتاقين قطرات دموع الأجفان، قطرات المدامع في رياض الخدود تنبت[14] أشجار الأشجان، طيب المعاملة ما أخلص[15] من معاينة[16] العيان، ما طاب عيش القوم إلا لما هجرُوا الأوطان، قلبهم في قليب الزهد وأقطعهم الأكوان، أسكن في[17] قلوبهم سكينة السكون إليه[18] فهم في أمان، سقاهم رحيق التحقيق فعبق نشر مدحهم في الأكوان، غابوا عن النفوس وهاموا في فلوات الخلوات فكم لشجونهم من أشجان، لهم تواجد عند سماع رب أشعث أغبر[19] سره غائب عن العيان، هذه

---

(١) القصة ذكرها ابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين، ص٢١٦.
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) في الأصل و(م) و(ع): «المدل»، وهي من (ب).
(٤) في الأصل: «يديه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م): «الفصاح»، وفي (ع): «الفصاحة»، وهو تصحيف.
(٦) في (م) و(ع): «يعبأ».
(٧) في الأصل: «طرقه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «حار».
(٩) في (م) و(ع): «فكيف».
(١٠) في الأصل: «منك»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) عبارة «بالهجر عمداً لأنني»، في (م) و(ع): «بالبعد عذاً فإنني».
(١٢) في الأصل: «وابله»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «ساعات».
(١٤) في الأصل: «نبتت»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «خلص».
(١٦) في (م) و(ع): «معاملة».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) قوله: «رب أشعث أغبر» هو بعض حديث أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: =

أحاديث القوم لا أحاديث أهل العصيان، يا من باع الباقي بالفاني أما ظهر[١] لك الخسران[٢]، بصرك أعمى وعزمك مقعد وفهمك أطرش وخاتمة الشقاء الحرمان، إذا لم تتيقظ بالراحلين فعن قريب تلحق خبر كان، هذه قبورهم وهذه قصورهم وكأن ما كان، ما أفصح خطاب القبور لمن يسمع[٣] بالقلب إلا بالآذان، هذه عساكر[٤] الموتى ينتظرونك يا مضيعاً طيب الزمان، ما ينفعك بعد الموت ٱعتذار ولو أجريت المدامع طوفان، إذا لم يُلَيِّنك وعظي فأنت خشبة لا تلين إلا بالنيران، فبادروا[٥] بالتوبة فهي حياة القلوب وغيمها مطير، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ [١٢٨أ] يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حكيم بن جعفر السعدي[٦] رحمه الله تعالى قال[٧]: حدثني أبو يوسف عبد الله بن أبي نوح وكان من المتعبدين[٨] قال: صحبت شيخاً في بعض طريق مكة، فأعجبتني هيأته، فقلت: إني أحب أن أصحبك. فقال[٩]: أنت وما أحببت، فكان يمشي بالنهار[١٠] فإذا أمسى أقام[١١] في منزل كان أو غيره، قال: فيقوم في الليل[١٢] يصلي، وكان[١٣] يصوم في ذلك الحر فإذا أمسى عمد إلى جراب معه وأخرج منه شيئاً فألقاه[١٤] في فيه مرتين أو ثلاثاً، وكان يدعوني ويقول: هلم فأصِب من هذا. فأقول في نفسي: والله ما هذا مجزئك أنت فكيف أشركك فيه، فلم يزل على ذلك، ودخلت له في قلبي هيبة عندما رأيت من ٱجتهاده وصبره. قال: بينما[١٥] نحن في بعض المنازل إذ نظر إلى رجل يسوق حماراً، فقال لي: ٱنطلق فٱشتر ذلك الحمار. فٱنطلقت وأنا أقول: والله ما معي ثمنه، ولا أعلم أن معه ثمنه فكيف[١٦] أشتريه. فأتيت صاحب الحمار فساومته فأبى أن ينقص من ثلاثين ديناراً. قال: فجئت إليه فقلت له: إنه[١٧] أبى أن ينقص من

= «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره». قال الحاكم صحيح، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب الرقاق، ٤/ ٨٢.

(١) عبارة «أما ظهر»، في (ع): «ما أظهر». (٢) في (م) و(ع) زيادة: «هذه الخسارة عيان».

(٣) في (م) و(ع): «سمع».

(٤) عبارة «هذه عساكر»، في (م) و(ع): «عسكر». (٥) في (م) و(ع): «فبادر».

(٦) في الأصل و(م) و(ع): «جعفر السعدي»، والتصويب من الجرح والتعديل، ٣/ ٢٠٢. وحكيم بن جعفر روى عن صالح المري. الرازي، الجرح والتعديل، ٣/ ٢٠٢.

(٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٩٧.

(٨) في (م) و(ع): «العابدين». (٩) في (م) و(ع): «قال».

(١٠) عبارة «فكان يمشي.. إلخ»، في (م) و(ع): «قال فكان يمشي في النهار».

(١١) في الأصل: «قام»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «فيقوم الليل كله».

(١٣) في الأصل و(م) و(ع): «فكان»، والصواب ما أثبتناه.

(١٤) في (م) و(ع): «وألقاه». (١٥) في (م) و(ع): «فبينا».

(١٦) في الأصل: «وكيف»، وهي من (م) و(ع).

(١٧) عبارة «فقلت له إنه»، في (م) و(ع): «وقلت: قد».

ثلاثين ديناراً. قال: خذه وٱستخر الله ﷻ[1]. قال[2]: قلت الثمن؟ قال: قل بسم الله ثم ٱجعل يدك في الجراب تجد[3] الثمن فأعطه، [١٢٨ب] قال: فأخذت الجراب ثم قلت: بسم الله، فأدخلت[4] يدي في الجراب فإذا بصرّة[5] فيها ثلاثون ديناراً لا تزيد ولا تنقص. قال: فدفعتها إلى الرجل وأخذت الحمار وجئت به، فقال لي: ٱركب. فقلت: أنت أضعف مني فٱركب أنت. قال: فما زاد في الكلام، فركب[6] وكنت أمشي مع حماره، فحيث أدركه الليل فهو قائم راكع[7] حتى أتينا عسقلان[8]، فلقيه شيخ فسلم عليه ثم جلسا فجعلا يبكيان، فلما أرادا أن يفترقا قال صاحبي للشيخ[9]: أوصني. قال: نعم[10]، الزم التقوى قلبك، وٱنصب ذكر الآخرة[11] أمامك. قال: زدني. قال: ٱستقبل الآخرة بالحسنى من عملك، وباشر عوارض الدنيا بالزهد من قلبك، وٱعلم أن الأكياس هم الذين عرفوا عيب[12] الدنيا حين عمي عن[13] أهلها، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال: ثم ٱفترقا فقلت لصاحبي: من هذا الشيخ رحمه الله تعالى فما رأينا[14] أحسن منه كلاماً[15]؟ قال: عبد الله بن عبيد ربه[16]، قال: فخرجنا من عسقلان حتى أتينا مكة فلما ٱنتهينا إلى الأبطح نزل عن حماره فقال[17]: أثبت مكانك حتى أنظر إلى بيت الله ﷻ الحرام[18] نظرة ثم أعود إليك إن شاء الله تعالى[19]. قال: فٱنطلق، وعرض لي رجل فقال: تبيع[20] الحمار؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بثلاثين ديناراً. قال: قد أخذته منك. قلت[21]: يا هذا، والله [١٢٩أ] ما هو لي، هو لرفيق

---

(١) في (م) و(ع): «تعالى».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «فخذ».
(٤) في (م) و(ع): «وأدخلت».
(٥) في (م) و(ع): «صرة».
(٦) في (م) و(ع): «وركب».
(٧) في (م) و(ع): «وراكع وساجد».
(٨) عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، يقال لها عروس الشام، وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٩٤٠.
(٩) في (ع): «الشيخ».
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «المعاملة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «عليها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) عبارة «رحمه الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «رحمك الله فما رأيت».
(١٥) عبارة «أحسن منه كلاماً»، في (م): «كلاماً أحسن منه».
(١٦) في (م) و(ع): «عبد الله بن عبيد الله».
(١٧) في (م) و(ع): «وقال لي».
(١٨) عبارة «عز وجل الحرام»، في الأصل: «الحرام عز وجل»، والصواب ما أثبتناه، وهي ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «أتبيع».
(٢١) في (م) و(ع): «فقلت».

لي، وقد ذهب للمسجد[١]، لعله يجيء[٢] الآن، فبينا أنا أكلمه إذ[٣] طلع الشيخ فقمت إليه فقلت: إني سمت الحمار بثلاثين ديناراً. قال: نعم[٤]. ودفعت الحمار إليه وجئت بالدنانير فقلت: ما أصنع بها؟ قال: هي لك فأنفقها. قلت[٥]: لا حاجة لي بها، قال: ألقها[٦] في الجراب، فألقيتها في الجراب[٧]، وطلبنا[٨] منزلاً بالأبطح فنزلناه، فقال: إئتني بدواة[٩] وقرطاس، فأتيته بدواة وقرطاس[١٠]، قال: فكتب كتابين ثم شدهما[١١]، فدفع أحدهما إلي وقال: انطلق[١٢] إلى عباد بن عباد[١٣] وهو نازل في موضع كذا وكذا[١٤] فادفعه إليه، وأقره مني السلام ومن حضر[١٥] من المسلمين، ثم دفع إلي الآخر وقال لي[١٦]: ليكن هذا معك فإذا كان يوم النحر فاقرأه إن شاء الله تعالى. قال: فأخذت الكتاب وجئت[١٧] به عباد بن عباد وهو قاعد يحدث وعنده خلق كثير، فسلمت عليه وقلت: يرحمك[١٨] الله كتاب بعض إخوانك. فأخذ الكتاب فإذا فيه[١٩]: بسم الله الرحمٰن الرحيم، و[٢٠]صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[٢١]، أما بعد، يا عباد فإني أحذرك الفقر يوم يحتاج الناس إلى الذخائر، فقر الدنيا يسده غنى[٢٢]، و[٢٣]فقر الآخرة لا يسده غنى، وإن مصاب الآخرة لا تجبر مصيبتها[٢٤] أبداً، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله تعالى فأحضرني [١٢٩ب] لتكفنني، وتولّ[٢٥] الصلاة علي، وأدخلني في حفرتي، وأستودعك الله ﷻ[٢٦] وجميع المسلمين، وأقر السلام مني

---

(١) في (م) و(ع): «إلى المسجد».
(٢) في الأصل: «حج»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) عبارة «فبينا.. إلخ»، في الأصل: «فأنا أكلمه إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) عبارة «قال نعم» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «فقلت».
(٦) في (م) و(ع): «فألقها».
(٧) عبارة «فألقيتها في الجراب» ساقطة في (م).
(٨) في (م) و(ع): «قال فطلبنا».
(٩) عبارة «إئتني بدواة»، في (م): «إبغني دواة»، وفي (ع): «أبغي دواة».
(١٠) عبارة «بدواة وقرطاس»، في (م) و(ع): «بهما».
(١١) عبارة «ثم شدها»، في الأصل: «وشهداهما»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «انطلق به».
(١٣) هو أبو عتبة الخواص، سبقت ترجمته.
(١٤) كلمة «وكذا» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «حضره».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «وأتيت».
(١٨) في (م) و(ع): «رحمك».
(١٩) في (م) و(ع): «فيه مكتوب».
(٢٠) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢١) عبارة «وسلم تسليماً»، في (م) و(ع): «أجمعين».
(٢٢) عبارة «فقر الدنيا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «إن».
(٢٤) في (م) و(ع): «مصيبته».
(٢٥) في (م) و(ع): «وتتولى».
(٢٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

على رسول الله ﷺ وعليكم جميعاً ورحمة الله تعالى[١] وبركاته. قال[٢]: يا هذا أين الرجل؟ قلت: بالأبطح. قال: أمريض هو؟ قلت: تركته الساعة صحيحا. قال: فقام وقام الناس معه حتى دخل[٣] عليه فإذا هو مستقبل القبلة ميت مسجّى عليه عباءة. فقال[٤] عباد: هذا[٥] صاحبك؟ قلت[٦]: نعم. قال[٧]: تركته[٨] صحيحاً؟ قلت[٩]: نعم، تركته الساعة[١٠] صحيحاً. قال: فجلس عند رأسه ثم أخذ في جهازه، وصلى عليه ودفنه. قال: وانحشر[١١] الناس في جنازته. قال: فلما كان يوم النحر قلت: لا بد ـ والله[١٢] ـ أن أقرأ الكتاب كما أمرني، فإذا فيه مكتوب[١٣]: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد، وأنت[١٤] يا أخي فنفعك[١٥] الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى الصالح من أعمالهم[١٦]، وجزاك الله عن صحبتنا[١٧] خيراً فإن صاحب المعروف يجده تحت مضجعه[١٨] يوم القيامة، وإن حاجتي إليك إذا قضى الله تعالى[١٩] بما يقضي فأسألك أن تنطلق[٢٠] إلى بيت المقدس فتدفع ميراثي إلى والدي[٢١]، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقلت[٢٢] في نفسي: كان أمرك رحمك الله عجباً وهذا من أعجب أمرك، كيف آتي بيت المقدس ولم تسمّ[٢٣] لي أحداً ولم تصف[٢٤] لي موضعاً ولا أدري لمن[٢٥] أدفعه. قال: وخلف[٢٦] قدحاً وجرابه ذلك وعصاً كان يتوكأ عليها. قال: وكفناه في ثوبين وألقينا عليه العباءة[٢٧] [١٣٠أ] فوق ذلك. قال: فلما انقضت

---

(١) عبارة «السلام مني.. إلخ»، في (م) و(ع): «السلام على رسول الله ﷺ مني وعليكم جمعياً السلام ورحمة الله».
(٢) في (م) و(ع): «فقال لي».
(٣) في (م) و(ع): «دخلوا».
(٤) في (م) و(ع): «فقال لي».
(٥) في (م) و(ع): «أهذا».
(٦) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «أتركته».
(٩) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «نعم تركته الساعة»، في (م) و(ع): «تركته الآن».
(١١) في (م) و(ع): «وحشر».
(١٢) في (م) و(ع): «والله لا بد».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «فأنت».
(١٥) في (م) و(ع): «نفعك».
(١٦) عبارة «الصالح من أعمالهم»، في (م) و(ع): «صالح أعمالهم».
(١٧) في الأصل: «صحبتك»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) عبارة «تحت مضجعه»، في (م) و(ع): «تحته مضجعا».
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «تأتي».
(٢١) في (م) و(ع): «ولدي».
(٢٢) في (م) و(ع): «قال فقلت».
(٢٣) في الأصل: «يسلم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في الأصل: «يصف»، وهي من (م) و(ع).
(٢٥) في (م) و(ع): «إلى من».
(٢٦) في (م) و(ع): «وكان خلف».
(٢٧) في (م) و(ع): «وكفناه في ثوبي لباسه وألقيناه في العباءة».

أيام الحج[١] قلت: والله لأنطلقن إلى بيت المقدس، فدخلت المسجد وهم في[٢] حلق حلق؛ فقوم[٣] فقراء، وقوم مساكين. قال: بينما[٤] أنا أدور و[٥]أتصفح الناس[٦] لا[٧] أدري[٨] عمن[٩] أسأل إذ ناداني رجل من بعض تلك الحلق باسمي: يا فلان، فالتفت[١٠] فإذا شيخ كأنه صاحبي، فقال: ميراث فلان. قال: فدفعت إليه العصا والقدح والجراب، ثم وليت راجعاً. فوالله[١١] ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسي: تضربين من مكة إلى بيت المقدس وقد رأيت من الشيخ الأول ما رأيت، و[١٢]من الثاني ما رأيت[١٣] ولا تسألين هؤلاء القوم أي شيء هما و[١٤]قصتهما وتسأليهم عن أمرهما[١٥]! فرجعت[١٦] ومن رأيي ألا أفارق هذا الشيخ[١٧] حتى أموت أو يموت. قال: فجئت أدور في[١٨] الحلق وأجتهد على أن[١٩] أعرفه أو أقع عليه، فلم أقع عليه. قال: وجعلت أسأل عنه فلم أجد أحداً يدلني عليه. فرجعت منصرفاً إلى العراق[٢٠]». شعر[٢١]:

ولـمـا نَـفَـرْنـا بـالـركـائـب مـن مِـنـى	مـروَّعـة لـلـبـيـن فـي سـاعـة الـنَّـفْـر
وقـد رُفِـعَـت تـلـك الـقـبـابُ وقـد غـدا	فؤادي المعنَّى بالفراق[٢٢] على الجَمْر
ولـمَّـا حَـدا حـادي الـمـطـيّ تـقـاطَـرَت	دموعي يُضَاهي فَيْضَها وابِل القَطْر
وعـدتُ مـن الـتَّـوديـع والـقـلـب لـم يَـعُـدْ	ولـكـنَّـه قـد عـاد مُـنْـقَـسـم الـفـكـر
فـقـلـت لـنـفـسـي كـلَّـمـا قـد أخـذْتُـه[٢٣]	جرى فاْصبري إنَّ المَثُوبة في الصبر
وتـوبـي إلـى مَـن يـعـلـم الـسِّـرَّ تـوبـة	عساكِ تنالين السلامة في الحشر [١٣٠ب]
ألـيـس مـن الـخـسـران أنَّ[٢٤] لـيـالـيـا	تـمرُّ بـلا نَـفْـع وتُـحْـسَـب مـن عـمـري

[بحر الطويل]

---

(١) عبارة «قال فلما. . إلخ»، في (م) و(ع): «فلما انقضى».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «قوم».
(٤) في (م) و(ع): «فبينا».
(٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «في الناس»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «ولا».
(٨) في الأصل: «ندري»، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «من».
(١٠) في (م) و(ع): «فالتفت إليه».
(١١) في (م) و(ع): «قال فوالله».
(١٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) عبارة «الثاني. . إلخ»، في (م) و(ع): «الشيخ الثاني كذلك».
(١٤) كلمة «هماو» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «ومن هما».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «الشيخ الآخر».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «أني».
(٢٠) في (م) و(ع) زيادة: «وأنا متحسر».
(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «بالعراق».
(٢٣) في (م) و(ع): «حذرته».
(٢٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

معشر العارفين معكم أتحدث، أيها الفقراء إليكم أشير، معاشر العلماء نحوكم أحدق، لأني[1] تغرّبتُ في إقليم[2] العلوم، وتعلمت اللغات المختلفة، فأنا أتحدث في المجلس[3] مع كل قوم بلغتهم؛ فالعارفون بالإيماء، والعالمون[4] بالإشارة، والسالكون بالأمثال[5]، والأدباء بالبلاغة، والفضلاء بالتلويح، والعامة بالعبارة، و[6]مفهوم كلامي أرواح لصور المعاني، والمحققون بالذوق، والمحبون بالتعريض، والفقراء بالرمز، وقد أخذ[7] كل أُناس مشربهم. طب كلامي أنفع من طب بقراط[8] لأنه يَطِبّ بعقاقير النبات، وأنا أَطِب بلطائف[9] الكلمات، ذلك[10] يَطِب الأجساد وهذا يطب القلوب ليوم التناد[11]، أجْمَعُ عقاقير الخوف والرجاء، وأنعِّم سحقه بالعبارة، وأنخله بمُنْخُل الفصاحة، وأعقده في قِدْر الحكمة بشراب الأمثال، وأسق منه عليل الذنوب ما يستخلص منه أخلاط الخطايا فيعود إلى الصحة والتوبة وقد أقلعت عنه - إن شاء الله تعالى - العلة[12].

إلٰهي أجري عندك أن تُجري ذكري على ألسنة[13] أوليائك بالدعاء لي أن يرحم الله ﷻ[14] غربتي إذا نسينا[15] الذاكرون يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته وسلم تسليماً كثيراً[16].

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «أقاليم».

(٣) عبارة «في المجلس» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «والعلماء».

(٥) في (م) و(ع): «بالمثال».

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «وقد أخذ»، في (م) و(ع): «قد علم».

(٨) هو بقراط بن إيراقليدس بن أبقراط، الطبيب الفيلسوف، تعلم صناعة الطب من أبيه إيراقليدس ومن جده أبقراط، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب. ابن النديم، كتاب الفهرست، ص٣٤٦. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٣.

(٩) في (م) و(ع): «بعقاقير».

(١٠) في (م) و(ع): «ذاك».

(١١) عبارة «ليوم التناد» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «إن شاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «الحوبة».

(١٣) في (م) و(ع): «لسان».

(١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «نسيني».

(١٦) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م). وقد وردت هذه الخطبة الثالثة ثانية في (م) و(ع)، بينما وردت الخطبة الثانية ثالثة فيهما مع الحاق خاتمة الفصل بها.

الفصل السادس عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي لاطف قلوب أحبابه بأنسه وتقرَّب[1] إليهم بألطف تقريب، أباح جميل[2] جماله تعالى[3] للمحبين فهو لهم نِعْم الحبيب، كم لهم[4] تحت ستر الدجى من متيَّم عيشه بالأشواق يطيب[5]، نعَّم المجتهدين بالمسامرة وأظهر لهم من لطفه الشيء العجيب، أذابهم الوجد فإذا بهم من تقليب[6] الحب في تقليب[7]، فجَّر من قلوبهم ينابيع الحكمة فأنبتت من العرفان كل غريب، كل مجلس من مجالس أنسهم لسان أذكارهم فيه خطيب، كم لهم في ديوان القلوب من وارد[8] وصادر[9] أوراد وأذكار ودمع سكيب، وافرحتهم قسم لهم من التحقيق أوفر[10] نصيب، وزيد لهم من مزيد النظر نصيباً من نصيب[11]، هم الأصفياء الأتقياء النقباء تعوَّدوا[12] من خوفهم مراقبة الرقيب، نُغرة[13] إخلاصهم زائدة في ميزان القبول تتلقاهم الملائكة بالترحيب[14]، إذا فُتِح باب السحر حنُّوا إلى الذكر فلحنينهم بالأذكار تطريب، وأهل المعاصي في تيه الغفلة تدعوهم العبر ولا مجيب، توالت عليهم أسقام المعاصي فما ينفعهم طب ولا[15]

---

(١) في (م) و(ع): «تعرف».

(٢) في (م) و(ع): «جمال».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «من متيم.. إلخ»، في (م) و(ع): «من نسم عينيه بالأشواق تطيب».

(٦) في (م) و(ع): «تقلب».

(٧) في الأصل: «قليب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «واردات».

(٩) في (م) و(ع): «مصادر».

(١٠) في (م) و(ع): «أوفى».

(١١) عبارة «وزيد لهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي النظر إلى الله ﷻ؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، رقم الحديث (٢٩٧، ٢٩٨/ ١٨١)، ١/ ١٦٣.

(١٢) عبارة «النقباء تعوّدوا»، في (م) و(ع): «الأغنياء عوضوا».

(١٣) في (م) و(ع): «نقدة». والنُّغر: فراخ العصافير، وهو البلبل عند أهل المدينة، واحدته نُغَرة. ابن منظور، اللسان، «نغر»، ٥/ ٢٢٣.

(١٤) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ إلى ١٠٣].

(١٥) كلمة «ولا» ساقطة في (م) و(ع).

طبيب، مدُّوا بساط الأمل حتى طواه الموت وألقاهم في قليب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[١].

يا من سوَّف [١٣١ب] بالمتاب حتى شاب، يا من ضيَّع في الغفلة أيام الشباب، يا مطرودا بذنوبه عن الباب[٢]، يا متعلِّقاً بالآمال وهي سراب، يا عامرا قنطرة الدنيا وهي خراب، يا شارباً خمر الشهوات بئس الشراب، عمرك في طاعة إبليس متى يكون المتاب، إذا كنت في الشباب غافلاً وفي المشيب مسرفاً[٣] متى تقف بالباب، كم عوملت على الوفاء فخنت ما هكذا يفعل[٤] الأحباب، الظاهر منك عامر والباطن ويحك خراب، كم عصيان كم مخالفة كم من[٥] رياء كم حجاب، ولى طيب العمر في الخطايا تُرى[٦] متى يعود إلى الصواب، ما بعد الشيب[٧] لهو وكيف[٨] يجمل بالشيخ التصاب، أنت لو قدَّمت في متقادم[٩] عمرك الطاعة خفت عليها الحساب، كيف والعمر ولَّى في الغفلة وفي طلب الأسباب، إذا لم تبك عينك[١٠] بمدامع بأنسكاب[١١]، فمن يعيرك عينه تبكي بها من ذا يذوق مصيبة[١٢] المصاب، إذا أنذرك الشيب[١٣] بالرحلة ولم تقدِّم الزاد ماذا يكون الجواب، يا من غلبه[١٤] طرش الغفلة قل لي متى[١٥] يكون العتاب، معشر المذنبين هذا مأتم الأحزان فأين البكى والانتحاب، لأي يوم تدَّخر التوبة[١٦] وهذا المجلس قد طاب، لأي يوم تدَّخر[١٧] دموعك وما صونها ـ لعمري ـ صواب، إذا لم يهزك شفاء نسيم المواعظ فالشقاء [١٣٢أ] مثبوت[١٨] في الكتاب، ليت شعري أهل المعاصي كيف عيشهم يطيب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

أبو عامر الواعظ رحمه الله تعالى قال[١٩]: «بينما[٢٠] أنا ذات ليلة أسير في بعض الجبال إذ[٢١] سمعت صوتاً حزيناً من قلب قريح وهو يقول: يا دليل الحائرين في

---

(١) سورة سبأ، آية ٥١.
(٢) في (م) و(ع): «الأحباب».
(٣) في (م) و(ع): «مسوفا».
(٤) عبارة «ما هكذا يفعل»، في (م) و(ع): «ما هذا فعل».
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «الخطايا ترى»، في (م) و(ع): «الخطا».
(٧) في (م) و(ع): «المشيب».
(٨) في الأصل: «وطيف»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «تقادم».
(١٠) في (م) و(ع): «عليك».
(١١) في (م) و(ع): «ذي انسكاب».
(١٢) في الأصل: «مصيب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «المشيب».
(١٤) في (م) و(ع): «طرشه».
(١٥) في الأصل: «لمن متى»، وفي (م) و(ع): «كم»، والصواب ما أثبتناه.
(١٦) عبارة «تدَّخر التوبة»، في (م) و(ع): «تؤخر توبتك».
(١٧) في (م) و(ع): «تؤخر».
(١٨) في (م) و(ع): «مكتوب».
(١٩) القصة ذكرها شُعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٠١.
(٢٠) في (م) و(ع): «بينا».
(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

طريق[١] الفلوات، ومؤنس كل واحد[٢] في مُضِلّات الموحشات، أنت أنسي إذا ٱستأنس البطالون بسواك[٣]، وأنت فخري إذا ٱفتخر الجاهلون بغيرك[٤]. قال أبو عامر: فأسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال: من أين أقبلت في سواد هذا الليل وإلى أين تريد؟ فقلت[٥]: رجل ضل عن الطريق، وقد سمعت منك كلاماً أثار بقلبي أحزانه، وأثار بلبي أشجانه. فصاح صيحة خر[٦] مغشياً عليه، ثم أفاق وأخذ في البكاء، قلت: فلم هذا البكاء؟ قال: إني أكره الأماني. ثم ولى فٱتبعته فأشرف على واد فجلس وهو يبكي، فقلت: رحمك الله إني على غير الجادة. فٱشتد بكاؤه وصياحه، فقال[٧]: ويحك! و[٨]أين الجادة! و[٩]أين ذات اليمين! و[١٠]أين مراتب عليين. ثم ضرب على يدي وتَخطّى فإذا نحن بجانب الوادي من الجانب الآخر[١١]. قلت: هذا الفجر قد طلع ونحن نحب الوضوء، فضرب بيديه[١٢] الأرض فإذا نحن بماء عذب زلال. فقال: دونك فتوضأ وتوضأت[١٣] [١٣٢ب] ثمّ أذّن وأقام الصلاة، وصلى[١٤] وصليت معه، ثم[١٥] قال: يا عبد الله[١٦] قد دنت[١٧] مفارقتك إياي[١٨] فعليك السلام. فقلت له[١٩]: بالذي أباح لك[٢٠] الرتوع في رياض الإقبال إلا جُدْت لي بالمصافحة، ومننت عليَّ بدعوة صالحة بعد المؤاكلة[٢١]، ثم أومأت إلى مِزْوَدِي[٢٢] لأحلّه. فقال: أوجائع[٢٣] أنت؟ قلت: نعم. قال: شغلك[٢٤] قلبك عن التفكر في الملكوت بأكل القوت، و[٢٥]لو ذقت طعم اليقين وما أعد الله للمتقين للان خشوعك وهدأ جوعك، ثم ضرب بيده الأرض فإذا بقرص كأنها خرجت من التنور[٢٦]، فقال:

---

(١) في (م) و(ع): «طرق».
(٢) في (م) و(ع): «متوجه».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «قلت».
(٦) في (م) و(ع): «وخر».
(٧) في (م) و(ع): «وقال».
(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١١) عبارة «من الجانب الآخر» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «بيده».
(١٣) في (م) و(ع): «فتوضأت».
(١٤) في (م) و(ع): «فصلى».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في الأصل: «يا أبا عبد الله»، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «حانت».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) عبارة «أباح لك»، في (م) و(ع): «أباحك».
(٢١) عبارة «بعد المواكلة» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) المِزْود: وعاء يجعل فيه الزاد. ابن منظور، اللسان، «زود»، ٣/١٩٨.
(٢٣) في (م) و(ع): «أجائع».
(٢٤) في (م) و(ع): «شغلت».
(٢٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٢٦) في (م) و(ع): «فإذا قرص كأنما أخرجت من نارها».

دونك[1] يا بطال، إن الله ﷻ[2] عباداً[3] صدقوا في ترك الشهوات فأخدمهم الأكوان في الحياة وبعد[4] الممات، ثم غاب عني فلم أره[5]». شعر[6]:

أَلِفَ الضَّنى فسقامه موجود ... وجَفَا الكَرى فمَنامُه مفقودُ
قَلِقٌ يحول عن المزار[7] ودونه ... سهل العراق ووعده والبِيْد
حَيْران من أَلمِ الفراق مُولَّه ... سكران من خمر الهوى عِرْبيد
ويحنُّ من طَربٍ حنين نِياقهم ... تِيهاً[8] وكلٌّ وَاله مَعْمود[9]
مالي أرى ذِكر العُذَيب وأهله ... مطر الركاب فماؤه مَوْرود
فحِمى[10] العُذَيب وقاطنيه[11] أُريدهم ... ويُباح لي خَلَف[12] ولستُ أريد
ويَلُومني مَن ليس بين جفونه ... عين فَناها[13] الدَّمع والتَّسْهيد
حَيّوا أعاريب العُذَيْب وسَائلوا ... هل ما مَضَى لي في العُذَيب يعود[14] [١٣٣أ]
وسَلُوهم[15] ردّ الجواب عليكم ... وأظنّ أنَّ سؤالكم مَردود
أَمُخيِّمون على الحجاز فيَغْتدي ... أم عائدون إلى الحِمى فيعود

[بحر الكامل]

يا راحلين[16] بلا زاد السفر بعيد، العين جامدة والقلب أقسى من الحديد، من أولى منك بالعزاء وأنت في المعاصي في كل يوم تزيد[17]، ما أيقظك الشباب ولا أنذرك الاكتهال ولا نعاك المشيب ما أرى صلاحك إلا بعيد، فديت أهل العزائم لقد نالوا أفضل مزيد، طووا

---

(١) في الأصل: «دون»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «رجالاً».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع) زيادة: «بعد».
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «قلق قلبي يحرم على المزار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «فيها». وتاه في الأرض يتيه: ذهب متحيراً وضل. وامرؤ تائه: ضال متحير. ابن منظور، اللسان، «تيه»، ١٣/ ٤٨٢.
(٩) في الأصل: «عميد»، والتصويب من (م) و(ع). والعميد والمعمود الذي بلغ به الحب مبلغاً. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣/ ٣٠٥.
(١٠) في الأصل: «يهوى»، وهي من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «قاطنيهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «حلب».
(١٣) في (م): «أفناها»، وهو تصحيف.
(١٤) عبارة «هل ما مضى.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن كان تسآل العذيب يفيد».
(١٥) في الأصل: «واسألوهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «راحلا».
(١٧) عبارة «في كل يوم تزيد»، في (م) و(ع): «كل يوم جديد».

فراش النوم فلهم بكاء وتغريد، دموعهم تجري خدَّت في الخدود تخديد[1]، ما أنت من أهل الحب ولا من العشاق يا قليل الهمة يا طريد، يا مخنث العزم تدَّعي[2] مقام الجنيد وأبي يزيد، فنيت[3] عمرك في الهوى[4] غيرك نال المقصود وأنت منه بعيد، غيرك على الجادة وأنت من الشهوة في أوجال[5] وتنكيد، ترى[6] متى يقال فلان ٱستقال يا له من وقت سعيد، متى تخرب ديار الهوى[7] قبل أن يخرب عمرك الجديد، لو عاينت قلق التائبين وتململ الخائفين من هول[8] الوعيد، غدرت ولم تعذر[9] لهم في النوح والتغريد، إذا تذكروا[10] أيام الصبا ذابوا من الحياء بزفرات تزيد، وإذا تعلقوا بذيل الدجى تدرعوا بثوب[11] حزنه والتسهيد، فٱنقلب ليلهم نهاراً في طلب المزيد، جعلوا قرة أعينهم في الفقر والزهد[12] والتزهيد، لا جرم أن[13] قرة أعينهم [١٣٣ب] في النظر[14] إلى المحبوب وأعطى طالبهم فوق ما يريد، وأهل الحرمان ضيعوا أعمارهم[15] في الغفلة الشباب والمشيب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

إبراهيم بن يسار[16] رحمه الله تعالى قال: «مررت أنا ويوسف في طريق الشام، فوثب إليه رجل فسلم عليه وقال[17]: يا يوسف عظني بموعظة أحفظها عنك. فبكى وقال[18]: ٱعلم يا أخي أن ٱختلاف الليل والنهار يتعاونان على هدم بنيتك[19] وفناء عمرك وٱنقضاء أجلك، فلا تطمئن يا أخي حتى تعلم أين مستقرك ومصيرك غدا يوم تجزى كل نفس بما كسبت».

شعر[20]:

باتت ترى من[21] العقيق رامَة يا بُعْده لولا الغرام نظرا

---

(١) في (م) و(ع): «أخاديد».

(٢) في (م) و(ع): «دع».

(٣) في (م) و(ع): «أفنيت».

(٤) في (م) و(ع): «اللعب».

(٥) عبارة «من الشهوة.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الشهوات في أرحال». والوجل: الفزع والخوف. وقد وجِل وجَلاً، وفي قلبه وَجَل، وفي قلوبهم أوجال. الزمخشري، أساس البلاغة، «وجل»، ص٦٦٦. ابن منظور، اللسان، «وجل»، ٧٢٢/١١.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «اللهو».

(٨) في (م) و(ع): «ذكر».

(٩) في (م) و(ع): «تعذ».

(١٠) في (ع): «تذاكروا».

(١١) في الأصل: «بثبوت»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «والتزهد».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بالنظر».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) إبراهيم ذكره ابن حجر في لسان الميزان، ١٦٨/٧؛ فقال: إبراهيم بن يسار الرمادي، ولم يذكر له ترجمة.

(١٧) في (م) و(ع): «فقال».

(١٨) في (م) و(ع): «ثم قال».

(١٩) في (ع): «بيتك».

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات وردت في الخطبة الأولى من الفصل الحادي عشر.

(٢١) في (م) و(ع): «على».

طوى لها[1] الشوق البعيد فأنْبَرت — ترى بأبصار الهوى ما لا يُرى

واهاً لها ما للحِمى ومالها — أوَطَراً تبغي بها أم خطرا[2]

ولا يُفيد قولها برامة — إنْ وَصَلَت هل من قِرى ولا قرى

لا تَشْتَكيه من وَجاً تغيُّرا — ولا تخاف من دُجَى تَحَيُّرا

لا بأس يا سائقها إنْ عَثَرَت — لولا أعتراضات الهوى[3] ما عثَرا

رِفْقاً فلو جاز[4] السحاب طَرْفها — ونوَّرَت روضا[5] وفاضت غُدُرا[6]

ما[7] وردت إلا[8] الدموع مَنْهلاً — ولا أرْتَعَت إلا القلوب زهرا

تثْنِي إلى حُداتها أعناقها — كأنَّما تأخذ عنهم خبرا [١٣٤أ]

تحدو[9] بشعري فتميل طربا[10] — قل لي متى صار القريض منكرا

حَسْبك لم يُبْقِ الهوى[11] من جسدي — عيناً ولا جور الغرام أثرا

[بحر الرجز]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي وهب للعقول[12] لطائف المدارك وخزائن الأفكار، كتب في ألواح الفطرة[13] تعريف المعارف وشرح الأسرار، ألقى عليه درس[14] علم المعلومات وتطوير الأطوار، وأقام له دليلاً[15] على وحدانيته تعالى[16] أظهر من ضوء النهار، ألَّف بحكمته بين اللطيف والكثيف وكنفه من الحكمة بمقدار[17]، نظم شمل الجسم بواسطة الروح فأستقر له في دار البدن القرار[18]، شرفه بتشريفه[19] ونفخه وأظهر فيه خطوط الأقدار، جعل أفعاله

---

(١) في (م) و(ع): «له».

(٢) في الأصل: «عطرا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) عبارة «رفقا فلو جاز»، في (م) و(ع): «قفا فلو جاد». (٥) في (م) و(ع): «نورا».

(٦) غُدُر جمع الغدير. ابن دريد، جمهرة اللغة، «درغ»، ٢/ ٢٥١.

(٧) في (م) و(ع): «أو». (٨) في (م) و(ع): «غير».

(٩) في (م) و(ع): «يحدو».

(١٠) في الأصل: «تطربا»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «النوى».

(١٢) في (م) و(ع): «العقول». (١٣) في (م) و(ع): «الفطر».

(١٤) في (م) و(ع): «دروس».

(١٥) عبارة «وأقام.. إلخ»، في (م) و(ع): «أقام له الدليل».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «وكنفه.. إلخ»، في (م) و(ع): «بكيفية من الحكمة ومقدار».

(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «حجبه عن مدارك المدارك فلا تدركه الأبصار».

(١٩) عبارة «شرفه بتشريفه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: =

تعالى[1] دليلاً عليه لذوي الاعتبار، صفَّى لهم مجاري الفهم من سُدَد الأكدار، حمى إقليم قلوبهم غيرة من الأغيار، حليتهم مثبوتة في ديوان الخواص بحلل[2] الأبرار، خلع عليهم خلعة[3] المدائح مرقومة برسم الأخيار[4]، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[5].

يا أخي ٱدخر من البضائع ما هو أعْود عليك[6] بالأرباح، صاحب بضائع[7] التقوى في إقليم القبر ترتاح، أحسن الثياب في سوق الحساب ثياب الزهد لصاحبه أفراح، سلع الفقير تأتيه[8] في إقليم الآخرة لكل ناظر إليها ٱقتراح، من رافق ركائب[9] تتجافى[10] أصبح[11] المنزل أسعد صباح، والمنقطع في أعقاب الركب[12] مُثْخَن من الحرام بالجراح، [١٣٤ب] إن لم تلتحق بساقة الركب[13] وإلا فعليك بالبكاء[14] والنواح، معدن الذهب لا يظهر إلا في ظُلَم[15] الليل لذي[16] أعين صحاح، فيضع عليه علامة تستره من الافتضاح، فإذا طلعت عليه[17] شمس القيامة جنى ما ٱدَّخر وما عليه من[18] جناح، ذهب الأنس في معدن[19] الدجى ليس لهم عنه براح، وضع عليه المجتهدون رماد[20] الحزن[21] فهو لهم مباح، وأهل الغفلة مردودة أعمالهم فلا يقبل منهم صلاح[22]، كم وعظهم المشيب[23] كم أنذرهم المساء والصباح، فديت قلوب التائبين كم[24] عادت من الظلام إلى الأنوار، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ

= ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: أن الله ﷻ خلق أفعال العباد وأعمالهم.

(٢) في (م) و(ع): «بخلى».

(٣) في (م) و(ع): «خلعت عليهم خلع».

(٤) عبارة «برسم الأخيار»، في (م) و(ع): «بوسم الاختبار».

(٥) سورة آل عمران، آية ١٦ ـ ١٧.

(٦) في الأصل: «إليك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «صانع».

(٨) في (م) و(ع): «نافقة».

(٩) في (م) و(ع): «رفائق».

(١٠) قوله: «تتجافى» إشارة إلى الآية الكريمة التي تصف الصالحين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

(١١) في (م) و(ع): «صبَّح». وأصبح القوم: دخلوا في الصباح، وأصبحنا وأمسينا أي صرنا في حين ذاك، وأما صبَّحنا ومسَّينا فمعناه أتيناه صباحاً ومساءً. ابن منظور، اللسان، «صبح»، ٢/٥٠٢.

(١٢) في (م) و(ع): «النوم».

(١٣) في (م) و(ع): «الفجر».

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «والصياح».

(١٥) في (م) و(ع): «ظلام».

(١٦) في (م) و(ع): «الذوي».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «معادن».

(٢٠) في الأصل: «ورماد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «الحرق».

(٢٢) عبارة «فلا يقبل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلا تَقْبل الإصلاح».

(٢٣) في (م) و(ع): «الشيب».

(٢٤) في (ع): «كيف».

ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾.

قالت عائشة بنت سليمان[(١)]: زوج يوسف بن أسباط قالت[(٢)]: «قال لي يوماً إني لأشتهي على الله ثلاثة أشياء[(٣)]. قلت: وما هن؟ قال: أشتهي على ربي ﷻ[(٤)] أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون[(٥)] علي دين، ولا على عظمي لحم. قالت: ولقد أعطاه الله تعالى[(٦)] ذلك كله. و[(٧)]قال لي في مرضه[(٨)]: هل بقيت[(٩)] نفقة؟ قلت: لا. قال: فأي شيء ترين؟ قالت[(١٠)]: قلت: أخرج هذه الخابية[(١١)] للبيع. قال: لا، إذا فعلنا ذلك أنكشف أمرنا للناس وقالوا[(١٢)] إنما باعوها من الحاجة. قالت[(١٣)]: وكان عندنا خروف أهداه إليه[(١٤)] بعض أصحابه، فأمر به فبيع بعشرة دراهم. فقال لي[(١٥)]: إغزِلي منها درهما لحنوطي، [١٣٥أ] وأنفقي سائرها. قالت: فمات رحمه الله تعالى[(١٦)]، ولم يبق في البيت[(١٧)] إلا الدرهم الذي أمر به للحنوط». شعر[(١٨)]:

عسى من كَسَى الجسم السقام يعوده ... ومَن سَلَب الجفن المنام يُعِيده

---

(١) هي عائشة بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمها أم جعد بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، تزوجها عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام. وكان أبوها سليمان شريفاً جواداً، ولي البصرة للمنصور. البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/ ١٧٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ، ص١٥٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦/ ١٠٦.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٦٥. ويوسف هو يوسف بن أسباط الزاهد، من قرية يقال لها شيح، أحد مشايخ القوم، له مواعظ وحِكَم، وكان مرابطاً بالثغور الشامية، وتوفي سنة ١٩٩هـ ـ ٨١٥م. ابن الجوزي، الصفة ٤/ ٢٦١. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٩١ ـ ٢٠٠هـ، ص٤٨٥.

(٣) عبارة «على الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الله تعالى ثلاث خصال»، إلا أن كلمة «تعالى» ساقطة في (ع).

(٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (ع).

(٧) الواو ساقطة في (م).

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «الذي توفي فيه».

(٩) في (م) و(ع): «بقي عندك».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الخابية وهي الحُبّ، والحُبُّ: الجرة الضخمة، وهو الذي يجعل فيه الماء. ابن منظور، اللسان، «خبأ»، ١/ ٦٢، و«حبب»، ١/ ٢٩٥.

(١٢) عبارة «للناس وقالوا»، في (م) و(ع): «وقال الجيران».

(١٣) في (ع): «قال».

(١٤) عبارة «أهداه إليه»، في (م) و(ع): «قد أهداه له».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «في البيت» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

فما يُبرئ المجهود إلا مُعِلّه ويُنقص داء الحب إلا مزيده
ويكتم[١] خوف الكاشح[٢] الصبُّ حُبَّه ويجحده لو كان يُغني جحوده
ولو سَلِمَت أعضاؤه من نكاله لأبْطَل حكماً أسْجَلَته شهوده
أأرجو سكُونَ القلب والقلب[٣] خافِقٌ لِوَشْك الهوى[٤] أعلامه وبُنُوده
أُحِبّ رُبى نجد ولولا حلوله لَمَا شَاقَني نَعْمَانه وبَرُوده[٥]
وأهوى خُزامه[٦] ولولا ظِبَاؤه لَمَا كان دمع العاشقين يجوده
دعوا البان إن لم تُثْنِ أغصانه الصّبا سُحَيراً فأنفاس[٧] الغرام تميده
ولا تردوا ماء العُذَيب[٨] فربما فرائس غِزلان[٩] العُذَيب[١٠] أسوده
وشاكٍ إلى الأطلال وقفة ذي الهوى برسم بعيد بالعهاد عهوده
أَينشد شعراً أو يُنَاشد قلبه وهل نافع نشدانه ونشيده
يثوب على[١١] الشكوى فقلت له اتّئد فما[١٢] كلّ مَنْ يشكو الغرام يفيده
فيا[١٣] لائم المشتاق كُفَّ فإنَّما مَلامَته في الحبِّ مما يزيده[١٤]
أتَدْعو إلى السّلوان قلبي والهوى إلى غير ما تدعو[١٥] إليه يقوده

[بحر الطويل]

يا تائهاً في الشقاء[١٦] بلا دليل ولا زاد، متى تسمع بوق الرحيل فتعمل في الاستعداد، إلى متى في تيه الشقاء والعمر في بعاد، [١٣٥ب] واحسرة[١٧] عليك على الدوام من المعاصي

---

(١) في (ع): «أيكتم».
(٢) الكاشح: مُضمر العداوة. الفيروزآبادي، القاموس، «كشح»، ص٣٠٥.
(٣) في (م) و(ع): «والحي».
(٤) في (م) و(ع): «الوشك النوى». ووَشْك البين: سرعة الفراق. ابن منظور، اللسان، «وشك»، ١٠/٥١٣.
(٥) عبارة «نعمانه وبروده»، في (م) و(ع): «نعماؤه وزروده». والزرود مقصود بها غضاضة العيش وسهولته؛ يقال عشب زرد: غض، وطعام زمط وزرد أي لين سريع الانحدار. ينظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، «زرد»، ٩/٢٩، ولسان العرب لابن منظور، «زرد»، ٣/١٩٤. والنَعمان هو فعلان من نَعْمة العيش، ونَعمة العيش: حسنه وغضارته. والبَرود: البارد، والبَرود ما ابْتُرِد به، وليلة باردة العيش وبَرْدَته هنيئته. ابن منظور، اللسان، «نعم»، ١٢/٥٨٢، و«برد»، ٣/٨٣، ٨٤.
(٦) في (م): «خزاماه»، وفي (ع): «خزاما».
(٧) في (م) و(ع): «فأغصان».
(٨) في (م) و(ع): «النقيب».
(٩) عبارة «فرائس غزلان»، في الأصل: «أصغر بغزلان»، وفي (ع): «غزلان»، والتصويب من (م).
(١٠) في (م) و(ع): «النقيب».
(١١) في (م) و(ع): «عن».
(١٢) في الأصل: «فيا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «فلا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «تزيده».
(١٥) في (م) و(ع): «تشكو».
(١٦) في (م) و(ع): «الضلال».
(١٧) في (م) و(ع): «واحسرتي».

تزداد، ظاهرك مبهرج[1] بالرياء وافضيحتك عند النقاد، أفنيت[2] شبابك في جمع المال وفي المشيب مريض ما تعاد، ألهاك الهوى عن طلب الآخرة ما أراك معتقداً أنك تعاد[3]، العمر مضى في الغفلة[4] قل لي متى تتيقظ وماضي الصبا ما يعاد، يا أبرد من كانون[5] ويا أسكن من جماد، متى تكون أحر من كانون وفي عزيمتك انقياد[6]، يا مخنث الهمة دع عنك عزائم الأنجاد، عند ذكر الدنيا أنت يقظان وعند ذكر الآخرة غلبك[7] الرقاد، بعت الدين بالدنيا سيظهر خسرانك[8] على رؤوس الأشهاد، ما ينفعك الاعتذار غداً بالأهل والأولاد، الرياء في الظاهر والقبائح في الباطن لمثل هذا البلاء يراد، مجلس الوعظ حوض الكوثر كم إليه من وراد، هذا يسقى بقدر نياته[9] وكم من محروم عنه يذاد، إذا انقضى المجلس ولم تقض دَيْن التوبة فلا بد من سجن البعاد، فلله ما أجمل ركب التائبين ما أجملهم[10] في الأسفار، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[11].

قال بعضهم[12]: جاورني فتى وكنت أؤذن[13] للصلاة، فإذا صليت صلى ثم دخل إلى منزله، فكنت أتمنى أن أقضي[14] له حاجة، قال[15] لي يوماً: أعرني مصحفاً أقرأ فيه، فدفعت له مصحفاً، فضمه إلى صدره ثم قال: ليكون[16] لي ولك اليوم شأن. ثم غاب يومه، فلما صليت [١٣٦أ] العشاء الآخرة أتيت إلى الدار التي هو فيها؛ فإذا فيها دلو ومطهرة وعلى بابه ستر، فدفعت الباب فإذا هو ميت والمصحف في حجره، فاستعنت على حمله على سريره، وبقيت ليلي أفكر في كفنه، فلما أذنت للفجر دخلت المسجد لأركع فإذا كفن[17] ملفوف، فأخذته وأقمت الصلاة، فلما سلمت فإذا على[18] يميني مالك بن دينار وثابت البناني وصالح المري رحمهم الله تعالى[19]، فقلت: ما شأنكم؟ فقالوا: مات في جوارك الليلة أحد؟ قلت[20]: مات شاب، فقالوا: أريناه. فلما دخلوا عليه كشف مالك الثوب عن وجهه ثم قبَّل

---

(١) في (م) و(ع): «بهرج».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) أي يعاد بعثك يوم القيامة للحساب.
(٤) في (م) و(ع): «العمر ولى في غفلة».
(٥) في الأصل: «كافور»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «انقاد»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «غلب عليك».
(٨) عبارة «سيظهر خسرانك»، في (م) و(ع): «ستظهر حسرتك».
(٩) في (م) و(ع): «نيته».
(١٠) في (م) و(ع): «أنجبهم».
(١١) الآية في (م) و(ع): ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾.
(١٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣/٣٥٥.
(١٣) في الأصل: «أذن»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) عبارة «أن أقضي» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «فقال».
(١٦) في (م) و(ع): «ليكونن».
(١٧) في (م) و(ع): «بكفن».
(١٨) عبارة «فإذا على»، في (م) و(ع): «إذا عن».
(١٩) عبارة «رحمهم الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «فقلت».

موضع سجوده، ثم قال: بأبي وأمي أنت[1] يا حجاج[2]، كنت إذا عرفت في موضع[3] تحولت إلى غيره، وجاء كل واحد منهم بكفن، فأعلمتهم قصة الكفن فكفناه فيه، وما كدنا نرفع جنازته من كثرة أزدحام الخلق عليه رحمه الله تعالى ونفعنا به[4]». شعر[5]:

يَشيم وَمِيض البرق فيه[6] سَقامه ... ويَهْوَى غناء الوُرْق وهو حِمَامُهُ
فما هو للبلوى بنجد مُعَرّضٌ ... بدا بَرقُه أو ناح وَجدا حَمامه
يَزيد على لَمْع البُروق أشتياقه ... وَيَقْوى على سَجْع[7] الحَمَام ضِرَامُه[8]
وما ذاك إلا أنّ مَنْ سَكن الحِمى ... على عِلمه أنَّ القلوب خِيامه
يُطيع بنا الواشي فيُبْدي مَقَاله ... ويَعصي بنا اللّاحي فيُخفي مَلامه
لَعَمْر اللّواحي كيف يَلْحون نازحاً ... وفي السِّرِّ منه نُوره وتَمامه
يُرى[9] حاضراً شطَّت به الدار أو دَنَت ... وما واحد نَأْي الهوى ومَقامه [١٣٦ب]
يذكّرنا[10] البرق الحجازي لَمْعه ... وليس سواء وَمْضه وأبتسامه
ويهدي لنا منه النسيم تحية ... هي العَرف إذ عَرف النسيم سلامه
دَعوني وروض الحزن علَّ صَبَابتي ... تحفَّظ[11] منها شِيحه وخزامه
وخلّوا الصّبا تُطْفي التِهابي ونكّبُوا[12] ... مقالتكم فالوجد زاد ضِرامه
فمن عجبي[13] أن الصبا تخمد الهوى ... ويُذْكيه[14] وَقْدا دمعه[15] وأنسجامه

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي تعرف لقلوب العارفين فعرفوه، نزه أسرارهم بالتوحيد[16] فبتنزيهه[17]

---

(١) في (م) و(ع): «بأبي أنت وأمي».
(٢) هو الحجاج العابد، ذكره ابن الجوزي من المصطفين من أهل البصرة. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٣٥٥. والمنتظم ٧/ ١٤٨.
(٣) عبارة «في موضع»، في (م) و(ع): «بموضع».
(٤) عبارة «من كثرة.. إلخ»، في (م) و(ع): «من كثرة الخلائق».
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «وهو».
(٧) في الأصل: «سمع»، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «غرامه».
(٩) في (م) و(ع): «ترى».
(١٠) في الأصل: «تذكرنا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «أتخفض»، والتصويب من (م) و(ع). وتحفَّظْت الكتاب: استظهرته شيئاً بعد شيء. ابن منظور، اللسان، حفظ، ٧/ ٤٤١.
(١٢) في الأصل: «واكففوا»، والتصويب في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «عجب».
(١٤) في الأصل: «ويدنيه»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «معي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «في التوحيد».
(١٧) في الأصل بياض، وهي من (م) و(ع).

نزهوه، قربهم إلى حضرة الجمال فبجماله[1] وصفوه، طوى لهم مادة[2] السلوك وصفاهم من ظلمة الطبع فشاهدوه[3]، أثبت في ديوان القضاء الشقاء[4] والسعادة والمحبوب والمكروه، بسط بساط الخلوة في مجلس الدجى فعبدوه، و[5]عطر محاريب صدورهم بأزهار الأذكار و[6]أعطى لهم[7] ما سألوه، فكم[8] بين محبوب ومبعد[9] هذا ساعده التوفيق وهذا خذله[10] القضاء فما رحموه[11]، فيا معشر المذنبين كم ذا التعامي والحق واضح رأيتموه، كم وعظكم[12] الأيام والشيب كأنكم ما سمعتموه، كم تسبلون الأستار على المعاصي[13] أما تعلمون أنكم[14] بعين من تعصوه، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[15]، فسبحان من شهدت له القلوب بالربوبية وعنت الوجوه[16]، أحمده حمد من لعفوه عن ذنوبه يرجوه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشهد [١٣٧أ] بها[17] إذا عنت الوجوه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمم[18] يوم يستشفعوه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه[19] ونصروه.

يا أخي أنظر كل[20] يوم في دستور عملك قبل أن[21] يتلف رأس المال، في ديوان المفالس[22] أنقطعت بك[23] الآمال، ما أجمل حلة الزهد وأحلاها[24] من حال، يا من عليه بقايا الطاعة أما علمت أن الأيام[25] عليك عُمَّال، النهار يطلبك بالتحصيل والليل يطلب قبض المبلغ من الأعمال، آسع ويحك في أيام الشباب وحصّل ما ينجي من الأهوال، من عزم على

---

(١) عبارة «قربهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «هاموا في حبه وبجماله».
(٢) في (م) و(ع): «بادية».
(٣) في (م) و(ع): «فشهدوه».
(٤) في (م) و(ع): «الشقاوة».
(٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «أعطى لهم»، في (م) و(ع): «أعطاهم».
(٨) في (م) و(ع): «فهم».
(٩) في (م) و(ع): «مبعود».
(١٠) في (م) و(ع): «خانه».
(١١) عبارة «فما رحموه»، في (م) و(ع): «فارحموه».
(١٢) في (م) و(ع): «وعظتكم».
(١٣) في الأصل: «الأسرار»، وهي من (م) و(ع).
(١٤) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٥) سورة البقرة، آية ٢٣٥.
(١٦) عبارة «فسبحان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وعنوت للحق عُنُوًّا خضعت، وعنوت لك خضعت لك وأطعتك، وقيل: كل خاضع لحق أو غيره عانٍ. ابن منظور، اللسان، «عنا»، ١٠١/١٥.
(١٧) عبارة «أشهد بها»، في (م) و(ع): «أستعدها».
(١٨) في (م) و(ع): «الأمة».
(١٩) عَزَره عَزْراً وعَزَّره: أعانه وقواه ونصره. ابن منظور، اللسان، «عزر»، ٥٦٢/٤.
(٢٠) في (م) و(ع): «كم».
(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٢) في (م): «المفاليس».
(٢٣) في (م) و(ع): «به».
(٢٤) في (م) و(ع): «وأحلى حلاها».
(٢٥) في (م) و(ع): «الأعمال».

وفاء الدَّين عامل نفسه بالإقلال، واعجبا[1]كم أسلّيك عن[2] الشهوات وأنت تكثر عنها السؤال[3]، فتأمل[4] ما تستحسن من الدنيا تره حقيقة[5] كالخيال، وذُلّ الاكتساب بعد الحساب على ما يُسْمع وما يقال، دع عنك حديث الرباب وزينب وسل عما ينفعك في المآل، ظاهر مزين وباطن مشحون بقبيح الفعال، ما كفى دينار عملك بَهْرَج إلا وكَسْره ظاهر فمن عليك[6] يحتال[7]، العجب والرياء والسمعة والدعوى وحال حرمانك ما حال، واخجلتك بين يدي[8] نقاد الحساب إذا عاينت تلك الأهوال، معشر التائبين هذا مأتم الأحزان هذا مندب الضُّلّال، فبادروا إخواني قبل أن تطلبوا العمل فما[9] تجدوه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾.

قال إبراهيم بن المهلب رحمه الله تعالى[10] [١٣٧ب]: «رأيت في بعض السياحات[11] شاباً ما معه أحد، قد انقطع عن الناس، وهو قائم يصلي، فانتظرته حتى فرغ من صلاته، فقلت[12]: يا فتى، ما[13] معك مؤنس هاهنا؟ قال[14]: بلى. قلت: وأين[15] هو؟ قال: أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي. فعلمت أن عنده معرفة، فقلت[16]: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: وأين[17] هو؟ قال: إيمان صادق وتوكل واثق. فقلت: هل لي في مرافقتك[18]؟ قال[19]: إن الرفيق يشغلني عنه[20]. قلت[21]: أما تستوحش في هذه البرية؟ فقال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة. فقلت: من أين تأكل وما معك طعام[22]؟ فقال: إليك عني يا ضعيف اليقين. فقلت[23]: سألتك بالله تعالى[24] إلا ما[25] أعلمتني. فقال[26]: الذي غذاني في الأحشاء صغيراً تكفَّل برزقي كبيراً. فقلت[27]: على كل حال؟ قال: حد

---

(١) في (م) و(ع): «واعجباه».
(٢) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «التسآل».
(٤) في (م) و(ع): «تأمل».
(٥) في (م) و(ع): «تر حقيقته».
(٦) في (م): «عليه».
(٧) في (م) و(ع): «تحتال».
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «فلا».
(١٠) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.
(١١) في الأصل: «السياحة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «فقلت له».
(١٣) في (م) و(ع): «أما».
(١٤) في (م) و(ع): «فقال».
(١٥) في (م) و(ع): «فأين».
(١٦) في (م) و(ع): «قلت».
(١٧) في (م) و(ع): «فأين».
(١٨) في (م) و(ع): «هل لك في مرافقتي».
(١٩) في (م) و(ع): «فقال».
(٢٠) في (م) و(ع): «عنك».
(٢١) في (م) و(ع): «فقلت».
(٢٢) عبارة «وما معك طعام»، في (م) و(ع): «وما طعامك».
(٢٣) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٤) الكلمة ساقطة في (م).
(٢٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٦) في (م) و(ع): «قال».
(٢٧) في (م) و(ع): «قلت».

معلوم ورزق مقسوم ووقت مفهوم[1]، فإذا ٱحتجت إلى الطعام وجدته في أي وقت شئت[2]».
شعر[3]:

يا بانة الجَرْعاء هل من عَطْفَة ... فتريح[4] قلباً في هواك معذَّباً
يَهْوى حَصى[5] ماء العُذَيب لأنه ... ما زال يَرْشُف[6] منه[7] ثَغْرا أشْنَبا
وتَشُوقُه تلك الرِّياض لأنَّها ... لَبِسَت على الأهْضَاب وَشْياً مُذهبا
وتَنَسَّمَت ريح الوِصال فأطْفَأت ... بالقُرْب ما أذْكى البعاد وألْهبا
ولقد رَماني الوَجْد عن قوس[8] الهوى ... وأصابني[9] ورميْتُه فتنكَّبا
وهربْتُ من نار الهوى وعذابها ... نحو السّلوّ فلم أجد لي مَهْربا [١٣٨أ]
وسَريْت في ليل الشَّباب فلم أصِل ... أدنى نهار الشَّيب إلا مُتْعَبا
وعجِبْت من قلبي وطول ثباته ... كلفاً وكنت عهدتُ قلبي قلّبا
ذهب الزمان وما ظَفِرْت بطائل ... ممَّن أحبُّ فأستلذ المشربا
وإذا تصفَّحْتُ الشبيبة[10] لم أجد ... لي من يذكّرني بأيام الصّبا
فأزددتُ في حبِّ الشقاء لحاجة ... ولربَّما كان الشقاء محبَّبا

[بحر الكامل]

بالله أعِرْني سمعك حتى أحدثك بالحديث[11] الصحيح، إياك وبهرج الرياء فرونقه عند نقاد الحساب قبيح، العمر ضيف لا يتخلف عن إكرامه إلا الشحيح[12]، أيام الشباب[13] روض أنيق وطير قوامه[14] فصيح، وأرض المشيب مجدبة ليس فيها ظل لمستريح، إن[15] فاتتك الأرباح في الشباب فأنت في الكبر على ظهر العجز طريح، سفينة عمرك داخَلَها[16] ماء الضعف وما وافقها من الطاعة ريح، وزاد قواك نفد وماء شبابك فرغ وجواد عزمك[17]

---

(١) في (م) و(ع): «وقت مفهوم ورزق مقسوم».
(٢) في (م) و(ع): «أردته».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.
(٤) في الأصل و(م) و(ع): «تعلّل»، والتصويب من (ب).
(٥) في الأصل: «حي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «يشرب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «منك».
(٨) في (ع): «قوم».
(٩) في (م) و(ع): «فأصابني».
(١٠) في الأصل: «المشيبة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «بالخبر».
(١٢) في (م) و(ع): «شحيح».
(١٣) عبارة «أيام الشباب»، ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «قواه».
(١٥) في (م) و(ع): «فإن».
(١٦) في (م): «دخلها».
(١٧) عبارة «وجواد عزمك»، في الأصل «وعمرك»، وفي (م) و(ع): «وجواد عمرك»، وهي من (ب).

جريح، فبادروا[١] السباحة إلى ساحل التوبة قبل أن يصيح الصائح[٢]، إذا لم تبك عينك على مصابك فما أرى عقلك صحيح، إذا كنت لا تركب مركب التوبة وسباحة[٣] الندم لا تحسن فما[٤] في موزون صلاحك ترجيح، ونجائب النجاة[٥] لا تركب وطريق[٦] العزائم لا توافق[٧] فأنت في منقطع الحرمان بالتصريح، كم لإبليس في وجهك من قبلة يقول فديت الوجه[٨] القبيح، ضيع شبابه في اللعب والكبر بالتسويف[٩] فهو من الأشقياء صحيح، [١٣٨ب] فيا معشر التائبين[١٠] هذا علم التوبة[١١] فاتبعوه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾.

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: «بينما[١٢] أنا أسير في خراب مصر إذا[١٣] أنا بجارية حاسرة عن وجهها، وقد علاها صفار، وغشيها[١٤] أنوار، وعليها من المحبة آثار...» تقدمت هذه الحكاية في الفصل السابع[١٥]. شعر[١٦]:

مزجتَ لأقوام شرابا من الوَصْل	وأسقيتني صرفاً فنِمْت[١٧] عن الكُلّ
ولو شربوا بعض الذي أنا شارب	لأخرجهم ما يشربون عن العقل
سألتك يا ساقي الحُمَيَّا[١٨] ترفُّقا	بهم وأسقني صرفاً فليس هم[١٩] مثلي

---

(١) في (م) و(ع): «فبادر».

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «النصيح»، والصواب ما أثبتناه؛ لأن النصيح هو الناصح، ولا يحمل معنى الموت، والمعنى المراد هنا سارعوا بالمتاب قبل أن يفجأكم صائح الموت فلا ينفع حينئذٍ المتاب. ويقال صيح في آل فلان إذا هلكوا.

(٣) في الأصل: «سباحتك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وما».

(٥) في (م) و(ع): «النجابة».

(٦) في الأصل: «ولا طريق»، والصواب ما أثبتناه، وفي (م) و(ع): «ونوق».

(٧) في (م) و(ع): «ترافق».

(٨) في (م) و(ع): «هذا الوجه».

(٩) في (م) و(ع): «في التسويف».

(١٠) في (م) و(ع): «المذنبين».

(١١) في (م) و(ع): «المتاب».

(١٢) في (م) و(ع): «بينا».

(١٣) في (م) و(ع): «فإذا».

(١٤) في (م) و(ع): «وعلتها».

(١٥) عبارة «تقدمت هذه الحكاية.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقد أعيد ذكرها فيهما بكاملها في هذا الموطن. والقصة تقدّمت في الخطبة الأولى من الفصل السابع.

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فتهت».

(١٨) عبارة «ياساقي الحميا»، في الأصل: «بالساقي الحما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «لهم».

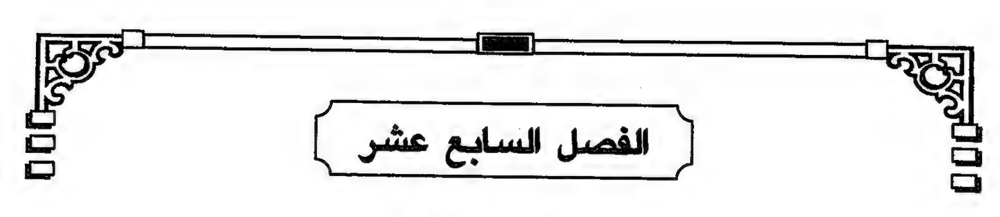
تجلّى لهم لألاؤها[1] في زجاجها فتاهوا بذاك الضوء عن منهج السبل
فها أنا سكران أنادي[2] منادمي[3] فلا شارب بعدي ولا شارب قبلي

[بحر الطويل]

يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أرحمنا بالتائبين إليك في هذه الساعة يا رحيم[4]، تعطف على أيدي أمتدت إليك[5] بالذل والضراعة، أدخلنا في همم أهل الشفاعة، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً[6].



(١) في (م) و(ع): «الألاء ما».
(٢) في (م) و(ع): «أناجي». وناديته: جالسته. ابن منظور، اللسان، «ندى»، ٣١٦/١٥.
(٣) في الأصل: «منادي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) عبارة «يا رحيم» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل السابع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أحصى علمه ما كان وما يكون، أحاط بتفصيل جزئيات أنفاس الخلائق والحركات والسكون، كتب المقادير في [١٣٩أ] الكتاب المكنون[١]، قبض القبضتين فمُنَعَّمون ومعذبون، أخذ العهد على الخلائق[٢] بأنه الرب تعالى[٣] وهم[٤] المربوبون، أجابوه بالتوحيد فمنهم مشاهدون[٥] ومنهم محجوبون، رتب لهم دارين فهم[٦] بمقتضاهما[٧] عاملون، بعث الرسول إليهم[٨] ليميز الخبيث من الطيب مما[٩] يعملون، رتب الحفظة فكتابة أعمالهم يضبطون، يقابلون بكتابهم[١٠] ما في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١١]، قسم أخلاقهم وخلقهم وأرزاقهم وآجالهم[١٢] ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[١٣]، أدار عليهم الأفلاك لتقرّب رحلتهم للمنون، فالنهار لحركاتهم والليل فيه يسكنون، فأهل الطاعة أعمالهم[١٤] نهار وفي الليل يتهجدون، و[١٥]أهل الغفلة أعمالهم ظلمة كم يشاهدون العبر ولا يشهدون[١٦]، جعل[١٧] الدنيا قنطرة عليها يعبرون، اتخذوها منزلاً يبنون ما عنه يرحلون، رتب[١٨] أرزاقهم على أيام حياتهم فليت شعري لماذا يجمعون، ما خلقوا إلا عبيداً[١٩] للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢٠] حظوظ الدنيا بالقسمة وحظوظ الآخرة بالعمل أما تفهمون[٢١]، فيا مضيعين الأعمار في الغفلة على ماذا تتّكِلُون، الموت والحساب والعقاب ما

---

(١) في (م) و(ع): «وأودعها في الكتاب المكنون». والكتاب المكنون قالوا هو اللوح المحفوظ. القرطبي، الجامع، ١٧/ ٢٢٤، بتصرف.

(٢) في (م) و(ع): «الخلق».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وأنهم».

(٥) في (م) و(ع): «مشاهد».

(٦) في (م) و(ع): «وهم».

(٧) في (ع): «بمقتضاها».

(٨) في (م) و(ع): «بعث الرسل».

(٩) في (م) و(ع): «بما».

(١٠) في (م) و(ع): «بكتابتهم».

(١١) قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الجاثية، آية ٢٩.

(١٢) في (م): «وآجالهم وأرزاقهم».

(١٣) قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنين، آية ٦٣.

(١٤) في (م) و(ع): «أعمارهم».

(١٥) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «يعتبرون».

(١٧) في (م) و(ع): «جُعلت».

(١٨) في (م) و(ع): «رُتبت».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٢١) عبارة «حظوظ الدنيا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: أن نعيم الآخرة لا ينال إلا بالجد والاجتهاد=

تعملون[1]! كم أنذركم النذير[2] وأنتم لا تسمعون، كم ناداكم بحمل الزاد السفر[3] بعيد منه[4] لا ترجعون، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا [١٣٩ب] قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[5].

يا هذا كم تتزيا[6] بزي الزهاد والباطن بالدنيا مشغول، لا تصلح المحبة لمن قلبه بالدنيا مشغول[7]، لا تصلح المحبة لمن مال للشمال والشمول[8]، لولا مكابدة المجاهدة لم يرتج القوم[9] إلى الوصول، يا ميت القلب يا من وحل من الشهوات في وحول[10]، إذا لم تكن لك رسالة في رفقة المجتهدين ليت شعري في[11] يوم اللقاء ما تقول، إذا[12] تخلفت عن رفاق السحر فأنت[13] بالحرمان[14] مكبول، ما أجمل خلعة المجاهدة طرازها لوعة ونحول، عامل مولاك بصحة القصد[15] وإياك أن تحول، لا تنقطع عن بابه ولو كان قدر الإقامة يطول، ٱبسط يد الالتجاء إليه وٱعص في هواه العذول، البس بُرْد الندم ودموع الأسف همول[16]، رافق[17] عيس الخائفين فمآلهم إلى الأمان[18] يؤول، ٱندب على ٱنقطاعك عن السابقين يا من بَدْر إقباله في الأفول، أين حظك من قيام المجتهدين يا نائماً عن الحق يا جهول، أين نصيبك[19]

= والعمل الصالح، أما الدنيا فقد قسم الله ﷻ للخلائق فيها أرزاقهم فلن يأخذوا أكثر مما قُسِم لهم ولا أقل.

(١) عبارة «ما تعملون»، في (م) و(ع): «أما تعلمون».

(٢) في (م) و(ع): «المشيب».

(٣) في (م) و(ع): «السفر».

(٤) في (م) و(ع): «عنه».

(٥) سورة الحشر، آية ١٨.

(٦) في (م) و(ع): «تتزين».

(٧) عبارة «لا تصلح.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «إلى الشمال والشمول». والمعنى: لمن وافق أصحاب الشِّمال في أعمالهم؛ وهم أهل النار الذين يأخذون كتبهم بشمالهم يوم القيامة، والذين أسكرهم الباطل كأنهم سُقوا خمراً شَمُولاً شملت عقولهم فأغفلتهم عن الحق وأذهلتهم.

(٩) في الأصل: «القول»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «وحل»، وهي من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «إن».

(١٣) في الأصل: «فإنه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «من الحرمان».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل ٱمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم الحديث (١)، ١/ ٢.

(١٦) في (م) و(ع) زيادة: «رافق ركائب المحزونين واسمع ما أقول».

(١٧) في (م) و(ع): «وافق».

(١٨) في (م) و(ع): «الأمن».

(١٩) في (م) و(ع): «حظك».

من هدايا المستغفرين مالك في ركابهم[١] رسول؟ هيهات من تخلف من[٢] المنقطعين كيف يرجو الوصول، يا مستقبلاً وجه اللذات ٱستدبرت وجه العاقبة ولك عنه عدول، ما ألذ شراب الإخلاص يا مرائي أنت من الرياء في وحول، ما أجمل وجه الصدق و[٣]ما ألذ الوصول[٤] للموصول، فيا معشر المذنبين بادروا المتاب قبل أن يحال بينكم [١٤٠أ] وبين ما تشتهون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

قال ذو النون رحمه الله تعالى[٥]: «حججت سنة إلى بيت الله الحرام[٦] فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد[٧]، فأشرفت على الهلاك[٨]، فلاحت لي أشجار كثيرة فطرحت نفسي في[٩] ظل شجرة، فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون، نحيل الجسم، يؤم المحراب، فركض[١٠] برجله ربوة من الأرض، فظهرت عين تفيض بماء عذب، فشرب وتوضأ، وقام في المحراب، فقمت إلى العين فشربت ماء عذباً، وتوضأت وقمت أصلي بصلاته، حتى برق عمود الصبح، فلما رأى الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطرا، آه خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همه[١١]. فلما رآني[١٢] أراد أن يمضي، ناديته: بالذي منحك لذيذ الرَّغَب[١٣]، وأذهب عنك ملل[١٤] التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة، فإني غريب أريد بيت الله[١٥] الحرام، وقد ضللت. فقال: يا بطال، وهل قطع بوفده دون البلوغ إليه؟ ثم قال: ٱتبعني. فرأيت الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة، وسمعت ضجة، فقال لي[١٦]: هؤلاء قومك». و[١٧]أنشأ يقول[١٨]:

يا صاحبيّ[١٩] أطيلا في مؤانستي ... وناشداني بخلّاني وعشّاقي

---

(١) في (م) و(ع): «ركبهم».
(٢) في (م) و(ع): «مع».
(٣) عبارة «يا مرائي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «الوصال».
(٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٠٧.
(٦) عبارة «إلى بيت الله الحرام» ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «زاد ولا ماء».
(٨) في (م) و(ع): «الهلكة».
(٩) في (م) و(ع): «إلى».
(١٠) الرَّكض الضرب بالرجل والإصابة بها. ابن منظور، اللسان، «ركض»، ٧/ ١٦٠.
(١١) في (م) و(ع): «همه».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الرَّغَب: الضراعة والمسألة. ابن منظور، اللسان، «رغب»، ١/ ٤٢٢.
(١٤) في (م) و(ع): «ملال».
(١٥) في (م) و(ع): «أريد البيت».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «ثم».
(١٨) تقدمت الأبيات في الخطبة الثانية من الفصل الثامن.
(١٩) في (م) و(ع): «صاحباي».

وحدثاني حديث الخيف إنَّ به | روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقي [١٤٠ب]
ما ضرّ ريح الصَّبا لو ناسَمَت حُرَقي | فأستَنْقَذت مُهْجَتي من أسر أشواقي
داء تقادَم عندي من يُعالجه | وحيّة لدغتْ قلبي من الرّاقي
يمضي الزمان وآمالي[1] مُضيَّعة | مع مَن أحبّ على مَطل وإمْلاق
يا ضَيْعَة العمر لا الماضي أنتفعتُ به | ولا حصلتُ على شيء[2] من الباقي

[بحر البسيط]

إلهي ما حيلة من خرجت حوالته[3] على الشقا، ما حيلة ممتحن غدا باب الصبر عنه ضيّقا، ما حيلة من حيل بينه وبين المطلوب وأُعطي قلباً ضَيقا[4]، تهيج أحزانه على أحزانه[5] فيندب أيام سلع والنقا، ضيع رأس مال العمر[6] في الغفلة وفي اللهو أنفقا، أسرته الشهوات لم يبق من رقّها مُعْتِقا، طال هجرانه في بلاد البعاد تُراه يرى مُطْلقا، لازم[7] الحرمان إلى المشيب بعد أن كان غصناً مُورِقا، لا متاب ولا خشية ولا ندم ولا تقى[8]، أستباح المشيب خير[9] شبابه فأصبح بالكبر موثقاً، فركب[10] به داء التفريط فلازمته علل[11] الشقا، شغل بالأسباب عن محبوبه ومن شغل بغيره ما وفّقا، حسنات المبعود تُرَد[12] وليس له إلى الصعود[13] مرتقى، كلما أراد فتح باب الرضى وإذا به في وجهه مغلقاً، شهر أسمه بالمبعود وعم الوجود وطبّقا، كلما طلب الانفلات من قفص الشهوات عوّض عنه مكاناً ضيقاً، نصيبه من القضاء قد حل[14] وسهم القدر[15] رماه فأرشقا، أنت تعلم من الرامي وكيف رمى[16] مُحْدِقاً[17]، ما أضيق الدنيا على المهجور [١٤١أ] مغربها والمشرقا، هكذا جرى القدر ومهما[18] هجر المستهام تشوقاً،

---

(١) في (م) و(ع): «وأيامي».
(٢) في (م) و(ع): «علم».
(٣) أحال الغريم: زجّاه عنه إلى غريم آخر، والاسم الحَوالة. ويقال للرجل إذا تحوّل من مكان إلى مكان أو تحوّل على رجل بدراهم: حال. ابن منظور، اللسان، «حول»، ١١/ ١٩٠.
(٤) في (م) و(ع): «شيقا». والضَّيْق: الشك في القلب. الفيروزآبادي، القاموس، «ضيق»، ص١١٦٥.
(٥) في (م) و(ع): «إخوانه».
(٦) في (م) و(ع): «الشباب».
(٧) في (م) و(ع): «لازمه».
(٨) في الأصل: «تلقا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «مي».
(١٠) في (م) و(ع): «فرط».
(١١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «ذنوب». والمعنى: حسنات الكافر ترد عليه يوم القيامة، ولا أجر له فيها في الآخرة، وإنما يؤجر عليها في الدنيا.
(١٣) في (م) و(ع): «الوصول».
(١٤) في (م) و(ع): «قل».
(١٥) في (م) و(ع): «القضاء قد».
(١٦) في (م) و(ع): «أحاط».
(١٧) حدق به الشيء وأحدق: استدار. وكل شيء استدار بشيء وأحاط به فقد أحدق به. ابن منظور، اللسان، «حدق»، ١٠/ ٣٨.
(١٨) في (م) و(ع): «جرى المقدور مهما».

يا أخي رافق البكائين في سفر التوبة عساك تدرك يوم الملتقى، تزوّد التقوى لِتَقْوى على الجادة ويذهب الشقا، فإن ضعفت في صحراء السلوك ناد في أعقاب الركب ٱرحموا ضعيفاً منقطعاً بَقَى، عسى عطفة هِمَّة وربما سأل الأسير المطْلَقا، فهم الذين لا يشقى جليسهم[1] يكاد عنبر[2] هممهم أن يَعْبَقا، لو شممت عاطر أنفاسهم علمت أن بيت قلوبهم بالرضى مُخلّقا[3]، إن تعلقت بأذيالهم نمّ[4] عليك مِسك نُسْكهم فعدت روضاً مُوَنَّقا، ما كل من سافر وصل ولا كل داء يداوى بالرُّقَى، ما كل من قال يدرك الصواب وإن أكثر الكلام ولَفَّقا[5]، الزاد قبل الطريق ما أظلم السفر في ليل الغفلة وأَغْسَقا[6]، ضحكت لضحك المشيب أظننت[7] أنك مُخلًّى ومُطْلَقاً، لو جرت مدامعك عقيقاً وجدته في طرس[8] الخدود نِيقَا[9]، أين أيام الشباب يكاد[10] من حسنها أن تُعْشَقا، ذهب أطيبها[11] في الغفلة ولم أجد لزهرها[12] رونقا، واحسرتي على الشباب واحزني على المشيب أصبحت بِغُلِّ الكبر مطوّقا، من أحق منك بإرسال

---

(١) في (م) و(ع): «رفيقهم». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم. قال: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبِّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجِّدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا ـ والله ـ يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فممَّ يتعوَّذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا ـ والله ـ ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها! قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أنِّي قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». البخاري، الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، رقم الحديث (٩٩)، ٨/ ١٥٥.

(٢) في (م) و(ع): «عبير».

(٣) تخلَّق وخَلَّقْتُه: طليته بالخَلُوق. والخَلُوق: ضرب من الطيب. ابن منظور، اللسان، «خلق»، ١٠/ ٩١.

(٤) نمّ الشيء: سطعت رائحته. ابن منظور، اللسان، «نمم»، ١٢/ ٥٩٢.

(٥) عبارة «أكثر.. إلخ»، في (م) و(ع): «كثّر الكلام وأنقا».

(٦) غَسق الليل يَغسِق غَسْقاً: أظلم. وغَسَقُ الليل: ظلمته. ابن منظور، اللسان، «غسق»، ١٠/ ٢٨٨.

(٧) في (م) و(ع): «ظننت».

(٨) الطِّرْس: الصحيفة. ابن منظور، اللسان، «طرس»، ٦/ ١٢١.

(٩) النيق لغة في آنقني إيناقاً ونيقا إذا أعجبني. ابن دريد، جمهرة اللغة، «قني»، ٣/ ١٦٨.

(١٠) عبارة «أين أيام الشباب يكاد»، في (م) و(ع): «ابن آدم تكاد».

(١١) في (م) و(ع): «أطايبها».

(١٢) في (م) و(ع): «لزهرتها».

المدامع عسى لسان اعترافك أن يصدقا، إذا لم تجر مدامعك[1] على مصابك فلاحيَّ الغرام ولا سقى، ليت شعري لأي يوم تدخر بضائع التوبة[2] وكاد باب العمران[3] يغلقا[4]، فيا[5] معشر المجاهدين حثوا عيس المجاهدة والأنيُقا، بادروا باب الحبيب [١٤١ب] قبل حلول المنون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

قال أبو بكر الكتاني رحمه الله تعالى[6]: «قبل[7] كان رجل يحاسب نفسه، فحسب يوماً سنينه ووجدها ستين سنة، فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة[8] يوم، فصرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال: يا ويلاه، أنا آتي ربي ﷻ[9] بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة[10] ذنب، يقول: هذا من له في كل يوم[11] ذنب واحد فكيف لي بذنوب كثيرة، ثم قال: آه عَمَرت دنياي وخرَّبت أخراي وعصيت مولاي فأنا لا أشتهي النقلة[12] إلى دار العتاب والحساب[13] والعقاب ولا عمل يرجى[14] له ثواب، ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه، فحركته[15] فإذا هوميت رحمة الله عليه[16]». شعر[17]:

من عذيري يوم جدُّوا[18] للحِمَى	من هوًى جدّ بقلبي بَرَحا[19]
نظرة كانت[20] فعادَتْ حَسْرَة	قَتَل الرَّامي بها من جَرَحا
سَلْ طريق العِيس عن[21] وادي الغَضَا	فعسى الأحباب جازوا رُوَّحا

(1) في (م) و(ع): «دموعك».
(2) في (م) و(ع): «الدموع».
(3) في (م) و(ع): «الغفران».
(4) في (م): «أن يغلقا».
(5) في (م) و(ع): «يا».
(6) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٧. وأبو بكر هو محمد بن علي بن جعفر الكتّاني، أبو بكر، بغدادي الأصل، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات. كان أحد الأئمة، وسراج الحرم. توفي سنة ٣٢٢هـ ـ ٩٣٣م. أبو عبد الرحمٰن السلمي، طبقات الصوفية، ص٣٧٣. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٠/٣٥٧.
(7) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(8) في (ع): «وستمائة».
(9) عبارة «عز وجل» ساقطة من (م) و(ع).
(10) في (ع): «وستمائة».
(11) عبارة «في كل يوم»، في (م) و(ع): «في اليوم».
(12) في (م) و(ع) زيادة: «من العمران إلى الخراب فكيف أشتهي النقلة».
(13) في (م) و(ع): «دار الحساب والكتاب».
(14) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(15) في (م) و(ع): «فحرك».
(16) عبارة «رحمة الله عليه»، في (م): «رحمه الله تعالى»، وفي (ع): «رحمه الله».
(17) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.
(18) في (م) و(ع): «شرقيّ».
(19) في (م) و(ع): «مرحا».
(20) في (م) و(ع): «عادت».
(21) في (م) و(ع): «من».

وسل[1] الورَّاد ما العهد بهم تركوا نجدا وحلُّوا الأبطحا
يانسيم الرِّيح من كاظمة أنت هيَّجْت الهوى[2] والبرحا
الصَّبا إن كان لا بدّ الصّبا إنّها كانت لقلبي أرْوَحا
يا ندامايَ بسَلْع[3] هل أرى ذلك المَغْبَق والمُصْطَبَحا [١٤٢أ]
اذكرونا ذكّرونا عهدكم رُبَّ ذكرى قرَّبت[4] مَن نَزَحا
اذكروا[5] صبًّا إذا غنَّى بكم شرب الدمع وعَاف القَدَحا
قد شربْتُ الدَّمع فيكم مُكْرها وتبعتُ السَّقم فيكم مُسْمِحا[6]
وعَرَفْتُ الهَمَّ من بعدكم فكأنِّي ما عرفت الفَرَحا

[بحر الرمل]

[الخطبة الثانية]

الحمد الله الذي تفرد بقدرته في صناعة التكوين، أظهر من كُنْ كُنَّ[7] صور الموجودات بلا معين، ألف بين الأرواح والأشباح سر خفي عن إدراك المدركين، تجلى بأسمائه في أفعاله فظهر لبصائر[8] العارفين، ظهر فلا يحويه[9] مكان ولا زمان ولا حين، بطن فلا تدركه عقول العقلاء ولا نواظر الناظرين، علا فلا نهاية لعلوه منزهاً عن أفكار المتفكرين، دنا دنوّاً إلى سمائه بلا[10] ملاصقة ولا تحديد ولا تعيين، ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[11] منزهاً عن التمكين[12]، فاليوم[13] نهاية حدود الزمان فهو صرف المصروفين[14]، تقرب إلى أحبابه في نفس النفس بلا حلول في كون ولا تكوين، وتباعد عن أعدائه بلا مسافة فهذا[15] هو الحق المبين، عز فقهر وتلطف فغفر ذنوب المذنبين، نعَّم أحبابه بحبه فلقلوبهم إليه شوق وحنين، أطلع على

---

(١) في (م) و(ع): «أوسَل». (٢) في (م) و(ع): «الجوى».
(٣) في الأصل: «في سلع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «قرب»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «وارحموا».
(٦) في الأصل و(م) و(ع): «سمحاً»، والصواب ما أثبتناه وذلك تبعاً لما جاء في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.
(٧) عبارة «كن كن» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٨) في الأصل: «البصر»، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «يحجبه». (١٠) في (م) و(ع): «ولا».
(١١) قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرحمٰن، آية ٢٩. والمعنى: من شأنه سبحانه أن يحيي ويميت، ويُعز ويذل، ويشفي مريضاً، ويعطي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. ابن الجوزي، زاد المسير، ٨/ ١١٤.
(١٢) في (م) و(ع): «التلوين».
(١٣) في (م) و(ع): «اليوم». والمراد به يوم القيامة حيث لا حدود زمانية فيه.
(١٤) الصرف: التوبة. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ٩/ ١٩٠. والمراد أن يوم القيامة هو صَرْفٌ لمن يعلن توبته عن التوبة؛ أي لا يقبل منهم توبة.
(١٥) في (م): «هذا».

قلوبهم فلم[1] ير فيها غيره فأصطفاهم مع المصطفين، لم يصلحوا إلا له أجتباهم بعنايته في أول التكوين، بسط لهم بساط الرحمة يوم نزولهم منزل الرحمة[2] فيالهم من مرحومين، [١٤٢ب] نقش في طينة وجودهم أسطار التوفيق وفيها رطوبة[3] قلبت الكتابة إلى الجبين[4]، خلص من نفوسهم نصيب الشيطان[5] وأسكنهم[6] في ديوان عليين، أقامهم وأنام غيرهم ودفن في قلوبهم حبه فهو دفين، ضن بهم عن الأكوان فأهلاً بهم من مضنون[7] ومن ضنين، سبقت لهم سابق[8] العناية بلا سبب فهم أهل اليمين، وأبعد المحروم بلا علة فهو بدين الحرمان يدين، شغله بالشهوات أيام عمره وأعماه عن الحق وهو مبين، كلما رام قرباً أبعد فهو عن الدار ظعين، أطال نوم الغفلة على فراش التسويف فلا ناصر له ولا معين، ما حيلة الغريق المكتوف من ذا يساعده من ذا يعين، ما ينفع الأسف إذا أسكرته[9] السكرات وعرق الجبين، ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[10].

يا أخي إذا أذهبت[11] أيام الشباب في الغفلة من يعيدها، إذا عششت الشهوة في وكر القلب فالحرمان عميدها[12]، إذا خرج توقيع[13] العناية لشخص قُدِّم له من خلع التقوى

---

(١) في (م) و(ع): «لم». والمراد هنا الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه لرسالته.

(٢) في (م) و(ع): «الكرامة». والمراد رحمة الله تعالى لعباده الصالحين يوم القيامة بإدخالهم الجنة، إذ لا يدخل أحد الجنة بعمله وإنما برحمة الله، وذلك تبعاً لما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدّدوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٨١٦/٧٦)، ٤/ ٢١٧٠.

(٣) أي رحمة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٤) أي انعكس ما كتب لهم من التوفيق للأعمال الصالحة والخيِّرة على جبينهم نوراً مشرقاً، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩].

(٥) قوله هذا إشارة إلى ما حصل للرسول ﷺ وهو طفل، فقد أخرج مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه عَلَقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْت من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يَسْعَون إلى أمِّه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المِخْيَط في صدره. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم الحديث (٢٦١/ ١٦٢)، ١/ ١٤٧.

(٦) في (م) و(ع): «وأثبتهم».

(٧) في (م) و(ع): «مضنونين».

(٨) في (م) و(ع): «سوابق».

(٩) في (م) و(ع): «أسكرت».

(١٠) سورة الأنبياء، آية ٩٧.

(١١) عبارة «إذا أذهبت»، في (م) و(ع): «ذهبت».

(١٢) عميد الأمر: قوامه. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣/ ٣٠٥.

(١٣) عبارة «إذا خرج توقيع»، في الأصل: «إذا خرق توفيق»، والتصويب من (م) و(ع).

جديدها، يسر له المطلوب في بابه[1] وشوارد المعارف[2] يصيدها، ما ألذ عيش العارف دعوى صِدْقه مُزكّى شهودها، والمرائي في تردد الحيرة نار حنينه بطيء خمودها، و[3]التائب يندب أيام الغفلة ويبكي عهودها، العابد يذلل شارد النفوس ويقودها، والخائف يردد ذكر آيات [١٤٣أ] الحبيب ويعيدها، والمحب كلما بدت له لوعة[4] يستزيدها، والعاشق دائم الحزن تمر به ذكر أحوال البعاد وصدودها، والخائف بعيد عن الأوطان ذللت له الخلوة ولان شديدها[5]، والمجتهد[6] غرس رياض الدجى بأشجار[7] التلاوة فٱخضر بالتهجد عودها، والمريد مغمى عليه يخرب[8] من أيام الغفلة عودها[9] وعديدها، والمراد قطب الكون لولاه لزال عمودها، والعارف تزاحم[10] عليه المعارف سعدها وسعيدها، والمحروم عليه من الشقاوة أغلالها وقيودها، ليت شعري هل فرغت أيام هجرك أم يطول صدودها، آمدد يد المعاملة[11] على الصلح عسى يعود من أيام الوصال[12] شرودها، جنب عيس الأمل[13] وِرْد ماء[14] الشهوات عسى يكون من ماء الأوراد ورودها، يا أخي هذا مأتم الأحزان ونار المعارف[15] شب وقودها، إلى أي يوم تسوف بالتوبة وأيام المشيب هجمت جنودها، هذا متقاضي المشيب جد في الطلب فٱنتبهوا معشر[16] الغافلين، ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

محمد بن الحسن البصري[17] رحمه الله تعالى قال[18]: «سمعت ذا النون المصري رحمه الله تعالى[19] يقول: بينما[20] أسير في تيه بني إسرائيل إذ[21] أنا بجارية سوداء قد ٱستلبها[22] [١٤٣ب] الوله من حب الرحمٰن تعالى[23] شاخصة ببصرها إلى[24] السماء. فقلت: السلام عليك يا أختاه. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت لها: من أين عرفتيني يا جارية؟

---

(١) عبارة «يسر.. إلخ» في الأصل: «ليس له في المطلوب بابه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «المعاصي»، وهو تصحيف.
(٣) عبارة «والمرائي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «من لوعة».
(٥) في (م) و(ع): «شرودها».
(٦) في (م) و(ع): «والمتهجد».
(٧) في الأصل: «بإشارة»، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «والمريد معمار».
(٩) في (م) و(ع): «عدتها».
(١٠) في (م) و(ع): «تتزاحم».
(١١) في (م) و(ع): «المعاهدة».
(١٢) في (م) و(ع): «الوصل».
(١٣) في (م) و(ع): «النفس».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «المواعظ».
(١٦) في (م) و(ع): «معاشر».
(١٧) في (م) و(ع): «محمد بن محمد المصري».
(١٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٣٠.
(١٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «بينا».
(٢١) في (م) و(ع): «إذا».
(٢٢) في (ع): «أسلبها».
(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «نحو».

فقالت[1]: يا بطال إن الله ﷻ[2] خلق الأرواح قبل أن يخلق[3] الأجساد بألفي عام[4]، ثم أدارها تعالى[5] حول العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحي روحك في الملكوت[6] في ذلك الجولان. فقلت[7]: إني أراك حكيمة فعلميني[8] شيئاً مما علمك الله تعالى[9]. فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب[10] كل ما كان لغير الله ﷻ[11] ويبقى القلب مصفًى ليس فيه غير الرب تعالى[12]، فعند ذلك يقيمك على الباب، ويوليك ولاية جديدة، ويأمر لك الأكوان[13] بالطاعة. فقلت: يا أختاه زيديني. فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك، وأطع[14] الله تعالى[15] إذا خلوت يجيبك إذا دعوت». شعر[16]:

فـي شـغـلٍ عـن الـرّقـاد شـاغـل[17]	مَـن هَـاجـه الـبـرق بـسَـفـح بـابـل
يـا صـاحـبـي هـذي ريـاح رَبْـعـهـم[18]	قـد عـطَّـرت شـمـائـل الـشـمـائـل
مـا لـلـصَّـبـا مُـولـعـة بـذي الـصِّـبـا	أوَصَـبـا[19] فـوق الـغـرام الـقـاتـل[20]
مـا لـلـهـوى الـعُـذْريّ فـي بـلادنـا	أيـن الـعُـذَيـب مـن قـصـور بـابـل
لا تـطـلـبـوا بـثـأرِنـا[21] يـا قـومـنـا	دِمـاؤنـا فـي أذرع[22] الـرَّواحـل [144أ]

(1) في (م) و(ع): «قالت».

(2) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(3) عبارة «أن يخلق» ساقطة في (م) و(ع).

(4) عبارة «إن الله عز وجل.. إلخ»، إشارة إلى حديث موضوع وهو «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وجعلها تحت العرش..» وقد روى هذا الحديث عبد الله بن أيوب بن أبي علاج، وهو متهم بالوضع كذاب، غير ثقة، لا تحل الرواية عنه. ابن حجر، لسان الميزان، 3/ 261.

(5) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(6) عبارة «في الملكوت» ساقطة في (م) و(ع).

(7) في (م) و(ع): «قلت».

(8) في (م) و(ع): «إني لأراك حكيمة عليمة علميني».

(9) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(10) في الأصل: «يلدوق»، والتصويب من (م) و(ع).

(11) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(12) الكلمة ساقطة في (ع).

(13) في (م) و(ع): «الخُزان».

(14) في الأصل: «واطلع»، والتصويب من (م) و(ع).

(15) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(16) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لابن الجوزي، انظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، 1/ 423.

(17) في الأصل: «شغيل»، والتصويب من (م) و(ع).

(18) عبارة «يا صاحبي.. إلخ»، في (م) و(ع): «هذي رياح ربعهم بعرفها».

(19) في الأصل: «أو لصبا»، والتصويب من (م) و(ع).

(20) في الأصل: «القتيل»، والتصويب من (م) و(ع).

(21) في الأصل: «الثرى لنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(22) في الأصل: «رحل»، والتصويب من (م) و(ع).

لله دَرّ العيش في أظلالهم[1] ولّى وأبقى السقم في مفاصلي
واطَربَي إذا ذكرت أرضهم هذا وفيها أُدميت[2] مقاتلي
يا نظرة الشّيح سقيت أدمعي إذا أمالَكِ الهوى تمايلي
مَيْلك عن زهوٍ وميلي عن أسى ما طَرَبُ المخمور مثل الثّاكل

[بحر الرجز]

يا أخي لا ظلام أظلم من الغفلة لمن يعي، ولا عمى[3] أشد من عمى القلب وشمسه لم تطلع[4]، ولا خذلان أخذل من التسويف في كل مصرع، إن خالف علمه عمله ياله من سقيم موجع[5]، من اقتصر على[6] المطعم والمشرب سلَّم على صلاحه سلام مودع، ما أشبهه بالأنعام في مربع ومرتع[7]، اندب ويحك أيام الشباب التي[8] مضت لا[9] ترجع، ابك على نفسك ما ينفعك البكاء على الطلول[10] البلقع، يا تائها في تيه المعاصي متى تكون عن الذنوب مقلع[11]، يا غافلا عن المقصود تذكر ضيق ثلاثة أذرع، اعزم على سفر التوبة وقدم زاد الأدمع، سرت قوافل الصالحين فبادر مبادرة من دُعي، يا غارساً عروق[12] التسويف في أرض الكسل تجني ما جنى[13] كسرى وتبَّع، ما من الشباب عِوَض[14] فانعه واعلم مقدار من نُعي[15]، أيام الشباب كلها تعلل فدع حديث المدَّعي، ما ينفع المهجور ذكر العذيب ولعلع، أما تعتبرون بالراحلين عن الحمى[16] والأجرع، كانوا كالسلك المنظوم و[17]أنزلهم الحِمام في مضجع، خلا الربع من أوانسه ومن ذلك[18] الجمال المصنع[19]، يا أعمى البصيرة نح على قلب [١٤٤ب] خراب من التقى[20] بلقع، من فرح بحاصل الدنيا رُدَّ[21] يوم القبر ولا لعوده[22] مرجع، هذه رفاق التائبين فأوقد نار الحسرات في الأضلع، يا مسجوناً في سجن الجرائم نادِ

---

(١) في (م) و(ع): «لله در العيس في أطلالهم».
(٢) في (م) و(ع): «رميت».
(٣) في الأصل: «أعمى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «يطلع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في الأصل: «موضع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «في مرتع ومربع».
(٨) في (م) و(ع): «فالتي».
(٩) في (م) و(ع): «لم».
(١٠) في (م) و(ع): «الطلل».
(١١) في (م) و(ع): «بمقلع».
(١٢) في (م) و(ع): «غروس».
(١٣) عبارة «ما جنى»، في (م) و(ع): «كجني».
(١٤) عبارة «ما من الشباب عوض»، في الأصل: «ما كان الشباب»، والتصويب من(م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «ذاك».
(١٩) في (م) و(ع): «الممتع».
(٢٠) عبارة «من التقى» ساقطة من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «رده».
(٢٢) في (م) و(ع): «لعودة».

يا ديار[1] هل لفرقتي من تجمع، كم ترائي كم تخادع رضيت من الأسماء بالتصنع[2]، مالك في دستور الصالحين[3] اسم عجباً لفؤادك لم يتصدع، نمت عن رفاق تتجافى فمُزِّق[4] شملك بعد التجمع، لا أسف ولا ندم ولا أعذار[5] ولا بكاء المتوجع، ستعلم إذا شخص البصر بمن نَعى[6] ومَن نُعِي، تنقل من لين الفراش إلى قبر مهول مفزع، تسأل عما قدمت وأخرت وعقلك يسمع ويعي، فيا ليت شعري بما سبق لك الكتاب إما بضيق أو توسع، قدِمت على ما قدَّمت لم يبق لك[7] موضع للتّرجع[8]، فبادر يا أخي التوبة ورقع ثوب العمر[9] قبل التودع، ما عند المنعم خبر من المعذب ولا الصحيح من الموجع، واحسرتي على أيام الشباب ليت شعري هل لها من رجع، هذا مأتم المذنبين فبادروا قبل أن يعرق الجبين، ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

عن الحسن بن جعفر[10] رحمه الله تعالى أنه سمع أباه يقول[11]: «مررت بدار فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول: يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها، وكيف[12] أدعوك بالذنوب ولا عمل أرضاه، يا رب هب لي من حلمك ما تكفيني به وينجيني[13] من عذابك. قال: فوقفت عليها فوعظتها وقلت لها: هل لك من[14] ولد؟ قالت: لا. قلت: [١٤٥] و[15]من معك في دارك؟ قالت: سبحان الله معي من أناجيه فهل علي وحشة معه وهو أنسي[16]. قال: فأبكتني. قلت لها: ما معاشك؟ قالت: دع عنك ما لا تحتاج[17] إليه، بلغت هذا المبلغ[18] فما أحوجني إليك ولا إلى غيرك، أما تقرأ القرآن: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[19]. فقلت: آئذني لي في زيارتك. قالت[20]: أعزم عليك إن فعلت وذكرت لي اسماً، ثم غلقت[21] الباب في وجهي». شعر[22]:

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «بالمتصنع».
(٣) في (م) و(ع): «الصائمين».
(٤) في (م) و(ع): «فرّق».
(٥) في (م) و(ع): «اعتذار».
(٦) في (م) و(ع): «من يعي».
(٧) في الأصل: «فيك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «للتفجع».
(٩) في (م) و(ع): «التوبة من».
(١٠) في (م) و(ع): «أبي الحسن بن جعفر».
(١١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة ٤/ ٤٣٩.
(١٢) في (م) و(ع): «فكيف».
(١٣) في (م) و(ع): «وتنجيني».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «أنيسي».
(١٧) في الأصل: «دع عنا ما لا نحتاج»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «من السن».
(١٩) سورة الشعراء، آية ٧٩ ـ ٨٠.
(٢٠) في (م) و(ع): «فقالت».
(٢١) عبارة «وذكرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «أو ذكرت إلي اسماً ثم أغلقت».
(٢٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لأعرابي مكفوف، انظر الحلية لأبي نعيم الأصبهاني، ١٠/ ١١٢.

أنت من[1] موضع البعيد[2] قريبُ — من منيبٍ[3] إلى الوصال يؤوب[4]
تَسْمَع الصوتَ حيث[5] لا يُسْمَع الصو — ت ومن حيثما[6] دعاك تجيب
ليس إلا بك النُّفوس[7] تَطيب — يا شفاء السّقام أنت الطَّبيب[8]
بك يَدْنو البعيد من كلِّ أمر — بك يَنْأى عن الذنوب القريب[9]
كلّ وَصْلٍ خلاف وَصْلك زور — كلُّ حبٍّ خلاف حبِّك حُوب[10]

[بحر الخفيف]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي فتح بصائر العارفين فزهدوا في الدنيا لما علموا أن البقاء فيها قليل، دل عقولهم عليه بعنايته فأهلاً به من مدلول ومن[11] دليل، وأعمى بصيرة الغافل فليس له إلى الوصول سبيل، عطر محاريب الدجى بأنفاس المجتهدين فلهم[12] في روضات السحر ألذ مقيل، و[13]وسم سمات المحبين بالولاية[14] فسكرهم دائم[15] الغدو والأصيل، سقى أرواحهم شراباً مختوماً للعارف صِرْف[16] وللمحب فيه مزج قليل، هذا أسكره الشراب وهذا أذهله جمال الساقي الجميل[17]، فطينة الوجود معجونة [١٤٥ب] بحبه فهذا مطلوب عزيز وهذا طالب ذليل[18]، فقوم هداهم لقربه[19] وقوم حيَّرهم[20] بالقال والقيل، وإن[21] جال فكر بين صفَّي القضاء والقدر فما أسرعه من قتيل، وإن سلك على ساحل التسليم بلغ منزل السلامة في الزمان[22] القليل، فيا صحيح البدن وقلبه بالغفلة عليل، إن[23] لم تجر غيث المدامع فمتى تبلّ الغليل، ويحك كم ترافق رفيق الغفلة بئس والله الدليل، أما أنذرك المشيب بالموت أما أنذرك

---

(١) في (م) و(ع): «في».
(٢) في (م) و(ع): «البعد».
(٣) في الأصل: «منية»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «قريب».
(٥) في (ع): «حين».
(٦) في الأصل: «حيث»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «القلوب».
(٨) في (ع): «الحبيب».
(٩) البيت ورد في (م) و(ع) آخرا.
(١٠) الحُوب: الحزن. ابن منظور، اللسان، «حوب»، ١/٣٣٨.
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «ولهم».
(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الوَلْي: القرب والدنو، وتولّاه: اتخذه ولياً، وإنه لَبيِّن التولي والولاء والولاية. ابن منظور، اللسان، «ولي»، ١٥/٤١١.
(١٥) في (م) و(ع): «دائم في».
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «جمال الباقي الجليل».
(١٨) المطلوب هو الله سبحانه، عز شأنه، وجل جلاله، والطالب هو العبد الفقير المبتغي رضاه ورحمته.
(١٩) في (م) و(ع): «بقربه».
(٢٠) في (م) و(ع): «حيرهم فيه».
(٢١) في (م) و(ع): «فإن».
(٢٢) في (م) و(ع): «الزمن».
(٢٣) في (م) و(ع): «إذا».

الكبر بالرحيل، أما يبلي[1] الجديدان جدَّتك[2] أما يورثانك[3] الحزن الطويل، فيا معشر المختلفين[4] عن رفاق التائبين أين البكاء وأين العويل، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[5]، فسبحان من بطن مع[6] شدة ظهوره فحير[7] فيه المدل والدليل، أحمده تعالى[8] حمد عبد[9] عاجز عن بلوغ حمده فبصره عن إدراكه كليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها[10] ليوم لا ينفع فيه مال ولا خليل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأتم حكمة وأكمل تنزيل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أستعدها ليوم الرحيل.

يا أخي لا يبيع الباقي بالفاني إلا من هو في بيعه[11] خاسر، إياك والأنس بما عنه ترحل[12] فتبقى كالحائر، رافق من يؤنسك إذا آستوحشت في المقابر، رفيق التقوى رفيق ورفيق المعاصي غادر، مهر الآخرة يسير: قلب مخلص[13] ولسان ذاكر، ومهر الدنيا ذبح الشهوات بالخناجر في المحاجر[14]، ربحها خسر ولينها [١٤٦أ] شوك في لمس الحساب لا يغادر، إذا شبت ولم تتب[15] ولم تنته عن الشهوات فآعلم أنك صائر[16]، فديت أهل التهجد لسان تالٍ وجفن ساهر، ضَمَّروا[17] رواحل أبدانهم بالخدمة وغضُّوا عن النظر إلى الدنيا النواظر، كم لهم على باب «تتجافى» من تملق ودمع قاطر، إذا تنسَّموا نسيم السحر أغناهم عن نسيم العذيب وحاجر، غصت بهم رواشن[18] الاستغفار بالعشي والبواكر، عمروا منازل

---

(١) في الأصل: «تبلي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (ع): «حَدَثك». ورجل حدث أي شاب ابن منظور، اللسان، «حدث»، ١٣١/٢.

(٣) في (م) و(ع): «يؤثرا بك».

(٤) في (م) و(ع): «المخلفين».

(٥) سورة التوبة، آية ٣٨. والآية في (م) و(ع): «﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾»، وقد وردت على هذه الصورة في الموضعين التاليين من هذه الخطبة.

(٦) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «وحير».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «أدخرها».

(١١) عبارة «من هو في بيعه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «ترحل عنه».

(١٣) في الأصل: «تخلص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «الحناجر».

(١٥) عبارة «ولم تتب» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «فاعلم أين أنت سائر». والمعنى: اعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جنيت وما قدمت من أعمال.

(١٧) في (م) و(ع): «أنضوا». ونضا الفرسُ الخيلَ سبقها وتقدَّمها وانسلخ منها. ابن منظور، اللسان، «نضا»، ٣٣٠/١٥.

(١٨) في الأصل: «رواشق»، والتصويب من (م) و(ع). والروشن: الرفرف، والرفرف: البساط. ابن منظور، اللسان، «رفف»، ١٢٦/٩.

الخدمة ومنزل الغفلة خراب بلاقع[1] داثر، كم لهم[2] إلى دير المحبة من موارد ومصادر، نبّهوا[3] راهب الشوق ليكون لهم ساهر[4]، طلبوا منه[5] شراباً عتيقاً جل عن معاصرة المعاصر[6]، فتح لهم دنان[7] التوبة[8] فأنفض منه رحيق تحقيق[9] له شعاع يملأ[10] البصائر، أدار عليهم أقداح[11] الوجد فحنوا إلى المزيد حنين الذاكر، خامرهم سكر التوبة فوالههم[12] غائب حاضر، آستزادوا من هذا الشراب الطيب الطاهر، بذلوا فيه النفوس والأوطان والأموال[13] والغائب والحاضر، أطربهم تلحين أهل دين[14] المحبة فتواجدوا تواجد كابر عن كابر، محبوبهم ساقيهم ومجلس أنسهم منَضَّد بأنواع الأزاهر، ملوك في وقت السكر عبيد في وقت السحر[15] فهم بين غائب وحاضر، شربة من هذا المدام رخيصة ببذل الكون والأوائل والأواخر، لا يتركه إلا سفيه ليس لتيه شقائه من آخر، آقْبَل نصحي وبادر قبل فتح باب الجنة[16] وباكر، يغنيك عن كل مطعوم ومشروب وعن كل نسيم [١٤٦ب] عاطر، منها شرب آدم وناح عليها نوح ونشر زكريا بالمناشر[17]، وعرض الخليل على النار فما أحس ما هو إليه صائر[18]،

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وبلاقع جمع بلقع، وإنما قالها بصيغة الجمع لأنه عنى بالمنزل المنازل؛ أي منازل الغفلة.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «تسهوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «مسامر».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «جل.. إلخ»، في (م): «من معاصرة العاصر»، وفي (ع): «معاصرة العاصر».

(٧) في الأصل: «دنانير»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «التوله».

(٩) في (م) و(ع): «التحقيق».

(١٠) في الأصل: «على»، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بأقداح».

(١٢) في (م) و(ع): «سكر التوله فواطنهم».

(١٣) كلمة «والأموال» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «دير».

(١٥) في (م) و(ع): «الصحو».

(١٦) في (م) و(ع): «حُبِّه».

(١٧) في الأصل: «ونشر بن زكريا المنشار»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى مقتل سيدنا زكريا عليه السلام؛ وذلك أنه لما قتل بنو إسرائيل ولده يحيى انطلق هارباً بدينه في الأرض حتى دخل بستاناً فيه الأشجار، فنادته شجرة: يا نبي الله إلي ههنا، فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها. فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فأخرجه من الشجرة، ثم دلّ بني إسرائيل عليه، وأراهم طرف ردائه، فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض علجاً مجوسياً فانتقم الله به من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٣٤١، بتصرف.

(١٨) قوله هذا إشارة إلى ما كان بين سيدنا إبراهيم وبين قومه المشركين، وذلك حين دعاهم إلى الإسلام وكسّر أصنامهم التي يعبدون، فأمر حينئذٍ ملكهم النمروذ بإحراقه، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، فلم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ إلى ٧١].

وعاجل الشوق موسى فقال أرني لعلي أرى[1] المنظور بالناظر[2]، وكم لداوود من سكر أشواق وتلحين بالمزامر[3]، وهام في البراري عيسى[4] لا يلوي على بادٍ[5] ولا حاضر، شربها صِرفاً نبينا وحبيبنا[6] محمد ﷺ يوم ألست[7] فأبقت له[8] بقية أوجبت له المدائح والمفاخر، ملك مفتاح[9] الكون فٱختار هذا الشراب الطيب الطاهر[10]، قطرة منها حوض الكوثر يروى منها من ظمأ في الهواجر[11]، دارت على الصِّدِّيق والفاروق والشهيد والسعيد[12] إلى

---

(١) في (م) و(ع): «أنظر». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) في الأصل: «في المناظر»، والتصويب من (م) و(ع). والناظر: العين. الفيروزآبادي، القاموس، «نظر»، ص٦٢٣.

(٣) في (م) و(ع): «بمزامر». وقوله هذا إشارة إلى ما اختص به الله سبحانه نبيه داوود ﷺ من الصوت الطيب، والنغمة الجميلة، والترجيع والألحان، فقد كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً، فشبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار، فالمراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء. ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ٢٤٤.

(٤) في (م) و(ع): «عيسى في البراري».

(٥) في الأصل: «باب»، والتصويب من (م) و(ع). (٦) كلمة «وحبيبنا» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٨) في (م) و(ع): «منه».

(٩) في (م) و(ع): «مفاتح». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلَّى على أهل أحد صلاته على الميت. ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط [أي شفيع] لكم، وأنا شهيد عليكم. وإنِّي والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإنِّي قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها». مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم الحديث (٢٢٩٦/٣٠)، ٤/١٧٩٥.

(١٠) عبارة «الطيب الطاهر»، في (م) و(ع): «الباطن الظاهر». وقوله هذا إشارة إلى بعض ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقيل لي: خُذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته. فقال: هُدِيت الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم الحديث (١٦٨/٢٧٢)، ١/١٥٤.

(١١) عبارة «يروى.. إلخ»، في (م): «نروى منه يوم ظمأ الهواجر»، وفي (ع): «تروى منه في ظمأ الهواجر». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مرَّ علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، لَيَرِدَنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحُال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي». البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم الحديث (١٦٤)، ٨/٢١٦.

(١٢) في (م) و(ع): «والسعيد والشهيد».

العاشر[١]، اجتمعوا في شربها[٢] في الأول وجُمعوا لشربها في الآواخر[٣]، أبقوا في دنان المعاني بقايا الكرام فعل الأكابر، صُفِّيت[٤] لأهل الصفة فصفيت[٥] بشربها السرائر[٦]، فاخلع في شربها العذار فمالك إن خلعت من عاذر، زمزم[٧] واطرب وارقص فالكون كونه[٨] ومحبوبك حاضر، صُن[٩] موضع السر عن سواه وإياك والخاطر الخاطر، إن نظرت إلى غيره[١٠] أبعدك وما لك إنْ يُعَذِّب[١١] من ناصر، فيا[١٢] معشر الفقراء هذا سماعكم فأين من هو معي حاضر، فيا[١٣] أرباب الأحوال معكم أتحدث ولكم أصف وركبكم السائر[١٤]، معشر[١٥] التائبين أما يهون عليكم بذل[١٦] معصية لنيل هذا الجوهر الفاخر، إن فاتك هذا السماع ولم تطرب فأنت في قليب الحرمان حائر، إن فاتك[١٧] هذا الشراب ولم تشرب فأنت سفيه [١٤٧أ] ما يرجى صلاحك[١٨] إلا في النادر، هذا منادي الموعظة ينادي بالرحيل إلى الآخـرة السرحـيـل، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

محمد بن داود[١٩] رحمه الله تعالى قال[٢٠]: «سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: كنت بذي الحليفة[٢١] وأنا أريد الحج، والناس يحرمون[٢٢]، فرأيت شاباً قد صب عليه الماء يريد

---

(١) قوله هذا إشارة إلى العشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب، والشهيد عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله أبو محمد التيمي، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح. وقد أسهب المحب الطبري في الحديث عن مناقب العشرة المبشرين بالجنة في كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة.

(٢) في (م) و(ع): «الشربها».

(٣) في (ع): «الآخرة».

(٤) في (ع): «صُفَّت».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «السائر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «وزمزم».

(٨) في (م) و(ع): «كونك».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «لغيره».

(١١) في (م) و(ع): «بعدت».

(١٢) في (م) و(ع): «يا».

(١٣) في (م) و(ع): «يا».

(١٤) في (م) و(ع): «أساير».

(١٥) في (م) و(ع): «معاشر».

(١٦) أي ترك معصية.

(١٧) عبارة «هذا الجوهر.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «فلاحك».

(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «البرقي»، وهو تصحيف.

(٢٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٠٨.

(٢١) ذو الحُلَيْفَة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، منها ميقات أهل المدينة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/ ٤٢٠.

(٢٢) في (م) و(ع): «محرمون».

الإحرام، وأنا أنظر إليه. فقال: يا رب، أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك. وبقي يردد هذا القول مراراً كثيرة وأنا أسمع، فلما أكثر قلت: يا فتى[١] ما لك بُدٌّ من الإحرام. فقال: يا شيخ أخشى إن قلت لبيك أن[٢] يجيبني بلا لبيك ولا سعديك. فقلت له: أحسن الظن[٣] وقل معي لبيك اللهم لبيك. فقال: لبيك اللهم[٤] وطوَّلها، فخرجت نفسه مع قوله لبيك[٥] اللهم، وسقط ميتا رحمة الله عليه». شعر[٦]:

عِيل صبري وباح بالسِّر دمعي	فمَصُون الأسرار غير مصون
حَسَرات تُشِيبها[٧] زَفَرات	هي نَارُ الحَشَى وماء الجفون
يا لِقَوْمي وما[٨] الحزين إذا لم	يقْض في الدار نَحْبه[٩] بحزين
لو شَهِدْتم[١٠] يوم النَّوى ووقوفي	خَلْف دمع وافٍ وصَبْر خَؤُون
وخضوعٍ لولاه لم يعلم الوا	شون[١١] ما[١٢] بي من الغرام الدَّفين [١٤٧ب]

[بحر الخفيف]

اللهم قوِّ عزائم التائبين على ترك العصيان، يا أخي النفس بالفطرة[١٣] عارفة[١٤] ولها في عالمها بيان[١٥]، والعقل دليل على الجادة بما[١٦] فيه من البيان، والقلب لوح تظهر[١٧] فيه خطوط السعادة والحرمان[١٨]، والجوارح خدَّام فمن سريع وكسلان، وبين حياة عين الروح[١٩] ظلمات[٢٠] من الشهوات والنيران[٢١]، فإذا قطع[٢٢] إسكندر القلب ظلمة الطبع ظهرت عين

---

(١) عبارة «قلت يا فتى»، في (م) و(ع): «قلت له».
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) عبارة «أحسن الظن»، في (م) و(ع): «حسِّن ظنك».
(٤) في (م) و(ع) زيادة: «لبيك».
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الرابع.
(٧) في (م) و(ع): «جمرات تشبّها».
(٨) في الأصل: «وأنا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «دمعه».
(١٠) في الأصل: «شاهدتم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «الوشاة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «بالقنطرة».
(١٤) في الأصل: «عارية»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «لسان».
(١٦) في الأصل: «فما»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) قوله هذا هو معنى بعض الحديث الذي أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». مسلم، الصحيح، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث (١٠٧/١٥٩٩)، ٣/١٢١٩.
(١٩) في (م) و(ع): «وبين عين حياة خضر الروح».
(٢٠) في الأصل: «وظلمات»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «ونيران».
(٢٢) في الأصل: «انقطع»، والتصويب من (م) و(ع).

الحياة للروح عيان، فشرب مياه[١] حياة المعرفة على توالي الأزمان، لا يهولك بُعْد[٢] هذا السفر فما هو إلا العزم وقد كان، التسويف سَدٌّ في وجه العزيمة شرابه شراب[٣] لا[٤] يروي الظمآن، النفس سماوية بالوضع أرضية بطبع الإنسان، إذا ذُكرت تذكرت[٥] معاهدها الأهلين[٦] والجيران، وحنَّت إلى المألوف الأول حنين من خانه السلوان، كم لها من حسن[٧] أشواق عند ذكر العقيق والبان، كم[٨] لها من تلهف عند ذكر رحيل الأظعان، كم[٩] لها عند ذكر المعاهد[١٠] من مدمع هتَّان، وكم لها من الأشواق[١١] عند ذكر المعاهد و[١٢]جيران النَّقى والغزلان، وكم لها من تأوه إذا[١٣] ذكر الفراق والصبابة عنوان، هل ذلك إلا لطول غربتِها فتذكر الرسوم يهيِّج[١٤] لها الأشجان، كأن ذكر المعالم وضع لها في الطبع بستان، لاطفها[١٥] بحديث الزاهدين كيف تركوا الأوطان، عج بها على وادي الدجى عسى تأنس بالمجتهدين عند[١٦] ذكر نجد[١٧] ونعمان، ما ألذ أحاديث العشاق ما بين نشوان [١٤٨أ] وسكران، ما أطيب عيش الفقراء روض رياضهم بالمعاملة[١٨] ريَّان، فاحت أزهار[١٩] أحوالهم ما بين رَوْح[٢٠] من الصدق وريحان، و[٢١]أفناهم سماع مثاني المثاني عن التلحين[٢٢] والألحان، قنعوا من الدنيا بالميسور من الخرق وكلهم[٢٣] من ثوب الدعاوى عريان، وقَّع لهم من مبلغ[٢٤] الرضى على ديوان الإخلاص ما ألطفه[٢٥] من ديوان، والمحروم نائم نوم أصحاب الكهف لا[٢٦] يدري ما يكون وما قد كان، قيدته شهوته[٢٧]: بطنه وفرجه فهو من ثوب

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) عبارة «لا يهولك بعد»، في (م) و(ع): «لا يهولنك».
(٣) في (م): «سراب».
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).
(٦) عبارة «معاهدها الأهلين»، في (م) و(ع): «معالمها الأول».
(٧) في (م) و(ع): «حنين».
(٨) في (م) و(ع): «وكم».
(٩) في (م) و(ع): «وكم».
(١٠) في (م) و(ع): «المعاهدة».
(١١) في (م) و(ع): «أشواق».
(١٢) كلمة «المعاهد و» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «عند».
(١٤) في (م) و(ع): «تهيّج».
(١٥) في الأصل: «لاطفيها»، وهي من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «بالمتهجدين عن».
(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «روض رياضتهم بماء المعاملة».
(١٩) في (م) و(ع): «أزاهر».
(٢٠) الرَّوْح: السرور والفرح. والروح الاستراحة من غمِّ القلب. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/٤٥٩.
(٢١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «التلاحين».
(٢٣) عبارة «من الخرق.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الكسر والخرق وكلٌّ».
(٢٤) في (م) و(ع): «بمبلغ».
(٢٥) في (م) و(ع): «أنظفه».
(٢٦) عبارة «نوم.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا نوم أهل الكهف ما».
(٢٧) في (م) و(ع): «شهوة».

التقوى[1] عريان، فيا معشر المذنبين إلى متى هذا التسويف والعلل[2] بالتعليل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال[3]: «بينما[4] أنا أسير في طريق بيت المقدس إذا[5] أنا بجارية عليها مسح من شعر[6]، وعلى رأسها خمار من[7] صوف، و[8]رأسها بين ركبتيها وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: و[9]كيف لا أبكي وأنا أحب لقاءه. فقلت لها: لقاء من تحبين؟ فقالت[10]: وهل يحب الحبيب غير لقاء المحبوب؟ قلت لها: ومن محبوبك؟ قالت: علام الغيوب غفار الذنوب[11]. قلت لها[12]: يا جارية، كيف تكونون[13] في محبتكم[14] لله ﷻ[15]؟ قالت: بأبدان ناحلة[16]، وألوان متغيرة، وعيون هاطلة، وأرواح ذابلة[17]، وألسن ذاكرة». شعر: [١٤٨ب]

أقُول لأصحابي غَداة تَنافروا	رُوَيْدكم إنَّ الهوى داؤه يُعْدي
وما طاب نَشر الرِّيح إلا وعندها	أحاديث من نَجد ومن ساكني[18] نجد
إذا ما قَدَحْتم نارَ شوقي[19] فإنَّما[20]	شَرارتها فيكم وجَمْرتها[21] عندي

---

(١) في (م) و(ع): «التقى».

(٢) في (م) و(ع): «والتعليل».

(٣) في (م) و(ع): «قال أبو سليمان الداراني».

(٤) في (م) و(ع): «بينا».

(٥) في (م) و(ع): «وإذا».

(٦) عبارة «من شعر» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «قالت».

(١١) عبارة «غفار الذنوب» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «تكونين».

(١٤) في (م): «محبتكن»، وفي (ع): «محبتك».

(١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع) زيادة: «وقلوب وجلة».

(١٧) في (م) و(ع): «ذاهبة».

(١٨) في الأصل: «سكان»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «شوق».

(٢٠) في الأصل: «فإنها»، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «وحسرتها».

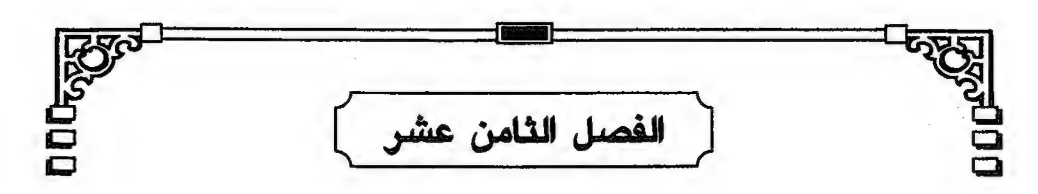
تظنُّون حالي في الهوى مثل حالكم وهيهات إنِّي في الهوى أمَّة وحدي
أذُم جفوناً ليس يقرحها البُكى وأُنكر[1] قلباً لا يذوب من الوجد[2]

[بحر الطويل]

اللهم وفقني[3] توفيقاً يوفقنا[4] عن معاصيك، وأرشدنا برشدك حتى نُرشد إلى ما يرضيك، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته أجمعين وسلم تسليماً[5].



(١) في الأصل: «وأنظر»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) البيتان الأخيران لأبي إسماعيل، الحسين بن علي، الدئلي الطغرائي، المتوفي سنة ٥١٤هـ ـ ١١٢٠م. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، ٦/٢٦٨٧.
(٣) في (م) و(ع): «وفقنا».
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الثامن عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي خلق[1] الخلائق لا حاجةً[2] إليهم وكل خلق على قدرته يهون، قدَّر مقادير الخلائق قبل وجودهم وجفَّ القلم بما يكون[3]، أدار الفلك لتعاقب الجديدين وظهور ما هو مكنون، غيب أسرار الأقدار عن مدارك البصائر والعيون، فلا[4] يطمع في كشف سره طامع ممن كان أو[5] يكون، قهر الموجودات بذل الحدوث وسجنهم مع[6] الأسباب في سجون، وكلٍ من سواه ذليل خاضع مقهور بالمنون[7]، أباد الملوك بذل البلى فما ينفعهم[8] ما يخلِّفون، أصبحَتْ قصورهم خراباً ونُقِلوا إلى قبور[9] مظلمة فيها يسكنون، أين الحارس والمحروس والجيوش والحصون، أين الأوانس من الحور العين الكحيلات[10] العيون، [١٤٩أ] أين الحشم والخدم والحُجَّاب الذين يحجبون، أين الأتباع والجلساء وأرباب الدول وأهل السجون[11]، أين حماة[12] الأبطال فهم بين طبقات الثرى[13] ركون، أين الرعايا[14] أين جُباة الأموال والذين يظلمون[15]، أين المظلوم والظالم ومن أحتاج إليه المحتاجون، أين

---

(١) عبارة «الذي خلق»، في (م) و(ع): «خالق».
(٢) في (م) و(ع): «الحاجة».
(٣) أي مضت به المقادير وسبق علم الله تعالى به وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به وامتنعت فيه الزيادة والنقصان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء». مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث (١٦/ ٢٦٥٣)، ٤/ ٢٠٤٤.
(٤) في (م) و(ع): «لا».
(٥) في (م) و(ع): «و».
(٦) في (م) و(ع): «من».
(٧) عبارة «وكل من سواه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «فما ينفعهم»، في (م) و(ع): «ما نفعهم».
(٩) عبارة «ونقلوا إلى قبور»، في (م) و(ع): «وانتقلوا لقبور».
(١٠) عبارة «من الحور.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الخرد الغيد الكحلات». والحَوَر شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد، والعَيَن عظم سواد العين وسعتها. والخريدة من النساء هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة، والجمع خُرَّد، والغَيَد النعومة. ابن منظور، اللسان، «حور»، ٤/ ٢١٩، و«عين»، ١٣/ ٣٠٢، و«خرد» ٣/ ١٦٢، و«غيد» ٣/ ٣٢٨.
(١١) في (م) و(ع): «المجون».
(١٢) في الأصل: «جمالات»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) عبارة «فهم بين.. إلخ»، في (م) و(ع): «ضمتهم من طبقات البلى».
(١٤) في الأصل: «الرعايات»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «والذين كانوا فيه يظلمون».

من[1] مُهِّدت لهم[2] الفرش و[3]الذين لا يجدون ما يفترشون، أين الذين يوقدون الشمع[4] والذين لا يجدون ما يوقدون، أين الذين تروح عليهم[5] الموائد وتغدو[6] والذين لا يجدون ما يأكلون، أين الذين جمعوا[7] الأموال وبحسراتها يتفجعون، أين الذين طَوَوْا أعمارهم بالفقر وبذُلِّ المسألة يسألون، رحل الكل إلى دار البلى وكلٌّ بما قدموه[8] مرهون، تساووا تحت التراب وذهبَتْ تلك الحركة[9] بهذا السكون، فيا من تُتْلى عليه العبر[10] كيف لا يكون تَرْكُ الدنيا عندك يهون، تسأل غير الله تعالى[11] حاجتك وهو أحسن مسؤول ممن هو[12] بماله وجاهه مفتون، أَبَعْدَ الهدى ضلال[13] أَبَعْد اليقين شك أما تعتبرون، كيف يُقَوِّي الضعيف ضعيفاً أو يغني الفقير فقيرا هيهات ما يكون، كيف يعز[14] الذليل ذليلاً فالرُّكون إلى ما سوى الله عَجَّلَ[15] جنون، فيا أهل الغفلة تيقظوا ولا تُهوِّنوا في الحديث ما لا يهون، ذلك شاهد عليكم وجوارحكم عليكم يشهدون[16]، ما حيلتك[17] في الجواب في يوم فيه الجوارح ينطقون، [١٤٩ب] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[18].

إخواني ما لِقَلبِ العزائم قُلب ليت شعري ماله[19]، ما لنور[20] البصائر[21] حُجِب هذا الشقاء لا محالة، ما للعقل مال إلى الهوى ليت شعري من أماله، ما لديوان البعاد كُتِب وأُثْبت في ديوان الضلالة، ما لسبيل الهداية سُلب وقال الشقاء[22] عليَّ الإحالة، أدرك العمى[23] بصيرتك والبصر فأنت تتعثر في الضلالة[24]، إذا نام ركب العزائم فمن يسري وفي الطريق

---

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «له».
(٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «الشموع».
(٥) في (م) و(ع): «عنهم».
(٦) كلمة «وتغدو» ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «يجتمعون»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «قدمه».
(٩) في (م) و(ع): «الحركات».
(١٠) في الأصل: «هذا العبرة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «وهو أحسن.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو أخس مسؤول».
(١٣) في (م) و(ع): «أبعد الضلال هدى»، وهو تصحيف.
(١٤) في (م): «يعين».
(١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (ع): «تشهدون».
(١٧) في الأصل: «حيلة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) سورة يس، آية ٦٥.
(١٩) في الأصل: «ما من ماله»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) في الأصل: «من النور»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «البصيرة».
(٢٢) عبارة «وقال الشقاء»، في الأصل: «وما للشقاء»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٣) في الأصل: «العلما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «البطالة».

مهالك قتّالة، إذا كسدت أسواق المعاملة فممّن[1] تطلب الإقالة، إذا رحلت عن مدينة الشباب بلا زاد ففي الكبر لا تنفع العُلَالة[2]، يا حراميّ[3] الفعل أعمالك عُمَّالك فلا تكثر الإطالة، شجرة الرياء لَبْلاب[4] لا تُظِلّ المرائي يمينه ولا شماله، طريق الإخلاص قريب بكل سعي وعلى أي حالة، دمع العين عنوان كتاب الندم وعلى كتبته[5] جلاله، فيا من مزق شبابه بالغفلة[6] وقَطَعت يد المشيب أوصاله، سكرْتَ من خمرة الدنيا فسجَنَك شرطي القبر[7] وأعدَّ لك أنكاله، كم تتيه في وادي[8] المعاصي كم تُطيل في الضلالة[9]، عين بصيرتك فيها رمد وعليها غبار[10] الغفلة هالة، هبَّت على عزائمك دَبُور[11] الإدبار فإدبارك ساحب أذياله، قَرُبْتَ[12] من ساحل الشيب فانكسرت سفينة العمر فأين عبراتك الهطّالة، و[13]عن قريب تعثر في مَهْواة الأجل وتحل أوحاله، فيا من طوى أربعين سنة [١٥٠أ] على الغفلة أين فكرتك الجوالة، خدعتك الآمال بزخرف فانٍ ومصباح عمرك ما يبقى[14] فيه إلا ذُبالة[15]، أنت بعد ما جمعْتَ حاصل العمر كيف ترجو تمامه[16]، إخواني[17] داركوا التوبة قبل وصول النوبة ولا[18] ترجعون، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقف يوماً على الجبانة وأمعن[19] فيها النظر، ثم عاد إلى من كان معه[20] وقد احمرت عيناه، فقيل له من أين أتيت؟ قال: أتيت قبور الأحبة فسلمت عليهم فلم

---

(١) في الأصل: «فمن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «إذا رحلت. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والعُلالة بقيّة قوة الشيخ. ابن منظور، اللسان، «علل»، ٤٦٩/١١.
(٣) في (م) و(ع): «خزيّ».
(٤) اللّبْلاب نبت يَلتوي على الشجر. ابن منظور، اللسان، «لبب»، ١/ ٧٣٥.
(٥) في (م) و(ع): «كتابته».
(٦) في (م) و(ع): «في الغفلة».
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «بوادي».
(٩) عبارة «في الضلالة»، في (م) و(ع): «فيها الإطالة».
(١٠) في (م) و(ع): «بخار».
(١١) الدَّبور الريح التي تقابل الصَّبا والقبول، وهي ريح تهب من نحو المغرب، والصبا تقابلها من ناحية المشرق. ابن منظور، اللسان، «دبر»، ٢٧١/٤.
(١٢) في الأصل: «وهو قريب»، وهي من (م) و(ع).
(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «بقي».
(١٥) الذُّبالة: الفتيلة التي تُسْرج. ابن منظر، اللسان، «ذبل»، ٢٥٦/١١.
(١٦) في (م) و(ع): «المعاملة».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م): «فلا».
(١٩) عبارة «عمر. . إلخ»، في (م) و(ع): «دخل عمر بن عبد العزيز يوماً الجبانة فأمعن».
(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

يردوا علي سلاماً[1]، فلمّا ذهبت عنهم[2] ناداني التراب: ألا تسأل عن الأحباب؟ قلت: بلى. قال: مزقت[3] الأكفان، وأكلتهم الديدان[4]، ونزعت الحدقتين، وقطعت الكفين، ومزقت[5] العضدين، ومزقت الفخذين، وأبْلَيت الساقين. فلما فرغ من كلامه ناداني[6]: يا عمر، عليك بأكفان لا تبلى. قلت: وما هي[7]؟ قال: تقوى الله العظيم[8] والعمل الصالح[9]. شعر[10]:

يا بان إن كان سكان الحِمَى بانوا ... ففَيْضُ دمعي لهم في الحيِّ عنوان[11]

ويا حمائم إنْ نحتُنَّ مُسْعِدة ... فلي على دَوْحَة الأشواق ألحان[12]

أبكي الأحبة أو[13] أبكي منازلهم ... وإن[14] مضى ذكر نُعْمٍ قلت نُعْمان

من لي بأقمارِ أنسٍ في دجى طُرَر[15] ... أفلاكها العيس والأرواح أظعان

يا يوم توديعهم ماذا به ظَفِرَت ... عيني من الحسن إذ[16] والاه إحسان [١٥٠ب]

[بحر البسيط]

يا هذا كم عهدَت[17] الدنيا لمحبها من عهد فعند ركوبه[18] على جوادها كبا[19]، ما أمسى أحد في رفع الأمل إلا أصبح في خفض الأجل قد سلبا، مواعيدها مواعيد عرقوب تعرقب عرقوب[20] الأمل فإذا به كبا، كم حريص عليها حَرَصه الموت فانقطع أمله وسلبا[21]، يا من

---

(١) عبارة «علي سلاما» ساقطة في (م) و(ع). (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (ع): «مزقتهم».

(٤) عبارة «وأكلتهم الديدان»، في (م): «وأكلت الأبدان».

(٥) في (م) و(ع): «ورميت».

(٦) عبارة «فلما فرغ.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما ذهبت نادى».

(٧) في (م) و(ع): «هن». (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٥/ ٢٦٣.

(١٠) الأبيات لابن الذروي، علي بن يحيى القاضي، توفي سنة ٥٧٧هـ - ١١٨١م. انظر: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ٣/ ١١٥.

(١١) عبارة «لهم في الحي عنوان»، في (م) و(ع): «في آثارهم شان».

(١٢) في الأصل: «نوحان»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «فإن».

(١٥) طُرّت النجوم أي أضاءت، وبدت طُرّة الفجر، ويجمع الطرّة طرَرا. ابن دريد، جمهرة اللغة، «رطط»، ١/ ٨٣. ابن منظور، اللسان، «طرر»، ٤/ ٤٩٩.

(١٦) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع). (١٧) في (م) و(ع): «عقدت».

(١٨) في الأصل: «ركوبها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «شبا». وشبا الفرس: قامت على رجليها. الفيروزآبادي، القاموس، «شبا»، ص١٦٧٤.

(٢٠) العرقوب: طريق ضيّق يكون في الوادي البعيد القَعْر لا يمشي فيه إلا واحد. والعرقوب خياشيم الجبال وأطرافها، وهي أبعد الطرق. وتعرقبتُ إذا أخذت في تلك الطرق. ابن منظور، اللسان، «عرقب»، ١/ ٥٩٥.

(٢١) في (م) و(ع): «فانقطع آماله أماله وسبا».

عوَّقته العوائق في الصغر[1] وفي الكبر صبا، لو شممت ثرى نجد الوجد[2] من أغصان أحوالهم والكثبا، أحضر قلبك للطاعة ولو ساعة عساه يدرك ما طلبا، يا جامداً[3] على الغفلة جمود الجماد ستقرأ[4] الحاسبان ما كتبا، طبعك للمعاصي متحرك وللطاعة ساكن وسيف عزمك نبا، أما لك قلب تبصر به من خانه الأمل وللقبر قد ذهبا، أما لك سمع تسمع به حديث من جعل الدنيا مطلباً[5]، أما لك عبرة بالراحلين[6] ودمع حسراتهم انسكبا، ما أطول يوم[7] غفلتك فلمن أحدث ما كل طالب نال ما طلبا، واحزناه على فراق[8] الجادة من رفاق التائبين وحديث تسويفك كذبا، كم أُدلِج في ركب تتجافى من محمل ولألحان[9] حنينهم[10] طربا، و[11]كم دخل من[12] قصص المستغفرين بالأسحار وألهاك عنهم هواك واللعبا، يا تائهاً في ليل الغفلة أما تتخذ لطريق النجاة مهرباً[13]، رحل ركائب[14] التائبين وقطعت[15] وبقيت حزيناً حائراً وَصبا، سرت قوافل الشباب وغيَّار المشيب بضائع عمرك انتهبا[16]، ما أسرع خراب قلب حرق[17] بنار الحرص و[18]التهبا، تحدث [١٥١أ] نفسك بأرباح الهند وربما أسمك[19] في ديوان الأموات كتبا، قدموا إخواني زاداً ليوم فيه[20] ترحلون ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

قال ذو النون المصري[21] رحمه الله تعالى: «خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزائراً قبر نبيه ﷺ[22]، فبينما[23] أنا في الطواف وإذا أنا بجارية ذات حسن[24] وبهاء وكمال ومنظر حسن[25] متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: إلهي بسكر البارحة وخمار اليوم أعف عني. قلت:

---

(١) في (م) و(ع): «الشباب».
(٢) في (م) و(ع): «الواجد».
(٣) في (م) و(ع): «يا من جمد».
(٤) في الأصل: «سيقرأ»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) عبارة «أمالك قلب.. إلخ»، في (م) و(ع): «أمالك سمع تسمع به حديث من جعل الدنيا له أربا، أمالك عين تبصر به من خانه الأمل وللقبر ذهبا».
(٦) في (م) و(ع): «في الراحلين».
(٧) في (م) و(ع): «نوم».
(٨) في (ع): «رفاق».
(٩) في الأصل: «الألحان»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «حديثهم».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «في».
(١٣) في (م) و(ع): «سببا».
(١٤) في (م) و(ع): «ركب».
(١٥) كلمة «وقطعت» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) عبارة «بضائع.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٧٩.
(٢٢) عبارة «صلى.. إلخ»، في (م) و(ع): «عليه الصلاة والسلام».
(٢٣) في (م) و(ع): «فبينا».
(٢٤) في (م) و(ع): «ذات بهجة وجمال».
(٢٥) عبارة «ومنظر حسن» ساقطة في (م) و(ع).

مثل هذه الجارية في مثل هذا الموضع تتجرأ على الله تعالى[1] بالسكر والخمار، فأتيتها وجذبتها[2]، فقالت: و[3]مالك يا ذا النون تتعرض بيني وبينه، والله ما شربت بكأس مدام ولكن شربت بكاس الود مسرورة فأصبحت من ألم الشوق مخمورة». شعر:

أنام لعلَّ الطَّيف في النَّوم يَطْرق	وأهواك يا حسن الحبيب وأعشق
وأعرض عن خوف الرَّقيب[4] تعلُّلا	وفي كَبِدي جَمْر من الودِّ تحرق[5]
فيا[6] مُحْسِناً هَامَ الفؤاد بحبِّه	ومَن لأسمه يرتاح قلبي ويشرق[7]
متى يظْفَر المهجور منكم بوَعْده	ويخضرّ عود الوصل يوما ويُورق
فإنَّ الأسى والسّقْم أنحل جسمه	ولم يبق إلا دمعه يترقرق[8]
مَلكتَ قيادي في الهوى يا مُعذِّبي	وإني أسير في حِبالك مُوثق [١٥١ب]

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي فتح الأقفال عن قلوب العارفين ورفع عنهم الحجاب، أشهدهم أسرار المصنوعات فشاهدوا العجب العجاب، بسط رداء السماء على مبسوط الجو فكأنها خيمة ذات أطناب، وكأن[9] الكواكب في رواشن[10] البروج كواعب أتراب، أدار[11] الفلك بشمعة الشمس وزنجي الدجى منهزم على أعقاب، هذا يركض في إثْر هذا وهذا يركض في إثْر هذا وقد وَلَعا[12] بتفريق الأحباب، ودحى الأرض مهاداً لترتيب المشيآت[13] على الأسباب، أحكمت حكمته نظام الملك والملكوت على ما سبق في أم الكتاب، أثبت في ديوان الوجود عساكر الموجودات وأوردها من الأصلاب، كتب خطوط تخطيطها في ألواح الأرحام[14] بواسطة[15] حفظة كتاب، قسم لهم من مقسوم الشقاء[16] والسعادة ما لا يدخل تحت

---

(١) الكلمة ساقطة في (ع).
(٢) في (م) و(ع): «فجذبتها».
(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «الحبيب».
(٥) في (م) و(ع): «جمر من الوجد يحرق».
(٦) في (م) و(ع): «أيا».
(٧) في (م) و(ع): «ويخفق».
(٨) في الأصل: «تدفق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (ع): «فكأن».
(١٠) في الأصل: «رواشق»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في الأصل: «إذا أدار»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «ولع»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].
(١٣) في (م) و(ع): «المسببات».
(١٤) في الأصل: «الأرواح»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «واسطة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «الشقاوة».

الحساب، وأصدره إلى إقليم الدنيا وأذله بذل الكسب[١] والاكتساب، أستعمله على جمع حاصل[٢] العمر وأعلمه بهول الحساب، فالليل والنهار يطويان له الأجل[٣] لبلوغ الأجل[٤] فأين له[٥] الذهاب، فالعارفون تمسكوا بمعمور[٦] التقوى فسدوا في وجه عدو الشهوات الباب، والغافلون خربوا مدينة العمل فكيف يجمع الخراج من الخراب[٧]، مدوا يد[٨] الغفلة وسرقوا من تحت حرز النّهي ما مآله إلى العذاب[٩]، ليت [١٥٢أ] شعري كيف نسوا العبور على تلك العِقاب[١٠]، لو رأيتهم عند ورود متقاضي بقايا الأنفاس ونَقْل الغافل[١١] إلى تحت التراب، و[١٢]لا يقبل منه الفِدى بالأهل والقرابات والآباء والأصحاب، لا يرحم فيه يُتم[١٣] البنين والبنات ولا الشيخوخة ولا الشباب، ولا يؤثر جاهه ولا علمه[١٤] ولا الأتباع ولا[١٥] الأتراب، يختلسه[١٦] ساعة وصوله ولا يمكنه من توديع الأحباب، يُرَحِّله كُرْهاً على رغم أنفه إلى إقليم موحش بلقع خراب، يعرض عليه سِجِلّ معاملته فإن أوفى أمِن وإلا دُفع إلى العذاب[١٧]، لا لوم بعد التَّلَوُّمات ولا عذر بعد الإنذار[١٨] ولا جواب، فطوبى لمن شمَّر عن ساق الجد وجانب الهوى بالاجتناب، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[١٩].

إخواني أين الذين جمعوا الأموال و[٢٠]لم يغنهم ماجمعوا، و[٢١]أين الذين أفنوا[٢٢] أعمارهم في الشهوات وما شبعوا، أين الذين بانوا عن الأوطان وما ودعوا، أين الذين جدوا في طلب الفاني وأسرعوا، أين الذين تفرقوا بعد الجمع ياليت لو دام ذلك الجمع[٢٣]، أين

---

(١) في (م) و(ع): «التكسب».

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «يطويان.. إلخ»، في (م) و(ع): «يضربان له الآجال».

(٤) في الأصل: «الآمال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «تمسكوا بمعمور»، في (م) و(ع): «سكنوا معمار».

(٧) في الأصل: «يجمع الخراب من الخراب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «أيدي».

(٩) في (م) و(ع): «العقاب».

(١٠) العقبة طريق في الجبل وعر طويل صعب شديد، والجمع عَقَب وعِقاب. ابن منظور، اللسان، «عقب»، ١/ ٦٢١.

(١١) في (م) و(ع): «العامر».

(١٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «يتيم»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «وعمله».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (ع): «تختلسه».

(١٧) عبارة «إلى العذاب»، في (م) و(ع): «للعذاب».

(١٨) في (م) و(ع): «الاعذار».

(١٩) سورة الزمر، آية ١٧ ـ ١٨.

(٢٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (ع): «فنوا».

(٢٣) في (م) و(ع): «التجمع».

عيون تلك[1] الدُّمى [١٥٢ب] أصبحت على الفراق تَدْمى وتدمع، أين الذين شربوا الخمر[2] على الراحات وإليها أنقطعوا، أين الذين هزَّهم شرخ الشباب وشملهم بالأنس مجتمع، أين من قاد الجيوش والخُزَّان لأمواله تجمع[3]، أين مبانيهم[4] المشيَّدة وحجابهم[5] الممنَّع، أين نضارة أيامهم[6] وعَرْف أزهارها يتَضَوَّع، أين أرباب الدول ومن كان لهم يتصنع، أين الرعية والراعي والمودِّع[7] والمودَّع، أين من[8] خدعتهم الدنيا بالشهوات فأنخدعوا[9]، أين الذين نُصبت لهم شباك الغفلة حتى وقعوا، أين من[10] رجى[11] من الأيام ما لا يناله[12] أفرد الكل عنها[13] وتقطعوا، هذا شملهم مبدد وعهدهم مجمَّع، قد[14] حلَّ بهم مفرِّق الأحباب فَذَلُّوا بعد العز وخضعوا، كم حدَّثَتْهم العبر بالعبر لو أنهم سمعوا، صمَّتْهم[15] الغفلة وأضيع شيء عتب ماله من يتسمع[16]، أزعجوا من الأحباب وبالفجائع فجعوا، تبكيه أهله وأحبابه[17] ياليتهم لو[18] نفعوا، أفردوه بأحزانه ونسوه وأنقطعوا، أتراهم أعجبهم المقام بل حبسوا مارجعوا، هيهات عود ماضي عيشٍ مضى ليس يرجع، هذه أطلالهم أصبحت خراباً والأرْبُع، سل من بان عنها إن كان سؤالك ينفع، واوحشتي للأصحاب[19] أصبحوا واللحود لهم مضجع، مناديهم بلسان الحسرات ينادي ياليت أحبابه سمعوا، أرحموا من صار رهيناً في التراب ليس له مهرب ولا مفزع، هيهات شربوا كأس الأسف والندامة وتجرعوا، مزقت الديدان [١٥٣أ] أوصالهم فتقطعوا، ودوا لو ردوا ساعة[20] لعل لهم إلى الحسنات مرجع، هيهات حصدوا والله من أعمالهم ما زرعوا، فيا مضيعين أيامهم في الغفلة هذه جنائزكم تشيع، هذا مأتم الأحزان فتباكوا فربما البكاء يريح وينفع، بادروا باب التوبة قبل حدوث الحوادث التي تتوقع، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فقد شقيت والشقاء[21] بالشقاء مولع، إذا كنت

---

(١) في الأصل: «بكت»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «الراح».
(٣) في (م) و(ع): «يجمع».
(٤) في (م) و(ع): «مبانيه».
(٥) في (م) و(ع): «وحجابه».
(٦) في (م) و(ع): «رياضهم».
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «الذين».
(٩) عبارة «بالشهوات فانخدعوا»، في (م) و(ع): «وبالشهوات خُدعوا».
(١٠) في (م) و(ع): «الذين».
(١١) في (م): «رجوا».
(١٢) عبارة «ما لا يناله»، في (م): «ما لم ينالوه».
(١٣) عبارة «أفرد الكل عنها»، في (م) و(ع): «مضوا منها».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «أصمتهم».
(١٦) في (م) و(ع): «يسمع».
(١٧) في (م) و(ع): «يبكيه أحبابه وأهله».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «ولو ساعة».
(٢١) كلمة «والشقاء»، في (م): «والتسويف»، وهي ساقطة في (ع).

بالموعظة[١] لا ترعوي فالقلب قاس[٢] و[٣]العين لا تدمع، فبادروا إخواني بالتوبة قبل طي الدستور وغلق الباب، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

قال بعض السادات[٤] رضي الله عنه: «خرجت ليلة من المسجد الحرام أريد جبل أبي قبيس، فصحبني عبد أسود، عليه أطمار رثة وهو يقول: أنت أنت هو أنت[٥] يا هو أنت[٦]، لا يزيد على ذلك شيئاً، فلما كثَّر[٧] من هذا القول قلت: يا هذا أمجنون أنت؟ قال لي: يا شيخ إنما المجنون من يمشي ألف خطوة ولا يذكر فيها[٨] مولاه. فقلت[٩]: أفضل الذكر عند المحققين ما كان بالقلب. قال: صدقت، ولكن القلب إذا امتلأ بالذكر فاض على اللسان. ثم غاب عني ولم[١٠] أره، فندمت على جفائي عليه، فلما كان الليل ونمت وقف بي هاتف وقال لي: يا شيخ إن لذلك العبد الأسود يوم القيامة نوراً يملأ ما بين السماء والأرض». شعر:

يا رفيقيَّ قِفا لي[١١] وانظرا ... إنَّ عيني لدموعي ما ترى
هل خَبَت نارهم أو أوقِدَت[١٢] ... أو جرى واديهم أو أقفرا
لا وشعب[١٣] فارقوا أوطانهم ... يستلينون[١٤] السبيل الأوعرا
كلَّما غنَّى بهم حاديهم ... أخذت عيسهم جَذْب البَرَى[١٥]
أَعْسَفَت[١٦] في سيرها إذ طَرِبَت ... أمَّنا ذكراها[١٧] والأجفرا[١٨]

---

(١) في (م) و(ع): «بالوعظ».
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) الواو ساقطة في (ع).
(٤) في (م) و(ع): «السادة». والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص١٠٤.
(٥) عبارة «هو أنت» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع) زيادة: «هو».
(٧) في (م) و(ع): «أكثر».
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «فقلت له».
(١٠) في (م) و(ع): «فلم».
(١١) في (م) و(ع): «بي».
(١٢) في الأصل: «وقدت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م): «لا وشعث»، وفي (ع): «رب وشعث»، وهو تصحيف.
(١٤) في (م) و(ع): «يستميلون».
(١٥) عبارة «جذب البرى»، في (م): «نحو السرى»، وفي (ع): «جد السرى». وجذبه: حوَّله عن موضعه، وجاذبته الشيء: نازعته إياه. والبَرَى: التراب. ابن منظور، اللسان، «جذب»، ١/٢٥٨، و«برا»، ٤/٧١. والمعنى: أن العيس لشدة سيرها وسرعتها كأنها تتجاذب البرى.
(١٦) في (م): «أعتقت»، وفي (ع): «أغسقت». وأعسف إذا سار بالليل خبط عشواء. ابن منظور، اللسان، «عسف»، ٩/٢٤٦.
(١٧) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٨) الأجْفُر: موضع بين فَيْد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/٣١.

وافقَتْ من حَمَلَت[١] في سيرها فَتَنَاست بالطُوَى طول[٢] السّرى

ما عرفْتُ الوَجْد[٣] من قبلهم كيف للواجد أن يَضْطَبرا

إنَّ قلبي فاتَه شِرْب الحِمَى وهو لا ينفعه أن يمطرا

آه من طِيب ليالٍ سَلَفَت كان كلّ الليل فيها سحرا

أتُرى يرجع لي دهر مَضَى أتُرى[٤] يَنْفَعني قولي تُرى

نَمَّ دمعي بغرامي فاعذروا رُبَّ أمر كان سرًّا فسَرى

وأبْكِ[٥] يا عين[٦] أعِيني قلقي إن تَوانَيْت فلا ذُقْت الكرى

[بحر الرمل]

إخواني تفكروا فيما[٧] تصيرون إليه وتحققوا، وتذكروا مصارع الأحباب الذين سبقوا، وما الذي جرى لهم لمَّا أوثقوا[٨]، هل قُيِّدوا بأعمالهم أو[٩] أطلقوا، كيف[١٠] أفردوا من أحبابهم وتفرقوا[١١]، سَعِدوا ـ والله ـ بما قدموا أو شقوا، وكأني[١٢] بك لاقٍ ما لقوا، وتشرب بالكأس الذي به[١٣] سقوا، يا مغتراً بالآمال وهي خيال يطرق، يا حاملاً لقبره [١٥٤أ] الخطايا و[١٤]هو بها موثق، بئس ما حملت أما علمت أن الجوارح تنطق، كم أسكرك[١٥] التسويف بكاس سوف وبنفسك لا ترفق[١٦]، ويحك تجمع المال لغيرك أنت[١٧] المحاسب وهو المنفق، يُنَعَّم غيرك وأنت المعذَّب وسهام المنايا عليك تُرشق[١٨]، كم تغتر بالسلامة وعن قليل شملك يمزق[١٩]، كم تعلي مشيد البنيان وكم تتونق[٢٠]، أبعد[٢١] المشيب لا ترعوي أبعد العيان

---

(١) في الأصل: «حملها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «طور»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في الأصل و(ع): «ذا الوجد»، والتصويب من (م).

(٤) في (م) و(ع): «وترى».

(٥) في (م) و(ع): «ويك».

(٦) في (ع): «عيني».

(٧) في (م) و(ع): «ما».

(٨) في (م) و(ع): «وثقوا».

(٩) في (م) و(ع): «أم».

(١٠) في (م) و(ع): «وكيف».

(١١) في (م) و(ع): «وافترقوا».

(١٢) في الأصل: «وكأن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «أسكرت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (ع): «ترتفق».

(١٧) في (م): «فأنت»، وفي (ع): «وأنت».

(١٨) في (م) و(ع): «تفوّق».

(١٩) في (م) و(ع): «ممزق».

(٢٠) في (م) و(ع): «مشيد البناء كم تتأنق».

(٢١) في الأصل: «وأبعد»، والتصويب من (م) و(ع).

لا[1] تصدق، أين من زعم أنه ربح عمره وثوب شبابه تمزق[2]، أين من كان مجلسه بين الصدور والعيون نحوه تتألق، أين من توالت أيامه بالأفراح و[3]خده بالتراب مخلّق، أين من خلا بلذاته ودون الخلائق بابه مغلق، أين من شيد المباني وهو لهواه يعشق، عادت مبانيه[4] خراباً فيها غراب البين ينعق، أين الذين تزينوا بالرياء وفي أحوالهم ما صدقوا، أتراهم ما رعوا[5] من يراهم أتراهم لذلك[6] ما حققوا، ما ينفع الندم إذا فات هلّا كان وأنت حي ترزق، من ضيع أيام الشباب في اللهو والمشيب في الغفلة فذاك الأحمق، أما ترى ديار المترفين خراباً والريح فيها تصفّق، مناهم في اللحود ساعة من عمرك يا بُعد ما يتشوقوا[7]، أين كنت وغصن الشباب نضر مورق، ندمت وأنت خشبة تصلح للنار وتحرق، لما[8] أوثقك الكبر عدت بأذيال الآمال تتعلق، واعجباً مالك[9] تخطب والمنون تطلق، هذا مأتم الأحزان فأين الدموع السُّبَّق، إذا لم تتب في هذا [١٥٤ب] المجلس فما[10] أرى عُودك عوداً يورق، فبادروا إخواني[11] التوبة فمن بادر أصاب، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى[12]: «عصفت بنا الريح[13] فطرحتنا على جزيرة في البحر، فإذ رجل يعبد صنماً..» تقدمت هذه الحكاية[14]. شعر:

سمحوا باللقاء بعد[15] النَّفر ... أيّ يُسْرٍ قد أمْزَجوه[16] بعُسْر

فتّشوا لي قلباً فقد ضاق[17] قلبي ... وأروني صبرا فقد عزَّ صبري

كُلّ فاهٍ في ظاهر القول عنكم ... فهو في باطن الملامة مُغْري

هان عندي[18] الرَّدى وعزَّ عليَّ الـ ... ـوصل ويلي ما قام خيري بشري

---

(١) في (م) و(ع): «ما».

(٢) في (م) و(ع): «وثوب ثوابه يمزق».

(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «أوانسه».

(٥) في (م) و(ع): «علموا». ورعى النجم رعياً: راقبها. ابن منظور، اللسان، «رعى»، ١٤/٣٢٧.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «يا بعد ما.. إلخ»، في (م) و(ع): «النازحين تشوّقوا».

(٨) في (ع): «أما».

(٩) عبارة «ما لك»، في (م) و(ع): «آمالك».

(١٠) في (م) و(ع): «ما».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) القصة تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثامن.

(١٣) في (م) و(ع): «الريح بنا».

(١٤) عبارة «تقدمت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر القصة في (م) و(ع) بكاملها في هذا الموطن.

(١٥) في (م) و(ع): «يوم».

(١٦) عبارة «قد أمزجوه»، في (م) و(ع): «مزجوه».

(١٧) في (م) و(ع): «ضاع».

(١٨) في (م) و(ع): «علي».

هل حياة لديكم لأسير الـ حب إن لم يكن فِكَاك الأسير[١]

آه من رماة[٢] وما يجلب الدمـ ع لطرف المَشُوق من غير عذر

ولَعَمْري لونال رَضْوى[٣] الذي نا ل فؤادي منهم و[٤]حمّل ظهري

ساخ في الأرض وهو صخر فما يصـ نع صبّ قد صيغ من[٥] غير صخر

هل مُجيري من الحوادث أم من منقِذ الصبّ من حوادث دهر

[بحر الخفيف]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي ليس لدوام بقائه[٦] من نفاد، واحد لا من طريق الآحاد في الأعداد، إذا أراد شيئاً كان فكلمة من أمره لا تُعاد، أسعد بالقرب رجالاً آثروه على المال[٧] والأولاد، وفر لهم نصيب السعادة يوم [١٥٥أ] القِسمْة فلا تؤثر فيهم الأضداد[٨]، أوقد في مشكاة صدورهم نور التوحيد فأشرق وادي الفؤاد، حصل لعقولهم[٩] معرفته وإن كانت شاردة لا تُصاد، حلّاهم بحُلى المحبة فأستوحشوا من العباد والبلاد[١٠]، ملأ فساقي قلوبهم بأشواق[١١] الحكمة فمثله لمثلها يراد[١٢]، نضَّر[١٣] حافاتها بأزهار الأذكار ووَرْد الأوراد، غنى معبد تعبدهم بعُود[١٤] ذكر العَوْد ورجَّع تلحينه وأعاد، حرَّك ساكن وجدهم بمثاني المثاني فتمايلهم كالغصن الميَّاد[١٥]، صفت زجاجة[١٦] أرواحهم ورقَّ شراب وجدهم وطاب لهم سماع الإنشاد، أدار عليهم حميّا الحماية[١٧] فألفت عيونهم السُّهاد، فمنهم نشوان ومنهم سكران[١٨] وكل أيامهم بمحبوبهم أعياد، مد عليهم أطلس[١٩]

---

(١) في (م) و(ع): «لأسري».

(٢) في (م) و(ع): «رماه».

(٣) رَضْوى جبل بين مكة والمدينة، قرب ينبع، به مياه كثيرة وأشجار في شعابه. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢/ ٦٢٠.

(٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ملكه».

(٧) في (م) و(ع): «الأموال».

(٨) أي لا تؤثر فيهم التقلبات والتغيرات فهم ثابتون على الصلاح، مثابرون على الخير والعمل الصالح.

(٩) في (م) و(ع): «القلوبهم».

(١٠) في (م) و(ع): «من البلاد والعباد».

(١١) في (م) و(ع): من سواقي». والفَسْقِيّة: المُتَوضَّأ، والجمع الفَساقيّ. الزبيدي، تاج العروس، «فسق»، ٧/ ٤٩.

(١٢) في (م) و(ع): «فمثلها لمثله يزاد».

(١٣) في (م) و(ع): «نضد».

(١٤) في الأصل: «بذكر»، وهي من (م) و(ع).

(١٥) غصن ميّاد: مائل. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٣/ ٤١٢.

(١٦) في (م) و(ع): «زجاجات».

(١٧) في الأصل: «حميات»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) عبارة «فمنهم نشوان. . إلخ»، في (م) و(ع): «فمنهم سكران ونشوان».

(١٩) الأطلس: الأسود. ابن منظور، اللسان، «طلس»، ٦/ ١٢٤.

ليل الخلوة غيرة من رقيب الرقاد، فهم يتشاكون الأشواق بنَفَس تلف[١] في حبه أو كاد، والمحروم نهاره في الشقاء وليله في النوم وعمره لا يعاد[٢]، ركب مركب القضاء للمحبة ففي أصل تركيبه فساد[٣]، ضيع أيامه في الغفلة[٤] وفي الكبر يبكي على فائت لا يعاد، فيا معشر المذنبين جدوا قبل الرحيل عن الأجساد، ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٥]، فسبحان من وفّق من شاء لخدمته فألان له الخطوب الشداد، أحمده حمد من لم يعرف سواه حتى أمتثل[٦] أمره وطاب المراد، وأشهد أن لا إله إلا الله [١٥٥ب] وحده لا شريك له شهادة أشهدها عند هجوم الموت بالإبراق والإرعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رحمة الله للعباد والبلاد[٧] صلى الله عليه وسلم[٨] وعلى آله وأصحابه الذين عزّروه ونصروه وكان أحب إليهم من النفوس والأموال والأولاد.

يا تائهاً في ليل الغفلة عدلت عن الطريق[٩] عُج على سبيل الهدى، تزوّد فقد بلغ المنزل مَن تزوّد، دارك بقية أنفاسك عسى ما فاتك اليوم تدركه غدا[١٠]، قدموا ماء الخشية فإنه ينفع الصدى[١١]، أستعدوا جواباً للسؤال يوم مَوْرد الرّدى، ركائب الأعمار تسري[١٢] أما تسمع نغم الحُدا، واعجبا[١٣] كلما أبيَضّ شيبك عاد قلبك أسودا، كلما ضعفَت قواك كثر[١٤] الحرص وغاب الهدى، كلما قصر الأجل طال الأمل وشمل العزم تبددا، يا مريض الخطايا أطال الخُطَى[١٥] إليها ترددا، هذا بحر[١٦] التوبة متى ترِد منه موردا، كم يصيح النصيح وطرش الغفلة عدا[١٧]، ليت شعري مع من أتحدث[١٨] من أنادي من لم[١٩] يسمع النداء، جمح بك

---

(١) في الأصل: «تلفت»، وهي من (م) و(ع).
(٢) في (م): «وعمره في نفاد»، وفي (ع): «وعمره نفاد».
(٣) عبارة «ركب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى معنى قول الإمام الحسن البصري: «إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل». الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٤١٠.
(٤) عبارة «في الغفلة» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) سورة غافر، آية ٣٢ ـ ٣٣.
(٦) عبارة «حتى امتثل»، في (م) و(ع): «الذُ له جنى».
(٧) في (م) و(ع): «للبلاد والعباد».
(٨) كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) عبارة «عدلت عن الطريق» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في الأصل «في غد»، وهي من (م) و(ع)؛ وذلك لمراعاة السجع.
(١١) الصدى: شدة العطش. ابن منظور، اللسان، «صدي»، ١٤/ ٤٥٣.
(١٢) عبارة «ركائب.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكاتب يسري».
(١٣) في (م) و(ع): «واعجباه».
(١٤) في (م) و(ع): «ظهر».
(١٥) في (م): «بخطاه»، وفي (ع): «الخطاه».
(١٦) في (م) و(ع): «بحران».
(١٧) عداه عن الأمر: صرفه وشغله. ابن منظور، اللسان، «عدا»، ١٥/ ٣٤.
(١٨) عبارة «مع من أتحدث»، في (م) و(ع): «من أحدث».
(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).

جواد الشباب وبالمشيب أوردك الردى، تمسي وتصبح في لهو وغفلة كأنك خلقت سُدى، ما كأنك شيعت جنازة ما كأنك شهدت مشهدا، أين أيامك التي ذهب أطيبها[1] ما[2] تعود أبداً، لو ندبت عمرك عمر نوح[3] ما بلغت له مدى، أين أرباب السلوك أين الذين وهبوا الدجى حسًّا ومشهداً[4]، [١٥٦أ] أين عمّار الزوايا أين أرباب الاهتدا، أين أرباب[5] الهمم أين[6] الذين كان بهم يقتدى[7]، أين آيات[8] المحبين إذا وردوا من المحبة موردا، أين إشارات العارفين أما[9] وجدوا على النار هدى[10]، أين سكر الواجدين وقد غنى لهم فثار[11] الشوق و[12]عربدا، أين الفقراء الصادقون أين الذين ركبوا من الشوق فرقدا[13]، أين عقلاء المجانين ما أحلى مذاقهم وأبردا، أين الزاهدون وأرباب الورع من[14] راح في القفار وغدا، أين أرباب التهجد وعقد عبراتهم منضدا، أين سُمّار الأسحار[15] ومن أتهم منهم وأنجدا، أين الذين جعلوا الآخرة موعدا[16]، أين الذين طهروا[17] أجسادهم بالرياضة حتى جاوزوا في تطهيرها المدى، أين أرباب المشاهدة الذين جعلوا الآخرة موعدا، أين الذين[18] شغلهم ذكر الحبيب وعزمهم إليه تجدداً، أين الخاشعون من خشية الله[19] ما أطيب عيشهم وأسعدا، أين التائبون

---

(١) في (م) و(ع): «ذهبت أطايبها». (٢) في (ع): «متى».

(٣) عاش نوح ﷺ طويلاً وعمَّر كثيراً، فقد أقام في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يذكرهم ويعظهم. محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص١٣٥، بتصرف.

(٤) عبارة «حسا ومشهدا»، في (م) و(ع): «جفنا مسهدا».

(٥) في (م) و(ع): «أصحاب». (٦) الكلمة ساقطة في (ع).

(٧) في (م) و(ع): «يهتدي». (٨) في (م) و(ع): «أنات».

(٩) في (م) و(ع): «لما».

(١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَنٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩ ـ ١٠]. وقد ذكر أهل التفسير أن موسى ﷺ استأذن شعيباً في الرجوع إلى والدته فأذن له، وبينما هو في طريق عودته في ليلة مظلمة إذ ضل الطريق الصحيح فأبصر ناراً، فعلم أن النار لا تخلو من موقد، فرجا أن يجد من يهديه الطريق، فلما أتى النار كلمه الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ ـ ١٢].

(١١) في (م) و(ع): «بنار». (١٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فدفدا». والفرقدان نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وربما قالت العرب لهما الفرقد. والفدفد: المكان المرتفع فيه صلابة. ابن منظور، اللسان، «فرقد»، ٣/ ٣٣٤، و«فدفد»، ٣/ ٣٣٠.

(١٤) في (م) و(ع): «ومن». (١٥) في (م) و(ع): «الأحباب».

(١٦) عبارة «أين الذين جعلوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «ضمّروا». (١٨) في (م) و(ع): «من».

(١٩) عبارة «من خشية الله»، في (م) و(ع): «من خشيته».

من الضلال الرائحون في[1] الهدى، أترى أين رحل القوم و[2]أين من[3] راح منهم وغدا، خلت منهم المنازل وعقد شملهم تبدَّدا، هذه قبورهم قريبة واعجباً ما أقرب الأحباب وأبعدا، أنت لأي يوم تدخر[4] التوبة وقد ولَّى الشباب ولست مخلَّدا، يا من غلبه الكبر هيهات أن يعود الشباب كما بدا[5]، فبادروا إخواني فما تنفعكم الأموال والأولاد[6]، ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا [١٥٦ب] لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ .

منصور بن عمار رحمه الله تعالى قال[7]: «خرجت ذات ليلة فجزت[8] بدار فسمعت[9] صوتاً يكرر قول الله ﷻ[10]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[11]، فحسبت أنه[12] أُرْتِج عليه، فقرأت الآية إلى آخرها، فسمعت عند فراغي من الآية صيحة عظيمة[13] وهدأ، ولم أعلم ما في[14] ذلك. فتوجهت في حاجتي، وعدت في ذلك الطريق، فإذا أنا[15] بنعش على باب الدار ونفر من الرجال قعَد[16]، وعجوز تدخل وتخرج، فقلت: يا عجوز من الميت؟ فقالت: ولدي و[17]من كان به أنسي، أتى عليه في هذه الدار أربعون سنة يكرر آية من القرآن يمنعه الخوف من إتمامها، فلما كان آخر هذه الليلة جاز[18] بنا رجل فقرأ الآية[19]، فلما أنتهى إلى آخرها صاح ولدي صيحة ووقع[20] ميتاً. فقلت: هكذا يكون الخوف من الله تعالى يا بن عمار[21]، شيِّع قتيلك، فتقدمت في جملة الناس حتى دفنوه رحمه الله تعالى[22]». شعر:

خيالك نَصْبٌ لي[23] بكل مكان   وذِكْرك معقود[24] بعقْد[25] جَناني

---

(١) في (م) و(ع): «الزابحون من».
(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «تؤخر».
(٥) عبارة «كما بدا»، في الأصل «كلما أبدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «ولا الأولاد».
(٧) القصة تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل الثالث.
(٨) عبارة «خرجت.. إلخ»، في (م) و(ع): «اجتزت يوماً».
(٩) في (م) و(ع) زيادة: «في تلك الليلة».
(١٠) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
(١١) سورة التحريم، آية ٦. والآية في (م) و(ع): ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.
(١٢) في (م) و(ع) زيادة: «أحد».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «قعود».
(١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «اجتاز».
(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «بتمامها».
(٢٠) في (م) و(ع): «وسقط».
(٢١) عبارة «هكذا.. إلخ»، في (م) و(ع): «كذا يكون الخائفون يا منصور».
(٢٢) عبارة «رحمه الله تعالى»، في (م) و(ع): «رحمة الله عليه ورضوانه لديه».
(٢٣) في (م) و(ع): «لي نصب».
(٢٤) عقد قلبه على الشيء: لزمه. ابن منظور، اللسان، «عقد»، ٣/٢٩٨.
(٢٥) في (م) و(ع): «بكل».

ولي بك شغل عن سِواك وإنَّني | لَيَأبى فؤادي أنْ يَميل لِثاني
أتيتك فأحكم بين قلبي وناظري | فإنَّهما في الحبِّ[1] يختَصِمان
فقلبي يقول الطَّرْف ساق لي الهوى | وطرفي يقول القلب فيه رماني
وما منهما في الحبِّ عندي[2] مُبَرّاً | لأنَّهما[3] في الفعل يشتركان[4]
ولولا كما[5] ما كان[6] خصمان في الهوى | وما[7] كنت مقتولاً بغير سنَانِ [١٥٧أ]

[بحر الطويل]

فيا[8] معشر المذنبين كم قيدتكم الشهوات عن الصعود، كم حجبتكم[9] الزلات عن الورود، كم عدا بكم العصيان عن الحدود، كم[10] أوردتكم المعاصي إلى[11] الطغيان بئس الورود، ستندمون والله حيث لا ينفعكم الندم ولا[12] والد ولا مولود، تنفرد وحدك[13] بأعمالك ويدنك بالدود، ولا ينفعك تمزيق الثياب ولطم الخدود، ودَّعك أحبابك وَداع من لا يعود، أما تتفكَّر في هذا السفر الذي يعم الوجود، ما[14] لك عين تبكي على الهجر والصدود، في كل مجلس تقول لست أعود ثم تعود، كم من طلعت عليه[15] الشمس وهو موجود وغربت وهو مفقود، أملك في طلب التوبة محلول وفي طلب الدنيا معقود، تُرائي بأعمال[16] جوارحك وهي[17] والله عليك شهود، سافر ويحك عن ظلمة طبعك عساك[18] تفهم معنى الوجود، يا عبد الشهوة يا طريحاً عن[19] الباب يا مبعود، تركتنا وأطعت إبليس تُرى متى إلينا تعود، ليالي المتهجدين بيض وليالي النُّوَّم كلها[20] سود، يا عبدي أقبل عليَّ[21] عسى يلين قلبك الجلمود، لئلا تطول الغيبة فتكثر الوحشة ويدوم[22] الصدود، رافق في سفر السحر[23] رفاق تتجافى والعيون هجود، مهما صعدوا ثنية ركوع هبطوا وادي سجود، يتواجدون بذكري فواجدهم بين

---

(1) عبارة «في الحب»، في (م): «والحب».
(2) في (م) و(ع): «إلا».
(3) في الأصل: «لأنها»، والتصويب من (م) و(ع).
(4) في (م) و(ع): «مشتركان».
(5) في الأصل و(ع): «ولولاك»، والتصويب من (م).
(6) في الأصل: «كنا»، والتصويب من (م) و(ع).
(7) في (م) و(ع): «ولا».
(8) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(9) في الأصل: «حجبتم»، والتصويب من (م) و(ع).
(10) في (م) و(ع): «وكم».
(11) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(12) عبارة «لا ينفعكم.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا ينفع».
(13) في (م) و(ع): «روحك».
(14) في (م) و(ع): «أما».
(15) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(16) في (م) و(ع): «بأعمالك».
(17) كلمة «وهي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(18) في (م) و(ع): «عسى».
(19) في (م) و(ع): «على».
(20) في (م) و(ع): «النوام عنا».
(21) في (م) و(ع): «إلي».
(22) في (م) و(ع): «فيدوم».
(23) في (م) و(ع): «السهر».

التهائم والنجود، ما زالت هممهم عالية فهم من صعود لسعود، ساعدهم التوفيق فجعل الوجود [١٥٧ب] لهم جنود، رجال مجاهدة وأبطال مشاهدة وأسود، عشقوا الفضائل وذللوا النفوس وهي شرود، يا عبدي أصف لك طريق أحبابي وكيف هم[١] من ألطافي في مهود، كم تعصيني وأطلب رضاك وأنت بإصرارك مبعود، مالي شريك في إيجادك ولا شاهد ولا مشهود، غذيتك بنعمتي وظل رحمتي[٢] عليك ممدود، إذ كنت في الصبا لا ترعوي وفي[٣] الكبرترجو أن تعود[٤]، معاشر المذنبين أعملوا لوحشة اللحود، قدِّموا الزاد قبل سفر الموت وبعد الخلود، فليت شعري فإلى[٥] أي الدارين تكون الرحلة ما أحقّك بلطم الخدود، إذ خرجت من المجلس ولم تتب فلواء الشقاء عليك معقود، فبادروا إخواني قبل مقام[٦] يشهد عليكم فيه الأشهاد، ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى قال[٧]: «بينما[٨] أنا في جبانة[٩] أعتبر بالموتى، وأذكر طول البلاء، إذ رأيت شاباً أستفرغه الوله، فسلمت عليه وقلت: من أين أقبلت؟ فقال: من عند[١٠] هذا العسكر، وأشار بيده إلى الموتى. فقلت[١١]: وأي شيء قلت لهم؟ قال: قلت لهم[١٢] متى ترحلون؟ قالوا حتى تقدموا. فقلت: أراك حكيماً فأخبرني من أين وقف سالك الطريق في فجاج المضيق؟ فقال: من ضعف جواد التصديق. قلت[١٣]: أخبرني عن الصادق لله [١٥٨أ] تعالى[١٤] في حبه متى يشتاق إلى رؤية ربه؟ قال: إذا نزع حب الدنيا من قلبه وتبرم ببقائه[١٥] أشتاق إلى رؤية[١٦] ربه». شعر[١٧]:

نهاني حيائي منك أن أكْشِف الهوى ... فأغْنَيْتَني بالفَهْم عنك[١٨] عن الكَشْف

---

(١) في الأصل: «وهم»، وهي من (م) و(ع).

(٢) عبارة «وظل رحمتي»، في (م) و(ع): «وظلها».

(٣) في (م) و(ع): «ففي».

(٤) في (م) و(ع): «تسود».

(٥) في (م) و(ع): «إلى».

(٦) في (م) و(ع): «يوم».

(٧) في (م) و(ع): «قال إبراهيم التيمي». وإبراهيم هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، تيم الرباب، أبو أسماء الكوفي الفقيه العابد، كان كبير القدر، مات سنة ٩٢هـ - ٧١٠م، وهو شاب لم يبلغ أربعين سنة. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٩٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ، ص٢٨٣.

(٨) في (م) و(ع): «بينا».

(٩) في (م) و(ع): «الجبانة».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «قلت».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «بلقائه»، وهو تصحيف.

(١٦) في (م) و(ع): «فاشتاق إلى لقاء».

(١٧) الأبيات لأبي حمزة الخراساني الصوفي، المتوفى سنة ٢٩٠هـ - ٩٠٢م. انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٢٨/ ٢٤٥.

(١٨) في (م) و(ع): «منك».

تلطَّفت في أمري فأبدَيْت شاهدي إلى غايتي واللّطفُ يُدْرَك باللُّطف

تراءَيْتَ لي بالغيب حتَّى كأنَّما يُمَثِّل[1] لي بالغيب أنَّك في الكف

أراك ولي من وحشتي[2] لك وحشة وتُونِسني باللُّطْف منك وبالعَطْف

وتُحْيِي مُحبّاً أنت في الحبِّ حَتفه وذا عجب كون الحياة من[3] الحتف

[بحر الطويل]

إخواني أحضروا قلوبكم[4] للإخلاص وتوسلوا إليه[5] في طلب الخلاص، ونادوا بلسان الافتقار يا دليل الحائرين[6]، يا راحم المنقطعين، يا جابر المنكسرين[7]، يا قابل التائبين، أرحم غربتنا إذا نسينا الذاكرون، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين[8].



---

(١) في الأصل: «تبين»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «دهشتي». والوحشة: الخلوة والوهم، وقد أوحشت الرجل فاستوحش. ابن منظور، اللسان، «وحش»، ٦/٣٦٨.

(٣) في (م) و(ع): «مع».

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «يا دليل الحائرين» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «المكسورين».

(٨) عبارة «برحمتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل التاسع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي نظم سلك الوجود وحلّى به جِيد الوجود[1] فبدا وهو نظيم، قَسّم مقادير المقادير على وفْق ما تقدَّم في علمه القديم، مدَّ طَيْلس[2] الليل على إيوان الوجود فظهر ليله البهيم، أوقد شمعة الشمس في فُسطاط[3] الفلك والقمر بين سلك النجوم كالدُّرِّ اليَتِيم، جعل بعض النجوم زينة وبعضها رجوماً للشيطان الرجيم، [١٥٨ب] فالفصاحة زينة[4] سماء العبارة فمن فَهِم المعنى يهيم، نبَّه عيون العارفين في خلوة الدجى فهيمانهم بحبه يهيم[5]، قدَّ[6] من أديم الزمان شراك[7] الليل والنهار ومنظومها[8] الراحل والمقيم، حنَّت نفوس العاشقين إلى عشيات الحمى فالسلو عنها[9] راحل[10] والشوق مقيم، كيف يسلو فؤاد صب يحييه نفَس[11] النسيم، واعجباه كيف صحَّ العاشق مع العشق[12] وهو السقيم، كم تحت ستر الدجى ممن تخاله سليماً وهو سقيم[13]، يكفكف ماء المدامع و[14]فؤاده مكلوم[15] وسمعه كليم، كم سبيت[16] سلمى وزينب والرباب[17] ومن لها صوت[18] رخيم، ومحبوبها[19] يغار أن يسميه ولا يشير إشارة التسليم، سكروا بحبه فهاموا في الفلوات ومن طلب عظيماً خاطر بعظيم، حديث غرامهم صحيح

---

(١) في (م) و(ع): «الموجود».
(٢) في (م) و(ع): «أطلس».
(٣) الفسطاط ضرب من الأبنية، وكل مدينة فسطَاط. ابن منظور، اللسان، «فسط»، ٧/ ٣٧١.
(٤) عبارة «وبعضها رجوماً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «نبه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) القَدّ: القطع المستأصل، والشق طولاً، قدَّه يقدّه قدّاً. ابن منظور، اللسان، «قدد»، ٣/ ٣٤٤.
(٧) في (م): «سير»، وفي (ع): «سر».
(٨) في (م) و(ع): «ومنطق بهما». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) عبارة «يحييه نفس»، في (م) و(ع): «نحييه بنفس».
(١٢) عبارة «مع العشق»، في (م) و(ع): «على الشوق».
(١٣) في (م) و(ع): «سليم».
(١٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) كلمه يكلِمه: جرحه، ورجل مكلوم وكليم. ابن منظور، اللسان، «كلم»، ١٢/ ٥٢٤.
(١٦) في (م) و(ع): «شبيت».
(١٧) في (م) و(ع): «والرباب وزينب».
(١٨) في (م) و(ع): «دل».
(١٩) في (م) و(ع): «ومحبوبه».

وحديث سلوِّهم سقيم، لو رأيتهم يوم زينة المحشر عليهم خلع الرِّضى والتكريم، والمحروم في تيه الآمال وفيه مرعى وخيم[1]، يتوهم أنه متّع[2] في الدنيا وهو من الغفلة في عذاب أليم، بينما[3] نضارة حسنها[4] يروق للناظر وقلبه[5] بها يهيم، هبَّت عليها سموم الفناء فعاد حميدها ذميم[6]، فأنتبه أيها المغرور لفهم مثال مثَّله العزيز العليم[7]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا [١٥٩أ] وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[8].

إخواني[9] النظر إلى الفضول علامة الحرمان[10]، غضوا بصائر[11] البصائر عن الأكوان، فالمراقب[12] بالمرصاد فيما يكون وفيما قد كان، قيِّدوا خُطا الخطايا عن جوّ الجَوَلان، فالناقد[13] بصير وليس الخبر كالعيان، أجمعوا سهام الغفلة[14] والكذب والبُهْتان، أغراض الأعراض مرمى كل جبار[15]، رُبَّ رمية أصابت الرامي فأعمت منه الإنسان[16]، كم كلمة كَلَمَت المتكلم وحَيْنه بها قد[17] حان، و[18]كم نظرة أذهبت بصيرته[19] وكانت سبب الحرمان، يا مسوفاً بالتوبة طول الزمان، ضيعت الشباب في الغفلة والمشيب في العصيان، كم

---

(١) شيء وَخِم: وبيء، وبلدة وخِمَة ووخيمة إذا لم يُوافِق سكّنُها. ابن منظور، اللسان، «وخم»، ١٢/ ٦٣١.

(٢) في (م) و(ع): «منعم».

(٣) في (م) و(ع): «بينا».

(٤) في (ع): «حملها».

(٥) في (م) و(ع): «يروق الناظر ولبه».

(٦) في (م) و(ع): «وهو ذميم».

(٧) في (م) و(ع): «الكريم».

(٨) سورة يونس، آية ٢٤ ـ ٢٥.

(٩) في (م) و(ع): «معاشر السالكين».

(١٠) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه الطبراني وأحمد عن الحسين بن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث (١٧٣٦/٨)، ١/ ٢٤٩. الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٢٨٨٦)، ١٢٨/٣. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد والكبير ثقات. الهيثمي، كتاب الأدب، باب من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ١٨/٨. وقال المناوي: حسنه النووي بل صححه ابن عبد البر. المناوي، فيض القدير، ١٣/٦.

(١١) في (م) و(ع): «أبصار».

(١٢) في (م) و(ع): «المراقب».

(١٣) في (م) و(ع): «الناقد».

(١٤) في (م) و(ع): «الغيبة».

(١٥) في (م) و(ع): «جبان».

(١٦) في الأصل «فأعمى منها الإنسان»، والتصويب من (م) و(ع). والإنسان: إنسان العين، وإنسان العين: ناظرها. ابن منظور، اللسان، «أنس»، ١٣/٦.

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة، ما يتبيَّن ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم الحديث (٥٠/٢٩٨٨)، ٤/ ٢٢٩٠.

(١٨) الواو ساقطة في (م).

(١٩) في (م) و(ع): «بصره».

لي أحدث قلبك و[1]سمعك ما كأن لك[2] آذان[3]، أما تعتبر بالراحلين عن الأوطان، ديارهم أقفرت منذ أزمان، كم من[4] آمل[5] أصبح في أمله أمسى وهو خبر كان، خلَّف الأهل والأولاد والأموال[6] والغلمان، وسافر إلى أمد بعيد نسيه الأهل والجيران، رأى زاده قليلاً فجَرَتْ منه دموع الأحزان، أصبحت حَليلته عروساً[7] لغيره وأيتم الولدان، أين من قاد الجيوش من طوائف الطوفان، أين من قاد الجيوش في أقاليم[8] من [١٥٩ب] ساسان[9]، أين عاد وكسرى والإيوان، أين باني الخورنق[10] أين السّدير والنعمان، أين من حصَّن الحصون أين ابن ذي يزن[11] وغُمْدان[12]، خُرِّبَتْ قصورهم بيد الحدثان وأصبحت خراباً من السكان، أمحلت[13] ـ والله ـ باناتها والكثبان، أين من حل بها ومن[14] قد كان، تسارعوا على البلى تسارع الرُّكبان، تباعدوا في المزار وقد كانوا جيران، فيا[15] لهفي على تلك الأوطان، أما تسمع حديث القوم أما لعينك[16] عيان، أُفْرِدوا بأعمالهم فهم من الخسران كل يوم[17] في شان، ينادي مناديهم[18] بلسان الأسف وتدمع منه العينان، يا طول غربتهم بعدما كانوا في شجر المنى كالأغصان، لو سئلوا عن أيام[19] الدنيا لقالوا نوم في جفون يقظان، ندموا على ما قدموا وخلفوا[20] وما ينفع الشجيَّ الأشجان، فيا من تخلَّف عن المتاب حتى شاب أما آن

---

(١) كلمة «قلبك و» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «ما كأن لك»، في الأصل: «أما كأن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «أذنان».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في الأصل: «مؤول»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «والأموال والأولاد».

(٧) في (م) و(ع): «عِرساً».

(٨) عبارة «أين من قاد الجيوش في أقاليم»، في (م) و(ع): «أين من ساس الأقاليم».

(٩) وهم الأكاسرة الساسانية من ولد ساسان بن ازدشير، وقد زال ملكهم بالإسلام. عماد الدين أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١/ ٤٧.

(١٠) في الأصل: «الحرق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «أين ذي يزن». وابن ذي يزن هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح الحميري، يكنى أبا مرة، أقام ملكاً من قبل كسرى على اليمن حتى غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده. ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ١٧٧. الآلوسي، بلوغ الأرب، ٢/ ١٧١، ١٧٢.

(١٢) غُمدان قصر بصنعاء باليمن، كان منزل الملوك، ولم يزل قائماً حتى هدمه عثمان بن عفان ﷺ. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ١٠٠٠.

(١٣) أرض مُحْل وقحط: لم يصبها المطر في حينه، المَحْل الجدب، وهو انقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ. ابن منظور، اللسان، «محل»، ١١/ ٦١٧.

(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يا».

(١٦) في (م) و(ع): «العينيك».

(١٧) في الأصل: «كل يوم هو»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «وما خلفوا».

لك أما[1] آن، دنا[2] حصاد زرعك[3] وحَيْنك لعمري قد حان، إذا لم تبك بياض المشيب[4] فعند السكرات دمعك طوفان، لأي يوم تدخر التوبة أما هذا مأتم الأحزان، يا محامل[5] التائبين ترفَّقوا لمنقطع وهو[6] عطشان، لعل فاضل همة تحمل المتخلف الكسلان، يا مرائي أنت نائم ما أنت يقظان، متى تُخْلِص متى تصدق متى تكون يقظان، فيا مسوفاً بالتوبة ليس ليل السليم كَلَيْل السقيم[7]، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

قال أبو سليمان المغربي[8] [١٦٠أ] رحمه الله تعالى: «كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت به، وكان[9] طريقي فيه الورع[10] . . .» تقدمت هذه الحكاية[11]. شعر[12]:

أمَّا وقد ذهب الزمان الأول	فطِلابُ ما قد بان منه تَعلُّل[13]
ما ينفع الرَّبع الرَّحيب وقد خلا	من أهل وُدِّي ربعهم والمنزل
وكأنَّما[14] كانوا خيالاً طَارِقاً	نادى الفُراق بجَمْعهم فتَرحَّلوا
أأرومُ[15] من عيشي المُقدَّم رَجْعة	من بعد ما ولَّى الزمان المُقبل
وأقول للحادين رِفْقاً بعدما	شَدُّوا[16] المطايا للرحيل وعجَّلوا
حَيْران يُسْعِدُني على ما حلَّ بي	زفراتُ محزونٍ ودمع مُسبَل
لم أدْر كيف تَصَبُّري من بعدهم	عنهم على أيِّ الأمور أعوِّل
فوقفت أسأل في خلال مَطيِّهم	وَلْهان ما[17] أدري لماذا أكْسل[18]
لكن لنا عند التَّلاحُظ رَجْعة	فيها رسول بالتواصل مُرسَل

[بحر الكامل]

---

(١) في الأصل: «ما»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م): «آن»، وهي ساقطة في (ع).

(٣) في (م): «عمرك».

(٤) في (ع): «الشيب».

(٥) في (م) و(ع): «محمل».

(٦) عبارة «ترفقوا.. إلخ»، في (م) و(ع): «توقفوا لمنقطع فهو».

(٧) عبارة «كليل السقيم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.

(٩) في (م) و(ع): «فكان».

(١٠) في (م) و(ع): «التقوى».

(١١) عبارة «تقدمت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر القصة في (م) و(ع) بكاملها في هذا الموطن.

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) تعلل به أي تلهَّى به. ابن منظور، اللسان، «علل»، ١١/٤٦٩.

(١٤) في (م): «فكأنما».

(١٥) في الأصل: «أروم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «زموا».

(١٧) في (م) و(ع): «لا».

(١٨) في (م) و(ع): «أسأل». والكسل التثاقل عما لا ينبغي أن يُتثاقل عنه. ابن منظور، اللسان، «كسل»، ١١/٥٨٧.

إخواني ما أوحش قلباً خربَتْ من التقوى منازله، عج بوادي الدجى عسى تُشجِيك[١] بلابله، أستوقف ركب المتهجدين[٢] لعل تمر[٣] بك محامله، ناد ارحموا منقطعاً شغله من الحرمان شواغله، لازاد ولا تقوى تساعده[٤]، ليت شعري من أقامكم[٥] وأنامه ولاحت[٦] عليه من الهجران مخايله، من نجاكم من سهام المعاصي وأصيبت[٧] بها مقاتله، من قرَّب لكم[٨] البعيد وأبعده فما نفعه طلّ[٩] دمع ووابله، من سلك بكم سبيل الهدى في سبيل لا تخاف غوائله، من أبعد المحروم فرفيقه خادع الأمل[١٠] وباطله، لا ينفعه التأسف على الفائت وما لا[١١] يحاوله، فيا رفاق [١٦٠ب] تتجافى عسى فضلة همَّة على من لفَّ[١٢] له عاذله، يا نازلين وادي[١٣] السحر أذكروا من كان ينازله، تذكروا المنقطعين ومن قُطعت عنه رواحله، تحمَّلوا رسالة محزون عساه تقبل منه رسائله[١٤]، لازم الباب وإن[١٥] طردت عساك ترحم من أعاليه أو من[١٦] أسافله، كم طفيلي وجد الباب مفتوحاً فدخل فإذا الفضل شامله، ويحك كم توسع منزل[١٧] الخطايا وغريم التوبة تماطله[١٨]، أما تخاف فجاءة المنون إذا نزلت نوازله، لا تنفعه[١٩] النوادب ولو ناحت عليه حلائله، ما أسرع ما يُرْحَل[٢٠] به للرمس وآماله وأمواله تزايله، يدفع[٢١] مع ما قدَّم فأسمع نصح عليم بما أنت جاهله، إن كان صالحاً آنسك وإن كان فاسداً أوحشك فأعماله عوامله[٢٢]، يا حاضر الجسم يا غائب القلب يا من عميت سبله

---

(١) في (م) و(ع): «تشجيه».

(٢) في (م) و(ع): «المجتهدين».

(٣) في (م): «يمر».

(٤) في (م) و(ع): «أحاوله».

(٥) في (م) و(ع): «أنامكم»، وهو تصحيف.

(٦) في (م) و(ع): «فلاحت».

(٧) في (م) و(ع): «وأصيب».

(٨) في (م) و(ع): «منكم».

(٩) الطل: المطر الصغار القطر الدائم، وقيل: هو فوق الندى ودون المطر. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ١١/ ٤٠٥.

(١٠) في (م) و(ع): «الآمال».

(١١) في (م) و(ع): «ولاما».

(١٢) في (م) و(ع): «رق».

(١٣) في (م) و(ع): «بوادي».

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «وسيلته قلب منكسر وقد تقبل من الأسير وسائله».

(١٥) في (م) و(ع): «ولو».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «طريق».

(١٨) في (م) و(ع): «يماطله».

(١٩) في (م) و(ع): «ينفعه».

(٢٠) في (م) و(ع): «يسرع».

(٢١) في (م) و(ع): «يدفن».

(٢٢) وقوله هذا إشارة إلى ماجاء في بعض حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل المسلم إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاء ملك الموت فقعد عند رأسه... ويمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك وجه يبشر بالخير. قال: فيقول: أنا عملك الصالح. قال: فهو يقول رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي، ثم قرأ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهم: ٢٧]. وأما الفاجر فإذا كان في قبل من الآخرة، وانقطاع=

ودلائله، هذا منادي[١] التوبة ينادي بالرحيل فكيف[٢] يجيب من عزمه خاذله، إذا نزل المشيب ولم ترحل عن الذنوب فقد هلكت[٣] هلاك الأبد فأفهم ما أنا قائله، يود الخاسر يوم الحشر[٤] لو يفتدي من الأهوال بالوجود لو يقبل باذله، هيهات[٥] كيف يطيق النهوض من أصيبت[٦] بالحرمان مقاتله، فبادروا إخواني قبل هول يوم عظيم، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أبو عبيدة الخواص رحمه الله تعالى قال[٧]: «رأيت شيخاً في مسجد[٨] بيت المقدس كأنه قد أحترق [١٦١أ] بالنار، عليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء، طويل الصمت، كريه المنظر، كثير الشعر، شديد الكآبة. فقلت: يرحمك[٩] الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما في البياض، فبكى و[١٠]قال: هذا أشبه بلباس أهل المصائب[١١]، وإنما أنا وأنت في الدنيا في حداد، فكأني بي وبك قد[١٢] دُعينا، فما تم كلامه حتى غشي عليه». شعر[١٣]:

خذوا النوم[١٤] عني إنَّني من[١٥] عياده[١٦] ضعيف فكيف اليوم[١٧] وهو ثقيل
وخلُّوا فضول الدمع تَهْمي[١٨] فإنَّها بقيَّة نفس بالدموع تسيل
ولا تسألوا عمَّا أجنّ فليس لي لسان يؤدي ما الغرام يقول
وإنِّي إذا[١٩] ما حَدَّث الرَّكب عنكم نسيم بتصديق الوشاة كفيل

= من الدنيا أتاه ملك الموت... ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، قال: فيقول: من أنت فوجهك الوجه يبشر بالشر. قال: فيقول أنا عملك الخبيث. قال: وهو يقول رب لا تقم الساعة». قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرك، كتاب الإيمان، ١/ ٣٧.

(١) عبارة «هذا منادي»، في (م) و(ع): «فإذا دليل».
(٢) في (م) و(ع): «كيف».
(٣) عبارة «فقد هلكت»، في (م) و(ع): «فهلكت».
(٤) عبارة «يوم الحشر» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «أصيب».
(٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٤٧. وأبو عبيدة هو عباد بن عباد، وقد اشتهر بأبي عبيدة وإنما هو أبو عتبة. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٧٥.
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «رحمك».
(١٠) في (م) و(ع): «ثم».
(١١) عبارة «بلباس.. إلخ»، في (م) و(ع): «الباس أهل المصيبة».
(١٢) في (م) و(ع): «وقد».
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٤) في (م): «اللوم».
(١٥) في (م) و(ع): «في».
(١٦) في (م): «عناده».
(١٧) في (م) و(ع): «اللوم».
(١٨) هَمَت عينه تهمو: صبت دموعها، والمعروف تهمي. ابن منظور، اللسان، «همي»، ١٥/ ٣٦٤.
(١٩) في (م) و(ع): «متى».

وأشفق من مرِّ النسيم إذا جرى عليلاً[1] وهل يَخْشى العليل عليلُ
وكيف انتفاعي[2] بالشَّمائل والصَّبا إذا كان لا يُشْفَى بهنَّ عليل[3]
وما بال خفَّاق النَّسيم يميلني هل[4] الريح راح والشمال شَمول
يطارحني البرق الحديث كأنَّما أضاء كأنَّ[5] البرق منك رسول
دموع كمنهل الحيا[6] مُسْتَهِلَّة وجسم كما لاح الهلال نحيل
ويطلع لي إذا ذكرت طوالع[7] من الشوق لا يُرْجَى لهنَّ أفول
فللّه هذا الطَّرف أما بكاؤه فهَطل وأمَّا نومه فقليل
وليس يبالي أن يقال إذا بكى مُريبٌ ويخشَى أن يقال بخيل

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي جعل معرفته للعارفين دليلاً، أعجز العقول [١٦١ب] أن تتخذ[8] إلى كُنْه ذاته سبيلاً، آنس المشتاقين بحبه فاتخذوا أنسهم[9] به خليلاً، شوَّقهم لرؤيته فلم يريدوا به بديلاً[10]، نزَّهوا نفوسهم عن الأسباب لمَّا كان لهم كفيلاً، بذلوا نفوسهم في رضاه وما بدَّلوا تبديلاً، سهَّل عليهم ترك الشهوات وإن كان حمله[11] ثقيلاً، عاملوه بالإخلاص فكان لهم في معاملتهم وكيلاً، كم لهم تحت ستر الدجى من مجلس أنس يرتِّلون ذكره تعالى[12] ترتيلاً، ذابت لآلئ مدامعهم بعد الجمود فأبلَّت لهم غليلاً، فمشتاقهم واله لو عاد طيفهم عاد عليلاً، تعطَّر نسيم السحر بأنفاسهم ينمّ[13] عَرْفه بكرة وأصيلاً، عبراتهم رسائل واتخذوا شوقهم لرسائلهم سبيلاً، وافرحتهم يوم اللقاء في منازل القرب فأهلاً بها[14] منازل ونزيلاً، وأهل المعاصي بُدِّلوا من السعادة بالشقاوة[15] تبديلاً، أقيموا من الهجران والبعد مقاماً ذليلاً، الدنيا دار غرور اتخذوها منزلاً ومَقيلاً، كم أسمعهم واعظ العبر وكم فصَّل لهم الحديث تفصيلاً، غلب عليهم طرش الغفلة ما سمعوا إلا بكاء وعويلاً، وبين أيديهم أهوال يود أحدهم لو يجد

---

(١) في (م) و(ع): «مريضاً».
(٢) في (ع): «التقاعي»، وهو تصحيف.
(٣) في (م): «غليل».
(٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) «كأن» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) الحيا المطر لإحيائه الأرض. ابن منظور، اللسان، «حيا»، ٢١٥/١٤.
(٧) في (م) و(ع): «وتطلع لي أما طلعت طوالع». والطالع: الهلال. الفيروزآبادي القاموس، «طلع»، ص٩٦١.
(٨) في (ع): «يتخذوا».
(٩) في الأصل: «أنفسهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «سواه بديلا».
(١١) في (م) و(ع): «حملها».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «فنم».
(١٤) في (ع): «به».
(١٥) في (م) و(ع): «بالشقاء».

إلى المهرب سبيلاً، ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾[1].

إخواني ٱحذروا غرور التسويف وطول الأمل، وٱعتبروا بمن رحل من الأحباب أين رحل، وتفكَّروا في منزله أين [١٦٢أ] نزل، قد فاجأه[2] ما لم يكن له في الأمل، كم ضُرِبت له الأمثال[3] فما ٱمتثل، حتى عاد مُثْلَة يضرب[4] به[5] المثل، ٱستلان مهاد التسويف وتردَّى بالكسل، تخلَّف عن ساقة المجتهدين[6] ففاته العمل، نام عن المقصود فلا[7] نامت تلك المقل، خُرِّبت[8] حوالته على ديوان الحرمان والمطل، نصب له الكبر شوك[9] الضعف حتى رحل، عامل مرائي التسويف على بضاعة العمر فإذا بمتقاضي[10] المشيب حصل، حصَّل[11] منه حاصل الشباب وطالبه بالباقي بعد ضرب الأجل، ما حيلته إذا عاين سجن القبر بين الخوف والوجل، لو علم الغافل ما فاته فكيف[12] قدمه تزل، لو علم أيام عمره لأنصبغت وجناته صبغة الخجل، ما كان تبسَّم ولا تنسَّم في سهل ولا جبل، ما أفزع سرعة[13] الموت تأتي على غفلة[14] بلا مهل، ويحك نفس نفيس ووقت عزيز ضيعته لا في علم ولا في[15] عمل، هلَّا رافقت رفاق التائبين وأسرعت على عجل، كيف تخلَّفت عن محامل أهل[16] السحر وقد زينت بالاستغفار منازلهم[17] بالحلل، إذا فاتتك مواسم الأرباح فقد فُقِدت في تدبيرك الحيل، يا مريض القلب يا من أدركه بُحران[18] التوبة وما أبل، ويلي[19] من أعاتب! أعذل[20] من لا يسمع العذل! أنادي أطروش الغفلة كم ينادى الربع الداثر والطلل، ويلك ما لك[21] عزم في الذاهبين الأول، أين الأكاسرة والفراعنة وأرباب الدول، أين من جمع الأموال وحصَّن الحصون [١٦٢ب] وٱستعبد العبيد والخول، أين من أسكرته أيام الولاية وإدام[22] السكر قتل، ما ينفعه إذا داعي الممات دعاه[23] شجاع ولا بطل، ويحك ضيعت بدر

---

(١) سورة المزمل، آية ١٧ ـ ١٨.
(٢) في (م) و(ع): «جاءه».
(٣) في (م) و(ع): «الأمثال له».
(٤) في (م) و(ع): «ضرب».
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «السالكين».
(٧) في (م) و(ع): «لا».
(٨) في (م) و(ع): «خرجت».
(٩) في (م) و(ع): «شرك».
(١٠) في (م) و(ع): «متقاضي».
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «كيف».
(١٣) في (م) و(ع): «ما أسرع صرعة».
(١٤) في (م) و(ع): «سرعة».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «وقد زينت من الاستغفار».
(١٨) بَحِر الرجل يَبْحر بَحَراً إذا تحيَّر من الفزع، ويقال أيضاً: بَحِر إذا ٱشتد عطشه فلم يرْوَ من الماء. والأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً. ابن منظور، اللسان، «بحر»، ٤/٤٦. فالبحران تأويله تغيُّر يكون دفعة إما إلى جانب الصحة فيشفى، وإما إلى جانب المرض فيضعف.
(١٩) في (م) و(ع): «ويلاه».
(٢٠) في (م) و(ع): «أأعذل».
(٢١) في (م) و(ع): «ويحك أمالك».
(٢٢) في (م) و(ع): «وإذا دام».
(٢٣) في (م) و(ع): «ما يمنعه إذا دعاه الممات».

الشباب في الغفلة حتى أفل، بماذا تستضيء في ليل الكبر يا من تعلّل بالعلل، كم ترائي ويحك من يراك كم تَعْدِل عمن عدل[١]، كم تماطل التوبة[٢] بالتسويف بليت وعسى ولعل، سنك يضحك على حرمانك يا كثير الزلل، إلى أي وقت[٣] تدَّخر[٤] التوبة إلى متى هذا المطل، إن خرجت من المجلس كما دخلت فستندم طويلاً، ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾[٥].

عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر[٦] رحمه الله تعالى قال[٧]: «حدثتني[٨] مولاة لأبي أمامة[٩] قالت: كان أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه[١٠] يحب الصدقة[١١]، ولا يرد السائل قط خائباً[١٢] ولو ببيضة أو تمرة أو بشيء[١٣] مما يؤكل، فأتاه سائل فأعطاه جميع ذلك[١٤]، فغضبت امرأته[١٥] وقالت: لم تترك لنا شيئاً. قالت[١٦]: فوضع رأسه للقائلة، فلما نودي للظهر[١٧] أيقظته، فتوضأ ثم راح إلى المسجد[١٨]. قالت: فشفقت عليه وهو صائم[١٩]، فاقترضت ما جعلته[٢٠] له عشاء، وأسرجت له سراجاً، وجئت إلى فراشه لأمهده[٢١] له فإذا بذهب[٢٢]، فعددته[٢٣] فإذا هو ثلاثمائة دينار. قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما[٢٤] خلف. فأقبل

---

(١) عَدَل عن الشيء: حاد، والعَدْل: الحكم بالحق يقال هو يقضي بالحق، ويعدل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/ ٤٣٠، ٤٣٤.

(٢) في (م) و(ع): «المتاب».

(٣) في (م) و(ع): «يوم».

(٤) في (م): «تؤخر».

(٥) الآية في (م) و(ع): «﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾».

(٦) عبارة «ابن جابر» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٠٦.

(٨) في الأصل: «حدثني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) وهي عابدة من عابدات الشام المجهولات الأسماء. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٣٠٦.

(١٠) عبارة «الباهلي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وأبو أمامة هو صدى بن عجلان بن الحارث بن وهب، أبو أمامة الباهلي السهمي، غلبت عليه كنيته، وهو صاحب رسول الله ﷺ، ونزيل حمص، توفي سنة ٨٦هـ - ٧٠٥م. ابن الجوزي، الصفة، ١/ ٧٧٣. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ١٦.

(١١) في (م) و(ع) زيادة: «فيجمع لها».

(١٢) في (م) و(ع): «ولا يرد سائلاً».

(١٣) في (م) و(ع): «شيء».

(١٤) عبارة «فأعطاه.. إلخ»، في (م) و(ع): «ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه ديناراً، ثم جاء آخر فأعطاه ديناراً، ثم آخر فأعطاه ديناراً» إلا أن عبارة «ثم جاء آخر.. إلخ» ساقطة في (ع).

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «قال».

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «مسجده».

(١٩) عبارة «فشفقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوقفت عليه وكان صائماً».

(٢٠) في (م) و(ع): «جعلت».

(٢١) في (م) و(ع): «لأمهد».

(٢٢) في (م) و(ع): «ذهب».

(٢٣) في الأصل: «فاعدته»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٤) في (م) و(ع): «بالذي».

بعد العشاء فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال: هذا خير من عنده[1] تعالى[2]. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشى [١٦٣أ] فقلت: رحمك الله خلفت هذه النفقة ولم تخبرني فأرفعها. قال: وأي نفقة؟ ما خلفنا[3] شيئاً. قالت: فرفعت الفراش فلما رأى ذلك[4] فرح وزاد سروراً[5]. قالت: فقمت وقطعت زناري وأسلمت. قال ابن جابر[6]: فأدركتها بمسجد[7] حمص وهي تعلم الناس القرآن والفرائض والسنن وتفقههم في الدين». شعر[8]:

رُدوا علـيَّ شـوارِدِ الأظْعَـان ... مـا الـدَّار إن لـم تُـغْـن مـن أوطـان
لا يَغـرُرَنَّـكـمـا[9] اَضـطـبـاري إنـه ... ثـوبٌ تُـمَـزِّقـه يـد الـهُـجـران
فـعَـلام أستَسقـي الطلُول وما الـذي ... يُـجْـدي وقـوفـكـمـا بـغـيـر بـيـان
يـا صـاحـبيَّ ومـا الـمَـلام بـنَـافِـعي[10] ... مـا لـي بِـدَاعـيـة الـسُّـلـوِّ يـدان
عنِّي[11] مَـلامـكـمـا الـمَـلـيم فـقـد رأى ... بِـهـوى الأحـبَّـة غـيـر مـا تَـريـان
كـم أكْـثَـر[12] الـلـوَّام فـيـه ومـا وَعَـى ... سمعي ولا[13] ملك الملام[14] عِنَاني
قل[15] كيف تأمُرني[16] العواذل سَلْوة ... ويَـد الـصَّـبـابـة والـهـوى نَـهَـبَـانـي[17]
يـا سـاكـنـي نـعـمـان أيـن زمـانـنـا ... بـطُـوَيْـلـع[18] يـا سـاكـنـي نـعـمـان
إنْ زلـتُـمُ عـنِّـي فـلـسـتُ[19] بـزائـلٍ ... قـلـقـي الـقـديـم بـكـم ولا أحـزانـي[20]
ولـكـم[21] مـع الـهُـجـران وَجْـدي بَـعـدكـم ... وجـدي وأشـجـانـي بـكـم أشـجـانـي
وإذا ذكـرتـكـم[22] أمِـيـل صـبـابـة ... مـن ذِكـرِكـم كَـتَـمـايـل الـسَّـكـران
ويـخـونـنـي طَـرفـي فـيَـنْـطـق بـالـذي ... أخْـفـيـه مـن شـأنـي الـمَـنـيـع الـشَّـان

---

(١) في (م) و(ع): «غيره»، وهو تصحيف.
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «خلفت».
(٤) في (م) و(ع): «فلما أن رآه».
(٥) في (م) و(ع): «تعجبه».
(٦) في (م) و(ع): «قال جابر»، وهو تصحيف.
(٧) في (م) و(ع): «في مسجد».
(٨) البيتان الأول والثامن مقتبسان من قصيدة لابن المعلم. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٦/٥.
(٩) في الأصل: «يغرنكمو»، وفي (م): «يغرركما»، والتصويب من (ع).
(١٠) في (م) و(ع): «بنافع».
(١١) في الأصل: «دعني»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «أكثر».
(١٣) في (م) و(ع): «وما».
(١٤) في (م) و(ع): «الغرام».
(١٥) في (م) و(ع): «بل».
(١٦) في (م) و(ع): «يأمرني».
(١٧) في (م) و(ع): «نهباني».
(١٨) طويلع: ماء لبني يربوع، من تميم، وقيل: موضع بنجد. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٨٩٨/٢.
(١٩) في (م) و(ع): «فليس».
(٢٠) في (م) و(ع): «أشجاني».
(٢١) في (م) و(ع): «ونعم».
(٢٢) في الأصل: «ذكرتهم»، وهي من (م) و(ع).

شوقاً وإن لم تسمَحُوا بزيارة وهوى وإن لم تنْعموا بِتَدان [١٦٣ب]

[بحر الكامل]

معاشر[١] العصاة كم تعاهدون المولى ثم تنقضون العهود، وكم تعقدون عقد المتاب ولا توفون بالعقود، وكم تعملون الأعمال السيئة والحفظة عليكم شهود، كم[٢] تنسون الجوارح مع المعاصي وترك الحدود، ستندمون[٣] إذا برق البصر حيث لا ينفع[٤] والد ولا مولود، وتسلم إلى قبر ضجيعك فيه الأحزان والدود، خلّفت ما جمعت من مال و[٥]من[٦] موجود، أما تطلع عليك الشمس وأنت موجود[٧] وتغرب وأنت مفقود، لك الخطاب يا أطروش أنت بهذا الكلام مقصود، رافق التائبين[٨] وخيِّم مع الرُّكَّع السجود[٩]، ليالي المتهجدين مشرقة وليالي النائمين سود، سافر إلى إقليم السحر تنل في سفرك المقصود، أرفع قصتك على يد رسول السهر[١٠] وقل إلهي لا أعود، كم عاص يرفع[١١] إلى الله رسالته فيقابله[١٢] طالع السعود، وآخر قطع به فإذا في أقدام عرضه[١٣] قيود، ويحك رافق البكائين فلآلئ مدامعهم في سوق القبول قعود، ما أجمد عينك[١٤] وقلبك أقصى من الجلمود، تعرض لنفحات الدجى والعيون هجود، قدِّم زاد السفر ليوم[١٥] طويل لست منه تعود، كم لك من ستر مرخى على المعاصي وتشهد عليك الجوارح والجلود، هذا أوان الصلح يا غائب القلب متى تعود[١٦]، إن فاتك السفر في ركب التائبين فأنت منقطع في صحراء[١٧] الغيبة مفقود، [١٦٤أ] يا أرباب السلوك رافقوا أرباب[١٨] المجاهدة فهم رجال حرب أسود، يا خجلة المنهزمين بالخيبة[١٩] حُقَّ لهم لَطْم الخدود، ميلوا إلى ألوية الأولياء فظل لوائهم ممدود، ليت شعري من أسرته الشهوات كيف يسود، يا ماشياً في ليل الرياء ويلك كم ذا الجحود، حظ المخلص الوصول[٢٠] وكم[٢١] أرى لك الصدود،

---

(١) في (م) و(ع): «معشر».
(٢) في (م) و(ع): «وكم».
(٣) في (م) و(ع): «ستندم».
(٤) في (م) و(ع): «ينفعك».
(٥) في الأصل: «أو»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) عبارة «وأنت موجود» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «رفاق التائبين».
(٩) في (م) و(ع): «مع الركوع والسجود».
(١٠) عبارة «تنل في سفرك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م): «يرفعه».
(١٢) عبارة «إلى الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «الله ساعده».
(١٣) في (م) و(ع): «غرضه».
(١٤) في (م) و(ع): «عينيك».
(١٥) في (م) و(ع): «قدِّم زاداً لسفر».
(١٦) في (م) و(ع): «يعود».
(١٧) عبارة «فأنت منقطع.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأنت في منقطع».
(١٨) في (م) و(ع): «أبطال».
(١٩) في (م) و(ع): «بالغفلة».
(٢٠) في (م) و(ع): «الوصال».
(٢١) في الأصل: «وما»، والتصويب من (م) و(ع).

أثواب الرياءعارية وشهر[1] المرائي في الحقيقة خمود، دينار عملك[2] بهرج وعند نقاد الحساب مردود، يا أرباب الأفهام سارعوا قبل الموت فما ينفع ذكر الحمى وزرود[3]، هذه رسائل المواعظ تتلى عليك والملائكة شهود، مولاك ينادي[4] يا عبدي[5] بحق عطفي عليك بحق الجود، بحلمي بعفوي بما[6] بيننا من مواثيق[7] وعهود، لا تخجل[8] من كثرة معاصيك فجودي لك موجود[9]، إذا لم أجُد بعفوي على المذنبين[10] فعلى من تراني أجود، أقنع منك بقطرة دمع تخد[11] في الخد أخدود، إذا تركتني فمن[12] تعتاض غيري من الوجود، إبليس يريدك للنار وأنا أريدك للجنة ذات[13] الخلود، بحقي[14] عليك تقرب إلي فما تصلح لغيري يا معنى الوجود، فأنا لكل منقطع كفيلاً[15]، ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

ذكر عن بعض السلف رحمه الله تعالى قال[16]: «رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يثبت[17] على الأرض [١٦٤ب] و[18]كأن به وخز الأسنة، ودموعه تتقاطر[19]، فقلت: من أين؟ قال: آبق هرب[20] من مولاه. قلت: تعود وتعتذر[21]. قال: العذر يحتاج إلى إقامة الحجة[22] فكيف يعتذر المقصر. قلت: تتعلق بمن يشفع لك[23]. قال: كل الشفعاء يخافون منه، قلت: من[24] هو؟ قال: مولاي[25] رباني صغيراً وعصيته[26]

---

(١) في (م) و(ع): «وشهوة».
(٢) في (ع): «عمله».
(٣) زرود موضع بطريق مكة بعد الرمل فيه قصر أصفر لعلها سميت به وبركة وآبار. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/ ٦٦٤.
(٤) في (م) و(ع): «يناديك».
(٥) في الأصل: «عبادي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «بماذا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «واثق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «لا تعجب».
(٩) قوله: هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].
(١٠) في الأصل: «للمذنبين»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «تخدّد».
(١٢) في (م) و(ع): «فبمن».
(١٣) في (م) و(ع): «دار».
(١٤) في (م) و(ع): «فبحقي».
(١٥) عبارة «فأنا لكل منقطع كفيلاً»، في (م) و(ع): «إن فاتك ركب التائبين في هذا المجلس فستبقى في الخيبة ذليلاً».
(١٦) في (م) و(ع): «بلغنا عن بعض السادة أنه قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٦٧.
(١٧) في (م) و(ع): «يستقر».
(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «تتحادر».
(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «فقلت: يعود ويعتذر».
(٢٢) في (م) و(ع): «حجة».
(٢٣) في (م) و(ع): «فقلت: يتعلق بمن يشفع فيه».
(٢٤) في (م) و(ع): «فمن».
(٢٥) في (م) و(ع): «مولىً».
(٢٦) في (م) و(ع): «فعصيته».

كبيراً، شرط لي[1] شرطاً[2] فوفى لي[3]، وضمن لي فأعطاني، فخنته في ضماني، وعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعته وقبيح[4] فعلي. فقلت: أين هذا المولى؟ قال[5]: أينما[6] توجهت لقيت أعوانه، وأينما آستقررت[7] ففي داره. فقلت: آرفق بنفسك يرحمك[8] الله فربما أحرقك هذا الخوف. فقال: الحريق بنار خوفه أحق لعله يرضى[9]، ثم ولى وجعل يقول[10]:

لم يُبْقِ خوفك لي دمعاً ولا جلَداً	لا شكَّ إنِّي بهذا ميِّت كمدا
عبد كئيب أتى بالعجز مُعْتَرِفاً	وناره تحرق الأحشاء والكبدا
ضاقَتْ مسالكه في الأرض من وَجَلٍ	فمُنَّ منك بلُطْف في الحساب غدا

[بحر البسيط]

فقلت: يا غلام، الأمر أسهل من هذا[11]. فقال: هذا من فتن البطالين، هبك تخافه وعفا عنك[12] أين آثار الإخلاص والصفا، ثم صاح صيحة، وخرَّ ميتاً رحمة الله عليه[13]. فخرجت عجوز من كهف جبل عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء. فقالت: قد دعوته إلى ذلك فقال: [١٦٥] الرجاء بلا صفا شرك. فقلت[14]: من أنت منه؟ قالت: والدته. فقلت[15]: أقيم عندك أعينك عليه؟ قالت: خلِّه ذليلاً بين يدي قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه. فلم أدر مماذا[16] أعجب؛ من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز وصدقها رضي الله عنها[17]. شعر[18]:

ألا هل على[19] الحبُّ المبرّح نظرة	أفوز بها قبل الممات سبيل
بلاد بها أمسى الهوى غير أنَّني	أزول مع المقدور حيث يزول

---

(١) في (ع): «شرطني».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (ع): «فوفاني».
(٤) في (م) و(ع): «من حسن صنعه وقبح».
(٥) في (م) و(ع): «فقال».
(٦) في (م) و(ع): «أين».
(٧) في (م) و(ع): «وأين استقرت أقدامك».
(٨) في (م) و(ع): «رحمك».
(٩) عبارة «أحق.. إلخ»، في (م) و(ع): «لعله يرضى أحق وأولى».
(١٠) في (م) و(ع): «ثم جعل يقول».
(١١) في (م) و(ع): «أسهل مما تظن».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) عبارة «وخر ميتاً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «قلت».
(١٥) في (م) و(ع): «قلت».
(١٦) في الأصل: «مما ذات»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والبيتان الأول والثالث آقتباس من قصيدة ليحيى بن طالب الحنفي، والبيت الثاني مقتبس من شعر حمدان بن عبد الرحيم. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ٤/١٠١، ٣٢٧. والأبيات الخمسة الأخيرة رويت ليزيد بن الطثرية وغيره. ينظر: زهر الآداب للحصري، ٤/٩٢٣، ٩٢٤.
(١٩) في (م) و(ع): «إلى».

ويا أثلات[1] الحيّ قد مَلَّ صُحْبتي ... رَوَاحي فهل في ظلِّكُنَّ مَقيل[2]
فديتك أعدائي كثير[3] ومُسْعفي ... عزيز وأشياعي لَديك قليل
وكنت إذا ما جئتُ جئتُ بعلَّة ... فأفنَيْت عِلاَّتي فكيف أقول
ويا خُلَّة[4] النفس التي[5] ليس دونها ... لنا من أخلاَّء الصَّفاء خليل
وما كلّ يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كلّ وقت لي إليك وصول
أمَا من مقام أشتكي ذلّة الهوى[6] ... وخوف العِدَى فيه إليك سبيل

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي أقام نظام الأكوان على عمد القدرة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[7]، أبدع الأرواح اللطيفة بغير شريك ولا معين، واخترع الأجسام الكثيفة من سلالة من طين، ألف بينهما[8] بسر لطيف خفي عن[9] مدارك المدركين، رفع السماء على دعائم التقدير وزينها للناظرين، وبسط الأرض على لُجاج[10] البحار وفجَّر أنهارها بالماء المعين، أبكى عيون السحاب[11] بمدامع القَطْر فضحكت من [١٦٥ب] بكائها البساتين، حدا بُزُل السحب[12] حادي الرعد فحملت أحمال الأقوات[13] لأرزاق المرزوقين، أحيا به موات الأرض فقامت دفائن النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة على قيام الناس لرب العالمين، فالعالم مقهور في يد المشيئة الأولين والآخرين، قهر الخلق بالحير[14] وخبرهم[15] بالاكتساب وقلبهم بالتلوين، أباد الخلائق بالفناء وأعجزهم بالقضاء[16] وأرضى قلوب العارفين، نعَّم أهل المراقبة فحاسبوا

---

(١) في الأصل: «أثيلات»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع) زيادة:
«إذا هاج قلبي للعراق تحدَّرت ... مدامع من عيني تفيض همول
تفيض بأكناف الحمى ويردها ... بنعمان من وادي الأراك مقيل»
(٣) في (ع): «كثيرة»، وهو تصحيف.
(٤) في الأصل: «حلقة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) عبارة «أما من مقام.. إلخ»، في الأصل: «إلى من الشاكي فكيف ذل في الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنون، آية ١٤.
(٨) في (م) و(ع): «بينهم».
(٩) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «الجج».
(١١) في (م) و(ع): «السحب».
(١٢) في (م) و(ع): «بزل السحاب». وبزل الشيء يبزله بزلاً: شقَّه. وبزل ناب البعير طلع، وجمل بزول، وجمع البَزول بُزُل. ابن منظور، اللسان، «بزل»، ١١/٥٢.
(١٣) في (م) و(ع): «الأنواء». والنوء: النجم مال للغروب. الفيروزآبادي، القاموس، «نوء»، ص٦٩.
(١٤) الكلمة ساقطة في (م).
(١٥) في (م) و(ع): «حيرهم».
(١٦) عبارة «وقلبهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

أنفسهم[١] بأدق الموازين، شاهدوه شاهداً ومشهوداً لكل تكوين، غضوا أبصارهم عن سواه لمَّا علموا أنه الخاذل والمعين، وكيف لا وهو يحصي أعمالهم في أصح الدواوين، يحاسب أهل الصغائر والكبائر أهل الشمال وأهل اليمين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، فسبحان من بيديه[٣] القبض والبسط في السموات وفي الأرض[٤]، أحمده حمد من أعجزه التقصير عن مراتب الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خلاصة الأنبياء وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره والتابعين.

إلهي ما حيلة من قطعته عن بابك [١٦٦أ] العلائق[٥]، إلهي ما حيلة من عوَّقته عن النهوض إلى التوبة[٦] العوائق[٧]، إلهي ما حيلة من سبقت بشقائه السوابق، إلهي ما حيلة من أعمت الخطايا بصيرته فلم يَلُح له من العناية بارق، إلهي ما حيلة من عزمه في المتاب كاذب وفي الشهوات صادق[٨]، إلهي ما يصنع من لازمه الحرمان و[٩]لا يفارق، إلهي ما يصنع المكبول مع[١٠] أرباب السوابق، إلهي كيف يرجو الخلاص من هو في أسر الشهوات عليه مطابق، إلهي كيف يرجو السعادة من هو عن[١١] بابك آبق، لا حيلة في حل[١٢] ما عقده[١٣] القدر من المناطق[١٤]، أما يستحي من ضيَّع[١٥] الشباب في الغفلة وفي الكبر قال للغفلة أنت طالق، إذا أعمي[١٦] القلب كان[١٧] ذكر الآخرة عنده كالخيال الطارق، المرائي يسرق دينه من تحت حرز الإخلاص والقطع يلزم السارق، يا مريض الخطايا سم[١٨] الرياء يدُقّ على[١٩] الطبيب

---

(١) في (م) و(ع): «نفوسهم».
(٢) سورة يونس، آية ٦١.
(٣) في (م) و(ع): «بيده».
(٤) عبارة «وفي الأرض»، في (م) و(ع): «والأرضين».
(٥) في الأصل: «العائق»، وهي من (م) و(ع). والعلاقة: الحب اللازم للقلب. الفيروزآبادي، القاموس، «علق»، ص١١٧٦. والمعنى: من قطعه حب الدنيا عن بابك.
(٦) في (م) و(ع): «المتاب».
(٧) في (م) و(ع) زيادة: «إلهي ما يصنع من زينت له الغفلة فهو لها عاشق».
(٨) عبارة «إلهي ما حيلة من سبقت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «و».
(١١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «كل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «عقد».
(١٤) المناطق واحدها مِنطق وهو كل ما شد به وسطه. ابن منظور، اللسان، «نطق»، ١٠/٣٥٤، ٣٥٥.
(١٥) في (م) و(ع): «أما تستحي من ضياع».
(١٦) في (م) و(ع): «عمي».
(١٧) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «سقم».
(١٩) في (م) و(ع): «يدق عن». ودقَّ الشيء يدقه إذا أظهره. ابن منظور، اللسان، «دقق»، ١٠/١٠٢.

الحاذق، ظاهر المرائي ناسك وباطنه منافق، يا بائعاً نفيس[1] أنفاسه من الغفلة بدانق، ويحك كم تخالف المحسن[2] كم تخالف الخالق، و[3]ركنت إلى غرور الأمل وتركت صديق الآخرة الصادق، ويحك لا قلب مقبل ولا دمع جفونك عن حزنك ناطق، ويحك كم تجمع وتُنسى يوم خروج الروح فإذا هو زاهق، تسعى إلى فج المعاصي وكم[4] فيه من مخانق، كم بين مقبل ومدبر وطائع وفاسق، ستبدوا لك العجائب يوم ترى القلوب خوافق، كم تسبل[5] الستر على المعاصي وجوارحك [١٦٦ب] عليك نواطق، ويحك ملأت كتابك بالجرائم والبوائق[6]، إذا لم يهزك وعظي فما تهتز[7] لنغمات معبد وغناء مخارق[8]، لا يطربك نسيم نجد ولا تحزن[9] لذكر العذيب وبارق[10]، نمت على شفير الأمل فأصبحت من الخسران في خنادق، ضيعت الشباب وها أنت في الحرمان وقد شابت المفارق، ويحك رافق عيس البكائين عساك[11] تدرك المجد اللاحق، ويحك[12] تضحك بعد المشيب ونجوم الشباب شوارق[13]، من[14] أحق منك بإسبال[15] العبرات كالشقائق، كم ذا[16] أعاتب والقلوب عليها مغالق، كم أُقرطس[17] القلوب بسهم وعظي وعليها من الغفلة سرادق[18]، هذا مأتم الأحزان فأين أهل[19] الحقائق، معشر الفقراء هذه أبكار المعارف فأين العاشق، يا أرباب السلوك جدوا على نجائب العزائم فهي سوابق، يا أرباب المحبة طاب السماع فأين الصادق، يا مهجوراً بعد الوصال[20] لازم

---

(١) في (م) و(ع): «نفائس». (٢) في (ع): «المجلس».

(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «وهم»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في الأصل: «تسأل»، وهي من (م) و(ع).

(٦) البائقة: الداهية. ابن منظور، اللسان، «بوق»، ١٠/٣٠.

(٧) في الأصل: «تمتن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) هو مخارق بن يحيى بن ناووس، أبو المهنَّا المغنيّ، مولى الرشيد، إمام عصره في فن الغناء، ومن أطيب الناس صوتاً، توفي سنة ٢٣١هـ ـ ٨٤٥م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ، ص٣٥٧. الزركلي، الأعلام، ٧/١٩١.

(٩) في (م) و(ع): «تحن».

(١٠) بارق: ماء بالعراق، وهو الحد من القادسية إلى البصرة، وهي من أعمال الكوفة. وقيل: موضع بتهامة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/١٥١.

(١١) في (م) و(ع): «عيس التائبين عسى». (١٢) في (م) و(ع): «ويلك».

(١٣) شَرِقت الشمس شَرقاً إذا ضعف ضوءها. ابن منظور، اللسان، «شرق»، ١٠/١٧٩.

(١٤) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع). (١٥) في (م) و(ع): «بإرسال».

(١٦) عبارة «كم ذا»: في (م) و(ع): «متى».

(١٧) رمى فقَرْطس: أصاب القِرطاس. والقرطاس كل أديم ينصب للنضال. الفيروزآبادي، القاموس، «قرطس»، ص٧٢٩.

(١٨) السُّرادق: هو كل ما أحاط بشيء من حائط أو خباء. ابن منظور، اللسان، «سردق»، ١٠/١٥٧.

(١٩) في (م) و(ع): «أرباب». (٢٠) في (م) و(ع): «الوصل».

الباب و[1]لا تبرح و[2]لا تفارق، عسى لمحة من الرضى ولو كلمح البارق، رافق[3] من أنت بعينه[4] في كل حال وكل حين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال[5]: «خرجت إلى مكة ـ شرفها الله[6] ـ فبينما[7] أنا أسير إذا أنا بشاب وهو ساكت لا يذكر [١٦٧أ] الله تعالى[8] فيما أرى[9]، حتى إذا جن الليل رفع طرفه إلى السماء وقال: يا من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية هب لي ما لا ينفعك[10]، واغفر لي ما لا[11] يضرك. قال: ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس ثوب إحرامه والناس يلبون وهو لا يلبي، فقلت: جاهل، فدنوت منه[12] فقلت[13]: يا فتى[14] لم لا تلبي؟ فقال: يا شيخ ما تغني التلبية عن[15] الذنوب المتقدمة[16]، والجرائم المكتوبة[17]، والمعاصي السالفة[18]، إني[19] أخاف أن أقول لبيك فيقول[20] لي لا لبيك ولا سعديك ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك. فقلت: لا تفعل فإنه تعالى[21] كريم إذا غضب رضي، وإذا وعد وفى. فقال: يا شيخ، أتشير علي بالتلبية؟ قلت[22]: نعم. فبادر إلى الأرض[23] وجعل خده على التراب[24] وأخذ حجراً وجعله على خده الآخر، وأسبل دمعته[25] وجعل يقول: لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مقامي بين يديك، فأقام كذلك ساعة ثم قام و[26]مضى. ثم رأيته

---

(١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «راقب».

(٤) في الأصل: «بعينك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) القصة ذكرها الأبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف، ١/١٥٢.

(٦) عبارة «شرفها الله» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فبينا».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «فيما أرى»، في الأصل: «فبينما نرى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «ما يسرك».

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فقلت جاهل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فقلت له».

(١٤) عبارة «يا فتى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «مع».

(١٦) في (م) و(ع): «المتقدمات».

(١٧) في (م) و(ع): «المكتوبات».

(١٨) في (م) و(ع): «السالفات».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «فيقال».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «فقلت».

(٢٣) في (م) و(ع): «قال فبادر الأرض».

(٢٤) عبارة «على التراب»، في (م) و(ع): «بها».

(٢٥) في (م) و(ع): «دمعه».

(٢٦) عبارة «قام و» ساقطة في (م) و(ع).

يوم النحر يمشي[1] وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وما[2] عندي شيء أتقرب به غير نفسي[3] فتقبلها مني[4]، ثم شهق شهقة خرجت فيها نفسه رحمه الله تعالى[5]». شعر[6]:

تيامَنَ[7] عن وادي العقيق دليلها	فراحت ومن دون العليل غليلها
ألا ليت شعري بعد ما حلَّت النوَّى	أتَسْأل سلمى أين حلَّ خليلها
وإنِّي إذا عاد الجوارح طَيْفها	تَمَايَل شاكيها وصَحَّ عليلها[8] [١٦٧ب]
أُباحثُ أرواح الصَّبا عن حديثها	إذا أقبلَت عند الصَّباح قبولها
فإن تَرَيْنها الشمس عند شروقها	فقد[9] يغتدي يوماً بذكر أصيلها
فيا حَسْب نفسي إنْ ظفرتُ[10] بحُسْنِها	ويا سُولها[11] لو كان منِّي سؤلها
صَفا راحتي من راحة الوَصْل بعدها	على بَيْعَة في الحبِّ لا أَسْتَقيلها
ومُخْتَنقٍ في عَبْرة ليس يَرْتَقي	ومُخْتبِط[12] في لَوْعَةٍ ما يزيلها
محا بعدكم تلك العيون بكاؤها	وغال بكم تلك الأضالع غولها[13]
فمن ناظر لم يَبْقَ إلا دموعه	ومن مُهْجَة لم يبق إلا غليلها[14]
دعوا لي قلباً بالغرام أذيبه	عليكم وعيناً في الديار[15] أُجيلها
إذا ملكَت ريح الجنوب عِنانها	أحالت على ما في الدَّبُور قَبُولها

---

(١) عبارة «ثم رأيته.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «اللهم فما».

(٣) عبارة «أتقرب.. إلخ»، في (م) و(ع): «أتقرب به إليك أكثر من نفسي».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «خرجت نفسه رحمة الله عليه».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «تياسر».

(٨) في الأصل بُدِّل بين شطري البيتين الثاني والثالث، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «إن ظفرت»، في (م) و(ع): «لو قنعت».

(١١) سوَّلت له نفسه كذا: زيَّنته له. والتَّسويل تفعيل من سُول الإنسان وهو أمنيته أن يتمناها فتزين لطالبها الباطل وغيره، وأصل السُّول مهموز عند العرب. ابن منظور، اللسان، «سول»، ١١/ ٣٥٠.

(١٢) في الأصل: «معتنق»، والتصويب من (م) و(ع). والمختبط: طالب الرفد من غير سابق معرفة ولا وسيلة. ابن منظور، اللسان، «خبط»، ٧/ ٢٨٠.

(١٣) غاله الشيء غَوْلاً: أهلكه، وأخذه من حيث لم يدر. والغُول: الداهية. ابن منظور، اللسان، «غول»، ١١/ ٥٠٧.

(١٤) في الأصل: «رسومها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (ع): «الدار»، وهو تصحيف.

فكم نفحةٍ من أرضها بَرَّدت حشًى ... وبَلَّ غليلاً من فؤادٍ عليلها[1]

[بحر الطويل]

معاشر[2] المذنبين إلى متى هذه الغفلة والحق[3] واضح، أيقظوا القلوب للمتاب فقد آمتلأ الديوان بالفضائح، ضيقوا على النفوس بالورع فما يفلح المسامح[4]، ضمروها بالرياضة ليوم السباق عساها بالسير[5] تراوح، رافقوا دليل العلم فهو دليل صالح، تيه الأمل[6] لا آخر له وجوارحه جوارح، يا ماشياً[7] في ظلمة الغفلة أنت الخاسر وغيرك الرابح[8]، أين أيام الشباب أين الظباء السوانح[9]، أين سكان الحمى أين بانة المتنازح[10]، أين عشيات نجد أين من كان جفنه بالدمع سائِح[11]، أين من كان بالأبرقين نزوله رمته الخطوب بقِدْح[12] قادح، بينما[13] [١٦٨أ] المغرور في منام آماله صاح به للرحيل[14] صائح، أصبح غريقاً في بحر الهجران[15] وأمسى لسفر الآخرة رائح، تجرع[16] من الفراق ونديم الندامة له ماس به وصابح[17]، شغل عن الأحباب[18] بأهوال هالت الجوارح والجوانح، عبراته[19] تسيل ولسانه خرس لهول ما قدمه[20] من القبائح، سكن بعد[21] الحركة وذل بعد العز وطاحت به الخطوب الطوائح، نقل إلى ضيق لحد وشدت عليه الصفائح، ندم[22] على ما قدم وأسف[23] على ما خلَّف فلا ينفعه[24] مدح

---

(١) الأبيات الستة الأخيرة للشريف الرضي، انظر: الديوان، ٢/ ١٨٣.

(٢) في (م) و(ع): «معشر».

(٣) في (م) و(ع): «والأمر».

(٤) في (م) و(ع): «السامح».

(٥) في الأصل: «بالسر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «الآمال».

(٧) في (م) و(ع): «معثرا».

(٨) في (م) و(ع): «رابح».

(٩) في الأصل: «أين السوارح»، وهي من (م) و(ع). والسَّرْح والسارح: الماشية، والسُّنُح: الظباء الميامين. والسانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو غير ذلك، والجمع سوانح. ابن منظور، اللسان، «سرح»، ٢/ ٤٧٨. و«سنح»، ٢/ ٤٩٠، ٤٩١.

(١٠) في (م) و(ع): «المتناوح».

(١١) في (م) و(ع): «سامح».

(١٢) القِدْح: هو السهم الذي يُرمى به عن القوس. ابن منظور، اللسان، «قدح»، ٢/ ٥٥٦.

(١٣) في (م) و(ع): «بينا».

(١٤) في (م): «للمنون»، وفي (ع): «المنون».

(١٥) في (م) و(ع): «البحران».

(١٦) في (م) و(ع): «يجزع».

(١٧) عبارة «له ماس.. إلخ»، في (م) و(ع): «مماس له ومصابح».

(١٨) في (م) و(ع): «أحبابه».

(١٩) في الأصل: «عبراتك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «قدم».

(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «قدم».

(٢٣) في (م) و(ع): «ندم».

(٢٤) في (م) و(ع): «يتبعه».

مادح، ما أطول غربته وحزنه[1] و[2]لا ينفعه نوح نائح، مله العائد ونسيه الغادي إليه والرائح، يا تائهاً[3] في الحرمان متى تعود وتصالح، يا مضيعاً حاصل العمر وهو يرى أن المحاسب يسامح، ما جوابك عند السؤال و[4]ميزان طاعتك خاسر وميزان المعاصي راجح[5]، ما ينفع الغريق نداء[6] من بالساحل[7] وقد ضاقت به المسابح، معاشر[8] المذنبين تعرضوا لنفحات الجود لعل يلوح لائح، معشر السالكين خواتم الرياضة محمودة والفواتح، يا أرباب المحبة هذا عرف المحبة[9] فائح، يا نائماً في ليل الغفلة هذا فجر المشيب لائح، بادر التوبة[10] فربما قرب النازح، حاسب نفسك وصحح كتابك فعليك مراقبةُ[11] كرام كاتبين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦٨ب].

يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى قال[12]: «سمعت ذا النون المصري[13] يقول: وصف لي رجل في[14] المغرب، وذكر لي من كلامه وحكمته[15] ما حملني على لقائه، فرحلت إلى المغرب، فأقمت على بابه أربعين يوماً مساء وصباحاً[16] على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد، فكان يخرج وقت الصلاة[17] فيصلي ثم يرجع. فقالوا[18]: إنه لا يكلمه أحد. فقلت له يوماً: يا هذا إني مقيم[19] منذ أربعين يوماً[20] لا أراك تكلمني. فقال: يا هذا لساني سبع إن أطلقته أكلني. فقلت له: عظني يرحمك[21] الله بموعظة أحفظها عنك. فقال: وتفعل؟ قلت: نعم، إن شاء الله تعالى[22]. فقال[23]: لا تحب الدنيا، وعُد الفقر غنى، والبلاء نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنساً، والذل عزاً، والطاعة حرفة، والتوكل معاشاً، والله تعالى[24] لكل شدة عدة. ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلمني،

---

(١) في (م) و(ع): «حزنه وغربته».
(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «يا تائهاً إليه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «رابح».
(٦) في الأصل: «عياط»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «على الساحل».
(٨) في (م) و(ع): «معشر».
(٩) في (م) و(ع): «الحبيب».
(١٠) في (ع): «بالتوبة».
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٣٨/٤.
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «من».
(١٥) في (م) و(ع): «من معرفته وحكمته وكلامه».
(١٦) في (م) و(ع): «أربعين صباحاً».
(١٧) في (م) و(ع): «صلاة».
(١٨) في (م) و(ع): «قالوا».
(١٩) في (م) و(ع): «مقيم ههنا».
(٢٠) في (م) و(ع): «صباحاً».
(٢١) في (م) و(ع): «رحمك».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) في (م) و(ع): «قال».
(٢٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

فقلت[1]: رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلادي[2] فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة. فقال: الزاهد[3] في الدنيا قوته ما وجد[4]، ومسكنه حيث أدركه الليل، ولباسه ما ستر[5]، و[6]الخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله العزيز الجبار أنيسه[7]، والصمت رفيقه[8]، والخوف سجنه[9]، والشوق مطيته، والنصيحة همته، والصبر وساده، والصديقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أدبه، والبكاء دأبه، والله تعالى عونه[10]، [١٦٩أ] قلت له[11]: فمتى تَبِين[12] الزيادة من النقصان؟ قال: عند محاسبة النفوس». شعر[13]:

لقد[14] سَأَلْتُ لو وَجَدْتُ مُخْبِرا ... وقد[15] شكَوْت لو وجدت راحما

وما عُدِمْتُ إذ[16] عدمتُ عاذراً ... عَوْناً عليَّ في الهوى ولائما

شِمِ الهوى بين الضُّلوع بارقاً ... إنْ كُنتَ يوماً للبُرُوق شائما

وإنْ أردت للغَليل نافعاً ... يُرْوي[17] الأُوَام يُنْبِت الرَّواسما[18]

رِدْ أدمعي وخَلْ[19] غُذْران[20] اللِّوى ... واسْتَنْشق[21] جَفْني[22] ودع الغمائما

عَلام تَسْتَنْجِد[23] صبراً خاذلاً ... منِّي وتَسْتَرشد قلباً هائِما

بَانُوا فلم أَلْقَ سقاماً[24] غائباً ... عنِّي ولم أَلْقَ شِفَاء قادما[25]

وحاذوا[26] بي حَادِياً من الأسى ... يُعُودُني[27] مع الغرام راغِما

---

(١) في (م) و(ع): «فقلت له».

(٢) في (م) و(ع): «بلدي».

(٣) في (م): «إن الزاهد»، وفي (ع): «إن الزهد».

(٤) في (م) و(ع): «ما وجد منها».

(٥) في (م) و(ع): «ستره».

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع) زيادة: «والذكر رفيقه».

(٨) في (م) و(ع): «جنته».

(٩) في (م) و(ع): «سجيته».

(١٠) في (م) و(ع): «والله عدته».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «تتبين».

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «ولقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «ولقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (ع): «تروي».

(١٨) الرَّسْم: الأثر، ورَسْم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، والرَّوسم كالرَّسْم. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ١٢/٢٤١.

(١٩) في (ع): «ونحل».

(٢٠) في الأصل: «خذلان»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في الأصل و(ع): «وأستنشق»، والتصويب من (م).

(٢٢) في (م) و(ع): «دمعي».

(٢٣) في الأصل: «تستنشق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٤) في الأصل: «سلاما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٥) عبارة «شفاء قادما»، في الأصل: «شفاهاً أنادما»، وهي من (م) و(ع).

(٢٦) في (م) و(ع): «غادروا».

(٢٧) في (م) و(ع): «يقودني».

دونك لي في الحب[١] جسم ناحل[٢] يحمل طرفاً ولساناً كاتما
خذ بيدي من سَطْوة البَيْن وما أخال لي في البين عضواً سالما
ما ضرَّ مَنْ ساق[٣] الفؤاد عامداً بالهَجْر لو كان الوفاء[٤] دائما
وما عليه لو سَخَى بطَيْفه والطَّيْف لا يزور إلا نائما

[بحر الرجز]

إخواني[٥] الطباع المنحرفة[٦]، والفطن الناقصة، لو غنى لها[٧] معبد، وحرك لها إسحاق[٨] ولحن لها مخارق، ما تحركت ولا طربت، مجلسي مجلس منادمة، جُمع فيه من كل معنى[٩] عجيب، ومن كل فن غريب، أزهاره معانيه، وأطياره فصاحته، وتصفيف[١٠] أوانيه أمثلته، وأقداحه بلاغته، وشرابه معارفه، ونَقْلُه ٱستعارته[١١]، وزمزمه منظومه، ومطربه [١٦٩ب] منثوره، كم خلع فيه من عذار، وكم قطع فيه من زنار إصرار[١٢]، كم لندامى المحبين على بابه من تزاحم، وكم لخلاع الواجدين فيه من خلاعة، كم من[١٣] متفرج أتى للفُرْجَة وجلس في فُرَجه فما قام حتى ٱنتظم[١٤] في سلك التائبين، ورمى طيلسان الحشمة[١٥] وغلب عليه[١٦] طيب الشراب، فباح وصاح وناح[١٧] وطلق الدنيا بتاتاً، وخرج عن[١٨] ديار اللهو بشربة من هذا الشراب[١٩].

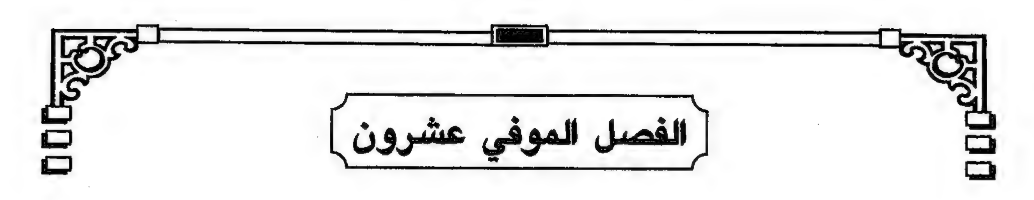
---

(١) في (م) و(ع): «بالحب».
(٢) في (م) و(ع): «بائح».
(٣) في (م) و(ع): «شان».
(٤) في (م) و(ع): «الفؤاد».
(٥) في (م) و(ع): «يا إخواني».
(٦) في (ع): «المنخرقة».
(٧) في الأصل: «بها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد، ابن النديم، فارسي الأصل، كان رأساً في صناعة الطرب والموسيقى، أديباً شاعراً، عالماً بأخبار الشعراء وأيام الناس، توفي سنة ٢٣٥هـ - ٨٤٩م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٨٢. الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٩٢.
(٩) في (م) و(ع): «فن».
(١٠) في (م): «وتصفيق».
(١١) في الأصل: «ونقله استعارة»، والتصويب من (م) و(ع). والنَّقْل: ما يُتَنَقَّل به على الشراب. الفيروزآبادي، القاموس، «نقل»، ص١٣٧٥.
(١٢) في (م) و(ع): «إسرار».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) عبارة «حتى انتظم»، في (م) و(ع): «إلا وقد انتظم».
(١٥) في الأصل: «الخشية»، وهي من (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «فباح وطاح».
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «السماع».

إلهي بالحال الذي أحالهم حلنا محلَّهم(١)، هب لنا ما وهبت لهم(٢)، وإن لم أستحق توسلت إليك ـ يا مولاي(٣) ـ بمن قَبِلْتَ وسائله فأقبلت عليه، أسألك أن تُقْبِل على عبدك الذليل إقبالاً يؤمِّنه، إلهي لا يليق بكرمك أن ترحم من كنت السبب في رحمته، وتترك الدليل عليك(٤)، إلهي أرحمنا(٥) برحمتك التي ترحم بها الغرباء إذا نسينا(٦) الذاكرون يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً دائماً مستمراً إلى يوم الدين(٧).



(١) عبارة «حلنا محلهم»، في (م) و(ع): «فحلا حلاهم».
(٢) في (م) و(ع): «هبني ما وهبتهم».
(٣) عبارة «يا مولاي» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «لا يليق.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «ارحمني».
(٦) في (م) و(ع): «نسيني».
(٧) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).



الفصل الموفي عشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كتب المقادير قبل وجود الموجودات[١] بما يجري عليه وما يكون، ألف بين الأرواح والأشباح بمقدار من الحكمة موزون، جمع مجموعه من مجموع الأرض من أعلاها[٢] والدّون[٣]، ليظهر حكمته في الخلاف[٤] لنواظر العيون، جعل السماء ميداناً لركض خيول[٥] الكواكب عليها يركضون، وبسط الأرض بساطاً للبسيطة فهم عليها كالخيال [١٧٠أ] يلعبون، تحركهم أقدار خفية فبمقدارها يتحركون، ومتى شاء سكّنهم فأسكنهم[٦] لحوداً يا ويل ما يسكنون، قبض القبضتين بسابق علمه فمنعمون ومعذبون[٧]، فأهل السعادة ساعدهم توفيقه فهم بأمره يعملون، ذلل لهم كل صعب فكل صعب عليهم يهون، إن نزع منهم عرق غفلة فنزوعهم إليه شجون[٨]، وأهل الشقاء شق عليهم عمل الطاعة فهم عنه معرضون، شُغِلوا بالشهوات فأعمارهم فيها يجمعون، ناموا عن المقصود وما أيقظهم إلا صائح المنون، أذهلتهم[٩] الأهوال ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[١٠]، كم نشر عليهم[١١] من ديوان عبر لكنهم[١٢] لا يقرأون، كم ناداهم منادي الجديدين أتقيمون[١٣] أما ترحلون، أنتم على قنطرة العبور فكيف عليها تعمرون[١٤]، هذه كف المنون تهدم[١٥] ما لكم لا تحذرون، في[١٦] كل يوم تُطوى مرحلة وبالليل أخرى وأنتم لا تعلمون، منزل هذا السفر القبر فالغافل[١٧] خاسر مغبون، يقطع[١٨] أيام دنياه في

---

(١) في (م) و(ع): «الموجود». (٢) في (م) و(ع): «أعاليها».

(٣) في الأصل: «الديون»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى حديث لرسول الله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض. .» تقدم الحديث في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.

(٤) في (م) و(ع): «ليظهر حكمة الاختلاف». (٥) في (م) و(ع): «نجوم خيول».

(٦) عبارة «ومتى شاء. . إلخ»، في (م) و(ع): «ومتى شاءت سكنتهم فأسكنتهم».

(٧) في (م) و(ع): «فمعذبون ومنعمون».

(٨) في الأصل: «شجونهم والشجون»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في (ع): «أذهلهم».

(١٠) قوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٤٧.

(١١) في (م) و(ع): «الهم». (١٢) في (م) و(ع): «ولكنهم».

(١٣) في (م) و(ع): «أمقيمون». (١٤) في (م) و(ع): «تعبرون».

(١٥) في (م) و(ع): «تهدمها». (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فيا للغافل من». (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

الغفلة ويوم قبره في الحسرة ويوم قيامه[1] في العذاب الهون[2]، تتوالى عليهم أنواع العذاب بالتأسف والحزن واخيبة[3] الظنون، إن آستغاثوا أغيثوا بجزاء ما كانوا يعملون، سَدَّت شهوات بطونهم فُرج[4] الفَرَج فكم قرَّحت دموعهم من جفون، كم جرت منها عيون حسرات كأنها عيون، غلبت عليهم[5] ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[6] [١٧٠ب] فما زلنا من الطرد في شجون[7]، فهل لنا من عودة عسى يثمر عود عسى فيكون كالغصون، هيهات ما أحسنه من ثمر لو أنه يكون، سبق الكتاب أن لا رجعة لهم عما عنه يرحلون، هذا مسطور[8] القضاء يقرأ عليكم ما[9] تسمعون، هذا منادي المشيب ينادي قدموا الزاد فإنكم تقدمون على ما تقدِّمون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[10].

إخواني لا يغسل دنس الذنوب إلا بماء المدامع، لا ينجو من[11] قفار المعصية إلا ذو كبد جائع، و[12]لا يقطع علائق الشهوات إلا بسيف[13] من الصدق قاطع، ولا يفتح[14] الباب إلا لقلب منيب خاضع، واعجباه[15] كم من عاص قُبِل وكم رُدَّ من طائع، هذا قرَّبه ذُلّه وهذا طولب بالحساب فإذا حاسبه فما هو صانع[16]، أفخر

---

(١) في (م) و(ع): «قيامته».

(٢) هان هُوناً: بالضم، ذل. الفيروزآبادي، القاموس، «هون»، ص١٦٠٠.

(٣) عبارة «والحزن واخيبة»، في (م) و(ع): «والتحزن وخيبة».

(٤) في (م) و(ع): «وفرج».

(٥) عبارة «غلبت عليهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) قوله: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ آقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنون، آية ١٠٦.

(٧) في (م) و(ع): «سجون».

(٨) في الأصل: «مكسور»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «أما».

(١٠) سورة التحريم، آية ٦.

(١١) في (م) و(ع): «في».

(١٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «سيف».

(١٤) في (م) و(ع): «ما يفتح».

(١٥) في (م) و(ع): «واعجبا».

(١٦) عبارة «فإذا حاسبه.. إلخ»، في (م) و(ع): «إذ حسابه ضائع». وقوله هذا إشارة إلى أنه لا يكفي العمل الظاهر للنجاة في الآخرة، بل لا بد من الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه؛ رجل استشهد فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت=

ملابس[1] التائب ذل ظاهر وطرف دامع، اتخذ الدجى مطية ونور التلاوة بين يديه ساطع، لازم هجود المجتهدين[2] حتى طلعت من ثنيات الفجر طوالع، أناخ راحلة القيام واستند إلى رحل[3] الاستغفار وأمله في منزل الفجر طامع، فعند بلوغ[4] منزل الفجر قدَّم الخضوع لديه[5] شافع، عرف ما طلب فهان عيله ما ترك وقطع عنه[6] كل قاطع، معشر التائبين أحضروا قلوبكم ساعة [١٧١أ] وافتحوا سد[7] المسامع، لا يبيع النفس النفيس بالثمن الخسيس من هو في الربح طامع، كل يوم تطوي مرحلة وتملأ الدستور[8] وعند الحساب تبدو الفجائع، واخجلتك إذا نشر ما طويت تود أنك[9] إلى العمل راجع، مثِّل لنفسك هذه المُثلة وبادر التوبة وراجع، زاحم التوابين عسى يثبت[10] اسمك في الدستور وسارع، يا عليل الخطايا ترياق[11] التوبة مجرب نافع، رافق رفاق السالكين ونازع المنازع، نسيم نجد ونفحات حاجر لا توقظك قل لي ما أنت صانع، غزلان الحمى لا تشوقك ونبات[12] سلع لا تشوقك[13] فأنت من الحرمان بين خافض ورافع، عشية[14] النقى لا تؤنسك وظل الأراك لا يطربك فأطلال قلبك خراب بلاقع، فديت المحبين فديت الفقراء فديت من[15] هو سامع، ما أعذب ساعة[16] العذيب لكل خليل[17] للعذار خالع، لله[18] أحاديث بكاظمة استودعتها من لا تخيب لديه[19] الودائع، لله وجد بالنقى وعيش بالمنحنى أتراني أراه بعد الذهاب راجع، لله لوعتي بوادي العقيق ودموعي كالعقيق[20] تسارع، واأسفي على الماضي من أيام سلع واوحشتي للمضارع، كم بمنعرج اللوى من أسير غرام وماء العذيب لا يسقي[21] غلة

= فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم الحديث (١٥٢/١٩٠٥)، ٣/١٥١٣.

(١) في (م) و(ع): «الباس».
(٢) في (م) و(ع): «المتهجدين».
(٣) في (م) و(ع): «زجل».
(٤) في (م) و(ع): «بلوغه».
(٥) في (م) و(ع): «إليه».
(٦) عبارة «ما ترك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «سُدَد».
(٨) في (م) و(ع) زيادة: «بما أنت صانع، ملأت ويحك الدستور».
(٩) في (م) و(ع): «لو أنك».
(١٠) عبارة «التوابين.. إلخ»، في (م) و(ع): «التائبين ليثبت».
(١١) في (م): «درياق»، وفي (ع): «بادر باب».
(١٢) في (م) و(ع): «بانات».
(١٣) في (م) و(ع): «تتوقك».
(١٤) في (م) و(ع): «عشيات».
(١٥) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «ساعات».
(١٧) في (م) و(ع): «خليع».
(١٨) في (م) و(ع): «لله در».
(١٩) في الأصل: «له»، وهي من (م) و(ع).
(٢٠) عبارة «ودموعي كالعقيق» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «يشفي». والمعنى: أن ماء التوبة لا تغسل ذنوب العاصين الذين ارتووا من الحرام، فالتوبة لا تنفع بعد الإفلاس والشيخوخة؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا =

الناقع، أين بهلول[1] المحب أين سمنون[2] العاشق أين من لوعه[3] بالمحبوب والع، حديثي معك[4] يا جنيد معارفي معك[5] يا معروف أين تلك البدور الطوالع، [١٧١ب] أين وجدك[6] يا شبلي أين سماعك يا حلاج[7] أين ورعك يا ابن واسع أين إشارتك[8] يا بسطامي أين زهدك يا ابن أدهم آه على فقد مثلكم تدمى الخدود وتجري المدامع[9]، زدني من حديثك يا سعد ومنِّني بترجيعكم لعل المنى للمتمني نافع[10]، ما أوحش الربع بعد السكان ما أفجعها من فجائع، معشر التائبين طاب السماع فأين السامع، بادروا ساعة[11] الوصال فما تدرون بعدها ما يكون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

إبراهيم بن بشار[12] رحمه الله تعالى قال[13]: «كنت يوماً ماراً مع إبراهيم بن أدهم رحمه الله[14]

= حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٨].

(١) هو بهلول بن عمرو، أبو وهيب، من أهل الكوفة، استقدمه الرشيد ليسمع كلامه، توفي سنة ١٩٠هـ - ٨٠٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٢/٥١٦. ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ١/٢٢٨. الزركلي، الأعلام، ٢/٧٧.

(٢) هو سمنون بن حمزة، ويقال سَمْنون بن عبد الله، أبو الحسن الخواص، ويقال كنيته أبو القاسم، كان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق، توفي قبل الجنيد. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص١٩٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٥٦٠.

(٣) في (م) و(ع): «ولوعه».

(٤) في (م) و(ع): «لك».

(٥) عبارة «معارفي معك»، في (م) و(ع): «كلامي لك».

(٦) في الأصل: «وجدي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م): «سري». والحلاج هو الحسين بن منصور، وكنيته أبو مغيث، وهو فارسي الأصل، نشأ بواسط، اختلف المشايخ في أمره، فردَّه أكثرهم ونَفَوْه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف، وقبله بعضهم وجعلوه أحد المحققين، توفي سنة ٣٠٩هـ - ٩٢١م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص٣٠٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٢٥٣.

(٨) في (م) و(ع): «إشاراتك».

(٩) عبارة «آه.. إلخ»، في (م) و(ع): «على فقد مثلهم يجري فتدمى المدامع».

(١٠) عبارة «زدني.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ساعات».

(١٢) في الأصل: «إبراهيم بن يسار»، والتصويب من (م) و(ع). وإبراهيم هو إبراهيم بن بشار بن محمد، أبو إسحاق المعقلي مولاهم الخراساني الصوفي، صاحب إبراهيم بن أدهم، روى عنه وجمع أخباره، قدم بغداد وحدث بها، ذكره ابن حبان في الثقات وعمَّر دهراً، مات في حدود الأربعين ومائتين. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦/٤٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١/ ١١١.

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٥٦، وفي المنتظم، ٨/ ١٥١.

(١٤) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).

في صحراء إذ[١] أتينا على قبر فترحم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا قبر حُمَيد الطويل بن جابر[٢] أمير هذه المدن[٣]، كان غريقاً في بحر[٤] الدنيا ثم أخرجه الله ﷻ[٥] منها فأستنقذه، و[٦]لقد بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ماله[٧]: ملكه ودنياه وغروره وفتنته، ثم[٨] نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله. قال: فرأى رجلاً واقفاً على سريره بيده كتاب، فناوله إياه[٩] ففتحه فإذا فيه[١٠] بالذهب مكتوب: لا تؤثرنَّ فانياً على باق، ولا تغتر بسلطانك وعبيدك وخدمك وإمائك[١١]، فإن الذي أنت فيه لجسيم[١٢] لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أنه هالك[١٣]، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان [١٧٢أ] يوثق له[١٤] بعد، فسارع إلى أمر الله ﷻ[١٥] فإن الله تعالى يقول[١٦] في كتابه[١٧]: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٨]. قال: فأنتبه فازعاً[١٩] وقال: هذا تنبيه من الله ﷻ[٢٠] وموعظة، فخرج من ملكه لا يُعلم به، وقعد في هذا الجبل يتعبد فيه[٢١]، فلما بلغتني قصته وحُدِّثت بأمره قصدته وسألته فحدثني ببدء أمره وحديثه[٢٢]، وحدثته ببدو أمري، فما زلت أزوره[٢٣] حتى مات ودفن هاهنا، فهذا قبره رحمة الله[٢٤] عليه». شعر[٢٥]:

دمع تَـدَفَّـق قـبـل الـبـيـن فـأنـدفـعـا   ومـا[٢٦] أفـاد ومـا أجْـدى ومـا نـفـعـا

---

(١) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «حميد بن جابر». وحميد بن جابر الشامي الأمير، ذكره ابن الجوزي فيمن توفي سنة ١٥١هـ ـ ٧٦٧م. ابن الجوزي، المنتظم، ٨/١٥١. ابن قدامة المقدسي، كتاب التوابين، ص١٥٣.

(٣) في (م) و(ع) زيادة: «كلها».

(٤) في (م) و(ع): «بحار».

(٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «ملاهي».

(٨) في (م) و(ع): «قال ثم».

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (ع) زيادة: «كتب».

(١١) عبارة «ولا تغتر.. إلخ»، في (م) و(ع): «ولا تغترن بملكك وسلطانك وخدمك وعبيدك وأعوانك»، إلا أنه في (ع): «بملكك وقد زال»، و«إمائك» بدل «أعوانك».

(١٢) في (م) و(ع): «جسيم».

(١٣) عبارة «أنه هالك»، في (م): «أن بعده هلك»، وفي (ع): «أنه هلك».

(١٤) في (م): «فيه».

(١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (ع): «قال».

(١٧) عبارة «في كتابه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) سورة آل عمران، آية ١٣٣.

(١٩) في (م) و(ع): «جزعاً».

(٢٠) في (م) و(ع): «تعالى».

(٢١) عبارة «لا يعلم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقصد هذا الجبل فتعبد فيه».

(٢٢) عبارة «وسألته.. إلخ»، في (م) و(ع): «فسألته ببدء أمره».

(٢٣) في (م) و(ع): «أقصده».

(٢٤) في (م) و(ع): «الله تعالى».

(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٦) في (م) و(ع): «فما».

ومُهْجَة في يد الأسقام تَنْهَبها — قد جرَّعَتْها النَّوى من كاسها جُرعا[1]

أشكو إلى الله أشواقاً مبرّحَة — لو أنَّها فوق صَخْر[2] خرَّ وٱنْصَدعا

أحباب قلبي وإن طال المَدَى فمُدَى[3] — فراقكم قَطَّعَتْني بعدكم قطعا

كم عاذل فيكم قلبي لِيَرْدعه — عن الوفاء فما ألْوى[4] وما سمعا

وكم أهَنْتم فؤادي في محبَّتكم — فماٱستقال ولا ٱسْتَعفى[5] ولا ٱرتدعا

وكم قَطَعْتُم حبال الوَصْل من أملي — وحبل ودِّي[6] صحيح الوصل ما ٱنقطعا

سَرى سُراكم لِيَسْقي القلب كاس هوًى — لغيركم وسَعى جُهْداً[7] فما وَسِعا

لُسِعْتُ من بَعْدكم وجدا ببُعْدِكم — ولستُ أوّل من في حبِّكم لُسِعا

مَلأتُم القلب وجْداً والفؤاد جوًى — والعين دمعاً وأثناء الحَشَى جزعا[8]

واهاً لدهر مَضى لي كلّه جمَع — واحسرتاه عليه كيف قد جُمِعَا

أين الزّمان الذي قد مرَّ لي بكم — كأنَّه حُلْم حلْمي به خُدِعا [١٧٢ب]

أيّام كنت بكم في كنٍّ وصلكم — لا أختشي من هجير الهُجْران أنْ يقعا

إذا تعثَّرتُ في ذَيْل الصّبا مرحا — وبالهوى مولعاً[9] قال الشَّباب لَعَا

واليوم مذ بَعُدَت عنِّي دياركم — فما[10] أراد الجَوى والوَجْد بي صَنعا

أسْتَخْبر الشَّمْس عنكم كلَّما طَلَعَت — وأسْأل البرق عنكم كلَّما لَمَعا

لو مُنَّ يوماً على قلبي برؤيتكم — لحَلَّه من وثاق الشَّوق وٱصْطَنعا

طَمِعْتُ في طَيْفكم يَغْشى برؤيتكم[11] — وما أرى لجفوني في الكَرَى طمعا

أبيتُ والشَّوق يطويني ويَنْشُرني — في راحَتَيْه ولا أشكو له وجعا[12]

[بحر البسيط]

---

(١) في (م) و(ع) زيادة:

«وقلب صبٍّ لصبر غير منقلب — وكلما راعه بين وفى ورعى»

(٢) في (م) و(ع): «رضوى».

(٣) المُدْية: الشفرة، والجمع مُدًى. ابن منظور، اللسان، «مدى»، ١٥/ ٢٧٣.

(٤) يقال ما يلوي على أحد أي لا يلتفت ولا يعطف عليه. ابن منظور، اللسان، «لوي»، ١٥/ ٢٦٤.

(٥) في الأصل و(م) و(ع): «ٱستوفى»، وهي من (ب).

(٦) في (م): «وصلي».

(٧) في الأصل: «جهدي»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «جُرَعا».

(٩) في (م) و(ع): «ولعا».

(١٠) في (م) و(ع): «مهما».

(١١) في (م) و(ع): «برؤيته». والمعنى: يغشى عيني برؤيتكم.

(١٢) في (م) و(ع): «الوجعا».

إلهي قسا قلبي وجمدت عيني[1] وتحيَّرت في أمري، إلهي[2] أنا التائه في تيه الشقاء وَاذُلّ عمري، إلهي تفرقت همَّتي يوم مجمعي[3] وقد عِيل صبري[4]، إلٰهي الشيب والحرمان ورواحل العمر تسري، أرى قلبي في[5] غير جنس القلوب أراه من خوفك أقسى من الصخر[6]، كم أوقد عليه نار الموعظة عساه[7] يعود لَيِّناً وما أراه[8] فيه تسري، ٱستوى ليلي ونهاري في الغفلة فمن تُرى من هذا المرض يبري، إلهي كل الأطباء يدلوني عليك فإن لم تداوني فمن يجبر كسري، يا تائهاً في ظلمة ظُلْمه[9] متى تعود من سفرة الهجر، ٱطلب ويحك رفقة التائبين ومع رفاقهم فٱسْرِ، عساك ترشد للطريق من حيث لا تدري، من قاد زمام قلبه[10] بالغفلة أوقعه في منزل قفر[11]، لله طيب عيش ندامى الدجى بين تهجد وذكر، هممهم منظومة ودموعهم منثورة فأهلاً به[12] من نظم ومن[13] نثر، ٱستعذبوا شراب [١٧٣أ] المحبة على مزامير من التلاوة زهر[14]، إن سكروا بالأشواق تداووا بالاحتراق كما يداوى[15] شارب الخمر بالخمر[16]، الأشواق[17] أقداحهم والمحبة شرابهم ومحبوبهم معهم في السر والجهر، ٱشتملوا على محبوبهم كٱشتمال أخي صدق[18] على سرّ، بذلوا في ساعة من أنسه نفوسهم وفيهم[19] نشوة من السكر، جذبتهم الأطماع[20] إليه وهي شاردة وخلصوها من الأسر[21]، ربوعهم القفار وهم[22] من الأحوال في لجج البحر، فلما أنست قلوبهم به تعالى[23] سارعت إليه فكانت

---

(١) في (م) و(ع): «عيناي».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) رجل جميع: مجتمع الخلق قوي لم يهرم ولم يضعف، وجمعت المرأة الثياب يقال ذلك للجارية إذا شبَّت. ابن منظور، اللسان، «جمع»، ٨/٥٤، ٥٥. والمعنى: تفرقت همتي يوم شبابي فلم أسع لآخرتي بل بهرتني الدنيا بزخارفها الزائفة.
(٤) عبارة «إلهي تفرقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلهي كم أحاول القرب والحال ما حال وقد ضاق صدري»، إلا أنه في (ع): «إلهي كم أحاول القرب والبعد..».
(٥) في (م): «من».
(٦) عبارة «أراه من خوفك.. إلخ»، في (م) و(ع): «أراه من صخر».
(٧) في (م) و(ع): «عسى».
(٨) في (م) و(ع): «أراها».
(٩) في (م) و(ع): «الغفلة».
(١٠) في (م) و(ع): «نفسه».
(١١) في (م) و(ع): «في المنزل القفر».
(١٢) في (م): «بها».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «وزهر». والزَّهرة: نَوْر كل نبات، والجَمْع زَهْر، وزهْرة الدنيا: حسنها وبهجتها وغضارتها. ابن منظور، اللسان، «زهر»، ٤/٣٣١، ٣٣٢.
(١٥) في (م) و(ع): «يتداوى».
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «الأكوان».
(١٨) في (م) و(ع): «صدر».
(١٩) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «الأطباع».
(٢١) عبارة «من الأسر»، في الأصل: «بالأسر»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

ليلتها[١] أعظم من ليلة القدر، صابحوا دنَّ دنوٍّ[٢] ونجم الدجى يسري، لا يستمعون[٣] لعذل العاذل من زيد ولا عمرو، هذا شراب الأحباب فديت من شرى[٤] ومن يشري، ذاقه ابن أدهم فبذل فيه ملكه على وَفْر[٥]، تنادم في حانة[٦] شربه الجنيد والفضيل والبسطامي والسَّرِّي، وخلع فيه العذار معروف وخبر معروف[٧] عند من يدري، وكم للحلاج من سكرة في دنه وما في خلع عذاره من عُذر[٨]، كم طاب فيه[٩] من الفقراء فعاينوا الغنى في الفقر، رقصوا على أرض الزهد وصَدَّقوا خبر الوجد بالخُبْر، هذه أحوالهم والمحروم يسعى من[١٠] صد إلى هجر، خانه الأمل في مطلوبه فليس له راحة في طي ولا نشر، معشر المذنبين[١١] هذا[١٢] مأتم[١٣] الأحزان فدع دموعك على مصابك[١٤] تجري، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فستبكي بعده بمدامع جمر[١٥]، فبالله إخواني أسمعوا مقالة ناصح أعلمكم بما يكون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [١٧٣ب] قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

بشر بن الحارث رحمه الله تعالى قال[١٦]: أستقبلني رجل في طريق الشام وعليه عباءة و[١٧]قد عقدها مستوفزاً[١٨] كأنه وحشي، فقلت[١٩]: رحمك الله من أين جئت؟ قال: جئت من عنده. قلت: أين[٢٠] تذهب؟ قال: إليه. قلت له: ففيم[٢١] النجاة رحمك الله تعالى[٢٢]؟

---

(١) في (م) و(ع): «ليلتها به».
(٢) في (م) و(ع): «دنوه».
(٣) في (م) و(ع): «يسمَعون».
(٤) في (م) و(ع): «يشتري».
(٥) الوفر: الغنى، والوفر من المال والمتاع: الكثير الواسع. الفيروزآبادي، القاموس، «وفر»، ص٦٣٤.
وقوله هذا إشارة إلى ما كان عليه ابن أدهم، قال عبد الرحمن السلمي: كان من أبناء الملوك والمياسير، خرج متصيداً، فهتف به هاتف، أيقظته من غفلته، فترك طريقته في التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع. ودخل الشام، فكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص٢٧.
(٦) في الأصل: «حالة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع) زيادة: «معروف».
(٨) عبارة «وكم للحلاج.. إلخ» ساقطة في (م).
(٩) في (م) و(ع): «به».
(١٠) في (م) و(ع): «ما بين».
(١١) في (م) و(ع): «الإخوان».
(١٢) في (ع): «هذه».
(١٣) في (م) و(ع): «مندب».
(١٤) في (م) و(ع): «على ما أصابك».
(١٥) في (م) و(ع): «حمر».
(١٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٥٧/٤.
(١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) استوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، أو استقل على رجليه، ولمَّا يستوِ قائماً وقد تهيأ للوثوب. الفيروزآبادي، القاموس، «وفز»، ص٦٧٩، ٦٨٠.
(١٩) في (م) و(ع): «فقلت له».
(٢٠) في (م) و(ع): «فقلت وإلى أين».
(٢١) في (م) و(ع): «فبم».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

قال: في التقوى[١] والمراقبة لمن أنت له مُتَّبع. قلت: فأوصني. قال: لا أراك تفعل[٢]. قلت: أرجو أن أفعل[٣] إن شاء الله تعالى[٤]. قال: فرّ منهم ولا تأنس بهم، واستوحش من الدنيا فإنها تعرضك للعطب، ثم قال: من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر داءها[٥] أعدَّ لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألحَّ في طلبها، ومن توهَّمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل، ثم قال: لو[٦] توهمت من ملكها وزخرفها، وقال[٧] لها كوني فكانت، وتزيني فتزينت، فالشوق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب بعيش المستأنسين[٨]، ثم قال: قد أنسوا بربهم فعاملوه بالوفاء والتسليم[٩]، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كاس حبه شربة فظلوا في عطشهم أروياء وفي ريِّهم عطشى[١٠]. ثم قال: يا هذا أتفهم ما أقول لك[١١]؟ وإلا فلا تمنعني[١٢]. قلت: يرحمك[١٣] الله إني أفهم جميع ما تقول[١٤]. فقال[١٥]: الحمد لله الذي فهَّمك؛ ورأيت[١٦] في وجهه السرور. ثم قال: خذ إليك[١٧]. قلت: نعم. قال: هم[١٨] [١٧٤أ] الذين لا يملُّون كاساته[١٩] من تحفه؛ فالحكمة إلى قلوبهم سائلة متواصلة لأنهم الأكياس الذين لم تدنسهم[٢٠] المطامع، ولم تقطعهم عن الله ﷻ[٢١] القواطع، ليوث في تعبدهم[٢٢]، أغنياء في توكلهم، أقوياء في تغلبهم، قد قطعتهم الخشية، ولهتهم[٢٣] العِبْرة[٢٤]، نعيمهم اليقين وروحهم السكون، ألين الخلق عريكة، وأشدهم[٢٥] حياء، وأشرفهم مطلباً، لا يركنون إلى الدنيا جزعاً، ولا يتطاولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله ﷻ[٢٦] من خلقه، وخلاصة

---

(١) عبارة «في التقوى»، في (م): «بالتقوى».
(٢) في (م) و(ع): «تقبل».
(٣) في (م) و(ع): «أقبل».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (ع): «ضررها».
(٦) في (م): «كيف لو».
(٧) في (م) و(ع): «ومن قال».
(٨) عبارة «وأطيب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) عبارة «فعاملوه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فالأمر فيما بينهم وبينه سليم».
(١٠) في (م) و(ع): «عطاشا».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «تتعبني».
(١٣) في (م) و(ع): «بلى رحمك».
(١٤) في (م) و(ع): «قلت».
(١٥) في (م) و(ع): «قال».
(١٦) في (م) و(ع): «قال ورأيت».
(١٧) أي اسمع ما ألقيه على أذنك من القول، وخذه مني.
(١٨) عبارة «قلت نعم.. إلخ»، في (م) و(ع): «نعم هم».
(١٩) عبارة «لا يملون كاساته»، في الأصل: «لا يملكون كاسا»، وفي (ع): «لا يملكون كاساته»، والتصويب من (م).
(٢٠) في الأصل: «تدلسهم»، وهي من (م) و(ع).
(٢١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «ثغورهم».
(٢٣) في (م): «وولهتهم».
(٢٤) في (م) و(ع): «الغربة».
(٢٥) في الأصل: «وأشد»، وهي من (م) و(ع).
(٢٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

عباده. ثم قال: إن القلوب الحية من دون[١] هذا[٢] لها مَقْنَع، ثم قال[٣]: نفعنا الله وإياك بما علّمنا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال بشر: فطلبته[٤] أن يصحبني، فأبى علي وقال: لست أنساك ولا[٥] تنسني، ثم مضى وتركني. قال بشر: فلقيت[٦] عيسى بن يونس[٧] فحدثته بقصته، فقال لي: لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح، إنه رجل من خيار الناس يأوي إلى الجبال وإنما يدخل المدينة في كل يوم جمعة[٨] لصلاة الجمعة، ويبيع في ذلك اليوم حطباً يكفيه من الجمعة إلى الأخرى[٩]، واعجباً منك[١٠] كيف كلمك! و[١١]لقد حفظت منه[١٢] كلاماً حسناً. شعر[١٣]:

خليليَّ هل لي في الرِّفاق رسالة ... تذكِّرني[١٤] العهد القديم جديدها[١٥]
وقولا فؤادي أين قرَّ قراره ... هُدِيتم وعيني أين بات هجودها
فإن دافعت عما تُكِنُّ صدورها ... فلا تذهلا عما أذاعَتْ بُرودها[١٦] [١٧٤ب]
فتلك مُروطٌ باشَرَتْ تربة الحِمَى ... وأودعها أشجان قلبي صعيدها
ألا إنَّ دائي في دوائي ولن أرى[١٧] ... كذي علَّة يبغي شفاء يزيدها
فلله أشجان إذا ما ذكرتها[١٨] ... يُقبِّل مغناها ويُلْثم جيدها
رياح[١٩] صَباكم ليس بين هبوبها ... وبين ركود النَّفس إلا ركودها
ويسري هواكم في البروق فإنَّما[٢٠] ... وقود الحَشى ممَّا[٢١] آستطار وقودها
فحالي[٢٢] من جَوْر[٢٣] الأحبَّة لم يزل ... مُقيماً إلى أن عاد وَصْلا صدودها[٢٤]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٣) عبارة «ثم قال» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «فطلبت».
(٥) في (م) و(ع): «فلا».
(٦) في الأصل: «ثم قال»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «يحيى بن يونس»، والتصويب من (م) و(ع). وعيسى: هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو الكوفي، سكن الشام، كان ثقة ثبتاً في الحديث، وكان يسكن الثغر، توفي سنة ١٨٧هـ - ٨٠٢م، وقيل سنة ١٩١هـ - ٨٠٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٦٠. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٨/ ٢٣٧.
(٨) في (م) و(ع): «يأوي في الجبل وإنما يدخل إلى المدينة في كل جمعة».
(٩) في (م) و(ع): «يكفيه إلى الجمعة الأخرى».
(١٠) في (م) و(ع): «وعجباً منه».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «عنه».
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الرابع عشر.
(١٤) في (م) و(ع): «يذكرني».
(١٥) في الأصل: «حديثها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) البيت ساقط في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «ترى».
(١٨) في (م) و(ع): «إذا عنَّ ذكرها».
(١٩) في (م) و(ع): «تهب».
(٢٠) في (م) و(ع): «وإنما».
(٢١) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) في (م) و(ع): «فيالي».
(٢٣) في الأصل: «جفون»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «جديدها».

وتلك الخيالات[1] التي كلَّما ٱمتطَتْ | إلى الدُّجى أمسى قريباً بعيدها
ألمَّت فأدناها الكَرَى ونأت به | فيا ليت شعري هل رقادي يزيدها
ويا طيف لا تركب غروراً فإنَّني | إذا ركبت[2] عيني غروراً أذودها[3]

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي جعل العجز[4] عن معرفته للعارفين دليلاً، لاحت[5] لهم شواهد التوحيد فوجدوا[6] إليه سبيلاً، أوحى إلى أسرارهم بأن[7] الدنيا فانية فٱتخذوا الزهد فيها بديلاً، أراح[8] أرواحهم من كدِّ الأسباب كان لهم فيما قسم كفيلاً، صفَّاهم وٱصطفاهم فليس ترون لهم عنه عدولاً، خلصهم[9] من كدِّ الشهوات وكان حملها ثقيلاً، بذر في رياض قلوبهم حَبَّ الحُب فأمسى محبه ذا كلف به مشغولاً، أضناهم طول الإقامة في الدنيا وكساهم شجوناً[10] ونحولاً، نهارهم بالصيام وليلهم بالتهجد[11] ليلاً طويلاً، ٱستقبلوا بقلوبهم قِبلة المحبة وقبَّلوها تقبيلاً، كم لهم من تلحين بذكره تعالى[12] وجفناً بالسُّهاد كليلاً، [١٧٥أ] عانقوا المعالي بالأشواق معانقة الخليل خليلاً، رياض رياضهم[13] عاطر بالمعرفة[14] يتمنى العاشق فيه مقيلاً، تتضوَّع أنفاسهم[15] بطيب ٱستغفارهم فتُحْيي صبّاً كئيباً عليلاً، لهم بذكر الحبيب حنين وتلحين كأنما سقوا شَمُولاً[16]، وافرحتهم يوم اللقاء وقد[17] بعث الرضى إليهم رسولاً، وبقي المحروم في تيه[18] الحرمان ذليلاً، كلما عَقَد عقْد الوفاء خانه المقدّر[19]

---

(١) عبارة «وتلك الخيالات»، في (م) و(ع): «وبالخيالات»، وهو تصحيف.
(٢) في (م) و(ع): «وردت».
(٣) في (م) و(ع): «أرودها».
(٤) في الأصل: «المجر»، والتصويب من (م) و(ع). والمَجْر: العقل. الفيروزآبادي، القاموس، «مجر»، ص٦٠٨.
(٥) في (م) و(ع): «ألاح».
(٦) في (م) و(ع): «فوجدوا به».
(٧) في (م) و(ع): «أن».
(٨) في الأصل: «أرواح»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) عبارة «من كد الأسباب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «شحوباً».
(١١) في (م) و(ع): «بالقيام».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «رياضتهم».
(١٤) في (م) و(ع): «بالمعارف».
(١٥) في (م) و(ع): «أنفاس».
(١٦) الشَّمُول: الخمر لأنها تشمل بريحها الناس، وقيل: هي الباردة. ابن منظور، اللسان، «شمل»، ٣٦٩/١١.
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «الشقاء يندب ربوعاً وطلولاً، شغل بشهواته سيحزن والله دهراً طويلاً، ألهاه هواه عن نيل المقصود فبقي في تيه».
(١٩) في (م) و(ع): «القضاء».

فوجده[1] محلولاً، تتجدد أحزانه على حرمانه[2] بكرة وأصيلاً، إن طلب الآخرة قُيِّد وإن طلب الدنيا كان إليها عجولاً، ما يصنع المسكين وكلما نهض وجد وجوده مقيداً مكبولاً، لا حيلة في حل ما عقده القدر ومن أراد حل مشكلة أصبح مشكولاً، سلّم تسلم عساك بالإسلام[3] تدرك سؤلاً، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[4].

يا من عليه توكلي ومعتمدي، تحيرت يا سيدي خذ بيدي، سار ركب التائبين وبقيت وحدي، تخلفت[5] في منقطع الغفلة فمن يساعدني ويجدي[6]، أقعدني الحرمان عن رفاق الصالحين وها أنا أموت بوجدي، شوقي إلى الدنيا مُتْهِم وركب مناي ركب منجد[7]، جسم حي وقلب ميت وما عسى حياة البدن تجدي، واعجباً[8] من بدن لين وقلب[9] قاس [175ب] كم له في المتاب[10] من تردد، ما أطيب حال السالك نهاره في الحزن[11] وليله يبكي[12] بجفن قريح مسهّد، أحزانه أحزانه ووقوفه لوداع الأنفاس وقفة متردد، ويلاه كم يحملك[13] الملك على التوبة لعل ما فاتك اليوم تدركه[14] في غد، والشيطان يحثك على الشهوة فكيف به تقتدي، ضيعت أيام الشباب في الغفلة وأنت كالغصن المتأوِّد[15]، هذا صبح[16] المشيب لاح في أفق الشعر الأسود، ينذرك بالرحلة متى[17] تجيب وتهتدي، لو كان لقلبك حس ما ٱستحلى المعاصي وداؤها يعتدي، الموعظة تحثك على الهدى والتسويف على الضلال فكم تضل ولا[18] تهتدي، ما نال القوم راحة إلا بهمٍّ مفجع وأوْه وتنكيد[19]، كم لها في أرض الدجى من[20] تعفّر جبهة ودمع على الخدود متبدد[21]، قدح الوجد زناد الشوق في مجامر قلوبهم فٱلتهبت[22] نار الشوق

---

(1) في (ع): «فوجدوه».
(2) في (م) و(ع): «أحواله».
(3) في (م) و(ع): «بالاستسلام». والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام هو المستسلم لأمر الله. ابن منظور، اللسان، «سلم»، 12/293.
(4) سورة الإسراء، آية 36.
(5) في (م) و(ع): «تحيرت».
(6) عبارة «فمن يساعدني ويجدي»، في (م) و(ع): «فمن يسعدني ومن يجدي».
(7) المعنى: أنني مذبذب بين نفسي الأمارة بالسوء، ومناي وهو أن أسير سير الصالحين المخلصين.
(8) في (م) و(ع): «واعجباه».
(9) في (م) و(ع): «ومن قلب».
(10) في (م) و(ع): «الحساب».
(11) في (م) و(ع): «الحرق».
(12) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(13) في (م) و(ع): «يحيلك».
(14) في (م) و(ع): «يدرك».
(15) التأوّد: التثني، تأوّد العود تأوّدا إذا تثنى. ابن منظور، اللسان، «أود»، 3/75.
(16) عبارة «هذا صبح»، في (م) و(ع): «وهذا غصن».
(17) في (م) و(ع): «ينذرك بالرحيل فمتى».
(18) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(19) عبارة «راحة.. إلخ»، في (م) و(ع): «راحة المنزل إلا بهم مجمع وأنّة ونكد».
(20) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(21) في (م) و(ع): «مبدد».
(22) في (م) و(ع): «فالتهب».

في الأحشاء والكبد، لا صبر لهم دون محبوبهم ولا في قلوبهم[١] موضع تجلد، لازموا[٢] الوقوف على الربوع فإذا[٣] هم بمرأى من المحبوب ومشهد، اختبر تابوت قلوبهم بنار الشوق فازدادوا نوراً في كل مشهد، ما برحوا تحت منظرة الأشواق تروح أرواحهم إليه وتغتدي، تجلى لهم محبوبهم فهاموا[٤] [١٧٦أ] في كل واد وعلى ظهر فرقد[٥]، رأوه عياناً في كل حالة ببصيرة كحلت من العناية بإثمد[٦]، شاهدوه و[٧]لكل به مشاهدة عبد لسيد، سمعوا خطابه في الصامت[٨] والناطق فهم بين مقتدٍ ومهتدي، كم أبدى لهم من نعوت جماله تعالى[٩] فهم من مجدٍ لسُؤدد، خلَّص قلوبهم من دنس الدنيا فهان عليهم كل مشدد[١٠]، والمحروم في تيه الحرمان خلفته الغفلة عن المقصود[١١]، يا طول أحزانه وما تنفع[١٢] الأحزان لمحروم غير مؤيّد، متى أراك تستقي ماء التوبة فتشفي غلة القلب[١٣] الصدي، يا مهجوراً كيف طاب لك العيش كأن قلبك من جلمد[١٤]، قدم دموع الأسف وحسرات الندم وقل سيدي هذا الذي ملكت يدي[١٥]، لازم الباب وإن طردت وقل هذا موضع وردي وموردي، هب أنه[١٦] أبعدك فإلى من تلتجي وأنت في ضيق[١٧] من العيش أنكد، لا تبرح وإن جفوك فعسى عطفة من غير موعد، تعرَّض لنفحات الرضى عساك تحظى بجمع شمل مبدد، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فمتى أراك بعد تسعد، لا ترافق رفيق التسويف فما[١٨] تبلغ به سؤالاً[١٩]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

---

(١) في (م) و(ع): «قواهم».
(٢) في (م) و(ع) زيادة: «الباب حتى فتح لهم وكم لهم على عتباته من تردد، أداموا».
(٣) في (م) و(ع): «وإذا».
(٤) عبارة «محبوبهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «محبوبهم في قلوبهم فهاموا به».
(٥) في (م) و(ع): «فدفد».
(٦) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، وقيل: هو نفس الكحل. ابن منظور، اللسان، «ثمد»، ٣/ ١٠٥.
(٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) عبارة «في الصامت»، في (م) و(ع): «بالصامت». والصامت: هو الجماد الذي يدل روعة منظره، وتناسق نظامه على عظيم الخالق، والناطق: هو الإنسان.
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «تشدد».
(١١) في (م) و(ع): «المقصد».
(١٢) في (ع): «ينفع».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) الجَلْمَد والجُلمود: الصخر. ابن منظور، اللسان، «جلمد»، ٣/ ١٢٩.
(١٥) عبارة «قدم دموع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «ضنك». والضَّنْك: الضيق في كل شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «ضنك»، ص١٢٢٣.
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و (ع): «سؤلا».

قال[1] سري رحمه الله تعالى: «بينما أنا أسير[2] في بلاد الشام فملنا[3] عن[4] الطريق إلى[5] ناحية جبل، فرأينا[6] عليه عابداً، فقال رجل من القوم: [١٧٦ب] إنا قد ملنا عن[7] الطريق، وهاهنا عابد[8] فميلوا بنا إلى هذا الرجل لنسأله فلعل الله ﷻ[9] يوفقه يكلمنا، فملنا إليه فوجدناه يبكي، قال سري: فقلت[10] له: ما أبكاك أيها العابد[11]؟ فقال: ومالي[12] لا أبكي وقد توعرت الطريق، وقلَّ السالكون فيها، وهُجرت الأعمال، وقلَّ الراغبون فيها، وقل الحق، ودُرِس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال، ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد[13] أفترش الرخص[14]، وتمهَّد التأويل، وأعتمل[15] بزلل العاصين، ثم صاح صيحة وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح[16] الدنيا وأنقطعت عن[17] روح ملكوت السماء، ثم جعل يقول: واغماه! فتنت[18] العلماء، واحيرتاه[19] من حيرة الأدلاء. وجال جولة ثم[20] قال: أين الأبرار من العلماء؟ أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى وقال: شغلكم[21] والله ذكر طول الموقف[22]، وهمّ[23] الجواب عن الجنة والنار[24]، ثم قال[25]: أنا أعوذ بالله من شهوة الكلام، ثم قال[26]: تنحوا عني. فخليناه[27] يبكي وقد ملئنا منه خوفاً[28] ورعباً». شعر[29]:

---

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٥٩.
(٢) في (م) و(ع): «بينا نحن نسير».
(٣) في (م) و(ع): «ملنا».
(٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) عبارة «وهاهنا عابد» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) عبارة «إلى هذا الرجل.. إلخ»، في (م) و(ع): «إليه نسأله لعل الله».
(١٠) في (م) و(ع): «فقلنا».
(١١) عبارة «ما أبكاك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما أبكى العابد».
(١٢) عبارة «فقال ومالي»، في (م) و(ع): «قال مالي».
(١٣) في (م) و(ع): «فقد».
(١٤) في (م) و(ع): «الرخصة».
(١٥) في (م) و(ع): «واعتل». واعتمل الرجل: عمل بنفسه. ابن منظور، اللسان، «عمل»، ١١/٤٧٤.
(١٦) الرَّوْح: السرور والفرح. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/٤٥٩.
(١٧) في الأصل: «إلى»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «من فتنة».
(١٩) في (م) و(ع): «واكرباه».
(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «شغلهم».
(٢٢) في (م) و(ع): «الوقوف».
(٢٣) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «الثواب».
(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٦) عبارة «ثم قال» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٧) في (م) و(ع): «فتركناه».
(٢٨) في (م) و(ع): «همّاً».
(٢٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

خليليَّ قبل الصُّبح بالأَثْل[1] عرِّجا
ولا تَتْركاني بالفلاة مُحوَّجا[2]

وعُوجا على صبٍّ كئيب مُعَذَّب
تراه لدى بحر الهوى قد تَلَجْلَجا

وليس يرى يوماً إلى الصَّبر[3] مَسْلكاً
ولا عن هوى هند طريقاً و[4]مَخْرجا

يرى في[5] الهوى بين الورى بتعلُّلٍ
ويحصي نجوم الليل في ظلمة الدُّجى

ألا ليت شِعْري هل أبيتَنَّ ليلة
بأرض أرى فيها ثُماماً وعوسجا

فذاك مكان فيه هند مُقيمة
وإنيَّ[6] لأرجو القُرْب لو ينفع[7] الرَّجا

خليليَّ قد أصبحتُ في الحبِّ هائماً
كئيباً حزيناً دائم الشوق مرتجى [١٧٧أ]

بقيت وحيداً بين نجد ورامة
أُقاسي ضراماً في الحشى متأجِّجا

وإنِّي تراني بالنَّهار مُعَذّباً
ويَنْتَابُني[8] شوقي إذا الليل قد دجا

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي نزَّه أسرار العارفين عن محبة ما يفنى وحبَّب إليهم ما يبقى، صفَّى مرآة قلوبهم بصقيل[9] المحبة فمشتاقهم أعطي قلباً شيِّقاً، سمعوا نداء الحبيب من الناطق والصامت فتسابقوا إليه سبقاً، وسمهم بين الخلائق بوسم المحبة فلهم سماع عند ذكر سلع والنقى[10]، ستروا أحوالهم من الرقيب والتزموا العزلة به طوقاً[11]، سألوا السلوان أين الملتقى فأجابهم لا ملتقى، باع قلقهم[12] متسع وباعُ صبرهم[13] ضاق ضيقاً، ترهَّبوا في دير الخلوة وقربانهم شراب ذكرٍ قد عبقا، سلبوا نفوسهم على سالبها وزادوه قلباً شيقاً، فتحوا دنان الدنوّ فانفضَّ رحيق التحقيق وشعاعه كبرق الأبرقين بالنَّقى، نادوا[14] محبوبهم في خلوة الدجى وجددوا منه خيفة الهجران موثقاً، فلما باسطهم بسطوا[15] بساط الأدب فتزايدوا[16] تذللاً وتملُّقاً، مجلسهم مجلس أنس[17]

---

(١) في (م) و(ع): «بالليل». والأَثْل في بلاد تَيْم. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/٢٦.

(٢) في (م) و(ع): «مُحَرَّجا». وتحوَّج إلى الشيء: احتاج إليه وأراده. ابن منظور، اللسان، «حوج»، ٢/٢٤٣.

(٣) في (م) و(ع): «الصب».

(٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «ولأني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «نفع».

(٨) في (م) و(ع): «ويقلقني».

(٩) في (م) و(ع): «بصيقل». وصقل الشيء يصقله صَقْلاً فهو صَقيل: جلاه. والصَّقيل: السيف. ابن منظور، اللسان، «صقل»، ١١/ ٣٨٠.

(١٠) عبارة «عند ذكر.. إلخ»، في (م) و(ع): «عند ذكر الحبيب وتحرّقا».

(١١) في (م) و(ع): «طرقاً».

(١٢) في (م) و(ع): «شوقهم».

(١٣) في (م) و(ع): «قلقهم».

(١٤) في (م) و(ع): «نادموا».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م): «تزايدوا».

(١٧) في (م) و(ع) زيادة: «ومحبوبهم مؤانس».

وشرابهم شراباً روقاً[1]، همتهم[2] ذكر محبوبهم وسكرانهم من هذا الشراب أضحى قلقاً[3]، أفناهم هذا الشراب عن معرفة الوجود مغربها[4] والمشرقا، محا منهم أشد[5] الشهوات فتزايدوا لمحبوبهم تشوُّقاً، وأبقى المحروم على باب الحرمان طريحاً ليس إليه[6] تطرقاً، طُرِحت حوالته [١٧٧ب] على الخيبة فنأى[7] خلقاً وتخلقاً، إياك والدعوى فإنها سَلْب المرتقى، حقّق وتحقَّق وأصدق وأزدد تحسيناً تحقيق من قد صدَّقا[8]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[9]، فسبحان من قهر العباد بالموت وتعزَّز بالدوام والبقا، أحمده حمد أسير بالذنوب يرجو من وثاقها من[10] يطلقا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنتظم بها مع المتقين وأهل البقا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجتبى[11] المصطفى المختار المنتقى، صلى الله عليه وسلم وآله[12] وأصحابه ما أخضر عود وأورقا.

إلهي[13] أقل عثرة المذنبين عساها تُقال، لما رأى الصالحون كلمة[14] الشهوات فروا إلى الجبال و[15]القفار والجبال، ضجوا إلى مولاهم على أبواب الدجى بذل السؤال، لم يزالوا على قدم التهجد[16] مع النفوس والقتال، إلى أن خرج لهم توقيع «بما صبرتم»[17] على ضيق الحال، إذا ذكروا فاح من ذكرهم مسك النسك وعبير الأحوال، عاطر أنفاسهم أعطر[18] من نسيم السحر فهم بالحقيقة[19] رجال، عدم الدنيا عندهم وجود متسع ولهم عنها عدول وأعتدال، ضمَّروا عيس أجسادهم لتخفَّ من الأثقال، أعظم الناس حسرة من سعى[20] لغيره والخيبة ينال، إذا جمدت العين فبأي ماء تسقي زرع المعاملة [١٧٨أ] يا كثير المحال، ويحك

---

(١) الرَّوق: الصافي من الماء وغيره. ابن منظور، اللسان، «روق»، ١٠/١٣٣.

(٢) في (م) و(ع): «مُزَمْزِمهم».

(٣) في (م) و(ع): «للقا».

(٤) عبارة «عن معرفة.. إلخ»، في (م) و(ع): «عن رؤية الوجود مغربه».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «له إليهم».

(٧) في الأصل: «فيا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من قد صدقا»، في الأصل: «ما صدقا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) سورة الأنفال، آية ٢ إلى ٤.

(١٠) في (م) و(ع): «أن».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «وسلم وآله»، في (م) و(ع): «وعلى آله».

(١٣) في (م) و(ع): «اللهم».

(١٤) في (م) و(ع): «ظلمة».

(١٥) كلمة «الجبال و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «الجهد».

(١٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

(١٨) في (م) و(ع): «ألطف».

(١٩) في الأصل: «الحقيقة»، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «ظلم».

أتعبت مطية العمر في الغفلة وأدلجت بها في ليل الضلال[١]، واعجباه شباب ولى وطول الأمل[٢] ما عنه آنتقال، وهذا صبح المشيب أضاء وحال المخالفة ما حال، أشد الهالكين من تاه في آخر الركب وأعلام المنزل تلوح كالهلال، أشد الحسرات رؤية المنزل والحبيب ومنع الوصول والوصال، أشد الفجائع من ترك آستعداد الزاد[٣] حتى نودي بالارتحال، يرى غيره في شدة[٤] الرجاء[٥] وهو من الحرمان في أوحال، يرى محامل التائبين تمر به وهو لا يجد إلى العذر مقال، كم تمر به من رفاق تتجافى وهو طريح في النوم لا عقل ولا عقال[٦]، نزلت ساقة ركبهم على عين السحر فشربوا من الذكر الرائق الزُّلال، وبقي المحروم لا زاد ولا قوى ولا راحة[٧] وأحمال ثقال، إذا عامل سفيه الغفلة له إنصاف وفي معاملة رشيد الطاعة له مطّال، واخيبته إذا سمع النداء إليها[٨] المخفُّون جوزوا فقد بلغتهم[٩] الآمال، والمنقطعون في تيه الشقاء واخيبتهم في المآل، الليل بستان المتهجدين والنوم قبر الغافلين بئس المنزل والنزال، وقت العارف كله جوهر ثمنه في سوق القبول غال، وقت[١٠] الغافل جوهر رديء لا يبلغ حامله فيه آمال، بَدْأَة العارف الغوص في بحار العلوم والعبارات[١١] بلسان الحال، وبدأة السالك جمع أصداف العبارة [١٧٨ب] لنيل جواهر الأمثال، وبدأة المريد دوام الرحلة والانتقال من حال إلى حال، وأوقات الفقراء كلها أوقات مالها في القلوب ولا في الوجود مثال، وساعة[١٢] الزاهدين أعمار في غمرات[١٣] أوقات طوال، وأحوال المحبين ألسنة فصاح تنال بالمحبة ما لا يُنال، وعلوم المحققين بلا واسطة من قيل ولا قال، وإشارات الواجدين عن أسرار لطيفة[١٤] تشير إلى الكمال، لا يفهمها إلا من آنسلخ من قشر[١٥] الشهوات إلى الأمور العوال، وأحوال التائبين خروج عن الأوطان ومبادرة الأعمال، وأحوال المذنبين آنهماك في الشهوات وآسترسال، أين أنت يا جنيد عن هذا السماع أين أنت يا معروف عن[١٦] هذه الأحوال، آحضر يا شبلي تواجد يا حلاج[١٧] لقلبك[١٨] في هذا الميدان مجال، أين أنت يا

---

(١) في (م) و(ع) زيادة: «هلَّا قُدْتها بزمام الطاعة إلى بر السلامة عساها ترتع في الظلال».

(٢) في (م) و(ع): «أمل».

(٣) عبارة «استعداد الزاد»، في (م) و(ع): «الاستعداد».

(٤) في الأصل: «الشدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (ع): «الرخاء».

(٦) العِقال: الرِّباط الذي يُعقل به. ابن منظور، اللسان، «عقل»، ٤٥٩/١١. والمعنى: لا عقل يعي بواسطته الحق فيقبل عليه، ولا رابط يربطه به.

(٧) في (م) و(ع): «راحلة».

(٨) في (م) و(ع): «أيها».

(٩) في (م) و(ع): «بلغتم».

(١٠) في (م) و(ع): «ووقت».

(١١) في (م) و(ع): «والعبارة».

(١٢) في (م) و(ع): «وساعات».

(١٣) في (م) و(ع): «عمارات».

(١٤) في (م) و(ع): «لطفه».

(١٥) عبارة «من قشر»، في (م) و(ع): «عن قشرة».

(١٦) في (م) و(ع): «من».

(١٧) في (م) و(ع): «سمنون».

(١٨) في (م) و(ع): «فلك».

سري لسماع هذا السر[1] وفهم ما يقال، أين أنت يا ابن أدهم لمشاهدة هذا الجمال، يا فضل الفضيل أنت تفهم لفظي في الجواب والسؤال، مع أرواح القوم أتحدث ومن نازلهم في هذا المنزل[2]، ماتوا فعاشوا فذكرهم حي وهممهم[3] في العُلى كالنجم لا يُنال، يا أخي هذه صفة[4] القوم ووظيفتي نظمتها[5] كاللآل، فيا من خلَّفه الحرمان في الربع[6] الخراب البوال، أما هزك حديث القوم أما لك قلب يستمال، هذه أحوالهم تتلى عليك كيف خطر السلو منك عنهم ببال، أصلح ما بينك [١٧٩أ] وبين الحبيب تر من العجائب ما لا يدرك بالجاه ولا بالمال[7]، دع الكسل والتمني فكم خابت فيه من ظنون لم تجد به رفقاً، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

سعيد بن الحكم[8] رحمه الله تعالى قال[9]: سمعت ذا النون رَحِمَهُ ٱللَّهُ[10] يقول: بينما[11] أنا أسير في بعض بلاد الشام، فإذا أنا بعابد قد خرج من بعض الكهوف، فلما نظر إلي ٱستتر مني[12] بين تلك الأشجار، ثم قال: أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك، يا حبيب التوابين، ومعين الصادقين، وغاية أمل المحبين، ثم صاح وأغمي عليه[13] من طول البكاء، ثم[14] قال: واكرباه من طول المكث في الدنيا، ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع فلا شيء عندهم ألذ من ذكره والخلوة بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس[15]، فناديته: أيها العابد قف لي. فوقف وهو يقول: ٱقطع عن قلبي كل علاقة، وٱجعل شغلي بك دون خلقك. فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله تعالى[16] لي، فقال: خفَّف الله عنك مؤونة السير[17] إليه، وآواك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة، ثم سعى بين يدي كالهارب

---

(١) في (م) و(ع): «السر السَّني».
(٢) في (م) و(ع): «النزال».
(٣) في الأصل: «وهمومهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) عبارة «يا أخي.. إلخ»، في (م) و(ع): «هذه صفات».
(٥) في (م) و(ع): «نظمها».
(٦) في (م) و(ع): «الربوع».
(٧) عبارة «ولا بالمال»، في (م) و(ع): «والمال».
(٨) في الأصل و(م) و(ع): «سعيد بن المسلم»، والتصويب من الحلية لأبي نعيم الأصبهاني، ٣٥٦/٩. وسعيد: هو سعيد بن الحكم بن أوس بن يحيى بن المعمر، أبو عثمان السلمي الدمشقي. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢٩٢/٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٨١ ـ ٢٩٠هـ، ص١٨٢.
(٩) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٣٥٦/٩. وابن الجوزي في الصفة، ٣٦٠/٤.
(١٠) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «بينا».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) عبارة «وأغمي عليه»، في (م) و(ع): «واغماه».
(١٤) في (م) و(ع): «و».
(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «قدوس قدوس».
(١٦) عبارة «الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «نَصَب السير».

من السبع[1]». شعر[2]:

يا بانة الجَرْعاء هل من عَطْفة ... فتريح[3] قلباً من[4] هواك معذباً [١٧٩ب]
يَهْوى حصى ماء العُذَيب لأنَّه ... ما زال يَرْشف منه ثَغراً أَشْنَبا
وتَشُوقه تلك الرِّياض لأنَّها ... لَبِسَت على الأهضاب وَشْياً مُذَهَّبا[5]
وتَنَسَّمَت ريح الوصال فأطفأت ... بالقرب ما أذكى البعاد وألهبا
ولقد رماني الوجد عن قوس الهوى ... فأصابني ورَمَيْتُه فتنَكَّبا
وهربت من نار الهوى وعذابها ... نحو السّلوّ فلم أجد لي مَهْربا
وسريتُ في ليل الشَّباب فلم أصِلْ ... أدنى نهار الشَّيب إلا مُتْعَبا
وعجبْتُ من قلبي وطول ثَبَاته ... كَلفاً وكنتُ عَهِدْتُ قلبي قُلَّبا
ذهب الزمان وما ظفرتُ بطائل ... ممَّن أحبّ فأستَلذّ المشربا
فإذا[6] تصفَّحْتُ الشبيبة لم أجد ... مُتَعَطِّفاً[7] يوماً يذكّرني الصبا
فأزددتُ في حبِّ الشَّقاء لحاجة ... ولربَّما كان الشقاء محبَّبا[8]

[بحر الكامل]

فسبحان من أعمى قلوب الغافلين باعوا ما يبقى بما يفنى، فما ربحت[9] تجارتهم في حمل أحمال المنى، تلذذوا بشهوة ساعة كم نالوا بعدها من شقاء وعَنَا، نسوا الرحيل إلى القبور بعيش[10] ما فيه هنا، ويحك ترافق[11] التسويف وتطلب من الفقر الغنى، كم تتعثر في طريق[12] الغفلة وتترك طريقاً واضحاً بيِّناً[13]، أجتهدت[14] نفسك في المحال وحسنت بالأيام ظناً، لا يهزك التشويق[15] ولا يطربك معبد ولو غنى، تجمع لمن ينساك ولا يغني عنك مغنى، تعلل[16] في تخلفك بالأقدار وفي المعاصي[17] تتعنَّى، عجباً لك تغرس غروس الأمل [١٨٠أ]

---

(١) في (م) زيادة: «رضي الله عنه»، وفي (ع) زيادة: «رحمه الله ورضي عنه».
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.
(٣) في الأصل و(م) و(ع): «تروح»، والتصويب من (ب).
(٤) في (م) و(ع): «في».
(٥) البيت ساقط في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «وإذا».
(٧) في الأصل: «وتعطف»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في الأصل: «محجبا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في الأصل: «ربحهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «وعيشاً».
(١١) في (م) و(ع): «كم ترافق».
(١٢) في (م) و(ع): «ظلمة».
(١٣) في (م) و(ع): «مبيناً».
(١٤) في (م) و(ع): «أجهدت».
(١٥) في (م) و(ع): «الشباب».
(١٦) في (م) و(ع): «تتعلل».
(١٧) في (م) و(ع): «وللمعاصي».

بالتسويف بئس ما يجتنى، يا فرحة الشامت إبليس إذا رآك[١] متلوناً، حمل طاعتك خفيف وكأن الأمر عندك هيناً، أين[٢] عزائم الشجعان فالشجاعة أجلّ شيء يقتنى، يا ساحباً زمان[٣] الصِّبا في المعاصي رسنا[٤]، هذا نذير المشيب عن ضعف حالك برهناً، يا أبطال التائبين نُصِرتم بالمتاب نصراً بيِّناً، لا يقاتل من وراء السور إلا الجبان وذلك يحرم المتمني[٥] ما تمنى، كم تطلي بهرج عملك[٦] وهو لا يطلى على من له معنى، الإخلاص مسك يظهر عرفه ونِعْم ما يقتنى، يا سقيم الذنوب آستغثت[٧] بالطبيب عسى تداوي[٨] قلباً مرض بالعنا، لو ذقت طعم الوصل وجدته حلواً ليِّناً، ما نال المحبون[٩] طيب الأنس إلا لمَّا ثبت شوقهم وتمكنا، ركبوا كل صعب في رضاه فعاد عليهم هيناً، شربوا من حبه راح آشتياق[١٠] و[١١]لو شرب منه العذول لأذعنا، دام سكرهم إليه بشربهم كلما آنقضى دنّ فتح لهم[١٢] دنا، فالشوق يحركهم والوصل يسكنهم ويعرف الحال محركاً ومسكناً، الكون كونهم ونغم الوجود تَغَنِّيهم[١٣] وساقيهم ينادي: آشربوا شراب الأنس من قربنا، ليس هذا الشراب من نبات الكروم، وكتاب المعاني بات عليه[١٤] معنوناً، طلبوه وجدوه هو سرّ هو معنى هو حال به الكون زُيِّنا، وفي جمال الساقي هام القوم فأهلاً به من جنًى وآجتنا[١٥]، ناداهم يوم الإيجاد فكل جوهر لسماع ندائه [١٨٠ب] أذنا، وكلهم إلى مشاهدة نظر[١٦] أصبحوا[١٧] نواظراً وأعينا، إن باحوا باسمه غاروا عليه وإن كتموه كان الفؤاد معنوناً[١٨]، تضاعفت أشواقهم فأغناهم الحال عن الكنى، عليه بكى آدم وناح نوح وفارق الأهل والوطنا[١٩]، وبه لهى[٢٠] الخليل عن رؤية النار

---

(١) في (ع): «رماك». (٢) في (م) و(ع): «اتق».

(٣) في (م) و(ع): «زمن».

(٤) الرَّسَن: هو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره. ابن منظور، اللسان، «رسن»، ١٣/ ١٨٠.

(٥) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «آمالك».

(٧) في (م) و(ع): «آستغث». (٨) في (م) و(ع): «يداوي».

(٩) في الأصل: «المحبوب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «آنتشاق». (١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فتح لهم»، في (م) و(ع): «فتحوا». (١٣) في (م) و(ع): «يغنيهم».

(١٤) عبارة «بات عليه» ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٥) في (م) و(ع): «ومجتنى». وجنيت الثمرة أجنيها جنًى وآجتنيتها بمعنى، والجنى ما يجنى من الشجر، والآجتناء أخذك إياه. ابن منظور، اللسان، «جني»، ١٤/ ١٥٥، ١٥٦.

(١٦) عبارة «مشاهدة نظر»، في (م) و(ع): «مشاهدته».

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب). (١٨) عبارة «إن باحوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) قوله هذا إشارة إلى ما كان من سيدنا نوح ﷺ حينما أخبره الله ﷻ أنه لن يؤمن من قومه إلا مَن قد آمن؛ فأمره أن يصنع سفينة ينجو بها مع المؤمنين من الطوفان الذي أغرق الله به الكفرة ومعهم بعض أهله: امرأته وولده.

(٢٠) عبارة «وبه لهى»، في (م) و(ع): «به فني».

لما[1] منها دنا، أطفأ نور شوقه لهيبها وعاد[2] ملوّناً، وكم للكليم من سكرة عند سماعه من جانب الطور إني[3] أنا، هام الجبل فتقطعت أوصاله ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[4] في أثواب سؤاله مكفناً، فعند صحوه[5] اعتذر[6] بتلطف سبحانك أنت أنت وأنا أنا[7]، لولاك[8] ما عرفناك وصلنا[9] إليك وأنت وسيلتنا[10]، شربنا وطربنا وبسماع ذكرك غنينا فاغتنينا[11]، يعقوب سلب بصره لما قال يا أسفى وعيشه ما هنا[12]، واختبر الصِّدِّيق[13] بما سمعت حتى نال من محبوبه ما تمنى[14]، وكم بكى داود بتلحين[15] المزامير عند فقده من محبوبه المنى[16]، كيف يصبر

---

(١) في الأصل: «المن»، والتصويب من (م) و(ع). وفي قوله هذا إشارة إلى ما لقي إبراهيم الخليل من كفرة قومه لمَّا دعاهم إلى توحيد الله تعالى وكسَّر أصنامهم التي يعبدون؛ حيث أمروا به إلى النار ليُحرق؛ فضجت الملائكة إلى الله متضرعة ليأذن لهم بنصرته، فقال: أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه. فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال الله ﷻ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فلم تحرق النار منه إلا وثاقه، وأقام في النار سبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار، ثم جاءوا فإذا هو قائم يصلي. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) عبارة «الهيبها وعاد»، في (م) و(ع): «لهبها وعاد لونه». والمعنى: أن النار مع سيدنا إبراهيم فقدت خاصيتها فلم تعد تحرق، وإنما بقي لونها ووهجها.

(٣) في (م) و(ع): «إنني». والطور: جبل بالقرب من مدين وهو الذي كلم الله عليه موسى. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢/٨٩٦.

(٤) قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٥) في الأصل: «صحة ما رآه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «كتب رسالة اعتذار».

(٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٨) في الأصل: «الولا»، والتصويب من (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «بك وصلنا».

(١٠) في (م) و(ع): «سقيتنا». (١١) في (م) و(ع): «فأغنيتنا».

(١٢) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

(١٣) عبارة «واختبر الصديق»، في الأصل: «واختم للذين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «ما تمنى»، في (م) و(ع): «المنى». وقوله هذا إشارة إلى تصديق أبي بكر الصديق ﵁ خبر الإسراء والمعراج دون تلجلج، وذلك حين حدثه بعض المشركين عما يقوله رسول الله ﷺ رجاء أن يستعظمه فلا يصدقه، فقال ﵁: «والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني إن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدِّقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه»، فيومئذ سماه الرسول ﷺ بالصديق. ابن هشام، السيرة، ٢/٢٧٠، بتصرف.

(١٥) في (م) و(ع): «بتحنين».

(١٦) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ =

على البعد من عادته القرب وعيشه كيف[1] يهنا، لا يعلم[2] الشوق إلا من يكابده ومن لم يفهم المعنى ليس معنا، لم يزل عيسى هائماً في القفار يطلب المعنى ويندب[3] المغنى، ما سكن ما[4] به حتى رفعه الله إليه بعدما[5] كان في عنا، وناهيك من سيد الوجود محمد[6] ﷺ وشرف وكرم وأجاد وأنعم[7] ما طاب عيشه حتى أُسري به وسمع كلام محبوبه [١٨١أ] من هناك ومن هنا، وشاهده هو الكل والكل به فأفهم السر والمعنى، وقيل السلام عليك لا سلام مودع بل آنسناك لتفهم عنا، سقاه شراباً طهوراً فأبقى لأحبابه فضلة بها شوقهم سكنا، فعل الكرام فلقد أفاد ولقد أجاد وأحسنا، حديثي معكم يا أرباب الأشواق أدير[8] عليكم من هذا الشراب ما أمكنا، معشر الفقراء لكم أُزمزم وعليكم أدير الكأس هذا مُذهِب الحزن والضنى، أين أرباب الزوايا أين المحبون مثل حديثهم[9] في الديوان ما دوِّنا، ما أرى في الربع منهم أحداً ترى أين آتخذوا من الوجود مسكناً، واحسرتي على فراقهم[10] وحدي ما معي في السماع إلا أنا، يا أرباب الهمم هذا شرابكم وهذا محبوبكم وهذا مجلسكم قد تزينا، باكروا دنه وآشربوا راحه وغنوا فيه فنعم الغناء والغنى، إذا لم يهزك هذا السماع فعند فقده والله تنال[11] حزناً وضنى، أنا في أحاديث[12] القوم ولي إلى أحاديثهم مُنى، فيا معشر السالكين جدوا في طلب المقصود سبقاً، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

عبد الله بن غالب رحمه الله تعالى قال[13]: «خرجت إلى الجزيرة فركبت السفينة،

= مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢١ إلى ٢٦].

(١) في (م) و(ع): «ما».
(٢) في (م) و(ع): «يعرف».
(٣) في (م) و(ع): «ويطلب».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «بعد أن».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) عبارة «وشرف.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «أرباب.. إلخ»، في (م) و(ع): «أرباب الأدواء وأدير».
(٩) في الأصل: «حديثكم»، وهي من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «فقدهم».
(١١) في (م) و(ع): «تنال والله».
(١٢) في (م) و(ع): «حديث».
(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٦٢. وعبد الله هو عبد الله بن غالب، أبو فراس الحداني، المتشمر الناحب، المتشوق الطالب، العابد الزاهد. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢/ ٢٥٦. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٣٣٤. المناوي، الكواكب الدرية، ١/ ١٣٠.

فرمت[1] بنا إلى ناحية قرية عالية[2] في سفح الجبل[3] خراب ليس فيه[4] أحد. قال: فخرجت وطفت[5] في ذلك الخراب أتأمل آثارهم وما كانوا [181ب] فيه، إذ دخلت بيتاً يشبه أن يكون مأهولاً. قال: فقلت إن لهذا البيت لشأن. فخرجت[6] إلى أصحابي فقلت[7]: إن لي إليكم لحاجة[8]. قالوا: و[9]ما هي؟ قلت: أن تقيموا علي ليلة. قالوا: نعم. فدخلت ذلك البيت، فقلت[10]: إن يكن له أهل فسيأوون إليه إذا جن[11] الليل. فلما أن جن[12] الليل سمعت صوتاً قد انحط من رأس الجبل يسبح الله ﷻ[13] ويكبره ويحمده، فلم يزل الصوت يدنو كذلك حتى دخل البيت. قال: ولم[14] أر في ذلك البيت[15] إلا جرة ليس فيها ماء[16]، ووعاء ليس فيه طعام، فصلى ما شاء الله تعالى[17] أن يصلي، ثم انصرف إلى ذلك الوعاء فأكل منه طعاماً، ثم حمد الله ﷻ[18]، ثم أتى تلك[19] الجرة فشرب منها ماء[20]، ثم قام فصلى حتى أصبح، فلما أصبح أقام الصلاة فصليت معه، فقال: رحمك الله دخلت بيتي بغير إذني. قال: فقلت: يرحمك[21] الله لم أرد إلا الخير. قلت: رأيتك أتيت هذا الوعاء فأكلت منه طعاماً وقد نظرته قبل ذلك فلم أر[22] فيه شيئاً، وأتيت تلك الجرة فشربت منها وقد نظرتها قبل ذلك فلم أجد فيها شيئاً[23]. قال: أجل، ما من طعام أريده من طعام الناس إلا أكلته من هذا الوعاء، ولا شراب[24] من شراب الناس إلا شربته من هذه الجرة. قال: قلت: وإن أردت السمك الطري! قال: وإن أردت السمك الطري[25]. فقلت: رحمك الله[26] إن هذه الأمة لم تؤمر بالذي صنعت، أمرت بالجماعة والمساجد[27] لفضل

(1) في (م) و(ع): «فأرمت».
(2) في (م) و(ع): «عادية».
(3) في (م) و(ع): «جبل».
(4) في (م) و(ع): «فيها».
(5) في (م) و(ع): «فطلقت».
(6) في (م) و(ع): «قال فخرجت».
(7) في (م) و(ع): «فقلت لهم».
(8) في (م) و(ع): «حاجة».
(9) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(10) في (م) و(ع): «وقلت».
(11) في (م) و(ع): «جاء».
(12) في (م) و(ع): «جاء».
(13) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(14) في (م) و(ع): «فلم».
(15) في (م) و(ع) زيادة: «شيئاً».
(16) في (م) و(ع): «شيء».
(17) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(18) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
(19) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(20) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(21) عبارة «فقلت يرحمك»، في (م) و(ع): «قلت رحمك».
(22) في (م) و(ع): «أجد».
(23) عبارة «وأتيت تلك الجرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(24) في (م) و(ع) زيادة: «أريده».
(25) عبارة «قال وإن أردت.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(26) عبارة «رحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
(27) عبارة «بالجماعة والمساجد»، في الأصل: «المساجد والجماعات»، والتصويب من (م) و(ع).

الصلاة[1] في الجماعات وعيادة [١٨٢أ] المريض وأتباع الجنائز. فقال[2]: هاهنا قرية فيها كل ما ذكرته وأنا منتقل إليها. قال: فكاتبني حيناً ثم أنقطع عني كتابه فظننت أنه مات. وكان عبد الله بن غالب لما مات وجد في قبره ريح المسك رحمة الله عليه[3]». شعر[4]:

قفوا في ربى نجد[5] ففي الحيّ مَرْبَاه ... وغَنُّوه إنْ أبصرتم ثَمّ مَغْناه
أَمَا هذه نجد أما ذلك الحِمَى ... فهل عمِيَتْ عيناه أو[6] صمّ أذناه
إذا ما رأى ظِلّ الأراك وماءه ... فإنَّ خطاه بين أن يتخطّاه[7]
دعوه يوفّي تربه بالتِثَامه ... ديون هواه قبل أن يتوفّاه
ولا تسألوه سَلْوةً فمن العنا ... رياضة من قد شاب في الحبّ فَوْدَاه[8]
أَيُحب من أصلى فؤادي بهجره ... بأني أسلو عنه حاشاه حاشاه
متى غدر الصّبّ الكئيب وفى به ... وإن أتلَف القلب الحزين تلافاه
وإن سألوا عن داره داره[9] الحشى ... وإن طلبوا مثواه فالقلب مثواه
فإن[10] أضمروا[11] معناه أو صرَّحوا به ... فإن مُعَنَّاه أحقّ بمعْناه
فيا سائقاً عِيس الغرام يسوقه ... وكل أذى في الحبّ يخشاه يغشاه
أَرِحْها فقد ذابت من الشوق والسُّرَى ... ومزّق[12] إلا عزمها أو بقاياه
وعرِّج على وادي العقيق لعلّني ... أسائل عمَّن كان بالأمس مأواه
ففي الدَّوح من نوح الحمائم مأتم ... أصُمَّت عن[13] العشاق في الوجد أذناه
ويا مُنْيتي عج بي على الخَيْف من مِنى ... وأما اللُّقى[14] من لي بأنّي ألقاه [١٨٢ب]

---

(١) في (م) و(ع): «الصلوات».
(٢) في (م) و(ع): «قال».
(٣) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) في (م): «أم».
(٧) في الأصل و(م) و(ع): «أتخطاه»، وهي من (ب).
(٨) في الأصل: «راسه»، والتصويب من (م) و(ع). والفَوْد: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. الفيروزآبادي، القاموس، «فود»، ص٣٩٢.
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «وإن».
(١١) في الأصل: «ذكروا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «ومزقت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «النقى».

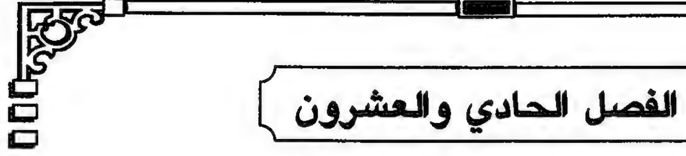
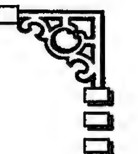
وقل لليالي قد سلفن نفيسةٍ وعيش على رغم الزمان قطعناه
هل العود أرجوه أم العمر ينقضي وأقضي ولا يُقْضى الذي أتمناه

[بحر الطويل]

إلهي[١] عفوك الجميل عن عبدك الذليل توسل[٢] بك إليك، دُلَّه بفضلك عليك برحمتك[٣] يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[٤].



(١) في (م) و(ع): «اللهم».
(٢) في (م) و(ع): «قد توسل».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الحادي والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي بحكمته تجري مقادير الأمور، قسم السعادة والشقاء[١] عدل في قضائه لا يجور، أقر بوحدانيته الأفلاك والأملاك والأرضون والبحور، هدى بلا سبب وأضل بلا علة كل ذلك في كتاب مسطور، لا تُعَلَّل أفعاله وكل مُعلَّل بعلل[٢] مأسور، من رام نيل القدر أصابه بسهم[٣] العجز ولو كان عليه ألف سور، لا يقال «كيف» ولا «لم» فالمشبّه سلب من بصيرته النور، والجاحد أعمى وعلى الشقاء في الفطرة مفطور، لا بداية له فيقال له «مِنْ»[٤] ولا نهاية فيقال «إلى» هذه صفة المحدَث المقهور، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٥] عما تكنُّه الصدور، آنس أحبابه بذكره فقصر قلوبهم بذكره[٦] معمور، نعَّمهم في الدنيا بحبه وفي الجنة بالحور والقصور، أمات شهواتهم فعاشوا فلهم الأمن ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[٧]، حكم على الدنيا بالفناء بتوالي الأزمنة والدهور، بينما[٨] أهلها في طيب عيش ولذة وسرور، وآجتماع وغبطة وتألف [١٨٣أ] وحبور[٩]، دعاهم داعي الحِمَام ففرق ذلك الجمع وخرَّب[١٠] تلك القصور، يفقد الولد والديه[١١] والوالد ولده وهو على فراقه مقهور، ويُسلب الحبيب من[١٢] حبيبه فيخرب البيت بعد أن كان معمور، يدير عليهم كأس الفراق مُرّ[١٣] المذاق وبعده وحشة القبور، كم قصرٍ كان كعبة للزوار فأصبح وهو مهجور، رحل أحبابه إلى سفر بعيد إلى يوم ينفخ[١٤] في الصور، لا يدري المحب ما فعل حبيبه وتحدث بعد الأمور أمور، ذهب الباكي والمبكي عليه والشاكر والمشكور، غاية آجتماع الدنيا فراق وتعجيل أحزان وثبور، أما

---

(١) في (م) و(ع): «الشقاوة».

(٢) عبارة «وكل معلل بعلل»، في (م) و(ع): «ومن علل فمعلل».

(٣) في (م) و(ع): «سهم».

(٤) في (م) و(ع): «لا بداية فيقال مم».

(٥) قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ آقتباس من قوله تعالى من سورة الأنبياء، آية ٢٣.

(٦) عبارة «فقصر.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ آقتباس من قوله تعالى من سورة الأنعام، آية ٧٣. وسورة طه، آية ١٠٢. وسورة النحل، آية ٨٧. وسورة النبأ، آية ١٨.

(٨) في (م) و(ع): «بينا».

(٩) الحَبْر والحبور: السرور. ابن منظور، اللسان، «حبر»، ١٥٨/٤.

(١٠) في (م) و(ع): «خربت».

(١١) في (م) و(ع): «والده».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «النفخ».

ترى أحبابك يرحلون ولا يعودون ليوم النشور، ألهاهم ما ساروا إليه وما خلفوه من أوانس كالبدور، و[1]انقطعت أخبارهم والحسرات عليهم تدور، طال سكونهم وسكوتهم[2] ليت شعري من[3] منهم المكسور والمجبور، قف على قبورهم ونادهم يا ربع الأحبة[4] هل لك من عودة إلى السرور، أنّى تجيبك قبورهم وقد شغلوا بأهوال عظام وأمور، وأنت والله شارب ما شربوا فانتبه من رقدتك يا مغرور، إليك يساق الحديث فشمر فما أنت في التخلف بمعذور، ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[5].

يا أخي قرب الرحيل إلى[6] كم تتانى، اقطع علائق التعلق[7] فعيش المقطوع[8] ليس يهنا، من سافر في رفقة الكسل لم يدرك ما تمنى، إذا خرَّبت يد المعاصي[9] ربع التعبد رحل التعبد[10] رحل التوفيق وما تأنّى، [١٨٣ب] لا تزال أرواح العصاة تائهة في قفار الندم تقرع على الفائت سنا، إذا نفخ في صور[11] الوعد حَنِث[12] صور القلوب أين من يفهم المعنى، يحييها محيي الأرض بعد موتها كحياتنا إذا متنا، يا مأسور الغفلة أراك والله تموت غماً وحزناً، مشيك للمعاصي هرولة وللطاعة هوناً، توبة المسوف من لسانه يا ليته عدم اللسان و[13]الأذنا، وتوبة الصادق من قلبه وعُود عوده[14] كخضراء أشرفت[15] الدِّمنا، أخلص تخلص ودع عنك حديث سعدى[16] ولبنى، حديث الغرام والشوق لا يفهمه إلا صب مُعنًى، أسانيده مأخوذة عن المحب[17] إذا ناح وجدا وتغنى، إذا نسمت ريح الصبا من نحو[18] كاظمة يود المشوق لو مات حزناً، ما ألطف أنفاس المحبين ما أطيب عيشهم وأهنا، إذا طلعت من طويلع الحب بدوره تزايد وجد المشوق وأنّا، عجن ترب ربع[19] الدار

---

(١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «وسكراتهم»، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «الأحباب».

(٥) سورة لقمان، آية ٢٢.

(٦) في (م) و(ع): «فإلى».

(٧) أي التعلق بزخرف الحياة الدنيا وزينتها.

(٨) أي المقطوع عن الله تعالى، المبعد عنه بمعاصيه وذنوبه.

(٩) في (م) و(ع): «العاصي».

(١٠) عبارة «رحل التعبد» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «الصور»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الحِنث: الميل من باطل إلى حق، وقد حَنِث. الفيروزآبادي، القاموس، «حنث»، ص٢١٥. والمعنى: أن القلوب يوم البعث والنشور تتخلى عن باطلها وتميل إلى الحق وتعترف به، يوم لا ينفع الاعتراف والندم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

(١٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «عاد».

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٦) في (ع): «سعدٍ».

(١٧) في الأصل: «الحب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «جو».

(١٩) عبارة «عجن.. إلخ»، في الأصل: «اعجز ربع تربة»، والتصويب من (م) و(ع).

بعارض[١] من الدمع هتنا، ونقش فيه مثال محبوبه لكي ينظر معناه حساً ومعنى، يخاطبه سراً ويزداد شوقه إذا حنا، صورة[٢] حبه في قلبه فأقبل لسان شوقه يلحنها لحناً، كم له بنجد من وقفة وإذا مر إلى وادي الأراك تثنى، يتمنى نظرة والرقيب غافل وغاية العاشق أن يتغنَّى[٣]، يا راكب الأبرقين هل من وقفة لتبلغ رسالة عاشق أبلاه[٤] الغرام وأفنى، يا أهل وادي الحمى حسنوا برسالتي عند محبوبي ظنا، كم لي تحت أثيلات النقى من تردد لكي أرى عيناً و[٥]أسمع [١٨٤أ] أذناً، كم لي باللوى[٦] من قلب خافق والليل إذا جَنَّ جُنّا، دعاه الحب فلباه بوجده ظاهراً وباطناً[٧]، كتموا محبوبهم[٨] وهاموا في القفار وأبقوا عنده[٩] قلوبهم رهناً، رأوه في كل وجود وواجدهم بذكره تغنى، كم له في الدجى من تضرع وقد جفا[١٠] النوم منه جفناً، نادمه بحديثه فأفناه عن وجوده ولا عجباً كيف لا يفنى، لم يبق فيه بقية لا قلباً ولا عقلاً[١١] ولا ذِهناً[١٢]، مهما أراد محبوبه زاره فوجده يظهر ما أَجَنّا، ما أطيب عيش أهل الصفا وأسْمى[١٣] وأسْنى، أين من يفهم هذا السر أين من يستمطر منه مزنا، أين أهل الصفا الذين[١٤] بُدِّلوا من الخوف أمناً، معشر العارفين عليكم يدار هذا الشراب ولكم بذكر محبوبكم مغنى، شرابكم طيِّبٌ من طيِّبٍ ما لكم عنه غنى، دنانه مملوة كلما شربتم دَنّاً فتح لكم دَنّا، لا تسقوا المرائين قطرة ولا تدخلوهم في السماع معنا، من خلع عذار العادة[١٥] نادموه فمثله من هَناً ومن[١٦] أهْنا، لا تمنعوها خلاع التائبين فسماعهم لطيف بعد العسر يهنا[١٧]، أين عيس التائبين احملوا معكم المتفرجين عسى عُودهم للمتاب يُثْنى، جدّدوا عليهم سماع الأحوال كلما أطربهم فن جددوا لهم فناً، استنشقوا أنفاس أكباد[١٨] المحبين في زوايا المجلس فبأنفاسهم عيشنا يهنى، يا من في شراب وجده فَضْلَة تَفَضَّل على مشتاق منعه[١٩] [١٨٤ب] الخوف أن

---

(١) العارض: السحاب المعترض في الأفق. الفيروزآبادي، القاموس، «عرض»، ص٨٣٢.

(٢) في (م) و(ع): «سورة».

(٣) في (م) و(ع): «يتمنى».

(٤) في (م) و(ع): «أفناه».

(٥) في (م) و(ع): «أو».

(٦) في (م) و(ع): «تحت اللوى».

(٧) عبارة «بوجده.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوجده ظهراً وبطناً».

(٨) في (م) و(ع): «عيوبهم».

(٩) في الأصل: «عند»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «نفى».

(١١) في الأصل و(م) و(ع): «عقدا»، وهي من (ب).

(١٢) في (م) و(ع): «رهناً».

(١٣) في الأصل: «وأسنى»، وهي من (م) و(ع). والسناء من المجد والشرف، وسنا إلى معالي الأمور سناء: ارتفع. ابن منظور، اللسان، «سنا»، ٤٠٣/١٤.

(١٤) في (م) و(ع): «أين الذين».

(١٥) في (م) و(ع): «العادات».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «بعد العسر يهنا»، في (م) و(ع): «يعيد العسريمنا».

(١٨) عبارة «استنشقوا.. إلخ»، في (م): «استبقوا أكباد»، وفي (ع): «استسقوا أكباد».

(١٩) في (م) و(ع): «يمنعه».

يتمنى، لكل كريم فضلة فرضها من فرض الجود وأسنى، إن لم تطرب لهذا السماع فستموت بعد فقده غمّاً[1] وحزنا، شمر وبادر وسارع فأيام الوصل أفراح وسرور، ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

عن مِسْعَر[2] رحمه الله تعالى أن عابداً كان يعبد الله ﷻ[3] في جبل يؤتى إليه في[4] كل يوم بقُرْصتين[5]. قال سفيان[6]: وقال غير مسعر: وكان يأتيه طير أبيض، فأتاه[7] ذات يوم بقوته، فجاءه سائل فأعطاه إحدى القرصتين[8]، ثم أتاه سائل آخر فكسر القرص الثاني نصفين، فأعطاه النصف وأبقى النصف الثاني[9] لنفسه، ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغنيني[10]، ولا هذا النصف بالذي يغنيه شيئاً، ولكن[11] يشبع واحد خير من أن يجوع أثنان، فسلم القرص كله للسائل، وبات طاوياً. فأتاه آت[12] في منامه فقال[13] له: اسأل[14]. فقال له[15]: أسأل الله تعالى[16] المغفرة، فقيل له: إن هذا لشيء قد أعطيته، فأسأل الله تعالى[17] أن يغاث الناس، وكان عام جدب فأغيثوا[18]. شعر[19]:

هم أودعوا قلبي الأسى حين ودَّعوا ... وأغروا فؤادي بالغرام وأوجعوا
وهم أوهموا[20] أنّي تسلَّيْتُ بعدهم ... وذلك[21] أمر ليس لي فيه مَطْمع
وما حدق العشَّاق إلا حدائق ... به ظَبيات الحيِّ ترعى وتَرْتع
وكيف سُلوّي عنهم ولهم إذا ... خلا ربعهم في العين والقلب مَرْتع

---

(١) في الأصل: «فقدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) هو مِسْعَر بن كِدام بن ظُهَيْر بن عُبَيْدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق، أبو سلمة الهلالي الكوفي، الحافظ، توفي سنة ١٥٥هـ ـ ٧٧١م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ١٣٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ١٦٣.
(٣) عبارة «يعبد.. إلخ»، في (م) و(ع): «يتعبد».
(٤) عبارة «إليه في» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «بقرصين». والقُرْصة: الخبزة، كالقُرْص. الفيروزآبادي، القاموس، «قرص»، ص٨٠٨.
(٦) هو سفيان الثوري، وقد تقدمت ترجمته.
(٧) في (م) و(ع): «قال فأتاه».
(٨) في (م) و(ع): «القرصين».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) عبارة «بالذي يغنيني»، في (م) و(ع): «بالذي يغني عن هذا شيئاً».
(١١) عبارة «يغنيه شيئاً ولكن»، في (م) و(ع): «يكفيني ولأن».
(١٢) عبارة «فأتاه آت»، في (م) و(ع): «فأتي».
(١٣) في (م) و(ع): «فقيل».
(١٤) في (م) و(ع): «سل».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) عبارة «الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) عبارة «فأسأل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فسل قال فسأل».
(١٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٦١.
(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات التسعة الأولى تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.
(٢٠) في (م) و(ع): «وهموا».
(٢١) في الأصل: «فذاك»، والتصويب من (م) و(ع).

وأُقسم أنِّي لو تَسَلَّيْت في الهوى لَراموا خلافي سرعة وتشفَّعوا [١٨٥أ]
فمن عاذري من عادلين مَنَحْتهم ودادي فصانوا وَصْلهم وتمنَّعوا
دنوتُ فأنْأوْني عرضْتُ[١] فأعْرضوا وَفيتُ فخانوني حَفِظْتُ فضيَّعوا
خليليَّ هذا ربعهم فتداويا[٢] بلَثْم ثراه فهو للوجد أنفع
ولا تَحْجبا عنِّي النَّسيم إذا سَرى فقلبي بريّا عَرفه[٣] يتَلَفَّع
وإن جئتما في ساحة الحي جئتما[٤] به قمراً من جانب الغور[٥] يطلع
وقولا لها[٦] إنا تركناه متيَّما كئيباً[٧] لكاسات الهوى يتجرَّع
ولا تسأموا قولا إذا هي أنصتَتْ فحسبي بقولي أن أقول[٨] فتسمع

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أمضى حكمه فلا يُطيق المحكوم عليه دفعاً ولا رداً، تعرّف إلى أحبابه بلطفه فتزايدوا شوقاً ووجدا، آنسهم في القفار بأنسه وجدد لهم بالأنس[٩] عهداً، باعوا النوم بالسهر وعليه عقدوا عقداً، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[١٠] يردون على[١١] الأوراد ورداً، خامرهم الطرب[١٢] بذكر محبوبهم وتستروا بذكر لبنى وسعدى، ستروا حبهم بالتوله ولهم حنين إذا ذكروا نجدا، أَنْضَوا رواحل أجسادهم[١٣] فترى لهم في مسراهم حنيناً و[١٤]وجداً، أطربها حادي التلاوة فأشتاقت البان والرَّنْدا، طوى لهم سرى التهجد من بيداء[١٥] العمر ما كان ممتداً، أستنشقوا أثر[١٦] السحر فتذكروا أيام لبنى وسعدى، كم لهم من وقوف على ربوع المعاملة ما بين[١٧] مَعْدى ومَغْدى[١٨]، لهم حنين بذكر الحبيب لا[١٩] سيما إذا ذكروا

---

(١) في (م) و(ع): «أتيت».
(٢) في الأصل: «متدانيا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «عطره».
(٤) في (م) و(ع): «حيثما».
(٥) في (م) و(ع): «الخدر».
(٦) في (م): «له».
(٧) في (م) و(ع): «يتيماً».
(٨) في (م) و(ع): «تقولا».
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ١٦.
(١١) في (م) و(ع): «من».
(١٢) في (م) و(ع): «المطرب».
(١٣) في (م) و(ع): «أجسامهم».
(١٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في (ع): «بيد».
(١٦) عبارة «أستنشقوا أثر»، في (م) و(ع): «أستسقوا ثرى».
(١٧) عبارة «ما بين» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) معدى ومغدى مصدران ميميان من عدا وغدا، والمصدر الميمي يدل على ما يدل عليه المصدر العادي؛ أي: ما بين عَدْوٍ وغَدْوٍ.
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

العالم[1] الفردا، [١٨٥ب] حنينهم بالمنحنى يزيد أشواقهم لهباً[2] ووقداً، يا حسنهم في حلة الأشواق وقد توّجوا بهاء[3] ومجداً، تواجدوا على أرض الأدب وتزايدوا شكراً وحمداً، ساعدهم التوفيق فهمى[4] عليهم غيث القبول جوداً، إذا التهبت أكبادهم عادت عليهم الأشواق سلاماً وبرداً، نصبوا شباك الفكر لطير المعارف فصادوه صيداً، يهيج سماعه شجون المحب وزاد نار أشواقهم[5] لهباً ووقداً، ما أحلى أيام الوصال بدءاً وعوداً، والمطرود[6] كلما رام التقرب آزداد بعداً، حسناته ذنوب يسام أبداً هجراً وطرداً، فيا معشر السالكين جددوا بالإخلاص عهداً، نسيم الإخلاص له عطرية عمّت العنبر[7] والندى، فيا من غرّه[8] الإمهال حتى ولى الشباب وما أجدى، نسيت ملك الموت وكيف تُلحَد في القبر لحداً، وهول السؤال وضمة تهد عظامك[9] هداً، وتحشر ليوم تسمع[10] المنادي فيه سحقاً وبعداً، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[11].

إلهي ما حيلتي والهوى قادني لحيني، و[12]كيف أسلك على الجادة وحب الدنيا سوّد قلبي وعيني، و[13]كم أتوب ثم أعود وأمزج يميني بمين[14]، تكدر عيشي مذ حال[15] القضاء بينكم وبيني، لو ساعدني التوفيق أطلق أسري وقضى ديني، [١٨٦أ] كم أتحسر على سوء حالي من ساعة جفوة أو يوم بين، أين أهل الأحزان تعالوا نتشاكى ما نالنا من البين، سامنا بعداً وهجراً فمن يحمل الخطيئتين[16]، من يسلّي قلب المحزون إذا هجروا[17] ولو ملك الخافقين[18]، من أحق مني بالبكاء معشر المذنبين وتقريح الوجنتين، توالت[19] أيام الشباب في الغفلة وفي المشيب يُقضى دين بدين، سيظهر إفلاسك إلى متقاضي الموت بكل عين، من شرب بكأس[20] الأمل شربة هلك فكيف[21] بشربتين، بينما[22] المغرور في ركائب الغفلة وفي

---

(١) في (م) و(ع): «العلم».

(٢) في (م) و(ع): «يزيد نار أشواقهم لهيباً».

(٣) في (م) و(ع): «ثناء».

(٤) هَمَت عينه: صَبَّت دمعها، وكذلك كل سائل من مطر وغيره. ابن منظور، اللسان، «همى»، ١٥/ ٣٦٤.

(٥) في (م) و(ع): «شوقه».

(٦) في (م) و(ع): «والمحروم».

(٧) في (م) و(ع): «العبير».

(٨) في (م) و(ع): «غرهم».

(٩) في (م) و(ع): «أعضاءك».

(١٠) في (م) و(ع): «يسمع».

(١١) سورة مريم، آية ٨٤ إلى ٨٦.

(١٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) المَيْن: الكذب. ابن منظور، اللسان، «مين»، ١٣/ ٤٢٥.

(١٥) في الأصل: «نال»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) أي خطيئة البعد عن الله، وهجر شريعته.

(١٧) في (م) و(ع): «هجر».

(١٨) الخافقان: المشرق والمغرب. الفيروزآبادي، القاموس، «خفق»، ص١١٣٦.

(١٩) في (م) و(ع): «تولّت».

(٢٠) في (م) و(ع): «من كأس».

(٢١) في (م) و(ع): «كيف».

(٢٢) في (م) و(ع): «بينا».

المشيب[1] أصابه سهم الموت فأعمى منه المقلتين، كم نهبت الأيام أعمارهم[2] وأغفلتهم الشهوات بلين[3]، أما علموا أن الأعمال[4] تحصى بديوان وشاهدين[5]، لسانه يملي ويده[6] تكتب وأذناه تعي بمنظر من العين، وقلب يصحح كل[7] ذلك بحضور الملكين، أما يذكر يوم غربته ويوم رمسه ويعلم الحالتين، كيف يخلص إلى ساحل التوبة من هو في[8] الغفلة والتسويف في لجتين[9]، ويلك تتهافت[10] على[11] الحرام كالفراش على الحين، أعماك حب المال والجاه متى يشرق البدر وهو محجوب بسحابتين، تتزيا بالرياء وتسبل من المزايلة والمخايلة[12] ذؤابتين، أما تعلم ويحك من تخادع أما هو لك نصب عين، ظاهرك صفة الصالحين وباطنك مشحون بكل شين[13]، وسَّعت أكمامك لتوسيع[14] دنياك وبينك وبين الآخرة بعد المشرقين، [١٨٦ب] ليت شعري لأي شيء سهرت[15] في الدروس لتحصل شهوة أو شهوتين، وسَّعت فُرَج الشهوات لتجمع[16] الحطام ونسيت من يناديك أنت بعيني، يومك يطوي رحلة[17] وليلك أخرى وكيف يرجو البقاء من يطوى بالرحلتين، تطلب الرفعة في المجالس وأنت بهواك قرير عين، هب لو سجد لك الخلق طرّاً كان[18] ماذا أليس يبيح المنون حماك بعد صون[19]، وترحل عما جمعت وينساك صفي[20] العيش وقرة العين، وتبدو[21] لك

---

(١) عبارة «وفي المشيب» ساقطة في (م)، وفي (ع) زيادة: «يقضى دين بدين».

(٢) في (ع): «أعمارها».

(٣) في (م) و(ع) زيادة: «ولون».

(٤) في (م) و(ع): «الأنفاس».

(٥) الشاهدان هما الملكان اللذان يتلقيان عمل الإنسان: أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات.

(٦) في (م) و(ع): «ويداه».

(٧) في (م) و(ع): «وكل».

(٨) في (م) و(ع): «من».

(٩) لُجُّ البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه، وجمعه لُجَج ولِجَاج. ابن منظور، اللسان، «الجج»، ٢/ ٣٥٤. وقد شبه الغفلة والانغماس فيها بلُجَّة البحر في هولها.

(١٠) عبارة «ويلك تتهافت»، في (م) و(ع): «ويحك كيف تتعاقب».

(١١) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) المزايلة: المفارقة، والتزايل: التباين، وتزايل القوم تزايلاً: تفرقوا. ابن منظور، اللسان، «زيل»، ١١/ ٣١٧. وخايله: فاخره، وتخايلوا تفاخروا. وقد أخالت السماء وخايلت، وسحابة مخايلة: إذا رأيتها خِلْتَها ماطرة. وأخال عليه الشيء: اشتبه وأشكل. الزمخشري، أساس البلاغة، «خيل»، ص١٨٠..

(١٣) الشَّيْن: العيب. ابن منظور، اللسان، «شين»، ١٣/ ٢٤٤.

(١٤) في (م) و(ع): «التوسع».

(١٥) في (م) و(ع): «شهرت».

(١٦) عبارة «الشهوات لتجمع» في (م) و(ع): «التأويل لجمع».

(١٧) في (م) و(ع): «مرحلة».

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في الأصل: «صين»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «صفا».

(٢١) في (ع): «ويبدو».

فضائح ما قدمت والأمر غير هين، تذكر ويحك تعفّر خدك في التراب ما ينفعك بلوغ الشعريين[١]، كم قدمت لغيرك من مقدمات[٢] رياء وسمعة وأنت[٣] في القبر ترى القبيحتين، زينة العالم حلّة العمل والزهد وأهلاً بهما من حلتين، محل الإخلاص في يد العالم وعلمه موزون بكل وزن[٤]، تردّى بالخشوع وتزيا بالخضوع وأشتهر بالصدق في كل كون، لله طيب أحوال السالكين إذا تذكروا[٥] أيام الأبرقين، كم لهم من علوم و[٦]معارف عند مشاهدتهم العلمين[٧]، لو رأيت أشواقهم في الدجى إذا نزلوا الرقمتين، تراهم من الوجد[٨] والسماع في جنتين، ما أحلى صياح التائب طلعته تزان عند الملك بغرتين[٩]، إذا قام التائب للتوبة حفّت به الملائكة تقبّل منه[١٠] الوجنتين، ويهتز العرش وتتزين[١١] جنة المأوى وجنة عدن، [١٨٧أ] وينادي الحق تعالى[١٢] صالحني عبدي سأمنحك[١٣] عوني وعوناً إلى عوني[١٤]، فبادروا

---

(١) الشعرى: كوكب نيّر يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء، والغميصاء التي في الذراع. ابن منظور، اللسان، «شعر»، ٤/٤١٦.

(٢) في (م) و(ع): «مقدمة». (٣) كلمة «وأنت» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «محل الإخلاص.. إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «بكل حلتين».

(٥) في (م) و(ع): «ذكروا». (٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) العَلَم: الجبل. ابن منظور، اللسان، «علم»، ١٢/٤١٦. ولعله يقصد بالعلمين جبلي مكة: أبي قبيس، والأحمر؛ واللذين وردا في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟» فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة [وهو اليوم الذي وقف ﷺ عند العقبة التي بمنى، داعياً الناس إلى الإسلام فما أجابوه وآذوه] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت. فأنطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقَرْن الثعالب [هو قرن المنازل: ميقات أهل نجد تلقاء مكة، على يوم وليلة]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلّم علي، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين [هما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله] فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً». مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث (١١١/ ١٧٩٥)، ٣/ ١٤٢٠.

(٨) في (م) و(ع): «الشوق».

(٩) الغُرة: بياض في الجبهة، وغرة الرجل طلعته ووجهه. ابن منظور، اللسان، «غرر»، ٥/١٤، ١٦.

(١٠) في الأصل: «من»، وهي من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «وتتزيا».

(١٢) في (م) و(ع): «سبحانه». (١٣) في (م) و(ع): «سأمنحه».

(١٤) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني. والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفلاة، ومن تقرّب إليَّ شبراً، تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً، تقرّبت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي، =

إخواني فما خلقتم سدًى، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

عبد الله بن غالب رحمه الله تعالى... تقدمت حكايته[١]. شعر[٢]:

هتفت وَرْقاً على غصن[٣] تغنِّي ... ذات شَجْو أخذَتْ في كلِّ فَن

صاح بي عند ذهولي ذكرها ... يا مُعَنَّى بالهوى إيَّاك أعني

إن تُرِد علم الهوى عن صحةٍ ... خذ أحاديث الحِمَى[٤] عنِّي ومني

يا حمام الأيْك عن أخبارهم ... إن تحدَّثْت بها يوماً فَزِدْني

كرِّر[٥] الأخبار يا راويها ... ومتى ما عنَّ شوقي فأعِنّي

لي فؤاد ضلَّ[٦] في وادي الغَضَا ... عندهم خلّفتُه لم يَتْبِعني

قال للجسم وقد فارَقَه ... هاهنا أبقى[٧] فسِرْعَنِّي[٨] ودَعْني

أضْرم الوَجْد بقلبي جَمْرَة ... عجباً لم يُطْفِها طوفان عيني

أتمنَّاهم على طول المَدى ... قلَّما[٩] يجدي على القلب[١٠] التَّمني

وأرَجِّي عودة بعد النَّوى[١١] ... والليالي أخلفتني[١٢] حسن ظني

يا أخلّائي على الخَيْف لقد ... كان لي من قربكم جنَّة[١٣] عَدْن

[بحر الرمل]

= أقبلت إليه أهرول». مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم الحديث (٢٦٧٥/١)، ٢١٠٢/٤. وكذا الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبداً أصاب ذنباً ـ وربما قال أذنب ذنباً ـ فقال: رب أذنبت ذنباً ـ وربما قال أصبت ـ فأغفر لي. فقال ربه: أعَلِمَ عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً ـ أو أذنب ذنباً ـ فقال: رب أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فأغفره، فقال: أعَلِم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ـ وربما قال أصاب ذنباً ـ قال: قال رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فأغفره لي. فقال: أعلم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء». البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا﴾.. إلخ. رقم الحديث (١٣٢)، ٢٥٩/٩.

(١) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل العشرين.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «فنن».

(٤) في (م) و(ع): «الهوى».

(٥) في الأصل: «كون»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ظل».

(٧) في الأصل: «بقي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «فسر عني»، في (م) و(ع): «فودعني».

(٩) في الأصل: «قدما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «على القلب»، في (م) و(ع): «عن الصب».

(١١) في الأصل: «اللوى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م): «أخلفت لي»، وفي (ع): «أخلفت»، وهو تصحيف.

(١٣) في (م) و(ع): «جنات».

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي جعل المعرفة للعارفين دليلاً وأنساً، ففهموا سره معنى وحِسّاً، عرفهم أسماءه تعالى[١] وأزال عنهم بمعرفتها شكاً ولُبساً، قسم أرزاق المرزوقين وأحصاه ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[٢]، [١٨٧ب] شرَّف صورة الإنسان وأبدع فيه[٣] روحاً وعقلاً ونفساً، وسخر له الأكوان ومن فيها نوعاً وجنساً، أعطاه قبل السؤال وعلَّم علمه إلهاماً ودرساً، جعل الآخرة[٤] دار بقاء والدنيا سجناً[٥] وحبساً، أدار عليه الأفلاك ورتب فيها قمراً وشمساً، لِيُعلم بدورانه حكمته إذا أصبح وإذا أمسى، بسط[٦] الأرض مهاداً وأعد له منها رمساً، أجرى سفينة عمره في بحار[٧] الحياة فإذا بلغ ساحل الموت أرسى، يحاسب[٨] على الصغيرة والكبيرة نظرة أو لسماً، في يوم عظيم يندم فيه من باع آخرته بخساً، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٩]، فسبحان من جعل أقداره قلما والوجود لنفوذه طرساً[١٠]، أحمده حمداً أنال به من حضرة القدس قدساً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها إذا أفردت في اللحد وأنسى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الخلائق جناً وإنساً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما أصبح صبح وليل أمسى.

فسبحان[١١] من طبع على[١٢] قلوب الغافلين حتى آلت[١٣] إلى العطب، ويح الهائمين في قفار المعاصي متى أراهم يخرجون إلى المتاب وبحر[١٤] الطلب، تزيَّنت لهم الدنيا في [١٨٨أ] ثوب الأصيل المذهب، فذلوا في طلبها ذل الأسود لثعلب، قادتهم شهوات[١٥] البطن والفرج إلى الأمر الكريه الصعب[١٦]، كم زجرهم[١٧] زاجر الموعظة[١٨] بكل معنى مُطْرِب، حال سقامهم حال قلب[١٩] قُلَّب، ناموا عن المقصود حتى صاح بهم[٢٠] الحِمام فما لهم من

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة طه، آية ٥٢.

(٣) في (م) و(ع): «فيها».

(٤) في (م) و(ع): «الآخرة له».

(٥) في (م) و(ع): «سجناً له».

(٦) في (م) و(ع): «بسط له».

(٧) في (م) و(ع): «بحر».

(٨) في (م) و(ع): «يحاسبه».

(٩) سورة طه، آية ١٠٨.

(١٠) الطرس: الصحيفة. الفيروزآبادي، القاموس، «طرس»، ص٧١٣.

(١١) في (م) و(ع): «سبحان».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «حتى آلت»، في (م) و(ع): «فآلت».

(١٤) كلمة «وبحر»، في (م) و(ع): «بجد».

(١٥) في (م) و(ع): «شهوة».

(١٦) في (م) و(ع): «الأصعب».

(١٧) في (م) و(ع): «زجر لهم».

(١٨) في (م) و(ع): «الوعظ».

(١٩) عبارة «حال سقامهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وحال شقائهم ما حال إلا إلى قلب».

(٢٠) عبارة «صاح بهم»، في (م) و(ع): «صابحهم».

مهرب، ما أنتبهوا إلا وقد نقلوا إلى لحد[1] في غيهب، قلقوا عند معاينة الأهوال وليس لرجوعهم[2] من سبب، ضحكت بهم الأموال[3] ضحك البروق الخلّب، يا أخي إذا[4] عزمت على سفر التوبة رافق المحزونين لئلا تتعب، كثّر زاد التقوى وعليكم[5] بعيون تسكب، لا تنقطع عن محامل المجتهدين[6] ولازم قلب المركب[7]، معرفة النفس كنز وكم على كنز[8] من معطب، فإن ضعفت عن السلوك[9] فاعزم على النفس عزمة من لم يكذب، خفف يسيراً من حمل المجاهدة ولا بأس بحمل القليل الطيب، جدّ في سير المجتهدين[10] ورِد ماء السحر فهو عذب المشرب، إن رافقت قوّام الأسحار و[11]ساعدوك فكم لهم من[12] شفاعة في مذنب، لا يشقى بهم جليسهم في مشرق ومغرب، ولو شممت عاطر دموعهم لشممت ثرى يثرب، أجمل حلل التائب[13] النحول فعل الآبق المذنب، ويحك تطلب معرفة[14] العارفين بلا علم ولا أدب، وتريد منازل الصالحين وأنت لمثلها لم تُحبَّب، ضيعت أيام الشباب في طلب الشهوات [١٨٨ب] من سبب إلى سبب[15]، وفي الكبر تلهو عجباً لمن يلهو ورأسه أشيب[16]، ما كل من سافر وصل ولا كل من طالب[17] بلغ المطلب، من ساعده التوفيق أورثته السعادة ما لم ينله من أم وأب، وادي الدنيا[18] مجدِب ووادي الآخرة مُخْصب والعيش في المخصب، لو غُرِس الحنظل في وسط دجلة لم يطب ولم يعذب، حظ المهجور من وصال الأحباب[19] حظ المبعود المتعب[20]، ما وصلوا إلى راحة المنى[21] إلا بعد تعب متعب، غضوا أبصارهم عن الفضول فهي[22] في صحائفهم لم تكتب[23]، سجنوا ألسنتهم في سجن الصمت فما لها من

---

(١) عبارة «إلى لحد»، في (م) و(ع): «إلى غيهب من القبر». والغَيْهب: الظلمة. ابن منظور، اللسان، «غهب»، ١/ ٦٥٣.

(٢) في (م) و(ع): «الرجعتهم».

(٣) في (م) و(ع): «الآمال».

(٤) في (م) و(ع): «إن».

(٥) في (م) و(ع): «وعليك».

(٦) في (م) و(ع): «المتهجدين».

(٧) في (م) و(ع): «الموكب».

(٨) في (م) و(ع): «الكنز».

(٩) في (م) و(ع): «طريق السلوك».

(١٠) عبارة «سير المجتهدين»، في (م) و(ع): «سرى المتهجدين».

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فكم لهم من»، في (م) و(ع): «وكم لهم».

(١٣) في (م) و(ع): «التائبين».

(١٤) في (م) و(ع): «مرافقة».

(١٥) عبارة «من سبب إلى سبب»، في (م) و(ع): «من سبسب لسبسب». والسَّبْسَب: القَفر والمفازة. ابن منظور، اللسان، «سبسب»، ١/ ٤٦٠.

(١٦) عبارة «وفي الكبر.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «طلب».

(١٨) في (م) و(ع): «الدجى».

(١٩) في (م) و(ع): «المحبوب».

(٢٠) في (م) و(ع): «والمتعب».

(٢١) في (م) و(ع): «المناخ».

(٢٢) في (م): «فهو».

(٢٣) في (م): «يكتب».

هرب[1]، حصنوا فُرَج[2] فروجهم بالتقوى في المأكل والمشرب، حاسبوا أنفسهم[3] بمستوفي الورع خيفة الحساب المتعِب، أسماعهم موقورة بالوقار ولسان حالهم لم يكذب، هممهم صادقة ومحبوبهم عن قلوبهم لم يحجب، ولوعهم بذكره وكم قطعوا إليه من سبسب، دلّوا عليه دلالة المحب[4] المعجب، أناموا الغفلة وأيقظوا التيقظ ووجه توجههم غير منقلب[5]، كم لهم على[6] منادمة الدجى وكم لهم في روضة السحر من شرب[7]، وجه إقبالهم للحبيب وجه غير محجب، هذه صفة[8] القوم فإن كنت منهم فأنتسب، هيهات أين التقوى[9] وأين من خده[10] بالدموع مخضب، أين الصيام والقيام وأين الورع في[11] المكسب، أين الصدق في [189أ] المعاملة وأين الرضى في وقت الغضب، أين الصلاح[12] والخشية ودموع عين تسكب، أين الهموم والأحزان على فوات المطلب، شغلت وقتك[13] بالحرمان وبذكر سعدى[14] وزينب، أين الأسف على الفائت عجباً لحديثك كل العجب، ما أرادوك فأبعدوك عن الخيام[15] والمِضْرب[16]، لا تبرح عن بابهم وآسق بدمعك تربهم عسى وادي الوداد يكون[17] بمنزلة المخصب، لا بد من عطفة الحبيب وإن جفا فالتزم صفات المسيء المذنب، تعلق بعتبات[18] الدار وقل حبيبي سؤالي[19] ومطلبي، إن طردتني عن بابك فلمن أروح و[20]أنت أرحم بي[21] من الأم والأب[22]، معشر الفقراء طاب السماع فأطربوا فبُعداً لمن لم يطرب، افرحوا بمولاكم وطيبوا بذكره على السماع المطرب[23]، جانبوا أهل الرياء فماله[24] في رحبه من

---

(1) في (م) و(ع): «مهرب».

(2) في (م): «فروج».

(3) في (م) و(ع): «نفوسهم».

(4) في (م) و(ع): «المُدِل».

(5) في (م) و(ع): «منقب».

(6) في (م) و(ع): «في».

(7) في (م) و(ع): «مشرب». والشُّرْب: الحظ من الماء، والمورِد. ابن منظور، اللسان، «شرب»، 1/488.

(8) في (م) و(ع): «صفات».

(9) في (م) و(ع): «التقى».

(10) عبارة «وأين من خده»، في (م) و(ع): «وأين خد».

(11) عبارة «الورع في»، في الأصل: «الركوع من»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) عبارة «وأين الرضى.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(13) في (م) و(ع): «قلبك».

(14) في (م) و(ع): «سعاد».

(15) في (م) و(ع): «خيامهم».

(16) المضرب: الفُسطاط العظيم. الفيروزآبادي، القاموس، «ضرب»، ص138.

(17) في (م) و(ع): «يعود».

(18) في الأصل: «بعتاب»، والتصويب من (م) و(ع).

(19) في (م) و(ع): «سؤلي».

(20) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(21) في الأصل: «به»، والتصويب من (م) و(ع).

(22) عبارة «من الأم والأب»، في (م) و(ع): «من أمي ومن الأب».

(23) في الأصل: «المطلوب»، وهي من (م) و(ع).

(24) في (م) و(ع): «لهم».

مرحب، ما أجمل صياح[1] التائب وأنين الفقير وحنين المحب سعيه غير مخيب، فبالله يا أخي جدد أنسك بمولاك عساك تزداد أنساً، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

قال أبو فروة السائح[2] رحمه الله تعالى ـ وكان من العاملين لله ﷻ[3] بمحبته ـ: «بينما[4] أنا أطوف في بعض الجبال إذ سمعت صدى جبل فقلت: إن هنا لأمراً ما، فأتبعت الصوت فإذا أنا بهاتف يهتف وهو يقول[5]: يا من آنسني بذكره، وأوحشني [١٨٩ب] من خلقه، وكان لي عند مسرتي، أرحم اليوم غربتي، وهب لي من معرفتك ما أتقرب به إليك يا عظيم الصنيعة إلى أوليائه، أجعلني اليوم من أوليائك المتقين، ثم صاح صيحة فأقبلت نحو الصيحة[6]، فإذا بشيخ مغشى عليه وقد بدا بعض جسده، فسترته ثم لم أزل عنده حتى أفاق، فقال لي[7]: من أنت رحمك الله تعالى[8]؟ فقلت: رجل من بني آدم. قال: إليكم عني، منكم[9] هربت. قال: ثم بكى وقام فانطلق وتركني. فقلت: رحمك الله دلني على الطريق، فأومأ بيديه[10] إلى السماء رحمه الله[11]». شعر[12]:

كم للحمائم فوق الدَّوح ألحان	من أجل تلك المغاني يرقص البان
يشدو وينشد وجه الصَّبِّ من وَلَهٍ	إلى الحمام على الأشواق أعوان
مني ومنها إذا جَنَّ الظلام على	كأس الصَّبابة ندمان وإدمان
مشيت[13] زهوا وإنِّي فيك[14] مختبل	وتهتُ صَحْوا وقلبي فيك[15] نشوان
خذي حديثي أو هات الحديث ففي	رَجْع الأحاديث للنشوان سلوان
لولا مَخافة أن أَصْلى بنار هوًى	لعاد سرّ غرامي وهو إعلان
ولي[16] فتاة أجادتني[17] الغرام بها	قراءة وآفات[18] الوصل هجران

---

(١) في (م) و(ع): «حلة».

(٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٣/٤. وأبو فروة يقال له أيضاً أبو قرة. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ١٠٣/٢٩.

(٣) في (م) و(ع): «تعالى».

(٤) في (م) و(ع): «بينا».

(٥) عبارة «وهو يقول» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «الصرخة».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «رحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «يرحمك الله».

(٩) في (م) و(ع): «فمنكم».

(١٠) في (م) و(ع): «بيده».

(١١) عبارة «رحمه الله»، في (م): «رضي الله تعالى عنه».

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «ومشت».

(١٤) في (م) و(ع): «منك».

(١٥) في (م) و(ع): «منك».

(١٦) في (م) و(ع): «وبي».

(١٧) في (م) و(ع): «أفادتني».

(١٨) في الأصل: «آيات»، والتصويب من (م) و(ع).

إن أتهَمَت ففؤادي[1] غير متَّهمِ ... في حبِّها وهو بالأشواق ملآن

أو أنْجَدَت أنجدتني أدمعي ومعيَ ... وجدي المقيم وما للصَّبر وجدان

عجبتُ من جَمْر وجدي في تلهُّبه ... لم يُطْفه ماء دمعي[2] وهو طوفان

وأدّعي وحشة منهم إذا بَعُدوا ... وهم وحق الهوى في القلب سكّان [١٩٠أ]

هم بذكري بستان نزاهته ... فيه ولي منهم بالذكر بستان

وهم أحبَّة[3] قلبي حيثما[4] سلكوا ... وهم أحبّاء قلبي حيثما[5] كانوا

بالله يا صاحبي نجران[6] علّكما ... أن تسألا بانَهم عنِّي متى بانوا

[بحر البسيط]

إلهي لطبيب المرضى إجازة الوصف وإن كان عليلاً، وها أنا أرجو من نوالك إجازة الصفح عن الذنوب يا علام الغيوب، لي وللسامعين ولجميع المسلمين[7] يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً[8].



(١) في الأصل: «فؤادي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «عيني».
(٣) في (م) و(ع): «أحباء».
(٤) في (م) و(ع): «أينما».
(٥) في (م) و(ع): «أينما».
(٦) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود، وإليها تنسب كعبة نجران. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١٣٥٩.
(٧) في (ع) زيادة: «برحمتك».
(٨) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثاني والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي رسم[1] المحدثات بالفناء[2] وبقاؤه تعالى[3] دائم لا يبيد، آستغنى في أفعاله عن الأعوان والأنصار والعبيد، قهر العالم بالتدبير وثَبَّطهم[4] بالتقدير ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، فتح خزائن أسرار العارفين لمعرفته[5] فكم من مراد ومريد، أباح أنسه للمجتهدين وقرب إليهم الطريق والبعيد[6]، آختص بقربه من أراد بغير[7] وسيلة فطالعه بالسعادة سعيد، وأبقى المطرود[8] في تيه الشقاء كالغريب الحزين الوحيد، أنسه همومه فاته المطلوب فيا له من فقيد، هيهات ما ينفع بعد الموت[9] البكاء ولا التغريد[10]، حسنات المبعود ذنوب وإقباله إدبار فياله من طريد، هذه أحكام الأقدار جُدَد في كل يوم جديد، يُقَرِّب ويُبْعد ويشقي ويسعد و[11]ليس في فعله [١٩٠ب] ترديد، فالخيرة فيما آختار والإرادة فيما يريد، فما الحيلة في السوابق[12] فيما يجري على العبيد، لازم العبودية وسلّم ما تريد لما يريد[13]، فأسرار الأقدار[14] لا تنال إلا بصفاء التوحيد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[15].

يا هذا الملك يحثك على التوبة وما لك هِمَّة، والشيطان يدعوك إلى الشهوة[16] وكم لك إليها من عزمة، لو كان لقلبك حس رأى قبح الهوى فذمَّه، كم تستلين فراش الغفلة أما تذكر ضيق القبر وضمَّه، ما أجمل وجه الوصل وأحلى وقته وأتمه، يا من يأتي المعاصي هرولة ألم[17] تر اللَّمَّة[18]، إذا سعيت إلى المتاب[19] سعيت حبواً و[20]ليلة القبر مدلهمة، سارع إلى

---

(١) في (م) و(ع): «وسم». ورسم الغيث الديار: عفاها. الفيروزآبادي، القاموس، «رسم»، ص١٤٣٨.

(٢) في الأصل: «الفضاء»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) ثَبَطه عن الأمر: عوَّقه، كثبَّطه. الفيروزآبادي، القاموس، «ثبط»، ص٨٥٢.

(٥) في (م) و(ع): «للمعرفة».

(٦) في (م) و(ع): «وقرب لهم البعيد».

(٧) في (ع): «من غير».

(٨) في (م) و(ع): «المحروم».

(٩) في (م) و(ع): «الفوت».

(١٠) عبارة «ولا التغريد»، في (م) و(ع): «والتعديد». والتغريد: الصوت، وغرَّد الإنسان رفع صوته وطرَّب. ابن منظور، اللسان، «غرد»، ٣/ ٣٢٤.

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «علم السوابق».

(١٣) عبارة «لازم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «الأسرار».

(١٥) سورة ق، آية ٣٧.

(١٦) في (م) و(ع): «الشهوات».

(١٧) في (م) و(ع): «أما».

(١٨) اللَّمَّة: الشِّدة. الفيروزآبادي، القاموس، «لمم»، ص١٤٩٦.

(١٩) عبارة «إلى المتاب»، في (م) و(ع): «للمتاب».

(٢٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

التوبة[1] قبل أن يصرعك المنون[2] وتشرب كاس[3] نقمة، إذا[4] صفا زيت النية أشرق سراج العزم وذهبت الظلمة، يا من كان له قلب[5] موصول فهجر قف على باب الدجى عسى عطفة رحمة[6]، جُز بوادي التهجد ما ألذ[7] حادي تلاوتهم ما[8] أبدع نثره ونظمه، فذكر[9] الحبيب يذيب النفوس وكم لهم من أنة بعد أنة، تسمَّع ويحك نغم أهل الحي ما[10] ألذها من نغمة، ما زالت الهواجر والدواجي يُبليان[11] كل من له عزمة وهمة، فديت طُرَّاق الدجى كم لهم على بابه من زحمة، آستعذبوا شراب راهب تلاوته[12] وذكر محبوبهم وآسمه، فهم على بابه ما برحوا وتعلقت [١٩١أ] به الهمة[13]، وباعوا في محبته[14] نفوسهم وزالت الحشمة، فديت الفقراء العارفين لأنهم[15] نالوا من هذا الشراب أوفر[16] قسمة، تاهوا عن الأكوان وآنقادوا إلى المحبة بألطف أزمَّة، الكون كونهم والديار ديارهم فواجدهم[17] في زمن الرضى أمة، فديت العارفين كم لهم من زحام على باب المجاهدة وهجمة، لازموا الباب حتى فتح وزاحموا بالهمم أتم زحمة، جلسوا على بساط الأنس لهم حياء وحشمة، غضوا أبصارهم عن الشهوات وإن تحرك منهم الطبع فهم في أشد همة[18]، فديت التائبين كم لهم من صبر على جهاد التقوى وعزمة[19]، ما صاحوا حتى باحوا[20] فآنفجرت لهم فُرَج الغمَّة، أذابوا الأجساد وعليهم من الخشية حرمة، معشر العارفين إليكم أشير لا إلى الأعمى والأكمه، طيروا إلى أكوان الدجى ففيه[21] مرعى خصيب لمن أمَّه، أشجار عرفانها ظليلة ونغم أطيارها بلا عجمة، نهر فيحها[22] سلسبيل وتربتها عنبر طوبى لمن نال منه لثمة، فيها[23] آثار المحبوب وما أحكمه

---

(١) عبارة «إلى التوبة»، في (م) و(ع): «للتوبة»
(٢) في (م) و(ع): «الموت».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «يا من كان قلبه».
(٦) في (م) و(ع): «عسى رحمة».
(٧) في (م) و(ع): «أبدع».
(٨) في (م) و(ع): «و».
(٩) في (ع): «تذكر».
(١٠) عبارة «أهل الحي ما»، في (ع): «أهل الحق فما».
(١١) عبارة «والدواجي يبليان»، في (م) و(ع): «والدياجي يبلبلان». وبلاه الله وابتلاه أي اختبره. ابن منظور، اللسان، «بلي»، ١٤/ ٨٤.
(١٢) في (م) و(ع): «تلاوة».
(١٣) عبارة «فهم على بابه. . إلخ»، في (م) و(ع): «أنفقوا عليه ما ملكوا وما تعلَّقت به الذمة».
(١٤) في (م) و(ع): «شربة».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «أوفى».
(١٧) في (م) و(ع): «فواحدهم».
(١٨) عبارة «تحرك. . إلخ»، في (م) و(ع): «تحرك لهم الطبع فهمَّه».
(١٩) كلمة «وعزمة» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «ناحوا».
(٢١) عبارة «طيروا. . إلخ»، في (م) و(ع): «طيروا إلى أوكار العُلَى ففيها».
(٢٢) في (م) و(ع): «فيحتها».
(٢٣) في (م) و(ع): «فيه».

من حكمة، فَطِرْ والتقط وأشرب وأطرب فيا له من نعيم ويا لها من نعمة، فيا مضيعاً وقته في الغفلة أين كنت من[١] هذه القسمة، عَمَّى الهوى[٢] بصرك والبصيرة فأنت في غمة بعد غمة، فبعت النَّفس[٣] بشهوة البطن والفرج يا خسيس الهمة، قادتك الشهوات إلى المعاصي وهتك[٤] ستر الحرمة، ستعلم إذا خرس اللسان[٥] [١٩١ب] ما أقول نثره ونظمه، فإلى أي يوم تدخر التوبة أما تقوم إليها قومة، إذا لم يهزك وعظي ففي عقد عقيدتك تهمة، ستجرع والله كأس الأسف وتعود عليك النعمة عليك نقمة[٦]، فالسعيد يا أخي من يتيقظ[٧] قبل الرحيل فيا[٨] له من سعيد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

أحمد بن عبد الله الخزاعي رحمه الله تعالى قال[٩]: «حدثني رجل من أهل الشام أنه دخل كهفاً[١٠] في ناحية من[١١] طريق الناس فإذا هو بشيخ مكبوب على وجهه وهو يقول: إن كنت أطلت جهدي في الدنيا[١٢]، وتطيل[١٣] شقائي في الآخرة، لقد أسقطتني من عينك وأهملتني أيها الكريم. قال: فسلمت عليه، فرفع رأسه وإذا دموعه قد بلت الأرض، فقلت: ألم تكن الدنيا لكم واسعة، وأهلها لكم أناس؟ قال: بل هربت منهم ومن إيناسهم لأن في صحبتهم الهلكة.

فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت: رحمك الله، فأنت أعتزلت من الناس[١٤]، وأغربت نفسك[١٥] في هذا الموضع. فقال: وأنت يا أخي فحيثما ظننت أنه أقرب لك إلى الله عز وجل[١٦] فأبتغ إلى ذلك سبيلاً، فإن تجد شيئاً[١٧] من غيره عوضاً. قال: قلت: فالمطعم والمشرب[١٨]؟ قال[١٩]: أجد ذلك عند الحاجة إليه، إذا أردت ذلك فنَبت الأرض وقلوب الشجر. فقلت[٢٠]: ألا أخرجك من هذا الموضع فآتي بك أرض الريف[٢١] والخصب. قال:

---

(١) في (م) و(ع): «في».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «فبعت النفس»، في (م) و(ع): «قنعت».
(٤) في (م) و(ع): «وهتكت».
(٥) عبارة «خرس اللسان»، في الأصل: «مرض»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) عبارة «وتعود.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتعدوا عليك النعم نقمة».
(٧) في (م) و(ع): «تيقظ».
(٨) في (م) و(ع): «يا».
(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٦٤، وإنما قال: «محمد بن أبي عبد الله الخزاعي قال».
(١٠) في (م) و(ع): «كهف جبل».
(١١) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٢) في (م) و(ع): «دار الدنيا».
(١٣) في الأصل: «وتطوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) عبارة «قال بل هربت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) عبارة «وأغربت نفسك»، في (م) و(ع): «واغتربت».
(١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) عبارة «فإن تجد شيئاً»، في (م) و(ع): «فلن يجد متبوعه»، إلا أنه في (ع): «تجد» بدلاً من «يجد».
(١٨) كلمة «والمشرب» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «فقال».
(٢٠) في (م) و(ع): «قلت».
(٢١) الرِّيف: أرض فيها زرع وخصب. الفيروزآبادي، القاموس، «ريف»، ص١٠٥٣.

فبكى، ثم[1] قال [١٩٢أ] إنما الريف والخصب حيث يطاع الله ﷻ[2]، وأنا شيخ كبير أموت الآن لا حاجة لي بالناس». شعر[3]:

يا مَن لصَبٌّ أبى صَبٌّ يوافقه ... شابت لأهوال ما قاسى مَفارقه
حتَّى تذكَّر أياماً مَضَيْن له ... بمصر فهو عميد القلب خافقه
تَهْمَى محاجر عَيْنَيْه[4] بأدْمُعه ... إذا تألَّق فوق الأفق بارقه
وإن تمادَتْ به أيام وحشته ... فشوقه بسهام الوجد راشقه
يكاد من شوقه المُضْني يطير هوى ... إلى أحبَّته لولا عوائقه[5]
مالي وللبَيْن لمَّا[6] لذ لي وَطَن ... مع صاحب فهو بالتَّفريق رامِقه
إن تسألوه[7] سلوّاً فهو أبْلَهه[8] ... وإن أرادوا غراماً فهو حاذِقُه
في أرض خدَّيه من دمع[9] يجود به ... تنوَّرت في أضاحيه شَقَائِقه
يا ساكني مصر لم أسمح بفرقتكم ... عن اختيار وخير القول صادقه
والله ما لذَّ لي عيش بفرقتكم ... ولا حلا لي بعد البعد رائقه[10]
ولا تبيَّن لي من أرضكم نفس ... إلا وجدت شغاف[11] القلب عالقه
ولا يَهبّ[12] نسيم من دياركم ... إلا ولي نَفَسٌ للشوق[13] ناشقه
ولا يزور وِسَادي طَيْفكم حلما ... إلا وساعد أوطاري تُعَانقه[14]

[بحر البسيط]

يا هذا سور الأعمال جسم والنية روح بها يكون التمام، إذا التأم العلم والعمل[15] فقد تم النظام، من أراد حرث الدنيا كان[16] حصاده الآثام، ومن أراد حرث الآخرة حصد دار

---

(١) في (م) و(ع): «و».
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «عينه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «علائقه».
(٦) في (م) و(ع): «مهما».
(٧) في (م) و(ع): «يسألوه».
(٨) في الأصل: «باذله»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «أرض».
(١٠) ورد البيتان ـ هذا وسابقه ـ في (م) و(ع) متداخلين على الشكل التالي:
«يا ساكني مصر لم أسمح بفرقتكم ... ولا حلالي بعد البعد رائقه»
(١١) عبارة «وجدت شغاف»، في (م) و(ع): «وحُرَّاق وَجْد».
(١٢) في الأصل و(ع): «تهب»، والتصويب من (م).
(١٣) في الأصل: «الشوق»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٤) في (م): «يعانقه».
(١٥) في (م) و(ع): «والعقل». وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

السلام[1]، يا بانيا[2] مشيد [١٩٢ب] الآمال[3] ما أسرع الانهدام، عمل المرائي كعمل المخلص لكن بينهما في القبول زحام، ذهب المخلص معدني وذهب المرائي مُركَّب ما له من دوام، عند نقاد الحساب ترى دمعه[4] على الخدود سجام، لكل عمل قيمة وعمل المرائي لا ينظر إليه ولا يُسام، أعمال المخلص قراضة[5] ذهب لا يُركض[6] صاحبها ولا يضام، يا من أنفق حاصل عمره[7] في تحصيل الآثام، يا من أظلمت عليه طريق المتاب حتى دنا منه الحمام، توالت عليه سكرات[8] الغفلة من أكل الحرام، يا من ترك الجادة حتى شاب كم ذا المنام، بياض الشيب وسواد القلب وهمة ما لها ٱهتمام، يا من تخلف عن الركب حتى ذهب الأحباب وفات الخيام، يا من تعثر في ظلمة المعاصي يا ماشياً في الظلام، يا من كلما طلب القرب أبْعد تنبَّه فأنت في منام، تماطل بالتوبة[9] وتناصف التسويف و[10]يقظتك أضغاث أحلام، أما ترى المنون تُفرق الأحباب وتُشَتت الانتظام، أما ترى الوجود هدفاً ترميه الأقدار بالسهام، أما ترى الراحلين إلى البلاء بلِيت أجسامهم و[11]وهيت[12] العظام، بدلوا بعد الحركة بالسكون والصمت بعد الكلام، ليت شعري ما الذي شغلهم هل منعوا أم[13] لذَّ لهم المقام، ما أفصح واعظ قبورهم[14] لذوي الصحة والأسقام، فبادروا التوبة قبل حلول الوعيد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

قال[15] قاسم الجوعي[16] رحمه الله تعالى: «خرجت [١٩٣أ] حاجاً على طريق الشام، فبينما[17] أنا أسير في الليل إذ غلطت في الطريق، فسمعت ضجة فإذا أنا[18] بجماعة قد مسَّهم

---

(١) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

(٢) في (ع): «فانيا».

(٣) في (ع): «الأعمال».

(٤) في (م) و(ع): «دموعه».

(٥) القُراضة: ما سقط بالقَرْض. الفيروزآبادي، القاموس، «قرض»، ص٨٤٠.

(٦) في (م) و(ع): «يركس». والركض الضرب بالرجل والإصابة بها. والرَّكس: قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره، ركسه يركسه ركسا. ابن منظور، اللسان، «ركض»، ٧/ ١٦٠، و«ركس»، ٦/ ١٠٠.

(٧) في (م) و(ع): «العمر».

(٨) في (م) و(ع): «سفرات».

(٩) في (م) و(ع): «التوبة».

(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «وهنت».

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «قلوبهم».

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٦٥.

(١٦) في الأصل: «الأوزاعي»، وفي (م) «الخشوعي»، والتصويب من (ع). والقاسم: هو القاسم بن عثمان الجُوعيّ، أبو عبد الملك العبدي الدمشقي الزاهد شيخ الصوفية، صدوق، وكان فاضلاً من محدّثي دمشق، توفي سنة ٢٤٨هـ ـ ٨٦٢م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٩/ ٣٢٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ، ص٣٩٧.

(١٧) في (م) و(ع): «فبينا».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

من الغلط مثل الذي مسّني، وقد وقفوا على رجل من المتعبدين في جبل وهو يبكي ويقول في بكائه: أتُرى بكائي نافعي عندك ومنقذ رمتي من نار[1] جهنم، أتُرى إنك[2] آخذ من نفسي بحقك وموبخها على رؤوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك، ثم صاح: أواه لكشف سترك عني، أواه لوقوفي بين يديك يا سيداه. فقال له بعض القوم: إنا غلطنا الطريق فدلنا[3]. فقال: من[4] لي ولكم بالاستقامة على وجهها، ثم قال: يا دليل الحائرين[5] دلني ودلهم، ولا تحيرني وإياهم[6]. قال: فكُشِف لنا عن الطريق، فسلكناه وتركناه واقفاً في موضعه». شعر[7]:

ساروا فهل لك غير الدَّمع من ناصر[8] فدعه يَجري أسىً قد شطّت الدّار

ومَن غدا دَمعُه عوناً له ولَهَى يوم النَّوى فهو مخذولٌ ومُختار

لله آيات[9] مشتاق ووحدته وجداً وقد هُتِكت بالبَيْن أسْتار

يقضي له الوجد أن يقضي أسىً وجوًى كذلك الوَجْد للأعمار تيّار

ما العُذْر إن لم تَمُتْ من بعدهم أسَفاً لِبُعْدهم[10] ليس للعشّاق أعذار

يا سائرين وسرّ الوَجْد عندهم[11] قد أعلنته على الخدّين أفكار

ها فأنظروا تجدوا جسماً وهَى سقماً به من الشَّوق[12] آيات[13] وآثار

ومُهْجَة عريَت من ذكر غيركم[14] سلوّها[15] بعدكم عنكم هو العار [١٩٣ب]

يثير شوقي وقوفي في دياركم فإنّ آثاركم عندي لها ثار[16]

ويَسْتبيح حِمَى صبري بذكركم[17] ولم يكن[18] يَسْتَبيح الصَّبر تِذْكار

وكنت في عرفات قد عرفتُ لكم طَيْفاً ألمَّ بكم نارت به الدّار[19]

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «أترى إنك»، في (م) و(ع): «أتراك».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م): «ومن»، وفي (ع): «فمن».

(٥) في (م) و(ع): «الأدلاء».

(٦) عبارة «ولا تحيرني وإياهم»، في (م) و(ع): «على تحيري».

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من ناصر»، في (م) و(ع): «أنصار».

(٩) في (م) و(ع): «أنّة».

(١٠) في (م) و(ع): «من بعدهم».

(١١) في (م) و(ع): «بعدهم».

(١٢) في (م) و(ع): «البين».

(١٣) في (ع): «أنات».

(١٤) عبارة «من ذكر غيركم»، في (م) و(ع): «من غير ذكركم».

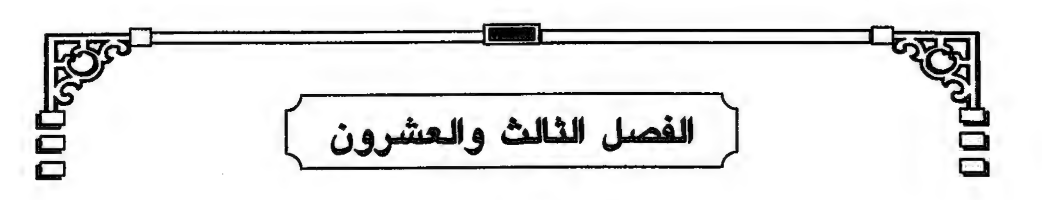
(١٥) في (ع): «سلوتها».

(١٦) في الأصل: «آثار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «تذكركم».

(١٨) في (م) و(ع): «يزل».

(١٩) عبارة «ألمَّ.. إلخ»، في الأصل: «ألم بنا في الدهر اختبار»، وهو تصحيف، وفي (م): «ألمَّ واضرِمْ بعده نار»، وهي من (ع).



الفصل الثالث والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي اَخترع المخلوقات على ما في أم الكتاب سبق، أوجدهم لتوحيده وكل لسان بتوحيده[1] نطق، نشر لواء الولاية على رؤوس العارفين فخفق، نشر رداء السماء على إيوان الأفق كأنه رواق[2] أزرق، نثر عليه دنانير الشهب كجمرات في لجة الغَسق[3]، منها زينة للنواظر ورجوم للشيطان[4] إذا الشيطان اَسترق، ودحى الأرض على بحر زاخر نظر إليه بالعزة فأشرق، أرساها[5] بأوتاد الأطواد وقطعها قطعاً متجاورة[6] على نسق، كم له من حكمة في الأفعال وكم فتق ورتق، ضل من جعل العالم قديماً وفي[7] مقاله ما صدق[8]، أبدع نظام الإنسان من مائع نطفة ثم من علق، شق منه السمع ونوَّر [٢٠٢أ] منه الحدق، ركب فيه الحواس لأنواع من المدركات[9] على نسق، تيَّم المحبين بحبه فهم[10] بين حنين وقلق، أذاب[11] ماء مدامعهم بعد جموده من زفرات الحُرَق، لو رأيتهم في مجلس الدجى أنيسهم أحاديث الأرق، أنفاسهم[12] ألطف من نسيم على الروض وأرق، تميل[13] أعطافهم إذا ذكروا[14] الحبيب كما تميل[15] وَرْقاء بالورق، رسائلهم مكتوبة بالمدامع والخدود ورق، فلو رأيت هائمهم[16] قلت لم يبق فيه الحب[17] رمق، طالما كتموا المحبة إلا أن نمَّام الدمع بها نطق، إيوان مناجاتهم في الدجى كبدْرٍ تمَّ في غَسَق، والمحروم في تيه الشهوات بالخيبة سابق[18]، كم أسمعته

---

(١) في (م) و(ع): «وكل بلسان توحيده».

(٢) الرَّوْق والرِّواق سقف في مقدَّم البيت، والرِّواق ستر يمدّ دون السقف. ابن منظور، اللسان، «روق»، ١٠/١٣٢.

(٣) غسق الليل: ظلمته. ابن منظور، اللسان، «غسق»، ١٠/٢٨٨.

(٤) في (م) و(ع): «للشياطين».

(٥) في الأصل: «أرسلها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «وقطعها متجاورات».

(٧) في (م) و(ع): «ومن».

(٨) الذين قالوا بقدم العالم هم الفلاسفة تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً، فالله ﷻ وحده القديم الذي لا أول له، الأزلي الذي لا بداية له، فهو أول كل شيء وقبل كل ميت وحي.

(٩) في (م) و(ع): «المدارك».

(١٠) في الأصل: «فهو»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ذاب».

(١٢) في الأصل: «ما أنفاسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (ع): «تميد».

(١٤) في (م) و(ع): «ذكر».

(١٥) في الأصل: «تلين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «هيمانهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «الحب فيه».

(١٨) عبارة «الشهوات.. إلخ»، في (م) و(ع): «الشهوة له شبق».

خليلي خلّ عني إنَّ سمعي ... ليس يُصْغي إلى العذال أذنا
وإن أبصَرْتَ معنى الحي قف لي[١] ... على مَغْنى لقلبي فيه معنى
وإن غارت[٢] دموعي فأستعِرْ لي ... عيونا فيضها بالدمع يُغنى
ألا من ذا يعلل قلب صبٍّ ... يحنّ جوى إذا ما الليل جنَّا [٢٠١ب]
ومن لجوانح جنحت لبرق ... فأسبل جفنها بالدمع مُزنا
فمن يك قد سقاه الحب كاسا ... فإنِّي قد سقاني الحبّ دَنّا
فمن سكري نسيتُ أسمي ونعتي ... ولكن بالهوى أُسْمى وأُكْنى
أدِرْها أو فذَرْها[٣] عنك إنَّا ... بأول شربة منها سكِرنا

[بحر الوافر]

اللهم أرحم قلوباً حجبتها الزلات، اللهم[٤] أرحم نفوساً قطعتها الشهوات، اللهم[٥] أرحم عبيداً[٦] أوبقتهم[٧] السيئات، أجتمعوا يرجون عفوك يا كريم[٨]، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليما[٩].



---

(١) في (م) و(ع): «بي».
(٢) عبارة «وإن غارت»، في (م) و(ع): «فإن غاصت».
(٣) في الأصل: «وذرما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في الأصل: «عبدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «أوثقتهم». وأوبقه: حبسه، أو أهلكه. الفيروزآبادي، القاموس، «وبق»، ص١١٩٧.
(٨) عبارة «يا كريم» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

مضروبة(١) فقصدته، فإذا بيت وعليه ستر مسدول(٢)، فسلمت فردت عجوز من داخل الخباء(٣) وقالت: يا إنسان من أين أقبلت؟ قلت: من مكة. قالت: وأين تريد؟ قلت: الشام. قالت: شبهك شبه(٤) إنسان بطال، هلا لازمت(٥) زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين، ثم تنظر في هذه الكسرة من(٦) أين تأكلها؟ ثم قالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: أقرأ علي آخر سورة الفرقان. قال(٧): فقرأتها فشهقت فأغمي عليها. فلما أفاقت بعد ساعة قرأت هذه الآية، فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً. ثم قالت: يا إنسان أقرأها [٢٠١أ] ثانية، فقرأتها(٨) فلحقها مثل ما لحقها في الأولى، وصبرت أكثر من ذلك ولم تفق. فقلت: كيف سنكشف عن حالها(٩) لأرى هل ماتت أم لا. فتركت البيت على حاله(١٠) ومشيت أقل من نصف ميل فأشرفت على واد فيه أعراب، فأقبل إلي غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين: يا إنسان أتيت البيت الذي(١١) في الفلاة؟ قلت: نعم. قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: قتلت العجوز ورب الكعبة. فمشيت مع الغلامين والجارية حتى وصلوا(١٢) البيت، فدخلت الجارية فكشفت عن وجهها(١٣) فإذا هي ميتة رحمها الله تعالى. قال(١٤): فأعجبني خاطر الغلام، فقلت للجارية: من هذان الغلامان؟ فقالت: هذان(١٥) جعافرة وهذه أختهما منذ ثلاثين سنة ما آستأنست(١٦) بكلام البشر، إذا نزلوا تواري بيتها في الفلاة، تأكل في كل(١٧) ثلاثة أيام أكلة، وتشرب شربة رحمها الله تعالى(١٨)». شعر:

إذا القمريّ فوق الأيك غَنّى ... أعان على الهوى صبًّا مُعَنَّى

تُذكّره بأيّام تقضّت ... متى ما(١٩) لحّن القمري حنّا

---

(١) في (م) و(ع): «مضروب».

(٢) في (م) و(ع): «مسبل».

(٣) في (م) و(ع): «البيت».

(٤) عبارة «قالت شبهك شبه»، في (م) و(ع): «فقالت أرى شبحك شبح».

(٥) في (م) و(ع): «الزمت».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «أخذا شديدا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «كيف أستكشف حالها».

(١٠) في الأصل: «حالها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «التي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «دخلنا».

(١٣) عبارة «عن وجهها»، في (م) و(ع): «عنها».

(١٤) عبارة «رحمها الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) عبارة «فقالت هذان» ساقطة في الأصل، وهي من (م) (ع).

(١٦) في (ع): «استأنسوا».

(١٧) عبارة «في كل» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) عبارة «رحمها الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).

لك في[١] بطون الجبال من المعادن وفجر من الأنهار، كم من[٢] مثل للعقل من أمثلة الصنائع فظهرت تلك الآثار في الآثار[٣]، كم كتب في اللوح المحفوظ لحفظك من أسرار[٤]، كم ضبطها بما يليق بك من المقادير بمقدار، كم علمك ما لم تكن[٥] تعلم حتى أشرق قلبك بالمعارف وأنار فاستنار، من جمعك في الأصلاب من أغذية مجموعة من حيوان وثمار، من أنزلك في منزل الرحم في بطن أمك وشق لك السمع والأبصار، من سواك ونفخ فيك من روحه لتبلغ الأوطار، من غذاك في بطن أمك وليس لك حركة ولا اقتدار، من أخرجك من ضيق الرحم إلى فضاء واسع ولك حنين وأذكار، من ألهمك التقام الثدي وجعله لك مدرار، من مهد لك مهاد الحنو فجعل أبويك عليك[٦] سمّار، من وهب لك العقل ليدلك[٧] على معرفته بالإجهار، من أرسل إليك الرسل[٨] لتنجو بها من[٩] الأخطار، من أسبغ عليك النعم ظاهراً وباطناً وسخر لك البحار والقفار، وأنت تعصي من هذا صنعه ناسياً إحسانه[١٠] يا غدار، تبارز بالمعاصي من هذا فعله وترخي الأستار، تنسى ذكره وهو لا ينساك في الخطوب الكبار، وتتزيا بزي الزهاد وأنت من الحرص على الدنيا كذي دينار، تضيع أيام الشباب في المعاصي وفي المشيب لا توبة ولا وقار، أما تستحي أما ترعوي أما لك إلى[١١] التوبة [٢٠٠ب] بدار، إذا عاجلك المنون ما ينفعك اعتذار[١٢]، كم بعد الموت من أهوال عظام ومضائق وأوعار، ينفرد المحزون فيها بأحزانه من له وقد مله العُواد والزوار، أما تذكر هذا المصرع أما تذكر النقلة من دار إلى دار، كم من طلعت عليه الشمس وهو مقيم وما[١٣] غربت حتى قيل سار، فلأي يوم تدخر التوبة فإليك يساق هذا الحديث والأخبار، والأمر أشد مما قيل وإنما اختصرته[١٤] لك اختصار، فأهلاً بالتائبين ألفوا السهر وجفوا المناما، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

أبو بكر الشيرازي رحمه الله تعالى قال[١٥]: «تهت في بادية العراق أياماً كثيرة فلم أجد إنسياً أرفق[١٦] به[١٧]، فلما كان بعد أيام رأيت في الفلاة خباء[١٨] شعر

---

(١) عبارة «كم أبدع.. إلخ»، في (م) و(ع): «كم أودع لك».
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) أي آثار قدرة الله تعالى في مخلوقاته.
(٤) في (م) و(ع): «أسطار».
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «الرسائل».
(٩) عبارة «لتنجو بها من»، في الأصل: «لتنجو به»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «ناسياً إحسانه»، في (م) و(ع): «يا ناسياً إحساني».
(١١) في الأصل: «ألم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «الاعتذار».
(١٣) في (م) و(ع): «فما».
(١٤) في (م) و(ع): «اختصرناه».
(١٥) في (م) و(ع): «قال أبو بكر الشيرازي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٩٣.
(١٦) عبارة «إنسياً أرفق»، في (م) و(ع): «شيئاً أرتفق».
(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) في (م): «شيئاً فإذا بيت»، وفي (ع): «فإذا بيت».

وإن جاش جيش الوَصْل في القلب مُوهناً ... فمن نَسْج داود أرى الصَّبر لي صد[١]
وإن لم يبح لي حاكم الوجد أنني ... أبوح بأسراري فأحكامه رد
أمَا ذلك المغنى له اللَّهو والهوى ... أما ذلك الوادي له الوَرْد والوِرْد
مَغانٍ بها تُغْني[٢] الفؤاد وإن غدا ... يَغْنى بمَغْنى غيرها فهي[٣] القصد
أحنُّ إلى ريح الصَّبا أرْتَجي الشِّفا ... وما في الصَّبا إلا الصَّبابة والوجد
وأرتاح أن تهفوا الأراك لعلَّني ... أراكم وما لي ما وفى[٤] لي[٥] به الوعد
تباعدت الأيام بيني وبينكم ... فنار غرامي لا سلام ولا برد
وقد كنت أرجو الوصل والصّدّ أتّقي ... فبِنْتُم فلا وصل لديَّ ولا صد

[بحر الطويل]

إخواني من ذاق منكم[٦] حلاوة الآخرة أسبل على الفاني مدامعه الغزار، من رافق رفاق المجتهدين[٧] عاد ليله نهار، من سافر مع نجائب تتجافى ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾[٨]، يا ساعياً على غير الجادة متى تصل إلى الدار[٩]، و[١٠]قد قصرت نظرك على جسمك وتركت ما وراءه من الأسرار[١١]، كم فيك من أفلاك وأملاك وأطوار، كم فيك من تمثال وصور[١٢] وأدوار، كم فيك من خطوط يقرأها من فتح باب الأفكار، كم فيك من أسباب السعادة والشقاوة للجنة والنار، كم جمع في غيبة تكوينك من معالم وآثار، كم فيك من ظلمة ليل ونور نهار، كم أبدع فيك من البدائع وخزن من الأسرار، كم سخر لك من الأفلاك والأملاك والظلم والأنوار، وكم ذلّ[١٣] لك صعب الأرض بالأمطار، [٢٠٠ أ] كم قطعت يد تصريفك من أقاليم الحيوان والأشجار، كم أطلقت ألسنة حملة العرش لك بالاستغفار[١٤]، كم أبدع

---

(١) في (م) و(ع): «سرد».
(٢) في (م) و(ع): «يغني».
(٣) في الأصل: «فهو»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «أفي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (ع).
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «المتهجدين».
(٨) قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾، اقتباس من قوله تعالى من سورة القصص، آية ٢٩. والمعنى: أن من رافق الصالحين، واقتدى بهم اهتدى إلى نور الحق والهدى.
(٩) في (م) و(ع): «الديار».
(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع) زيادة: «كم فيه من سورة تتلى وصورة اعتبار».
(١٢) في (م) و(ع): «وسُوَر».
(١٣) في (م) و(ع): «ذلل».
(١٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

فأنقلب، [١٩٩أ] هذا مقام التائبين هذا مجلس السالكين[١] منتخب، هذه أحاديث[٢] المحبين فدع دموعك تجري سجاما، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[٣].

ابن عياش القطان[٤] رحمه الله تعالى قال[٥]: «بلغنا أنه كان ملك كثير المال، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حباً شديداً، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكثت كذلك زمانا، وكان إلى جانب الملك عابد، فبينما[٦] هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته[٧] وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٨] الآية[٩]، فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها: كفين، فلم يكففن[١٠]، فوضعت يديها في جيبها فشقت ثيابها، فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة، فأقبل إليها وقال لها: يا بنيتي[١١] ما بالك في هذه الليلة وما يبكيك؟ وضمها إليه. فقالت: يا أبت سألتك بالله ألله ﷻ دار[١٢] فيها نار وقودها الناس والحجارة؟ قال: نعم. قالت: يا أبت وما منعك[١٣] أن تخبرني؟ والله لا أكلت طيباً، ولا نمت على لين حتى أعلم أين منزلي إما في الجنة أو في النار[١٤]». شعر[١٥]:

ألا أيُّها الحادي أَرِحْها فكم تَحْدو	ومهلاً فقد لاح الحِمَى وبدَتْ نجد
وباح بسرِّ الوجد[١٦] من هو كاتم	غراماً وبان[١٧] البان والطَّلْح والرند
فدعني[١٨] أبدِّد كنز دمعي بِرَبْعهم	فما لي من تبديد دمعي به بد
وإن عاينَتْ عيناك تقصير مُقْلتي[١٩]	بدمعي[٢٠] فأسعدني بدمعك يا سعد
متى حنَّ دمعي سَلْسَلْتُه[٢١] محاجري	وأطلقه طرفي وقيَّده الخد [١٩٩ب]

---

(١) عبارة «هذا مجلس السالكين»، في (م) و(ع): «هذا المجلس للسالكين».

(٢) في (م) و(ع): «أحوال». (٣) سورة الفرقان، آية ٦٤.

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «أبو عياش القطان»، والصواب ما أثبتناه لما قد سبق في ترجمته في الخطبة الثانية من الفصل الرابع.

(٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٣٧. (٦) في (م) و(ع): «فبينا».

(٧) في (م) و(ع) زيادة: «بالقراءة». (٨) سورة التحريم، آية ٦.

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٠) في (م) و(ع): «يكفوا».

(١١) عبارة «وقال لها.. إلخ»، في (م) و(ع): «فقال يا حبيبتي».

(١٢) عبارة «يا أبت.. إلخ»، في (م) و(ع): «أسألك بالله يا أبت أَلله دار».

(١٣) عبارة «يا أبت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وما يمنعك يا أبت».

(١٤) عبارة «إما في الجنة.. إلخ»، في (م) و(ع): «أفي الجنة أو النار».

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٦) في (م) و(ع): «الحب».

(١٧) في (م) و(ع): «وفاح». (١٨) في (ع): «ودعني».

(١٩) في الأصل: «عبرتي»، وهي من (م) و(ع). (٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «متى دمع عيني سلسلته». وتسلسل الماء: جرى في حدور. الفيروزآبادي، القاموس، «سلسل»، ص١٣١٣.

فديت أهل الوجد فديت[١] أهل الطرب، بالله أحضر معنا ساعة نشتكي[٢] الذنوب بنحيب وكرب[٣]، كم ركبنا جياد الصبا في اللهو واللعب، معشر المذنبين سافروا إلى إقليم التوبة بقلب قُلب[٤]، هذا السفر بلا مسافة بل بدمع جرى وأنسكب، و[٥]التائبون يهربون إلى دير الخلوة هروب الخائف إذا هرب، فيه راهب العلم يدل على طريق الطلب، له[٦] ملاطفة بالسالكين يعلمهم الأدب، سرى بهم على[٧] نجائب[٨] التهجد فإذا تحدَّر جناح[٩] الليل فهم[١٠] في صبب، مال بهم إلى وادي السحر فكم فيه من راهب أستغفار ترهَّب، ثم يصعد بهم ثنية[١١] الفجر يعرِّسهم[١٢] لإزالة التعب، فهذا يعلف راحلته بنية الصوم وهذا كبده بنار الأشواق تلهب[١٣]، كتب السجود في ألواح جباههم[١٤] خطوط القبول فأمنوا العطب[١٥]، لأقدامهم مجال في ميدان الدجى ولقلوبهم بذكر المحبوب طرب، إذا بدت هوادج السحر كبَّروا وقرب[١٦] المنزل ونَيْل القُرب، والمحروم ما يبرح في الشقاء لا يدري أين يذهب، غلب عليه حب الغفلة والفضة والذهب، أصبح صفر اليدين من الطاعة وأمتلأ ديوانه مما كتب، ومشيه للتوبة فيه بطء ومشيه للمعصية[١٧] فيه خبب[١٨]، كم وعظهم[١٩] المشيب بحلول العطب[٢٠] في فصيح الخطب، سُدَّت آذانه بالغفلة[٢١] وبيت قلبه خال من الأدب، أين من طال هجرانه أين من يشكو البعاد و الوصب، أين من كان له قلب فضاع أين من قلب قلبه

---

(١) عبارة «أهل الوجد فديت»، في (م) و(ع): «أهل الفهم فديت الواجدين».
(٢) في (م) و(ع): «نتشكَّى».
(٣) في الأصل: «وطرب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «يقلب».
(٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «ماله».
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «نجب».
(٩) في (م) و(ع): «جنح».
(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «إلى ثنية».
(١٢) أعرس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة، كعرَّسوا. الفيروزآبادي، القاموس، «عرس»، ص٧١٨.
(١٣) في (م) و(ع): «يلهب».
(١٤) في الأصل: «حبهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) قوله هذا إشاعة إلى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].
(١٦) في (م) و(ع): «القرب».
(١٧) في (م) و(ع): «للمعاصي».
(١٨) الخَبَب: ضرب من العَدْو. الفيروزآبادي، القاموس، «خبب»، ص٩٩.
(١٩) في الأصل: «وعظكم»، وهي (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «الخَطْب».
(٢١) في (م) و(ع): «سدت أذناه الغفلة».

الدجى[١] وأكمل أحوال المحب ما أقعد وأقاما، لسان حالهم فصيح وإذا ذكر الحبيب زاد إعجاماً، سجدت أشواقهم لقبلة المُحَب[٢] وآتخذوا الغرام إماماً، [١٩٨أ] سكروا من ذكر محبوبهم وما شربوا مُداماً، أخرجهم الوجد عن الاختيار فهاموا به وكان ذلك قواماً[٣]، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤]، فسبحان من يمهل[٥] العصاة ويسبغ[٦] عليهم من فضله إنعاماً، أحمده تعالى[٧] حمداً ينصب لنا على جادة من فضله إنعاماً[٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدفع بها عند الموت أهوالا عظاماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ونار الكفر ملتهب[٩] فعادت برسالته برداً وسلاماً، صلى الله عليه وعلى آله[١٠] صلاة تكون لأعمالنا ختاماً، وأصحابه الذين لهم الاهتداء كالأعلاما[١١].

يا من هبت دَبُور[١٢] الإدبار على سفينة عمره أما تخاف العطب، يا من معاول الكبر كل يوم تُنْقِص في حائط عمره[١٣] قل لي أين المهرب[١٤]، أما رأيت غِيَار[١٥] المشيب فحاذر[١٦] وجدّ في الطلب، ، تسافر إلى مجلس[١٧] الذكر ورأس المال خاسر ما[١٨] تعلم السبب، إذا لم يجد المسافر الربح أدركه الحزن وآنتحب، عجباً لك تحمل أثقال الذنوب والغفلة وأنت تلعب، كيف ترجو صلاح[١٩] المتورعين في طلب السبب، ما نالوا راحة الارتياح إلا بعد طول التعب، مجلس الذكر سوق وتساق[٢٠] إليه عجائب الثياب[٢١] ففيه كل العجب، من دخله بالتواضع والخشوع نال منه ما طلب، ومن خرج منه[٢٢] كما دخل واخيبته على[٢٣] الوقوف على العطب، من فرغ إناء قلبه [١٩٨ب] من الأسباب أمتلأ من نهر القُرَب،

---

(١) عبارة «في الدجى» ساقطة في (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «الحب».
(٣) عبارة «فهاموا. . إلخ»، في (م) «فبذلوا له قواماً»، وفي (ع): «له قواما».
(٤) سورة الفرقان، آية ٦٣. (٥) في (ع): «يمهل على».
(٦) في (م) و(ع): «ويسبل». (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «من فضلة إنعاماً»، في (م) و(ع): «عفوه أعلاماً».
(٩) في (م) و(ع): «ملتهبة». (١٠) في (م) و(ع) زيادة: «وأصحابه».
(١١) عبارة «وأصحابه. . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) الدَّبور: ريح تقابل الصَّبا. الفيروزآبادي، القاموس، «دبر»، ص٤٩٩.
(١٣) عبارة «كل يوم. . إلخ»، في (م) و(ع): «تنقض حائط عمره كل يوم».
(١٤) في (م) و(ع): «الهرب».
(١٥) عبارة «أما رأيت غيار»، في (م) و(ع): «أما ترى غبار».
(١٦) في (م) و(ع): «فحذار».
(١٧) عبارة «تسافر إلى مجلس»، في (م) و(ع): «كم تسافر إلى مجالس».
(١٨) في (م) و(ع): «أما». (١٩) في (م) و(ع): «أرباح».
(٢٠) كلمة «وتساق»، في (م) و(ع): «يساق». (٢١) في (م) و(ع): «النبات».
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٢٣) في (م) و(ع): «في».

ومضى الهوى ومَضَوا فلا وافى(١) الهوى ... ما غال(٢) قلبي بعدهم نسيانه

هَبْ(٣) أنهم عادوا فأين شبابه ... هل راجع أو عائد رَيْعانه [١٩٧ب]

هيهات ليس براجع(٤) ما قد مضى ... فعليك بالإخلاص يا نشوانه

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي عطَّر أنفاس العارفين بمعرفته فعرْفُهم من نفس(٥) الخُزَامى، تقرَّب إلى أحبابه بلطفه وحفظ لهم حُرْمة وذِماما، آنسهم في الدجى بذكره وأمتلأت قلوبهم شوقاً(٦) وغراماً، سهرت عيونهم من شوقهم فجفَت جفونهم رقاداً ومناماً، نثروا(٧) لآلي دموعهم على صوافي(٨) الخدود فأنتظمت في سلك السلوك أنتظاماً، توشَّحوا بإزار الفقر وأتعبوا في الفلوات أجساماً(٩)، هاموا بمحبته لم يُر منهم إلا متيما مستهاماً(١٠)، شربوا شراباً من أنسه تزايد به واجدهم هياماً، متى تنسموا(١١) نسيم نجد ذهب عنهم لوعة وسقاماً، كم لهم في ذكر العذيب من زفرة على أيام وصل(١٢) تشبه أحلاماً، إذا ذكروا(١٣) عشيات سلع عاد(١٤) مشتاقهم يبكي(١٥) الطلول والأعلاماً، صَبَوا(١٦) إلى نفحات الحمى فعادت علامات أشواقهم غراماً(١٧)، قتلوا نفوسهم في حبه فأهلاً به من قتيل ما أرتكب قاتله حراماً، ما رأوا في الكون سوى محبوبهم جل وصفه(١٨) أن يُراما، خلوا بمحبوبهم في الدجى والليل أرخى ستوره ظلاماً، تسامى أشتياقهم لمشاهدةٍ(١٩) عن أن يساما، خوفهم يقيمهم ورجاؤهم يقعدهم في

---

(١) عبارة «فلا وافى»، في الأصل: «وافاه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) غاله: أهلكه، كاغتاله. الفيروزآبادي، القاموس، «غول»، ص١٣٤٤.

(٣) في الأصل: «هم»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) في (م): «راجع»، وهو تصحيف.

(٥) في (م) و(ع): «فعرفهم أعطر من نسيم».

(٦) عبارة «وامتلأت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فامتلأت قلوبهم أشواقا».

(٧) في (م) و(ع): «نثرت».

(٨) في (م) و(ع): «صواني». والصوافي جمع صافية وهي من الصفاء الذي هو نقيض الكدر.

(٩) في (م) و(ع): «الأجساما». (١٠) عبارة «هاموا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «نسموا». (١٢) في (م) و(ع): «الوصل».

(١٣) في (م): «ذكر». (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «بكى».

(١٦) في الأصل: «صبروا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) عبارة «فعادت.. إلخ»، في (م) و(ع): «ففدت ساعات أشواقهم أعواما».

(١٨) في الأصل: «وصله»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «المشاهدته».

وقرين الأشجان(١). فقال: وعليك السلام، ما الذي أوصلك [١٩٧أ] إلى من أفرده خوف المساءلة عن الأنام، وآشتغل بمحاسبة نفسه عن التوسع(٢) في الكلام. قلت: أوصلني إليك الرغبة في التصفح والاعتبار. فقال: يا فتى، إن لله ﷻ(٣) عباداً قدح في قلوبهم زناد(٤) الشغف نار الشوق(٥) فأرواحهم(٦) لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت، وتنظر إلى ما آدخر لها(٧) في حجب الجبروت. قلت: صفهم لي. قال: أولئك قوم آووا إلى كنف رحمته، ثم قال: سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم وفقني(٨). قلت: ألا توصيني(٩) بوصية. فقال(١٠): أحب الله ﷻ(١١) شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه». شعر(١٢):

عـرِّج عـلـى وادي الـعـقـيـق وحـيِّـه	بـحـيـاك حـتـى تـرتـوي أغـصـانـه
ووددتُ لـو نـفـع الـتَّـمـنـي مُـغـرمـاً	يـومـاً بـأنَّ عـقـيـقـه عِـقْـيـانـه(١٣)
فـهـو الـمـكـان لـه الـمـكـانـة في الـهـوى	لـو جـاد لـي بـوصـالـه إمـكـانـه
وعـهـدتُـهُ مـأوى الـحِـسـان وطـالـمـا	أولـى فـزيَّـن حـسـنـه(١٤) إحـسـانـه
وأجـيـل خـيـل الـلـهـو فـي مَـرج الـهـوى	طـوع الـصِّـبـا وتـمـدّ(١٥) لـي مـيـدانـه
يـا رَبْـع أيـن تـراهـم وثَـرَاهـم(١٦)	أتـراهـم فـي طـيـبـة تـبـيـانـه(١٧)
إن أنـجـدوا فـكـمـيـنـه بـثُّ الأسـى	أو أتـهـمـوا فـعـيـونـه أعـوانـه
هـم شَـوَّقـوه(١٨) وشـرَّدوه(١٩) بـوجـدهـم	فـأعْـجَـب لـهـم(٢٠) جـاروا وهـم جيـرانـه

---

(١) في (م) و(ع): «يا حليف الأشجان وقرين الأحزان».
(٢) في (م) و(ع): «التنطع».
(٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «زند».
(٥) في الأصل: «الوقود»، وفي (م) و(ع): «الرمق»، والتصويب من (ب).
(٦) في الأصل: «فأرواحها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) عبارة «وتنظر.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتنظر إلى ما حولها».
(٨) في (م) و(ع): «فوفقني».
(٩) في (م) و(ع): «أوصيتني».
(١٠) في (م) و(ع): «قال».
(١١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) العِقْيان: ذَهَب ينبت نباتاً وليس مما يستذاب، ويحصَّل من الحجارة، وقيل: هو الذهب الخالص. ابن منظور، اللسان، «عقي»، ١٥/ ٨١.
(١٤) في الأصل: «حسانه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م): «ويمد».
(١٦) في (ع): «وتراهم».
(١٧) عبارة «أتراهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتراهم آثارهم في طيه بنيانه».
(١٨) في الأصل: «شوقوا»، وهو تصحيف، وفي (م): «شرفوه»، وهي من (ع).
(١٩) في (م): «وشوقوه»، وفي (ع): «وشرفوه».
(٢٠) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).

وكن أول من به الأفتتاح، يا أرباب الأحوال أين التواجد والانشراح، معشر الفقراء لازموا باب المحبوب[1] وقولوا لا براح، معشر المذنبين كم ذا التعامي بالغفلة[2] والأطراح، لأي يوم تدخر التوبة ليوم يبكى عليك فيه[3] ويناح، إذا وقف الشيخ في صف[4] التائبين فمقاتلته[5] بلا سلاح، بالله عليك طاب المجلس وطاب[6] الشراب وفجر الرضى لاح، تعطر المجلس بأحوال العارفين وعنبر[7] أحوالهم فاح، حمي التنور فزاحم الصدق[8] ولا جناح، طلق شهواتك[9] في هذه الساعة [١٩٦ب] فالمولود فيها سفاح، يا فقيرا من الطاعة يا مفلساً من التوبة أستفتح باب الفتاح، يا من عليه بواقي[10] السوابق قف وقفة الذليل عسى توافق[11] توقيع السماح، هذا فصيح وعظي ينادي التائبين حي على الفلاح، إن لم تتب في هذا المجلس فأنت تائه في الحرمان في المساء والصباح، فسبحان من قسم الأفراح بين الخلائق والغموم، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

قال ذو النون المصري[12] رحمه الله تعالى: «بينما[13] أنا[14] أسير في جبل اللكام مررت على وادٍ كثير الأشجار والنبات، فبينما[15] أنا واقف أتعجب من حسن نضارته[16]، ومن خضرة العشب في جنباته، إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي، وهيج بلابل حزني، فأتبعت الصوت حتى أوقفني بباب مغارة في سفح ذلك الجبل[17]، وإذا الكلام يخرج من جوف تلك المغارة، فأطلعت[18] فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد، فسمعته يقول: سبحان من غرس[19] قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل[20] المحبة فهي لا تحن إلا إليه، ثم أمسك. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته[21] يا حليف الأحزان،

---

(١) عبارة «وكن أول من به.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «على التوبة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) عبارة «عليك فيه»، في الأصل «عليه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «وصف»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «فمقاتلة».
(٦) في (م) و(ع): «وحلا».
(٧) عبارة «بأحوال العارفين وعنبر»، في (م) و(ع): «بأنفاس المخلصين وعبير».
(٨) في (م) و(ع): «وألصق».
(٩) في (م) و(ع): «شهوتك».
(١٠) في (م) و(ع): «بقايا».
(١١) الكلمة ساقطة في (ع).
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٤١/٤.
(١٣) في (م) و(ع): «بينا».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م).
(١٥) في (م) و(ع): «فبينا».
(١٦) في (م) و(ع): «نضرته».
(١٧) في (م) و(ع): «الوادي».
(١٨) في (م) و(ع): «فأطلعت فيه».
(١٩) في (م) و(ع): «مزج».
(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢١) عبارة «ورحمة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

يا هذا أمل[1] التسويف رماد في رياح، عزيمتك[2] في المتاب طير[3] بلا جناح، عند ذكر الآخرة أنت سكران وعند ذكر الدنيا أنت صاح، عجباً كيف تشد الرحال لوجود زائل[4] غايته أتراح[5]، أما علمت أن العمر أمانة في صندوق المساء والصباح، نفس نفيس ووقت عزيز ضيعته في اللهو والمزاح، من باع[6] عمره في سوق الشهوات كيف يرجو السماح، ربما خرج المحروم من المجلس[7] كما دخل ما عليه علامة الصلاح[8]، إن لم تحسن السباحة فتعلق ويحك ببعض الألواح، وكأني بك والله[9] عاجلك مُتْلف الأرواح، عليك برفّاء الندم وصلاح[10] الخشية فإنهما عالمان بالإصلاح[11]، أستعد زاد[12] التوبة فالسفر بعيد ما فيه أرتياح، فإذا بلغت منزل القيامة ظفرت بالأرباح، وإلا فأنت مقطوع في الطريق [196أ] مثخن بالجراح، يا منحرفا عن طريق التوبة تيامن وإلا[13] فأنت في تيه صراح[14]، أرض الشهوات مُسْبِعة وفيها قُطّاع برماح، كم تُعْرِض[15] عن طريق التوبة و[16]عن سبيل التقوى وترتاح، عاصف هواك سفا[17] على أرض عزمك فما لك من[18] الهلاك براح، إذا كان الشباب في الغفلة والكبر في البطالة فما تكون الأرباح[19]، أملك في المتاب سكران وعزيمتك في الغفلة[20] عزيمة صاح، يا من غلب عليه[21] طرش الغفلة متى تسمع نصيحة النُّصّاح، إذا نزل ماء الخشية من غمام[22] المحاجر أزهت[23] رُبى المعاملة والبطاح، فديت قوام الليل عمرهم كله صباح، ما أجمل الأنس بالمحبوب حيث[24] لا يخشى لَحْي لاح، ما أمرّ طعم الهجر كل طباعه[25] قباح، ما أعطر نسيم الرضى تسري[26] بريّا مسكه الرياح، ويحك كم تنام عن المقصود وباقي العمر آخذ في الانتزاح، باكر التوبة وصابحها أي أصطباح، بادر باب الحبيب

---

(1) في (م) و(ع): «أهل».

(2) في (م) و(ع): «عزيمته».

(3) في (م) و(ع): «عزيمة طير».

(4) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(5) الترح نقيض الفرح. ابن منظور، اللسان، «ترح»، 2/417.

(6) في (م): «بذر»، وفي (ع): «نذر».

(7) عبارة «من المجلس» ساقطة في (م) و(ع).

(8) في (م) و(ع): «للصلاح».

(9) في (م) و(ع): «والله بك».

(10) في (م) و(ع): «عليك بربّان العزم وملاح».

(11) في (م) و(ع): «بالصلاح».

(12) في (م) و(ع): «ماء».

(13) كلمة «وإلا» ساقطة في (م) و(ع).

(14) في (م) و(ع): «الصراح».

(15) في (م) و(ع): «تعرج».

(16) عبارة «عن طريق التوبة و» ساقطة في (م) و(ع).

(17) في (م) و(ع): «سفر».

(18) في (م) و(ع): «عن».

(19) عبارة «فما تكون الأرباح»، في (م) و(ع): «متى يكون الارتياح».

(20) في (م) و(ع): «الشهوة».

(21) عبارة «غلب عليه»، في (م) و(ع): «غلبه».

(22) في (م) و(ع): «غمائم».

(23) في (م) و(ع): «أزهرت».

(24) في (م) و(ع): «حين».

(25) في (م) و(ع): «أوقاته».

(26) في الأصل: «تسفي»، وهي من (م) و(ع).

هذا[1] العقيق وهذه كثبانه ... فذروه تذرف دمعه أجفانه
وبطرفه بحران يخرج[2] منهما ... هذا لآليه وذا[3] مُرْجانه
ومتى شَكَكْتم أنَّه ذاك الحِمَى ... فسَلُوا حشاه[4] يريكم[5] خفقانه
قف[6] فيه وقْفَة حائر مُتبَلِّد ... مُتَبَلْبِلٍ أحزانه أحزانه
وأشْكُر[7] لطَرْفك إذ أراك أراكه ... وأخلَع فؤادك حين يرقص بانه
وأنحر جفونك في ثراه[8] فإنه ... لهُنا مُناك هوى[9] وذاك مكانه
فهناك عهدي للأحبَّة لم يزل[10] ... عهدي بحيِّهم وهم سكَّانه
إن لم يَفِضْ دمعي وهذا وقته ... مع أنَّني فمتى يكون أوانه
عجبا لنار في الحَشى وقَّادة ... لم يُطْفها من مدمعي طوفانه
لا تعذلوه في البكاء فإنَّه[11] ... ذهبَتْ أحبَّته ومرَّ زمانه
صَبٌّ متى خطر السّلوُّ بباله ... طالت[12] عليه عندها أشجانه [١٩٥ب]
حلَف الغرام عليه حِلْفَة صادق ... ألّا يلمّ بقلبه سلوانه
رحلوا وما رحل الهوى عن مُهْجتي[13] ... يختال فيها سيفه وسنانه
وسَرَوا[14] وسرّ الوجد من بعد النوى ... أعْيا بفيض دموعه كتمانه
أترى العذول وقد رآني قائلاً ... ما شَانه حتى تغير شانه
وحياتكم[15] لا سام وَصْل سواهم ... قلبي ولو زادت به[16] نيرانه
و[17]وحقكم[18] لا حلَّ عقد ودادهم ... أحد ولو غلب الهوى سلطانه
عرِّج على وادي العقيق وحيِّه ... بحَيَاك حتى ترتوي أغصانه

[بحر الكامل]

---

(١) في (م) و(ع): «هذي».
(٢) في (م): «يجري».
(٣) في الأصل: «وهذا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في (م): «الحشا»، وفي (ع): «حشاكم»، وهو تصحيف.
(٥) في (م): «يبدو لكم».
(٦) في الأصل: «قفا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في (ع): «واذكر».
(٨) في (م) و(ع): «ثراك».
(٩) عبارة «لهنا مناك هوى»، في (م) (ع): «لُمَنى مناك مِنى».
(١٠) عبارة «عهدي.. إلخ»، في (م) و(ع): «عهد بالأحبة لم يحُل».
(١١) في الأصل: «إنه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «صالت».
(١٣) في (م) و(ع): «مهجة».
(١٤) كلمة «وسروا»، في الأصل: «سيروا»، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «وحياتهم».
(١٦) عبارة «زادت به»، في (م) «أودت به»، وفي (ع): «أودت بهم».
(١٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «وحقهم».

رؤية وجوده[١]، يا عبد الشهوة قنعت ويحك بهجره وصدوده[٢]، أنت لو ذقت حلاوة أنسه أفنيت وجودك في وجوده، بمن أعتضت عبدي[٣] وقد قسمت[٤] لك ولم ترض[٥] بالمقسوم، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

عبد الله بن محمد الريحاني رحمه الله يقول[٦]: «دخلت جبل اللكام[٧] فغلطت فوقعت على شيخ متزر بجلد متوشح[٨] بمسح، فقال: الله أكبر أجني أنت[٩] أم إنسي؟ قلت: بل إنسي. قال: ضللت[١٠] عن الطريق؟ فقلت[١١]: نعم. فعلمني[١٢] [١٩٥أ] كلمات ودفع إلي عصا وقال لي[١٣]: خذ هذه العصا فإنها تدلك على الجادة[١٤]، فإذا بلغت مرادك فألق العصا. فمشيت قليلاً فإذا أنا على باب أنطاكية[١٥]، فألقيت العصا فذهبت[١٦] فلا أدري كيف كان ذلك، فرآني قوم فقالوا[١٧]: من أين[١٨]؟ فقلت: من جبل اللكام، ضللت عن طريق، فإذا أنا بشيخ[١٩] فدلني على الطريق، وعلمني كلمات وقال: منذ ثلاثين سنة ما رأيت إنسياً. قالوا: نعم، كان هاهنا أخوان يقطعان الطريق[٢٠]، فوقفا على هذا الشيخ إسحاق بن إبراهيم الجمال رحمه الله تعالى، فدعا لهما فتابا، فليس اليوم في هذه النواحي أصلح منهما[٢١]». شعر[٢٢]:

---

(١) في (م) و(ع): «جوده».
(٢) عبارة «بهجره وصدوده»، في (م) و(ع): «من وصله بصدوده».
(٣) في (م) و(ع): «غيري».
(٤) في الأصل: «أقسمت»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) عبارة «ولم ترض»، في (م) و(ع): «وأرضيتك».
(٦) في (م) و(ع): «سمعت عبد الله بن محمد الريحاني يقول». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٣٩.
(٧) اللُّكام: هو الجبل المشرف على أنطاكية، والمصِّيصة، وطرسوس، والبلاد والثغور. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣/١٢٠٧.
(٨) في (م) و(ع): «متشح».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «أضللت».
(١١) في (م) و(ع): «قلت».
(١٢) في (م) و(ع): «قال فعلمني».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «الطريق».
(١٥) أنطاكية مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة وطيب الهواء وعذوبة الماء وسعة الخير، بينها وبين حلب يوم وليلة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/١٢٤.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «فقال»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «أقبلت».
(١٩) عبارة «فإذا أنا بشيخ»، في (م) و(ع): «فوقعت على شيخ».
(٢٠) عبارة «وعلمني كلمات.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢١) عبارة «فوقفا.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوقفا على هذا الشيخ فدعا لهما، فتابا فليس اليوم في هذه النواحي أصلح منهما، وهذا الشيخ إسحاق بن إبراهيم الجمال». وإسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الجمال من قدماء مشايخهم يعني الصوفية، له آيات وكرامات، وكان ينزل جبل اللكام. ابن العديم، بغية الطلب، ٣/١٤٤٩.
(٢٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وتقدم بعض هذه الأبيات في الخطبة الثانية من الفصل العاشر.

عنده يدوم، قسم الاجتماع والفرقة والمحمود والمذموم، فما يصنع المكتوف في البحر وقد أُمِر أن يعوم، فمِلْ يا أخي إلى ساحل التسليم فكل قدر بمقدار عليه ختام مختوم، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[١].

يا هذا وقت التائب كله جهاد يذكر ما مضى من الزمان وعهوده[٢]، ووقت العارف كله ذكر لطلب مزيده، ووقت المحب كله شوق يعفّر دمعه بصعيده[٣]، ووقت السالك كله خوف وعدِه ووعيده[٤]، ووقت الخائف كله خشية مسلوب المنام و[٥]فقيده، ووقت المريد كله مراقبة بقلبه لشهوده، ووقت الفقير كله صفاء يتذكر[٦] بان الحمى وقدوده، وقت[٧] الواجد كله حال بين بسيطه ونشيده، ووقت الغافل كله بطالة فيا له من قاسي القلب و[٨]جليده، يا أعمى عن طريق القوم قنعت ببعاده وصدوده، عليك بإصلاح نور القلب [١٩٤ب] فترى قُرب طريقه من بعيده[٩]، فيا عجباً[١٠] أنت والحرمان كفَرَسَيْ رهان في تيه الشقا ومديده، متى تفيق من سكرة الغفلة متى تنظم من مدمعك[١١] قلائد جيده، أنت تطلب التسويف والكسل يطلبك بإنجاز مواعيده[١٢]، متى أراك على الجادة ترافق سعد الإخلاص و[١٣]سعوده، تسافر[١٤] لرؤية العجائب وفي نفسك مطلب القاصد وقصيده، المزكوم لا يشم ريح المسك ولو كان في بروده[١٥]، والأطروش لا يسمع معبد ولا يطرب لحنين عوده، كم فيك[١٦] من آيات[١٧] أعتبار وأنت تسلك الوجود في قلائد جوده[١٨]، خربت مجاري الفكر بأيدي الغفلة فتبدد ماء الوعد ووعيده، العجب ممن جُمِعَت فيه هذه[١٩] العجائب كيف ينسى ذكر معبوده، ألا تعجب كيف يُنْعم عليك وتعصيه[٢٠] أما تخاف يوم وعيده، كم يذكُر[٢١] وتنسى ويقبل عليك وتصد[٢٢] عن

---

(١) سورة الحجر، اية ٢١.
(٢) عبارة «كله جهاد. . إلخ»، في (م) و(ع): «كله خوفٌ خوف وعيده».
(٣) الصعيد هو وجه الأرض، وقيل: هو كل تراب طيب. ابن منظور، اللسان، «صعد»، ٣/ ٢٥٤.
(٤) عبارة «خوف. . إلخ»، في (م) و(ع): «كله جهاد بذكر ماضي الزمان وعهوده».
(٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «بتذكر».
(٧) في (م) و(ع): «ووقت».
(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في الأصل: «بعيد»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «واعجبا».
(١١) في (م) و(ع): «دمعك».
(١٢) في (م) و(ع): «وعيده».
(١٣) في (م) و(ع): «مع».
(١٤) في (م) و(ع): «سافر».
(١٥) عبارة «في برودِه»، في الأصل: «في مزوده ومزيده»، وفي (م) و(ع): «في مزوده»، والتصويب من (ب).
(١٦) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «آلات».
(١٨) في الأصل و(م) و(ع): «جيده»، والتصويب من (ب).
(١٩) عبارة «فيه هذه»، في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «وتعصي».
(٢١) في (م) و(ع): «يذكرك».
(٢٢) عبارة «عليك وتصد»، في (م) و(ع): «وتدبر».

أغرى بي الوجد ثم ارتدَّ مُنْحَرفا ... والطَّيْف بالوصل للعشَّاق غَدَّار[1]
بالخَيْف قد خِفْتُ أن أقضي وما[2] بلغَتْ ... نفسي المُنى في مِنى و الدهر غدّار
وبالصَّفا لم أصف ما بي لبعدكم ... إلا ودمعي على الخدَّين مدرار
كذاك[3] مكَّة لم أمْرُرْ بمَرْوتها[4] ... إلا وفي كبدي من ذكركم نار
معاهد ذكَّرتني العَهْد من قدم ... حيَّاه[5] غيث من الوسمي مِدْرار[6]
إذا الديار ديار والنَّعيم بها ... والناس ناس وفي الأوطان أوطار
نَأوا فلا[7] العين للأعيان ناظرة ... قرباً ولا[8] أثر تُدْنيه آثار
جاروا وهم جيرتي في القلب مَسْكنهم ... ما ضرّهم لو أجاروا[9] بعد ما جاروا

[بحر البسيط]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أتقن بحكمته صناعة الحاكم والمحكوم، اخترع العالَم لا عن مثال سبق ولا شكل معلوم، أبدع الوجود بيد الحكمة[10] وقسم القِسْم فظهر بعدله المقسوم، رفع السماء وزينها بجواهر النجوم[11]، أجرى في ميدان الكون خيول الليل والنهار فهذا هازم[12] وهذا مهزوم، جعل النوم واليقظة دليلي الحياة والموت والمثال كالمثال والمفهوم كالمفهوم، نصب قلوب العارفين لأنسه وأفاض على قلوبهم أنوار العلوم، وسقى أرواح العارفين[13] شراب [١٩٤أ] الأشواق فيا له من رحيق مختوم، تجلّى لأسرار المقربين بصفات تدِق عن[14] العبارة وتلطف عن المفهوم، وحجب المبعدين بالشهوات وأوقفهم[15] مع العادة[16] والرسوم، حكمة إله قادر رتب مقادير العالم والعلم والمعلوم، جعل حوائج الكل إليه فالقاعد به يقعد والقائم به يقوم، بيده تصريف كل شيء وسر ذلك على[17] الخلائق مكتوم، فأهل الرضى لهم الراحة وأهل الدعاوى لهم الهموم والغموم، فثق يا أخي بما[18] عنده تعالى[19] فما عندك يفنى وما

---

(١) في الأصل: «على دار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «فما».
(٣) في الأصل: «كذلك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) المروة: جبل بمكة ينتهي إليه السعي من الصفا. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣/١٢٦٢.
(٥) في (م) و(ع): «حَيَّاهُ».
(٦) في (م) و(ع): «ديار».
(٧) عبارة «نأوا فلا»، في (م) « فلا ترى»، وفي (ع): «فلا»، وهو تصحيف.
(٨) عبارة «قربا ولا»، في (م): «ولا ترى»، وفي (ع): «ولا»، وهو تصحيف.
(٩) في الأصل: «جاروا»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «بيد الحكمة»، في (م): «بقدرته».
(١١) في الأصل: «الغيوم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (ع): «مهزوم».
(١٣) في (م) و(ع): «المحبين».
(١٤) في الأصل: «من »، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (ع): «ووافقهم».
(١٦) في (م) و(ع): «العادات».
(١٧) في (م) و(ع): «عن».
(١٨) في الأصل: «الما»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

المواعظ من عِبر فما أجاب ولا لبَّى[1] ولا نطق، هذا رسول المشيب بادر للتقاضي وٱستبق، وكأني بمستوفي الموت[2] باب الأجل طرق، بادر قبل قطع الأعمار وسهم شبابك مُزِق[3]، فكم تغدو عليك المواعظ وتروح ومأسور المعاصي ما ٱنطلق، ألم تسمعك المنايا حديث الحوادث إذا طرق[4]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[5].

يا تائها في تيه[6] الغفلة عدلت عن الطريق، لو علمت ما فاتك في الشباب أسبلت دمعتك[7] كالعقيق، إذا سلكت إلى الآخرة سدَّ في وجهك وخانك التوفيق[8]، وإذا طلبت الدنيا ظهر منك الجد والتحقيق، قوَّام الأسحار لا توقظك وأنت في بحر النوم غريق، كم تجفو العمل الصالح وهو رفيق[9]، متى أراك تحاكم [٢٠٢ب] هواك عند قاضي التحقيق، متى يقرطس[10] سهم عزمك لتصيب غرض التحقيق[11]، من أول يوم ولدت أنت مسافر على الطريق، تطوي المراحل في كل يوم وآخر المنازل يوم الضيق، أما لك عبرة فيمن عبر[12] من صاحب وصديق، عجباً كيف سلوت بعد فراق الفريق، إلى متى تتيه في الغفلة[13] وقد رميت في كل[14] مكان سحيق، واهاً عليك يوم يشخص[15] بصرك وتمنع تجريع الريق، وكم باكية ونائحة ومناد عن جوابه لا تطيق، متى يثبت رشدك عند قاضي التوبة ويظهر ندمك بدمعك الطليق، متى يفك مأسور غفلتك فيعود طليق[16]، متى تشرب من شراب التوبة نِعم الشراب العتيق، متى تجري منك عبرات الأسف كأنها ميزاب[17] عقيق، ما أسوأ[18] تضييع الوقت لتحصيل[19] القوت ومجاز الحساب فيه ضيق[20]، ضيعت نضارة الشباب في الغفلة وفي الكبر

---

(١) عبارة «من عبر.. إلخ»، في (م) و(ع): «عبر من غبر فما لبَّى ولا أجاب».

(٢) في (م) و(ع): «البواقي».

(٣) في (م) و(ع): «امرق».

(٤) عبارة «ألم تسمعك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) سورة الحديد، آية ١٦.

(٦) في (م) و(ع): «الليل».

(٧) في (م) و(ع): «دمعك».

(٨) في (م) و(ع): «الرفيق».

(٩) في (م) و(ع) زيادة: «رفيق».

(١٠) في (م) و(ع): «تقرطس».

(١١) عبارة «لتصيب.. إلخ»، في (م) و(ع): «بقضيب غرض التوفيق».

(١٢) في (ع): «غبر».

(١٣) عبارة «تتيه في الغفلة»، في (م) و(ع): «تيها».

(١٤) «في» في الأصل «من»، والتصويب من (م) و(ع). و«كل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «تشخص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «عتيق».

(١٧) في (م) و(ع): «مذاب». يقال للميزاب: المزراب، والزِّرب مسيل الماء، وزرب الماء وسرب إذا سال. ابن منظور، اللسان، «زرب»، ١/٤٤٧.

(١٨) في (م) و(ع): «سوا»، وهو تصحيف.

(١٩) في (م) و(ع): «تحصيل».

(٢٠) في (م) و(ع): «مضيق».

تضحك بوجه طليق[1]، من ولى عمره في الهجران كيف لا يكون بالمدامع غريق، أفضل حالاته الحزن والبكى وفي الأكباد حريق، لو سريت سروة التهجد شممت عاطر أنفاس المحبين[2] كالمسك الفتيق[3]، بحر الأمل[4] لا ساحل له وهو عميق، ما أرى يغسل[5] ذنوبك إلا النار وما أراك عليها تطيق، وكم تتستر بالرياء[6] وستر اللطيف[7] عليك صفيق[8]، هذا مقام الإقالة فبادر ودع التزويق، هذا مجلس التائبين شربوا[9] من شراب التوبة الرحيق، تعرضوا لنفحات الكريم كم عاجز بالسباق التحق، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ [٢٠٣أ] أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

مطرف بن أبي بكر الهذيلي[10] رحمه الله تعالى قال[11]: «كانت عجوز عند بني عبد قيس[12] متعبدة، وكانت إذا جن[13] الليل تحزمت و[14]قامت إلى المحراب، وكانت[15] تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، وإذا جاء النهار خرجت إلى المقابر[16]. فبلغني أنها عوتبت في[17] كثرة إتيانها المقابر، فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لا[18] يلينه إلا رسوم البلاء، وإني لآتي القبور وكأني[19] أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجساد[20] المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الخلقة، فياله من منظر لو أشربه العباد قلوبهم لأبكى مرارته الأنفس، وأشد ما أبلى تلافة الأبدان». شعر[21]:

سـل إن أفـاد الـمُـسْـتـهـام سـؤالـه ... مـا لـلـعـقـيـق تـغـيَّـرَتْ أحـوالـه

---

(١) في (م) و(ع): «صفيق». ووجه صفيق: وقح. الفيروزآبادي، القاموس، «صفق»، ص١١٦٣.
(٢) في (م): «المجتهدين»، وفي (ع): «المتهجدين».
(٣) فتق الطيب يفتقه فتقا: طيَّبه وخلطه بعود وغيره. ابن منظور، اللسان، «فتق»، ١٠/٢٩٨.
(٤) في (م) و(ع): «الآمال». (٥) في (ع): «تغسل».
(٦) في الأصل: «وكم تستر عليك بالرياء»، وهي من (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «اللطف».
(٨) في (م) و(ع): «رفيق». وثوب صفيق: متين. ابن منظور، «اللسان»، «صفق»، ١٠/٢٠٤.
(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «الهذلي». ومطرف بن أبي بكر الهذلي، يعد في البصريين. البخاري، التاريخ الكبير، ٧/٣٩٨.
(١١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٣٩١.
(١٢) في (م) (ع): «القيس». (١٣) في (م) و(ع): «جاء».
(١٤) في (م) و(ع): «ثم». (١٥) في (م) و(ع): «فكانت».
(١٦) في (م) و(ع): «القبور». (١٧) في (م) و(ع): «عوتبت في ذلك في».
(١٨) في (ع): «لم».
(١٩) في (م) و(ع): «فكأني».
(٢٠) عبارة «المتعفرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

أتُراه إذ[1] قصد الفراق[2] فريقهم ... ذهبت بنور جَمَاله أجماله
دع عنك ذكر لوى العقيق ولا تقل ... ما باله فلوى العقيق وَبَاله
وإليك عن بان الحِمَى واقصِدْ هَوىً ... ذاك الظُّلال به ففيه ظلاله[3]
ما إن تعرَّضَت الصَّبا لغصونه ... إلا[4] تعرّض للحشى بَلْبَاله
وكذاك إن غنَّى بها أو واصل النَّوح ... الحمام تقطَّعَت أوصاله[5]
مُنع السلام فما يهبّ نسيمه ... وحمى الوصال فما يلمّ خياله
وسقى فواصل عاشقيه سقاهم ... والسَّقم من هجر الحبيب وصاله [٢٠٣ب]
لا تَذْكروا نجداً فيَذكر[6] من به ... عَلِقَت على جبلَيْ زرود[7] حباله[8]
ويهيج نجديّ[9] النَّسيم إذا جرى ... ما لا يهيج جنوبه وشماله
وهو العقيق فأين مَنْ حلَّ اللُّوى ... ومِنَى وذا الوادي فأين غزاله
يا سائق الأظعان رِد وادي[10] الحِمى ... سَكنا ولا تغْرُرْك[11] منه نزاله
فتزايد الأشجان[12] لا عبراته ... تُروي وسيل الدمع لا سَلْسَاله
وتخفّ[13] حَصْباء اللُّوى بقلوب مَن ... حمل اللُّوى حصباؤه ورماله
وسَّعت[14] ميدان الصبابة لأمرئ ... لَعِب الغرام به فضاق مجاله
وأدَمْت تسْآل الكثيب وما الذي ... يُجْدي وقد غلب الأسى[15] تسآله

[بحر الكامل]

يا هذا الليل مطايا المجتهدين[16] والتلاوة حادي الرواحل، وفي السحر تظهر أعلام المنزل

---

(١) في (م) و(ع): «إن».
(٢) في الأصل: «الفريق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «ضلاله».
(٤) في الأصل: «ولا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في الأصل: «وصاله»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «فنذكر».
(٧) في الأصل: «جبل زرود»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع) زيادة.
«فإذا تناوحت الرياح تصافحت ... حُرق الصبابة واستحالت حاله»
(٩) في الأصل «لي نجد»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «عين».
(١١) في (م) و(ع): «يغررك».
(١٢) في الأصل: «الأجفان»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل و (م) و(ع): «وتخاف»، والتصويب (ب).
(١٤) في (م) و(ع): «أوسعت».
(١٥) في (م) و(ع): «الهوى».
(١٦) في (م) و(ع): «المتهجدين».

للنوازل[1]، والفجر[2] منزل يحُطّ[3] الضعيف والكاسل[4]، ومن تخلف عن[5] هذه الرفاق يعض من الندم الأنامل، ويحك يا طالب الشهوة تبحث عن حتفك بكفك وتعاجل، يا قاتلا نفسه بالمعاصي ما أراك عاقل[6]، بيس ما اخترت لنفسك بيس ما تعاجل و[7]تحاول، كم وعظك النصيح فما سمعت سواء عندك النصيح[8] والعاذل، يا عبد السوء لو علمت من يراك ومن بالمعاصي تبارز وتنازل، لذابت[9] مهجتك وعاد جسمك ناحل، إذا كان عمرك[10] في إدبار والموت في إقبال فتهيأ للغاسل، و[11]يا من ظاهره حيّ وقد أصابت منك سهام الغفلة المقاتل، خربت الشهوات إقليم قلبك ما فيه مقاتل، أملك [٢٠٤أ] في الدنيا مقيم وعن الآخرة راحل، ستجري والله عبراتك بالأسف كأنها جداول، أنت مقتول بالآمال وأنت لنفسك قاتل، نجوم لهوك باقية واعجباه وهل النجوم إلا أوافل، كل ما[12] تستنجد به عند الموت لك خاذل، تلهى[13] بعد المشيب وتلاعب التلاعب وتغازل[14]، ماأقبح سن الشيخ إذا ضحك وقد أنفذ[15] السهم المقاتل[16]، تجمع لمن ينساك وتترك في قبرك وتُراحل، ما أسرع سرعة[17] الموت وكأني بالأمر النازل نازل[18]، سافر التائبون على رواحل العزم فبلغوا المنازل، والمحروم يجنح إلى ظل الأمل[19] وهو زائل، أين رفاق الفقراء أين قوافل الصالحين القوافل[20]، يا غريقاً في بحر الغفلة التوبة الساحل، عليك بسيارة الندم وإلا فساعة[21] العزم عسى في الطريق[22] حامل، فإن لم يكن ذا ولا ذا فقد قطعت لديك الوسائل، اسمع نصح ناصح بلغ وصدق، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

---

(١) في (ع): «للنازل».
(٢) في (م) و(ع): «والعجز».
(٣) في (م) و(ع): «فيه».
(٤) في (م) و(ع): «والكامل».
(٥) عبارة «تخلف عن»، في الأصل: «تكلف عنده»، والتصويب من (م) (ع).
(٦) في (ع): «غافل».
(٧) كلمة «تعاجل و» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «الناصح».
(٩) في (ع): «أذابت».
(١٠) في (م) و(ع): «العمر».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «من».
(١٣) في (م) و(ع): «تلهو».
(١٤) في (م) و(ع): «وتعاول».
(١٥) في (م) و(ع): «أنفذه». والنفاذ: جواز الشيء والخلوص منه، ونفذ السهم الرمية: خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه، وأنفذت القوم إذا خرقتهم. ابن منظور، اللسان، «نفذ»، ٣/ ٥١٤، ٥١٥.
(١٦) في (م) و(ع): «القاتل».
(١٧) في (م) و(ع): «صرعة».
(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «الآمال».
(٢٠) في الأصل: «الأقافل»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢١) في (م) و(ع): «فساحة».
(٢٢) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).

حج هارون الرشيد رحمه الله تعالى فقيل له[1]: يا أمير المؤمنين قد حج شيبان[2] هذا[3] العام. فقال[4]: أطلبوه لي، فطلبوه فأتوا[5] به، فقال له: يا شيبان عظني. فقال[6] له: يا أمير المؤمنين أنا رجل[7] لا أفصح العربية[8] فجئ بمن يفهم كلامي، فجيئ[9] برجل يفهم كلامه. فقال له[10] بالقبطية: قل له: يا أمير المؤمنين إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ الخوف خير من الذي[11] يؤمنك حتى تبلغ العطب[12]. فقال[13]: أي شيء [٢٠٤ب] هذا. قال[14]: يقول لك: يا هذا أتق الله ﷻ[15] فإنك رجل[16] أسترعاك الله رعية[17]، وقلدك أمرها[18]، وأنت مسؤول عنها فأعدل في الرعية، وأقسم بالسوية، وأنفق في السَّرية[19]، وأتق الله ﷻ[20] في نفسك، هذا الذي يخوفك، فإذا بلغت المأمن[21] أمنت، فهذا هو الذي[22] أنصح لك ممن يقول لك[23] أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم ﷺ[24] وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت. قال: فبكى هارون حتى رحمه من كان معه[25]، ثم قال: زدني. فقال[26]: حسبك ثم خرج[27]. شعر:

---

(١) عبارة «حج.. إلخ»، في (م) و(ع): «هارون الرشيد قيل له».

(٢) هو محمد بن عبد الله المعروف بشيبان، أبو محمد الراعي، المنيب الواعي، كان في العبادة فائقاً، وبالتوكل على ربه ﷻ واثقاً. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣١٧/٨. ابن الجوزي، الصفة، ٣٧٦/٤.

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «قال».

(٥) في (م) و(ع): «فأتوه».

(٦) في (م) و(ع): «قال».

(٧) في (م) و(ع): «رجل ألكن».

(٨) في (م) و(ع): «بالعربية».

(٩) عبارة «يفهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «يفهم كلامي حتى أكلمه فأتي».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) عبارة «يخوفك.. إلخ»، في (م) «يخوفك حتى تبلغ الأمن أنصح لك ممن».

(١٢) في (م): «الخوف». وعبارة «خير من الذين.. إلخ» ساقطة في (ع).

(١٣) في (م) و(ع): «قال».

(١٤) في (م) و(ع): «قال له الذي».

(١٥) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٦) في (م) و(ع): «رجل من هذه الأمة».

(١٧) في (م) و(ع): «عليها».

(١٨) في (م) و(ع): «أمورها».

(١٩) في الأصل: «سري»، والتصويب من (م) و(ع). والسرية قطعة من الجيش، والسرية ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة. ابن منظور، اللسان، «سرى»، ١٤/ ٣٨٣.

(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «الأمن».

(٢٢) عبارة «فهذا هو الذي»، في (م) و(ع): «هذا هو».

(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٤) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٥) عبارة «من مكان معه»، في (م) و(ع): «من حوله».

(٢٦) في (م) و(ع): «قال».

(٢٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧٦/٤.

أمَا والهوى النَّجدي يا ساكن الحمى ... لقد أوضح السر الذي كان مُبْهما

هَمَى فرقاً[1] يوم النَّوى الكَاشِح[2] الرَّدى ... فليت النَّوى ما كان أوليت ما هَمى

وروض مَعين بالعقيق[3] فما درى ... سقَتْه المآقى أم[4] سقَتْ أرضه السَّما

وهيَّج أشواقاً وأضْرَم لَوْعة ... وحرَّك أجسادا ونبَّه نُوَّما

خليليَّ لو لم أعشق اللَّوم في الهوى ... هَجَرْتكما[5] أو قلت عنِّي إليكما

فلو ما بكم من لَوْعة وصبابة ... على الصَّبِّ قد هيَّجتما أو علمتما

وحَسْبُكما منِّي دليلان للأسى ... إذا أنا لم أبْدِ الكلام تكلَّما

زفير إذا أعجمتُ أعرب مُوضحاً ... ودمعي[6] إذا أعجمتُ[7] بالقول ترجما

فيا قلب[8] إن تشكو الغرام فطالما ... كَتَمْت وما أودعت إلا لِتكْتُما[9]

يَهيم[10] بليلى مُغرَماً عند ذكرها[11] ... ولربَّما[12] كان التفكُّر مَغْرما [٢٠٥أ]

ومن دون ليلى والحِمَى راهِب القَنا[13] ... على قُرْبها يا بُعْد[14] ليلاك والحمى

خذا بي نعمان الأراك و[15]شامة[16] ... فما لهما قَصْدي ولا أنامنهما

أمِيل إلى حزني لأصبح[17] باكياً ... على مَعْلَمٍ بالدَّمع أصبح مُعْلماً[18]

ففي مُنْحنى الوادي التهامي جاذب[19] ... زمام فتى إنْ أنْجَد الرَّكب أتْهما

---

(١) في (م) و(ع): «فأرى».

(٢) الكاشح العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه. ابن منظور، اللسان، «كشح»، ٢/ ٥٧٢.

(٣) في الأصل و(م) و(ع): «للعقيق»، والتصويب من (ب).

(٤) في (م) و(ع): «أو».

(٥) في الأصل: «وهجرتكما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ودمع».

(٧) في الأصل: «أعجمته»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ليت».

(٩) عبارة «وما أودعت.. إلخ»، في الأصل: «وما أوعدت إلا تكلما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «تهيم».

(١١) عبارة «عند ذكرها»، في (م) و(ع): «بأذكارها».

(١٢) في (م) و(ع): «ويا ربما».

(١٣) عبارة «راهب القنا»، في (م) و(ع): «راعف الفتى».

(١٤) في (م) و(ع): «قرب».

(١٥) الواو ساقطة في الأصل و(ع)، وهي من (م).

(١٦) شامة: جبل قرب مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإصلاع، ٢/ ٧٧٦.

(١٧) عبارة «أميل.. إلخ»، في (م) و(ع): «وميلا إلى حزر الأصيبح».

(١٨) المَعْلَم: الأثر. وقَدَح مُعْلَم: فيه علامة، عَلَمَه يَعْلِمه عَلْماً: وسَمَه، ورجل مُعْلم إذا عُلم مكانه في الحرب بعلامة أعْلَمها. ابن منظور، اللسان، «علم»، ١٢/ ٤١٩.

(١٩) في (ع): «جادت».

هـواء ولـكـن فـيـه لـلـنَّـاشـق الـجَـوى   ومـاء ولـكـن فـيـه لـلـذَّائـق الـظـمـا

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي ألف بحكمته بين[1] لطائف الأرواح وكثائف الأجساد، أحكم بقدرته صناعة الموجودات ورتب أطوار الإيجاد، أعطى كل موجود ما يليق به من حيوان ونبات وجماد، لم يفتقر في ٱختراعه الأكوان إلى أنصار ولا أعوان ولا أنجاد[2]، ٱختار لقربه قلوباً بٱختصاصه فنِعْم العباد، أقامهم إذا نام الخليّ وكحل أعينهم[3] بالسهاد، يتسابقون في ميدان الدجى كتسابق الصافنات[4] الجياد، خوفهم يقلقهم ورجاؤهم يسكنهم فلله ما أحسنها من أضداد، لهم تزاحم على باب السحر فمنهم مريد ومنهم مراد، لهم زفير وحنين من خوف البعاد والميعاد[5]، أشواقهم حُرَّاق[6] ووجدهم[7] قَدَّاح[8] ومحبتهم زناد، أحكموا زرع المعاملة وافرحتهم يوم الحصاد، حمى بهم[9] الأمصار والأقاليم والبلاد[10]، والمحروم في تية الشقاء بلا راحلة ولا قوت[11] ولا زاد، كم هلك[12] في هذا التيه من العباد، وكم عمر ولَّى في[13] الحرمان بعدما شاب الفَوْد والفؤاد[14]، [٢٠٥ب] أيام الصبا عارية وفي زمن[15] المشيب تعاد، فأين عبرات الأسف تسقى[16] بها تلك العهود والعهاد، أما ترى حثيث الجديدين بعمرك وما بينهما من تسارع فيه أيامك أعياد، فيا معشر المذنبين ٱرحلوا[17] عن ديار الإدبار فقد

---

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من(م) و(ع).

(٢) عبارة «أنصار.. إلخ»، في (م) و(ع): «أعوان وأنصار وأنجاد».

(٣) في (م): «أحداقه»، وفي (ع): «أحداقهم».

(٤) الصَّافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وقد قيل: الصافن القائم على الإطلاق. ابن منظور، اللسان، «صفن»، ١٣/٢٤٨.

(٥) عبارة «لهم زفير.. إلخ»، في (م) و(ع): «لهم حنين وأنين ووجيب من خوف المعاد والبعاد».

(٦) الحُرَاق ما تقع فيه النار عند القدح، والعامة تقوله بالتشديد. ابن منظور، اللسان، «حرق»، ١٠/٤٢.

(٧) في الأصل: «وجد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «قدح». والقدَّاح الحجر الذي يقدح به النار. ابن منظور، اللسان، قدح، ٢/٥٥٤.

(٩) في (م) و(ع): «بهممهم».

(١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

(١١) في (م) و(ع): «قوة».

(١٢) في (ع): «تاه».

(١٣) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وأسود الفؤاد».

(١٥) في الأصل: «ادم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «يسقى».

(١٧) في (م) و(ع): «ارتحلوا».

ظهر فيها[1] الفساد، لا ينفع في[2] سفر الموت لا جاه ولا مال[3] ولا أولاد، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[4].

يا عاكفاً على طريق الهوى أخطأت طريق الهدى، يا مخنث العزم طريقك[5] فيه نصب[6] آدم وما شفى منه الصدى، كم[7] ناح فيه نوح وكم عدَّدا، وكم بسط فيه من ذهب الخير[8] وجمر أشواقه توقدا، كم[9] تعاقبت الأحزان على يعقوب وشط عليه[10] المزار وأبعدا، وكم قُلب يوسف في قليب الرق وٱستعبدا[11]، ونشر بالمناشير[12] زكريا[13] وأمر أن يتجلدا، وكم صبغ في دين[14] البلاء أيوب ومن أوانسه أفردا[15]، وكم بكى داوود وعاد أنسه[16] بالوحشة أسودا، وكم تكدر عيش سليمان لما سلب ملكه وبات جفنه مسهداً[17]، وموسى رعى الغنم ولولا ضوء الشجرة[18] لما ٱهتدى، وكم هام عيسى في البراري وٱتخذ المراقبة مغيباً ومشهداً،

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «من في».

(٣) في (م): «أموال».

(٤) سورة الحديد، آية ٢٠.

(٥) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م)و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «نصب فيه».

(٧) في (م) و(ع): «وكم».

(٨) عبارة «وكم بسط.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكم سبك فيه ذهب الخليل».

(٩) في (م) و(ع): «وكم».

(١٠) في (م) و(ع): «عنه».

(١١) قوله هذا إشارة إلى ما تعرض إليه يوسف ﷺ من إخوته الذين دفع بهم حسدهم إلى أن يلقوه في قعر بئر قليل الماء، فمرت به سيارة، فأرسلت واردهم فأدلى دلوه في الجب فتعلق به يوسف، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء، فإذا غلام قد تعلق بها فٱستبشر الرجل، وأسرّوه بضاعة؛ قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ١٩ ـ ٢٠].

(١٢) في (م) و(ع): «بالمنشار».

(١٣) في الأصل: «يحيى بن زكريا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (ع): «دن».

(١٥) في (م) و(ع): «أفقدا». وقوله هذا إشارة إلى بلاء سيدنا أيوب الذي لم يكن في جسده فحسب، بل شمل أيضاً المال والأهل والولد، ولهذا قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

(١٦) في (م) و(ع): «وقت أنسه».

(١٧) قوله هذا إشارة إلى ابتلاء الله سبحانه لسليمان ﷺ بسلب الملك منه فترة قصيرة من الزمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. والمعنى: ابتليناه وٱمتحناه بسلب ملكه، وأجلسنا على كرسيه في ملكه شيطاناً، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي رجع إلى ملكه. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الأكثرون، والثاني: أربعة عشر يوماً. ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/١٣٢، ١٣٣، ١٣٧.

(١٨) في (م) و(ع): «نور الشجرة».

وكم عالج الفقر[1] سيد الكونين[2] وقام حتى تورمت قدماه وإن كان بناؤه في المعاد[3] مشيداً، صلى الله عليه وعليهم أجمعين صلاة دائمة سرمدا[4]، الأنبياء بدور وهو[5] شمس همته [٢٠٦أ] تعلو سمَاكاً[6] وفرقدا، و[7]تخلل الصِّدِّيق بالعباءة[8] بعد أن كان كفه جوداً للجَدا[9]، ورقع عمر ثوبه وكان يقول ياليته ما ولدا[10]، وكم أجر علي نفسه بحفنة شعير حتى أنبهر[11] صدره ليشهد مع الأكابر مشهداً، عرفوا ما طلبوا فلله سعيهم[12] ما أحمدا، أسمع يا جنيد أفهم يا ابن أدهم معكم أتحدث وإن شط المزار وأبعدا، يا سرّ السَّري يا فضل الفضيل يا معرفة معروف يا من ذكرهم في المعالي مشيدا[13]، يا سماع الحلاج[14] يا مريد أبي يزيد حمدتم والله سراكم وخير السرى[15] ما حمدا، أين أنت يا مطرودا من هذه الركائب جفن عينك[16] أراه أرمدا، ويحك أصدرت[17] الشباب في الغفلة وأوردت الكبر في البطالة موردا، فلا أهلا بذلك ولا ذا[18] ما أخسر بضاعتك[19] اليوم وغدا[20]، تنظم شمل الأسباب بيد الطلب وعن قريب تصبح[21] مبددا، ستطلع عليك شمس يوم الموت وتمسي وقد وضعت في اللحد

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «الكون».
(٣) في (م) و(ع): «المعالي».
(٤) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) السِّماك: نجم معروف، وهما سِماكان: رامح وأعزل، والرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال، والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب. ابن منظور، اللسان، «سمك»، ١٠/ ٤٤٤.
(٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «بالعبا».
(٩) الجدا: العطيَّة، ويقال للرجل إن خيره لجدا على الناس أي عام واسع. ابن منظور، اللسان، «جدا»، ١٤/ ١٣٤. وفي قوله:هذا إشارة إلى سخاء أبي بكر رضي الله عنه وكرمه، وقد أنفق جل ماله في سبيل الله ورسوله، فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقينّ في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر». البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ سُدُّوا الأبواب.. إلخ، رقم الحديث (١٥٤)، ٥/ ٦٥.
(١٠) عن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أك شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٣٦٠.
(١١) البهر: انقطاع النفس من الأعياء، وقد انبهر وبُهر. ويقال: انبهر فلان إذا بالغ في الشيء ولم يدع جُهْداً. ابن منظور، اللسان، «بهر»، ٤/ ٨٢، ٨٣.
(١٢) في (ع): «سعيدهم».
(١٣) في (م) و(ع): «تقيدا».
(١٤) في (م): «سمنون».
(١٥) في (م) و(ع): «السير».
(١٦) في (م) و(ع): «عينيك بالهوى».
(١٧) في (م) و(ع): «صدرت».
(١٨) عبارة «بذلك ولاذا»، في (م) و(ع): «بذاك وذا».
(١٩) في الأصل: «بضاعة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) في الأصل: «وفي غد»، وهي من (م) و(ع).
(٢١) في الأصل «يصلح»، والتصويب من (م) و(ع).

ملحداً، ينساك من تجمع له وإن زار قبرك اليوم تركه[1] غدا، إذا لم يلين قلبك وعظي فقد عاد بالقساوة[2] جلمدا، فبادروا إخواني وحصِّلوا قبل السفر الزاد، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

يحيى بن بسطام رحمه الله تعالى قال[3]: حدثني عثمان بن أبي سودة الطفاوي[4]، وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها راهبة[5]، قال: لما أحتضرت رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا ذخري وذخيرتي، [٢٠٦ب] يا[6] من عليه أعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري. قال: فماتت[7] فكنت آتيها في كل يوم[8] جمعة فأدعو[9] لها وأستغفر الله[10] لها ولأهل القبور. قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي، فقلت لها: يا أماه، كيف أنت؟ فقالت[11]: أي بني، إني[12] بحمد الله في[13] برزخ محمود، نفرش[14] فيه الريحان، ونتوسد[15] فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور. فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هي؟ قالت: لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، وإني[16] لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت[17] من عند[18] أهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ولدك[19] قد أقبل عليك[20] من عند أهله زائراً[21]، فأسر بذلك ويسر من حولي من الأموات». شعر[22]:

---

(١) في الأصل: «وتركه»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «بالشقاوة».

(٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٢. ويحيى هو يحيى بن بسطام بن حريث الزهراني، أبو محمد البصري، روى عنه أبو حاتم الرازي، وقال: شيخ صدوق ما بحديثه بأس، قدري، أدخله البخاري في كتاب الضعفاء. ألبخاري، التاريخ الكبير، ٨/٢٦٤. ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٩/١٣٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢١١ ـ ٢٢٠هـ، ص٤٤١.

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «عثمان بن سودة»، والتصويب من التهذيب. وعثمان هو عثمان بن أبي سودة المقدسي، أبو العوام، قال الأوزاعي: أدرك عبادة وكان مولاه، ذكره ابن حبان في الثقات. وكان كثير الجهاد، له فضل وعبادة. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٦/١٠٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٠١ ـ ١٢٠هـ، ص٤١٧. ابن حجر، التهذيب، ٧/١٢٠.

(٥) وهي عابدة من عابدات البصرة. ابن الجوزي، الصفة، ٤/٤٢. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ١/٤٣٨.

(٦) في (م) و(ع): «ويا».

(٧) في الأصل: «فلما ماتت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «وأدعو».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «قالت».

(١٢) في (م): «إنّا»، و(ع): «وإنا».

(١٣) في (م) و(ع): «لفي».

(١٤) في (م) و(ع): «يفرش».

(١٥) في (م) و(ع): «ويتوسد».

(١٦) في (م) و(ع): «فإني».

(١٧) في (م) و(ع): «جئت».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «ابنك».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «زائراً لك».

(٢٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

ما ذَكَرَتْ على الفراق[1] نجدا ... إلا وحنَّت[2] طربا ووجدا

تودّ لو تَمْلك[3] من بان الحِمَى ... ظلاً ومن ماء النَّقيب[4] وردا

كادَتْ تطير قلقاً إلى الحِمَى ... لو وجدت من الغرام[5] بدا

إن رجَّعت حنينها مُغلنة ... أخفى الضَّنى ما الشَّوْق منها أبْدا

رِفْقا بها سائقها أخطَا[6] ... تَحْمِلها[7] على السّرى أو عمدا

إنك إن جئت بها منكّبا ... عن العقيق جئت[8] شيئاً إدّا[9]

ما[10] أزداد قُرْباً منك ماء بابل[11] ... إلا وزاد الصَّبر منها بعدا[12]

[بحر الرجز]

يا تائهاً في ليل الغفلة هذا فجر المشيب لاح، ما قعودك عن الركب [٢٠٧أ] يا مقصوص[13] الجناح، فكأني[14] بك تعض أنامل الندم عند[15] الصباح، ويحك مخيم العمر على تقويض وأنت بين لهو ومزاح، سينسفك الأسف حيث لا ينفع[16] البكى والنواح، آستعدوا الزاد[17] قبل الرحيل فمن آستعد الزاد آستراح، ضمروا خيل الأجساد للسباق فتنالوا[18] راحة المرتاح، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[19] ما لهم[20] عن الباب براح، يا مسروراً[21] في دهليز الغفلة حتى طعنه المشيب بالرماح، يا من أسكرته[22] الآمال حتى مال متى[23] أراك

---

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «إلا حننت».

(٣) في الأصل: «تكملك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) النقيب شِعب من أجأ. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣/١٣٨٦.

(٥) عبارة «من الغرام»، في الأصل: «يوم الفراق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) : «قد أخطا».

(٧) في (م): «بحملها».

(٨) في الأصل: «وجئت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «ابدا»، والتصويب من (م) و(ع). والإدّ: الأمر الفظيع، والداهية. الفيروزآبادي، القاموس، «أدد»، ص٣٣٨.

(١٠) في الأصل و(ع): «إذا ما»، والتصويب من (م).

(١١) عبارة «قربا.. إلخ»، في الأصل: «منك قرب بابل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع) زيادة:

«قلت هو الصبر محل عامر ... صدقت أين عامر من سعدى»

(١٣) في الأصل: «مقصص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «كأني».

(١٥) في الأصل: «عنده»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «ينفعك».

(١٧) في (ع): «للزاد».

(١٨) عبارة «للسباق فتنالوا»، في (م) و(ع): «فنالوا».

(١٩) قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ آقتباس من قوله تعالى من سورة الأحزاب، آية ٢٣.

(٢٠) في (م) و(ع): «له».

(٢١) في (م) و(ع): «مأسورا».

(٢٢) عبارة «يا من أسكرته»، في الأصل: «من سكرته»، وهي من (م) و(ع).

(٢٣) في (م) و(ع): «ما».

صاح، ما خطر لك خاطر الآخرة[1] بخاطر ولا لاح، هيهات حظ الأعمى من الشمس الحرارة وسماع الرياح، واحسرتي عليك مضى القوم وخلفوك لا سلام[2] ولا صلاح، ما في خراب قلبك من[3] ديَّار وكم فيك بالغفلة من جراح، ما لأقدام عزيمتك تَقَدُّم وقد قرب الانتزاح، تقبل حديث اللهو بكليتك[4] وحديث الآخرة بٱطراح، الغذاء الحرام دهن كدر في ضوء[5] المصباح[6]، الشهوات دخان يسود بيت القلب فيرحل عنه الانشراح، كم عيون أعماها[7] الهوى فهي بالاعتبار مراض وبالغفلة صحاح، ويحك حللت عقال التقوى حتى شردت نفسك شرود[8] ذات الجناح، سيعلم[9] من ينشد الضالة ولا يجد ومن حجب[10] عنه وجه[11] النجاح، واشوقاه لذكر الأحباب كم أسأل عن حديثهم الرياح، معشر المذنبين السفر بعيد فشمروا للاستعداد، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ [٢٠٧] فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

قال[12] سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «لما بلغت[13] الميقات أحرم الناس ولبوا وغلام جالس ناحية لم يلب. قلت: لِمَ لا تلبي؟ قال: هل لي من رخصة في[14] ترك التلبية؟ قلت: إنه فرض و[15]لا يقوم الحج إلا به. قال: يا شيخ، أخاف أن أقول لبيك فيقال[16] لي: لا لبيك ولا سعديك و[17]لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك. فقلت: لا بد من التلبية. فقام ولبّى وبكى وتمرغ وهو يقول: لبيك ٱعتذاراً إليك، ومعولاً في التوبة عليك من جرائم كثيرة[18]. ثم غاب عني[19] فلم أره إلا في الطواف وهو يقول: اللهم إن كل عبد من عبيدك تقرب[20] إليك بقربان، وما أملك إلا نفسي، فإن[21] كنت قبلتها مني فٱقبضني[22] إليك، ثم خرّ ميتاً

---

(١) في (م) و(ع): «الخاتمة».

(٢) في (م) و(ع): «بلا سلاح».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «بكلك».

(٥) في (م) و(ع): «نور».

(٦) في (ع): «الصباح».

(٧) في (م) و(ع): «أبكاها».

(٨) عبارة «نفسك شرود» ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «ستعلم».

(١٠) في (م) و(ع): «يحجب»

(١١) في (ع): «وجد».

(١٢) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل التاسع عشر، مع وجود بعض الاختلاف.

(١٣) في (م) و(ع): «بلغنا».

(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «فيقول».

(١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «وأوزار كبيرة».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «قد تقرب».

(٢١) في (م) (ع): «إن».

(٢٢) عبارة «مني فاقبضني»، في (م) و(ع): «فٱقبضها».

رحمه الله تعالى ورضي الله عنه[1]». شعر[2]:

ردُّوا عـلـي شـوارد الأظـعـان ... مـا الـدار إن لـم تُـغـن بـالأوطـان[3]
لا يـغـرُرَنَّـكـمـا[4] اصـطـبـاري إنـه ... ثـوبٌ تـمـزِّقـه يـد الـهـجـران
فـعـلام أسـتـسـقـي الطّـلـول ومـا الـذي ... يُـجْـدي وقـوفـكـمـا بـغـيـر بـيـان[5]
يـا صـاحـبـيّ ومـا الـمَـلام بـنـافـع ... مـا لـي بـداعـيـة الـسّـلـوّ يـدان
عـنِّـي مـلامـكـمـا الألـيـم فـقـد رأى[6] ... بـهـوى فـؤادي غـيـر مـا تَـرَيـان
كـم كـثَّـر الـلـوَّام فـيـك[7] ومـا وَعـى ... سـمـعـي ومـا[8] مَـلَـك الـغـرام عـنـانـي
قـل[9] كـيـف يَـأمُـرنـي الـعـواذل سَـلْـوة ... ويـد الـصَّـبـابـة والـهـوى نـهـبـانـي[10]
يـا سـاكـنـي نُـعْـمـان أيـن زمـانـنـا ... بـطُـوَيْـلِـع يـا سـاكـنـي نـعـمـان
إن زلـتُـمُ عـنِّـي فـلـسْـتُ[11] بـزائـل ... قلقي القديم بكم ولا[12] أحزاني [٢٠٨آ]
ولـكـم[13] مع الـهجـران وجـدي بـعـدكـم ... وجـدي وأشـجـانـي بـكـم أشـجـانـي
وإذا ذكـرتـكـم أمـيـل صـبـابـة ... مـن ذكـركـم كـتَـمَـايـل الـسَّـكْـران
ويـخـونـنـي طـرفـي فَـيَـنْـطِـق بـالـذي ... أخْـفِـيـه مـن شـأنـي الـمـنـيـع الـشـان
شـوقـاً وإن لـم تَـسْـمَـحـوا بـزيـارة ... وهـوى وإن لـم تُـمْـتِـعـوا[14] بِـتَـدانِ
أبـغـي دنـوّ الـحـيّ مـن أبـيـاتـكـم ... طَـمَـعـاً بـقُـرْب تـزاور الـجـيـران

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الوتر القديم[15]، نعَّم أحبابه بحبه فللأشواق عندهم مقعد

---

(١) عبارة «ورضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع عشر.
(٣) في (م) و(ع): «من أوطان».
(٤) عبارة «لا يغررنكما»، في الأصل: «ولا يغرك»، وفي (ع): «لا يغركما»، والتصويب من (م).
(٥) البيت ساقط في (م) و(ع).
(٦) عبارة «عني.. إلخ»، في الأصل: «كفوا ملامكم عني فقد أتى»، والتصويب في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «فيه».
(٨) في (م) و(ع): «ولا».
(٩) في (م) و(ع): «بل».
(١٠) في (م) و(ع): «نهياني».
(١١) في (م) و(ع): «فليس».
(١٢) كلمة «ولا»، في الأصل: «مع»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل و(م) و(ع): و«نعم»، والصواب ما أثبتناه، وذلك تبعاً لما جاء في الأصل في الخطبة الثانية من الفصل التاسع عشر.
(١٤) في (م) و(ع): «تنعموا». وأمْتَعْتُ بالشيء أي تمتَّعتُ به. ابن منظور، اللسان، «متع»، ٨/ ٣٣٢.
(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «رافع السماء وباسط الأرض ومعقب نهاره بالليل البهيم».

ومقيم، هيَّمهم في القفار ولا عجب إن المحب بحبيبه[1] يهيم، لقلوبهم خفقان إذا ذكر الحبيب[2] وليلهم بالأشواق ليل السليم، لا يطيق عنه سلوة وقد تعرض بَرق حبه وألمَّ به نسيم، قلوبهم صحيحة بحبه والجسم منهم[3] سقيم، أنفاسهم رسائل وعبراتهم وسائل وسلوهم راحل وشوقهم مقيم[4]، رضوا بأفعال الحبيب في كل حال فهم بين سلام وتسليم، تنعَّموا بمراده شقاء كان لهم أو[5] نعيم، كل عيش يَغِيب[6] عنهم[7] محبوبهم فهو عيش ذميم، نظموا دُرَّ أنفاسهم في سلك المراقبة فعزَّ في سوق القيامة[8] وهو يتيم، ليت شعري بأي وسيلة وصلوا إلى هذا المقام الجسيم، وأقعد أهل الحرمان في تيه الغفلة وهو وخيم، ضيعوا ربيع الشباب في الغفلة فطلبوا[9] السفر في الكبر[10] وهو هشيم، يا[11] معشر المذنبين شمروا للتوبة[12] فالأمر عظيم، فما[13] ينفع في منقطع القبر [٢٠٨ب] أهل ولا مال ولا صديق ولا[14] حميم، حثوا عيس نفوسكم[15] في صحراء السلوك وإياكم والعدول عن الطريق[16] القويم، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[17]، فسبحان مبدئ الخلق ومعيدهم ومحيي العظام الرميم، أحمده حمداً أرجو به نعمة تستديم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النظر إليه مع التنعيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وذو الخلق العظيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا دينه بما حموا به المال والبنين والحريم[18].

يا أخي أعرني سمعك حتى[19] أتحدث معك أيقظان أنت[20] أم أنت نائم، أجلس مع نفسك في مجلس الخلوة كالمنادم، وقل لها ذهب كسرى وقيصر وكلٌّ لما عُلِم قادم[21]، كم نُسِي من ذكر المترفين وذكر معروف قائم، كم تحت اللحود من مظلوم وظالم، رحل الكل عن

---

(١) في (م) و(ع): «محبوبه».

(٢) في (م): «المحب»، وفي (ع): «المحبوب».

(٣) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «أنفاسهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «أم».

(٦) في (ع): «ويغيب».

(٧) في (م) و(ع): «عنه».

(٨) في (م) و(ع): «المعاملة».

(٩) في (م): «وطلبوا».

(١٠) في الأصل: «بالكبر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «فيا».

(١٢) في الأصل: «التوبة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «ما».

(١٤) كلمة «ولا» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «نفوسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) سورة الحديد، آية ٢١.

(١٨) عبارة «فسبحان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «سمعك حتى»، في (م) و(ع): «قلبك».

(٢٠) في (م) و(ع) زيادة: «اليوم».

(٢١) عبارة «وكل لما علم قادم»، في (م) و(ع): «وكل على ما قدم نادم».

معلومهم والمعالم، وعبرات الأسف تجري من عيونهم[١] سواجم، ضيعوا أيام الشباب في الغفلة وفي الكبر يقرعون سن[٢] نادم، نسوا الآخرة وهي يقظة وأقبلوا على الدنيا وهي أحلام نائم، يا كهول الإهمال نوحوا على ما سلف نوح الحمام[٣]، يا شيخ الغفلة ما أقبحك إذا كان سنك باسم، هذا أوان الحصاد وأنت على الأمل[٤] عازم، كيف بقاء العمر وقد ضعفت القوة[٥] وهي الدعائم، خاب من لم يزرع وندم من لم يحضر قسمة الغنائم، فديت أرباب المجاهدة فديت أهل العزائم، لو علم الغافل ما قدم [٢٠٩أ] و[٦]بين يدي من يحاكم، لقطع الخوف منه الحشى والحيازم[٧]، يا من أذّن شيبه على صومعة الهرم وليل غفلته[٨] عاتم، الموت ويحك إقامة ما ترجع[٩] بالرقى ولا بالعزائم[١٠]، ما أراك طاهراً لصلاة التوبة ما أراك في ركب التائبين منادم[١١]، كم لي أضرب جلمود قلبك وقد قسى من ٱرتكاب الجرائم[١٢]، يا من نصب أمله وخفض عزيمته سيحزنك الموت الحازم[١٣]، نهارك في طلب القوت وليلك للرقاد عيش[١٤] البهائم، ما أخوفني أن يكون الطرد في أصل الفطرة[١٥] لازم، إذاً[١٦] لم تندم على ما تقدم فأعلم على[١٧] ما أنت قادم، سفينة عمرك أخذت في الانتقاض[١٨] وبحر آمالك متلاطم، الشيب والحرمان والتسويف وظلام الغفلة متراكم، فشمر يا أخي وبادر فثوب الرياء لا يصلح للمواسم، رُدَّ ظلامة الغفلة ولا تكن ظالم، أما عاينت مغسولاً فوق نعشه ومن خلفه لما[١٩] خلَّف[٢٠] قاسم، وهو[٢١] يسرع في تجهيزه والمحروم على ما قدم قادم[٢٢]، إذا وقف الوارث للعزاء عينه باكية وقلبه باسم، ما ينفع الضرب في الحديد البارد ويُبْسه متقادم، معشر[٢٣] الفقراء طاب لكم الوقت والحق قديم[٢٤]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا

---

(١) في (م) و(ع): «من عيون عيونهم».

(٢) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «الحمائم».

(٤) في (م) و(ع): «الآمال».

(٥) في (م) و(ع): «القوى».

(٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) الحَيْزوم: ما ٱستدار بالظهر والبطن، أو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. الفيروزآبادي، القاموس، «حزم»، ١٤١٣.

(٨) في الأصل: «غفلة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «يدفع».

(١٠) في (م) و(ع): «بالتمائم». والعزائم: الرُّقى، وعزم الراقي: كأنه أقسم على الداء. ابن منظور، اللسان، «عزم»، ١٢/ ٤٠٠.

(١١) في (م) و(ع): «قادم».

(١٢) في (م) و(ع): «العظائم».

(١٣) عبارة «سيحزنك.. إلخ»، في (م) و(ع): «سيجزمك الموت الجازم».

(١٤) في (م) و(ع): «يا عيش».

(١٥) في (م) و(ع): «طبيعتك».

(١٦) في الأصل: «إذ»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «الانتقاص».

(١٩) في الأصل: «المن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «خلفه».

(٢١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «نادم».

(٢٣) في (م) و(ع): «فيا معشر».

(٢٤) في (م) و(ع): «نديم».

﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

عفان بن مسلم[١] رحمه الله تعالى قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح علينا المطر سنة من السنين، وفي جواري امرأة من المتعبدات لها بنات [٢٠٩ب] أيتام، وقد وكف عليهم السقف[٢]، فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بي، فسكن المطر...» تقدمت هذه الحكاية[٣].

شعر[٤]:

ألام على فَيْض الدُّموع ولا أرى	مُحبّاً كئيباً للدموع يصون
أيبكي حمام الأيك من فقد إلْفه	وأصبر عنك[٥] كيف ذاك يكون
وما لي لا أبكي وأندب ما مضى	وداء الهوى بين الضُّلوع دفين

[بحر الطويل]

يا فتيان السلوك كم لكم في مدرسة المواعظ فهل فيكم من تحلى بحاله، يا قراء المعرفة اقرأوا أدلة التوحيد في ألواح أفعاله، قبل أن يمحو المكتوب يد البِلى ويُعْزل العامل عن أعماله، أصْغ بفهمك لهاتف العبر كيف يعبِّر عن افتراقه بعد اتصاله، استنطق ألسنة الكون يخبرك[٦] عن نقصه بعد كماله، لا يفهم هذه المعاني من قنع من الفهم بطيف خياله[٧]، كيف لا يعاين معاول الكبر من رأى الشيب[٨] في أمثاله، عجباً لمن كُسِي ثوب الشباب وهو يمزق في أوصاله، يا مدنساً ثوب تقاه[٩] يا مماطلاً للتوبة بمطاله، يا تائهاً في قفار التسويف ولا خطرت التوبة[١٠] بباله، اصبر[١١] ويحك على قطع مسافة العمر واندب في[١٢] ركائبه وأطلاله، إنما يلوح هلال الهدى لمهتدي على بعد مناله، فإن حال غمام[١٣] المعصية[١٤]

---

(١) هو عفان بن مسلم بن عبد الله، أبو عثمان البصري الصفَّار، الإمام الحافظ، محدِّث العراق، بقية الأعلام، ثقة متقن ثبت، توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، وقيل سنة ٢١٩هـ. ابن الجوزي، الصفة، ٤/٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/٢٤٢.

(٢) عبارة «وقد وكف.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوكف السقف عليهم».

(٣) عبارة «تقدمت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقد أعيدت القصة فيهما بكاملها. والقصة تقدم ذكرها في الخطبة الثالثة من الفصل الثامن.

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثاني.

(٥) في (م) و(ع): «عنه».

(٦) في (م) و(ع): «تخبرك».

(٧) عبارة «من قنع.. إلخ»، في (م) و(ع): «من قنع من طيف الفهم بخياله».

(٨) في (م) و(ع): «المشيب».

(٩) في (م) و(ع): «تقواه».

(١٠) عبارة «ولا خطرت التوبة»، في (م) و(ع): «ما خطرت النجاة».

(١١) في الأصل: «ما صبر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «على».

(١٣) في (م) و(ع): «غمائم».

(١٤) في الأصل: «التوبة»، والتصويب من (م) و(ع).

فرياح التوبة تخرجه من بين[1] سحائبه وظلاله، أوقد مصباح الفكر[2] في بيت القلب فعسى تضيء وحشة إقباله، مثّل لنفسك[3] في إحدى القبضتين[4] لعلك شُغِلت [٢١٠أ] بالهجران عن وصاله، أعمل بمقتضى الإخلاص[5] فما يعلم الخليّ حال الواله، الخائب من سافر بلا زاد وحاله[6] تحكم في حاله[7]، ليت شعري ما بضاعتك في القبر إذا أصبحت من[8] نُزَّاله، ويحك متى ترد ماء التوبة متى تشرب من زُلاله، يا أعمى البصيرة لا تظنه رمداً أوحلك الحرمان في أوحاله، ليس للأعمى دواء ولا خطرت التوبة بباله، نهار الخفاش ليل في إدباره وإقباله، يا مضيعاً أيام الشباب في لهوه وضلاله، هذه قواعد القوى ثمد[9] وأنت موثق من الشيب في حباله، هذا الكبر ينوح على خراب عمرك ويندب[10] في ترحاله، يا شيوخ الغفلة ما بقي من العمر إلا ما يدركه الجفن بخياله[11]، إذا لم يساعد التوفيق شخصاً لم يسمع لكلامه[12]، كم لي أتحدث معك في حديث القبر وأهواله، غلبك طرش الغفلة فأصمك عن نصحي ومقاله، ما حيلة المتطبب في مجنون قيده الحرمان بأغلاله، إذا لم تسمع من قلبك فقد خيبك التوفيق من آماله، لأي وقت تسوف بالتوبة وقد فاح عن[13] عطرية القبول النسيم، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

عن[14] أبي الحارث الأولاسي[15] رحمه الله تعالى ....

---

(١) في (م) و(ع): «تحت».
(٢) في (م) و(ع): «الذكر».
(٣) في (م) و(ع): «نفسك».
(٤) قوله هذا إشارة إلى حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه أحمد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبو عبد الله ـ غير منسوب ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ قبض قبضة بيمينه وقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى بيده الأخرى جلّ وعلا، فقال هذه لهذه ولا أبالي». الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (١٧٥٦٢/٢)، ٢٤١/٤. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٦. وقد أخرج مسلم في صحيحه في هذا المعنى عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم». مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... إلخ، رقم الحديث (٣١/ ٢٦٦٢)، ٢٠٥/٤.
(٥) في (م) و(ع): «الخلاص».
(٦) في (م): «وأوجاله»، وفي (ع): «وآجاله».
(٧) في (م) و(ع): «آجاله».
(٨) في الأصل: «ومن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «تهد». والثمد: الماء القليل الذي لا مادَّ له. ابن منظور، اللسان، «ثمد»، ٣/ ١٠٥.
(١٠) في (م) و(ع): «ويندبه».
(١١) في (م) و(ع): «من خياله».
(١٢) في (م) و(ع): «لسؤاله».
(١٣) في (م) و(ع): «من».
(١٤) في (م) و(ع): «بلغنا عن».
(١٥) في الأصل و(م) و(ع): «الإفلاسي»، والتصويب من تاريخ الإسلام للذهبي. وأبو الحارث: هو الفيض=

أنه قال[1]: «رأيت رجلاً على رأس الجبل[2] كأنه[3] شن بال وهو[4] شاخص ببصره نحو السماء لا يفتر عن الذكر، فسألته[5] المقام معه، فقال: إن أطقت ما طقت[6] وإلا فأمض عني. قلت: وما هو؟ قال: [٢١٠ب] يكون الذهب والفضة عندك بمنزلة الحصى والمدر[7]، والسباع والهوام كالطير والأنعام، وخوفك من جليسك[8] كخوفك من السباع، وخوفك من صحبتهم على دينك كخوفك من الشيطان فلعلك تنال ما تريد، ومتى كان الذهب والفضة أكبر في قلبك فإنك تميل إلى الكبر، ومتى هبت السباع يوشك[9] أن تبعد إلى الأمن، ومتى أنست بالمخلوقين يوشك[10] أن تهرب من الوحشة[11]، وثلاثة أشياء منهن[12] تمام الأمر: أن تعلم أنك ميت لا محالة، وتعلم أن لك رزقاً مقسوماً، وأجلاً معلوماً، والثالث أن تقصر الأمل، فهناك[13] لا تبالي أين تحل من البلاد، ولا من شاهدت من العباد، فتقدم إن شئت على بصيرة وإلا فتأخر عن[14] ضعف وعجز. قلت: صف لي ما يزيد في صبري. قال: تعلم أن الله تعالى[15] ناظر إليك، فقد روي في الأخبار: «بعيني ما[16] يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون[17] في طلب مرضاتي[18]»، فإذا علمت أن صبرك يرضي مولاك صبرت. قلت: فما السبيل إلى الرضى؟ قال: علم القلب أن الله عدل[19] في قضائه، غير متَّهم في أحكامه[20]. قلت: فما معنى الرضى؟ قال: سكون القلب بمر القضاء، ثم قال: لا تنم[21]

= ابن الخضر بن أحمد الأولاسي، الجليل الزاهد، نزيل طرسوس، كان من المشايخ الكبار وله آيات وكرامات وعجائب، توفي سنة ٢٩٩ هـ ـ ٩١١م. السمعاني، الأنساب، ٣٨٨/١. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ، ص٢٢٧.

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٥/٤.
(٢) في (م) و(ع): «جبل».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من(م) و(ع).
(٤) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «فسألت».
(٦) في (م) و(ع): «طوّقت».
(٧) عبارة «بمنزلة.. إلخ»، في (م) و(ع): «كالحصى والمدر». والمدر: قطع الطين اليابس. الفيروزآبادي، القاموس، «مدر»، ص٦٠٩.
(٨) في (م) و(ع): «جنسك».
(٩) في (م) و(ع): «أوشك».
(١٠) عبارة «بالمخلوقين يوشك»، في (م) و(ع): «إلى المخلوقين أوشك».
(١١) في الأصل: «الوحش»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «هن».
(١٣) في (م) و(ع): «هنالك».
(١٤) في (م) و(ع): «على».
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) الكلمة ساقطة في الاصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) عبارة «وما يكابد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وما يكابدون».
(١٨) قوله: «بعيني ما يتحمل المتحملون.. إلخ»، هو بعض ما قاله وهب بن منبه في الخبر الذي أخرجه عنه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٦٠/٤.
(١٩) عبارة «أن الله عدل»، في (م) و(ع): «بأن المولى عادل».
(٢٠) عبارة «في أحكامه»، في (م) و(ع): «فيما حكم».
(٢١) في الأصل: «أنتم»، والتصويب من (م) و(ع).

إلا نوم يقظان، وكيف ينام[1] من لم يأته أمان[2]، وبادر قبل الفوت، وٱستعن على تصفية الطُّعمة بالقلة[3]، والتمس الصمت بقلة الخُطَى وٱتبع قول رسول الله ﷺ[4] وقول السلف الصالح[5]، ولا تميلنَّ إلى محدثات الأمور فكل محدث[6] بدعة[7]، وٱعلم أن الله ﷻ[8] يراك فٱتقه، وقر[9] له بالقسط على نفسك، وقرّ له بالوحدانية إن[10] كنت له عبداً، وتجرد من الهموم الشاغلة [٢١١أ] وٱجعل الهم هماً[11] واحداً ترتح[12] في العاجلة والآجلة». شعر[13]:

أيـا[14] حَـبَّ ذا نـجـدٍ وطـيـب تـرابـه	وسكّانه إن كان نجد على عهد[15]
أحِـنّ إلـى نـجـد فـيـا لـيـت أنَّـنـي	سقيت على سلوانه من هوى نجد
وقـد زعـمـوا أن الـمـحـب إذا دنـى	يـمـلّ وأن الـبـعـد يـشـفـي مـن الـوجـد
بـكـلٍّ تـداويـنـا فـلـم يـشـف مـا بـنـا	عـلـى أنَّ قـرب الـدار خـيـر مـن الـبـعـد
وإن وعـدَت زاد الـهـوى بـٱنـتـظـارهـا	وإن بـخِـلَـت بـالـوعـد ذبـت مـن الـوجـد
فـفـي كـلِّ حـبّ لا مـحـالـة فـرحـة	وحبك ما فيه سوى مُحكم الجهد[16]

[بحر الطويل]

إلٰهي من يجبر الكسير سوى طبيب عفوك، إلٰهي من يقرب البعيد سوى دليل فضلك[17]، إلٰهي ٱرحم من ليس له أمل سواك برحمتك[18] يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليماً عليه وعليهم أجمعين[19].

---

(١) في (م) و(ع): «يأمن». (٢) في (م) و(ع): «الأمان».

(٣) عبارة «على تصفية.. إلخ»، في الأصل: «على تصفية اللقمة باللقمة»، والتصويب (م) و(ع). والطعمة: وجه المكسب. الفيروزآبادي، القاموس، «طعم»، ص١٤٦٢.

(٤) عبارة «رسول الله .. إلخ»، في (م) و(ع): «الرسول ﷺ».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «محدثة».

(٧) قوله هذا إشارة إلى بعض ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». مسلم، الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٤٣/ ٨٦٧)، ٢/ ٥٩٢.

(٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «وقم».

(١٠) عبارة «وقرّ له بالوحدانية.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتفرد بالفرد إذاً».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «تُرح».

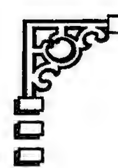
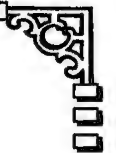
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لقيس بن الملوح. انظر: الديوان، ص١١٢، ١١٣.

(١٤) في (م) و(ع): «ألا». (١٥) في (م) و(ع): «العهد».

(١٦) في (م) و(ع): «الوجد». (١٧) في (م) و(ع): «لطفك».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الرابع والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أباح للعارفين معرفته[1] فكان نطقهم عليه[2] دليلاً، رفع السماء بلا عمد وجعل للملائكة[3] فيها عروجاً ونزولاً، منها يهبط[4] الوحي[5] وإليها تصعد الأعمال بكرة وأصيلاً[6]، دحى الأرض ليظهر حكمته وجعل الجبال[7] الرواسي قواعد وأصولاً، رتب فيها الأسباب لصلاح المعاش[8] وذلل الأنعام تذليلاً، أسكنها ملائكة التسخير وفجر فيها أنهارا وسيولاً، قدَّر فيها أرزاق المرزوقين موزونا ومكيلاً، [٢١١ب] بعث فيها المرسلين فأنتظم نظام التوحيد بعد أن كان محلولاً، قدر على العالم الرحلة[9] إلى الفناء قرنا قرنا وجيلا جيلا، ليدخل الوجود من تعلق بعلمه ثم يرحله إلى القيامة ترحيلا، وجودهم كنجوم طالعة وإعدامهم كنجوم أردن[10] أفولا، كم على ظهرها من جباه ساجدة يرتلون في الدجى آياته[11] ترتيلا، وكم له في الأسحار من مستغفر جعل أستغفاره لمولاه رسولا، وكم فيها من صائم أنحل جسمه وأحكم عقد الصدق بعد أن كان محلولا، وكم راض بقضائه أثبته[12] الرضى وكان عجولاً، كم على أبواب فضله من رسائل[13] ألطافه دائمة[14] وهباته تسيل[15] مسيلا، جواد لا يبخل عم عطاؤه أجساماً وأرواحاً وعقولاً، كم[16] على ظهرها من عاص لا يعجل عليه وإن كان في سيره للمعصية تعجيلا، كم على ظهرها من يعبد غيره ويتخذ به سواه بديلا، نعَّم أحبابه وأعداءه بنعمه وأعطاهم[17] من فضله عطاء جزيلاً، ما أحلمه على من عصاه وجعلته

---

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «عليهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «الملائكة».

(٤) عبارة «منها يهبط»، في الأصل: «منه يهبه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الوحي العزيز».

(٦) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...» الحديث، تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل الخامس.

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «والمعاد».

(٩) في الأصل: «الرحمة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الأَرْدَن: ضرب من الخز الأحمر. ابن منظور، اللسان، «ردن»، ١٣/١٧٧. وقد شبه لون النجم في أفوله بلون الخز الأحمر.

(١١) في (م) و(ع): «آياته في الدجى».

(١٢) في (م) و(ع): «ثبَّته».

(١٣) في (م) و(ع): «سائل».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م): «يسيل».

(١٦) في (م) و(ع): «وكم».

(١٧) عبارة «بنعمه وأعطاهم»، في (م) و(ع): «بنعمته وأنالهم».

المعصية ذليلاً، جعل التوفيق دليل من أطاعه[1] وفضَّله بطاعته تفضيلاً، وجعل الحرمان دليلاً على[2] من عصاه وسجَّل الشقاء عليه[3] تسجيلا، يحشر الكل ليوم عظيم لم ير[4] إلا سائلاً ومسؤولاً[5]، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[6].

يا هذا لا يزال التائبون يهربون [٢١٢أ] إلى دير الخلوة هروب الخائف إلى ديار[7] الأمان، لهم في صحراء الليل تأنُّس بمدامع الأجفان، كتب السجود في ألواح جباههم[8] خطوط الفرقان، كم لأقدامهم في الدجى من جولان، وكم لهم في وادي السحر من[9] عيون تجري كالطوفان، فإذا لاحت أعلام الفجر كبروا عند مشاهدة العيان، فديت طراق دير الدجى فديت أرباب العزائم فديت الفتيان، بادروا راهب الخلوة وقالوا[10] ها نحن لك جيران، تركنا الأسباب والأهل والأوطان والجيران[11]، فارقنا شهوات النفوس والأبدان، وخربنا ديار اللهو وأقفرت[12] منذ أزمان، طلقنا الدنيا بتاتاً وهجرنا الديار[13] والسكان، سقينا من شراب الأنس شربة ولو كان بما كان، أجابهم راهب الإخلاص خذوا عني حديث من حل هذا[14] المكان، أصحبهم[15] أنس المقيمين ورأوا الركبان، لبسوا حلة الجوع بالنهار وتركوا حديث من حلّ ومن كان، عمروا القلب بالتقوى والذكر باللسان[16]، أقاموا عليهم حارس الورع وللمعاني في جو عقولهم لمعان، لهم تزاحم على باب الدجى فمنهم صاح ومنهم نشوان[17]، ومنهم من خامره الشوق فهو من الحب ولهان، ومنهم من غلبه الوجد فهو[18] بالغَلْب[19] سكران، أفناهم الخوف وأبلاهم القلق والحق تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[20]، سميرهم ذكر الحبيب

---

(١) عبارة «من أطاعه»، في الأصل «على إعطائه»، والتصويب من (م) (ع).
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «الشقاء عليه»، في (م) و(ع): «عليه القضا».
(٤) في (م) و(ع): «تر».
(٥) عبارة «إلا سائلاً ومسؤولاً»، في الأصل: «لا سائله ولا مسؤولاً»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) سورة الإسراء، آية ٧١.
(٧) في (م) و(ع): «دار».
(٨) في (م) و(ع): «وجوههم».
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) كلمة «وقالوا» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «فأقفرت».
(١٣) في (م) و(ع): «الأهل».
(١٤) في (م) و(ع): «بهذا».
(١٥) في (م): «صحبهم». وأصحبته الشيء: جعلته له صاحباً. الفيروزآبادي، القاموس، «صحب»، ص١٣٤.
(١٦) في (م) و(ع): «في اللسان».
(١٧) عبارة «ومنهم نشوان» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «وهو».
(١٩) في الأصل و(م) و(ع): «بالغفلة»، وهي من (ب).
(٢٠) عبارة «والحق تعالى.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهم من القلق كل يوم في شان». وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرحمٰن، آية ٢٩.

ولهم بالتلاوة ألحان، نازلوا منازل التوكل فأصبحوا[1] فيها قطّان، [٢١٢ب] باعوا شهوات النفوس بأبخس الأثمان، سجلوا[2] على نفوسهم سجل الرضى بالقضاء فأهلاً بالرجال الشجعان، صححوا دين الغرام ودين الغرام لعمري أديان، فعندما تم لهم هذا الأمر وكمل لهم هذا الشان، طرقوا دير الخلوة فأجابتهم الرهبان، رهبان دير الدجى أبداً ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[3] لهم تلحين بالقرآن، خامرهم الخوف فسكروا من شربه مخافة النيران، منهم من سقي شراب المحبة صرفا وتزايدت بهم[4] الأحزان، ومنهم من مزج له بالشوق[5] فعاين منه ألوان، كم خربوا في حبه من منزل وكم أيتموا من ولدان، تراهم أبدا سكاناً[6] في القفار وفي[7] البلدان، قلوبهم مملوة بالحب[8] وظاهرهم مضمخ بالأحزان، ينادي لسان أشواقهم لا كان من رام السلو لا كان، خرق لهم حجاب العادة[9] وعقدت على رؤوس ولايتهم التيجان، مجلس أنسهم مضمخ بالمشاهدة بليل الأركان، يا معشر الفقراء طوفوا بهذا الدير وزاحموا على بابه وباكروا هذه[10] الدنان، طيبوا على هذا السماع وتواجدوا على هذه الألحان، معكم جمال المحبوب في الكون والجمال يا أخي أفنان[11]، ما أطيب عيش الصديقين[12] شربوا هذا الشراب وباحوا بالكتمان، فما[13] تراهم إلا بين واجد[14] وخائف وراج وهيمان[15]، فعندما يتجلى[16] لهم محبوبهم في قلوبهم أغناهم عن شهود العيان، لاطفهم بملاطفة ﴿يَٰعِبَادِ [٢١٣أ] لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[17] و[18]لكم الأمان، بعيني ما تحملتم من أجلي فكم ساهر عين وكبد[19] من الشوق عطشان، سأكشف[20] الحجاب عن وجهي فتتنعمون بما لم يخطر على قلب إنسان، ألبسكم حلل الرضا وأبسط[21] مجالسكم بالرضوان، أسقيكم شراب التوحيد

---

(١) في (م) و(ع): «وأصبحوا».

(٢) في (م) و(ع): «أسجلوا».

(٣) قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ١٦.

(٤) في (م) (ع): «به».

(٥) في (م) و(ع): «بالأشواق».

(٦) في (م) و(ع): «سكارى غربا».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «بالحرق».

(٩) في (م) و(ع): «العادات».

(١٠) في الأصل: «هذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م): «فتان»، وفي (ع): «فنان».

(١٢) في (م) و(ع): «الصادقين».

(١٣) في (م) و(ع): «ما».

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «وهائم».

(١٥) كلمة «وهيمان» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «تجلى».

(١٧) قوله: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، اقتباس من قوله تعالى من سورة الزخرف، آية ٦٨. وكلمة اليوم ليست في (م) و(ع).

(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «وكم كبد».

(٢٠) في (م) و(ع): «سأكشف لكم».

(٢١) يقال: إنه ليبسطني ما بسطك أي يسرني ما سرك، لأن الإنسان إذا سُرَّ انبسط وجهه واستبشر. ابن منظور، اللسان، «بسط»، ٢٥٩/٧.

صرفا خالصاً فأنا الحنان المنان، فيا[1] أهل السماع تواجدوا معشر الإخوان[2]، أين المشتاق لهذا الشراب هذا كأس المتاب ملآن، جانبوا أهل الرياء فالمكتسي منهم عريان، لا تنادموهم في هذا الشراب فما لهم عليه[3] إدمان، أين أنت من أهل الصفا يا مضيعا عمره في العصيان، بادروا قبل تغير[4] الحال فتعودوا بالخيبة والخسران، بادروا قبل غلق الدستور ودع عنك قالا وقيلا، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال: «ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فإذا فيها رجل يعبد صنما. . .» تقدمت هذه الحكاية في الثامن عشر[5]. شعر[6]:

ماحال راية وصلكم أن تنشرا ... كرما وميِّت هجركم أن ينشرا
أحبابناكم ذا الجفا تجنُّيا ... وإلى متى هذا الصدود تجبّرا
إن غُيِّبَت صفحات صَفْح وجوهكم ... فالخطُّ منها في الفؤاد[7] تَسَطَّرا
لي بعدكم قلب تقلَّب في الجوى ... وجفون عيني قد جفَتْ سنة الكَرى
وتحدَّر الدمع الذي لولاكم ... وجرت به ريح الجنوب لما جرى [٢١٣ب]
يرتاح قلبي كلما ذُكِر الحمى ... شوقاً كأني قد شربت المسكرا
وإذا يهبّ نسيم ريح دياركم ... تُغْنِي المعاطس أن تشم العنبرا
ما زال جيش تواصلي في غِبْطة ... حتى أعدَّ[8] البين منه عسكرا
كان الوصال مقدّماً بوصالكم ... فأتى النَّوى فأرتدَّ منه مؤخرا
ما لام فيكم عاذل فرأى الذي ... بي من جوى إلا أتى مُسْتَعذرا
هيهات أنساكم وأنسى ذكركم ... من ذا لما طَبَع الإلٰه مغيِّرا
أمن[9] المروءة أن تناموا عن فتى ... حَيران صادٍ للوصال فيسهرا
جرت المدامع من شُؤون جفونه ... بعد النَّوى حتى جرحْنَ المحجرا

---

(١) في (م) و(ع): «يا».
(٢) في (م) و(ع) زيادة: «أين بهلول أين سمنون أين أنتم أيها الإخوان».
(٣) عبارة «فما لهم عليه»، في الأصل: «فيا لهم عليهم»، والتصويب من (م) (ع).
(٤) في (م) و(ع): «تغيير».
(٥) في (م) و(ع): «عبد الواحد بن زيد تقدمت حكايته». والقصة تقدم ذكرها في الخطبة الثانية من الفصل الثامن، وأعيدت في الخطبة الثانية من الفصل الثامن عشر.
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل العاشر.
(٧) عبارة «فالخط. . إلخ»، في الأصل: «فالخطب منها في فؤاد»، والصواب ما أثبتناه على ما جاء في الأصل في الخطبة الثالثة من الفصل العاشر.
(٨) في الأصل: «عد»، والصواب ما أثبتناه.
(٩) في الأصل: «إن»، والصواب ما أثبتناه.

ما هَمَّ بالصبر الجميل[1] فؤاده إلا نهته دموعه أن يصبرا
قد كان أيسر بالتداني برهة فاليوم أصبح بالتفرق معسرا
قد أنذرته البان عربان النَّقى فمتى يرى بالوصل بعد مبشرا[2]

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي تفرد بالاختراع فهل ترى في الوجود إلا وجوده[3] وفعله، واحد لا يستفتح به العدد وكيف يستفتح بمن كان بعده وقبله، نظم جواهر الوجود في سلك الإيجاد وجمع بالإرادة شمله، أشقى وأسعد وأضل وهدى بلا سبب ولا علة، أقام هذا لطاعته وهذا لمعصيته ليظهر فيهم فضله وعدله، يعطي العطايا[4] لمن أطاعه ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[5]، قضاؤه حتم لا يطيق أحد ردّه ولا يروم حله، أحصى ديوان علمه عمل العامل سمعه ونظره وقوله، [٢١٤ أوب مكرر] أظهر للعارفين منازل[6] الدليل وأفهمهم[7] حكم الخطاب وفصله[8]، كم له تعالى[9] من رحمة للمنكسر يجبر بها[10] فرضه ونفله، وآخر مطرود عن الباب في باطن عمله علة[11]، ماء مقلته[12] كدر لا ينفع لذي علة غله، توالت عليه أسقام الخطايا وطبيب الموعظة ملَّه، ليت شعري إذا طرد المحروم عن الباب فمن له، لأي وجه توجه لا يرى فيه إلا شقاء وذلة[13]، يا شؤم المعاصي كم أورثت[14] القلب من ذلة، كيف يصحو من لا يسمع نصح الناصح ولا من العاذل عذله، وإذا استعجله الحمام لسفر الموت وحثه للرحلة، أجابه كرهاً على عجل بلا مهلة، تجرع من الفراق وترك على الرغم ماله وأهله، وسيره[15] مستعجلا إلى حفير ضيق ما أهوله، يعاين فيه ما[16] قدمه مما عليه أو[17] له، ويذهل عن معاينة الملكين ويجيب وَلَه وَلَه[18]، ثم

---

(١) في الأصل: «الجزيل»، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الأبيات ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «جوده».
(٤) في (م) و(ع): «العطاء».
(٥) قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة هود، آية ٣. وفي (م) و(ع) زيادة: «ويضيق صَدْر من صَدَر عن الهدى لم يبق فيهم لفضيلة فضلة».
(٦) في (م) و(ع): «منار».
(٧) في (م) و(ع): «وألهمهم».
(٨) الفَصْل: القضاء بين الحق والباطل، وقول فَصْل حق ليس بباطل. ابن منظور، اللسان، «فصل»، ٥٢١/١١.
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) عبارة «للمنكسر.. إلخ»، في (م) و(ع): «المنكسر يجبر».
(١١) عبارة «عمله علة»، في (م) و(ع): «علمه فِعْلة».
(١٢) في (م) و(ع): «نيَّته».
(١٣) عبارة «لأي وجه.. إلخ»، ساقطة في (ع).
(١٤) في الأصل: «أورث»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «وجعله»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «جزاء ما».
(١٧) في (م) و(ع): «و».
(١٨) عبارة «ويذهل.. إلخ»، في (م) و(ع): «يذهب لمعاينة الملكين ويجيبه وله وله». وقوله هذا إشارة إلى جواب المنافق والكافر حين يسأل في قبره عن ربه ونبيه؛ فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان=

تنطبق عليه الأرض فتختلف أضلاعه وتفصل مفاصله[1]، والروح في أهوال والجسم في أوحال[2] فياله من هول ما أهوله، فإن[3] المخفون أقدامهم ثابتة[4] لأنها ما زلّت زلة، والمحروم في شاهق الأهوال[5] لا يبلغ علوّه ولا يدرك سفله، أعجزه القضاء فصيَّره للأسماع مثلاً وللأبصار مثلة، مهلاً على العصاة سيعانون[6] الأهوال بعد المهلة، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[7].

إلٰهي ما حيلة من شاب رأسه ولم يبلغ فيك الأمل، إلٰهي ما يصنع من إذا أراد [٢١٥أ] النهوض أقعده الكسل، إلٰهي متى تظهر الطريق لمن عن طريق الهدى ضل، كلما ذكر أيام البعاد كاد[8] يذوب من الخجل، ٱستقبل بوجهه وجه اللذات ففاته العمل، ٱستحكم في قلبه داء الغفلة وإذا ٱستحكم الداء قتل، يرى ركائب التائبين تمر به وهو يتعلل بالعلل، رواحل همته في طلب الدنيا لها عجل، وإذا طلبت منازل[9] الآخرة لها كسل، يا منحرفاً عن طريق الصالحين تيامن إلى طريقهم وسل، أرض الشهوات مسبعة وفيها ضل[10] من رحل، من سافر بغير دليل عن طريق الوصل[11] عدل، ويحك أيام الشباب ربيع العمر قام قوامها وٱعتدل، وأيام الاكتهال بدر تم إذا البدر كمل، فإذا جاء المشيب عمت الظلمة فيا حيرة الساري إذا البدر[12] أفل، وبعده زمان[13] الحصاد إذا بلغ الأجل الأجل[14]، فبينما[15] الغافل يجر[16]

= فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين». الإمام البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث (١٢٨)، ٢/٢٠٥.

(١) في (م) و(ع): «مفصله». وقوله هذا إشارة إلى ما ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان...» الحديث، تقدم في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.

(٢) في (م) و(ع): «أحوال».

(٣) في (م) و(ع): «فاز».

(٤) في (م) و(ع) زيادة: «ما تزل زلة».

(٥) في (م) و(ع): «الآمال».

(٦) في (م) و(ع): «سيعاينون».

(٧) سورة المعارج، آية ٤٣ ـ ٤٤.

(٨) في (م) و(ع): «يكاد».

(٩) في (م) و(ع): «منزل».

(١٠) عبارة «أرض الشهوات.. إلخ»، في (م) و(ع): «أرض التوبة معشبة وفيها وصل».

(١١) في (م) و(ع): «الوصول».

(١٢) عبارة «كمل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «زمن».

(١٤) الأجل: مدة الشيء، والأجل: غاية الوقت في الموت. ابن منظور، اللسان، «أجل»، ١١/١١.

(١٥) في (م) و(ع): «بينا».

(١٦) في الأصل: «يجري»، والتصويب من (م) و(ع).

ثوب[1] التسويف على أرض الأمل، مشتغل[2] باللذات فأرخى على الشهوات الكِلَل[3]، حل به متقاضي المنون فإذا حل المنون رحل[4]، قطعه عن المقصود وكم قطع من[5] الذاهبين الأول، طمع آدم في الخلود فأكل من الشجرة فأحالته إلى الفناء فنزل[6]، ونوح ناح ألف سنة وما بلغ من تمام مراده الأمل، حيل بينه وبين ولده حين أوى إلى الجبل[7]، وعاد وثمود طال عليهم الأمد[8] فمزقوا كل ممزق وعن حديثهم فسل، كم طاف عليهم من حراس[9] وكم سهرت عليهم من مقل، كم[10] حمى[11] حماهم من أسود حرب وفرسان أسل[12]، أصبحت [215ب] قصورهم قبوراً عليها العبرات تهمل، يغرِّد البوم على أرجائها والغربان نوَّاح والخطب جلل، أين فرعون والجبابرة والذين[13] دانت[14] لهم الدول، كم أعملوا الحيل في البقاء فعاجلهم[15] المنون وما أغنى[16] عنهم الحيل، أين الفراعنة والأكاسرة أين الذين اتخذوا العالَم عبيداً وخول، أين الظلمة الذين جمعوا المال من حرام وصاروا[17] تمثالاً يضرب بهم المثل، حملوا أوزاراً لا يطيق على[18] حملها السهل والجبل، ﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[19] بعد أن كانت[20] قبلة للقبل، محت الدهور آثارهم وحسرتهم[21] على فوت

---

(1) في (م) و(ع): «رداء». (2) في (م) و(ع): «شغل».

(3) الكِلَّة الستر الرقيق، والجمع كِلَل. ابن دريد، جمهرة اللغة، «كله»، 3/171. ابن منظور، اللسان، «كلل»، 11/595.

(4) في (م) و(ع): «حل». (5) في (م) و(ع): «عن».

(6) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 120 إلى 123].

(7) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 42 ـ 43].

(8) في (م) و(ع): «العمر». (9) في (م) و(ع): «الحراس».

(10) في (م) و(ع): «وكم». (11) الكلمة ساقطة في (ع).

(12) أي فرسان مسلولة سيوفها فهي في يقظة دائمة.

(13) كلمة «والذين»، في (م): «أين الذين»، وفي (ع): «الذين».

(14) في الأصل: «دامت»، والتصويب من (م) و(ع).

(15) في (م) و(ع): «عاجلهم». (16) في (م) و(ع): «أغنت».

(17) عبارة «من حرام وصاروا»، في (م) و(ع): «من الحرام صاروا».

(18) في (م) و(ع): «حملوا أوزاراً ثقالاً يضيق عن».

(19) قوله: ﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النمل، آية 52.

(20) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (21) في (م) و(ع): «فحسراتهم».

العمل، يودون لو ردوا ساعة هيهات ما ينفع ليت وعسى ولعل، وكأني بك يا أخي والله راحل مع من رحل، وساكن في[1] قبر تحصَل في سجنه مع من[2] حصَل، تندم على ما قدمت وأنت في أضيق محل، فأبك على نفسك قبل أن يبكى عليك وأعمل في صلاحك[3] الحيل، أعرض على نفسك الصبر عن المعاصي أو[4] الصبر على النار منها الفرش والظُّلَل[5]، عسى يلين قلب قسي ويثبت قدم قد كان[6] زل، هذا مقام التائبين فرافق القوم وأستعجل، وإياك التواني[7] قبل حلول الأجل، وبعده حسرات تخيب فيها الظنون، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾[8].

قال[9] صالح المري رحمه الله تعالى: «قال لي مالك بن دينار: أغد علي يا صالح إلى الجبانة فإني [٢١٦أ] قد وعدت نفراً من أصحابي بزيارة أبي جهير مسعود الضرير[10]...» تقدمت حكايته. شعر[11]:

سل كيف عاد له الجنون كما بدا ... يخبرك هل عدل الفراق أم أعتدى

إن كان قرّبت[12] الجمال وأزمَعُوا[13] ... فينا[14] فما أدنى اللُّقاء وأبعدا

هي[15] فرقة أهدَتْ إليه من الأسى ... حُرَقا تزيد على البعاد توقّدا

---

(١) في (م) و(ع): «منزل».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وحَصَله بمعنى حصَّله، والحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، والتحصيل: تمييز ما يحصُل. الزمخشري، أساس البلاغة، «حصل»، ص١٢٩. ابن منظور، اللسان، «حصل»، ١١/١٥٣. والمعنى: تحاسب في قبرك على ما حملته معك من أعمال، فيميَّز بين حسنها وقبيحها، وتجازى بحسب ما قدَّمت.

(٣) في الأصل: «صياحك»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) في الأصل: «و»، وهي من (م) و(ع).

(٥) الفرُش جمع فراش وهو ما أفترش. والظُّلَل جمع ظُلَّة، وكل ما أطبق عليك فهو ظُلّة وكذلك كل ما أظلك، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. والمهاد: الفراش، وغواش جمع غاشية، أي نيران تغشاهم، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ﴾ [الزمر: ١٦]، أي ظلل لمن تحتهم وهي أرض لهم. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٧/٢٠٥، ٢٠٧. واللسان لابن منظور، «مهد»، ٣/٤١٠، و«فرش»، ٦/٣٢٦، و«ظلل»، ١١/٤١٧.

(٦) في (م) و(ع): «كان قد». (٧) في (م) و(ع): «والتواني».

(٨) قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ الآية ليست في (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثاني.

(١٠) عبارة «رحمه الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م): «قد قرب»، وفي (ع): «قد قربت»، وهو تصحيف.

(١٣) أزمع الأمر: مضى فيه وثبت عليه عزمه. ابن منظور، اللسان، «زمع»، ٨/١٤٣، ١٤٤. والمعنى: حكموا علينا بالبعاد وقالوا رأيهم في ذلك.

(١٤) في الأصل: «بنا»، والتصويب من (م) و(ع). (١٥) في (م) و(ع): «هل».

لو قابلَتْ حجراً لذاب ومَنْ له ... صبر على نار تُذيب الجَلْمَدا

لا تَعْذُلوه[١] فلو أطاق تجلُّدا ... يوم النَّوى حذر العدى لتجلَّدا

جَذَب الهوى بعنانه فأطاعَه ... وعصى[٢] وأقْصى لائماً ومفنِّدا

وحلا السّقام له وعوَّده البُكى ... حمل الضَّنى فَجَرى إلى[٣] ما عُوِّدا

ورد الهوى قوم وما ذاقوا القِلى[٤] ... يوماً ولو ذاقوه عافوا المَوْردا

ما من رأى البلوى وأثْبَت فعلها ... نظرا[٥] كمن[٦] سمع البَليَّة مَوْعدا

كيف السبيل إلى الحياة لعاشق ... شهد التَّفرّق والفراق هو[٧] الرَّدى

وَارَحْمة للعاشقين من الهوى ... إن أتْهَم الحادي بهم أو أنْجَدا

حَمَل الغرام جَلِيدهم فبكى أسىً[٨] ... ورأى الفراق بليدهم فتبلَّدا[٩]

لورام داعي البَيْن رِفْقاً ما دعا ... أو لورَثَى حادي الفراق لما حَدا

في الظَّاعنين عن الحِمَى قلب غدا ... عنِّي بأعباء الأسى مُتَفَرِّدا

أضحى يُسَابق ركبهنَّ مشيِّعاً ... إن راح راح وإن غدا بهم غدا

مَنَحُوه في الجزع السَّلام وأعْرَضوا ... في الغور عنه فما عدا ممَّا[١٠] بدا

ماذا الوقوف على العقيق وقد خلا ... منهم وأقْفَر رَبْعُهم وتأبَّدا[١١] [٢١٦ب]

بانوا فلا طَلَل الأراك شَفَى الجوى ... منَّا[١٢] ولا ماء النَّقى نَقَع الصَّدى

وتنكَّر الوادي فأصْبَح بعدهم ... قفرا وأمسى جَمْعُهم متبدّدا

ما لي وللسَّبعين لم تترك سوى ... ذكرى[١٣] لمن صَحِب الصَّبابة أمْردا

[بحر الكامل]

---

(١) في الأصل: «تعذلوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «فعمى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «على».

(٤) في (م) و(ع): «الفلا». وفلا الصبي فلواً وفلاء: عزله عن الرضاع وفصله. ابن منظور، اللسان، «فلا» ١٥/١٦١.

(٥) في (ع): «تطوى».

(٦) في الأصل: «وكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «الأسى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «بليدهم فتبلدا»، في الأصل: «بليد متبلدا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م): «فيما».

(١١) تأبّد المنزل: أقفر. الفيروزآبادي، القاموس، «أبد»، ص٣٣٧.

(١٢) في الأصل: «هنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «الذكرى».

قال صالح المري[1]: «كان وزير لأبي جعفر المنصور فسخط عليه وقتله، فقرأت فيها ثلاث أيات من القرآن ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[2]، ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4]، فخرج إلي أسود من ناحية البيت فقال: يا صالح هذه سخطة مخلوق على مخلوق مثله، كيف بسخطة الخالق على المخلوق». وأنشدوا:

أيا من بات يرتكب المعاصي ... وعين الله ناظرة تراه
إلى كم أنت في بحر الخطايا ... تبارز من يراك ولا تراه
وسَمْتك سَمْت ذي وَرع ودين ... وفعلك فِعْل متَّبع هواه
أتطمع أن تنال الفوز ممَّن ... عصيْتَ وأنت لم تبلغ رضاه
فتُبْ قبل الممات وقبل يوم ... يلاقي المرء ما كسبت يداه[5]

[بحر الوافر]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي فرض معرفته على قلوب العارفين وأوجب، أشهدهم عجائب صنعه في الظاهر وأشهدهم في الباطن ما هو أعجب، نزَّههم في بستان الكون وأسمعهم من نغم المعاني ما هو أطرب، نهج لهم[6] من سبيله طريقاً قريباً وعلَّمهم المذهب[7]، [٢١٧أ] آنسهم في سفرة العمر بتوحيده وعلَّمهم في سفرهم الأدب، بلَّغهم[8] المنزل في أقرب[9] وقت والمحروم يشقى ويتعب[10]، كم[11] وعظهم واعظ المشيب وكم أفصح لهم[12] وأطنب، كم رام[13] النهوض للمتاب فلا[14] يطيق فالقضاء[15] أغلب، من تاه في تيه الحرمان كيف يرجو بلوغ المطلب[16]، إذا لم يساعده المُسَبِّب[17] كيف تراه ينفعه السبب، إذا لم يساعد[18] التوفيق لم ينجح للطالب مطلب، ما ألذ نسيم السحر ما أعطر أنفاسه للمستغفرين وأطيب، نامت عين من نام عنه لا أم له ولا أب، إذا ولى النهار في الغفلة والليل في النوم لا جرم أن العمر يذهب، بدنك منعم بالشهوات وقلبك بحمل الأمل[19] متعب، ويحك كم تسكر من كأس الهوى ويلك

---

(١) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٦/١٦٩، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل، ص٢٠٢.
(٢) سورة النمل، آية ٥٢.
(٣) سورة القصص، آية ٥٨.
(٤) سورة القمر، آية ١٥.
(٥) عبارة «قال صالح.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع).
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «المَذْهب المُذَهب».
(٨) في (م) و(ع): «بلغوا».
(٩) في (م) و(ع): «أسرع».
(١٠) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».
(١١) في (م) و(ع): «ثم».
(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «يروم».
(١٤) في (م) و(ع): «ولا».
(١٥) في (ع): «والقضاء».
(١٦) في (م) و(ع): «المنصب».
(١٧) في (ع): «المشيب»، وهو تصحيف.
(١٨) في (م) و(ع): «يساعده».
(١٩) في (م) و(ع): «الآمال».

إلى كم تشرب، أما تخاف شرطي[1] الموت يهجم عليك فما تطيق منه مهرب، يقيم عليك حد سكر الغفلة ويجرعك كاس الوصب، وينقلك إلى سجن القبر محمولاً على الخشب، يسلمك إلى زبانية القساوة في أصل وضعهم مركب[2]، ترى من لا تعرف وترى[3] من الأهوال العجب، صمَّت أذناك[4] عن بكاء الباكي لا تدري[5] من بكي عليك وانتحب، كم تمر بك الأيام في الغفلة ومالك في هذه الفكرة[6] من[7] أرب، هيهات من عُجنت طينته بالبعاد كان حكم الطرد عليه أغلب، سيعاجلك[8] ما أنت تحذره وقد سدت الطريق وإلى[9] أين شئت فاذهب، ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾[10]، فسبحان [٢١٧ب] من جعل[11] حكمه حاكماً على كل محكوم في أي حكم ذهب، أحمده حمداً يحمل أثقال الذنوب ويسهل عند الموت الكرب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم المنقلب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العجم والعرب[12].

يا أخي إذا عني بشخص لطف به في قضائه، إذا لاح نور الهدى لشخص أنذره[13] العواقب من أمامه ومن ورائه[14]، نهاره صيام وليله قيام في ظلمائه، قلب الطائع بلد عامر بالمراقبة في ذكر آلائه، وقلب العاصي خراب يتيه فيه الحيران التائه، فإذا نزلت صاعقة الشهوات[15] على جسم أقبل الحرمان يسوّد وجه[16] رجائه، ونادى على أطلاله غراب الشقاء وبرَّح به على بُرَحَائِهِ[17]، يا مريض القلب[18] تنسم نسيم السحر واشتمل مع المستغفرين ببُرْد رجائه[19]، ففيه عاطر أنفاس المجتهدين[20] ونسائم نزول الحبيب وندائه[21]، من سبقت

---

(١) في (م) و(ع): «ملك».
(٢) قوله هذا إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].
(٣) في (م) و(ع): «وتعاين».
(٤) في الأصل: «آذانهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) عبارة «لا تدري» ساقطة في (ع).
(٦) في الأصل: «الفطرة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «سيعالجك».
(٩) في (م) و(ع): «فإلى».
(١٠) سورة النحل، آية ٧٧.
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع) زيادة: «صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما انقض شهاب وركب أشهب».
(١٣) في (م) و(ع): «أبصر».
(١٤) عبارة «من أمامه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وفي (م): «من ورائه»، وفي (ع): «من ورائه وأمامه»، وهي من (ب).
(١٥) في (م) و(ع): «الشهوة».
(١٦) في (م) و(ع): «بيت».
(١٧) في (م) و(ع): «في برحائه». والبَرْحُ: الشدة، وبرحاء الحمى وغيرها: شدة الأذى، ومنه برَّح به الأمر تبريحاً. الفيروزآبادي، القاموس، «برح»، ص٢٧٢.
(١٨) في (م) و(ع): «الغفلة».
(١٩) في (م) و(ع): «ردائه».
(٢٠) في (م) و(ع): «المتهجدين».
(٢١) قوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا =

عزيمة[1] عمله بلغ منزل القرب وعرَّس بفنائه، معشر التائبين جدوا في طلب النجاة قبل أن يدهمكم الموت في دهمائه، وبين أيديكم أهوال كل الورى يتحسر[2] بتقصيره ودائه، لله قلب[3] الخائف لم يزل داء الخوف حشو حشائه[4]، راحته[5] في البكاء ومن[6] رآه يبكي بكى[7] لبكائه، لا يزال طرفه هائماً كأنه نوء الطَّرْف[8] في أنوائه، و[9]أهل الشهوات لا يحسون ألم[10] البعد ولا بصد الحبيب وجفائه، ماتت قلوبهم بالغفلة والجسم[11] يمشي في تيه الحرمان وجلائه[12]، [٢١٨أ] يا نائماً عن المقصود يا خائفاً في خفائه، كم شيعت من نعش[13] وأنت لعمري مشيع في أثنائه، تبني مشيد الآمال وتجدّ في إنشائه، فإذا[14] هب عاصف المنون هدمه[15] من أصل بنائه، و[16]كم نادتك القبور تأهب أيها الحائر التائه[17]، عسكر الموتى ينتظرونك يا غافلاً في صباحه ومسائه، لا بد من الرحلة والبلى[18] والحلول في أرجائه، ذليلاً وحيداً فريداً يلقيك[19] الفنى في فنائه، ضجيعك عملك راحتك من راحته

= تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا... الحديث» تقدم ذكره في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.

(١) في (م) و(ع): «عزيمته».
(٢) في (م) و(ع): «تتحسر».
(٣) في (م) و(ع): «در».
(٤) في الأصل: «شجائه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في الأصل: «راحة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «وكل من».
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) الطَّرف من منازل القمر: كوكبان يَقْدُمَان الجبهة وهما عينا الأسد ينزلهما القمر. ابن المنظور، اللسان، «طرف»، ٩/ ٢٢٠.
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «بآلام».
(١١) في (م) و(ع): «فالجسم».
(١٢) في (م) و(ع): «وخيلائه فإذا ورد منزل القبر علم سهل الأمر من برحايه». وجلا القوم عن الموضع جلاء: تفرقوا. ابن منظور، اللسان، «جلا»، ١٤/ ١٤٩.
(١٣) في (م) و(ع): «نفس».
(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «وهدمه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٧) قوله هذا إشارة إلى بعض الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «دخل رسول الله ﷺ مُصلَّاه فرأى ناساً كأنهم يَكْتَشِرون [أي تظهر أسنانهم من الضحك] قال: «أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لَشَغلكم عمَّا أرى الموت، فأكْثِروا من ذكر هادم اللذات الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلَّم فيه فيقول: أنابيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنابيت التراب، وأنا بيت الدود.. الحديث»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب ٢٦، رقم الحديث (٢٤٦٠)، ٤/ ٦٣٩.
(١٨) كلمة «والبلى» في (م) (ع): «إلى دار البلى».
(١٩) في (م) و(ع): «يفنيك».

وداؤك من دائه، يا أطروش الغفلة سيهيج[1] أحزانك إذا هاج الموت في هيجانه، تود البقاء ساعة هيهات كم ذكَّرك يوم القبر بلقائه، لا تحن لذكر المنحنى ولا تصبو[2] لجمال صبائه، لا تشم نسيم نجد فكم في ناديه من عطر أندائه[3]، متى يعرِّج معمار قلبك[4] على ربع العامرية[5] فيحيى بحيائه، ما ألطف عشيات سلع هذه لدائه وهذه لدوائه، لله يوم بكاظمة لاطفني المحبوب بسماحه ووفائه، لاح لي برق الرضى من الأبرقين فأروى غلتي بمائه ورَوَائِه، حديث المنحنى واسع الحمى يَتضوع عرف الطيب في أخفائه[6]، يا من تيهه[7] الحب جز بوادي الأراك فاللؤلؤ المكنون في حصبائه[8]، كم وقفة للعاشقين في وادي العقيق تشيم من المحبوب برق عطائه، يا سعد كن مسعدي على الهوى فقد شكوت إليك شكوى النبات إلى أنوائه[9]، بلغ رسالة عاشق[10] شمله الشوق بفضل مَلائه[11]، صفت إشارات أهل الصفا فأهل [٢١٨ب] الفهم[12] سكارى من لفظه ومن صهبائه، معشر العارفين ٱفتحوا أصداف العبارة والتقطوا الجوهر من لثم صفائه، تغذوا باللُّباب وتداووا بلطيف المعنى وشفائه، لا يفهم هذا السر إلا من قطع الليل بصلاته ودعائه، وٱمتطى في النهار مطية الصوم يقدم الزاد من فنائه لبقائه، معشر الفقراء أين أنتم من[13] هذا السماع الذي يجلي القلوب بجلائه، ٱشربوا من دنه فيه[14] يكون الطرب، ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾.

قال[15] عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى: «خرجت إلى الشام في طلب العبَّاد، فجعلت أجد الرجل بعد الرجل شديد الاجتهاد، حتى قال لي رجل: قد كان هاهنا رجل من النحو الذي تريد ولكنا قد[16] فقدنا من عقله فما ندري أيريد أن يستتر على الناس بذلك أم شيء

---

(١) في (م) و(ع): «ستهيج».
(٢) في الأصل: «تصبر»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «ونداته»، وفي (م) و(ع): «وأندائه»، والتصويب من (ب).
(٤) في (م) و(ع): «حزنك».
(٥) في الأصل: «العامرة»، والتصويب من (م) و(ع). والعامرية قرية باليمامة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢/ ٩١١.
(٦) عبارة «ما ألطف عشيات.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما ألطف عشيات الحمى يتضوع عرف الطيب في أخفائه، حديث المنحنى وساعات سلع هذه لدائه وهذه لدوائه، لله يوم بكاظمة لاطفني المحبوب بسماحه ووفائه، لاح لي برق الرضى من الأبرقين فروى غلتي بمائه ورِوائه».
(٧) في (م) و(ع): «تيمه».
(٨) في الأصل: «أحصائه»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) أي حاجة النبات إلى المطر.
(١٠) في (م) و(ع): «محب عاشق».
(١١) مَلُؤ الرجل: صار مليئاً أي ثقةً، فهو غنيٌّ مَليءٌ بيِّن المَلاء والمَلاءة. ابن منظور، اللسان، «ملأ»، ١/ ١٥٩.
(١٢) في (م) و(ع): «الفضل».
(١٣) في (م) و(ع): «و».
(١٤) في (م): «فبه»، وفي (ع): «ففيه».
(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٢٩٢.
(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

أصابه في عقله[١]. قلت: وما أنكرتم منه؟ قال[٢]: إذا كلمه أحد قال: الوليد وعاتكة، لا يزيد عليه. قال: قلت: كيف لي به؟ فانتظرته، فإذا برجل واله، كريه المنظر، وافر الشعر، متغير اللون، وإذا الصبيان حوله وهو ساكت يمشي وهم خلفه سكوت[٣]، وعليه أطمار دنسة. قال: فتقدمت إليه، وسلمت[٤] عليه، فرد[٥] السلام، فقلت: يرحمك الله إني أريد أن أكلمك، فقال: الوليد وعاتكة. قلت: قد أخبرت بقضيتك. قال: الوليد وعاتكة[٦]، ثم مضى[٧] حتى دخل المسجد، ورجع الصبيان الذين كانوا يتبعونه، فاعتزل إلى سارية فركع فأطال الركوع، ثم سجد فدنوت منه فقلت: يرحمك الله [٢١٩أ] إني أريد أن أكلمك ونسألك[٨] عن شيء، وإن شئت فأطل[٩]، وإن شئت فقصِّر[١٠]، فلست ببارح حتى تكلمني. قال: وهو في سجوده يدعو ويتضرع، قال: ففهمت أنه[١١] يقول: سترك سترك، فأطال[١٢] السجود حتى سئمت، ودنوت[١٣] منه فلم أسمع له نفساً ولا حركة، فحركته[١٤] فإذا هو ميت كأنه مات من[١٥] دهر طويل، فمشيت[١٦] إلى صاحبي الذي دلني عليه، فقلت له[١٧]: تعال انظر إلى الرجل[١٨] الذي تقول أنكم أنكرتم[١٩] من عقله، وقصصت عليه قصته. قال: فهيأناه ودفناه رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به[٢٠]». شعر[٢١]:

---

(١) عبارة «أن يستتر.. إلخ»، في (م) و(ع): «أن يحتجب بذلك عن الناس أم هو شيء أصابه».
(٢) في (م) و(ع): «قالوا».
(٣) عبارة «وهم خلفه سكوت»، في (م) و(ع): «وهم سكوت خلفه يمشون».
(٤) في (ع): «فسلمت». (٥) في (م) و(ع): «فالتفت إلي فرد علي».
(٦) عبارة «قلت قد أخبرت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٧) في (م) و(ع): «مشى».
(٨) عبارة «يرحمك الله.. إلخ» في (م) و(ع): «رحمك الله رجل غريب يريد أن يكلمك ويسألك».
(٩) في (م) و(ع): «فإن شئت فطل». (١٠) في (م) و(ع): «فأقصر».
(١١) في (م) و(ع): «ففهمت عنه وهو».
(١٢) في (م) و(ع): «قال فأطال».
(١٣) في (م) و(ع): «فدنوت».
(١٤) في (م) و(ع): «قال فحركته».
(١٥) في (م) و(ع): «كأنه قد مات منذ».
(١٦) في (م) و(ع): «قال فخرجت».
(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «تقول.. إلخ»، في (م) و(ع): «زعمت أنك أنكرت».
(٢٠) عبارة «رحمة الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) الأبيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثالث، وقد أعيد ذكرها بكاملها في (م) و(ع) في هذا الموضع.

دعوا نار قلب طاب[1] فيه[2] جحيمها ومُهْجة صبٍّ غاب عنها نعيمها
وعَبْرة عانٍ ما ٱستطار لعينه سَنا بارق إلا ٱستهلَّ غيومها
فما لجفوني أن تماطل في الهوى بدمعي وأيّام الفراق خصومها

[بحر الطويل]

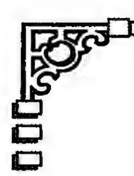
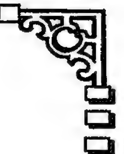
تقدمت هذه الأبيات بكمالها في الفصل الثالث فتأمل راشداً، والله الموفق[3].

إلٰهي إن كانت رحمتك للمقبلين عليك[4] فإلى من يلتجي[5] المدبر، إلٰهي وسيلتنا إليك الذل[6] والاْفتقار والندم والاْنكسار، إلٰهي أسألك محو سيئاتنا بماء عفوك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[7].



---

(١) في الأصل: «نار قلبي طار»، وهي من (م) و(ع).
(٢) في الأصل و(م) و(ع): «فيها»، والتصويب من (ب).
(٣) عبارة «تقدم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «يلجأ».
(٦) في (م) و(ع): «الذلة».
(٧) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الخامس والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أبكى عيون السحب مدامع[1] المزن[2] فضحكت لبكائها[3] الأزهار، زين وجنات خدود الرياض بنثرات[4] الزهر بأبيض وأكحل وأصفر [219ب] وأحمر كالجلّنار[5]، نضد حدائق الروض بصنوف النبات فراق رونقه للبصائر والأبصار، جسَّت أنامل الصَّبا عيدان الشجر فتداعت لمجاوبتها قينات الأطيار، فالزُّبر[6] كالبلابل والمثاني كالفواخت[7] والمثالث[8] تحاكي بنغمتها الهَزَار[9]، رقصت الغصون لتصفيق أكف[10] الأوراق وتناوح الريح أطرب[11] من المزمار، جعدت أيدي الصبا رداء الماء فتردت به[12] مواشط السواقي[13] ورواقص الأنهار، رقَّم الربيع ربيع الربى بمفضَّض ومذهب ومزعفر ومعسجد كلون العُقَار[14]، وأرخت على قضب الغصون كِلَل الأوراق وانعقد[15] في خمائلها أزرة النوار، وزمزم مطرب الاعتدال بتوحيد[16] طيب الزمان على قضاء الأوطار، ورقّمت[17] حواشي مُحيًّا الربيع فراق منظر

---

(1) في (م) و(ع): «بمدامع».

(2) في (ع): «الحزن».

(3) في (م) و(ع): «لبكائه».

(4) في (م) و(ع): «بنيّرات».

(5) الجُلَّنار: زهر الرمان. الفيروزآبادي، القاموس، «جلنر»، ص٤٦٨.

(6) في (م) و(ع): «فالزبير». والزبر جمع الزبور، والزبور التوراة والإنجيل والقرآن، وقد غلب الزبور على صحف داود. ابن منظور، اللسان، «زبر»، ٣١٥/٤.

(7) الفاختة واحدة الفواخت وهي ضرب من الحمَام المُطَوَّق. ابن منظور، اللسان، «فخت»، ٦٥/٢.

(8) المثالث لعله يقصد بها أجزاء القرآن الثلاثة، أخرج مسلم عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن». مسلم، الصَّحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم الحديث (٨١١/٢٦٠)، ٥٥٦/١. ومعناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات لله تعالى، وقل هو الله أحد متمحضة للصفات، فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.

(9) في (م): «نغماتها الهزار»، وفي (ع): «نغمتها الهزار». والهزَار: طائر. الفيروزآبادي، القاموس، «هزر»، ص٦٤٠.

(10) في الأصل: «كف»، والتصويب من (م) و(ع).

(11) في الأصل: «أطيب»، والتصويب من (م) و(ع).

(12) الكلمة ساقطة في (ع).

(13) في الأصل و(م) و(ع): «الفساقي»، والتصويب من (ب).

(14) العسجد: الذهب. وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت. والعُقَار: الخمر. ابن منظور، اللسان، «عسجد»، ٢٩٠/٣، و«عقر»، ٥٩٨/٤.

(15) في (م) و(ع): «وانعقدت».

(16) في (م) و(ع): «فتواجد».

(17) في (م) و(ع): «ورقّت».

الوجود وأعتدل ميزان الليل والنهار، وثار حَبّ الحب من دفائن القلوب وتمايل العشاق من غير سلابة[1] الخُمَار، وتأرَّجت نسائم الأشجار[2] بنوافح المنثور والمنظوم[3] والنسرين والياسمين كأنه بيت عطار، أنتظم شمل شتات النبات ودب الجمال في خدود الرياض دبيب العِذار[4]، ما أجمل هذا العيش لولا الفناء وتبديل الدار بالدار، فالعارفون زهدوا في ظل زائل وعيش[5] راحل لا يستقر له قرار، فللّه در العارفين حرمت أجفانهم طيب الكرى فلهم بالليل تهجد وأستغفار، قرأوا أدلة البقاء[6] في ألواح[7] الفناء وفهموا أسرار [٢٢٠أ] الأدوار، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[8].

يا أخي إذا خرج توقيع السعادة لشخص جاءه المطلوب على قدر، دله على الجادة ونوّر منه البصيرة والبصر، إذا أراد القدر تشخيص شخص لمشاهدة الحضرة حضر، وخلع عليه حلل الأدب فراق منظره والمخبر، وغرس في قلبه أشجار المحبة وأمطرت من[9] القَبول وابل المطر، فإذا ثمار[10] المعارف على أفنان اللسان كأنهار دُرر، قطوفها دانية لمن مد أيدي الفكر، هذا سراج[11] منثور القوم والمحروم يتعلل بالقدر، لا يغتر بالأحلام إلا من ليس عنده[12] من العبارة خبر، إذا دار فلك السعادة بشمس القبول أشرق روض[13] المعاملة و[14]أزهر، إذا جن الليل تصاف عين[15] النوم والسهر، وفي مقدمة السهر طلائع ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾[16] إلى السحر، وفي مقدمة النوم طلائع ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾[17] وأوقعهم[18] على الأثر، عند[19] طلوع راية الفجر أنهزم جيش الكسل ووقع[20] الظفر، فما لاح نور الشمس إلا و[21]الغنيمة مقسومة على من حضر، وما للمحروم مع القوم سهم ولا

---

(١) في (م) و(ع): «سلافة».

(٢) في (ع): «الأسحار».

(٣) كلمة «والمنظوم» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «انتظم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «زهدوا في عيش زائل ونعيم».

(٦) في (ع): «القفا»، وهو تصحيف.

(٧) في الأصل: «أرواح»، وهي من (م) و(ع).

(٨) سورة النور، آية ٤٤.

(٩) عبارة «منظره.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «الثمار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «شرح».

(١٢) في (م) و(ع): «له».

(١٣) في الأصل: «وروض»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «عسكر».

(١٦) قوله: ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة آل عمران، آية ١١٣.

(١٧) قوله: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنفال، آية ٢٣.

(١٨) في (ع): «وأوقفهم».

(١٩) في (ع): «وعند».

(٢٠) في (م) و(ع): «فوقع».

(٢١) في الأصل: «ولا»، والتصويب من (م) و(ع).

وِرْد له ولا صدر[1]، شغله الحرمان عن ٱستعداد الزاد والتأهب للسفر، فأصبح في تيه الشقاء فلا عين ولا أثر، صحراء الليل لا يقطعها[2] إلا كل ضامر مضمر، النجيب أبداً[3] في أول الركب يرد الماء الصافي بلا كدر، والثقيل يحمل المحامل لأن في باعه قِصَر، همة النجيب تقليل الغذاء لأنه يطلب السبق للظفر، وهمة الثقيل كثرة الأكل لأن [٢٢٠ب] السبق ما طلب ولا خطر[4]، لله در قُوَّام الليل أخذوا على أنفسهم[5] بالحذر، يطوي بهم الدجى ميد[6] العمر إلى يوم يقبر، يحمد[7] الإقامة في المنزل ويحمد السرى وقت[8] السفر، لله در الهمم العالية تعلقت بعشق المعاني لا بعشق الصور، ٱشتاقت نفوسهم[9] إلى حضرة القدس وتاقت إلى النظر، وهمة الناقص شهوة البطن والفرج لأن قلبه أقصى من الحجر[10]، لو علم العاصي[11] من يعصي لذاب قبل المعصية وحال منه النظر، لكنه طبع على الشقاء وأصم منه المسْمَع وأعمى منه[12] البصر[13]، لا حيلة في مكفوف بالقضاء[14] مقيد بالقدر، جعل في تيه الشقاء[15] فكلما قيل له[16] أقبل أدبر، يرى محامل التائبين تمر به فمهما حرك جواد عزمه تقنطر[17]، زَمِن ناهض عزمه من أكل الحرام وشرابه فيه كدر، خرب ربوع أوقاته بالغفلة وما خطر له أن يثمر[18]، قلَّت فوائد[19] أيام حياته وأفلس من الطاعة وٱفتقر، إن ضحك سنه بعد المشيب سيبكي طويلاً في سَقَر، لو سكن معمار التقى قلبك[20] لتعجَّل إصلاحه فٱنجبر[21]،

---

(١) الصدر: الطائفة من الشيء، وماله صادر ولا وارد: أي شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «صدر»، ص٥٤٣.

(٢) في الأصل: «يقطعه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «أولاً».

(٤) في (م) و(ع): «حضر».

(٥) في (م) و(ع): «نفوسهم».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وماد الشيء ميداً: زاغ ومال، والميد: ما يصيب من الحيرة عن السكر أو الغثيان أو ركوب البحر. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٣/٤١١، ٤١٢. والمعنى: تقلبات الحياة واضطراباتها.

(٧) في (م) و(ع): «يجد».

(٨) في (م) و(ع): «وقرب».

(٩) في (م) و(ع): «أرواحهم».

(١٠) في (م) و(ع): «حجر».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «وأصم.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأصم منه السمع وأعمى». والمِسْمَع: الأذن. الفيروزآبادي، القاموس، «سمع»، ص٩٤٣.

(١٣) في الأصل: «المنظر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فالقضاء».

(١٥) في الأصل: «القضاء»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «فكلما قيل له»، في (م) و(ع): «فهو كلما».

(١٧) في الأصل: «مستقنطر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «يتعمر».

(١٩) في (م) و(ع): «فوائده».

(٢٠) في (م) و(ع): «معمار التقوى في قلبه».

(٢١) في (م) و(ع): «وانجبر».

أول مقام في طريق القوم بَذْل الروح ودمه في المجاهدة هدر، وأوسط[١] المقام مقام[٢] الخروج عن الأوطان والعادات والصور، ونهاية المقام البقاء مع المحبوب في كل ما نهى وأمر، فني به عن[٣] سواه وأنزله منزل القلب والسمع والبصر، هذه طريق القوم وكم مدحوا في محكم الآي والسور، [٢٢١أ] دبّج الكون بمحاسنهم[٤] كما دبج القرطاس بالحبر[٥]، لنياتهم في المجالس[٦] عطرية أذكى[٧] من نوافح المسك والعنبر، من أعطاه مناه أتاه[٨] النعيم والنظر، ومن حرمه تباعد عنه النعيم[٩] فغيره في أُجُور[١٠] وهو في سَقَر[١١]، معشر التائبين تجملوا[١٢] براية[١٣] التوبة فإنها تجمل[١٤] الصور، معشر الفقراء هذا سماعكم ما عن مثلكم لمثله[١٥] مصطبر، دعوا أهل الرياء فسيان من غاب منهم ومن حضر، طيبوا بمحبوبكم[١٦] فما عند السكران من الصاحي خبر، ما ألذ الشراب مع المحبوب وأطيب السماع بمعنى الوِتْر بلا وَتَر، شرابهم رحيق مختوم ختامه مسك أذفر[١٧]، وفي الدنيا معارف تنشرح بها القلوب وتزهر، تحف بأرواح العارفين كما تحف الأرواح بالصور، لا وزر على شاربها ولا له عن شربها مفر[١٨]، لهم انعطاف على[١٩] شربها كانعطاف غصن على نهر، رقَّت زجاجتها وراق شرابها فراقت للمخبر والمنظر[٢٠]، فكأنها واحد له بصيرة وبصر، شوق العارفين إلى هذا الشراب شوق الثرى إلى المطر، أين أرواح المحبين معهم أتحدث[٢١] وإليهم النظر، فبادر يا أخي التوبة وارحل عن هذا[٢٢] الدار، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

---

(١) في الأصل: «أوساطك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «عمن».
(٤) في (م) و(ع): «محاسنهم».
(٥) في (م) و(ع): «بالسطر».
(٦) عبارة «لنياتهم في المجالس»، في (م) و(ع): «لثنائهم في المجلس».
(٧) في الأصل: «اذكروا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «وأباحه».
(٩) في (م) و(ع): «المطلوب».
(١٠) في (م) و(ع): «حبور».
(١١) في (م) و(ع): «حبر».
(١٢) في (ع): «تزينوا».
(١٣) في (م) و(ع): «بزينة».
(١٤) في الأصل: «محل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «ما عن مثله لمثلكم».
(١٦) في الأصل: «بمحبوبهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) الذَّفر: شدة ذكاء الريح، ومسك أذْفَر: جيد إلى الغاية. الفيروزآبادي، القاموس، «ذفر»، ص٥٠٧.
(١٨) في (م) و(ع): «وَزَر». والوَزَرَ: الملجأ. ابن منظور، اللسان، «وزر»، ٥٠/٢٨٢.
(١٩) في الأصل: «على انعطاف»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) عبارة «فراقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فرقَّت للمنظر والمخبر».
(٢١) في (م) و(ع): «الحديث».
(٢٢) في (م) و(ع): «هذه»، والدار مؤنثة، وإنما ذكرها على معنى الموضع؛ قال الجوهري: «الدار مؤنثة وإنما قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] فذكَّر على معنى المثوى والموضع. ابن منظور، اللسان، «دور»، ٢٩٨/٤.

عبد الله بن الفرج[١] رحمه الله تعالى قال[٢]: «حدثني إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى[٣] بٱبتداء أمره كيف كان، قال: كنا[٤] يوماً في مجلس له منظرة إلى الطريق، فإذا شيخ عليه أطمار رثة [٢٢١ب] وكان يوم حار، فجلس تحت حائط[٥] القصر ليستريح، فقلت للخادم: أخرجي[٦] إلى هذا الشيخ وأقريه[٧] مني السلام وٱسأليه[٨] أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي. فخرجت إليه، فدخل معها، فسلم[٩] فرددت عليه السلام وٱستبشرت بدخوله، فأجلسته[١٠] إلى جانبي وعرضت عليه الطعام، فأبى أن يأكل، فقلت: من أين أقبلت؟ فقال[١١]: من وراء النهر[١٢]. فقلت: أين تريد؟ فقال[١٣]: الحج إن شاء الله تعالى[١٤]. وكان[١٥] ذلك أول يوم من العشر[١٦]، فقلت: في هذا الوقت؟ فقال: يفعل الله ما يشاء. فقلت: الصحبة؟ فقال: إن أحببت ذلك. حتى إذا كان الليل قال لي: قم. فلبست ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ[١٧]، فمررنا بقرية[١٨] فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه، وقدم[١٩] لنا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل فأكلنا، وجاء بماء فشربنا. ثم قال: بسم الله قم، فأخذ بيدي، فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تطوى[٢٠] من تحت أرجلنا كأنها الموج، فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول: هذه مدينة كذا، وهذه مدينة كذا إلى أن قال[٢١] هذه الكوفة، ثم قال: الموعد هاهنا في مكانك حتى أقبل إليك في هذا الوقت، يعني

---

(١) في (م) و(ع): «عبد الله بن أبي الفرج»، وهو تصحيف. وعبد الله: هو عبد الله بن الفرج، أبو محمد القنطري، كان أحد العباد، وكان بشر بن الحارث يوده ويزوره، توفي سنة ٢٠١ هـ/٨١٦م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠/٤١. ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/١٠٢.

(٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/١٧٧.

(٣) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «كنت».

(٥) في (م) و(ع): «فجلس في فناء».

(٦) في (م) و(ع): «اخرج».

(٧) في (م) و(ع): «وأقره».

(٨) في (م) و(ع): «وسله».

(٩) عبارة «فخرجت إليه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فخرج إليه فدخل معه إلي فسلم علي».

(١٠) في (م) و(ع): «وأجلسته».

(١١) في (م) و(ع): «قال».

(١٢) ما وراء النهر يراد به ما وراء جيحون بخراسان، فما كان في شرقيّه، يقال لها: بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر. وما كان في غربيه، فهو خراسان وولاية خوارزم، وهي إقليم برأسه. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣/١٢٢٣.

(١٣) في (م) و(ع): «قال».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «قال وكان».

(١٦) في (م) و(ع) زيادة: «أو الثاني».

(١٧) بَلْخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجلِّها وأشهرها ذكرا وأكثرها خيراً. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١/٢١٧.

(١٨) في (م) و(ع): «بقرية لنا».

(١٩) في (ع): «فقدم».

(٢٠) في (م) و(ع): «تجذب».

(٢١) عبارة «إلى أن قال» ساقطة في (م) و(ع).

في الليل، حتى إذا كان الوقت[1] إذا به قد أقبل، وأخذ بيدي وقال: بسم الله. فجعل[2] يقول هذا منزل كذا، وهذا منزل كذا[3]، وهذه المدينة، وأنا[4] أنظر إلى الأرض تجذب من تحت [٢٢٢أ] أرجلنا كأنها الموج، فسرنا إلى قبر النبي ﷺ وشرف وكرم ومجد[5] فزرناه[6]، ثم فارقني فقال: الموعد في هذا الوقت من الليل في المصلى. فأتى في الوقت[7] فأخذ بيدي، ففعل كفعله الأول والثاني[8] حتى أتينا مكة في الليل ففارقني، فقبضت عليه فقلت: الصحبة. فقال[9]: أريد الشام. فقلت[10]: أنا معك إذا ٱنقضى الحج[11]. فلما ٱنقضى الحج إذا أنا به عند زمزم، فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة، ففعل كفعله الأول والثاني[12] فإذا نحن ببيت المقدس، فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام هاهنا إن شاء الله تعالى[13]، ثم فارقني فما عرفته[14] بعد ذلك ولا عرَّفني ٱسمه. قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعنا[15] إلى بلخ، فهذا كان[16] أول أمري». شعر[17]:

تنبَّهي يا عذبات الرَّند[18] ... كم ذا الكرى هبَّ[19] نسيم نجد
سرى[20] على الرَّوض الأنيق سحرا ... يسحب[21] ذيل أَرَجٍ وبرد
حتى إذا عاينْتُ منه نفحة ... عاد سموماً والغرام يعدي
واعجباً مني أَسْتَقي[22] الصَّبا ... وما تزيد النَّار غير وَقْد

---

(١) في (م) و(ع): «الليل».
(٢) في (م) و(ع): «قال فجعل».
(٣) عبارة «وهذا منزل كذا»، في (م) و(ع): «وهذه قُبا». وقُبا: قرية قرب المدينة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣/١٠٦١.
(٤) في (ع): «فأنا».
(٥) في (م) و(ع): «إلى قبر رسول الله ﷺ».
(٦) في الأصل: «فزرنا»، وهي من (م) و(ع).
(٧) عبارة «فأتى في الوقت» ساقطة في (م) و(ع).
(٨) عبارة «الأول والثاني»، في (م) «في الأولى والثانية»، وفي (ع): «في الأولى والثانية والثالثة».
(٩) في (م) و(ع): «قال إني».
(١٠) في (م) و(ع): «قلت».
(١١) عبارة «إذا ٱنقضى.. إلخ»، في (م) و(ع): «قال: إذا ٱنقضى الحج فالقني».
(١٢) عبارة «الأول والثاني»، في (م) و(ع): «في الأولى والثانية والثالثة».
(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «رأيته».
(١٥) في (م) و(ع): «رجعت».
(١٦) في (م) و(ع): «فكان هذا».
(١٧) الأبيات لابن المعلم، ينظر خريدة القصر وجريدة العصر للأصبهاني، القسم العراقي، ١/٣٧٢، ٣٧٣.
(١٨) رَند: موضع. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢/٦٣٥.
(١٩) في الأصل: «هبت»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «مرّي».
(٢١) في (م) و(ع): «بسحب».
(٢٢) في (م) و(ع): «أستسقي».

أعـلِّـل الـنَّـفـس بـبـان(١) رامـة — ومـا يـنـوب(٢) غُـصُـن عـن قـدّ
وأسـأل الـربـع(٣) ومـن لـي لـو رعـى(٤) — رَجْـع الـكـلام أو سـخـى بـردّ(٥)
أأقْـتَـضـي الـنَّـوح حـمـامـات الـلِّـوى — هيهات ما عند اللوى ما عندي [٢٢٢ب]
كـم بـيـن خـال وَشَـج(٦) وسـاهـر — وراقـد وكـاتـم ومـبـدي
قد كـنـت أشـكـو لـلـحـمـام(٧) لـو شـفـى — وكـنـت أسـتـقـي(٨) الـصَّـبـا لـو يُـجْـد
مـا ضـرَّهـم لـو مـنـحـوا(٩) بـزورةٍ — وسـمـحـوا عـن طـيـفـهـم(١٠) بـوعـد
بـانـوا فـلا دار الـعـقـيـق بـعـدهـم — دار ولا عـهـد الـحـمـى بـعـهـد

[بحر الرجز]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أمدَّ بالحقائق عقولاً بالصفاء تجوهرت، خلَّص أجسامهم في مخلصة المعاملة فأنهار قلوبهم بالمعاني تفجَّرت، خلع عليهم حلل الرضى فروضة أنفاسهم برؤيا(١١) الحبيب تعطَّرت، حنُّوا إلى محبوبهم ومدامعهم من الأشواق تفجرت، ساق أرواحهم إليه بالقلق ونيران الوجد(١٢) في أكبادهم تسعَّرت، سقى أرواحهم ماء الإخلاص فروضاتها بالمعارف أزهرت، كحَّل أبصارهم بنور الهداية فهي بشعاعها تنوَّرت، حدا نفوسهم حادي الشوق فهيَّمها طول السرى فتحيرت، أقلقها تذكار أيام الحمى فحنَّت إلى المنحنى وتذكرت، فكم دموع أجراها خوف الوعيد على الخدود فُجِّرت، فالعارفون ركبوا خيول النحول ونار أشواقهم تسعَّرت(١٣)، خلعت عليهم حلل(١٤) الرضى فأقدامهم على باب الحبيب تسطرت، أجلسهم على كراسي(١٥) الرضى و(١٦)الكرامات وعمَر صدورهم بالمعاني فتعمَّرت، هذه

---

(١) في (ع): «بماء».
(٢) في الأصل: «وما ينوب عنها»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «البرق».
(٤) في (م) و(ع): «وعى».
(٥) في (م) و(ع) زيادة:
«تـعـلَّـة وقـوفـنـا بـطـلـل — وضـلَّـة سـؤالـنـا لـصَـلْـد»
والتُّعلَّة: ما يُتعَلَّل به، وتعلّل به أي تلهّى به، وحجر صَلْد: صلب أملس. ابن منظور، اللسان، «علل»، ٤٦٩/١١، و«صلد»، ٢٥٦/٣.
(٦) وشج يشج وشجاً: تداخل وتشابك. ولقد وشجت في قلبه أمور وهموم. ابن منظور، اللسان، «وشج»، ٣٩٨/٢.
(٧) عبارة «أشكو للحمام»، في (م) و(ع): «أشتكي الحمام».
(٨) في (م) و(ع): «أستسقي».
(٩) في (م) و(ع): «سمحوا».
(١٠) عبارة «وسمحوا.. إلخ»، في الأصل: «اسمحوا لطيفهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) عبارة «فروضة.. إلخ»، في (م) و(ع): «فروضات أنسهم بريا».
(١٢) في (م) و(ع): «الشوق».
(١٣) عبارة: «سقى أرواحهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «خلع».
(١٥) في (ع): «كرسي».
(١٦) كلمة «الرضى و» ساقطة في (م) و(ع).

أحوال القوم وأهل الغفلة أكبادهم على الفائت تحسرت، نسوا ما قدموه من المعاصي [٢٢٣أ] وهي في ديوان الحساب تسطرت، فيا خيبة من قُبِض على الإصرار يعاين أهوالاً فيها العقول تحيرت، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾[١].

يا كسلان في طلب الدنيا كيف[٢] تطير إلى المعاني بلا جناح، ترافق التسويف وتطلب مقام[٣] الجنيد[٤] حديثٌ مرَّت به الرياح، منزل قلبك خراب من التقوى وكم فيه من جراح، كم زرع حُصِد قبل التمام ما نفعه الماء القَراح[٥]، لا يغتر بٱستصحاب الصحة من علم ٱختلاف المساء والصباح، كيف لا ينكر حاله ابن الخمسين وقد طعن من الستين بسنٍّ[٦] الرماح، كيف لا يعاين منازل المنون ابن الستين وحماه بالمنون مستباح[٧]، كيف لا يحسّ بالهبوط ابن سبعين[٨] و[٩]زمن الصبا قد ولى وراح، أو ما يعلم ابن الثمانين[١٠] أنه يُرسم[١١] عليه من[١٢] بقايا العمل وما للمترسّم[١٣] من براح، أين ابن التسعين[١٤] أحنى عليه الذي أحنى[١٥] على لُبَد[١٦] بنثر[١٧] الريش وقص الجناح، بينما[١٨] الغافل في طول أمله قيل فلان سار إلى البلاء وراح، قطع عليه طريق

---

(١) سورة الانفطار، آية ١ إلى ٥.

(٢) في (م) و(ع) زيادة: «تدرك الآخرة وإليها ترتاح، أنت عاجز في شهوة الجسم كيف».

(٣) في (م) و(ع): «مرافقة».

(٤) في (ع): «الجسد»، وهو تصحيف.

(٥) القراح الماء الذي لا يخالطه ثُفل من سويق ولا غيره. ابن منظور، اللسان، «قرح»، ٢/ ٥٦١.

(٦) في (م) و(ع) : «سن».

(٧) عبارة: «كيف لا يعاين... إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ابن الأربعين».

(٩) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «أوما.. إلخ»، في (م) و(ع): «وما يعلم ابن السبعين».

(١١) في (م) و(ع): «ترسَّم».

(١٢) في (م) و(ع): «في».

(١٣) رسم على كذا: كتب. وترسَّمت المنزل: تأملت رسمه وتفرسته. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ١٢/ ٢٤١. والمعنى: أو ما يعلم أنه يُسَجَّل عليه ويحصى عليه ما تبقى له من العمل في أيامه المعدودات، وأن ما سُجِّل عليه ونُظر فيه لا تغيير فيه ولا تبديل.

(١٤) عبارة «أين.. إلخ»، في (م) و(ع): «ابن الثمانين».

(١٥) عبارة «أحنى عليه.. إلخ»، في (ع): «أحثى عليه الذي أحثى».

(١٦) في الأصل: «لبيد»، والتصويب من (م) (ع). ولُبَد اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأنه لبِد فبقي لا يذهب ولا يموت، كاللَّبِد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه، وتزعم العرب أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلِكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بَعَرات سُمْر من أظْبٍ عُفْر في جبل وَعر لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسُر كلما أُهلِك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لُبَدا وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحَتْ خلاءً وأضحى أهلُها احتَمِلُوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

ابن منظور، اللسان، «لبد»، ٣/ ٣٨٥.

(١٧) في (م) و(ع): «فنثر».

(١٨) في (م) و(ع): «بينا».

أمله[1] قاطع المنون ما نفعته[2] العُدَد ولا[3] السلاح، حال بينه وبين ما جمع وإذا به صريع عليه البكاء والنواح، يا وحشته بعد الأنس باللذات وذات الوشاح، حديثي[4] معك[5] يا من لا[6] يسمع أنت المراد بهذا الأمر فاْسمع النصح[7] الصُّراح، الحرام نفط في خشب[8] الجسم يلتهب إذا هبت من المنون الرياح، ما[9] ينفع التدارك بعد الفوت [٢٢٣ب] ولا يسمع لَحْي لاح، أكل الحرام[10] كالكلب الشره وكل كلامه نباح، الحرام سم يدب في[11] جسم الروح فيمنعها الارتياح، يميت القلب ويعمي العين ويصم الأذن عن سماع وجه النجاح، ويعقل العقل عن التفكر و[12]التفكر له مباح، ويخرس اللسان عن الذكر إلا في الأمور القباح، ويقيِّد الأقدام عن القدوم إلى حضرة إليها الواصل يرتاح، كل الثياب تقبل[13] الغسل إلا السمندل[14] غسله النار ما له عنها براح، أرى ثوب أعمالك أشبه به يا من عدم التقوى والصلاح، هذا شعاب التوبة له عِلْم بالخير والصلاح[15]، ويحك لا تنظر إلى المترفين في الدنيا فما في تجارتهم أرباح، الحرام كبريت في حُرَّاق القلب والحساب قَدَّاح، والغافل لا يُحَسّ به إلا إذا قام عليه البكى والصياح، كم يسعى على بساط الأمل في الغفلة[16] وفجر المشيب لاح، سنه[17] يضحك وقلبه[18] يبكي وهو يجدد عهد[19] الصبا والمزاح، وحياتك إن أُمهلت في[20] الدهر برهة فالأمر يأتيك ولا[21] ينفع قتال بلا سلاح[22]، إذا مزِّق ثوب شبابك مسمار المخالفة فلرفّاء الندم أيدِ ملاح، إنما يرجى الرجوع إلى الجادة[23] لمن تاه أياماً ثم[24] يعود إلى الصلاح[25]،

---

(١) عبارة «قيل فلان.. إلخ» ساقطة في (ع).
(٢) في (م) و(ع): «وما نفعه».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (ع): «حدثني»، وهو تصحيف.
(٥) في (م) و(ع): «عنك».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «لا».
(١٠) في (م) و(ع): «الحوم الحرام».
(١١) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «يقبل».
(١٤) السمندل طائر بالهند لا يحترق بالنار، [ويعمل من ريشه مناشف، إذا اتسخت تنظف بالنار]. الفيروزآبادي، القاموس، «سمندل»، ص ١٣١٤، مع الحاشية.
(١٥) في (م) و(ع): «علم بالجبر والإصلاح».
(١٦) عبارة «في الغفلة»، في (م) و(ع): «من غافل».
(١٧) في الأصل: «سنك»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) في الأصل: «قلبك»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٩) في (م): «عقد».
(٢٠) في (م) و(ع): «من».
(٢١) في (م) و(ع): «وما».
(٢٢) في الأصل: «علاج»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٣) عبارة «إلى الجادة»، في (م) و(ع): «للجادة».
(٢٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٥) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

فأمّا من تاه خمسين سنة أشرف على التلف وليس لقفل قلبه[1] مفتاح، يا من جعل الصُّوَر موضع نظره أخطأت طريق ذوي البصائر الصحاح، لو رافقت عالم المعاني في ركب الفكر [٢٢٤] رأيت وجوهاً من[2] المعارف صباح، خوف المسابقة[3] سبق لقلوب السابقين فعاملوا الكون بأطراح، قَلْقَ الخوف[4] قلوبهم لولا نسيم السحر لما وجدوا ارتياح، برق لهم بُرْقَة[5] هل من سائل حرارة المكابدة في الغدو والرواح، نفائس أنفاسهم أعطر من نسيم نجد تحيي[6] النفوس والأرواح، أين أنت يا محروماً من القوم يا ذا الفعال[7] القِباح، منادي المشيب ينادي على صومعة الرحيل حي على الفلاح، هذا يوم الصلح فأين[8] من يقبل الإصلاح، إن خرجت من المجلس كما دخلت ثكلتك أمك وسفت عليك سوافي الرياح، ستعلم[9] قولي إذا القلوب من الأهوال تحيرت، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

قال بعضهم: «سمعت برجل شهر بالولاية في الحرم، فجئته وهو يطوف فإذا قال لبيك اللهم لبيك سمعت منادياً ينادي: لا لبيك ولا سعديك، فقلت: خابت سفرتي في رؤية رجل مطرود، فرفع رأسه إليّ وقال لي[10]: يا أخي، لي[11] أسمع ما سمعت منذ[12] أربعين سنة، وهب أنه طردني عن بابه فإلى باب من ألتجي سواه، وعزته وجلاله لا أبرح عن بابه أبداً. فإذا النداء قد فتحنا لك الباب وأدخلناك مع[13] الأحباب». شعر[14]:

أحن إلى من بالعقيق دياره ... حنينا يبكّى الوُرْق في غصن[15] السِّدر

[بحر الطويل]

---

(١) عبارة «لقفل قلبه»، في (م) و(ع): «لقفله». وقوله هذا إشارة إلى معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: أعذر الله إلى امرئ أخّر أجله حتى بلّغه ستين سنة». البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة... إلخ، رقم الحديث (٨)، ٨/ ١٦٠.

(٢) في الأصل: «إلى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «السابقة».

(٤) عبارة «قلق الخوف»، في (م) و(ع): «قلقل القلق». والقلق: الانزعاج، والقلق: الاضطراب. وأقلق الشيء من مكان وقَلّقَه: حركه. ابن منظور، اللسان، «قلق»، ١٠/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٥) عبارة «برق.. إلخ»، في (م) و(ع): «يُبَرِّد لهم برْد». والبُرقة: المقدار من البرق. ابن منظور، اللسان، «برق»، ١٠/ ١٤.

(٦) في (م) و(ع): «يحيي».

(٧) في (م) و(ع): «الأفعال».

(٨) في (م) و(ع): «أين».

(٩) في (م) و(ع): «ستذكر».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «من»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل الرابع عشر.

(١٥) في (م) و(ع): «ورق».

تقدم قبل فأنظره[1]. [٢٢٤ب]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي خلق الأرواح اللطيفة من عالم الغيب من غير شريك ولا معين، أخترع[2] الأجسام الكثيفة من التراب من سلالة من طين، ألف بينهم بسر لطيف خفي عن أفهام العالمين، عقل العقل بعقال المعقولات وسجنه في سجن التكليف المكين، رتب ميزان الأعمال على موازنة الأقدار هذه كفة الشمال وهذه كفة اليمين، رفع قبة السماء على دعائم القدرة وزيّنها بالكواكب وجعلها رجوماً للشياطين، ودحى الأرض على لجج البحر[3] وفجر أنهارها بالماء[4] المعين، أبكى عيون السحاب بمدامع القطر فضحكت من بكائها البساتين، حدا بُزْل السحاب حادي الرعد فحملت أحمال الأنواء لظهور أرزاق المرزوقين، أحيا موات الأرض فقامت دفائن النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة ظاهرة على قيام الناس لرب العالمين، يجازيهم بأعمالهم[5] بما سبق لهم[6] في الكتاب المبين، يفصل أعمالهم بمثاقيل معلومة الموازين[7]، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[8]، فسبحان من بيديه[9] القبض والبسط في السمٰوات وفي الأرضين، أحمده حمد من أعجزه التقصير عن مراتب الصالحين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خلاصة الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله [٢٢٥أ] وأصحابه[10] الغر المحجَّلين[11].

إخواني[12] كيف يكون الاستماع بغير سَمع، ما لقلب العزائم قُلب بغير جسم ولا نوع، ما لنور البصائر حجب والعين جامدة من الدمع، ما لديوان البعاد كُتِب وتبدد الشمل يوم[13] جمع، أفٍّ لعالم قنع من الصفات بالأسماء و[14]من الأصل بالفرع، عطف[15] على الرسوم وترك المعنى فهو من الدنيا[16] بين خفض ورفع، أستثقل حمل العمل فأستدبره وما فهم أتباع

---

(١) عبارة «تقدم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر الأبيات كلها فيهما في هذا الموضع.

(٢) في (م) و(ع): «واخترع».

(٣) في (م) و(ع): «البحار».

(٤) في الأصل: «بماء»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «لأعمالهم».

(٦) عبارة «بما سبق لهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «للموازين».

(٨) سورة الواقعة، آية ٨٨ إلى ٩١.

(٩) في (م) و(ع): «بيده».

(١٠) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) التحجيل بياض في قوائم الفرس أو في ثلاثة منها أو في رجليه، قلَّ أو كثر، بعد أن يجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين لأنها مواضع الأحجال. ابن منظور، اللسان، «حجل»، ١١/١٤٦. وقوله: «الغر المحجلين»، أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام، استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.

(١٢) في (م) و(ع): «يا أخي».

(١٣) في (م) و(ع): «بعد».

(١٤) الواو ساقطة في (ع).

(١٥) في (م) و(ع): «عكف».

(١٦) في (م) و(ع): «الرياء».

الشرع، عميت بصيرته عن سبيل التقى[1] وحاد[2] عن هذا الوضع[3]، إذا نام الدليل فمن يسري وبروق الجمادات لمع، إذا كسدت أسواق المعاملة متى يُقْضى لها برجع، معشر العلماء إذا دخلتم إقليم العمل أفلستم فأنتم من الغفلة بين وتر وشفع، كم حصَّلتم في أسفار قلوبكم من بضائع العلم وليس لها في سوق العقول[4] من وقع، لو عرضتم ما اكتسبتم على نقاد الإخلاص وقبلتم قوله بالطاعة والسمع، لنكَّسْتم رأس الدعاوى فهي أبداً مخفوضة ما لها من رفع، شجرة العلم والعمل أصلها ثابت وحملها خصيب النفع[5]، من عمل لشيء تبعه[6] يا مرائي كم لك غداً من[7] موقف بين لدغ ولسع[8]، شجرة السمعة لَبْلاب[9] ما لها بقاء في أصل ووضع[10]، ترى سقوطها عند هبوب المنون وما ينفع البكاء بالدمع، العلم نور وأنت تمشي في ظلمة لا نور مصباح ولا نور شمع، خربت ربوع الزهد والورع فأهلاً به من ربع، و[11]عمرت ديار البطالة [٢٢٥ب] وعند خرابها تبكي عليها بسجع، بيَّضْت ثوبك وسودت قلبك[12] ستعلم إذا نُزِع الروح بالنَّزْع، أسكرك حب الرياسة ويوم الحصاد ما لك[13] من زرع، تنشط عند العطاء وتَقْبِض[14] عند المنع، نور الشمس يحجبه[15] سحاب ساعة فيظلم كل سُقْع، كيف من[16] عقله محجوب خمسين سنة لا يهتدي لضر ولا نفع، كلما أضاء للعارفين جو المعاملة بدت لهم من القبول نبات[17] سلع، فديت السالكين كم لهم من حنين عند ذكر[18] ساكن اللوى والجزع، لسان أشواقهم ينادي حبيبي لولا الهوى ما ضاق ذرع، أسكرني

---

(١) في (م) و(ع): «التقوى».

(٢) في الأصل: «وحده»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «الطبع».

(٤) في (م) و(ع): «القبول».

(٥) عبارة «وحملها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وحماها خصيب الوقع». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ولدع». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نعمها..» الحديث. تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل العشرين.

(٩) اللبلاب نبت يلتوي على الشجر. ابن منظور، اللسان، «لبب»، ١/ ٧٣٥.

(١٠) في الأصل: «أصل وقع»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «القلب».

(١٣) في (م) و(ع): «له».

(١٤) في (م) و(ع): «تنقبض».

(١٥) في (م) و(ع): «يحجبها».

(١٦) في (م) و(ع): «بمن».

(١٧) في (م) و(ع): «بدت لهم بانات».

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

الحب والهوى والشوق فواشوقي إلى الثلاث الشفع[1]، رجائي فيك يواصلني وخوفي يقطعني فلله ما أحلاه من وصل وقطع، ما أطيب ليل الوصال وأحلى وقوعه من وقع، يا أهل المجلس جددوا التوبة فما بعد هذا السماع من سمع، فلله[2] ما أحلاه من سماع ولله ما أحسنه من نديم، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

إبراهيم السائح قال[3]: فبينما[4] أنا أطوف فإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا وحشتي بعد الأنس، ويا ذلي بعد العز، ويا فقري بعد الغنى، فقلت: يا جارية ما مصيبتك؟ قالت: فقدت قلبي. قلت: هذه مصيبتك[5]؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقدان القلب[6] وأنقطاعها عن [٢٢٦أ] المحبوب. فقلت لها: هلا خفضت من صوتك. قالت: يا شيخ، البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: الحرم[7] حرمك أم حرمه؟ قلت: بل حرمه. قالت: من آستزارنا لبيته[8]؟ قلت: هو. قالت: يا شيخ فدعنا نتذلل عليه و[9] بين يديه كما آستزارنا إليه، ثم قالت: سيدي ومولاي، بحبك لي إلا رددت لي[10] قلبي. فقلت: من أين علمت أنه يحبك؟ قالت: بالعناية القديمة جيَّش في طلبي الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجني من بلاد الشرك وأدخلني في[11] التوحيد، وعرَّفني بنفسه فهل هذا إلا لعناية سبقت منه، فللّه الحمد على ذلك[12]». شعر[13]:

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه ... خلَّفْتَ نجدا وراء المُدْلِجِ الساري
راحت نوازع من قلبي تُتَبِّعه ... على بقايا لُبانات[14] وأوطار
أَهْفُو إلى الرَّكب تَعْلُو لي ركائبهم ... من الحِمَى بين دَوْحات وأشجار
تَفُوح أرياح نجد من ثيابهم[15] ... عند القدوم[16] لقرب العهد بالدار

---

(١) أي الشافعة من شفع لي يشفع شفاعة.
(٢) في (م) و(ع): «الله».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤١٨. وإبراهيم هو إبراهيم بن المهلب، أبو الأشهب السائح، تقدمت ترجمته.
(٤) في (م) و(ع): «بينا».
(٥) عبارة «قالت فقدت قلبي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «فقدان القلب»، في (م) و(ع): «فقد القلوب».
(٧) في (م) و(ع): «فالحرم».
(٨) في (م) و(ع): «إليه».
(٩) كلمة «عليه و» ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (ع): «علي».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) عبارة «فلله الحمد.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي. انظر: الديوان، ٥١٧/١.
(١٤) اللُّبَانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من هِمَّة. ابن منظور، اللسان، «لبن»، ٣٧٧/١٣.
(١٥) في (م) و(ع): «ديارهم».
(١٦) في (م) و(ع): «الوقوف».

يا راكبان قفا لي قَضِّيا[1] وَطَري وخبِّراني عن نجد بأخبار

هل رُوِّضَتْ قاعة الوَعْساء[2] أم مُطِرَتْ خَمِيلةُ[3] الطَّلْح ذات الشِّيح والقار[4]

فهل[5] أبيت وداري[6] عند كاظمة نعم[7] وسُمَّار ذاك الحي سمَّاري

فلم[8] يزالا إلى أن نمَّ بي[9] نفسي وحدَّث الركب عنِّي دمعي الجاري[10]

أيام أودِعُ سرّي في الهوى فرسي وأكتم الحي[11] أوجاعي وأخطاري [٢٢٦ب]

[بحر البسيط]

يا أخي فر إلى إقليم العلوم تر عجائب المعلومات، نساج فكري[12] ينسج على منازل العلم[13] حلة المعارف، ثم يلحمها صانع العبارات بأعتدال الترتيب[14]، فإذا ظهرت في سوق الأسماع على يدي دلال اللسان بادر العارفون لتقليبه والإحاطة بمقداره وحدّه، فإذا ثوب البيان نَسيج وَحْده[15]، كم غائص يرفع الدرر[16] ولا كاليتيمة، أحضروا يا أرباب الأفهام في[17] سوق المعارف فما يباع إلا الرفيع، لولا مهندس الأمثال ما وسعت الحروف سعة المعاني، كم لججتُ في بحار الأفكار وربَّاني الفتح الربَّاني حتى تخلّصْتُ إلى إقليم المعرفة، فحملت ما خف وغلا، فأنا في كل إقليم أظهر[18] ما يليق به؛ فهو للعلماء بثمن الفكرة، وللسالكين صدقة، وحظ المتفرج النظر.

---

(١) في (م): «وانظرا»، وفي (ع): «فأنظرا».

(٢) الوعساء موضع بين الثعلبية والخزيمية، على جادة الحاج، وهي شقائق رمل متصلة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٤٤٠.

(٣) الخميلة: المُنْهَبَط من الأرض، وهي مَكْرَمَةٌ للنبات، والموضع الكثير الشجر حيث كان. الفيروزآبادي، القاموس، «خمل»، ص١٢٨٦.

(٤) القار: شجر مر. ابن منظور، اللسان، «قير»، ٥/ ١٢٥.

(٥) في (م) و(ع): «أم هل».

(٦) في (م) و(ع): «ودارٌ».

(٧) في (م) و(ع): «داري».

(٨) في (م) و(ع): «ولم».

(٩) في الأصل: «لي»، وفي (م) و(ع): «في»، والتصويب من الديوان.

(١٠) البيت ورد في (م) و(ع) بعد البيت الأخير.

(١١) عبادة «وأكتم الحي»، في الأصل: «به وأكتم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «الفكر».

(١٣) عبارة «منازل العلم»، في (م) و(ع): «منوال الخيال».

(١٤) عبارة «صانع.. إلخ»، في (م) و(ع): «صانع العبارة».

(١٥) عبارة «فإذا ثوب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «كم من غائص يرفع الدر».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع) زيادة: «في كل سوق».

إلهي خصنا بالفهم عندك[1]، أسمعنا نداء الوجود بأسماع الفهم، أفتح لنا بلطيف لطفك فهم اللطائف عندك[2]، أجعل ملاذنا بملاذ جودك[3]، خصنا بخاصية الخواص، و[4]أرحمنا برحمتك التي سبقت غضبك التي تسابق[5] إليها السابقون، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

تمّ الكتاب المسمى بـ «المورد العذب في المواعظ والخطب» يوم الثلاثاء في أول ربيع الثاني سنة أربعة وستين بعد [٢٢٧أ] مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، على يد الفقير الحقير، المعترف بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربه اللطيف الخبير، محمد بن المهدي بن محمد بن يونس الحنفي الجزيري، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولمن سعى في تعليمه ولمن قال آمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه ... وكاتب الخط تحت الترب مدفون

فيا ناظر الخط أدع لكاتبه ... لعل المغفرة بدعائك تكون[6]

[بحر البسيط]

الخط باقي و العمر فاني

سنة ١١٦٤[7] [٢٢٧ب]

---

(١) في (م) و(ع): «عنك».

(٢) في (م) و(ع): «عنك».

(٣) في (م) و(ع): «جوارك».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «التي سبقت فسابق».

(٦) هذا البيت مكسورالوزن، ويبدو أنه من تأليف الناسخ.

(٧) عبارة «وصلى الله على سيدنا ومولانا... إلخ»، في (م): «والحمد لله بجميع محامده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم عدد ما في علم الله. وكان الفراغ من كتابته في خامس عشر صفر الخير من شهور سنة ٨٧٢ بمدينة دمشق الشام على يد أبي بكر الجراعي الحنبلي عفا الله عنه وعن والده، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، وفي (ع): «آخر الكتاب والحمد لله الواحد الوهاب وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ووافق الفراغ من نسخه نهار الاثنين المبارك ثاني شهر ربيع الآخرة سنة تسعين وثمان مئة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين».

ثبت المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

● الآلوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

٢ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١/ ٣. عني بشرحه وضبطه محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

● الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م.

٣ - المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ٢. ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي بشارع المشهد الحسيني.

● ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، المتوفى سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م.

٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/ ٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥ - الكامل في التاريخ ١/ ١٣. دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ - ٨٥٥م.

٦ - المسند ١/ ٨. تحقيق سمير مجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

● إسحاق بن الحسين.

٧ - آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان. اعتناء فهمي سعد. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

● الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، المتوفى سنة ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م.

٨ - الفَرق بين الفِرق. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة، بيروت.

● إسماعيل باشا البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م.

٩ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/ ٢. منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بيروت.

١٠ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١/ ٢. منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بيروت.

● الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ - ١١٠٨م.

١١ - الأغاني ١/ ٢١. دار صعب، بيروت، ومطبعة بريل، ليدن، ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م.

١٢ - خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ١/ ٢. تحقيق شكري فيصل. المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م. والقسم العراقي ١/ ٣. تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١٣ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/ ٢. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

● ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم، المتوفى سنة ٦٨٨هـ - ١٢٩١م.

١٤ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
● ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمٰن بن محمد، المتوفى سنة ٥٧٧هـ ـ ١١٨١م.
١٥ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
● أوس بن حجر، أبو شريح التميمي، المتوفى سنة ٢ق.هـ ـ ٦٢٠م.
١٦ ـ ديوان أوس بن حجر. تحقيق محمد يوسف نجم. دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.
● البابرتي، أكمل الدين محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧١٢هـ ـ ٧٨٦م.
١٧ ـ شرح عقيدة أهل السنّة والجماعة. تحقيق عارف آيتكن، مراجعة عبد الستار أبو غدة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
● البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م.
١٨ ـ التاريخ الكبير ١/٨. دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩ ـ صحيح البخاري ١/٩. الطباعة المنيرية، دمشق، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
● بركلمان، كارل.
٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي، gI، ١/٢. طبع في ليدن، ألمانيا.
● بشار بن برد، أبو معاذ، المتوفى سنة ١٦٧هـ ـ ٧٨٤م.
٢١ ـ ديوان شعر بشار بن برد. تحقيق السيد بدر الدين العلوي. دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
● البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المتوفى سنة ٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م.
٢٢ ـ سمط اللآلئ ١/٣. تحقيق عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م.
● البلاذري، أبو بكر أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م.
٢٣ ـ جمل من أنساب الأشراف ١/١٣. تحقيق سهيل زكّار ورياض زركلي. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
● البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ ١٠٦٦م.
٢٤ ـ السنن الكبرى ١/١٠. دار الفكر، بيروت.
● الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م.
٢٥ ـ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ١/٥. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
● ابن تغرى بردى، أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، المتوفى سنة ٨٧٤هـ ـ ١٤٧٠م.
٢٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/١٢. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م.
● التونجي، محمد.
٢٧ ـ المعجم الفارسي العربي الموجز. مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
● الثعلبي، أبو إسحٰق أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٤٢٧هـ ـ ١٠٣٥م.

٢٨ - قصص الأنبياء. المكتبة الثقافية، بيروت.

• الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، المتوفى سنة ٢٥٥هـ - ٨٦٩م.

٢٩ - البيان والتبيين ٢/١. دار الفكر للجميع، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

• ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٦١٤هـ - ١٢١٧م.

٣٠ - رحلة ابن جبير. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

• ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، المتوفى سنة ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م.

٣١ - غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٣م.

٣٢ - بستان الواعظين ورياض السامعين. راجعه وقدّم له السيد الجميلي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٣ - زاد المسير في علم التفسير ١٠/١. المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٤ - صفة الصفوة ٤/١. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي. دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م؛ ونسخة ثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

٣٥ - صيد الخاطر. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٣٦ - كتاب القصاص والمذكرين. تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٧ - مشيخة ابن الجوزي. تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٨ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٨/١. تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

• الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٣م.

٣٩ - المستدرك على الصحيحين ٤/١. دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

• حبنكة، عبد الرحمٰن.

٤٠ - العقيدة الإسلامية وأسسها. دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

• حجازي، محمد.

٤١ - التفسير الواضح ٣٠/١. مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط٦، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

• ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م.

٤٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١. مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.

٤٣ - تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ ٢/١. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٤ - تهذيب التهذيب ١٢/١. مطبعة دائرة المعارف، الهند، حيدرآباد الدكن، ط١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.

٤٥ - لسان الميزان ٧/١. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

• الحريفيش، شعيب.

٤٦ ـ الروض الفائق في المواعظ والرقائق. المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.
• ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد، المتوفى سنة ٤٥٦هـ ـ ١٠٦٤م.
٤٧ ـ جمهرة أنساب العرب ١/ ٢. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
• الحصري، أبو إسحٰق إبراهيم بن علي، المتوفى سنة ٤٥٣هـ ـ ١٠٦١م.
٤٨ ـ زهر الآداب وثمر الألباب ١/ ٤. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، ط٤، سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.
• الحوفي، أحمد.
٤٩ ـ فن الخطابة. مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ط٢، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
• الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م.
٥٠ ـ تاريخ بغداد ١/ ١٤. دار الكتب العلمية، بيروت.
• ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م.
٥١ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ٨. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
• ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٣٢١هـ ـ ٩٣٣م.
٥٢ ـ جمهرة اللغة ١/ ٤. دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م.
• ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، المتوفى سنة ٢٨١هـ ـ ٨٩٤م.
٥٣ ـ قصر الأمل. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
• الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م.
٥٤ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١/ ٤٦. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٥٥ ـ تذكرة الحفاظ ١/ ٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٦ ـ دول الإسلام. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٥٧ ـ سير أعلام النبلاء ١/ ٢٥. تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٥٨ ـ العبر في خبر من غبر ١/ ٤. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٥٩ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/ ٢. تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٦٠ ـ ميزان الاعتدال في نقض الرجال ١/ ٤. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة، بيروت.
• الرازي، أبو محمد عبد الرحمٰن بن محمد، المتوفى سنة ٣٢٧هـ ـ ٩٣٩م.
٦١ ـ الجرح والتعديل ١/ ٩. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
• ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد، المتوفى سنة ٧٩٥هـ ـ ١٣٩٢م.

٦٢ ـ كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ١/٢. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
• ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م.
٦٣ ـ ديوان ابن رشيق القيرواني. جمعه ورتّبه عبد الرحمٰن ياغي. دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
• الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ـ ١٧٩٠م.
٦٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ١/١٠. المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٨م.
• الزركلي، خير الدين.
٦٥ ـ الأعلام ١/٨. دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
• الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨هـ ـ ١١٤٣م.
٦٦ ـ أساس البلاغة. دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
• أبو زهرة، محمد.
٦٧ ـ الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب. دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م.
• سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزغلي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م.
٦٨ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١/٨. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
• ابن سعد، محمد بن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠هـ ـ ٨٤٤م.
٦٩ ـ الطبقات الكبرى ١/٩. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
• ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام، المتوفى سنة ٢٣١هـ ـ ٨٤٥م.
٧٠ ـ طبقات الشعراء. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
• السلمي، أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين، المتوفى سنة ٤١٢هـ ـ ١٠٢١م.
٧١ ـ طبقات الصوفية. تحقيق نور الدين شريبة. دار الكتاب النفيس، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
• السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، المتوفى سنة ٥٦٢هـ ـ ١١٦٦م.
٧٢ ـ الأنساب ١/١٠. تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى اليماني، الناشر محمد أمين دمج. بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
• السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف، المتوفى سنة ٤٢٧هـ ـ ١٠٣٥م.
٧٣ ـ تاريخ جرجان. عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
• ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧٣٤هـ ـ ١٣٣٣م.
٧٤ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ١/٢. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر، المتوفى سنة ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م.
٧٥ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/٢. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧٦ ـ الجامع الكبير أو جمع الجوامع ١/٢. نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ حديث.
• ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر، المتوفى سنة ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٢م.
٧٧ ـ فوات الوفيات والذيل عليها ١/٥. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
• شاكر، محمود.
٧٨ ـ التاريخ الإسلامي ١/٩. المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط٨، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
• الشريف الجرجاني، علي بن محمد، المتوفى سنة ٨١٦هـ ـ ١٤١٣م.
٧٩ ـ كتاب التعريفات. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
• الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، المتوفى سنة ٤٠٦هـ ـ ١٠١٥م.
٨٠ ـ ديوان الشريف الرضي ١/٢. دار صادر، بيروت.
• الصابوني، محمد علي.
٨١ ـ النبوة والأنبياء. مكتبة الغزالي، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
• الصاحب ابن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المتوفى سنة ٣٨٥هـ ـ ٩٩٥م.
٨٢ ـ المحيط في اللغة ١/١١. تحقيق محمد حسن آل ياسين. عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
• الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، المتوفى سنة ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٢م.
٨٣ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. تحقيق السيد الشرقاوي، ومراجعة رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٨٤ ـ الوافي بالوفيات ١/٢٩. اعتنى به لجنة من العلماء. دار صادر، بيروت، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
• صفوت، أحمد زكي.
٨٥ ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ١/٣. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.
• صفي الدين البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، المتوفى سنة ٧٣٩هـ ـ ١٣٣٨م.
٨٦ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١/٣. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
• ضيف، شوقي.
٨٧ ـ تاريخ الأدب العربي. العصر الإسلامي [جزء ٢ من السلسلة]، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.
• الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المتوفى سنة ٣٦٠هـ ـ ٩٧٠م.
٨٨ ـ المعجم الكبير ١/٢٥. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠هـ ـ ٩٢٠.

٨٩ ـ تاريخ الأمم والملوك ١/٨. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

● عبد الباقي، محمد فؤاد.

٩٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

● ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م.

٩١ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٤. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

● ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٣٢٨هـ ـ ٩٣٨م.

٩٢ ـ العقد الفريد ١/٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

● أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ٢١٠هـ ـ ٨٢٦م.

٩٣ ـ ديوان أبي العتاهية. دار صادر، بيروت.

● ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي، المتوفى سنة ٣٦٥هـ ـ ٩٧٥م.

٩٤ ـ الكامل في ضعفاء الرجال ١/٨. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

● ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، المتوفى سنة ٦٢٨هـ ـ ١٢٣٠م.

٩٥ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب ١/١٢. تحقيق سهيل زكّار. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● العلوجي، عبد الحميد.

٩٦ ـ مؤلفات ابن الجوزي. دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

● ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ ـ ١٦٧٨م.

٩٧ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/٧. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت.

● الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المتوفى سنة ٥٠٥هـ ـ ١١١١م.

٩٨ ـ قواعد العقائد. تحقيق موسى محمد علي. عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥هـ ـ ١٠٠٤م.

٩٩ ـ معجم مقاييس اللغة ١/٦. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

● الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٨١٧هـ ـ ١٤١٤م.

١٠٠ ـ القاموس المحيط. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

● القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ٣٥٦هـ ـ ٩٦٦م.

١٠١ ـ الأمالي ١/٢. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

● ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦هـ ـ ٨٨٩م.

١٠٢ ـ الشعر والشعراء. دار صادر، بيروت، طبعة ليدن، ١٣٢٠هـ ـ ١٩٠٢م.

١٠٣ ـ عيون الأخبار ١/ ٤. دار الكتاب العربي، بيروت.

● ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المتوفى سنة ٦٢٠هـ ـ ١٢٢٣م.

١٠٤ ـ كتاب التوابين. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

● قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي، المتوفى سنة ٣٣٧هـ ـ ٩٤٨م.

١٠٥ ـ نقد النثر. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

● القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٦٧١هـ ـ ١٢٧٢م.

١٠٦ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٢. تحقيق أحمد حجازي السقا. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٠٧ ـ الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٠. ضبطه جماعة من العلماء.

● قلعجي، محمد.

١٠٨ ـ موسوعة فقه الحسن البصري ١/ ٢. دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

● القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، المتوفى سنة ٤٦٥هـ ـ ١٠٧٢م.

١٠٩ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي. دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

● القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٨٢١هـ ـ ١٤١٨م.

١١٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١/ ١٥. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

● قيس بن الملوّح العامري، المتوفى سنة ٦٨هـ ـ ٦٨٨م.

١١١ ـ ديوان مجنون ليلى. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار مصر للطباعة، مصر.

● ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٣٢هـ ـ ١٣٣١م.

١١٢ ـ البداية والنهاية ١/ ١٤. دار الفكر، بيروت.

١١٣ ـ تفسير القرآن العظيم ١/ ٧. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١٤ ـ المختصر في أخبار البشر ١/ ٤. المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط١.

● كحالة، عمر رضا.

١١٥ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ١/ ٥. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٦ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ١/ ٥. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

● لفيف من المستشرقين.

١١٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١/ ٧. رتّبه ونظّمه لفيف من المستشرقين، ونشره أ.ي ونسنك ي.ب منسنج.

● ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ـ ٨٨٨م.

١١٨ ـ كتاب السنن ٢/١. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
• مجذوب، سمير.
١١٩ ـ ابن الجوزي مصنفاً في علوم القرآن. رسالة دكتوراه في الجامعة اللبنانية، الفرع الأول.
• المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٩٤هـ ـ ١٢٩٤م.
١٢٠ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤/١. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
• محمد بن حبيب، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م.
١٢١ ـ المحبر. أعتنى بتصحيحه إيلزه ليختن شتيتر. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
• محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري.
١٢٢ ـ الكلمات الذهبية في الخطب المنبرية. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
• مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري، المتوفى سنة ٢٦١هـ ـ ٨٧٤م.
١٢٣ ـ صحيح مسلم ٥/١. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
• المقري، أبو العباس، أحمد بن محمد، المتوفى سنة ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م.
١٢٤ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨/١. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
• مكتبي، نذير.
١٢٥ ـ خصائص الخطبة والخطيب. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
• ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي، المتوفى سنة ٨٠٤هـ ـ ١٤٠١م.
١٢٦ ـ طبقات الأولياء. تحقيق نور الدين شريبة. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
• المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المتوفى سنة ١٠٣١هـ ـ ١٦٢٢م.
١٢٧ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/١. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.
١٢٨ ـ الكواكب الدرية ٢/١. تحقيق محمود حسن ربيع. مطبعة الزاوية التيجانية، القاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.
• المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، المتوفى سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م.
١٢٩ ـ التكملة لوفيات النقلة ٤/١. تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
• ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، المتوفى سنة ٧١١هـ ـ ١٣١١م.
١٣٠ ـ لسان العرب ١٥/١. دار صادر، بيروت.
١٣١ ـ مختصر تاريخ دمشق ٢٩/١. تحقيق روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع الحافظ. دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
• مهيار الديلمي، أبو الحسين مهيار بن مرزويه، المتوفى سنة ٤٢٨هـ ـ ١٠٣٧م.
١٣٢ ـ ديوان مهيار الديلمي ٣/١. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م.
• الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٥١٨هـ ـ ١١٢٤م.

١٣ ـ مجمع الأمثال ١/٢. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م.

● الميرغني، أبو السيادة عبد الله بن إبراهيم، المتوفى سنة ١٢٠٧هـ ـ ١٧٩٢م.

١٣ ـ المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز. تحقيق سمير مجذوب. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● النبهاني، يوسف بن إسماعيل، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م.

١٣٥ ـ جامع كرامات الأولياء ١/٢. دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

● ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحٰق، المتوفى سنة ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م.

١٣٦ ـ الفهرست. تحقيق رضا تجدد.

● أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٣٠هـ ـ ١٠٣٨م.

١٣٧ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/١٠. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● أبو نواس الحسن بن هانئ، المتوفى سنة ١٩٩هـ ـ ٨١٤م.

١٣٨ ـ ديوان أبي نواس. دار صادر، بيروت.

● ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، المتوفى سنة ٧٦١هـ ـ ١٣٦٠م.

١٣٩ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١/٢. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

● ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، المتوفى سنة ٢١٨هـ ـ ٨٣٣م.

١٤٠ ـ تهذيب سيرة النبي ﷺ ١/٤. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

● الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، المتوفى سنة ٩٧٥هـ ـ ١٥٦٧م.

١٤١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١/١٨. تحقيق بكري حياني وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، المتوفى سنة ٨٠٧هـ ـ ١٤٠٤م.

١٤٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/١٠. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

● وكيع، أبو بكر محمد بن خلف، المتوفى سنة ٣٠٦هـ ـ ٩١٨م.

١٤٣ ـ أخبار القضاة ١/٣. عالم الكتب، بيروت.

● ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م.

١٤٤ ـ معجم الأدباء ١/٢٠. دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٤٥ ـ معجم البلدان ١/٥. دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس القوافي والأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
أيا سعد	عهدا	الطويل	-	٢٢١
هل الوجد	ممهدا	الطويل	-	٢٧٧
ألا أيها الحادي	نجد	الطويل	-	٤٧٣
هل منقذ	أنجدوا	الكامل	-	٢١٢
حديث سقامي	تشهد	الطويل	-	١٣٣
ألف الضنى	مفقود	الكامل	-	٣٤٣
خليلي هل لي	جديدها	الطويل	-	٣٠٦، ٤٢٧
أما والذي قد قدر	شديد	الطويل	-	٢٣٥
عسى من كسى	يعيده	الطويل	-	٣٤٧
لله ما أطيب	البعاد	السريع	-	٢٩٠
من بات رهن	عواده	الكامل	-	٢٧٢
أضحت خلاء	لبد	البسيط	النابغة الذبياني	٥٢٠
لي فؤاد	مهتدي	الرمل	-	١١٢
خذي نفسي	ربى نجد	الطويل	الشريف الرضي	٣٢٦
خذل المعين	المنجد	الكامل	-	١٨٩
تنبهي يا عذبات	نسيم نجد	الرجز	ابن المعلم	٥١٨
ألقاب مملكة	الأسد	البسيط	ابن رشيق القيرواني	٢٠
أقول لأصحابي	بعدي	الطويل	-	٣٧٥
وما زلت أبكي	تجلدي	الطويل	المهيار	١٠٣
أيا حبذا نجد	على عهد	الطويل	قيس بن الملوح	٤٩٧
تلك نجد	بعهدي	الخفيف	-	٢٨٠
يا رفيقي قفا	ما ترى	الرمل	-	٣٨٥
ما حال راية	ينشرا	الكامل	-	٢٤١، ٥٠١
باتت ترى	نظرا	الرجز	-	٢٤٩، ٣٤٤
ساروا فهل لك	الدار	البسيط	-	٤٦٢
مالي عن وصلك	الفرار	مخلع البسيط	-	٢٢٤
لعمرك ماشط	مزارها	الطويل	-	١٢٨
ركوب المنابر	مجهر	المتقارب	-	١٠
سلام على الدار	أسيرها	الطويل	ابن الجوزي	١٩٧
يا قلب ما أنت	الساري	البسيط	الشريف الرضي	٥٢٥
أموت وما ماتت	أوطاري	الطويل	ذو النون المصري	١٠٦
ومن عجب الأيام	السحر	الطويل	بشار بن برد	١٠
أحن إلى من	السدر	الطويل	-	٣١١، ٥٢٢
سمحوا باللقاء	بعسر	الخفيف	-	٣٨٧

فهرس القصص الوعظية

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والأمم

فهرس الأعلام

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الموضوعات العام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المورد العذب في المواعظ والخطب

تأليف

الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م

دراسة وتحقيق وتعليق

الدكتورة أروى سمير مجذوب

دار التبيان للطباعة والنشر

بيروت _ لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار التبيان للطباعة والنشر

بيروت ـ لبنان

فاكس وهاتف: ٧٠٣١٧٤/ ٠١ـ خلوي: ٠٣/٢٩٣١٦٣

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار، الذي أيقظ من خلقه من أصطفاهم فزهّدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار وملازمة الاتعاظ والأدّكار، والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار، أحمده حمداً يوافي نعمه، ويكافىء مزيده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله البر الكريم، الرؤوف الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، هذا كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» للمفسر الحافظ، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي المعروف بأبن الجوزي، أقدم نصه بين يدي القراء الكرام.

ولقد قسمت عملي هذا إلى قسمين أثنين؛ فأثبت في القسم الأول منه دراسة في فصلين، حيثُ تكلمت في الفصل الأول عن الخطابة معنى وتاريخاً وأسلوباً، مبينة أهمية الوعظ في هذا الفن وتدرجه من لدن رسول الله ﷺ وحتى عصر الإمام ابن الجوزي (رحمه الله)، وعن الخطيب وما يتطلبه من عدّة وصفات. ثم ترجمت في الفصل الثاني للإمام ابن الجوزي (رحمه الله)، السباق في فن الخطابة الوعظية، ومصنف كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب»، فسلطت الضوء على عصره ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته، ومكانته العلمية وأقوال العلماء فيه، وختمت الفصل بالحديث عن ابن الجوزي الخطيب الواعظ؛ حيث بينت منهجه وأسلوبه في هذا الفن الذي أشتهر به فكان فيه نسيج وحده، وفريد دهره، وما كتابنا «المورد العذب» إلا آية من آيات براعته الوعظية والخطابية التي ما زالت حية في مؤلفاته، مؤثرة في قارئها.

أما القسم الثاني فحققت في الفصل الأول منه صحة نسبة الكتاب إلى الإمام ابن الجوزي، وكذا حققت أسمه، وبينت قيمته العلمية بما حواه من ثروة أدبية ولغوية فريدة، فضلاً عن أهمية مؤلفه وعظيم مكانته، وأتبعت ذلك ببيان خطة عملي في الكتاب، ومنهجي في التحقيق وما صادفني فيه من صعوبات وعقبات، ثم عمدت إلى كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» في الفصل الثاني؛ فأضطلعت بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه على نحو أرجو الله الحكيم العليم أن أكون قد وفقت فيه، وأن يكون مقبولاً عنده.

اروى سمير مجذوب